المجلد الرابع من التفسيرين الجليلين

المسبوك عليهما سطور الذهب سبك اللجين

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام الحبر النحرير حاوى فضيلتى البيان والبنان فى التقرير والتحرير كاشف قناع المشكلات وموضح دلائل المعضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع العلى أفضل الورى علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة شيخ ديار العجم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحيد عصره القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى الشافعى المتوفى سنة (٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة والأئمة ناصر الشريعة ومحيى السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى الشافعى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه سنة (٧٢٥) تغمده الله برحمته آمين

قد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين ، الاول المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفى الحنفى المتوفى سنة (٧٠١) عليه سحائب الرحمة والرضوان

الثانى تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابى طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشافعى المتوفى سنة (٨١٧)

تنبيه

يقول المتوسل الى الله احمد رفعت بن عثمان حلمى القره حصارى المصحح بدار الطباعة العامرة اعانه الله على مشاق هذه الصناعة وضعت انوار التنزيل فوق الصحائف ولباب التأويل تحتها مفصولا بينهما بجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بجدول

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة

سنة ١٣١٩ هجرية

سبحانك فقنا عذاب النار

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا﴾ سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علماله فيقطع عن الاضافة ويمنع عن الصرف قال

قد قلت لما جاءنى فخره • سبحان من علقمة الفاخر

وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل

تفسير سورة الاسراء

﴿فصل فى نزولها﴾ قال ابن الجوزى هى مكية فى قول الجماعة الا أن بعضهم يقول فيها مدنى فروى عن ابن عباس انه قال هى مكية لاثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدنى وقل رب أدخلنى مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك أحاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والتى تليها وهى مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا﴾ روى ابن الجوزى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شىء هكذا ذكره بغير سند وقال

﴿سورة بنى اسرائيل مكية وهى مائة وعشر آية بصرى واحدى عشرة آية كوفى وشامى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذى أسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم وسرى وأسرى لغتان (ليلا) نصب على الظرف

﴿ومن السورة التى يذكر فيها بنو اسرائيل وهى كلها مكية غير آيات منها خبر وفد ثقيف وخبر مقالة له اليهود ليست هذه بأرض الانبياء فنزل وان كادوا ليستفزونك من الارض الى قوله أدخلنى مدخل صدق الى آخر الآية فهؤلاء الآيات مدنيات آياتها مائة وعشر آيات وكلمها ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون وحروفها ستة آلاف وأربعمائة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبحان) يقول تعظم وتبرأ عن الولد والشريك (الذى أسرى بعبده) سير عبده ويقال ادلج عبده محمدا عليه السلام (ليلا) أول الليل

﴿النحويون﴾

مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل أي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به ﴿ من المسجد الحرام ﴾ بعينه لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتاني جبريل بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد أو لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون عليهم الصلاة والسلام فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا أتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبرهم ثم لم يؤمنوا وقالوا ماهذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش منه واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو في

النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغي الذي أسرى يقال سرى به وأسرى به لغتان بعبده أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف أحد من الامة في ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم

لاتدعني الا بيا عبدها ه فانه أشرف أسمائي

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عزوجل اليه يا محمد بم شرفتك قال رب حيث نسبتني الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا فان قلت الاسراء لايكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه أسري به في بعض ليلة من مكة الى بيت المقدس مسيرة شهر او اكثر فدل تنكير الليل على البعضية ﴿ من المسجد الحرام ﴾ قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتي بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب

الاسراء وأنه أسري به في بعض الليل من مكة الى بيت المقدس مسيرة أربعين ليلة (من المسجد الحرام) قيل اسري به من دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتاني جبريل بالبراق وقد عرج بي الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله وعلى الاول الجمهور اذ لافضيلة للحالم ولامزية للنائم

(من المسجد الحرام) من الحرم من بيت أم هانئ بنت أبي طالب (الى المسجد الاقصى) ابعد من الارض وأقرب الى السماء يعني مسجد بيت المقدس

ما يحسه و يتعجب من عظائم المعجزات ﴿الى المسجد الاقصى﴾ بيت المقدس لانه
لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿الذي باركنا حوله﴾ ببركات الدين والدنيا لانه مهبط
الوحي ومتعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن موسى عليه السلام ومحفوف
بالانهار والاشجار ﴿لنريه من آياتنا﴾ كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته
بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام
من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء ﴿انه هو السميع﴾
لاقوال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿البصير﴾ بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك

(الى المسجد الاقصى) هو
بيت المقدس لانه لم يكن
حينئذ وراءه مسجد (الذي
باركنا حوله) يريد بركات
الدين والدنيا لانه متعبد
الانبياء عليهم السلام ومهبط
الوحي وهو محفوف بالانهار
الجارية والاشجار المثمرة
(لنريه) اي محمدا عليه السلام
(من آياتنا) الدالة على وحدانية
الله وصدق نبوته برؤيته
السموات وما فيها من الآيات
(انه هو السميع) للاقوال
(البصير) بالافعال ولقد
تصرف الكلام على لفظ
الغائب والمتكلم فقيل أسرى
ثم باركنا ثم انه هو وهي
طريقة الالتفات التي
هي من طرق البلاغة

(الذي باركنا حوله) بالماء
والاشجار والثمار (لنريه)
اي نري محمدا صلى الله عليه
وسلم (من آياتنا) من عجائبنا
فكل ما رأى تلك الليلة كان
من عجائب الله (انه هو السميع)
لمقالة قريش (البصير) بهم
وباسرى عبده محمد صلى الله عليه
وسلم

وهي بنت عمه أخت علي رضي الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم
﴿الى المسجد الاقصى﴾ يعني الى بيت المقدس سمي أقصى لبعده عن المسجد الحرام
أو لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿الذي باركنا حوله﴾ يعني بالانهار والاشجار
والثمار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الانبياء قبل
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة ٭ فان قلت ظاهر الآية يدل
على ان الاسراء كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى
السماء فكيف الجمع بين الشيئين وما فائدة ذكر المسجد الاقصى فقط ٭ قلت قد كان
الاسراء على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السماء على
المعراج وفائدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بصعوده الى
السماء أولا لاشتد انكارهم لذلك فلما اخبر انه أسري به الى بيت المقدس وبان لهم
صدقه فيما أخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بعروجه الى
السماء فجعل الاسراء الى المسجد الاقصى كالتوطئة لمعراجه الى السماء ٭ وقوله تعالى
﴿لنريه من آياتنا﴾ يعني من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم في تلك
الليلة الانبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام ٭ فان قلت لفظة من في قوله من آياتنا
تقتضي التبعيض وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله
عليه وسلم ولا قائل به ٭ فوجهه ان ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله
أيضا والآيات لله أفضل من ذلك وأكثر والذي أراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته
وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل
محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم ﴿انه هو السميع﴾ لاقواله
ودعائه ﴿البصير﴾ لافعاله حيث حفظه في ظلمة الليل وقت اسرائه وقيل انه هو السميع
لما قالت له قريش حين أخبرهم بمسراه الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه
من التكذيب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجزي كل
عامل بعمله وحمله على العموم أولى

﴿ فصل ﴾

في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة
أسري به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم
واليقظان اذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود
وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى
شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم
أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود أهو البراق يا أبا
حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل
عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت
فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا
بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء
جاء ففتح فلما خلصت فاذا بيحيي وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيي وعيسى فسلم
عليهما فسلمت فردا السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم
قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه
فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء
الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال
نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم
عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى
السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا
هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد
بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى
فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى
قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها
من أمتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما
خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد
السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى
فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا
أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان

فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم واني قدجربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ، زاد في رواية أخرى وأجزي بالحسنة عشرا ، وفي رواية أخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة وفيه فرفع الى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا مرة أخرى (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبوذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل اليه قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت ياجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ماقال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه قد وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم

(مررت)

مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى ابن مريم
قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابراهيم
قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم ان ابن عباس وأبا حبة الانصاري كانا يقولان قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام
قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين
صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على امتك
قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان أمتك لاتطيق ذلك
قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك
فان أمتك لاتطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهن خمسون لايبدل القول
لدي قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي
جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لاأدري ماهي قال ثم أدخلت الجنة
فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك (ق) عن شريك بن أبي نمر أنه سمع أنس بن مالك
يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر
قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو
خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى
قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه
فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل مابين نحره الى لبته حتى فرغ
من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من
ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج
به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا
ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا يستبشر به أهل السماء
لايعلم أهل السماء مايريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه
السلام فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا وأهلا يابني
نعم الابن أنت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ماهذان النهران ياجبريل
قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من
لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر قال ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذي
خبألك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ماقالت له الاولى من
هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا
ثم عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ماقالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة
فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة
فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء
قد سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة ولم
أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى

رب لم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة
المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما
أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى
فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع
ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل
كأنه يستشيره في ذلك فأشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال
وهو مكانه يا رب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع
الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه
موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا
فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك
كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل
فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا
فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب
قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى
موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى
قد والله راودت بني اسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع الى ربك فليخفف عنك
أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت اليه
قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخاري وأدرج مسلم
حديث شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البناني المسند فذكر من اول
حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخر وزاد
ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الالفاظ لانا نورده على نصه أخرجه مسلم وحده
وهو حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى
طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء قال ثم
دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن
فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل
فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه قال
ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام فاذا هو قد أعطى
شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل

{ فقيل }

فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب ودعالي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يارب خفف على امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عني خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه هذه رواية مسلم * وأخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هكذا ما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وأخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي آخره قال فرجعت الى ربي فسألته التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت انها أمر الله جرى بقول حتم فلم أرجع

فصل

قال البغوي قال بعض اهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيأ لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس وأحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنى عشرة سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح لان هذا كان رؤيا في النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه

التي رآها من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقا سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك في هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ماقيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربي كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محيي الدين وأشبه الاقوال قول الزهري وابن اسحق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الاخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولاحجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك اليه وليس في الحديث مايدل على كونه نائما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان أهل العلم قد أنكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها

فصل

في شرح بعض الفاظ حديث المعراج ومايتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال كل ذلك كان رؤيا وانه مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية نحوه والصحيح ماعليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم • قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أو لشدة صفائه وبياضه

(ولمعانه)

ولمعانه وتلألئه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب وان ذلك لايقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى • وقوله جاءنى جبريل باناء من خمر واناء من ابن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال لى اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعنى فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها أم الخبائث وجالبة لانواع الشر • قوله ثم عرج بى حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن وان يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكروه وفيه ان للسماء أبوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه وفى الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لايخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح فى معناه وقيل غيره • وقوله فاذا أنا بآدم وذكر جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر افضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان فى وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة • وقوله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها • وقوله ثم ذهب بى الى السدرة هكذا وقع فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهى اليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها من امر الله عز وجل • وقوله واذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهى الجرة الكبيرة التى تسع قربتين أو أكثر • قوله فرجعت الى ربى قال الشيخ محيي الدين النووى معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيا • وقوله فلم ازل أرجع بين موسى وبين ربى معناه وبين موضع مناجاة ربى عز وجل قلت وأما الكلام على معنى الرؤية ومايتعلق بها فانه سيأتى ان شاء الله تعالى فى تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى • قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمتى خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها و فى الرواية الاخرى فوضع عنى عشرا وفى الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهى رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البنانى وقتادة وهما أثبت من شريك فالمراد حط عنى خمسا الى أخره ثم قال هى خمس وهن خمسون يعنى خمسين فى الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشئ قبل فعله وفى أول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق ايضا فى صغره وهو عند حليمة التى كانت ترضعه فالمراد بالشق الثانى زيادة التطهير لما راد به من الكرامة ليلة المعراج • وقوله أتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال اناء

الذهب لما وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلئ ايمانا وحكمة فافرغها فى صدرى فان قلت الحكمة والايمان معنى والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل فى الطست شئ يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما فسمى ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز وقوله فى صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسره فى الحديث بانه نسم بنيه يعنى أرواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المؤمنين فى السماء وأرواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون فى السماء والجواب عنه أنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو فى السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبى صلى الله عليه وسلم فاخبر بما رأى وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله فى ادريس مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون على أن ادريس هو أخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبى صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جده فكان ينبغى أن يقول بالنبى الصالح والابن الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضى عياض قال الشيخ محيى الدين ليس فى الحديث ما يمنع كون ادريس أبا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفا وتأدبا وهو أخ وان كان أبا لان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله أعلم

فصل

فى ذكر الآيات التى ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث تتعلق بالاسراء قال البغوى روى انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذى طوى قال يا جبريل ان قومى لا يصدقونى قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسرى بى الى السماء أصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت أن الناس يكذبونى فروى انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به أبو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شئ قال نعم أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم اصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل أن ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثتنى به قال نعم قال أبو جهل يا معشر بنى كعب بن لؤى هلموا فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتنى قال نعم أسرى بى الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فبقى الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا وارتد أناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى أبى بكر فقال له هل لك فى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس

(قال)

قال أو قد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أو تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء في ليلة قبل أن يصبح قال نعم انى أصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وكان في القوم من أتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت أنعت حتى التبس على قال فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهى أهم الينا هل لقيت منها شيأ قال نعم مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيرا وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذى مر فنفر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها وأحمالها وهيئتها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يتقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيأ وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه الابل قد طلعت يتقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتنى في الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لى أنظر اليه ما يسألونى عن شئ الا أنبأتهم به وقد رأيتنى في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى واذا ابراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأنى بالسلام (ق) عن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتنى قريش قمت الى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه زاد البخارى في رواية له لما كذبنى قريش حين أسرى بى الى بيت المقدس وذكر الحديث (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الاحمر فاذا هو قائم يصلى في قبره ❊ عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق أخرجه الترمذى فان قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلى في قبره وكيف صلى بالانبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه وترحبوا به

﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ان لاتتخذوا ﴾ على ان لاتتخذوا كقولك كتبت اليك ان افعل كذا وقرأ ابو عمرو بالياء على لان لايتخذوا ﴿ من دونى وكيلا ﴾ ربا تكلون اليه اموركم غيرى ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ نصب على الاختصاص أو النداء ان قرئ أن لاتتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لاتتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح أو على انه احد مفعولى لاتتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة ﴿ انه ﴾ ان نوحا عليه السلام ﴿ كان عبدا شكورا ﴾ يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل ﴾ واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا ﴿ فى الكتاب ﴾ فى التوراة

وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم فى الدار الآخرة * قلت أما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء فى بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلى بهم ويعرفوا بفضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اياهم فى السموات على مراتبهم ليعرفهو مراتبهم وفضلهم وأما مروره بموسى وهو قائم يصلى فى قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الانبياء وهم فى الدار الآخرة فهم فى حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد فى الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص فى الآخرة كما خصهم فى الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر انه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ يعنى التوراة ﴿ وجعلناه ﴾ يعنى الكتاب ﴿ هدى لبنى اسرائيل أن لاتتخذوا ﴾ يعنى وقلنا لهم لاتتخذوا ﴿ من دونى وكيلا ﴾ يعنى ربا كفيلا ﴿ ذرية ﴾ يعنى ياذرية ﴿ من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ﴾ يعنى ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا أكل طعاما او شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك * قوله عزوجل ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب ﴾ يعنى أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب

(ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهى اى قلنا لهم لاتتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) فى السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروى أنه كان لايأكل ولايشرب ولايلبس الا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم وآية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الابناء كذلك (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب

(وآتينا موسى الكتاب) أعطينا موسى التوراة جملة واحدة (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) من الضلالة (ألا تتخذوا) أن لاتعبدوا (من دونى وكيلا) ربا (ذرية) ياذرية (من حملنا مع نوح) فى السفينة فى أصلاب الرجال وارحام النساء (انهم) (انه) يعنى نوحا (كان عبدا شكورا) شاكرا كان اذا أكل أوشرب أو اكتسى قال الحمد لله (وقضينا الى بنى اسرائيل) بينا لبنى اسرائيل (فى الكتاب) فى التوراة

فسدن فى الارض)وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون فى الارض لامحالة والكتاب التوراة
لتفسدن جواب قسم محذوف أوجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن
الارض (مرتين)أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والاخرى قتل يحيي
ن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (ولتعلن علوا كبيرا)ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا فى
لارض والمراد به البغي والظلم وغابة المفسدين على المصلحين (فاذا جاء وعد أولاهما)

﴿لتفسدن فى الارض﴾ جواب قسم محذوف أوقضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم ﴿مرتين﴾ افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيي وقصد قتل عيسى عليهم السلام ﴿ولتعلن علوا كبيرا﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى أولتظلمن الناس ﴿فاذا جاء وعد اولاهما﴾ وعيد عقاب اولاهما ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا﴾ بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من أهل نينوى ﴿اولى بأس شديد﴾ ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد ﴿فجاسوا﴾ ترددوا لطلبكم • وقرئ بالحاء المهملة وهما اخوان ﴿خلال الديار﴾ وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع ﴿وكان وعدا مفعولا﴾ وان كان وعد عقابهم لابد ان يفعل ﴿ثم رددنا لكم الكرة﴾ أى الدولة والغلبة ﴿عليهم﴾ على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تعالى فى قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر أوبان سلط داود عليه السلام على جالوت فقتله

انهم سيفسدون وهو قوله تعالى ﴿لتفسدن فى الارض مرتين﴾ وقال ابن عباس وقضينا عليهم فى الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام فى لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن فى الارض يعنى بالمعاصى والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس ﴿ولتعلن﴾ يعنى ولتستكبرن ولتظلمن الناس ﴿علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما﴾ يعنى أولى المرتين قيل افسادهم فى المرة الاولى هوماخالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم فى المرة الاولى قتلهم شعياء فى الشجرة وارتكابهم المعاصى ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا﴾ يعنى جالوت وجنوده وهو الذى قتله داود وقيل هو سنجاريب وهو من أهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلى وهو الاصح ﴿أولى بأس شديد﴾ يعنى ذوى بطش وقوة فى الحرب ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ يعنى طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم ليقتلوكم ﴿وكان وعدا مفعولا﴾ يعنى قضاء كائنا لازما لاخلف فيه ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ يعنى رددنا لكم الدولة والغلبة

أى وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم) سلطنا عليكم (عبادا لنا أولى بأس شديد) أشداء فى القتال يعنى سنجاريب وجنوده أو بختنصر اوجالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فجاسوا خلال الديار) ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشئ بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعدا لابد ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة (عليهم)على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك

لتفسدن فى الارض) لتعصن فى الارض (مرتين واتعلن علوا كبيرا) لتعتن
توا كبيرا ويقال لتقهرن قهرا شديدا (فاذا جاء وعد أولاهما) أول العذابين ويقال أول الفسادين (بعثنا) سلطنا (عليكم
بادا لنا)بختنصر وأصحاب ملك بابل (أولى بأس شديد)ذوى قتال شديد (فجاسوا خلال الديار) فقتلوكم وسط الديار فى الازقة
وكان وعدا مفعولا) مقدورا كائنا لئن فعلتم لافعلن بكم فكانوا تسعين سنة فى العذاب أسرى فى يد بختنصر قبل ان ينصرهم
له بكورش الهمدانى (ثم رددنا لكم الكرة) الدولة (عليهم) بظهور كورش الهمدانى على بختنصر ويقال
عطفنا عليكم العطفة بالدولة

اليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بقتل طالوت وقيل داود جالوت (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما اكتسبت والصحيح انها على بابها لان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت أو سيئة يعنى ان الاحسان والاساءة تختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن على رضى الله عنه ما أحسنت الى أحد ولا أسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة بعثناهم (ليسوؤا) أى هؤلاء (وجوهكم) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أى ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامى وحمزة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث لنسوء على (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) ما علوا مفعول ليتبروا أى ليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم

(وأمددناكم بأموال وبنين) أعطيناكم أموالا وبنين (وجعلناكم أكثر نفيرا) رجالا وعددا (ان أحسنتم) وحدتم الله (أحسنتم) وحدتم (لأنفسكم) ثواب ذلك الجنة (وان أسأتم) أشركتم بالله (فلها) عليها عقوبة ذلك فكانوا فى النعيم والسرور وكثرة الرجال (حتى)

﴿ وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾ مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ﴿ ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ﴾ لان ثوابه لها ﴿ وان أسأتم فلها ﴾ فان وبالها عليها واتى ذكرها باللام ازدواجا ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ وعد عقوبة المرة الآخرة ﴿ ليسوؤا وجوهكم ﴾ أى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم أى ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد أو للبعث أو لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾ متعلق بمحذوف هو بعثناهم ﴿ كما دخلوه اول مرة وليتبروا ﴾ ليهلكوا ﴿ ما علوا ﴾ ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم ﴿ تتبيرا ﴾ وذلك ان سلط الله عليهم الفرس مرة

على الذين بغوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد ﴿ وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾ يعنى أكثر عددا ﴿ ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ﴾ يعنى لها ثوابها وجزاء احسانها ﴿ وان أسأتم فلها ﴾ يعنى فعليها اساءتها ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ يعنى المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى ﴿ ليسوؤا وجوهكم ﴾ يعنى ليحزنوكم وقرئ بالنون أى لنسوء الله وجوهكم ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾ يعنى بيت المقدس ونواحيه ﴿ كما دخلوه أول مرة ﴾ يعنى وقت افسادهم الاول ﴿ وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ يعنى وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بنى اسرائيل اهلاكا

ذكر القصة فى هذه الآيات

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله فى ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا ليسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التى فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعياء هو الذى بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبشرى أورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك يعنى صديقة بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعياء فبعث الله سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائرا

والعدد والغلبة على العدو مائتين وعشرين سنة قبل ان يسلط عليهم تطوس (فاذا جاء وعد الآخرة) آخر الفسادين وآخر العذابين (ليسوؤا) ليقبحوا (وجوهكم) بالقتل والسبى يعنى تطوس بن اسبيانوس الرومى (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة) بختنصر وأصحابه (وليتبروا) ليخربوا (ما علوا) ما ظهروا عليه (تتبيرا) تخريبا

اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جوذرذه وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ

حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاء شعياء النبي اليه وقال يا ملك بني اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال شعياء لم يأتني وحي في ذلك فبينما هم على ذلك أوحى الله الى شعياء النبي أن ائت ملك بني اسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعياء ملك بني اسرائيل وقال ان ربك قد أوحى الى أن آمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة يا قدوس يا متقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به من سري وعلانيتي لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فأوحى الله الى شعياء أن يخبر صديقة ان ربه قد استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فأتاه شعياء فاخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال الهي واله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعياء قل له اني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فلما أصبحوا جاء صارخ صرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فادركه الطلب في مغارة ومعه خمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فجعلهم في الجوامع ثم أتى بهم الملك فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا

بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب قد أتاني خبر ربكم
ونصره إياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم يلقني
في الشقوة إلا قلة عقلي ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب
العالمين الذي كفاناكم بما شاء وإن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه
إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من
وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلك ومن معك ولدمك
ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير
حرسه أن يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس
وإيلياء وكان يرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك
صديقة القتل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فأمر بهم إلى السجن فأوحى الله إلى شعياء
النبي أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم
وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى
قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك
بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله إلى نبيهم فلم تطعنا وهي أمة
لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنجاريب تخويفا لبني إسرائيل ثم كفاهم الله تعالى
ذلك تذكرة وعبرة ثم إن سنجاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على
ملكه بختنصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله
ملك بني إسرائيل صديقة فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم
بعضا وشعياء نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم في قومك حتى
أوحي على لسانك فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي فقال يا سماء استمعي ويا أرض انصتي
فإن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم
بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردتها وجمع
ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك
بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر
فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين إن البعير مما يذكر وطنه
فينتابه وإن الحمار مما يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وإن الثور مما يذكر المرج
الذي سمن فيه فينتابه وإن هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولو
الألباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير وإني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون
في أرض كانت خرابا زمانا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فأقبل عليها بالعمارة
وكره أن تخرب أرضه وهو قوي أو يقال ضيع وهو حكيم فأحاط جدارا وشيد فيها
قصرا وأنبط فيها نهرا وصنف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب
وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأي وهمة حفيظا قويا أمينا فلما أطلعت
جاء طلعها خروبا فقالوا بئست الأرض هذه فنرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن

﴿ نهرها ﴾

نهرها ويقبض فيها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خرابا مواتا لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ديني والقصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي وان الغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة واني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملات بدمائها يشيدون لي البيوت مساجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون لي المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأي حاجة الى تشييد البيوت ولست اسكنها وأي حاجة الى تزويق المساجد ولست أدخلها انما أمرت برفعها لاذكر وأسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فاسألهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسون بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي أم كيف تزكوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم انما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وانما هو قولهم بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما أستجيب للداعي اللين وانما استمع قول المستضعف المستكين وان من علامة رضائي رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالاتي انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاؤا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاؤا أن يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبته وحتمته على نفسي وجعلت دونه أجلا مؤجلا لابد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه أو في أي زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يؤلفوا ما يشاؤن فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التي أدبر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين واني قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان أجعل النبوة في الاجراء وان أجعل الملك في الرعاء والعز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحكمة في الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون واني باعث لذلك نبيا أميا ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته

وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به
بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين
قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وإيمانا بي وإخلاصا لي يصلون قياما
وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم
وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة
والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون
على رؤس الأشراف يطهرون لي الوجوه والأطراف ويعقدون الثياب على الأنصاف
قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي أوتيه من أشاء
وأنا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة
فانفلقت له فدخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها فوضعوا المنشار
في وسطها فنشروها حتى قطعوه وقطعوها في وسطها واستخلف الله على بني اسرائيل بعد ذلك
رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص وبعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون
ابن عمران وذكر ابن اسحق أنه الخضر واسمه ارمياء سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء
فقام عنها وهي تهتز خضراء فبعث الله ارمياء الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت
الأحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فأوحى الله الى ارمياء ان ائت
قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمي وعرفهم بأحداثهم فقال ارمياء
يارب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله تعالى أولم تعلم ان
الأمور كلها تصدر عن مشيئتي وان القلوب والألسنة بيدي أقلبها كيف شئت اني معك ولن
يصل اليك شيء معي فقام ارمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله عز وجل في الوقت خطبة
بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل واني
حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة
وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى ارمياء اني مهلك
بني اسرائيل بيافث ويافث من أهل بابل فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف
راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشأم وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب
بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا
ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير
وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها
فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين
اخترتهم من بني اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان
وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلثا أقرهم بالشأم وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب
بآنية بيت المقدس وبالصبيان السبعين ألفا حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الأولى
التي أنزل الله عز وجل ببني اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فإذا جاء وعد

أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر وأصحابه ثم ان بختنصر أقام فى سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيأ أصابه فانساه الذى رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وكانوا من ذرارى الأنبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها فقال ما أذكرها ولئن لم تخبرونى بها وبتأويلها لأنزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فعلمهم الله بالذى سألهم عنه فجاؤه فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر اليه وقد أعجبك أرسل الله صخرة من السماء فدقته فهى التى أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا تأويلها انك رأيت الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا والفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب احسن من الفضة وافضل ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما قبله والصخرة التى رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبى يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا لبختنصر أرأيت هؤلاء الغلمان من بنى اسرائيل الذين سألناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت وجوههن عنا اليهم فاخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم ان يقتل من كان فى يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله أن يحييهم فقتلوا الا من كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ثم لما أراد الله تعالى هلاك بختنصر انبعث فقال لمن فى يده من بنى اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذى خربت والناس الذى قتلت منكم وما هذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببنى اسرائيل قال فاخبرونى كيف لى أن أطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها لى ملكا فانى قد فرغت من أهل الارض قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلائق قال لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل فى يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى أحيي أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكى ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين أظهرنا الذى لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره قال أفتحب أن يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذى وعده فجلس فيه

فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حبا لم يحبوا حبه شيأ قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث اليهم من انبيائهم زكريا ويحيي وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فمات زكريا وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين ظهرهم وقتلوا يحيي فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشأم فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له انى قد كنت حلفت بالهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا أن لاأجد أحدا أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقال يابنى اسرائيل ماشأن هذا الدم يغلى أخبرونى خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلى ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الا هذا فقال ماصدقتمونى فقالوا لو كان كاول زماننا لتقبل مناولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يتقبل منه فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيورزاذان ان الدم لايهدأ قال لهم يابنى اسرائيل ويلكم أصدقونى واصبروا على أمر ربكم فقد طالما ملكتم في الارض تفعلون ماشئتم قبل أن لاأترك منكم نافخ نار من ذكر ولاأنثى الاقتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا أطعناه كان أرشدنا وكان يخبرنا عن أمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيي بن زكريا قال ألآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم بيور زاذان انهم صدقوه خرساجدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا في بنى اسرائيل ثم قال يايحيي بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك ومن قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل أن لاأبقى من قومك أحدا الاقتلته فهدأ الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنواسرائيل وأيقنت انه لارب غيره وقال لبنى اسرائيل ان خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لاأستطيع ان أعصيه قالوا له فعل ماأمرت به فأمرهم فحفروا خندقا وأمرهم بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحا حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من المواشى فلم يظن خردوش الا أن مافي الخندق من دماء بنى اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل الى بيورزاذان أن

﴿ ارفع ﴾

﴿ عسى ربكم ان يرحكم ﴾ بعد المرة الاخرى ﴿ وان عدتم ﴾ نوبة اخرى ﴿ عدنا ﴾ مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ﴿ ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ﴾ للحالة أو الطريقة التى هى اقوم الحالات أو الطرق ﴿ ويبشر

ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد أفنى بنى اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهى الوقعة الاخير التى أنزل الله ببنى اسرائيل فى قوله لتفسدن فى الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشأم ونواحيها الى الروم واليونانيين الا أن بقايا بنى اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا فى نعمة الى ان بدلوا وأحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططوس ابن اسبيانوس الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فلبثوا فى أمة الا وعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره وقيل فى سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بنى اسرائيل كان يكرمه ويدنى مجلسه وان الملك هوى بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها الحلى وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هو راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ماسألته فاذا اعطاها ماسألت سألت رأس يحيى بن زكريا وأن يؤتى به فى طست ففعلت فلما راودها قالت لا أفعل حتى تعطى ماأسالك قال فما تسأليني قالت رأس يحيى بن زكريا فى هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا قالت ماأريد غير هذا فلما أبت عليه بعث فاتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لا يحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلى فامر بتراب فالقى عليه فرقى الدم يغلى فلازال يغلى ويلقى عليه التراب وهو يغلى حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يرقى ويغلى وسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين ألفا حتى سكن دمه * قوله عز وجل ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾ يعنى يابنى اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم ﴿ وان عدتم ﴾ أى الى المعصية ﴿ عدنا ﴾ أى الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ أى سجنا ومحبسا من الحصر الذى هو مجلس الحبس وقيل فراشا من الحصير الذى يبسط ويفترش * قوله تعالى ﴿ ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ أى الى الطريقة التى هى أصوب وقيل الى الكلمة التى هى أعدل وهى شهادة أن لا اله الا الله ﴿ ويبشر ﴾ يعنى القرآن

(عسى ربكم أن يرحكم) بعد المرة الثانية ان تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصى (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما سلط عليهم المؤمنون الى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها وهى توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة (ويبشر

(عسى ربكم) لعل ربكم (أن يرحكم) بعد ذلك (وان عدتم)الى الفساد (عدنا) الى العذاب ويقال ان عدتم الى الاحسان عدنا الى الرحمة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) سجنا ومحبسا(ان هذا القرآن يهدى)يدل (للتى هى أقوم) أصوب شهادة أن لا اله الا الله ويقال أبين (ويبشر

المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر حمزة وعلى (أن لهم) بأن لهم (أجرا كبيرا) أى الجنة (وأن الذين) وبأن الذين (لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا) أى أعددنا قلبت تاء (لهم عذابا أليما) يعنى النار والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة

المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ﴾ وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف ﴿ وان الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا اليما ﴾ عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم أو على يبشر باضمار يخبر ﴿ ويدع الانسان بالشر ﴾ ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله أو يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر ﴿ دعاءه بالخير ﴾ مثل دعائه بالخير ﴿ وكان الانسان عجولا ﴾ يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة رضى الله عنها فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الآية فاجيب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ أى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ مضيئة أو مبصرة

﴿ المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ﴾ يعنى الجنة ﴿ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ يعنى النار فى الآخرة ﴿ ويدع الانسان ﴾ أى على نفسه وولده وماله ﴿ بالشر ﴾ يعنى قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك ﴿ دعاءه بالخير ﴾ أى كدعائه ربه أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه ﴿ وكان الانسان عجولا ﴾ أى بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ أى علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفى معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين أما فى الدين فلان كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما فى الدنيا فلان مصالح العباد لا تتم الا بهما ففى الليل يحصل السكون والراحة وفى النهار يحصل التصرف فى المعاش والكسب والقول الثانى أن يكون المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ أى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شئ ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ أى تبصر فيه الاشياء

(ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير) أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير أو يطلب النفع العاجل وان قل بالضرر الآجل وان جل (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب ما يقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأنى المتبصر أو أريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعنى ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر ابن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب فضربت عنقه صبرا وسقوطا واو من يدع فى الخط على موافقة اللفظ (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أى الليل والنهار آيتان

المؤمنين) مخصصين بايمانهم (الذين يعملون الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (أن لهم أجرا كبيرا) ثوابا عظيما وافرا فى الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (أعتدنا لهم عذابا أليما) وجيعا فى الآخرة (ويدعو الانسان) يعنى النضر بن الحرث (بالشر) باللعن {ويروى} والعذاب على نفسه وأهله (دعاءه بالخير) كدعائه بالعافية والرحمة (وكان الانسان) يعنى النضر (عجولا) مستعجلا بالعذاب (وجعلنا الليل والنهار آيتين) علامتين يعنى الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) ضوء آية الليل يعنى القمر (وجعلنا) تركنا (آية النهار مبصرة) يعنى

فى أنفسهما فتكون الاضافة فى آية الليل و آية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود أى فمحونا الآية التى هى الليل وجعلنا الآية

التى هى النهار مبصرة أو وجعلنا نيرى الليل ﴿٢٥﴾ والنهار آيتين يريد {سورة بنى اسرائيل} الشمس والقمر فمحونا آية

للناس من ابصره فبصر أو مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين أو وجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور أو نقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها ﴿ لتبتغوا فضلا من ربكم ﴾ لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ﴿ ولتعلموا ﴾ باختلافهما أو بحركاتهما ﴿ عدد السنين والحساب ﴾ وجنس الحساب ﴿ وكل شئ ﴾ تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا ﴿ فصلناه تفصيلا ﴾ بيناه بيانا غير ملتبس ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره ﴾ عمله وماقدر له كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد ﴿ فى عنقه ﴾

رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكى ان الله أمر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذى فى القمر فقال هو أثر المحو ﴿ لتبتغوا فضلا من ربكم ﴾ أى لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف فى معايشكم ﴿ ولتعلموا ﴾ أى باختلاف الليل والنهار ﴿ عدد السنين والحساب ﴾ أى ماتحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الاوقات وانعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حول الديون المؤجلة * واعلم ان الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار ﴿ وكل شئ فصلناه تفصيلا ﴾ يعنى وكل شئ تفتقرون اليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر أحوال آيتى الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شئ فصلناه تفصيلا * قوله عز وجل ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ﴾ قال ابن عباس عمله وماقدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقيل خيره وشره معه لايفارقه حتى يحاسب به وقيل مامن مولود الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد وقيل أراد بالطائر ماقضى عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعنى ألزمناه ماطار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لاينفك عنه والعنق فى قوله فى عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا فى عنقك أى قلدتك هذا العمل وألزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين أو يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الحلى

الليل التى هى القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الاشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شئ (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتوصلوا ببياض النهار الى التصرف فى معايشكم (ولتعلموا) ولتعلموا باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعنى حساب الآجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين والتجار (وكل شئ) مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس فاز حنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (وكل انسان ألزمناه طائره) عمله (فى عنقه) يعنى ان عمله لازم

الشمس مبصرة مضيئة (لتبتغوا) لكى تطلبوا (فضلا من ربكم) بطلب الدنيا والآخرة (ولتعلموا) لكى تعلموا زيادة القمر ونقصانه (عدد السنين والحساب) حساب الايام والشهور (وكل شئ) من الحلال والحرام والامر والنهى (فصلناه تفصيلا) بيناه

فى القرآن تبيينا (وكل انسان ألزمناه) (قا و خا ٤ بع) ألزقناه (طائره) كتاب اجابته فى القبر منكر ونكير (فى عنقه) ويقال خيره

له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه (ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه) هو صحيفة كتابا بيلقاه شامي (منشورا) حال من يلقاه يعني غير مطوي ليمكنه قراءته أو هما صفتان للكتاب ونقول له (اقرأ كتابك) أي كتاب أعمالك وكل يبعث قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك) الباء زائدة أي كفى نفسك (حسيبا) تمييز أو هو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما أهمه وإنما ذكر حسيبا لأنه بمنزلة الشهود والقاضي والأمير إذ الغالب أن يتولى هذه الأمور الرجال فكأنه قيل كفى نفسك رجلا حسيبا أو تؤول النفس بالشخص (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) أي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي كل نفس حاملة وزرا فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وما صح منا أن نعذب قوما عذاب استئصال في الدنيا إلا بعد أن نرسل إليهم رسولا يلزمهم الحجة (وإذا أردنا أن نهلك قرية) أي أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن أبي

لزوم الطوق في عنقه ﴿ونخرج له يوم القيمة كتابا﴾ هي صحيفة عمله أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن الأفعال الاختيارية تحدث في النفس أحوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بأنه مفعول أو حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ ويخرج أي الله تعالى عز وجل ﴿يلقاه منشورا﴾ لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا ﴿اقرأ كتابك﴾ على إرادة القول ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ أي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لأنه إما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لأنه يكفي المدعي ما أهمه وتذكيره على أن الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس أخرى بل إنما تحمل وزرها ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ وإذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر كقولهم إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة ﴿أمرنا مترفيها﴾

في العنق وهو مما يزينه وإن كان عمله شرا كان له كالغل في عنقه وهو مما يشينه ونخرج له يقول تبارك وتعالى ﴿ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا﴾ قيل بسطت للإنسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيآته فإذا مات طويت الصحيفتان وجعلتا معه في عنقه فلا تنشران إلى يوم القيمة ﴿اقرأ كتابك﴾ أي يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ أي محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر إنك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * قوله سبحانه وتعالى ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ يعني أن ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب بفاعله أيضا ولا يتعدى منه إلى غيره وهو قوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ لإقامة الحجة وقطع العذر وفيه دليل على أن ما وجب إنما وجب بالسمع لا بالعقل * قوله سبحانه وتعالى ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾

وشره له أو عليه ويقال سعادته وشقاوته له أو عليه (ونخرج له) نظهر له (يوم القيمة كتابا يلقاه) يعطاه (منشورا) مفتوحا فيه حسناته وسيآته ويقال له (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) شهيدا بما عملت (من اهتدى) آمن (فإنما يهتدي) يؤمن (لنفسه) ثواب ذلك (ومن ضل) كفر (فإنما يضل) يجب (عليها) على نفسه عقوبة ذلك (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لا تحمل حاملة ذنب (في) أخرى بطيبة النفس ولكن يحمل عليها بالقصاص ويقال لا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى ويقال لا تعذب نفس بغير ذنب (وما كنا معذبين) قوما بالهلاك (حتى نبعث) إليهم (رسولا) لاتخاذ الحجة عليهم (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها)

متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ماقبله ومابعده فان الفسق هوالخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ﴿ ففسقوا فيها ﴾ كقولك امرته فقرأ فانه لايفهم منه الاالامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه أو التسبب له بان صب عليهم من النعم ماابطرهم وافضى بهم الى الفسق ويحتمل ان لايكون له مفعول منوى كقولهم امرته فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال أمرت الشئ وآمرته فامر اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة أى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور ﴿ فحق عليها القول ﴾ يعنى كلمة العذاب السابقة بحلوله أو بظهور معاصيهم أو بانهماكهم فى المعاصى ﴿ فدمرناها تدميرا ﴾ اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها ﴿ وكم اهلكنا ﴾ وكثيرا اهلكنا ﴿ من القرون ﴾ بيان لكم وتمييزله ﴿ من بعد نوح ﴾ كعاد وثمود ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ﴾ يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب

فى معنى الآية قولان أحدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى عماذا أمرهم فقال أكثر المفسرين معناه انه تعالى أمرهم بالاعمال الصالحة وهى الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر وفسقوا والقول الثانى أمرنا مترفيها أى كثرنا فساقها يقال أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة أى كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى أمرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذى أبطرته النعمة وسعة العيش ﴿ ففسقوا فيها ﴾ أى خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة ﴿ فحق عليها القول ﴾ أى وجب عليها العذاب ﴿ فدمرناها تدميرا ﴾ أى أهلكناها اهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتى تليها قالت زينب قلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع فى هلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث أى الشر * قوله تعالى ﴿ وكم أهلكنا من القرون ﴾ أى المكذبة ﴿ من بعد نوح ﴾ وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار قريش قال عبدالله ابن أبى أوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول قرن ويزيد بن معاوية فى آخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبدالله بن بشر المازنى ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم مازلنا نعدله حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ﴾ يعنى انه عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات لايخفى عليه شئ

عمرو والزجاج (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن الامر كقولك أمرته فعصى أو أمرنا كثرنا دليله قراءة يعقوب أمرنا ومنه الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النسل (فحق عليها القول) فوجب عليها الوعيد (فدمرناها تدميرا) فاهلكناها اهلاكا (وكم) مفعول (أهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) يعنى عادا وثمود وغيرهما (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا) وان أخفوها فى الصدور (بصيرا) وان أرخوا عليها الستور

جبابرتها ورؤساءها بالطاعة ان قرأت بنصب الالف مخففا ويقال كثرنا رؤساءها وجبابرتها وأغنياءها ان قرأت بفتح الالف ممدودا ويقال سلطنا جبابرتها ورؤساءها ان قرأت بفتح الالف وتشديد الميم (ففسقوا فيها) فعملوا فيها بالمعاصى (فحق عليها القول) وجب القول عليها بالعذاب (فدمرناها تدميرا) فأهلكناها اهلاكا (وكم أهلكنا من القرون) الماضية (من بعد نوح) من بعد قوم نوح (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) بهلاكهم وان لم نبين لك ونعلم ذنوبهم وعذابهم

(من كان يريد العاجلة ... له فيها ما نشاء) لا ما يشاء (لمن نريد) بدل من له بإعادة الجار وهو بدل البعض من الكل إذ الضمير يرجع إلى من وهو ... فلمن ... هم ... ولم يرد غيرها كالكفرة تقيد المعجل والمعجل له ... فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بإرادته وهكذا الحال ... هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون إلا بعضا ... كثير منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار غنى الآخرة فإن أوتي حظا من الدنيا فبها وإلا فربما كان الفقر خيرا له (ثم جعلنا له جهنم) في الآخرة (يصليها) يدخلها (مذموما) ممقوتا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به أو حقها من السعي وكفاءها من الأعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده ووعيده (فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فإنه شرط فيها ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا إرادة الآخرة والسعي فيما كلف والإيمان الثابت (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف إليه وهو منصوب بقوله (نمد هؤلاء) بدل من كلا أي نمد هؤلاء (وهؤلاء) أي من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (من عطاء ربك) رزقه وهو متعلق بنمد

عليها وتقديم الخبر لتقدم متعلقه ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ مقصورا عليها همه ﴿ عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾ قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة لأنه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم أن الأمر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن أراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية في المنافقين وكانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ﴿ ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا ﴾ مطرودا من رحمة الله تعالى ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ حقها من السعي وهو الإتيان بما أمر به والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص ﴿ وهو مؤمن ﴾ إيمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فإنه العمدة ﴿ فأولئك ﴾ الجامعون للشروط الثلاثة ﴿ كان سعيهم مشكورا ﴾ من الله تعالى أي مقبولا عنده مثابا عليه فإن شكر الله الثواب على الطاعة ﴿ كلا ﴾ كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف إليه ﴿ نمد ﴾ بالعطاء مرة بعد أخرى ونجعل آنفه مددا للسالفة ﴿ هؤلاء وهؤلاء ﴾ بدل من كلا ﴿ من عطاء ربك ﴾ من معطاه متعلق بنمد

من أحوال الخلق ❊ قوله عز وجل ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ أي الدار العاجلة يعني الدنيا ﴿ عجلنا له فيها ما نشاء ﴾ أي من البسط أو التقتير ﴿ لمن نريد ﴾ أن نفعل به ذلك أو إهلاكه وقيل في معنى الآية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أي القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا لا الذي يشاء هو ومن نريد أن نعجل له شيئا قدرناه له وهذا ذم لمن أراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها ... من أراده لا يدرك منها إلا ما قدر له ﴿ ثم جعلنا له ﴾ أي في الآخرة ﴿ جهنم يصلاها ﴾ أي يدخلها ﴿ مذموما مدحورا ﴾ أي مطرودا مباعدا ❊ قوله تعالى ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ أي عمل لها عملها ﴿ وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ أي مقبولا قيل في الآية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا إرادة الآخرة بعمله بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والإيمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ❊ قوله عز وجل ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء ﴾ أي نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ﴿ من عطاء ربك ﴾

(من كان يريد العاجلة) يعني الدنيا بأداء ما افترض الله عليه (عجلنا له فيها) أعطيناه في الدنيا (ما نشاء) أن نعطيه (لمن نريد) أن نهلكه في الآخرة (ثم جعلنا له جهنم) أوجبنا له (يصليها) { يعني } يدخلها (مذموما مدحورا) مقصيا من ثواب كل خير نزلت هذه الآية في مرثد بن ثمامة (ومن أراد الآخرة) يعني الجنة بأداء ما افترض الله عليه (وسعى لها سعيها) عمل للجنة عملها (وهو مؤمن) مع ذلك مؤمن مخلص بإيمانه (فأولئك كان سعيهم) عملهم (مشكورا) مقبولا نزلت هذه الآية في بلال المؤذن (كلا نمد) نعطي بالرزق (هؤلاء) أهل الطاعة (وهؤلاء) أهل المعصية نمدون (من عطاء ربك)

العطاء اسم للمعطى أي نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لانقطاعه فيرزق المطيع والعاصي جميعا على جهة التفضل (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (انظر) بعين الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) في المال والجاه والسعة والكمال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) روي ان قوما من الاشراف فمن دونهم

اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق

﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾ ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال ﴿وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا﴾ اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ﴿لا تجعل مع الله الها آخر﴾ الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته أو لكل احد ﴿فتقعد﴾ فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة أو فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه ﴿مذموما مخذولا﴾ جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا ﴿وقضى ربك﴾ وامر امرا مقطوعا به ﴿ألا تعبدوا﴾ بان لا تعبدوا ﴿الا اياه﴾ لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية

يعني يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما في المآل ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾ أي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء في الدنيا اذ لا حظ للكافر في الآخرة ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ أي في الرزق والعمل يعني طالب العاجل وطالب الآخرة ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ يعني ان تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته في طلب الدنيا فلأن تقوى وتشتد رغبته في طلب الآخرة أولى لانها دار المقامة * قوله تعالى ﴿لا تجعل مع الله الها آخر﴾ الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الانسان مع الله الها آخر وهذا أولى ﴿فتقعد مذموما﴾ أي من غير حمد ﴿مخذولا﴾ أي بغير ناصر * قوله سبحانه ﴿وقضى ربك﴾ أي وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم ألصقوا الواو بالصاد فصار قاف وهي قراءة علي وابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب ان التحريف والتغيير قد تطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان على القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين ﴿ألا تعبدوا الا اياه﴾ فيه وجوب عبادته والمنع من عبادة غيره

على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبل انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخر ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بأمته (فتقعد مذموما مخذولا) فتصير جامعا على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة محروما عن الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وقضى ربك) وأمر أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا الا اياه) أن مفسرة ولا تعبدوا نهي

رزق ربك (وما كان عطاء ربك) رزق ربك (محظورا) محبوسا عن البر والفاجر (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الدنيا بالمال والخدم (وللآخرة) وفي الآخرة (أكبر درجات) فضائل للمؤمنين (وأكبر تفضيلا) فضائل للمؤمنين ثوابا في الدرجات (لا تجعل) لا تقل (مع الله الها آخر فتقعد مذموما) ملوما تلوم نفسك (مخذولا) يخذلك معبودك (وقضى ربك) أمر ربك (ألا تعبدوا الا اياه) أن لا توحدوا الا بالله تعالى

أو بأن لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين احسانا (اما يبلغن عندك الكبر) اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل وقرئت إما يبلغن بالنون الخفيفة والرمن ... وإن كن ... ولكن ما ذكرنا (أحدهما) ... يبلغن وهو في قراءة حمزة وعلى يبلغن بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين (أو كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فلا تقل لهما أف) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت يدل على التضجر فالكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لارادة التنكير أي أتضجر تضجرا وتركه لقصد التعريف أي أتضجر التضجر المعروف (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر أخوان (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لينا كما يقتضيه حسن الأدب وهو أن تقول يا أبتاه يا أماه ولا تدعوهما باسمهما فإنه من الجفاء ولا بأس به في غير وجههما كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا وفي سنة عندك أنهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق

﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ وبأن تحسنوا أو واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه ﴿ اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما ﴾ اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن أو بدل على قراءة حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا أو بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك ﴿ فلا تقل لهما اف ﴾ فلا تضجر مما يستقذر منهما ولا تستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل هو اسم الفعل الذي هو تضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ﴿ ولا تنهرهما ﴾ ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات ﴿ وقل لهما ﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿ قولا كريما ﴾ جميلا لا شراسة فيه

وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره ﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ أي وأمر بالوالدين احسانا أي برا بهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما ﴿ اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ﴾ معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر * واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة أشياء * الاول قوله تعالى ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ وهي كلمة تضجر وكراهية وقيل ان أصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب أو رماد ونفخت فيه تزيله تقول أف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم * والثاني قوله ﴿ ولا تنهرهما ﴾ أي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى فان قلت المنع من التأفيف أبلغ من المنع من الانتهار فما وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما أف المنع من اظهار التضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما * الثالث قوله ﴿ وقل لهما قولا كريما ﴾ أي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا أماه يا أبتاه وقيل لا يكنيهما وقيل هو أن يقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ * الرابع قوله

(وبالوالدين احسانا) برا بهما (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما) أحد الابوين (أو كلاهما) كلا الابوين { عز وجل } (فلا تقل لهما أف) كلاما رديئا ولا تتذمرهما (ولا تنهرهما) ولا تغلظ لهما في الكلام (وقل لهما قولا كريما) لينا حسنا

اليه فهو مأمور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما اذا أضجره ما يستقذر منهما أف فضلا عما يزيد عليه
لقد بالغ سبحانه فى التوصية بهما حيث فتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر فى مراعاتهما حتى لم يرخص
فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع احوال لا يكاد
يصبر الانسان معها (واخفض لهما جناح الذل) أى اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل كما أضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك فى الرحمة لهما (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) ولا تكتف برحمتك عليهما التى لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبى صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما وروى يفعل
البار ماشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ماشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة [illegible] عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين

﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة ۞ اذا اصبحت بيد الشمال زمامها

للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضه مبالغة أو اراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول ﴿من الرحمة﴾ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما بالامس ﴿وقل رب ارحمهما﴾ وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما ﴿كما ربيانى صغيرا﴾ رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ابوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت

عز وجل ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ أى ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شئ أحباه ﴿من الرحمة﴾ أى من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت فى حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما ۞ الخامس قوله سبحانه وتعالى ﴿وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾ أى وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية وأراد به اذا كانا مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ فى حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رحمهما وقيل فى معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ فى الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تسوءهما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

فصل

فى ذكر الاحاديث التى وردت فى بر الوالدين (ق) عن أبى هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك فأدناك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجزى ولد والده الا أن يجده مملوكا

(واخفض لهما جناح الذل) ألن جانبك لهما (من الرحمة) لك رحيما عليهما (وقل رب ارحمهما) ان كانا مسلمين (كما ربيانى صغيرا)

ترك دعوتهما ﴿ ربكم أعلم بما في نفوسكم ﴾ من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وهذه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالا ﴿ ان تكونوا صالحين ﴾ قاصدين الصلاح ﴿ فانه كان للاوابين ﴾ التوابين ﴿ غفورا ﴾ ما فرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على أبويه التائب من جنايته لاندراجه وليا وروده على أثره ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال أبو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى أقارب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ والمسكين وابن السبيل

فيشتريه فيعتقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد ✽ وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح ✽ عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فضيع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى ✽ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ربكم أعلم بما في نفوسكم ﴾ أي من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما ﴿ ان تكونوا صالحين ﴾ أي أبرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر مما يؤدي الى أذاهما ثم أنبتم الى الله واستغفرتم مما فرط منكم ﴿ فانه كان للاوابين ﴾ التوابين ﴿ غفورا ﴾ قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الراجع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاع الى الله فيما يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المحسنون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روي عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال أخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة احراقه أخفافها والفصال جمع فصيل وهي أولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين ✽ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ﴾ قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتي أقاربه حقوقهم

(ربكم أعلم بما في نفوسكم) بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكراهة في خدمتهما (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدي الى أذاهما ثم أنبتم الى الله واستغفرتم منها (فانه كان للاوابين غفورا) الاواب الذي اذا أذنب بادر الى التوبة فجاز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى) منك (حقه) أي النفقة اذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أي وآت هؤلاء حقهم من الزكاة

عالجاني في الصغر (ربكم أعلم بما في نفوسكم) بما في قلوبكم من البر والكرامة بالوالدين (ان تكونوا صالحين) بارين بالوالدين (فانه كان للاوابين) للراجعين من الذنوب (غفورا) متجاوزا نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص (وآت ذا القربى حقه) أعط ذا القرابة حقه يقول أمر بصلة القرابة (والمسكين) أمر بالاحسان الى المساكين (وابن السبيل) أمر باكرام الضيف النازل به حقه ثلاثة أيام

(ولاتبذر تبذيرا) ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق المال فى غير الحل والمحل فعن مجاهد لو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة فى خير فاكثر فقال له صاحبه لاخير فى السرف فقال لاسرف فى الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة وهى غاية المذمة لانه لاشر من الشيطان أوهم اخوانهم وأصدقؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغى أن يطاع فانه لايدعوا الا الى مثل فعله (واما تعرضن عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) أى وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله

ولاتبذر تبذيرا ﴾ بصرف المال فيما لاينبغى وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ماهذا السرف قال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾ امثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شر أو اصدقاءهم واتباعهم لانهم كانوا يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم فى السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القربات ﴿ وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ مبالغا فى الكفر به فينبغى ان لايطاع ﴿ واما تعرضن عنهم ﴾ وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لاينفعهم على سبيل الكناية ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه أو منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى ﴿ فقل لهم قولا ميسورا ﴾ أى فقل لهم قولا لينا ابتغاء

وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب أبى حنيفة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه لاتلزم النفقة الا للوالد على ولده او ولد على والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل ﴿ ولاتبذر تبذيرا ﴾ أى لاتنفق مالك فى المعصية وقيل لو أنفق الانسان ماله كله فى الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهما أو مدا فى باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه وقيل هو انفاق المال فى العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم أنفق نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لاخير فى السرف فقال لاسرف فى الخير ﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾ يعنى أولياءهم وأصدقاءهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف وقيل امثالهم فى الشر وهذا غاية المذمة لانه لاأشر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخوهم ﴿ وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ أى جحودا للنعمة فما ينبغى أن يطاع لانه يدعو الى مثل عمله * قوله عز وجل ﴿ واما تعرضن عنهم ﴾ نزلت فى مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم فى الاحايين مايحتاجون اليه ولايجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين امرت أن تؤتيهم ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ أى انتظار رزق من الله ترجو ان يأتيك ﴿ فقل لهم قولا ميسورا ﴾ أى لينا جميلا أى عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم

(ولاتبذر تبذيرا) لاتنفق مالك فى غير حق الله وان كان دانقا ويقال فى غير طاعة الله (ان المبذرين) المنفقين أموالهم فى غير حق الله وان كان دانقا (كانوا اخوان الشياطين) اعوان الشياطين (وكان الشيطان لربه كفورا) لربه كافر (قاو خاه بع) (واما تعرضن عنهم) عن القرابة والمساكين حياء ورحمة (ابتغاء رحمة) انتظار رحمة (من ربك ترجوها) ان تأتيك ويقال قدوم مال غائب عنك (فقل لهم قولا ميسورا) فعدهم عدة حسنة أى سأعطيكم

وايا كم من فضله على انه دعاء لهم يبسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أى دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له أو مصدر فى موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) كل نصب على المصدر لاضافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول الفقير أعطى فلانا وحرمنى ويقول الغنى ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا أثر فيه أثرا بليغا أو عاريا من حسر رأسه وقد خطرت مسئلة ضربها اليهودية فى أنه يعنى محمدا عليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذى عليه فدفعه وقعد عريانا فقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط اليك (ويقدر) أى هو يضيق

رحمة الله برحمتك عليهم باجمل القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله تعالى ورزقنا الله وايا كم ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم ﴿فتقعد ملوما﴾ فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير ﴿محسورا﴾ نادما أو منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضى الله تعالى عنه بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك درعا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل صلى الله تعالى عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ﴿ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة

وقيل هو أن يقول رزقنا الله وايا كم من فضله * قوله سبحانه وتعالى ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك﴾ قال جابر أتى صبى فقال يا رسول الله ان أمى تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبى من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا آخر فعاد الى أمه فقالت قل له ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أى لا تمسك يدك عن النفقة فى الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ﴿ولا تبسطها﴾ أى بالعطاء ﴿كل البسط﴾ أى فتعطى جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير ﴿فتقعد ملوما﴾ أى عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وقيل ملوما عند نفسك وأصحابك ايضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذا لم تعطهم ﴿محسورا﴾ أى منقطعا لا شئ عندك تنفقه وقيل محسورا أى نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى ﴿ان ربك يبسط﴾ أى يوسع ﴿الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أى يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) يقول لا تمسك يدك عن النفقة والعطية بمنزلة المغلولة يده الى عنقه (ولا تبسطها) فى العطية والنفقة (كل البسط) فى السرف يقول لا تعط جميع ما هو لك لمسكين واحد أو قرابة واحدة وتترك الآخرين (فتقعد) فتبقى (ملوما) يلومك الناس يعنى الفقراء والقرابة (محسورا) منقطعا عنك القرابة والمساكين ذاهبا الذى بك من المال ويقال نزلت هذه الآية فى امرأة استكست قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاها النبى صلى الله عليه وسلم قميصه وجلس عريا فنهاه الله عن ذلك وقال له ولا تبسطها كل البسط فى السرف حتى تنزع ثوبك فتقعد ملوما يلومك الناس محسورا عاريا لا تقدر أن تخرج من العرى (ان ربك) يا محمد (يبسط الرزق) يوسع المال (لمن يشاء) على من يشاء من عباده وهو نظر منه (ويقدر) يقتر

فلالوم عليك (انه كان بعباده خبيرا) بمصالحهم فيمضيها (بصيرا) بحوائجهم فيقضيها (ولا تقتلوا أولادكم) قتلهم أولادهم وأدهم بناتهم (خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اثما عظيما يقال خطئ خطأ كأثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطاء بالمد والكسر مكي (ولا تقربوا الزنا) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو نهي عن دواعي الزنا كالمس والقبلة ونحوهما ولو أريد النهي عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) أي بارتكاب

لبالغة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك ﴿ انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يريد ان البسط والقبض من أمر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا أو انه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ﴾ مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال ﴿ نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ﴾ ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة فيه او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله

تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه في منقع الماء راسب

وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن ان تباشروه ﴿ انه كان فاحشة ﴾ فعلة ظاهرة القبح زائدته ﴿ وساء سبيلا ﴾ وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وتهييج الفتن ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ﴾ الا باحدى ثلاث

﴿ انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباده وما يصلحهم فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد * قوله عز وجل ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ﴾ أي فاقة وفقر ﴿ نحن نرزقهم واياكم ﴾ وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات أو أن ينكحوهن لغير اكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكما أنه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحه على النساء ﴿ ان قتلهم كان خطأ كبيرا ﴾ أي اثما كبيرا ﴿ ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ﴾ أي قبيحة زائدة على حد القبح ﴿ وساء سبيلا ﴾ أي بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم أحد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم * قوله عز وجل ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ﴾ الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب العرضية فقال الا بالحق أي الا باحدى ثلاث كما روي عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ

على من يشاء من عباده وهو نظر منه (انه كان بعباده) بصلاح عباده (خبيرا بصيرا) بالبسط والتقتير (ولا تقتلوا أولادكم) نزلت هذه الآية في خزاعة كانوا يدفنون بناتهم احياء فنهاهم الله عن ذلك وقال ولا تقتلوا أولادكم لا تدفنوا ابنائكم أحياء (خشية املاق) مخافة الذل والفقر (نحن نرزقهم) يعني بناتكم (واياكم ان قتلهم) دفنهم أحياء (كان خطأ كبيرا) ذنبا عظيما في العقوبة (ولا تقربوا الزنا) سرا وعلانية (انه كان فاحشة) معصية ذنبا (وساء سبيلا) بئس مسلكا (ولا تقتلوا النفس) المؤمنة (التي حرم الله) قتلها (الا بالحق) بالرجم

مبيح الدم (ومن قتل مظلوما) غير مرتكب مايبيح الدم (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه
(فلا يسرف فى القتل) ضمير للولى أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الاسراف المثلة والضمير
للقاتل الاول فلا تسرف حمزة وعلى حملا ... خطاب للولى أو قاتل المظلوم (انه
كان منصورا) الضمير
له ولى أى حسبه ان الله
قد نصره بان أوجب له
القصاص فلا يستزد على
ذلك أو نصره أى الله
ناصر حيث أوجب القصاص
بقتله وينصره فى الآخرة
بالثواب أو الذى يقتله على
بغير حق ويسرف فى قتله
فانه كان منصورا بايجاب
القصاص على المسرف
وظاهر الآية يدل على ان
القصاص يجرى بين الحر
والعبد وبين المسلم والذمى
لان أنفس أهل الذمة والعبيد
داخلة فى الآية لكونها
محرمة (ولاتقربوا مال اليتيم
الابالتى هى أحسن) بالخصلة
والطريقة التى هى أحسن
وهى حفظه وتثميره (حتى
يبلغ أشده) أى ثمانى عشرة
سنة (وأوفوا بالعهد)

كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ﴿ ومن قتل مظلوما ﴾ غير مستوجب للقتل ﴿ فقد جعلنا لوليه ﴾ للذى يلى أمره بعد وفاته وهو الوارث ﴿ سلطانا ﴾ تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه أو بالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ لايسمى ظلما ﴿ فلا يسرف ﴾ أى القاتل ﴿ فى القتل ﴾ بان يقتل من لايستحق قتله فان العاقل لايفعل مايعود عليه بالهلاك أو الولى بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابى فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب احدهما ﴿ انه كان منصورا ﴾ علة النهى على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذى يقتله على الاسراف بايجاب القصاص أو التعزير والوزر على المسرف ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم ﴾ فضلا عن ان تتصرفوا فيه ﴿ الا بالتى هى احسن ﴾ الا بالطريقة التى هى احسن بان تحفظه أو تثمره ﴿ حتى يبلغ اشده ﴾ غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء ﴿ واوفوا بالعهد ﴾ بما عاهدكم الله من تكاليفه أو ماعاهدتموه وغيره

مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجاه فى الصحيحين ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ﴾ أى قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو انه يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا ﴿ فلا يسرف فى القتل ﴾ أى الولى قال ابن عباس لايقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لايرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا أشرف منه وقيل معناه ان كان القاتل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا لايرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه أنه لايمثل بالقاتل ﴿ انه كان منصورا ﴾ قيل الضمير راجع للمقتول ظلما يعنى أنه منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولى المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل فى قوله فلا يسرف فى القتل أراد به القاتل المتعدى بالقتل بغير الحق فانه اذا فعل ذلك فولى القتيل منصور من قبل عليه باستيفاء القصاص منه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن ﴾ أى بالطريقة التى هى أحسن وهى تثميره وحفظه عليه ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الاشد كمال عقله ورشده بحيث تمكنه القيام بمصالح ماله والا لم ينفك عنه الحجر ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾

أو العقود أو الارشاد (ومن قتل مظلوما) بتعمد (فقد جعلنا لوليه) لولى المقتول (سلطانا) عذرا وحجة على القاتل ان شاء قتله وان شاء عفا عنه وان شاء أخذ بالدية (فلا تسرف فى القتل) ان قتلت قاتل وليك ويقال لاتقتل غير القاتل حمية اذا قرأت بالجزم ويقال لاتقتل القاتل نفس واحدة عشرة (اى)
(انه كان منصورا) يقتل ولا يعفى (ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) بالارباح والحفظ (حتى يبلغ أشده) خمس عشرة
سنة أو ثمان عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) أتموا العهد بينكم فيما

وامر الله تعالى ونواهيه (ان العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفى به أو ان صاحب العهد كان مسؤلا (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس) بكسر القاف حمزة وعلى وحفص وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون اى القبان (المستقيم) المعتدل (ذلك خير) فى الدنيا (وأحسن تأويلا) عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تتبع ما لم تعلم أى لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحدا بما لا تعلم ولا يصح التثبت به لمبطل الاجتهاد لان ذلك نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما فى الشهادات ولنافى العمل بخبر الواحد لما ذكرنا (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) أولئك اشارة الى السمع

﴿ ان العهد كان مسؤلا ﴾ مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفى به أو مسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه لم نكثت ويسئل العهد تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأى ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا ﴿ واوفوا الكيل اذا كلتم ﴾ ولا تبخسوا فيه ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ بالميزان السوى وهو رومى عرب ولا يقدح ذلك فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء ﴿ ذلك خير واحسن تاويلا ﴾ واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ﴿ ولا تقف ﴾ ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ ما لم يتعلق به علمك تقليدا أو رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا أو ظنا واستعماله لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت

ولا ارمى البرئ بغير ذنب ❊ ولا اقفو الحواصن ان قفينا

﴿ ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك ﴾ أى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا أو ان اولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله

والعيش بعد اولئك الايام

﴿ كان عنه مسؤلا ﴾ فى ثلاثتها ضمير كل أى كان كل واحد منها مسؤلا

أى الاتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه ﴿ ان العهد كان مسؤلا ﴾ أى عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسئل فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسئل فيم قتلت ❊ قوله عز وجل ﴿ وأوفوا الكيل اذا كلتم ﴾ المراد منه تمام الكيل ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من ميزان الدراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومى وقيل سريانى والاصح أنه عربى مأخوذ من القسط وهو العدل أى وزنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ فى المنع من التطفيف والنقصان سعيا فى ابقاء الاموال على أربابها ﴿ ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ أى أحسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه أمره ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تقف ﴾ أى ولا تتبع ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ أى لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الامور ويتبعها ويتعرفها والمراد انه لا يتكلم فى أحد بالظن ﴿ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ﴾ معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده

بينكم وبين الناس (ان العهد) ناقض العهد (كان مسؤلا) من نقضه يوم القيامة (وأوفوا) أتموا (الكيل اذا كلتم) غيركم (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بميزان العدل (ذلك) الوفاء بالكيل والوزن والعهد (خير) من النقص والبخس (وأحسن تأويلا) عاقبة (ولا تقف) ولا تقل (ما ليس لك به علم) تقول علمت ولم تعلم ورأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع (ان السمع) ما تسمعون (والبصر) ما تبصرون (والفؤاد) ما تتمنون (كل أولئك) عن كل ذلك (كان عنه مسؤلا) يوم القيامة

عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه مصدر لاتقف أو لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسئل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ﴿ ولا تمش فى الارض مرحا ﴾ أى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت ﴿ انك لن تخرق الارض ﴾ لن تجعل فيها خرقا لشدة وطئتك ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس فى التذلل ﴿ كل ذلك ﴾ اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها المكتوبة فى الواح موسى عليه السلام ﴿ كان سيئه ﴾ يعنى المنهى عنه فان المذكورة مأمورات ومنهيات وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى مانهى عنه خاصة وعلى هذا قوله ﴿ عند ربك مكروها ﴾ بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان أو فى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل

وقيل يسئل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة فى أولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى أربابها ✻ عن شكل بن حميد قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبى الله علمنى تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدى ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر فؤادى وشر لسانى وشر قلبى وشر منيي قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب ✻ قوله وشر منيي يعنى ماءه وذكره ✻ قوله عز وجل ﴿ ولا تمش فى الارض مرحا ﴾ أى بطرا وكبرا وخيلاء ﴿ انك لن تخرق الارض ﴾ أى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ أى لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيأ كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شئ وقيل ان الذى يمشى مختالا يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك ✻ عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب أخرجه الترمذى فى الشمائل ✻ قوله تكفؤ التكفؤ التمايل فى المشى الى قدام ✻ وقوله كأنما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ أى كأنه ينحدر من موضع عال ✻ عن أبى هريرة قال ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أخرجه الترمذى ✻ قوله لغير مكترث أى شاق والاكتراث الامر الذى يشق على الانسان ﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ أى مما ذكره من الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف

[illegible] كتابا [illegible] [illegible] الى [illegible] وفى [illegible] لا يجوز [illegible] الرفع [illegible] أى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا فى الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقومان مقام الفاعل اذا تأخرا عن الفعل فاما اذا تقدما فلا (ولا تمش فى الارض مرحا) هو حال اى ذا مرح (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال أو لن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول (كل ذلك كان سيئة) كوفى وشامى على اضافة سئ الى ضمير كل سيئة غيرهم (عند ربك مكروها) ذكر مكروها

(ولا تمش فى الارض مرحا) بالتكبر والخيلاء (انك لن تخرق الارض) تجوز الارض بخيلائك (ولن تبلغ الجبال طولا) ولن تحاذى الجبال (كل ذلك) كل ما ذكرت (كان سيئة) سيئا (عند ربك مكروها) عند { قيل }

لا السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه الا ترى تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة
فان قلت الخصال المذكورة بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة أى ما كان من المذكور سيئا كان عندالله
مكروها فما وجه قراءة من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع
الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ماتقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها آخر وآخرها مدحورا ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أفأصفاكم ربكم بالبنين) الهمزة للانكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه [illegible] والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنين [illegible] من الملائكة اناثا [illegible] [illegible] مقدم ومؤخر [illegible] أى أمرت (مما أوحى
اليك) أمرك (ربك من الحكمة) فى القرآن (ولا تجعل) لا تقل (مع الله الها آخر فتلقى) فتطرح (فى جهنم ملوما) [illegible]
مدحورا) مقصيا من كل خير (أفأصفاكم) اختاركم (ربكم بالبنين) بالذكور (واتخذ) لنفسه (من الملائكة اناثا) البنات

للمرضى لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الاحكام المتقدمة ﴿ مما اوحى اليك ربك من الحكمة ﴾ التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ﴿ ولا تجعل مع الله الها آخر ﴾ كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ماهو غاية الشرك فى الدنيا وثانيا ماهو نتيجته فى العقبى فقال تعالى ﴿ فتلقى فى جهنم ملوما ﴾ تلوم نفسك ﴿ مدحورا ﴾ مبعدا من رحمة الله تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين ﴾ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الاولاد وهم البنون ﴿ واتخذ من الملائكة اناثا ﴾

قيل سيئة مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة عند ربك وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة أى كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماتقدم من الاوامر والنواهى فى هذه الآيات ﴿ مما أوحى اليك ربك من الحكمة ﴾ أى ان الاحكام المذكورة فى هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية فى جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شيء موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهى عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب أن يكرر فيه التوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شيء ثم انه سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الاولى ان الشرك يجب أن يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال فى هذه الآية ﴿ ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) والفرق بين المذموم والملوم اما كونه مذموما فمعناه أن يذكر له ان الفعل الذى أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذى لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير * قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم ﴾ يعنى أفخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ماليس بصفوة ﴿ بالبنين ﴾ يعنى اختصكم بأفضل الاولاد وهم البنون ﴿ واتخذ من الملائكة اناثا ﴾ لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم

أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معتقدوا لكونهم لا يؤثرون بأجود الاشياء وأصفاها ويكون أردؤ وأدونها لسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) حيث أضفتم اليه الاولاد وهي من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون (ولقد صرفنا في هذا القرآن) أي كررنا المراد ولقد صرفناه أي هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم (ليذكروا) وبالتخفيف حمزة وعلي أي كررناه

ليتعظوا (وما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وكان الثوري اذا قرأها يقول زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا (قل لو كان معه) مع الله (آلهة كما تقولون) وبالياء مكي وحفص (اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) يعني لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو للتقرب اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وإذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو (سبحانه وتعالى عما يقولون) وبالتاء حمزة وعلي (علوا) أي تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة (كبيرا) وصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به

بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم ﴿انكم لتقولون قولا عظيما﴾ باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم ﴿ولقد صرفنا﴾ كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير ﴿في هذا القرآن﴾ في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ﴿ليذكروا﴾ ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر ﴿وما يزيدهم الا نفورا﴾ عن الحق وقلة طمأنينة اليه ﴿قل لو كان معه آلهة كما تقولون﴾ ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفي ما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم ﴿اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا﴾ جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة والمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ﴿سبحانه﴾ ينزه تنزيها ﴿وتعالى عما يقولون علوا﴾ تعاليا ﴿كبيرا﴾ متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه

بأن الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول ﴿انكم لتقولون قولا عظيما﴾ يخاطب مشركي مكة يعني باضافتهم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعني البنات قوله سبحانه وتعالى ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ يعني العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد في صرفنا للتكثير والتكرير ﴿ليذكروا﴾ أي ليتعظوا ويعتبروا ﴿وما يزيدهم﴾ أي تصريفنا وتذكيرنا ﴿الا نفورا﴾ أي تباعدا عن الحق ﴿قل﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا﴾ أي لطلبوا يعني هؤلاء الآلهة ﴿الى ذي العرش سبيلا﴾ أي المغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقربوا اليه وقيل معناه لعرفوا اليه فضله فابتغوا ما يقربهم اليه والاول أصح ثم نزه نفسه فقال عز وجل ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا﴾ معناه وصفه بذلك المبالغة في البراءة والبعد عما يصفونه به

(انكم لتقولون) على الله (قولا عظيما) في عقوبة وتقول في الفرية على الله

(ولقد صرفنا) بينا (في هذا القرآن) الوعد والوعيد (ليذكروا) لكي يتعظوا (وما يزيدهم) وعيد القرآن ﴿ قوله ﴾ (الا نفورا) تباعدا عن الايمان (قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا) طلبوا (الى ذي العرش سبيلا) قدرا ومنزلة ويقال صعودا (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (وتعالى) تبرأ وارتفع (عما يقولون) من الشرك (علوا) على كل شيء (كبيرا) كبير كل شيء

﴿ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ﴾ ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ و لدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابوبكر يسبح بالياء ﴿ انه كان حليما ﴾ حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴿ غفورا ﴾ لمن تاب منكم ﴿ واذا

* قوله عز وجل ﴿ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ﴾ يعني الملائكة والانس والجن ﴿ وان من شيء الا يسبح بحمده ﴾ قال ابن عباس وان من شيء حي الا يسبح بحمده وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح مالم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح مالم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وان الورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير لتسبح اذا صاحت فاذا سكتت تركت التسبيح وقيل وان من شيء جماد أو حي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الاشياء تسبح لله حيوانا كان أو جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده * ويدل على ذلك ماروي عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤنا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم على ليالي بعثت واني لاعرفه الآن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده الشريفة عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشيء ففي هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول أصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان لله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي ان نكل علمه اليه * وقوله تعالى ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ أي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ماعدا من يسبح بلغتكم ولسانكم ﴿ انه كان حليما غفورا ﴾ أي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح * قوله عز وجل ﴿ واذا

(يسبح) وبالياء عراقي غير أبي بكر (له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده) أي يقول سبحان الله وبحمده عن السدي قال عليه السلام ما اصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير الا بما يضيع من تسبيح الله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لاختلاف اللغات أو لتعسر الادراك أو سبب لتسبيح الناظر اليه والدال على الخير كفاعله والوجه الاول (انه كان حليما) عن جهل العباد (غفورا) لذنوب المؤمنين (واذا

(تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) من الخلق (وان من شيء) ما من شيء من النبات (الا يسبح بحمده) بامره (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لغتهم (انه كان حليما) بعباده اذ لا يعجلهم بالعقوبة (غفورا) متجاوزا لمن تاب (واذا

قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) ذا ستر أو حجابا بالايرى فهو مستور (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع كنان وهو الذى يستر الشئ (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا يمنع عن الاستماع (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) يقال

وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة فهو مصدر سد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا (ولوا على أدبارهم) رجعوا على أعقابهم (نفورا) مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نحن أعلم بما يستمعون به) أى نحن أعلم بالحال أو الطريقة التى يستمعون القرآن بها فالقرآن هو المستمع وهو محذوف وبه حال وبيان لما أى يستمعون القرآن هازئين لاجادين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين (اذ يستمعون اليك) نصب باعلم أى أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذهم نجوى) وبما يتناجون به اذهم ذوو نجوى (اذ تقول

قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا ﴾ يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم ﴿ مستورا ﴾ ذا ستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أو مستور عن الحس أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لايفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله ﴿ وجعلنا على قلوبهم اكنة ﴾ تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ﴿ ان يفقهوه ﴾ كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة أى منعناهم ان يفقهوه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ ﴿ واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ﴾ واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ﴿ ولوا على ادبارهم نفورا ﴾ هربا من استماع التوحيد ونفرة أو تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود ﴿ نحن اعلم بما يستمعون به ﴾ بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن ﴿ اذ يستمعون اليك ﴾ ظرف لاعلم وكذا ﴿ واذهم نجوى ﴾ أى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى ﴿ اذ يقول

قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ﴾ أى يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روى عن سعيد بن جبير أنه قال لما نزلت تبت يدا أبى لهب جاءت امرأة أبى لهب ومعها حجر والنبى صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فلم تره فقالت لابى بكر أين صاحبك لقد بلغنى انه هجانى فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهى تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ رأسه فقال أبو بكر ما رأتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بينى وبينها ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أى أغطية ﴿ أن يفقهوه ﴾ أى لئلا يفهموه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ أى ثقلا لئلا يسمعوه ﴿ واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ﴾ يعنى اذا قلت لا اله الا الله وأنت تتلو القرآن ﴿ ولوا على ادبارهم نفورا ﴾ جمع نافر ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به ﴾ أى من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذى يستمعون به وهو التكذيب ﴿ اذ يستمعون اليك ﴾ أى وأنت تقرأ القرآن ﴿ واذهم نجوى ﴾ أى وبما يتناجون به فى أمرك وقيل معناه ذوو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول ساحر أو شاعر ﴿ اذ تقول

قرأت القرآن) بمكة (جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت يعنى أبا جهل وأصحابه (حجابا مستورا) محجوبا (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية (أن يفقهوه) لكى لا يفقهوا الحق (وفى آذانهم وقرا) ثقلا (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) بلا اله الا الله (ولوا على أدبارهم) رجعوا الى أصنامهم وعظموا (الضالون الى عبادة آلهتهم (نفورا) تباعدا عن قولك (نحن أعلم بما يستمعون به) الى قراءة القرآن (اذ يستمعون اليك) الى قراءتك يعنى أبا جهل وأصحابه (واذهم نجوى) فى أمرك يقول بعضهم ساحر ويقول بعضهم كاهن ويقول بعضهم مجنون ويقول بعضهم شاعر (اذ يقول

المون) بدل من اذهم (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر الساحر والمجنون (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أى فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر فهو متحير فى أمره لايدرى مايصنع (وقالوا) أى منكروا البعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا)أى مجددو خلقا حال أى مخلوقين (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) أى السموات والارض فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فسيقولون من يعيدنا قل) يعيدكم (الذى فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أو حديدا لكان

الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ مقدر باذكر أو بدل من اذهم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذى سحر به فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة اى الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم ﴿ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون ﴿ فضلوا ﴾ عن الحق فى جميع ذلك ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير فى امره لايدرى مايصنع أو الى الرشاد ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ﴾ حطاما ﴿ ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا مادل عليه مبعوثون لانفسه لان مابعد أن لايعمل فيما قبلها وخلقا مصدر أو حال ﴿ قل ﴾ جوابا لهم ﴿ كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ﴾ أى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لاتقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة ﴾ وكنتم ترابا وهو ابعد منه من الحياة

الظالمون ﴾ يعنى الوليد بن المغيرة وأصحابه ﴿ ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ أى مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر

أرانا موضعين لامر غيب ۞ ونسحر بالطعام وبالشراب

أى نغذى بهما ﴿ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ أى الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون ﴿ فضلوا ﴾ أى فى جميع ذلك وحاروا ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ أى الى طريق الحق ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ﴾ أى بعد الموت ﴿ ورفاتا ﴾ أى ترابا وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ تكسر ﴿ أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى ردا عليهم ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يامحمد ﴿ كونوا حجارة ﴾ أى فى شدة ﴿ أو حديدا ﴾ أى فى القوة وليس هذا بامر الزام بل هو أمر تعجيز أى استشعروا فى قلوبكم انكم حجارة أو حديد فى القوة ﴿ أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ﴾ قيل يعنى السماء والارض والجبال لانها أعظم المخلوقات وقيل يعنى به الموت لانه لاشئ فى نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم ﴿ فسيقولون من يعيدنا ﴾ أى من يبعثنا بعد الموت ﴿ قل الذى فطركم ﴾ أى خلقكم ﴿ أول مرة ﴾ فمن قدر على الانشاء قدر على الاعادة

الظالمون) المشركون بعضهم لبعض (ان تتبعون) محمدا ماتتبعون (الا رجلا مسحورا) مغلوب العقل (انظر) يامحمد (كيف ضربوا لك الامثال) كيف شبهوك بالمسحور (فضلوا) فاخطؤا فى المقالة (فلا يستطيعون سبيلا) مخرجا عن مقالتهم ويقال حجة على ماقالوا (وقالوا) يعنى النضر وأصحابه (أئذا كنا) صرنا (عظاما) بالية (ورفاتا) ترابا رميما (أئنا لمبعوثون) لمحيون (خلقا جديدا) تجدد بعد الموت فالروح (قل) لهم يامحمد (كونوا حجارة) لو كنتم حجارة أو اشد من الحجارة (أو حديدا)أو اقوى من الحديد (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) يعنى الموت لبعثتم (فسيقولون من يعيدنا) يحيينا (قل) لهم يامحمد (الذى فطركم) خلقكم (أول مرة) فى بطون أمهاتكم

قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى هو) أى البعث استبعادا لوقته (قل عسى أن يكون قريبا) أى هو قريب وعسى للوجوب (يوم يدعوكم) الى المحاسبة وهو يوم القيامة (فتستجيبون بحمده) أى تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون ان لبثتم

الا قليلا) أى لبثا قليلا أو زمانا قليلا فى الدنيا أو القبر (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى أحسن) وألين ولا يخاشنوهم وهى ان يقولوا يهديكم الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة والنزغ ايقاع الشر وافساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة أو فسر التى هى أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالهداية والتوفيق (أو ان يشأ يعذبكم) بالخذلان أى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر

(فسينغضون) يهزؤن (اليك رؤسهم) تعجبا لقولك (ويقولون متى هو) متى هذا الذى تعدنا (قل عسى) وعسى من الله واجب (ان يكون قريبا) ثم بين لهم فقال (يوم) فى يوم (يدعوكم) يدعوكم اسرافيل فى الصور (فتستجيبون بحمده) فتستجيبون داعى الله بامره (وتظنون) تحسبون (ان لبثتم) ما مكثتم فى القبور (الا قليلا وقل لعبادى) عمر وأصحابه (يقولوا) للكفار بالكلمة (التى هى أحسن) بالسلام واللطف (ان الشيطان ينزغ بينهم) يفسد بينهم ان جئتم بالجفاء (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة وهذا قبل أن أمروا بالقتال (ربكم أعلم بكم) (ان يشأ يرحمكم) بصلاحكم فينجيكم من أهل مكة (أوان يشأ يعذبكم)

﴿ فسينغضون اليك رؤسهم ﴾ فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ﴿ ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا ﴾ فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر أو الظرف أى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون ﴾ أى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء ﴿ بحمده ﴾ حال منهم أى حامدين لله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه ﴿ وتظنون ان لبثتم الا قليلا ﴾ وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية أو مدة حياتكم لما ترون من الهول ﴿ وقل لعبادى ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ يقولوا التى هى احسن ﴾ الكلمة التى هى احسن ولا يخاشنوا المشركين ﴿ ان الشيطان ينزغ بينهم ﴾ يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد ﴿ ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ﴾ ظاهر العداوة ﴿ ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم ﴾ تفسير للتى هى احسن

﴿ فسينغضون اليك رؤسهم ﴾ أى يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول ﴿ ويقولون متى هو ﴾ يعنى البعث والقيامة ﴿ قل عسى أن يكون قريبا ﴾ أى هو قريب ﴿ يوم يدعوكم ﴾ أى من قبوركم الى موقف القيامة ﴿ فتستجيبون بحمده ﴾ قال ابن عباس بأمره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين ﴿ وتظنون ان لبثتم ﴾ أى فى الدنيا وقيل فى القبور ﴿ الا قليلا ﴾ وذلك لان الانسان لو مكث فى الدنيا وفى القبر ألوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود فى الآخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا فى جنب القيامة ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ﴾ وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادى يقولوا يعنى للكفار التى هى أحسن أى لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن فى القتال والجهاد وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك أنه شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين ان يقولوا ويفعلوا الخلة التى هى أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله ﴿ الشيطان ينزغ بينهم ﴾ أى يفسد ويلقى العداوة بينهم ﴿ ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ﴾ أى ظاهر العداوة ❊ قوله عز وجل ﴿ ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم ﴾ أى يوفقكم للايمان فتؤمنوا ﴿ أو ان يشأ يعذبكم ﴾ أى

وقوله ان الشيطان ينزع بينهم اعتراض ومابينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولاتصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لايعلمه الاالله ﴿ ومارسلناك عليهم وكيلا ﴾ موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم وأمر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رضى الله عنه رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو ﴿ وربك اعلم بمن فى السموات والارض ﴾ باحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ بالفضائل النفسانية والتبرئ عن العلائق الجسمانية لابكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لابما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقوله ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء عليه السلام وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب والمصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس اوالفضل أولان المراد وآتينا داود بعض الزبر أو بعضا من الزبور

عيتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة أو ان يشأ يعذبكم أى يسلطهم عليكم ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلا ﴾ أى حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال ﴿ وربك أعلم بمن فى السموات والارض ﴾ يعنى ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعلومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل أحد ويعلم مايليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم وملالهم وأديانهم ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لاينبغى لاحد من بعده وآتى داود زبورا وذلك قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولاحرام ولافرائض ولاحدود ولا أحكام ٭ فان قلت لم خص داود فى هذه الآية بالذكر دون غيره من الانبياء ٭ قلت فيه وجوه أحدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبورا وذلك ان داود أعطى مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور فى هذه الآية المراد به العلم لاالملك والمال ٭ الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى كتب له فى الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان أمته خير الامم فلهذا خصه بالذكر ٭ الوجه الثالث ان اليهود زعمت أن لانبى بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبورا ومعنى الآية انكم لن تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم واعطاءه القرآن وان الله آتى موسى التوراة

(وما أرسلناك عليهم وكيلا) حافظا لاعمالهم وموكولا اليك أمرهم وانما أرسلنا بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) وباحوالهم وبكل مايستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل

فيسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلا) كفيلا تؤخذ بهم (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) من المؤمنين بصلاحهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالخلة والكلام (وآتينا) أعطينا (داود زبورا) كتابا وموسى التوراة وعيسى الانجيل ومحمدا صلى الله عليه وسلم الفرقان

(قل ادعوا الذين زعمتم) انهم آلهتكم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أى ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعنى أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله عز وجل (أيهم) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة

(قل) يا محمد لخزاعة الذين كانوا يعبدون الجن وظنوا انهم الملائكة (ادعوا الذين زعمتم) عبدتم (من دونه) من دون الله عند الشدة (فلا يملكون كشف الضر عنكم) رفع الشدة عنكم (ولا تحويلا) الى غيركم (أولئك) يعنى الملائكة (الذين) هم (يدعون) يعبدون ربهم (يبتغون الى) (أى) ربهم الوسيلة) يطلبون بذلك الى ربهم القربة والفضيلة (أيهم أقرب) الى الله (ويرجون رحمته) جنته (ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) لم يأتهم الامان (وان من قرية) ما من قرية (الا نحن مهلكوها) نميت أهلها (قبل يوم القيمة

فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ انها آلهة ﴿من دونه﴾ كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام ﴿فلا يملكون﴾ فلا يستطيعون ﴿كشف الضر عنكم﴾ كالمرض والفقر والقحط ﴿ولا تحويلا﴾ ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم ﴿اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة﴾ هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ﴿أيهم اقرب﴾ بدل من واو يبتغون أى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيلة فكيف بغير الاقرب ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ﴿ان عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيقا بان يحذر كل احد حتى الرسل والملائكة ﴿وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة﴾ بالموت

وداود الزبور وعيسى الانجيل فلا يبعد أن يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ۞ قوله عز وجل ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ وذلك ان الكفار أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فقال الله عز وجل قل ادعو الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ أى الجوع والقحط ﴿ولا تحويلا﴾ أى الى غيركم أو تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا أهلية ان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذى عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى ﴿أولئك الذين يدعون﴾ أى الذين يدعونهم المشركون آلهة ﴿يبتغون الى ربهم الوسيلة﴾ أى القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية وقوله تعالى ﴿أيهم أقرب﴾ معناه ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقيل أيهم اقرب يبتغى الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة ﴿ويرجون رحمته﴾ أى جنته ﴿ويخافون عذابه﴾ وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة ﴿ان عذاب ربك كان محذورا﴾ أى حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة﴾

أو معذبوها عذابا شديدا) قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة (كان ذلك فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك فى تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها وأما بدخشان فيخربها أقوام وأما ترمذ فاهلها يموتون بالطاعون وأما صغانيان الى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والشاس واسبيجاب وخوارزم وأما بخارى فهى أرض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد وأما هراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الرى فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما ارمينية واذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف وأما همذان فالديلم يدخلها ويخربها وأما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهلها ولاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياما ثم هدة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدو وصاح واصيحة تخلع القلوب وتموت الابدان (ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) استعير المنع لترك ارسال الآيات وان الاولى مع صلتها فى موضع النصب لانها مفعول ثان لمنعنا وان الثانية مع صلتها فى موضع الرفع لانها فاعل منعنا والتقدير ومامنعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وسنة الله فى الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى ومامنعنا عن ارسال مايقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا ان نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا واحدة وهى ناقة صالح عليه السلام لان آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال

والاستئصال ﴿أو معذبوها عذابا شديدا﴾ بالقتل وانواع البلية ﴿كان ذلك فى الكتاب﴾ فى اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ مكتوبا ﴿ومامنعنا ان نرسل بالآيات﴾ وماصرفناه عن ارسال الآيات التى اقترحها قريش ﴿الا ان كذب بها الاولون﴾ الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك

أى بالموت والخراب ﴿أو معذبوها عذابا شديدا﴾ أى بالقتل وأنواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك فى حق المؤمنين الاماتة وفى حق الكفار العذاب قال عبدالله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله فى هلاكها ﴿كان ذلك فى الكتاب﴾ أى فى اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ أى مكتوبا مثبتا * عن عبادة ابن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما أكتب قال اكتب القدر وماهو كائن الى يوم القيامة الى الابد أخرجه الترمذى * قوله سبحانه وتعالى ﴿ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون﴾ قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وفضة وان ينحى الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم

أو معذبوها عذابا شديدا) بالسيف والامراض (كان ذلك) الهلاك والعذاب (فى الكتاب مسطورا) فى اللوح المحفوظ مكتوبا أن يكون (ومامنعنا) لم يمنعنا (أن نرسل بالآيات) بالعلامات التى طلبوها (الا أن كذب بها الاولون) الا تكذيب الاولين عند التكذيب أى نهلكهم ان كذبوا بها كما أهلكنا الاولين عند التكذيب

واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ بسؤالهم ﴿مبصرة﴾ بينة ذات ابصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح ﴿فظلموا بها﴾ فكفروا بها وظلموا انفسهم بسبب عقرها ﴿وما نرسل بالآيات﴾ أى بالآيات المقترحة ﴿الا تخويفا﴾ من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا انزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة أو فى موقع الحال والمفعول محذوف ﴿واذ قلنا لك﴾ واذكر اذ اوحينا اليك ﴿ان ربك احاط بالناس﴾ فهم فى قبضة قدرته أو احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهى بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه ﴿وما جعلنا الرؤيا التى اريناك﴾ ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه عليه السلام لما ورد ماءه قال لكأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون

ان شئت أن أستأنى بهم فعلت وان شئت أن اوتيهم ما سألوا فعلت فان لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا بل تستأنى بهم فانزل الله عز وجل وما منعنا أن نرسل بالآيات أى التى سألها كفار قومك الا أن كذب بها الاولون أى فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم لان من سنتنا فى الامم اذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا فقال تعالى ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أى بينة وذلك لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم ﴿فظلموا بها﴾ أى جحدوا انها من عند الله وقيل فظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة ﴿وما نرسل بالآيات﴾ المقترحة ﴿الا تخويفا﴾ أى وما نرسل بالآيات الا تخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات يعنى العبر والدلالات الا تخويفا أى انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون ۞ قوله عز وجل ﴿واذ قلنا لك﴾ أى واذكر يا محمد اذ قلنا لك ﴿ان ربك أحاط بالناس﴾ أى ان قدرته محيطة بهم فهم فى قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لا يقدرون على أمر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض لما أمرك من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك

(وآتينا ثمود الناقة) باقتراحهم (مبصرة) آية بينة (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له (واذ قلنا لك أن ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك

(وآتينا ثمود الناقة) أعطينا قوم صالح ناقة عشراء (مبصرة) مبينة علامة لنبوة صالح (فظلموا بها) جحدوا بها فعقروها (وما نرسل بالآيات) بالعلامات (الا تخويفا) بالعذاب لنهلكهم ان لم يؤمنوا بها (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) علم باهل مكة بمن يؤمن وبمن لا يؤمن (وما جعلنا الرؤيا) ما أريناك الرؤيا (التى أريناك)

الفتنة للناس) واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش علما وقدرة فكلهم فى قبضته فلا تبال بهم وامض لامر
وفيما أرسلت به أو بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
الى جهنم وبئس المهاد فجعله كأن قدكان و وجد فقال أحاط بالناس على سنته فى اخباره ولعل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد
كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ

منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله ﴿ الا فتنة للناس ﴾ ما حدث فى ايامهم ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمى وبر السمندل من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لا تحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة أو وصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة أو بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى العاص ٭ وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى والشجرة

الا فتنة للناس ﴾ الاكثرون من المفسرين على ان المراد منها ما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هى الرؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهى ليلة أسرى به الى بيت المقدس أخرجه البخارى وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت بعينى رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال قوم أسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين فى اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه فى ذلك العام بعد ما أخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم ثم دخل مكة فى العام المقبل وأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام ان ولد الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أجيب بانه لا اشكال فيه فانه لا يبعد ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ يعنى شجرة الزقوم التى وصفها الله تعالى فى سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون والفتنة فيها ان أبا جهل قال ان ابن أبى كبشة يعنى النبى صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه

الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء (والشجرة الملعونة فى القرآن) أى وما جعلنا الشجرة الملعونة فى القرآن الا فتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك فانه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر فلا يضرها وخلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز

يخلق فى النار شجرة لا تحرقها (قا و حا ٧ بع) والمعنى ان الآيات انما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا
بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم

المعراج (الا فتنة للناس) بلية لاهل مكة مقدم ومؤخر (والشجرة الملعونة فى القرآن) ما ذكرنا شجرة الزقوم فى القرآن

ثم قال (ونخوفهم) أى بمخوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هى الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وانما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعادا منهم كما سمى أشياء بأسماء عند الكفرة كقوله فراغ الى آلهتهم أين شركائى أوهى رؤياه انه سيدخل مكة والفتنة لصد بالحديبية فان قلت ليس فى القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكفرة لانه قال ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فوصفت بلعن اهلها على المجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) هو تمييز أو حال من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أى أصله طين (قال أرأيتك هذا الذى) الكاف لا موضع لها لانها ذكرت للخطاب تأكيدا هذا مفعول به والمعنى اخبرنى عن هذا الذى (كرمت على) أى فضلته لم كرمته على وانا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا لدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتنى) وبالياء كوفى وشامى واللام موطئة (عبادى) للقسم المحذوف (الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته) لأستأصلنهم باغوائهم (الا قليلا) وهم المخلصون قيل

الملعونة فى القرآن كذلك ﴿ ونخوفهم ﴾ بانواع التخويف ﴿ فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ﴾ الا عتوا متجاوز الحد ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا ﴾ لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين أو منه أى أأسجد له واصله طين وفيه على الوجوه الثلاثة ايماء بعلة الانكار ﴿ قال أرأيتك هذا الذى كرمت على ﴾ الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بأمرى بالسجود له لم كرمته على ﴿ لئن اخرتنى الى يوم القيمة ﴾ كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه ﴿ لاحتنكن ذريته الا قليلا ﴾ أى لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم من احتنك

تنبت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجرة وقيل ان عبدالله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر فقال أبو جهل ياجارية تعالى فزقمينا فاتت بزبد وتمر فقال ياقوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد فنزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا ان يكون فى النار شجرا الا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت أين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن وانما وصفت باللعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهى فى أصل جهنم فى أبعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس فى رواية عنه ان الشجرة الملعونة هى الكشوث الذى يلتوى على الشجر والشوك فيجففه ﴿ ونخوفهم فما يزيدهم ﴾ أى التخويف ﴿ الا طغيانا كبيرا ﴾ أى تمردا وعتوا عظيما ＊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا ﴾ أى من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقى ﴿ قال ﴾ يعنى ابليس ﴿ أرأيتك ﴾ الكاف للمخاطب والمعنى أخبرنى ﴿ هذا الذى كرمت على ﴾ أى فضلته على ﴿ لئن أخرتنى ﴾ أى أمهلتنى ﴿ الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته ﴾ أى لاستأصلنهم بالاضلال وقيل معناه لأقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء ﴿ الا قليلا ﴾ يعنى المعصومين الذين استثناهم الله تعالى فى قوله ان

(ونخوفهم) بشجرة الزقوم (فما يزيدهم) الوعيد (الا طغيانا كبيرا) تماديا فى المعصية (واذ قلنا للملائكة) الذين كانوا فى الارض (اسجدوا لآدم) سجدة التحية (فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) لطينى (قال أرأيتك هذا الذى كرمت على) فضلت على بالسجود (لئن أخرتن) اجلتنى (الى يوم القيمة لاحتنكن) لأستزلن ولأستملكن ولأستولين (ذريته الا قليلا) المعصومين

كل ألف واحد وانما علم الملعون ذلك بالاعلام أو لانه رأى انه خلق شهوانى (قال اذهب) ليس من الذهاب الذى هو ضد
وانما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فمن تبعك منهم فان جهنم
جزاؤكم) والتقدير فان جهنم جزاؤهم ﴿ ٥١ ﴾ وجزاؤك ثم غلب (سورة بنى اسرائيل) المخاطب على الغائب فقيل

جزاؤكم وانتصب (جزاء موفورا) أى موفورا باضمار تجازون (واستفزز) استزل أو استخف استفزه أى استخفه والفز الخفيف (من استطعت منهم بصوتك) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار (وأجلب عليهم) اجمع وصح بهم من الجلبة وهو الصياح (بخيلك ورجلك) بكل راكب وماش من أهل الغيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وهذا لان أقصى ما يستطاع فى طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال (وشاركهم فى الاموال والاولاد) قال الزجاج كل معصية فى مال وولد فابليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد

الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير أو تفرسا من خلقه ذاوهم وشهوة وغضب ﴿ قال اذهب ﴾ امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه ﴿ فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم ﴾ جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات ﴿ جزاء موفورا ﴾ مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه موفرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله أو بما فى جزاؤكم من معنى تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا ﴿ واستفزز ﴾ واستخف ﴿ من استطعت منهم ﴾ ان تستفزه والفز الخفيف ﴿ بصوتك ﴾ بدعائك الى الفساد ﴿ واجلب عليهم ﴾ وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح ﴿ بخيلك ورجلك ﴾ باعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك ﴿ وشاركهم فى الاموال ﴾ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغى ﴿ والاولاد ﴾ بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل

عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ اذهب ﴾ أى امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذى هو ضد المجئ ﴿ فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم ﴾ أى جزاؤك وجزاء أتباعك ﴿ جزاء موفورا ﴾ أى مكملا ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واستفزز ﴾ أى استخف واستزل واستجهل وازعج ﴿ من استطعت منهم ﴾ أى من ذرية آدم ﴿ بصوتك ﴾ قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾ أى اجمع عليهم مكايدك وحبائلك واحثهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل أو مشى فى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد فى الامر جئتنا بخيلك ورجلك ﴿ وشاركهم فى الأموال والأولاد ﴾ أما المشاركة فى الاموال فكل مال أصيب من حرام أو أنفق فى حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأما المشاركة فى الاولاد

(قال اذهب) قال الله له اعمل (فمن تبعك منهم) فى دينك (فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) نصيبا وافرا (واستفزز) استزل (من استطعت منهم بصوتك) بدعوتك ويقال بصوت المزامير والغناء وسائر المناكير (وأجلب عليهم) اجمع عليهم ويقال استعن عليهم (بخيلك) بخيل المشركين (ورجلك) رجالة المشركين (وشاركهم فى الاموال) اموال الحرام (والاولاد) أولاد الحرام

على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة ﴿ وعدهم ﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الأمل ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ اعتراض بين مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ﴿ ان عبادي ﴾ يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين مخصصه ﴿ ليس لك عليهم سلطان ﴾ اي على اغوائهم قدرة ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾

فروى عن ابن عباس انها الموءودة وقيل أولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هي تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان يرغبوا أولادهم في الأديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت جماعه فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل وروى في بعض الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن ﴿ وعدهم ﴾ أي منهم الجميل في طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد أن يقرر أولا انه لا مضرة في فعلها البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيتقرر عند المدعو أنه لا مضرة البتة في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد أنواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم أي شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الآجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء قلت هو على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ أي تزيين الباطل بما يظن انه حق وعيد ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم أردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التي يدعو اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد تعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا ﴿ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ يعني عبادي الانبياء وأهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾ أي حافظا والمعنى انه سبحانه وتعالى لما مكن ابليس أن يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا أي فالله سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووسوسته ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفي بعض الآثار ان

شمس (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على قدر الانساب الشريفة وايثار العاجل على الآجل ونحو ذلك (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) هو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب (ان عبادي) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) بتبديل الايمان ولكن بتسويل العصيان (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك أو حافظا لهم عنك والكل أمر تهديد فيعاقب به أو اهانة أي لا يخل ذلك بملكي

(وعدهم) ان لا جنة ولا نار (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) باطلا (ان عبادي) المعصومين منك (ليس لك عليهم سلطان) سبيل وغلبة (وكفى بربك وكيلا) كفيلا بما وعد ويقال حفيظا

﴿ ابليس ﴾

(ربكم الذى يزجى) يجرى ويسير (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) بعنى الربح فى التجارة (انه كان بكم رحيما
واذا مسكم الضر فى البحر) أى خوف الغرق (ضل من تدعون الا اياه) ذهب
عن أوهامكم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم لاتذكرون سواه أو ضل ما تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده الذى ترجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر أعرضتم) عن الاخلاص بعد الخلاص (وكان الانسان) أى الكافر (كفورا) للنعم (أفأمنتم) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض (أن يخسف بكم جانب البر) انتصب جانب بيخسف مفعولا به كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أى يقلبه وأنتم عليه والحاصل ان الجوانب كلها فى قدرته

(ربكم الذى يزجى لكم) يسير لكم (الفلك) السفن (فى البحر لتبتغوا من فضله) لكى تطلبوا من رزقه وتنال من عمله (انه كان بكم رحيما) بتأخير العذاب وبقبل عمن تاب منكم (واذا مسكم الضر) الشدة والهول (فى البحر ضل من تدعون) تتركون من تعبدون من الاوثان فلا
تسألون منه النجاة (الا اياه) يقول تسألون من الله النجاة (فلما نجاكم الى البر أعرضتم) عن الشكر والتوحيد (وكان الانسان) يعنى
الكافر (كفورا) كافرا بنعم الله (أفأمنتم) ياأهل مكة (أن يخسف بكم) أن لا نغور بكم (جانب البر) كما خسف بقارون

يتوكلون عليه فى الاستعاذة منك على الحقيقة ﴿ربكم الذى يزجى﴾ هو الذى يجرى ﴿لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله﴾ الربح وانواع الامتعة التى لاتكون عندكم ﴿انه كان بكم رحيما﴾ حيث هيأ لكم ماتحتاجون اليه وسهل عليكم ماتعسر من اسبابه ﴿واذا مسكم الضر فى البحر﴾ خوف الغرق ﴿ضل من تدعون﴾ ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم ﴿الا اياه﴾ وحده فانكم حينئذ لايخطر ببالكم سواه فلا تدعون لكشفه الا اياه أو ضل كل من تعبدونه من اغاثتكم الا الله ﴿فلما نجاكم﴾ من الغرق ﴿الى البر اعرضتم﴾ عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة

عطاء فتى تمكن فى المعالى * فاعرض فى المكارم واستطالا

﴿وكان الانسان كفورا﴾ كالتعليل للاعراض ﴿أفأمنتم﴾ الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قادر ان يهلككم فى البر بالخسف وغيره ﴿ان يخسف بكم جانب البر﴾

ابليس لما خرج الى الارض قال يارب أخرجتنى من الجنة لاجل آدم فسلطنى عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لاأستطيعه الا بك فزدنى قال استفزز من استطعت منهم الآية فقال آدم يارب سلطت ابليس على وعلى ذريتى وانى لاأستطيعه الا بك قال لايولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال رب زدنى قال التوبة معروضة مادام الروح فى الجسد قال رب زدنى فقال ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله الآية * وفى الخبر ان ابليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما قراءتى قال الشعر قال فما كتابتى قال الوشم قال ومن رسلى قال الكهنة قال أى شئ مطعمى قال مالم يذكر عليه اسمى قال فما شرابى قال كل مسكر قال وأين مسكنى قال الحمامات قال وأين مجلسى قال فى الاسواق قال وما حبائلى قال النساء قال وما أذانى قال المزمار * قوله سبحانه وتعالى ﴿ربكم الذى يزجى﴾ أى يسوق ويجرى ﴿لكم الفلك﴾ أى السفن ﴿فى البحر لتبتغوا من فضله﴾ أى لتطلبوا من رزقه بالارباح فى التجارة وغيرها ﴿انه كان بكم رحيما﴾ أى حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم ﴿واذا مسكم الضر فى البحر﴾ أى الشدة وخوف الغرق فى البحر ﴿ضل من تدعون﴾ أى ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعون فى حوادثكم من الاصنام وغيرها ﴿الا اياه﴾ أى الا الله وحده فانكم لاتذكرون سواه ولايخطر ببالكم غيره لانه القادر على اغاثتكم ونجاتكم ﴿فلما نجاكم﴾ أى أجاب دعاءكم وانجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم ﴿الى البر أعرضتم﴾ أى عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى ﴿وكان الانسان كفورا﴾ أى جحودا ﴿أفأمنتم﴾ أى بعد نجاتكم ﴿أن نخسف بكم جانب البر﴾ أى نغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفى قدرته برا كان

سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف وهو تغيب تحت التراب والغرق تغيب تحت الماء فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) هي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أو ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يصرف ذلك عنكم (أم أمنتم ان يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم) أي أم أمنتم أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فعرفتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم (قاصفا من الريح) وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك (فيغرقكم بما كفرتم) بكفرانكم النعمة وهو اعراضكم حين نجاكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها أن نخسف أو نرسل ان نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون مكي وأبو عمرو (ولقد كرمنا بني آدم) بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدي وعن الرشيد انه أحضر طعاما فدعا (تدبيرهم) بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمه الله فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل

أن يقلبه الله وأنتم عليه أو يقلبه بسببكم فبكم حال أو صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيه وفي الأربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا وأعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك ﴿أو يرسل عليكم حاصبا﴾ ريحا تحصب أي ترمي بالحصباء ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾ يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ﴿أم أمنتم ان يعيدكم فيه﴾ في البحر ﴿تارة أخرى﴾ بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه ﴿فيرسل عليكم قاصفا من الريح﴾ لا تمر بشيء الا قصفته أي كسرته ﴿فيغرقكم﴾ وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح ﴿بما كفرتم﴾ بسبب اشراككم أو كفرانكم نعمة الانجاء ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ بحسن الصورة والمزاج الأعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض والتمكن من الصناعات

أو بحرا بل ان كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الغرق يغيب تحت الماء ﴿أو نرسل عليكم حاصبا﴾ أي نمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم لوط ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾ أي مانعا وناصرا ﴿أم أمنتم ان نعيدكم فيه﴾ أي في البحر ﴿تارة﴾ أي مرة ﴿أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح﴾ قال ابن عباس أي عاصفا وهي الريح الشديدة وقيل هي التي تقصف كل شيء من شجر وغيره ﴿فنغرقكم بما كفرتم﴾ أي بكفرانكم النعمة واعراضكم حين أنجيناكم ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ يعني التبيع المطالب والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدون لكم أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا بالثار من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ قال ابن عباس هو انهم يأكلون بالأيدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض وقال أيضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع ما في الأرض وتسخيره لهم وقيل بحسن

(أو يرسل) أي نرسل (عليكم حاصبا) حجارة كما أرسل على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) مانعا (أم أمنتم) يا أهل مكة (أن نعيدكم فيه) في البحر (تارة أخرى) مرة أخرى نخرجكم اليه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) ريحا شديدا (فيغرقكم) في البحر (بما كفرتم) بالنعمة (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) ثائرا أو طالبا (ولقد كرمنا بني آدم) بالأيدي والأرجل

وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى مايعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ماذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الاالانسان فانه يرفعه اليه بيده ﴿وحملناهم فى البر والبحر﴾ على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له مايركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ بالغلبة والاستعلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف

تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير أمة أخرجت للناس ﴿وحملناهم فى البر﴾ أى على الابل والخيل والبغال والحمير ﴿والبحر﴾ أى وحملناهم فى البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ يعنى لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق غيرهم مما لايخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب من القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الانسان ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ واعلم ان الله تعالى قال فى أول الآية ولقد كرمنا بنى آدم وفى آخرها وفضلناهم ولابد من الفرق بين التكريم والتفضيل والالزم التكرار والاقرب أن يقال أن الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثانى هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على انه فضل بنى آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبى فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم * فان قلت كيف تصنع بكثير * قلت توضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون السمع وأكثرهم كاذبون أراد كلهم * وفى الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفصيل وهو الاولى والراجح ان خواص بنى آدم وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بنى آدم وهذا التفضيل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بنى آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال المؤمن

باصبعه (وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) باللذيذات أو بما كسبت أيديهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أى على الكل كقوله وأكثرهم كاذبون قال الحسن أى كلهم وقوله وما يتبع أكثرهم الا ظنا ذكر فى الكشاف ان المراد بالاكثر الجميع وعنه عليه السلام المؤمن أكرم على الله من الملائكة وهذا لانهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفى البهائم شهوة بلا عقل وفى الآدمى كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه

(وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) فى البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) جعلنا أرزاقهم ألين وأطيب من رزق الدواب (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) من البهائم (تفضيلا) بالصورة والذى والزحل

﴿ يوم ندعوا كل أناس ﴾ نصب بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو في أفعى أو على أن الواو علامة الجمع كما في قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وهي قد تقدر كما في يدعى ﴿ كل أناس بإمامهم ﴾ بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا أي تنقطع علقة الأنساب وتبقى نسبة الأعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم وقيل بأمهاتهم جمع أم كخف وخفاف والحكمة في ذلك إجلال عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وأن لا يفتضح أولاد الزنى ﴿ فمن أوتي ﴾ من المدعوين ﴿ كتابه بيمينه ﴾ أي كتاب عمله ﴿ فأولئك يقرؤن كتابهم ﴾ ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء وجمع اسم الإشارة والضمير لأن من أوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بإيتاء الكتاب باليمين يدل على أن من أوتي كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع أن قوله ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ﴾ أيضا مشعر بذلك فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة ﴿ وأضل سبيلا ﴾ منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لأن الاهتداء بعد لا ينفعه والأعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي

أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده ۞ قوله عز وجل ﴿ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ﴾ أي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي أنزل عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إما إلى هدى وإما إلى ضلال وذلك أن كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بأمهم جمع أم يعني بأمهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وأن لا يفتضح أولاد الزنى ﴿ فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ﴾ فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرؤنه أيضا قلت الفرق أن أصحاب الشمال إذا قرؤا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولي عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على إقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة وأصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة وأبينها ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ أي ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شيء ﴿ ومن كان في هذه أعمى ﴾ المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى أي عن هذه النعم التي قد عددها في هذه الآيات المتقدمة ﴿ فهو في الآخرة ﴾ أي التي لم تعاين ولم تر ﴿ أعمى وأضل سبيلا ﴾ قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلا أي أخطأ

(يوم ندعوا) منصوب باذكر (كل أناس بإمامهم) باء الحال والتقدير مختلطين بإمامهم أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب [illegible] يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر (فمن أوتي) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) وجمع أولئك لأن من في معنى الجمع (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء ولم يذكر الكفار وإيتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله (ومن كان في هذه) الدنيا (أعمى فهو في الآخرة أعمى) كذلك (وأضل سبيلا) من الأعمى أي أضل طريقا والأعمى

(يوم ندعوا) وهو يوم القيامة (كل أناس بإمامهم) بنبيهم ويقال بكتابهم ويقال بداعيهم إلى الهدى وإلى الضلالة (فمن أوتي) أعطي (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) حسناتهم (ولا يظلمون فتيلا) لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم قدر فتيل وهو الشيء الذي يكون في شق النواة ويقال هو الوسخ الذي فتلت بين أصبعيك (ومن كان في هذه) النعم (أعمى) عن الشكر (فهو في الآخرة) في نعيم الجنة (أعمى وأضل سبيلا) [illegible] طريقا ويقال من كان في هذه الدنيا أعمى عن الحجة والبيان فهو في الآخرة أعمى أشد عمى وأضل سبيلا عن الحجة (طريقا)

تعار ممن لايدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لايهتدى الى طريق النجاة أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلانه لاينفعه
اهتداء اليه وقد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثمه قرأ أبو عمرو الاول ممالا والثانى مفخما لان
ل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في وسط الكلمة فلا تقبل
الامالة وأما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت ألفه واقعة فى الطرف فقبلت الامالة واما لهما حمزة وعلى وفخمهما الباقون ولما قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك نزل (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عن الذى أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفترى علينا غيره) لتتقول علينا مالم نقل يعنى ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا (واذا لاتخذوك خليلا) أى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى مكرهم (شيأ قليلا) ركونا قليلا وهذا تهييج من الله له

بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة كما فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد امالهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما ﴿وان كادوا ليفتنونك﴾ نزلت فى ثقيف قالوا لاندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لانعشر ولانحشر ولانجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال ﴿عن الذى اوحينا اليك﴾ من الاحكام ﴿لتفترى علينا غيره﴾ غير ما اوحينا اليك ﴿واذا لاتخذوك خليلا﴾ ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليالهم بريئا من ولايتى ﴿ولولا ان ثبتناك﴾ ولولا تثبيتنا اياك ﴿لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا﴾ لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا

طريقا وقيل معناه ومن كان فى الدنيا كافرا ضالا فهو فى الآخرة أعمى لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لاتقبل توبته * قوله سبحانه وتعالى ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك﴾ قيل فى سبب نزولها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لاندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم انى لها كاره بعد ان يدعونى أستلم الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لانجبى فى الصلاة أى لانحنى ولانكسر أصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاخير فى دين لاركوع فيه ولاسجود واما أن لاتكسروا اصنامكم بايديكم فذلك لكم واما الطاغية يعنى اللات والعزى فانى غير ممتعكم بها قالوا يارسول الله انا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا مالم تعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فطمع القوم فى سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل الله تعالى وان كادوا اى هموا ليفتنونك أى ليصرفونك عن الذى أوحينا اليك ﴿لتفترى﴾ أى لتختلق وتبتدع ﴿علينا غيره﴾ أى مالم نقله ﴿واذا﴾ أى لو فعلت ما دعوك اليه ﴿لاتخذوك خليلا﴾ أى والوك ووافوك وصافوك ﴿ولولا ان ثبتناك﴾ أى على الحق بعصمتنا اياك ﴿لقد كدت تركن﴾ أى تميل ﴿اليهم شيأ قليلا﴾ أى قربت من الفعل * فان قلت كان النبى صلى الله عليه

(وان كادوا) وقد كادوا (ليفتنونك) ليصرفونك وليستزلونك (عن الذى أوحينا اليك) من كسر
آلهتهم (لتفترى) لتتقول (علينا غيره) (قا و خا ٨ بع) غير الذى أمرتك من كسر آلهتهم (واذا لاتخذوك خليلا) صفيا
بمتابعتك اياهم نزلت هذه الآية فى ثقيف (ولولا أن ثبتناك) عصمناك وحفظناك (لقد كدت) هممت (تركن) تميل (اليهم شيأ قليلا) فـ

وفضل تثبيت (اذا) وقربت تركن اليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة الآية وأصل الكلام لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب

النار والعذاب وصف بالضعف كقوله فآتهم عذابا ضعفا من النار أى مضاعفا فكان أصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) معينا لك يدفع عذابنا عنك (وان كادوا) أى أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (ليخرجوك منها واذا لايلبثون) لايبقون (خلفك) بعدك أى بعد اخراجك خلافك كوفى (الا قليلا)

عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه عليه الصلاة والسلام ماهم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه ﴿ اذا لأذقناك ﴾ اى لو قاربت لاذقناك ﴿ ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ﴿ ثم لاتجد لك علينا نصيرا ﴾ يدفع العذاب عنك ﴿ وان كادو ﴾ وان كاد اهل مكة ﴿ ليستفزونك ﴾ ليزعجونك بمعاداتهم ﴿ من الارض ﴾ ارض مكة ﴿ ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك ﴾ ولو خرجت

وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم ﴿ اذا لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ﴾ أى لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعنى ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة ﴿ ثم لاتجد لك علينا نصيرا ﴾ أى ناصرا يمنعك من عذابنا ❁ قوله سبحانه تعالى ﴿ وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها ﴾ قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فأتوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ماهذه بارض الانبياء وان أرض الانبياء الشام وهى الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فأت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبى صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفى رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فانزل الله هذه الآية فالارض هنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما أملوه والاستفزاز الازعاج ﴿ واذا لايلبثون خلفك

طلبوك (اذا) لو أعطيت ما طلبوك (لأذقناك ضعف الحيوة) عذاب الدنيا (وضعف الممات) عذاب الآخرة (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) مانعا (وان كادوا) وقد كادوا يعنى اليهود (ليستفزونك) ليستزلونك (من الارض) أرض المدينة (ليخرجوك منها) الى الشأم (واذا) لو أخرجوك من المدينة (لايلبثون خلافك

لايبقون بعد خروجك ﴿ الا قليلا ﴾ الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل * وقرئ لايلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لاتعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ماقبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما ۞ بسط الشواطب بينهن حصيرا

﴿ سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ﴾ نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل عليهم السلام لانها لاجلهم ويدل عليه ﴿ ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ أي تغييرا ﴿ اقم الصلوة لدلوك الشمس ﴾ أي لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لاتستقر يده وكذا كل ماتركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلاث خلون ﴿ الى غسق الليل ﴾ الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة ﴿ وقرآن الفجر ﴾ وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنه كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولادليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ تشهده ملائكة

الا قليلا ﴾ أي لايبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ يعني ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبيهم بينهم فاذا خرج من بين أظهرهم عذبهم ﴿ ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ أي تبديلا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ أقم الصلوة لدلوك الشمس ﴾ روى عن ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان أصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة المواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر ﴿ الى غسق الليل ﴾ أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء ﴿ وقرآن الفجر ﴾ يعني صلاة الفجر سمي الصلاة قرآنا لانها لاتجوز الا بقرآن ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ أي يشهده

ير أبي بكر وشامي بمعناه (الا قليلا) زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل أو معناه ولو خرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من أرض العرب أو ومن أرض المدينة (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة (ولا تجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلوة لدلوك الشمس) لزوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (الى غسق الليل) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا لطول قراءتها وهو عطف على الصلاة (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول

الا قليلا) يسيرا حتى نهلكهم (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أهلكنا قومهم اذا خرج الرسل من بين أظهرهم (ولا تجد لسنتنا) لعذابنا (تحويلا) تغييرا (أقم الصلوة) ثم الصلاة يا محمد (لدلوك الشمس) بعد زوال الشمس صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) وبعد دخول الليل صلاة المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) صلاة الغداة (ان قرآن الفجر) صلاة الغداة (كان مشهودا) تشهدها ملائكة الليل

الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو اخو الموت بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن ﴿نافلة لك﴾ فريضة زائدة لك

ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزأ وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره هذا دليل قاطع قوى على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح ففى ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهذه الصلاة فى وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فى الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة فى أول وقتها أفضل * قوله سبحانه وتعالى ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ أى قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الامة فى الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا فى حق الامة بالصلوات الخمس وبقى قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقى الوجوب ثابتا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى ﴿نافلة لك﴾ أى زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التى فرضها الله عليك * روى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا فى حقه كما فى حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك * فان قلت ما معنى التخصيص اذا كان زيادة فى حق المسلمين كما فى حقه صلى الله عليه وسلم * قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة وزيادة فى رفع الدرجات

﴿ فصل ﴾

فى الاحاديث الواردة فى قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهنى قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى

ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين فى العادة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد) والتهجد ترك الهجود للصلاة ويقال فى النوم أيضا تهجد (به) بالقرآن (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم

وملائكة النهار (ومن الليل فتهجد به) بقراءة القرآن والتهجد بعد النوم (نافلة) فضيلة (لك) ويقال خاصة

على الصلوات المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك ﴿ عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن

ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ أبى داود (ق) عن أبى سلمة بن عبد الرحمن انه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان قالت ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على أكثر من احدى عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا قالت عائشة فقلت يارسول الله أتنام قبل أن توتر فقال ياعائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى (ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يسجد ويقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم أضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن الاقامة (م) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين * عن عوف بن مالك الاشجعى قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة الا وقف وسئل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول فى ركوعه سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال فى سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائى * عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذى (ق) عن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلى ثم يرجع الى فراشه فاذا أذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج * عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء أن نراه نائما الا رأيناه أخرجه النسائى وزاد فى رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيأ ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيأ * وقوله عز وجل ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ أجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع انسانا فى شئ ثم أحرمه كان ذلك عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا ثم لا يعطيه ما أطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى دعوة مستجابة وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى فهى نائلة منكم ان شاء الله من مات

(عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) نصب على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور ويدل عليه الاخبار أو هو مقام يعطى فيه لواء الحمد

لك (عسى) وعسى من الله واجب (أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أن يقيمك ربك مقاما محمودا مقام الشفاعة محمودا يحمدك الاولون والآخرون

كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام

لايشرك بالله شيأ ا (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فمن صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة (ق) عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك * وفى رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فاستأذن على ربى تعالى فيؤذن لى فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله فيقال يامحمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فاقع ساجدا فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال لى ارفع يامحمد رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال فاقول يارب مابقى فى النار الا من حبسه القرآن أى من وجب عليه الخلود * وفى رواية للبخارى ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم * زاد فى رواية فقال النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من

(الخير)

الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم أعود في الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذاك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله ٭ قوله وهو يومئذ جميع أي مجتمع الذهن والرأي ٭ عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر ومامن نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني أذنبت ذنبا عظيما فاهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على أهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكاني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون بي فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد أخرجه الترمذي ٭ قوله ماحل المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت منه ٭ وقوله فاقعقعها أي احركها حركة شديدة والقعقعة حكاية أصوات الترس وغيره مماله صوت ٭ عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر أخرجه الترمذي ٭ زاد في رواية غير الترمذي وأنا مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف على خدم كأنهن بيض مكنون أولؤلؤ منثور (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذي

﴿وقل رب أدخلني﴾ أي في القبر ﴿مدخل صدق﴾ ادخالا مرضيا ﴿واخرجني﴾ أي منه عند البعث ﴿مخرج صدق﴾ اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان اوامر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فدخل دخولا

قال أنا أول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري * عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيشفع ليقضي بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده فيه أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شغفني رأى من رأى الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ماهذا الذي تحدثوننا والله يقول انك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما ارادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فما هذا الذي تقولون قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فقرأ ماقبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ماخرج غير رجل واحد أو كما قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة * وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي * قوله عز وجل ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق﴾ المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه أخرجني من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق

(وقل رب أدخلني مدخل صدق) هو مصدر أي أدخلني القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات (وأخرجني مخرج صدق) أي أخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دليله ذكره على اثر ذلك البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة أو هو عام في كل مايدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان

(وقل رب) يارب (أدخلني مدخل صدق) يقول أدخلني في المدينة ادخال صدق وكان خارجا من المدينة (وأخرجني) من المدينة (مخرج صدق) اخراج صدق بعد ما كنت فيها فادخلني مكة ويقال ادخلني في القبر مدخل صدق ادخال صدق وأخرجني من القبر يوم القيامة مخرج صدق اخراج صدق

واخرجنى فخرج خروجا ﴿ واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض ﴿ وقل جاء الحق ﴾ الاسلام ﴿ وزهق الباطل ﴾ وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ﴿ ان الباطل كان زهوقا ﴾ مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته فى عين واحد واحد منها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله

واخرجنى بالصدق ولا تجعلنى ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين لا يكون آمنا عند الله ﴿ واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ أى حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرنى به على من عادانى وعزا ظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له وأجاب دعاءه فقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الآية * قوله تعالى ﴿ وقل جاء الحق ﴾ يعنى الاسلام والقرآن ﴿ وزهق الباطل ﴾ أى الشرك والشيطان ﴿ ان الباطل كان زهوقا ﴾ أى مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة فى وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ﴾ من فى قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذى هو قرآن ما هو شفاء أى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين أحدهما الاعتقادات الباطلة والثانى الاخلاق المذمومة أما الاعتقادات الباطلة فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة فى الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة لا جرم كان القرآن شفاء لما فى القلوب من هذا النوع وأما النوع الثانى وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب وما يدريك أنها رقية ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾ لما كان القرآن شفاء الامراض الباطنة والظاهرة فهو

(واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضمحلا فى كل أوان (وننزل) وبالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ما هو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة) وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين) وفى الحديث من لم يستشف بالقرآن

(واجعل لى من لدنك) من عندك (سلطانا نصيرا) مانعا بالاذى ولا رد قول (وقل جاء الحق) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن ويقال ظهر الاسلام وكثر المسلمون (وزهق الباطل) هلك الشيطان والشرك وأهله (ان الباطل) الشيطان والشرك وأهله (كان زهوقا) هالكا (وننزل من القرآن) نبين فى القرآن (ما هو شفاء) بيان من العمى ويقال بيان من الكفر والشرك والنفاق (ورحمة) من العذاب (للمؤمنين) محمد صلى الله عليه وسلم

فلا شفاه الله (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الا خسارا) ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ أن يوليه عرض وجهه ونأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين نأى بالامالة حمزة وبكسرها على (واذا مسه الشر) الفقر والمرض أو نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال (فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا) أسد مذهبا وطريقة (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) أى من أمر يعلمه ربى الجمهور على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن أبى هريرة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقد عجزت الاوائل

والقرآن (ولا يزيد الظالمين) المشركين بما نزل من القرآن (الا خسارا) غبنا (واذا أنعمنا على الانسان) يعنى الكافر من كثرة ماله ومعيشته (أعرض) عن الدعاء والشكر (ونأى بجانبه) تباعد عن الايمان (واذا مسه الشر) أصابته الشدة والفقر (كان يؤسا) آيسا من رحمة الله نزلت فى عتبة بن ربيعة (قل) يا محمد (كل) كل واحد (فسكت) منكم (يعمل على شاكلته) على نيته وأمره الذى هو عليه ويقال على ناحيته وجبلته (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أصوب دينا (ويسئلونك) يا محمد (عن الروح) سأل أهل مكة أبو جهل وأصحابه (قل الروح من أمر ربى) من عجائب ربى ويقال من علم ربى

كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ﴿ولا يزيد الظالمين الا خسارا﴾ لتكذيبهم وكفرهم به ﴿واذا أنعمنا على الانسان﴾ بالصحة والسعة ﴿أعرض﴾ عن ذكر الله ﴿ونأى بجانبه﴾ لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب أو على انه بمعنى نهض ﴿واذا مسه الشر﴾ من مرض أو فقر ﴿كان يؤسا﴾ شديد اليأس من روح الله ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قل كل احد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة أو جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه ﴿فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا﴾ اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ﴿ويسئلونك عن الروح﴾ الذى يحيى به بدن الانسان ويدبره ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده

جدير بان يكون رحمة للمؤمنين ﴿ولا يزيد الظالمين الا خسارا﴾ لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاء الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * قوله سبحانه وتعالى ﴿واذا أنعمنا على الانسان﴾ أى بالصحة والسعة ﴿أعرض﴾ أى عن ذكرنا ودعائنا ﴿ونأى بجانبه﴾ أى تباعد عنا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم ﴿واذا مسه الشر﴾ أى الشدة والضر ﴿كان يؤسا﴾ أى آيسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس فلا ينبغى للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة * قوله عز وجل ﴿قل كل﴾ أى كل أحد ﴿يعمل على شاكلته﴾ قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة أى على طريقته التى جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة رديئة ﴿فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا﴾ أى اوضح طريقا واحسن مذهبا واتباعا للحق * قوله سبحانه وتعالى ﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفى رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح

أووجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها أوسكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل عليه السلام وقيل

فسكت وفى رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة ينتظر الوحى وعرفت انه يوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحى قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وفى رواية وما أوتوا من العلم الا قليلا قال الاعمش هكذا فى قراءتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أولم يجب عن شئ منها فليس بنبى وان أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبى فاسألوه عن فتية فقدوا فى الزمن الاول ما كان شانهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى قال مجاهد اثنى عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشئ حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ونزل فى الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسئلونك عن ذى القرنين ونزل فى الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى واختلفوا فى الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه جبريل وعن على أنه ملك له سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات والارض ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين يقوم يوم القيامة على يمين العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب فى الخلق الذى به يحيا الانسان وهو أصح الاقوال وتكلم قوم فى ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم ألا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه شئ الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو

عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ماقيل فى حده انه جسم دقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ولان به حياة القلوب ومن أمر ربى أى من روحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروى أن اليهود بعثت الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عن الكل أوسكت عن الكل فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التورة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعنى أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربى دليل خلق الروح فكان هذا جوابا

(وما أوتيتم من العلم الا قليلا) خطاب عام فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصو
بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا وقيل
هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا أضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجدال في السؤال بقوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا (الا رحمة من ربك

خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربي معناه من وحيه ﴿وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾ تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيأ من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا أنحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة أقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك﴾ اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا ﴿الا رحمة من ربك﴾ فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا

جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل وأقاويل الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها وأولى الاقاويل أن يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي الذي استأثر به ﴿وما أوتيتم من العلم﴾ أي من علم ربي ﴿الا قليلا﴾ أي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الاصح هو ان الله عز وجل استأثر بعلم الروح ﴿قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك﴾ ومعناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا ﴿الا رحمة من ربك﴾ معناه الا أن يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته

(وما أوتيتم) أعطيتم (من العلم) في علم الله (الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) بحفظ الذي أوحينا اليك جبريل به (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) كفيلا ونقل ما تعا (الا رحمة) نعمة (من ربك) حفظ القرآن في قلبك (غير)

ان فضله كان عليك كبيرا) أى الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع أى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول النضر لو نشاء لقلنا مثل هذا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا أى لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الاتيان بمثله (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه (فابى أكثر الناس الا كفورا) جحودا وانما جاز فابى أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان أبى متأول بالنفى كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت

يعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله ﴿ان فضله كان عليك كبيرا﴾ كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى ﴿لا يأتون بمثله﴾ وفيهم العرب العرباء وارباب البيان وأهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان اتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ﴿ولقد صرفنا﴾ كررنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان ﴿للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعها فى الانفس ﴿فابى اكثر الناس الا كفورا﴾ الا جحودا وانما جاز ذلك

غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا * فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل * قلت المراد منه محو ما فى المصاحف واذهاب ما فى الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما فى صدرهم فيصبحون لا يحفظون شيأ ولا يجدون مما فى المصاحف شيأ ثم يفيضون فى الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب أتلى ولا يعمل بى ﴿ان فضله كان عليك كبيرا﴾ أى بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود * قوله سبحانه وتعالى ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ أى لا يقدرون على ذلك ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ أى عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز فى النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام فى أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله * قوله عز وجل ﴿ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ أى رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها ﴿فابى أكثر الناس الا كفورا﴾ أى جحودا

(ان فضله) بالنبوة والاسلام (كان عليك كبيرا) عظيما (قل) يا محمد لاهل مكة (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) بمثل هذا القرآن بما فيه الامر والنهى الوعد والوعيد والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وخبر ما كان وما يكون (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا (ولقد صرفنا للناس) يا لاهل مكة (فى هذا القرآن من كل مثل) من كل وجه من الوعد والوعيد (فأبى أكثر الناس الا كفورا) لم يعبدوا ولم يؤمنوا

ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ﴾ تعنتا واقتراحا بعدما لزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه ٥ وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر

❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقالوا لن نؤمن لك ﴾ أي لن نصدقك ﴿ حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ﴾ لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات أخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحرث وأبا البختري ابن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدا لهم في أمره بداء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ومابقي من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابي ماتقولون ماجئتكم بما جئتكم به اطلب أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد أضيق بلادا ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الانهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها على ماتريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بعث

المحجوج المتحير (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) وبالتخفيف كوفي (من الارض) أي مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء

على الكفر (وقالوا) يعني عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه (لن نؤمن لك) لن نصدقك (حتى تفجر لنا) تشقق لنا (من الارض) أرض مكة (ينبوعا) عيونا وأنهارا

أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر) والتشديد هنا مجمع عليه (الانهار خلالها) وسطها(تفجيرا أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) بفتح السين مدني وعاصم أي قطعا يقال اعطني كسفة من هذا الثوب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة

قوله ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء(أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (أو يكون لك بيت من زخرف) ذهب (أو ترقى في السماء) تصعد اليها (ولن نؤمن لرقيك) لاجل رقيك (حتى تنزل علينا) وبالتخفيف ابو عمرو (كتابا) أي من السماء فيه تصديقك (نقرؤه) صفة كتاب (قل) قال مكي وشامي اي قال الرسول (سبحان ربي) تعجب من اقتراحاتهم عليه

﴿ أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ﴾ أو يكون لك بستان يشتمل على ذلك ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴾ يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر أو فعل بمعنى مفعول كالطحن ﴿ أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ﴾ كفيلا بما تدعيه أي شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله

ومن يك امسى بالمدينة رحله * فاني وقيار بها لغريب

او جماعة فيكون حالا من الملائكة ﴿ او يكون لك بيت من زخرف ﴾ من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة ﴿ أو ترقى في السماء ﴾ في معارجها ﴿ ولن نؤمن لرقيك ﴾ وحده ﴿ حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾ وكان فيه تصديقك ﴿ قل سبحان ربي ﴾ تعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من ان يأتي أو يتحكم عليه أو يشاركه احد في القدرة * وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي اي قال الرسول

بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبدالله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبدالمطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ماأومن لك أبدا حتى تتخذ الى السماء مرقى ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك اظننت أن لاأصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فانزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعني ارض مكة ينبوعا أي عيونا ﴿ أوتكون لك جنة من نخيل وعنب ﴾ أي بستان فيه نخيل وعنب ﴿ فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ﴾ أي تشقيقا ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴾ أي قطعا ﴿ أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ﴾ قال ابن عباس كفيلا أي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة أي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ أي من ذهب وأصله الزينة ﴿ أو ترقى ﴾ أي تصعد ﴿ في السماء ولن نؤمن لرقيك ﴾ أي لاجل رقيك ﴿ حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾ أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبدالله بن أبي أمية ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد ﴿ سبحان ربي ﴾ أمره

(أوتكون لك جنة) بستان (من نخيل وعنب) كرم (فتفجر) فتشقق (الانهار خلالها) وسطها (تفجيرا) تشقيقا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) قطعا بالعذاب (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) شهيدا على ما تقول (أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وفضة (أو ترقى في السماء)أو تصعد الى السماء فتأتينا بالملائكة يشهدون انك رسول من الله الينا (ولن نؤمن لرقيك) لصعودك الى السماء (حتى تنزل علينا كتابا) من الله الينا (نقرؤه) فيه انك رسول الله الينا (قل) لهم يا محمد (سبحان ربي) أنزه ربي عن الولد والشريك

(هل كنت الا بشرا رسولا) أى انا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم
من الآيات فليس أمر الآيات الى انما هو الى الله فما لكم تتخيرونها على (وما منع الناس) يعنى أهل مكة ومحل (أن يؤمنوا)
نصب ... اذ جاءهم الهدى النبى والقرآن (الا أن قالوا) رفع على معنى والتقدير وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) أى الا شبهة تمكنت فى

صدورهم وهى انكارهم
ان يرسل الله البشر والهمزة
فى أبعث للانكار وما
أنكروه ففى قضية حكمته
منكر ثم رد الله عليهم بقوله
(قل لو كان فى الارض ملائكة
يمشون) على أقدامهم كما
يمشى الانس ولا يطيرون
باجنحتهم الى السماء فيسمعوا
من أهلها ويعلموا ما يجب
عليهم (مطمئنين) حال أى
ساكنين فى الارض قارين
(لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم
المراشد فاما الانس فانما
يرسل الملك الى مختار منهم
للنبوة فيقوم ذلك المختار
بدعوتهم وارشادهم وبشرا
وملكا حالان من رسولا
(قل كفى بالله شهيدا بينى
وبينكم) على انى بلغت
ما أرسلت به اليكم وانكم
كذبتم وعاندتم شهيدا
تمييز أو حال

(هل كنت الا بشرا رسولا)
يقول انا الا بشر رسول
كسائر الرسل (وما منع
الناس) اهل مكة (أن
يؤمنوا) بالله اذ جاءهم
الهدى) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (الا أن قالوا) الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) الينا (قل) يا محمد (انه)
لاهل مكة (لو كان فى الارض ملائكة يمشون) فى الارض يمشون (مطمئنين) مقيمين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) لانا لا نرسل
الى الملائكة نرسل الا الملائكة والى البشر الا البشر (قل) يا محمد لاهل مكة (كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) بانى رسوله اليكم

﴿ هل كنت الا بشرا ﴾ كسائر الناس ﴿ رسولا ﴾ كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم
الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا
على الله حتى تتخيرونها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر فى آيات
اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا ﴿ وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى ﴾ أى وما منعهم الايمان بعد نزول الوحى وظهور الحق ﴿ الا ان قالوا
أبعث الله بشرا رسولا ﴾ الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان
بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا ﴿ قل ﴾ جوابا
لشبهتهم ﴿ لو كان فى الارض ملائكة يمشون ﴾ كما يمشى بنو آدم ﴿ مطمئنين ﴾ ساكنين
فيها ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى منه واما
الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقى منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب
والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا
والاول اوفق ﴿ قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ﴾ على انى رسول الله اليكم باظهار
المعجزة على وفق دعواى أو على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا

بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب ﴿ هل كنت الا بشرا رسولا ﴾ أى كسائر الرسل
لا ممهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات
اليهم انما هو الى الله تعالى ولو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما
اقترحه البشر وما أنا الا بشر وليس ما سألتم فى طوق البشر واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد
أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغنى عن هذا كله مثل القرآن
وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه
بل هى أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا
فرد الله تعالى عليهم سؤالهم ¤ قوله عز وجل ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى ﴾ أى الوحى والمعنى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
الا شبهة تلجلجت فى صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله تعالى ﴿ الا أن
قالوا ﴾ أى جهلا منهم ﴿ أبعث الله بشرا رسولا ﴾ وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن
نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله بقوله ﴿ قل لو كان فى الارض
ملائكة يمشون مطمئنين ﴾ أى مستوطنين مقيمين فيها ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾
أى من جنسهم لان الجنس الى الجنس أميل ﴿ قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ﴾ أى
على انى رسوله اليكم وانى قد بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم

نه كان بعباده) المنذرين (خبيرا) عالما باحوالهم (بصيرا) بافعالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام
عيد للكفرة (ومن يهد الله فهو المهتد) وبالياء يعقوب و سهل وافقهما أبو عمرو ومدني في الوصل أي من وفقه الله
ول ما كان من الهدى فهو المهتدى عند الله (ومن يضلل) أي ومن يخذله
و لم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي انصارا (و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أي يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم و قيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق و يتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم و لا يسمعون ما يلذ مسامعهم و لا ينطقون بما يقبل منهم (مأواهم جهنم كلما خبت) طفئ لهبها (زدناهم سعيرا) توقدا

نصب على الحال أو التمييز ﴿ انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد للكفار ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ﴾ يهدونهم ﴿ ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ﴾ يسحبون عليها أو يمشون بها روى انه قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم ﴿ عميا وبكما وصما ﴾ لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا أن ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى والحواس ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت ﴾ سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ﴿ زدناهم سعيرا ﴾ توقدا بان نبدل جلودهم

﴿ انه كان بعباده ﴾ يعني المنذرين والمنذرين ﴿ خبيرا بصيرا ﴾ أي عالما باحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم و وعيد للكفار ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ﴾ أي يهدونهم وفيه أيضا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك ﴿ ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ﴾ (ق) عن أنس ان رجلا قال يارسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى امشاه على الرجلين في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا ✽ وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذى ∗ الحدب كل ما ارتفع من الارض ﴿ عميا وبكما وصما ﴾ أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون ∗ فان قلت كيف وصفهم بانهم عمى وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الرؤية والكلام والسمع ∗ قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت ﴾ أي سكن لهيبها وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان في ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لا يفتر عنهم وقيل معناه ارادت ان تخبو ﴿ زدناهم سعيرا ﴾ أي وقودا وقيل معناه خبت أي نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا الى ما كانوا

(انه كان بعباده) بارسال الرسول الى عباده (خبيرا بصيرا) بمن يؤمن وبمن لا يؤمن (ومن يهد الله) لدينه (فهو المهتد) لدينه (ومن يضلل) عن دينه (فلن تجد لهم) لاهل مكة (أولياء من دونه) من دونه
ته يوفقونهم للهدى (ونحشرهم) (قا و خا ١٠ بع) نسحبهم (يوم القيمة على وجوههم) الى النار (عميا) لا يبصرون شيأ
وبكما) خرسا لا يتكلمون بشئ (وصما) لا يسمعون شيأ (مأواهم) مصيرهم (جهنم كلما خبت) سكنت النار وسكن لهبها (زدناهم سعيرا)

(ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياآتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أى ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تأكلها ثم يعيدها لايزالون على ذلك ليزيد فى تحسرهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) جحودا مع وضوح الدليل (قل لو أنتم تملكون) تقديره لو تملكون أنتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلابد من فعل بعدها فأضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر و تملكون تفسيره و هذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الاعراب وأما ما يقتضيه علم البيان فهو ان أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (خزائن رحمة ربى) رزقه و سائر نعمه على خلقه (اذا لامسكتم خشية الانفاق) أى لبخلتم خشية أن يفنيه الانفاق (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس

ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ﴿ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ لان الاشارة الى ماتقدمه من عذابهم ﴿أولم يروا﴾ أولم يعلموا ﴿ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم﴾ فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء ﴿وجعل لهم اجلا لاريب فيه﴾ هو الموت أو القيامة ﴿فأبى الظالمون﴾ مع وضوح الحق ﴿الا كفورا﴾ الا جحودا ﴿قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى﴾ خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم

لو ذات سوار لطمتنى

وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص ﴿اذن لأمسكتم خشية الانفاق﴾ لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم ﴿وكان الانسان قتورا﴾ بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ هى العصا واليد والجراد

عليه وزيد فى سعير النار تحرقهم ﴿ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا﴾ لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم باياتنا ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ أجابهم الله ورد عليهم بقوله ﴿أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض﴾ أى فى عظمها وشدتها ﴿قادر على ان يخلق مثلهم﴾ أى فى صغرهم وضعفهم ﴿وجعل لهم أجلا﴾ أى وقتا لعذابهم ﴿لاريب فيه﴾ أى لاشك فيه انه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة ﴿فأبى الظالمون الا كفورا﴾ أى جحودا وعنادا ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى﴾ أى خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو أنكم ملكتم من النعم خزائن لانهاية لها ﴿اذا لأمسكتم﴾ أى لبخلتم وحبستم ﴿خشية الانفاق﴾ والفقر والنفاد وهذا مبالغة عظيمة فى وصفهم بهذا الشئ ﴿وكان الانسان قتورا﴾ أى ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد فى جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل فى الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لابد وأن يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجاء ثواب فثبت بهذا ان الاصل فى الانسان البخل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ أى دلالات واضحات

وقودا (ذلك) العذاب (جزاؤهم) نصيبهم (بانهم كفروا باياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وقالوا) كفار مكة (أئذا كنا) صرنا (عظاما) بالية (ورفاتا) ترابا رميما (أئنا لمبعوثون) لمحيون (خلقا جديدا) يجدد فينا الروح هذا ما لايكون أبدا (قل) (أولم يروا) أهل مكة (أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق) يحيي (مثلهم وجعل لهم أجلا) وقتا (لاريب فيه) لاشك فيه عند المؤمنين (فأبى الظالمون) المشركون (الا كفورا) لم يقبلوا واستقاموا على الكفر (قل) يا محمد لاهل مكة (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) مفاتيح رزق ربى (اذا لامسكتم) عن النفقة (خشية الانفاق) مخافة الفقر (وكان الانسان) الكافر (قتورا) ممسكا بخيلا مقترا (ولقد آتينا) أعطينا (موسى تسع آيات بينات) مبينات

والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانقلاب البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فقال ان لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرفوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق ولاتسحروا ولاتأكلوا الربا ولاتمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله ولاتقذفوا محصنة ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل شرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام ﴿فاسئل بني اسرائيل اذجاءهم﴾ فقلناله سلهم من فرعون ليرسلهم معك أوسلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضي بغير الهمز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا أوسال على هذه القراءة أوفاسئل يامحمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى عليه السلام وفرعون اذجاءهم أوعن الآيات ليظهر للمشركين صدقك أولتتسلى نفسك أولتعلم انه تعالى لوأتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم أولتزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا أو باضمار يخبروك على انه جواب الامر أوباضمار اذكر على الاستئناف ﴿فقال له فرعون اني لأظنك ياموسى مسحورا﴾

قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع اهله في الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرا وروى ان عمر بن عبد العزيز سأل محمد ابن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال ياغلام أخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الاحكام يدل عليه ماروى عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لاتقل نبي فانه لوسمع صارت له أربعة أعين فاتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لاتشركوا بالله شيأ ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق ولا تزنوا ولاتأكلوا الربا ولاتسحروا ولاتمشوا بالبرئ الى سلطان ليقتله ولاتسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا في السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه ان لايزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود ﴿فاسئل﴾ يامحمد ﴿بني اسرائيل﴾ يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم ﴿اذجاءهم﴾ يعني جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل ﴿فقال له فرعون اني لأظنك ياموسى مسحورا﴾ قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا

رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (فاسئل بني اسرائيل) فقلناله سل بني اسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني اسرائيل وقوله (اذجاءهم) متعلق بقوله المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم (فقال له فرعون اني لاظنك ياموسى مسحورا) سحرت فخولط عقلك

اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين وطمس الاموال (فاسئل بني اسرائيل) عبد الله بن سلام وأصحابه (اذجاءهم) موسى (فقال له فرعون اني لأظنك ياموسى مسحورا) مغلوب العقل

(قال) أي موسى (لقد علمت) يافرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض) خالقهما (بصائر) حال أي بينات مكشوفات لانك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا علمت على أي اني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (واني لاظنك يافرعون مثبورا) كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا أظنك مثبورا وظني أصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة أمري اني لاظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك (فاراد) فرعون (ان يستفزهم) يخرجهم أي موسى وقومه (من الارض) أي أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال (فاغرقناه ومن معه جميعا) فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه (وقلنا من بعده) من بعد فرعون (لبني اسرئيل اسكنوا الارض) التي أراد فرعون ان يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) أي القيامة (جئنا بكم لفيفا) جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه

(قال) له موسى (لقد علمت) يافرعون (ما أنزل) على موسى (هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) بيانا وعلامة لنبوتي (و) (واني لأظنك) علمو واستيقن (يافرعون مثبورا) ملعونا كافرا (فأراد أن يستفزهم) يستزلهم (من الارض) أرض الاردن وفلسطين (فأغرقناه) في البحر (ومن معه جميعا وقلنا من بعده) من بعد هلاكه (لبني اسرائيل اسكنوا) انزلوا (الارض) أرض الاردن وفلسطين (فاذا جاء وعد الآخرة) البعث بعد الموت ويقال نزول عيسى ابن مريم (جئنا بكم لفيفا) جميعا (وبالحق أنزلناه) بالقرآن

سحرت فتخبط عقلك ﴿ قال لقد علمت ﴾ يافرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ﴿ ما انزل هؤلاء ﴾ يعني الآيات ﴿ الا رب السموات والارض بصائر ﴾ بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال ﴿ واني لأظنك يافرعون مثبورا ﴾ مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة ﴿ فاراد ﴾ فرعون ﴿ ان يستفزهم ﴾ ان يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم ﴿ من الارض ﴾ ارض مصر أو الارض مطلقا بالقتل والاستئصال ﴿ فاغرقناه ومن معه جميعا ﴾ فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق ﴿ وقلنا من بعده ﴾ من بعد فرعون واغراقه ﴿ لبني اسرائيل اسكنوا الارض ﴾ التي اراد ان يستفزكم منها ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ الكرة أو الحياة أو الساعة أو الدار الآخرة يعني قيام القيامة ﴿ جئنا بكم لفيفا ﴾ مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ﴿ وبالحق انزلناه

أي مسحورا وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ لقد علمت ﴾ خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده ﴿ ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض ﴾ يعني الآيات التسع ﴿ بصائر ﴾ أي بينات يبصر بها ﴿ واني لأظنك يافرعون مثبورا ﴾ قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير ﴿ فاراد ان يستفزهم من الارض ﴾ معناه أراد فرعون أن يخرج موسى وبني اسرائيل من أرض مصر ﴿ فاغرقناه ومن معه جميعا ﴾ أي أغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه ﴿ وقلنا من بعده ﴾ أي من بعد هلاك فرعون ﴿ لبني اسرائيل اسكنوا الارض ﴾ يعني أرض مصر والشام ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ يعني القيامة ﴿ جئنا بكم لفيفا ﴾ أي جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء ☼ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وبالحق انزلناه

بالحق نزل) وماأنزلنا القرآن الابالحكمة وما نزل الاملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أوما نزلناه من السماء الابالحق محفوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الامحفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الراوى اشتكى محمدبن السماك فاخذنا ماءه وذهبنابه الى طبيب نصرانى فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لناالى أين فقلناله الى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولى الله بعدوالله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولواله ضع يدك على موضع الوجع وقل

وبالحق نزل ﴾ أى ومانزلنا القرآن الاملتبسا بالحق المقتضى لانزاله ومانزل الاملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الامحفوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان له اول الامر وآخره ﴿ وما ارسلناك الا مبشرا ﴾ للمطيع بالثواب ﴿ ونذيرا ﴾ للعاصى بالعقاب فلا عليك الاالتبشير والانذار ﴿ وقرآنا فرقناه ﴾ نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ على مهل و تؤدة فانه ايسر للحفظ وأعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ ونزلناه تنزيلا ﴾ على حسب الحوادث ﴿ قل آمنوا به أولا تؤمنوا ﴾ فان ايمانكم بالقرآن لايزيده كمالا وامتناعكم عنه لايورثه نقصا وقوله ﴿ ان الذين اوتوا العلم من قبله ﴾ تعليل له أى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة و عرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اورأوا نعتك وصفة مانزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولاتكترث بايمانهم واعراضهم ﴿ اذا يتلى عليهم ﴾ القرآن

وبالحق نزل ﴾ يعنى ان ما أردنا بانزال القرآن الاتقريره للحق فلما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وماأنزلنا القرآن الابالحق المقتضى لانزاله وما نزل الاملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير ﴿ وماأرسلناك الامبشرا ﴾ يعنى بالجنة للمطيعين ﴿ ونذيرا ﴾ أى مخوفا بالنار للعاصين * قوله عزوجل ﴿ وقرآنا فرقناه ﴾ أى فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ أى على تؤدة وترسل فى ثلاث وعشرين سنة ﴿ ونزلناه تنزيلا ﴾ أى على حسب الحوادث ﴿ قل آمنوا به أولا تؤمنوا ﴾ فيه وعيد وتهديد ﴿ ان الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ قيل هم مؤمنو أهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسى وأبى ذر وغيرهم ﴿ اذا يتلى عليهم ﴾ يعنى القرآن

وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ماقال الرجل وعوفى فى الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وما أرسلناك الامبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أى فصلناه أوفرقنافيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أى اختاروا لانفسكم النعيم المقيم أوالعذاب الاليم ثم علل بقوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أى التوراة من قبل القرآن (اذا يتلى عليهم) القرآن

أنزلنا جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم (وبالحق نزل) بالقرآن نزل (وما أرسلناك) يامحمد (الامبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) أنزلنا جبريل بالقرآن (فرقناه) بيناه بالحلال والحرام والامر والنهى (لتقرأه على الناس على مكث) مهل وهينة وترسل (ونزلناه تنزيلا) بيناه تبيينا ويقال نزلنا جبريل بالقرآن تنزيلا متفرقا آية وآيتين وثلاثا وكذا وكذا (قل) لهم يامحمد (آمنوا به) بالقرآن (أولا تؤمنوا) وهذا وعيد لهم (ان الذين أوتوا العلم) أعطوا العلم بالتوراة بصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (من قبله) من قبل القرآن (اذا يتلى) يقرأ (عليهم) القرآن

(يخرون للاذقان سجدا) حال (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أى
أعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقو
فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسجدوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى
الله عليه وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور ان بمعنى انه وهى تؤكد الفعل كما أن ان تؤكد الاسم وكما أكدت ان باللا
م فى لمفعولا أكدت فى انهم يخضرون (ويخرون للاذقان يبكون) ومع
الخرور للذقن السقوط
على الوجه وانما خص
الذقن لان أقرب الاشياء
من وجهه الى الارض عند
السجود الذقن يقال خر
على وجهه وعلى ذقنه وخر
لوجهه ولذقنه أما معنى
على فظاهر وأما معنى اللام
فكانه جعل ذقنه ووجهه
للخرور واختصه به اذ
اللام للاختصاص وكرر
يخرون للاذقان لاختلاف
الحالين وهما خرورهم
فى حال كونهم ساجدين
وخرورهم فى حال كونهم
باكين (ويزيدهم) القرآن
(خشوعا) لين قلب ورطوبة
عين (قل ادعوا الله أو
ادعوا الرحمن) لما سمعه
أبو جهل يقول يا ألله يا رحمن
قال انه نهانا أن نعبد الهين
وهو يدعوا الها آخر فنزلت
وقيل ان أهل الكتاب
قالوا انك لتقول ذكر الرحمن
وقد أكثر الله فى التوراة هذا
الاسم فنزلت والدعاء بمعنى
التسمية لا بمعنى النداء وأو
للتخيير أى سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى (أيا ما تدعوا) عوض من المضاف اليه (حسنت)
وما زيدت للتوكيد وأيا نصب بتدعوا وهو مجزوم بأى أى أى هذين الاسمين ذكرتم وسميتم (فله الاسماء الحسنى) والضمير فى

﴿يخرون للاذقان سجدا﴾ يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله أو شكرا لانجاز وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ﴿ويقولون سبحان ربنا﴾ عن خلف الموعد ﴿ان كان وعد ربنا لمفعولا﴾ انه كان وعده كائنا لا محالة ﴿ويخرون للاذقان يبكون﴾ كرره لاختلاف الحال أو السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ﴿ويزيدهم﴾ سماع القرآن ﴿خشوعا﴾ كما يزيدهم علما ويقينا بالله ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر أو قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين فانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود المطلق وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو جواب لقوله ﴿ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى﴾ والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف

﴿يخرون للاذقان﴾ قال ابن عباس أراد بها الوجوه ﴿سجدا﴾ أى يقعون على الوجوه سجدا ﴿ويقولون سبحان ربنا﴾ أى تعظيما لربنا لانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ان كان وعد ربنا لمفعولا﴾ أى كائنا واقعا ﴿ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾ أى خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا اجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذى والنسائى وزاد النسائى فى منخرى مسلم أبدا * الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله أخرجه الترمذى * قوله عز وجل ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين فأنزل الله هذه الآية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم ﴿أيا ما تدعوا﴾ ما صلة ومعناه أى هذين الاسمين سميتموه وذكرتم أو من جميع أسمائه ﴿فله الاسماء الحسنى﴾ يعنى اذا

يقرأ (يخرون للاذقان) على الوجوه (سجدا) يسجدون لله (ويقولون سبحان ربنا) نزهوا الله عن الولد والشريك (ان كان) قد كان
(وعد ربنا) فى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم (لمفعولا) كائنا صدقا (ويخرون للاذقان) للسجود (يبكون) فى السجود (ويزيدهم خشو
تواضعا نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه (قل) لهم يا محمد (ادعوا الله أو دعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) الصفات الع

جع الى ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط أى أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت
سماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن
الاسماء انها مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم (ولاتجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لايلبس اذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لاغير والصلاة أفعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولاتجهر حتى لاتسمع المشركين (ولا تخافت بها) حتى لاتسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك)بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا أومعناه ولاتجهر بصلاتك كلها ولاتخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار او بصلاتك بدعائك (وقل الحمدلله الذى لم يتخذ ولدا) كما زعمت اليهود والنصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) كما زعم المشركون

اولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين فى ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد مافى ايا من الابهام والضمير فى فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ماهو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ﴿ ولاتجهر بصلوتك ﴾ بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ﴿ ولاتخافت بها ﴾ حتى لاتسمع من خلفك من المؤمنين ﴿ وابتغ بين ذلك ﴾ بين الجهر والمخافتة ﴿ سبيلا ﴾ وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابابكر رضى الله تعالى عنه كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله تعالى عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله تعالى عليه وسلم ابابكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لاتجهر بصلاتك كلها ولاتخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا ﴿ وقل الحمدلله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ﴾ فى الالوهية

حسنت أسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى أنها مشتملة على معانى التقديس والتعظيم والتمجيد ﴿ ولاتجهر بصلوتك ولاتخافت بها ﴾ (ق) عن ابن عباس فى قوله ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاتجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولاتخافت بها عن أصحابك فلاتسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد فى رواية وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولاتجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية فى الدعاء وهو قول عائشة والنخعى ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها قالت نزل ذلك فى الدعاء وقيل كان أعراب من بنى تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فانزل الله عزوجل ولاتجهر بصلاتك أى لاترفع صوتك بقراءتك ودعائك ولاتخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت ﴿ وابتغ ﴾ أى اطلب ﴿ بين ذلك سبيلا ﴾ أى طريقا وسطا بين الجهر والاخفاء عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال انى أسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال انى أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذى ﴿ وقل الحمدلله الذى لم يتخذ ولدا ﴾ أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمدلله الذى عرفنى انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد أفاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عزوجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد ﴿ ولم يكن له شريك فى الملك ﴾ والسبب فى اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن

مثل العلم والقدرة والسمع والبصر فادعوه بها (ولاتجهر بصلوتك) يقول لاتجهر بصوتك بقراءة القرآن فى صلاتك لكى لايؤذيك المشركون (ولاتخافت بها) ولاتسر بقراءة القرآن فلاتسمع أصحابك (وابتغ) اطلب (بين ذلك) بين الرفع والخفض (سبيلا) طريقا وسطا (وقل الحمدلله) الشكر والالوهية لله (الذى لم يتخذ ولدا) من الملائكة والآدميين فيرث ملكه (ولم يكن له شريك فى الملك)

﴿ ولم يكن له ولى من الذل ﴾ ولى يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله ﴿ وكبره تكبيرا ﴾ وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى العبادة والتحميد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقه فى ذلك ※ روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية ٭ وعنه عليه السلام من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وهى مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ﴾ يعنى القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادى الى ما فيه كمال العباد والداعى الى ما به

مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله ﴿ ولم يكن له ولى من الذل ﴾ ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به ﴿ وكبره تكبيرا ﴾ أى وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولى وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولى كان مستوجبا لجميع أنواع الحمد ※ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء ※ عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده ※ عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا اله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ※ عن سمرة ابن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الكهف وهى مكية وآياتها مائة وواحدى عشرة آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

※ قوله عز وجل ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ﴾ أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة

(ولم يكن له ولى من الذل) أى لم يذل فيحتاج الى ناصر أو لم يوال أحدا من أجل مذلة ليدفعها بتواليه (وكبره تكبيرا) وعظمه عظمة من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبى عليه السلام الآية آية العز وكان اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية ﴿ سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية بصرى وعشر آيات كوفى ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحمد لله الذى أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) القرآن لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم

فيعاديه (ولم يكن له ولى) معين (من الذل) من أهل الذل يعنى اليهود والنصارى والمشركين وهم اذل الناس ويقال لم يزل حتى يحتاج الى ولى من اليهود والنصارى (وكبره تكبيرا) يعنى عظمه تعظيما عن مقالة اليهود والنصارى والمشركين والله أعلم بأسرار كتابه ومن السورة التى يذكر فيها الكهف وهى كلها مكية غير آيتين مدنيتين ذكر فيهما عيينة بن حصن الفزارى آياتها مائة واحدى عشرة وكلماتها الف وخمسمائة وسبع وستون وحروفها ستة آلاف وأربعمائة وستون حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الحمد لله) يقول الشكر لله والالهية لله (الذى أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) جبريل بالقرآن

(ولم يجعل له عوجا) أى شيأ من العوج والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان يقال فى رأيه عوج وفى عصاه عوج والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة (قيما) مستقيما وانتصابه بمضمر وتقدير وجعله قيما لانه اذا نفى العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها (لينذر) أنذر متعدالى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا (بأسا) عذابا (شديدا) وانما اقتصر على أحد مفعولى أنذر لان المنذر به هو المسوق اليه فاقتصر عليه (من لدنه) صادرا من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) أى بان لهم (أجرا حسنا) أى الجنة ويبشر حمزة وعلى (ما كثين) حال من هم فى لهم (فيه) فى الاجر وهو الجنة (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الاول استغناء لتقدم ذكره (مالهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت معناه مالهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشئ اما للجهل بالطريق الموصل اليه أو لانه فى نفسه

ينتظم صلاح المعاش والمعاد ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾ شيأ من العوج باختلال فى اللفظ وتناف فى المعنى أو انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان ﴿ قيما ﴾ مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط أو قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما أو على الحال من الضمير فى له أو من الكتاب على ان الواو فى ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما ﴿ لينذر بأسا شديدا ﴾ اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه ﴿ من لدنه ﴾ صادرا من عنده وقرأ أبو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ﴾ هو الجنة ﴿ ماكثين فيه ﴾ فى الاجر ﴿ ابدا ﴾ بلا انقطاع ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ﴿ مالهم به من علم ﴾ أى بالولد أو باتخاذه أو بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذى ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر أو بالله اذ لو علموه لما جوزوا

عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾ أى لم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس فى قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج قال غير مخلوق ﴿ قيما ﴾ أى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرائعها ﴿ لينذر بأسا شديدا ﴾ معناه لينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس ﴿ من لدنه ﴾ أى من عنده ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا حسنا ﴾ يعنى الجنة ﴿ ماكثين فيه ﴾ أى مقيمين فيه ﴿ أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ﴾ أى بالولد و باتخاذه يعنى

(ولم يجعل له عوجا) لم ينزله مخالفا للتوراة والانجيل وسائر الكتب (قاو خا ١١ بع) بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته نزلت فى شأن اليهود حين قالوا القرآن مخالف لسائر الكتب (قيما) على الكتب ويقال مستقيما (لينذر) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (بأسا) عذابا (شديدا من لدنه) من عنده (ويبشر) محمد بالقرآن (المؤمنين) المخلصين (الذين يعملون الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (أن لهم أجرا حسنا) ثوابا كريما فى الجنة (ماكثين فيه) مقيمين فى الثواب لا يموتون ولا يخرجون (أبدا وينذر) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (الذين قالوا اتخذ الله ولدا) يعنى اليهود والنصارى وبعض المشركين (مالهم به) من مقالتهم (من علم) من حجة

محال (ولا لآبائهم) مقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع الى
قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطـ
ـق به واخراجه من أفواههم

يوسوسه الشيطان في قلوب النا...

من المنكرات لا يتمالكون
أن يتفوهوا به بل يكظمون
عليه فكيف بمثل هذا
المنكر (ان يقولون الا كذبا)
ما يقولون ذلك الا كذبا
هو صفة لمصدر محذوف
أي قولا كذبا (فلعلك باخع
نفسك) قاتل نفسك (على
آثارهم) أي آثار الكفار
شبهه واياهم حين تولوا
عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله
من الاسف على توليهم
برجل فارقه أحبته فهو يتساقط
حسرات على آثارهم ويبخع
نفسه وجدا عليهم وتلهفا
على فراقهم (ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث) بالقرآن
(أسفا) مفعول له أي لفرط
الحزن والاسف المبالغة في
الحزن والغضب (انا جعلنا
ما على الارض زينة لها)
أي ما يصلح ان يكون زينة
لها ولاهلها من زخارف
الدنيا وما يستحسن منها

نسبة الاتخاذ اليه ﴿ ولا لآبائهم ﴾ الذين تقولوه بمعنى التبني ﴿ كبرت كلمة ﴾ عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود ﴿ تخرج من افواههم ﴾ صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ﴿ ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك ﴾ قاتلها ﴿ على آثارهم ﴾ اذا ولوا عن الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ﴿ ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ بهذا القرآن ﴿ اسفا ﴾ للتأسف عليهم أو متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية ﴿ انا جعلنا ما على الارض ﴾ من الحيوان والنبات والمعادن ﴿ زينة لها ﴾

ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط • فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به ﴿ ولا لآبائهم ﴾ أي ولا لأسلافهم من قبل ﴿ كبرت ﴾ أي عظمت ﴿ كلمة تخرج من أفواههم ﴾ أي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكأنه يجري على لسانهم على سبيل التقليد ﴿ ان يقولون الا كذبا ﴾ أي ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب ❊ قوله عز وجل ﴿ فلعلك باخع نفسك ﴾ أي قاتل نفسك ﴿ على آثارهم ﴾ أي من بعدهم ﴿ أن لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ يعني القرآن ﴿ أسفا ﴾ أي حزنا وقيل غيظا ﴿ انا جعلنا ما على الارض زينة لها ﴾ أي مما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان قيل الاولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى

ولا بيان (ولا لآبائهم) كان
علم ذلك (كبرت كلمة) عظمت
كلمة الشرك (تخرج من
أفواههم) تظهر على أفواههم
(ان يقولون) ما يقولون
(الا كذبا) على الله (فلعلك)
يا محمد (باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) لاجلهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بأن لم يؤمنوا بهذا القرآن ﴿ لنبلوهم ﴾
(أسفا) حزنا (انا جعلنا ما على الارض) من الرجال والنساء (زينة لها) زهرة للارض

ولاهلها ﴿ لنبلوهم ايهم احسن عملا ﴾ فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجى به ايامه وصرفه على ما ينبغى وهو تسكين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا ﴾ تزهيد فيه والجرز الارض التى قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انا نعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لانبات فيه ﴿ أم حسبت ﴾ بل احسبت ﴿ ان اصحاب الكهف والرقيم ﴾ فى ابقاء حياتهم مدة مديدة ﴿ كانوا من آياتنا عجبا ﴾ وقصتهم بالاضافة الى خلق ماعلى الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيآت متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادى الذى فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال امية بن ابى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا ٭ وصيدهم والقوم فى الكهف همد

أو لوح رصاصى أو حجرى رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال احدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم مر بى بقرة فاشتريت به فصيلا فبلغت ماشاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لى عندك حقا وذكره لى حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان فى فضل واصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ماهو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبى له واغيثى عيالك

﴿ لنبلوهم ﴾ فمن يبلو يجب ان لا يدخل فى ذلك ومعنى لنبلوهم نختبرهم ﴿ أيهم أحسن عملا ﴾ أى أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها ﴿ وانا لجاعلون ماعليها ﴾ أى من الزينة ﴿ صعيدا جرزا ﴾ يعنى مثل أرض لانبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذى لا ينبت فيه شئ ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أم حسبت ﴾ أى ظننت يا محمد ﴿ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ أى هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا باعجب آياتنا فان ما خلقنا من السموات والارض ومافيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم

لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد فى الميل اليها بقوله (وانا لجاعلون ماعليها) من هذه الزينة (صعيدا) أرضا ملساء (جرزا) يابسا لا انبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا باماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعنى ان ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم هو اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب فى شأنهم أو اسم الجبل الذى فيه الكهف (كانوا من آياتنا عجبا) أى كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر أو على

(لنبلوهم) لنختبرهم (أيهم) منهم (أحسن) أخلص (عملا) ويقال انا جعلنا ماعلى الارض من النبات والشجر والدواب والنعيم زينة لها زهرة للارض لنختبر أيهم أزهد فى الدنيا وأترك لها (وانا لجاعلون) مغيرون (ماعليها) من الزهرة (صعيدا) ترابا (جرزا) املس لانبات فيها (أم حسبت) أظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم) والكهف هو الجبل الذى فيه الغار والرقيم هو اللوح من رصاص فيه أسماء الفتية وقصتهم ويقال الرقيم هو الوادى الذى فيه الكهف ويقال الرقيم هو مدينة (كانوا من آياتنا) من عجائبنا (عجبا) الشمس والقمر والسماء

فانت وسلمت الى نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت أخاف الله فقلت لها خفته فى الشدة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لى ابوان همان وكان لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمى فحبسنى ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فأتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق على ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير ﴿ اذ أوى الفتية الى الكهف ﴾ يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو ﴿ وهيئ لنا من امرنا ﴾ من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿ رشدا ﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين أو اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشئ

الوادى الذى فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التى خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذى فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل ﴿ اذ أوى الفتية الى الكهف ﴾ أى صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشباب ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ أى رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء ﴿ وهيئ لنا ﴾ اى أصلح لنا ﴿ من أمرنا رشدا ﴾ أى حتى نكون بسببه راشدين مهتدين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

﴿ ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه ﴾

قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك فى قرية نزلها أحدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه أهل الايمان وهربوا فى كل وجه فتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان فى أماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من رغب فى الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة فى الايمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون و يقطعون ويجعل ماقطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل

ذات عجب (اذ) أى اذكر (أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من أمرنا) أى الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا أو يسر لنا طريق رضاك

والارض والنجوم والجبال والبحار وأعجب من ذلك (اذ أوى الفتية الى الكهف) دخل غلمة فى غار الكهف (فقالوا) حين دخلوا (ربنا) يا ربنا (آتنا من لدنك رحمة) أى ثبتنا على دينك (وهيئ لنا من أمرنا رشدا) مخرجا

﴿ وجعلوا ﴾

وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن أمر الملك ثم انطلقوا الى الملك فأخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فأتى بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم أسوة أهل مدينتكم اختاروا اما أن تذبحوا لآلهتنا واما أن أقتلكم فقال مكسلمينا وهو أكبرهم ان لنا الها ملء السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها أبدا له الحمد والتكبير من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع بنا مابدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم الا أني أراكم شبانا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه فترجعون الى عقولكم ثم أمر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم أن يذكرهم فأتمروا بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجلوس فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه فيصنع بهم مايشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ماتريدون مني لا تخشوا مني انا احب احباب الله عز وجل فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم يأخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشئ ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك ماشاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فاخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا أخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض

من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبيناهم على ذلك اذ ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا أن بي غضبا عليهم لجهلهم ماجهلوا من أمري ما كنت لاجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا أرسل الى آبائهم فاتى بهم فقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا وأهلكوها في أسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى ينجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل مايدري مايصنع بالفتية فالقى الله سبحانه وتعالى في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون مايصنع بهم وقد توفى الله عز وجل أرواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ماغشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر روناس اهتما أن يكتبا شأن هؤلاء الفتية واسماءهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقي دقيانوس مابقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم وكان أحدهم وزير الملك فقذف الله سبحانه وتعالى الايمان في قلوبهم فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه وقال في نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبني عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره وجلس اليه من غير أن يظهر على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ماجمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفش كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا

(فقدناهم)

فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكون لهؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل بيدروس الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وانهم أئمة فى الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ماهم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله سبحانه وتعالى فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى فيه ذلك الكهف وكان اسمه اولياس أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف ويبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لايرى فى وجوههم ولا ألوانهم شئ ينكرونه وانهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم أنبئنا ما قال الناس فى شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانو ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم فى المدينة وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم فماشاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذ دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع مايقال لنا بها وما الذى يذكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتغ لنا طعاما فأتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به فقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر

بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذ كان أمر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر فرأى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ياليت شعري ما هذا أما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلي نائم حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي في أسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس كان على الارض من يذكر عيسى ابن مريم الا قتل وأما اليوم فسمعت كل انسان يذكر عيسى ابن مريم لا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل بي مسا أو أمرا أذهب عقلي والله يحق لي ان أسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فأهلك فمضى الى الذين يبتاعون الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه وأعطاها رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل و يتعجبون منها و يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزا خبيئا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس يأتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضلوا علي قد أخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرناه وشاركنا فيه نخفف عليك ما وجدت وانك ان لم تفعل نحملك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شيء كنت احذر منه فقالوا له يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى لم يحر على لسانه اليهم شيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه أهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم وكان متيقنا ان أباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سيأتونه اذ سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم

ذا اختطفوه وانطلقوا به الى رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض أفرغ على اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون ما لقيت وياليتهم يأتونني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا قد كنا تواثقنا على الايمان بالله وأن لا نشرك به أحدا أبدا ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين أريوس وطنطيوس ورأى أنه لم يذهب الى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ أريوس وطنطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقالا أين الكنز الذي وجدت يافتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقال له أحدهما ممن أنت فقال تمليخا أما أنا فكنت أرى أني من أهل هذه المدينة فقيل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له أحدهما ونظر اليه نظرا شديدا أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضربها ولهذه الورق أكثر من ثلاثمائة سنة وأنت غلام شاب أتظن انك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واني لاظنني سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا أخبروني عما أسألكم عنه فان أنتم فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا له سل لا نكتمك شيأ فقال فما فعل الملك دقيانوس فقالا ما نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك في الزمان الاول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا اني اذا لحيران وما يصدقني أحد من الناس فيما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وان الملك أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فأتينا الى الكهف الذي في جبل ينجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما أتجسس الاخبار فاذا أنا معكم كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف أريكم أصحابي فلما سمع أريوس قول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وطنطيوس ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى الفتية اصحاب الكهف تمليخا لقد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي فيه ظنوا انه قد أخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم

ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا فأت أخانا تمليخا فانه الآن بين يدى الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فبينماهم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة إذ جاء أريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمن الطويل وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة لاريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء أهل المدينة وأمر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس ويبرونس وديموس ويطبيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى أراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس وأصحابه سجودا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلاثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض وأعبدك وأسبح لك تطولت على ورحمتنى ولم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح بيدروس ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة افسوس فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذاهم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوا فى منامه فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وامر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر ان يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة

{ وذكر }

(فضربنا على آذانهم في الكهف) أي ضربنا عليها حجابا من النوم يعني أنمناهم انامة ثقيلة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول الذي هو الحجاب (سنين عددا) ذوات عدد فهو وصفة لسنين قال الزجاج أي تعد عددا لكثرتها لان القليل يعلم مقداره من غير عدد فاذا كثر عد فاما دارهم

معدودة فهي على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثم بعثناهم أيقظناهم من النوم (لنعلم أي الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) غاية وأحصى فعل ماض وأمدا ظرف لاحصى أو مفعول له والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو أي والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي نعلم والمعنى أيهم ضبط أمدا لاوقات لبثهم واحاط علما بامد لبثهم ومن قال أحصى أفعل من الاحصاء وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس وانما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ماتعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا وليكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفار أو المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق

﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى أنمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته ﴿ في الكهف سنين ﴾ ظرفان لضربنا ﴿ عددا ﴾ أي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ﴿ ثم بعثناهم ﴾ ايقظناهم ﴿ لنعلم ﴾ ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا ﴿ أي الحزبين ﴾ المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم ﴿ احصى لما لبثوا أمدا ﴾ ضبط امدا لزمان لبثهم ومافي اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله

واضرب منا بالسيوف القوانسا

﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق ﴾ بالصدق

وذكر انه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا في الزمان الاول وأن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزانة فدعا باللوح ونظر في أسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر أسماء الآخرين فقال تمليخا هم أصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعوني حتى أدخل على أصحابي فابشرهم فانهم أن رأوكم معي أرعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عزوجل اذ أوى الفتية الى الكهف أي صاروا الى الكهف واسمه خيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أي هداية في الدين وهيئ لنا أي يسر لنا من أمرنا رشدا أي ما نلتمس منه رضاك ومافيه رشدنا وقال ابن عباس أي مخرجا من الغار في سلامة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أي ألقينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه ﴿ في الكهف سنين عددا ﴾ أي أنمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة ﴿ ثم بعثناهم ﴾ أي من نومهم ﴿ لنعلم ﴾ أي علم مشاهدة وذلك ان الله عزوجل لم يزل عالما وانما أراد ماتعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ﴿ أي الحزبين ﴾ أي الطائفتين ﴿ أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ أي احفظ لما مكثوا في كهفهم نياما وذلك ان أهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف * قوله تعالى ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق ﴾ أي نقرأ عليك

فضربنا على آذانهم) ألقينا عليهم النوم وأنمناهم (في الكهف سنين عددا) ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ثم بعثناهم) ايقظناهم اناموا (لنعلم)لكي نرى (أي الحزبين) أي الفريقين المؤمنين والكافرين (أحصى لما لبثوا) أحفظ لما مكثوا في الكهف أمدا) أجلا (نحن نقص عليك) نبين لك (نبأهم) خبرهم (بالحق)

(انهم فتية) جمع فتى والفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى مالايدع
قبل الفعل ولايزكى نفسه بعد الفعل (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف ال
فى قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منافيظهر كلاهما مايضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم ع
الايمان (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجران الاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناه
على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذقاموا) بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاةبه حين عاتبهم عل
ترك عبادة الاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض) مفتخرين (لن ندعو من دونه الها) ولئن سميناهم آلهة
(لقدقلنااذاشططا) قولا ذاشطط وهو الافراط فى الظلم والابعادفيه من شط
يشط ويشط اذا بعد (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو اخبار فى معنى الانكار (لولايأتون عليهم) هلايأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير أى واذاعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الاالله) استثناء متصل لانهم كانوا يقرون

بالقرآن (انهم فتية) غلة (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بصيرة فى أمر دينهم ويقال ثبتناهم فى أمر دينهم ويقال ثبتناهم على الايمان (وربطنا على قلوبهم) حفظنا { الله }
قلوبهم بالايمان ويقال ألهمناهم الصبر (اذقاموا) اذخرجوا من عند الملك دقيانوس الكافر (فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه) لن نعبد من دون الله (الها) ربا (لقدقلنااذاشططا) كذبا وزورا على الله (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه
عبدوا من دون الله (آلهة) من الاوثان (لولا يأتون عليهم) هلايأتون على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة بينة ان الله أمر
بذلك (فمن أظلم) فليس احداظلم (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) بأن له شريكا (واذاعتزلتموهم) تركتموهم وتركتم دي
(ومايعبدون) من دون الله من الاوثان فلا تعبدوا (الاالله

﴿انهم فتية﴾ شبان جمع فتى كصبى وصبية ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ بالتثبت ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار ﴿اذقاموا﴾ بين يديه ﴿فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقدقلنا اذاشططا﴾ والله لقدقلنا قولا ذاشطط أى ذابعد عن الحق مفرط فى الظلم ﴿هؤلاء﴾ مبتدأ ﴿قومنا﴾ عطف بيان ﴿اتخذوا من دونه آلهة﴾ خبره وهو اخبار فى معنى الانكار ﴿لولايأتون﴾ هلايأتون ﴿عليهم﴾ على عبادتهم ﴿بسلطان بين﴾ ببرهان ظاهر فان الدين لايؤخذ الابه وفيه دليل على ان مالا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك اليه ﴿واذ اعتزلتموهم﴾ خطاب بعضهم لبعض ﴿ومايعبدون الاالله﴾

خبر أصحاب الكهف بالحق أى بالصدق ﴿انهم فتية﴾ أى شبان ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ أى ايمانا وبصيرة ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أى شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف ﴿اذقاموا﴾ يعنى بين يدى دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام ﴿فقالوا﴾ أى الفتية ﴿ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها﴾ انما قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام ﴿لقد قلنا اذا شططا﴾ قال ابن عباس يعنى جورا وقيل كذبا يعنى ان دعونا غير الله ﴿هؤلاء قومنا﴾ يعنى أهل بلدهم ﴿اتخذوا من دونه﴾ أى من دون الله ﴿آلهة﴾ يعنى أصناما يعبدونها ﴿لولا﴾ أى هلا ﴿يأتون عليهم﴾ أى على عبادة الاصنام ﴿بسلطان بين﴾ أى بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ أى وزعم أن له شريكا أو ولدا ثم قال بعضهم لبعض ﴿واذاعتزلتموهم﴾ عن قومكم ﴿ومايعبدون الا الله﴾ وذلك انهم كانوا يعبدون

بالخالق ويشركون معه غيره كاهل مكة أو منقطع أى واذاعتزلتم الكفار والاصنام التى يعبدونها من دون الله أو هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله (فأووا الى الكهف) صيروا اليه أو اجعلوا الكهف مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) من رزقه (ويهيء لكم من أمركم مرفقا) مرفقا مدنى وشامى وهو ما يرتفق به أى ينتفع وانما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم أو أخبرهم به نبي فى عصرهم (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بتخفيف الزاء كوفى تزور شامى تزاور غيرهم وأصله تتزاور فخفف بادغام التاء فى الزاء أو حذفها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق (عن كهفهم) أى تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم أى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم فى فجوة منه) فى متسع من الكهف والمعنى انهم فى ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع انهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل منفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها

فأووا الى الكهف) فادخلوا هذا الغار (ينشر لكم) يبسط لكم (ربكم من رحمته) من نعمته (ويهيء لكم من أمركم مرفقا) ما يرفق بكم غدا وهذا كله قول الفتية (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) تميل (عن كهفهم ذات اليمين) يمين الغار (واذا غربت تقرضهم) تتركهم (ذات الشمال) شمال الغار (وهم فى فجوة منه) فى ناحية من الكهف ويقال فى فضاء منه من الضوء (ذلك) الذى ذكرت من قصتهم (من آيات الله) من عجائب الله

عطف على الضمير المنصوب أى واذاعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذاعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم ﴿فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم﴾ يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم ﴿من رحمته﴾ فى الدارين ﴿ويهيء لكم من امركم مرفقا﴾ ما ترتفقون به اى تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى * وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح ﴿وترى الشمس﴾ لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل احد ﴿اذا طلعت تزاور عن كهفهم﴾ تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا أو لان الله تعالى زورها عنه واصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاء * وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر * وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ﴿ذات اليمين﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين ﴿واذا غربت تقرضهم﴾ تقطعهم وتصرم عنهم ﴿ذات الشمال﴾ يعنى يمين الكهف وشماله لقوله ﴿وهم فى فجوة منه﴾ أى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى الغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم ﴿ذلك من آيات الله﴾ أى شأنهم أو ايواؤهم الى كهف شأنه

الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذاعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته ﴿فأووا الى الكهف﴾ أى الجؤا اليه ﴿ينشر لكم﴾ أى يبسط لكم ﴿ربكم من رحمته ويهيء﴾ أى يسهل ﴿لكم من أمركم مرفقا﴾ أى ما يعود اليه يسركم ورفقكم * قوله سبحانه وتعالى ﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور﴾ أى تميل وتعدل ﴿عن كهفهم ذات اليمين﴾ أى جانب اليمين ﴿واذا غربت تقرضهم﴾ أى تتركهم وتعدل عنهم ﴿ذات الشمال وهم فى فجوة منه﴾ أى متسع من الكهف ﴿ذلك من آيات الله﴾ أى من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان فى ذلك السمت

طالعة وغاربة آية من آيات الله يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل
باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأن

كذلك أو خبارك قصتهم أو زورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله ﴿ من يهد الله ﴾ بالتوفيق ﴿ فهو المهتد ﴾ الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم أو التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها ﴿ ومن يضلل ﴾ ومن يخذله ﴿ فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ من يليه ويرشده ﴿ وتحسبهم ايقاظا ﴾ لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم ﴿ وهم رقود ﴾ نيام ﴿ ونقلبهم ﴾ في رقدتهم ﴿ ذات اليمين وذات الشمال ﴾ كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أي وترى تقلبهم ﴿ وكلبهم ﴾ هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم أي وصاحب كلبهم ﴿ باسط ذراعيه ﴾ حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل ﴿ بالوصيد ﴾ بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو ﴿ لوليت منهم فرارا ﴾ لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة

تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة أبدا لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أي ان شأنهم وحديثهم من آيات الله ﴿ من يهد الله فهو المهتد ﴾ يعني مثل أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم ﴿ ومن يضلل ﴾ أي ومن يضلله الله ولم يرشده ﴿ فلن تجد له وليا ﴾ أي معينا ﴿ مرشدا ﴾ أي يرشده * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وتحسبهم ﴾ خطابا لكل أحد ﴿ أيقاظا ﴾ أي منتبهين لان أعينهم مفتحة ﴿ وهم رقود ﴾ أي نيام ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون في يوم عاشوراء وقيل كان لهم في السنة تقليبتان ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه ﴾ قال ابن عباس كان كلبا أغر وعنه أنه كان فوق القلطي ودون الكرزي والقلطي كلب صيني وقيل كان أصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان قيل ليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم ﴿ بالوصيد ﴾ أي فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما قيل كان ينقلب مع أصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ يا محمد ﴿ لوليت منهم فرارا ﴾ وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ

وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) مثل ما مر في سبحان وهو ثناء عليهم انهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) اي من أضله فلا هادي له (وتحسبهم) بفتح السين شامي وحمزة وعاصم غير الاعشى وهو خطاب لكل أحد (أيقاظا) جمع يقظ (وهم رقود) نيام قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء (وكلبهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي (بالوصيد) بالفناء او بالعتبة (لو اطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت اليهم (لوليت منهم) لاعرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لان معنى وليت

(من يهد الله) لدينه (فهو المهتد) لدينه (ومن يضلل) عن دينه (فلن تجد له وليا مرشدا) موفقا يوفقه للهدى (وتحسبهم) يا محمد (أيقاظا) غير نيام
(وهم رقود) نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) في كل عام مرة لكي لا تأكل الارض لحومهم (وكلبهم) { الكتاب }
قطمير (باسط ذراعيه بالوصيد) بفناء الباب (لو اطلعت) هجمت (عليهم) في تلك الحال (لوليت منهم) لادبرت عنهم (فرارا)

هم فررت منهم (ولملئت منهم)وبتشديد اللام حجازى للمبالغة (رعبا تمييز وبضم العين شامى وعلى وهو الخوف الذى يرعب صدرأى يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أولطول أظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال أريد أن أدخل فقال ابن عباس رضى الله عنهما لقد قيل لمن خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بأمره فاحرقتهم ريح (وكذلك بعثناهم)وكما أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم اظهارا للقدرة على الانامة والبعث جميعا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا احوالهم وماصنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبثتم)كم مدة لبثكم(قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) بمدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالادلة أو بالهام ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم فى يومهم فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضى الله عنهما على ان الصحيح ان عددهم سبعة لانه قد قال فى الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا فى جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة وهذا قول جمع آخرين

والحال ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾ خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضى الله عنه انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنه ليس لك ذلك وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وماصنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ماانعم الله به عليهم ﴿ قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ﴾ بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة لبثه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى ﴿ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ﴾ ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم فى يومهم أو اليوم الذى

الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾ أى خوفا من وحشة المكان وقيل لان أعينهم مفتحة كالمتيقظ الذى يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم ✵ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ يعنى كما أنمناهم فى الكهف وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التى تشبه الموت ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ أى ليسأل بعضهم بعضا ﴿ قال قائل منهم ﴾ وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا ﴿ كم لبثتم ﴾ أى فى نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم راعهم مافاتهم من الصلاة فقالوا ذلك ﴿ قالوا لبثنا يوما ﴾ ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقى منها بقية فقالوا ﴿ أو بعض يوم ﴾ فلما نظروا الى طول شعورهم وأظفارهم علموا انهم لبثوا أكثر من يوم ﴿ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ﴾ وقيل ان

ثم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم

ولملئت منهم رعبا) لاخذت منهم خوفا (وكذلك) هكذا (بعثناهم) أيقظناهم بعد مامضى ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ليتساءلوا بينهم)ليتحدثوا فيما بينهم (قال قائل منهم)سيدهم وكبيرهم وهو مكسلمينا (كم لبثتم) مكثتم فى هذا الغار بعد النوم (قالوا لبثنا يوما) فلما خرجوا فنظروا الى الشمس وقد بقى منها شىء قالوا(أو بعض يوم قالوا) يعنى مكسلمينا (ربكم أعلم بما لبثتم) بعد النوم

تصاروا سبعة (فابعثوا أحدكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا فى شىء آخر مما يهمكم فابعثوا أحد
أي تمليخا (بورقكم) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وبسكون الراء أبو عمرو وحمزة وأبو بكر (هذه ا
المدينة) هى طرسوس وحملهم الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأى المتوكلين على ا
دون المتكلين على الانفاقات وعلى ما فى أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقو
ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (فلينظر أيها) أى أهلها فحذف كما فى واسئل القرية
وأي مبتدأ وخبره (أزكى) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (طعاما) تمييز

(فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو فى أمر التخفى حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير فى (انهم) راجع الى الاهل المقدر فى أيها (ان يظهروا عليكم) يطلعوا عليكم (يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة (أو يعيدوكم فى ملتهم) بالاكراه والعود بمعنى الصيرورة كثير فى كلامهم (ولن تفلحوا اذا أبدا) اذا يدل على الشرط أى ولن تفلحوا أن دخلتم فى دينهم أبدا (وكذلك اعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لما فى ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم

بعده قالوا ذلك ثم نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا ﴿ فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة ﴾ والورق الفضة مضروبة كانت أو غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأى المتوكلين والمدينة طرسوس ﴿ فلينظر أيها ﴾ أى اهلها ﴿ ازكى طعاما ﴾ احل واطيب واكثر وارخص ﴿ فليأتكم برزق منه وليتلطف ﴾ وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن أو فى التخفى حتى لا يعرف ﴿ ولا يشعرن بكم احدا ﴾ ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور ﴿ انهم ان يظهروا عليكم ﴾ ان يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها ﴿ يرجموكم ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿ أو يعيدوكم فى ملتهم ﴾ أو يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ﴿ ولن تفلحوا اذا ابدا ﴾ ان دخلتم فى ملتهم ﴿ وكذلك اعثرنا عليهم ﴾

مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم ﴿ فابعثوا أحدكم ﴾ يعنى تمليخا ﴿ بورقكم ﴾ هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ﴿ هذه الى المدينة ﴾ قيل هى طرسوس وكان اسمها فى الزمن الاول قبل الاسلام أفسوس ﴿ فلينظر أيها أزكى طعاما ﴾ أى أحل طعاما وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل أطيب طعاما وأجوده وقيل أكثر طعاما وأرخصه ﴿ فليأتكم برزق منه ﴾ أى قوت وطعام تأكلونه ﴿ وليتلطف ﴾ أى وليترفق فى الطريق وفى المدينة ولكن فى ستر وكتمان ﴿ ولا يشعرن ﴾ أى ولا يعلمن ﴿ بكم أحدا ﴾ أى من الناس ﴿ انهم ان يظهروا عليكم ﴾ أى يعلموا بمكانكم ﴿ يرجموكم ﴾ قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم ﴿ أو يعيدوكم فى ملتهم ﴾ أى الكفر ﴿ ولن تفلحوا اذا أبدا ﴾ اى ان عدتم اليه * قوله عز وجل ﴿ وكذلك اعثرنا عليهم ﴾ أى اطلعنا

(فابعثوا احدكم) تمليخا (بورقكم هذه) بدراهمكم هذه (الى المدينة) مدينة افسوس (فلينظر ايها ازكى طعاما) اكثر طعاما ويقال اطيب { الناس } خبزا واحل ذبيحة (فليأتكم برزق منه) بطعام منه (وليتلطف) برفق فى الشراء (ولا يشعرن بكم) لا يعلمن بكم (أحدا) من المجوس (انهم ان يظهروا) يطلعوا (عليكم) المجوس (يرجموكم) يقتلوكم (أو يعيدوكم) يرجعوكم (فى ملتهم) فى دينهم المجوسية (ولن تفلحوا) لن تنجوا من عذاب الله (اذا أبدا) اذا رجعتم الى دينهم (وكذلك) هكذا (اعثرنا) أطلعنا (عليهم) أهل مدينة أفسوس المؤمنين والكافرين وكان ملكهم يومئذ مسلما يسمى يستفادوس مات ملكهم المجوسى دقيانوس قبل ذلك

(ليعلموا) أى الذين أطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) وهو البعث (حق) [illegible] مدة [illegible] يموت ثم يبعث (وان الساعة لا ريب فيها) [illegible] يستدلون بأمرهم على صحة البعث ([illegible]) متعلق [illegible] أى أعثرناهم
[illegible] حين يتنازع أهل ذلك [illegible] بينهم أمرهم أمر دينهم [illegible] في حشر [illegible] يقول تبعث الارواح
دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح [illegible] الخلاف [illegible] حشر الاجساد [illegible] فيها
أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف [illegible] أى على باب كهفهم لئلا
يطرق اليهم الناس تضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] (ربهم أعلم بهم) من كلام
المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام فى أنسابهم وأحوالهم ومدة
لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين فى حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روى ان أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد فى ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم [illegible] على [illegible] [illegible] بكلب [illegible] الله

وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ﴿ليعلموا﴾ [illegible] حالهم ﴿ان وعد الله﴾ بالبعث أو الموعود الذى هو البعث ﴿حق﴾ لان [illegible] كحال من يموت ثم يبعث ﴿وان الساعة لا ريب فيها﴾ وان القيامة لا ريب فى [illegible] فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل و[illegible] ارسالها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر [illegible] عليها ﴿اذ يتنازعون﴾ ظرف لاعثرنا أى اعثرنا عليهم حين يتنازعون ﴿بينهم أمرهم﴾ امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان [illegible] الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا أو امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة وقال طائفة نبنى عليهم بنيانا [illegible] الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾ وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين أو من المتنازعين فى زمانهم أو من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو من

التناس عليهم ﴿ليعلموا ان وعد الله حق﴾ يعنى قوم بيدروس [illegible] البعث ﴿وان الساعة لا ريب فيها﴾ أى لا شك انها آتية ﴿اذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ قال ابن عباس فى البنيان فقال المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبنى بنيانا لانهم على ديننا وقيل فى تنازعهم فى البعث فقال المسلمون يبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح [illegible] الله آية ان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا فى مدة لبثهم وقيل فى عددهم ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ يعنى بيدروس وأصحابه ﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾

تعالى فقال ما تريدون منى انى أحب أحدكم ([illegible] و خا ١٣ ع) [illegible] أما [illegible]
على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقيل ان بعثهم الله [illegible] رجل [illegible] من [illegible]
البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته [illegible] ولبس مسحا وجلس على [illegible] الله فى
نفس رجل من عيالهم [illegible] الكهف يتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة [illegible] أخرج
الورق وكان [illegible] كنز [illegible]

(ليعلموا) يعنى المؤمنين [illegible] البعث بعد الموت [illegible]
بينهم أمرهم) اذ يختلفون فى نومهم [illegible] (فقالوا) يعنى الكافرين (ابنوا عليهم بنيانا) [illegible]
غلبوا على أمرهم) على قولهم وهم المؤمنون (لنتخذن عليهم مسجدا) لانهم على ديننا [illegible]

وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم فى المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) الضمير فى سيقولون لمن خاض فى قصتهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجرى بينهم من اختلافهم فى عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم

ويروى ان السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل وعن على رضى الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير

وسين الاستقبال وان دخل فى الاول دون الآخرين فهما داخلان فى حكم السين كقولك قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع فى الفعلين جميعا أو أريد بيفعل معنى الاستقبال الذى هو صالح له ثلاثة خبر مبتدأ محذوف أى هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب رميا بالخبر الخفى واتيانا به كقوله ويقذفون

المتنازعين لرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثمه مسجدا ﴿ سيقولون ﴾ اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ﴿ ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ أى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ﴿ ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ﴾ قاله النصارى أو العاقب منهم وكان نسطوريا ﴿ رجما بالغيب ﴾ يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع لهم عليه واتيانا به أو ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبرائيل عليه السلام وايماء الله

❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ روى ان السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ﴿ ويقولون ﴾ أى وقال العاقب وكان نسطوريا ﴿ خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون ﴾ وقال المسلمون ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار

اختلافهم فى هذا (سيقولون) نصارى أهل نجران السيد وأصحابه وهم النسطورية (ثلاثة) هم ثلاثة (رابعهم كلبهم) قطمير (ويقولون) العاقب وأصحابه وهم المار يعقوبية (خمسة) هم خمسة (سادسهم كلبهم رجما بالغيب) ظنا بالغيب بغير علم (ويقولون) أصحاب الملك وهم الملكانية (سبعة) هم سبعة (وثامنهم كلبهم) قطمير

باب أى بأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق
ادهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة
لا عن المعرفة فى قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة
ى ان اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هى التى اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما
هم غيرهم دليله ان الله تعالى أتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قل ربى أعلم بعدتهم) أى قل ربى أعلم بعدتهم وقد أخبركم بها بقوله سبعة وثامنهم كلبهم (ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس رضى الله عنهما انا من ذلك القليل وقيل الا قليل من أهل الكتاب والضمير فى سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أى سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا فى قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف (الامراء ظاهرا) لا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو تشهد من الناس ليظهر صدقك (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيأ فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد أرشد بان أوحى اليك قصتهم

تعالى اليه بان اتبعه قوله ﴿ قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ﴾ واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان أثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان أتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن على كرم الله وجهه هم سبعة وثامنهم كلبهم واسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش أصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعى الذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم أفسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم ﴿ فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ﴾ فلا تجادل فى شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ﴿ ولا تستفت فيهم منهم أحدا ﴾ ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما أوحى اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤل

رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعدما حكى قول النصارى أولا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجما بالغيب أى ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل ذلك فى السبعة وتخصيص الشئ بالوصف يدل على ان الحال فى الباقى بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى فى كونه رجما بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ﴾ هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه فى الماضى والمستقبل لا يكون الا لله تعالى أو من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما انا من أولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس وسارينونس وذونوانس وكشفيططنونس وهو الراعى واسم كلبهم قطمير ﴿ فلا تمار فيهم ﴾ أى لا تجادل ولا تقل فى عددهم وشأنهم ﴿ الا مراء ظاهرا ﴾ أى الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ﴿ ولا تستفت فيهم ﴾ أى فى أصحاب الكهف ﴿ منهم ﴾ أى من أهل الكتاب ﴿ أحدا ﴾ أى لا ترجع الى قول أحد منهم بعد ان أخبرناك قصتهم ﴿ قوله سبحانه

ال) لهم يا محمد (ربى أعلم بعدتهم) بعددهم (ما يعلمهم الا قليل) من المؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا من ذلك القليل هم
نية سوى الكلب (فلا تمار فيهم) فلا تجادل معهم فى عددهم (الا مراء ظاهرا) الا أن تقرأ القرآن عليهم ظاهرا (ولا تستفت
م منهم احدا) لا تسأل أحدا منهم من عددهم يكفيك ما بين الله لك

(ولاتقولن لشئ) لأجل شئ تعزم عليه (انى فاعل ذلك) الشئ (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (الا أن يشاء الله) أن تقوله بأن يأذن لك فيه أو ولا تقولنه الا بأن يشاء الله أى الا بمشيئته وهو فى موضع الحال يعنى الا متلبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله [illegible] متعلق ذلك الا بمشيئة الله تعالى لان قوله [illegible] الا بمشيئة الله وهذا نهى تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحى حتى شق عليه (واذكر ربك) أى مشيئة ربك وقل ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن ما دام فى مجلس التذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء فأما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الا متصلا وحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضى عنه أو واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا (أى) فى البعث على الاهتمام بها أو وصل صلاة نسيتها اذا ذكرتها أو اذا نسيت شيئا فاذكره ليذكرك المنسى (وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا) يعنى اذا نسيت

عنه وترغيب فيه فانه تخلق بأخلاق الله ﴿ ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ﴾ نزلت حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهى أى ولاتقولن لأجل شئ تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا بأن يشاء الله أى الا متلبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله أو الا وقت أن يشاء الله أن تقوله بمعنى أن يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهى ﴿ واذكر ربك ﴾ مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روى أنه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله ﴿ اذا نسيت ﴾ اذا فرط منك نسيان لذلك ثم ذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس فى الآية والخبر ان الاستثناء متدارك من القول السابق بل هو من مقدر مدلول عليه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك أو اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى ﴿ وقل عسى أن يهدين ربى ﴾ يوفقنى ﴿ لأقرب من هذا رشدا ﴾ لأقرب رشدا وأظهر دلالة

قوله تعالى ﴿ ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ﴾ يعنى اذا عزمت على فعل شئ غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استثناء وذلك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى أياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة فى سورة بنى اسرائيل ﴿ واذكر ربك اذا نسيت ﴾ قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام فى المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل فى معنى الآية واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب فى التوراة والانجيل ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وقيل الآية فى الصلاة يدل عليه ما روى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها قال تعالى أقم الصلوة لذكرى متفق عليه زاد مسلم أو نام عنها فكفارتها أن يصليها اذا ذكرها ﴿ وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا ﴾

(ولاتقولن) يا محمد لشئ أنى فاعل ذلك غدا) أو قابل (الا أن يشاء الله) الا أن تقول ان شاء الله (واذكر ربك) بالاستثناء (اذا نسيت) [illegible] (وقل عسى أن يهدين ربى) يدلنى ويرشدنى (لأقرب) لأصوب (من هذا رشدا)

شـ فاذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربى ان يهدينى لشئ آخر بدل هذا المنسى

لى نبى من نبأ أصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه إمهم والأخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة ولاقرب رشدا أوادنى خيرا من المنسى ﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ يعنى لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية لام أهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة سنين وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائى ثلاثمائة سنين بالاضافة على ضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان لاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث ﴿ قل الله أعلم بما ثوا له غيب السموات والارض ﴾ له ما غاب فيها وخفى من احوال اهلها فلا خلق يخفى

ى يثبتنى على طريق هو أقرب اليه وأرشد وقيل ان الله سبحانه وتعالى أمره أن ذكره اذا نسى شيأ ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر مانسى قيل ان القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه تعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ماهو دل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم اهو أوضح وأقرب الى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل هذا شئ أمره الله ن يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسى الانسان قوله ان شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله ان شاء الله عسى أن يهدينى ربى لاقرب من هذا شدا ✿ قوله عز وجل ﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ والاصح أنه اخبار ن الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا يعنى ان نازعوك فى مدة لبثهم فى الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أى هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم قيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا نى بعد قبض أرواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله ٭ فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين نزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران أما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما لتسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله أعلم بما لبثوا وقيل ان عند أهل الكتاب لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية فى كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع سنين قمرية ﴿ له غيب السموات والارض ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أحوالها

أقرب منه رشدا أوأدنى خيرا ومنفعة ان يهدين ان ترنى أن يؤتين ان تعلمن مكى فى الحالين ووافقه أبو عمرو ومدنى فى الوصل (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا وسنين عطف بيان لثلاثمائة ثلاثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلى على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله بالاخسرين أعمالا (وازدادوا تسعا) أى تسع سنين لدلالة ماقبله عليه وتسعا مفعول به لان زاد تقتضى مفعولين فازداد يقتضى مفعولا واحدا (قل الله أعلم بما لبثوا) أى هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به أو حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم والجمهور على ان هذا اخبار من الله سبحانه وتعالى انهم لبثوا فى كهفهم كذا مدة (له غيب السموات والارض)

صوا او يقينا نزلت هذه الآية فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال لمشركى أهل مكة

أقول لكم فلم يقل ان شاء الله فيما سألوه عن خبر الروح (ولبثوا) مكثوا (فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) تسع سنين اقبل ان أيقظهم الله (قل) يا محمد (الله أعلم بما لبثوا) بما مكثوا بعد ذلك (له غيب السموات والارض) ما غاب عن العباد

ذكر اختصاصه به إما غاب في السموات والارض وخفي فيهما من أحوال أهلها (أبصر به وأسمع) أي وأسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمعه لكل مسموع (مالهم) لاهل السموات والارض (م

دونه من ولي) من متولي لامورهم (ولا شرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم ولا تشرك على النهي شامي كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك) أي من القرآن ولا تسمع لما يهزؤن به من طلب التبديل فانه (لا مبدل لكلماته) أي لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده (وان تجد من دونه ملتحدا) ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) واحبسها معهم وثبتها

عليه علما ﴿أبصر به وأسمع﴾ ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله أبصر أي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له أو لزيادة الباء كما في قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ﴿مالهم﴾ الضمير لاهل السموات والارض ﴿من دونه من ولي﴾ من يتولى امورهم ﴿ولا يشرك في حكمه﴾ في قضائه ﴿احدا﴾ منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال ﴿واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك﴾ من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ﴿وان تجد من دونه ملتحدا﴾ ملجأ تعدل اليه ان هممت به ﴿واصبر نفسك﴾ احبسها وثبتها ﴿مع الذين يدعون ربهم

فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف ﴿أبصر به وأسمع﴾ معناه ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا تخفى عليه خافية ﴿مالهم﴾ أي ما لاهل السموات والارض ﴿من دونه﴾ أي من دون الله ﴿من ولي﴾ أي ناصر ﴿ولا يشرك في حكمه أحدا﴾ قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه أحدا وقيل في قضائه * قوله سبحانه وتعالى ﴿واتل﴾ أي واقرأ يا محمد ﴿ما أوحي اليك من كتاب ربك﴾ يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي لا مغير للقرآن ولا يقدر أحد على التطرق اليه بتغيير أو تبديل فان قلت موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه * قلت النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما أوعد الله بكلماته أهل معاصيه ﴿وان تجد من دونه﴾ أي من دون الله ان لم تتبع القرآن ﴿ملتحدا﴾ أي ملجأ وحرزا تعدل اليه * قوله عز وجل ﴿واصبر نفسك﴾ الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها ان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا فأنزل الله عز وجل واصبر نفسك أي احبس يا محمد نفسك ﴿مع الذين يدعون ربهم

(أبصر به وأسمع) ما أبصره وأعلمه بهم وشأنهم (مالهم من دونه) من دون الله (من ولي) يحفظهم ويقال مالهم لاهل مكة من دونه من عذاب الله من ولي قريب ينفعهم (ولا يشرك في حكمه) في حكم الغيب (أحدا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك) يقول اقرأ عليهم القرآن ولا تزد فيه ولا تنقص منه (لا مبدل لكلماته) لا مغير (بالغداة)
لكلماته (وان تجد من دونه) من دون الله (ملتحدا) ملجأ (واصبر نفسك) احبس نفسك (مع الذين يدعون ربهم) يعبدون ربهم

[ب]ـالغداة والعشى) دائبين على الدعاء فى كل وقت أو بالـغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشى لطلب عفو التقصـير
[ا]صلاة الفجر والعصر بالغدوة شامى (يريدون وجهه) رضا الله (ولا تعد عيناك
عنهم) ولا تجـاوز عداه
اذا جاوزه وعـدى بعن
لتضمن عدا معنى نبا فى قولك
نبت منه عينه وفائدة التضمين
اعطاء مجموع معنيين وذلك
أقوى من اعطاء معنى فذ
(تريد زينـة الحيـوة
الدنيـا) فى موضع الحال
(ولا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا) من جعلنا قلبه
غافلا عن الذكر وهو دليل
لنا على انه تعالى خالق أفعال
العباد (واتبع هواه وكان
أمره فرطا) مجاوزا عن
الحق (وقل الحق من ربكم)
أى الاسلام أو القرآن والحق
خبر مبتدأ محذوف أى هو (فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

[ب]الغداة والعشى ﴾ فى مجامع اوقاتهم أو فى طرفى النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة
فى الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير ﴿ يريدون وجهه ﴾ رضى الله وطاعته ﴿ ولا تعد
[عي]ناك عنهم ﴾ ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا يقال نبت وعلت
[عنه] عينه اقتحمته ولم تعلق به والغرض فى هذا اعطاء معنيين أى لا تقتحمهم عيناك متجاوزتين
[الى] غيرهم وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهى الرسول صلى الله عليه
[و]سلم ان يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زى الاغنياء ﴿ تريد
[زي]نة الحيوة الدنيا ﴾ حال من الكاف فى القراءة المشهورة ومن المستكن فى الفعل فى غيرها
[﴿] ولا تطع من اغفلنا قلبه ﴾ من جعلنا قلبه غافلا ﴿ عن ذكرنا ﴾ كأمية بن خلف فى دعائك
[الى] طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعى له الى هذا الاستدعاء
[غف]لة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتى خفى عليه ان الشرف بحلية النفس
[لا] بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله فى الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسـناد الاغفال الى الله
[تعا]لى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك أو نسبته اليه أو من اغفل ابله اذا تركها
[بغي]ر سمة أو لم يسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان واحتجوا عـلى ان
[المر]اد ليس ظاهر ما ذكروا بقوله ﴿ واتبع هواه ﴾ وجوابه ما مر غـير مرة وقرئ
[أغ]فلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة ﴿ وكان
[أم]ره فرطا ﴾ أى مقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط أى متقدم للخيل ومنه
[الف]رط ﴿ وقل الحق من ربكم ﴾ الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز
[ان] يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾

[بالغ]ـداة والعشى ﴾ يعـنى طرفى النهـار ﴿ يريدون وجهـه ﴾ أى يريدون وجه الله
[لا ي]ريدون عرض الدنيا وقيل نزلت فى أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء
[فى] مسجد رسـول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع
[يص]لون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسـلم
[الحم]د لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهـم ﴿ ولا تعد ﴾ تصرف
[ولا ت]جاوز ﴿ عيناك عنهم ﴾ الى غيرهم ﴿ تريد زينة الحيوة الدنيا ﴾ أى تطلب مجالسة
[الا]غنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ اى جعلنا
[قلب]ه غافلا عن ذكرنا يعنى عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف ﴿ واتبع هواه ﴾ أى
[فى] طلب الشهوات ﴿ وكان أمره فرطا ﴾ ضياعا ضيع أمره وعطل أيامه وقيـل ندما
[وقي]ل سرفا وباطلا وقيل مخـالفا للحق ﴿ وقل الحق من ربكم ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء
[الذي]ن أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى
[وال]ضلال ليس الى من ذلك شئ ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ هذا على طريق

(بالغداة والعشى) غدوة
وعشية يعنى سلمان وأصحابه
(يريدون وجهه) يريدون
بذلك وجه الله ورضـاه
(ولا تعد عيناك عنهم) لا تجاوز
عيناك عنهم (تريد زينة الحيوة
الدنيا) يريدون الزينة (ولا
تطع من أغفلنا قلبه عن
ذكرنا) عن توحيدنا (واتبع
هواه) فى عبـادة الاصنـام
(وكان أمره) قوله (فرطا)
ضـ[ي]اعا نزلت هذه الآية فى
عيينة بن حصن الفزارى
(وقل) لعيينة (الحق) لا اله الا الله (من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

أي جاء الحق وزاحت علل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء بلفظ الا
والتخيير لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بان يتحرى ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر
(انا أعتدنا للظالمين)

بالسيق كأن كانت حقيقة لامرو
بالسيق وهو قوله انا أعتدنا للظالمين (نارا أحاط بهم سرادقها) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) هو دردي الزيت أو ما أذيب من جواهر الارض وفيه تهكم بهم (يشوي الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته (بئس الشراب) ذاك (وساءت النار مرتفقا) متكأ من الرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار وبين جزاء من اختار الايمان فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا)

هذا وعيد من الله وبقال فمن شاء فليؤمن بقول من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء فليكفر من شاء الله له الكفر كفر (انا أعتدنا للظالمين) لعينة وأصحابه (نارا أحاط بهم سرادقها) سرادق النار يحيط بهم (وان يستغيثوا) (يجازيهم للغصة بالماء (يغاثوا بماء كالمهل) كدردي الزيت وبقال بالفضة المذابة (يشوي الوجوه) ينضج الوجوه (بئس الشراب وساءت مرتفقا) منزلا يقول بئس الدار رفقائهم شياطين والكفار (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (انا لانضيع) لانبطل (اجر من أحسن عملا) ثواب من

لا يبالي بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي الست لان العبد يفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئة ﴿انا أعتدنا﴾ هيأنا ﴿للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾ فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار ﴿وان يستغيثوا﴾ من العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله «فأعتبوا بالصيلم» ﴿يشوي الوجوه﴾ اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء أو حال من المهل أو من الضمير في الكاف ﴿بئس الشراب﴾ المهل ﴿وساءت﴾ النار ﴿مرتفقا﴾ متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا﴾

التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم أي لست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم نارا وان آمنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس في معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر ﴿انا أعتدنا﴾ أي هيأنا من العتاد وهو العدة ﴿للظالمين﴾ أي الكافرين ﴿نارا أحاط بهم سرادقها﴾ السرادق الحجرة التي تطيف بالفساطيط عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار أربعون سنة اخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار ﴿وان يستغيثوا﴾ أي من شدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت ﴿ع﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه اخرجه الترمذي وقال رشدين أحد رواة حديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب ﴿يشوي الوجوه﴾ أي ينضج الوجوه من حره ﴿بئس الشراب﴾ أي ذلك الذي يغاثون به ﴿وساءت﴾ أي النار ﴿مرتفقا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما منزلا وقيل مجتمعا وأصل المرتفق المتكأ والما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكأ ✹ قوله عز وجل ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا﴾ أي لانترك أعمالهم تذهب ضياعا بل

أولئك لهم جنات عدن) كلام مستأنف لبيان الاجر المبهم ولك أن تجعل انا لا نضيع وأولئك خبرين معا والمراد من أحسن
منهم عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فأقام
من أحسن مقام الضمير (تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور) من الابتداء وتنكير أساور وهي جمع اسورة التى
هي جمع سوار لابهام أمرها فى الحسن (من ذهب) من التبيين (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مارق من الديباج
(واستبرق) ماغلظ منه أى يجمعون بين النوعين (متكئين فيها على الارائك) خص الاتكاء
لانه هيئة المتنعمين والملوك
على أسرتهم (نعم الثواب)
الجنة (وحسنت) الجنة
والارائك (مرتفقا) متكأ
(واضرب لهم مثلا رجلين)
مثل حال الكافرين والمؤمنين
بحال رجلين وكانا أخوين
فى بنى أسرائيل أحدهما كافر
اسمه قطروس والآخر
مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما
المذكوران فى والصافات فى
قوله قال قائل منهم انى كان لى
قرين ورثا من أبيهما ثمانية
آلاف دينار فجعلاها شطرين
فاشترى الكافر أرضا بالف
دينار فقال المؤمن اللهم ان
أخى اشترى أرضا بالف
دينار وأنا أشترى منك أرضا
فى الجنة بالف فتصدق به
ثم بنى أخوه دارا بالف فقال

أخلص عملا (أولئك لهم
جنات عدن) مقصورة
الرحمن (تجرى من تحتهم)
أى من تحت شجرهم ومساكنهم
(الانهار) أنهار الخمر والماء
والعسل واللبن (يحلون فيها)
يحلون فى الجنة (من أساور من ذهب) (فاوخا ١٤ بع) اقلبة ذهب (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مالطف من
الديباج (واستبرق) ماثخن من الديباج (متكئين فيها) جالسين فى الجنة (على الارائك) فى الحجال (نعم الثواب) الجزاء
الجنة (وحسنت مرتفقا) منزلا يقول حسنت الدار دار رفقائهم الانبياء والصالحون (واضرب لهم مثلا) بين لاهل مكة صفة
(رجلين) اخوين فى بنى اسرائيل

خبر ان الاولى هى الثانية بما فى حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن
عملا منهم أو مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك
نعم الرجل زيد أو واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لايحسن
اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اوخبرها ﴿ اولئك لهم جنات
عدن تجرى من تحتهم الانهار ﴾ ومابينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر
وخبر ثان ﴿ يحلون فيها من اساور من ذهب ﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان
صفة لأساور وتنكيرها التعظيم حسنها عن الاحاطة به وهو جمع اسورة أو اسوار فى جمع سوار
﴿ ويلبسون ثيابا خضرا ﴾ لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة ﴿ من سندس
واستبرق ﴾ هو مارق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ماتشتهى
الانفس وتلذ الاعين ﴿ متكئين فيها على الارائك ﴾ على السرر كما هو هيئة المتنعمين
﴿ نعم الثواب ﴾ الجنة ونعيمها ﴿ وحسنت ﴾ الارائك ﴿ مرتفقا ﴾ متكأ
﴿ واضرب لهم مثلا ﴾ للكافر والمؤمن ﴿ رجلين ﴾ حال رجلين مقدرين

يجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لانضيع أجر من أحسن عملا كلام معترض
وتقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ أولئك لهم جنات عدن ﴾ أى دار اقامة
سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها ﴿ تجرى من تحتها الانهار ﴾ وذلك لان أفضل المساكين
ما كان يجرى فيه الماء ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة اساور
سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ
لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴿ ويلبسون ثيابا خضرا من سندس ﴾ هو الديباج الرقيق
﴿ واستبرق ﴾ هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب ﴿ متكئين ﴾ خص
الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك ﴿ فيها ﴾ أى فى الجنة ﴿ على الارائك ﴾ جمع أريكة وهى
السرر فى الحجال ﴿ ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال ﴿ نعم الثواب ﴾
أى نعم الجزاء ﴿ وحسنت ﴾ أى الجنات ﴿ مرتفقا ﴾ أى مقرا ومجلسا والمراد بقوله
وحسنت مرتفقا مقابلة ماتقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفقا ﴿ قوله
عز وجل ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين ﴾ قيل نزلت فى أخوين من أهل مكة من بنى
مخزوم وهما أبو سلمة عبدالله بن عبدالاسد بن عبد ياليل وكان مؤمنا وأخوه الاسود

وهو جود بن هم اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه فطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل أمرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾ بستانين ﴿من اعناب﴾ من الكروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل أو صفة للرجلين ﴿وحففناهما بنخل﴾ وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به ﴿وجعلنا بينهما﴾ وسطهما ﴿زرعا﴾ ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق ﴿كلتا الجنتين آتت اكلها﴾ ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله

ابن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههما برجلين من بني اسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى في سورة والصافات ❊ وكانت قصتهما على ماذكره عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بالف دينار واني قد اشتريت منك أرضا في الجنة بالف دينار فتصدق به ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار واني اشتريت منك دارا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة فانفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم اني أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم اني اشترى منك خدما ومتاعا بالف دينار في الجنة فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي لعل ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتعينني بخير قال فما فعلت بمالك وقد قاسمتك مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيأ فطرده فقضي لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين وروى انه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾ أي بستانين ﴿من أعناب وحففناهما﴾ أي أطفناهما من جوانبهما ﴿بنخل﴾ و جعلنا بينهما زرعا ﴿أي و جعلنا بين النخل والاعناب زرع وقيل بينهما أي بين الجنتين يعني لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع ﴿كلتا الجنتين آتت﴾ أي أعطت كل واحدة من الجنتين ﴿أكلها﴾ أي ثمرها

اللهم انى اشترى منك [illegible] في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بالف وقـ

اللهم في الجنة [illegible]
اخوه [illegible]
خادما [illegible]
دينار [illegible]
الالف [illegible] بالف
فتصدق به ثم أصابته حاجة
فجلس لاخيه على طريقه
فمر به في حشمه فتعرض له
فطرده ووبخه على التصدق
قال له (جعلنا لأحدهما جنتين
من أعناب) بستانين من كروم
(وحففناهما بنخل) وجعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا
مما يؤثره الدهاقين في كرومهم
أن يجعلوها مؤزرة بالاشجار
المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به
وحففته بهم أي جعلتهم
حافين حوله وهو متعد الى
مفعول واحد فتزيده الباء
مفعولا ثانيا (وجعلنا بينهما
زرعا) جعلناها أرضا جامعة
للاقوات والفواكه ووصف
العمارة بانها متواصلة متشابكة
لم يتوسطها ما يقطعها مع
الشكل الحسن والترتيب
الانيق (كلتا الجنتين آتت)
أعطت حمل على لفظ كلا لان
لفظ كلتا مفرد ولو قيل آتتا
على المعنى جاز (اكلها)

أحدهما مؤمن وهو يهوذا
والآخر [illegible] وهو أبو
فطروس [illegible] (لأحدهما)
للكافر [illegible] بستانين
من [illegible] كروم
(وحففناهما [illegible]

بنخل (وجعلنا بينهما) بين البستانين (زرعا) مزرعا (كلتا الجنتين) البستانين (آتت أكلها) أخرجت ثمرها كل عام (تاما)

ثمرها (ولم تظلم منه) ولم تنقص من اكلها (شيأ وفجرنا خلالهما نهرا) نعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها (وكان له) لصاحب الجنتين (ثمر) أنواع من المال من ثمر ماله اذا كثر أي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما له ثمر وأحيط بثمره بفتح الثاء والميم عاصم وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو وبضمهما غيرهما

(فقال لصاحبه وهو يحاوره) يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أنصارا وحشما وأولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث (ودخل جنته) احدى جنتيه أو سماهما جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجاري بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بالكفر (قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) أي أن تهلك هذه الجنة شك في بيودة جنته لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة وترى أكثر الاغنياء من المسلمين تنطق ألسنة أحوالهم بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها) ... على أن ... ان ذلك على سبيل الفرض ... كائن ... صاحبه بجنتين ... آخرة خيرا من جنته في الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده منقلبا تميز أي مرجعا وعاقبة (قال له صاحبه وهو يحاوره)

﴿ ولم تظلم منه ﴾ ولم تنقص من اكلها ﴿ شيأ ﴾ يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا ﴿ وفجرنا خلالهما نهرا ﴾ ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف ﴿ وكان له ثمر ﴾ انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك احيط بثمره ﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره ﴾ وهو يراجعه في الكلام من حار اذا رجع ﴿ انا اكثر منك مالا واعز نفرا ﴾ حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ﴿ ودخل جنته ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة ﴿ وهو ظالم لنفسه ﴾ ضار لها بعجبه وكفره ﴿ قال ما اظن ان تبيد ﴾ أن تفنى ﴿ هذه ﴾ الجنة ﴿ ابدا ﴾ لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ﴿ وما اظن الساعة قائمة ﴾ كائنة ﴿ ولئن رددت الى ربي ﴾ بالبعث كما زعمت ﴿ لأجدن خيرا منها ﴾ من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين ﴿ منقلبا ﴾ مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه انما يلقاه ﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره ﴾

تماما ﴿ ولم تظلم منه شيأ ﴾ أي ولم تنقص منه شيأ ﴿ وفجرنا خلالهما ﴾ شققنا وسطهما ﴿ نهرا وكان له ﴾ أي لصاحب البستان ﴿ ثمر ﴾ قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما ﴿ فقال ﴾ يعني صاحب البستان ﴿ لصاحبه ﴾ يعني المؤمن ﴿ وهو يحاوره ﴾ أي يخاطبه ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ أي عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ﴿ ودخل جنته ﴾ يعني الكافر آخذا بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه اياها ﴿ وهو ظالم لنفسه ﴾ أي بكفره ﴿ قال ما أظن أن تبيد ﴾ أي تهلك ﴿ هذه ﴾ يعني جنته ﴿ أبدا ﴾ وذلك انه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى أبدا وأنكر البعث فقال ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أي كائنة ﴿ ولئن رددت الى ربي ﴾ فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت الى ربي على ما تزعم من أن الساعة آتية ﴿ لأجدن خيرا منها منقلبا ﴾ أي يعطيني هنالك خيرا منها لانه لم يعطني الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الآخرة أفضل منها ﴿ قال له صاحبه ﴾ يعني المؤمن ﴿ وهو يحاوره ﴾

(ولم تظلم) تنقص (منه شيأ وفجرنا خلالهما) وسطهما (نهرا وكان له ثمر) يعني ثمرة البستان ان قرأت بالنصب وتقال مال ان قرأت بالضم (فقال لصاحبه) المؤمن يهوذا (وهو يحاوره) يفاخره بالمال (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أكثر خدما (ودخل جنته) بستانه (وهو ظالم لنفسه) بالكفر (قال ما أظن أن تبيد) أن تهلك (هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت) رجعت (الى ربي) كما تقول (لاجدن خيرا منها) من هذه الجنة (منقلبا) مرجعا (قال له صاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) يراجعه عن كفره

أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك لان خلق أصله سبب في خلقه وكان خلقه خلقا له (ثم من نطفة) أي خلقك منها
نطفة (ثم سواك رجلا) عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله لشكه في البعث (لكنا) بالالف
في الوصل شامي الباقون بغير ألف وبالالف في الوقف اتفاق وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت
النونان فادغمت الاولى في الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربي) هو ضمير الشأن والشأن
ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف أي أقول هو الله بدليل عطف (ولا أشرك بربي أحدا ولولا) وهلا (اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ماشاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعني أي شيء شاء الله كان ومعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ماشاء الله اعترافا بانها وكل مافيها انما حصل بمشيئة الله وان أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها (لاقوة الا بالله) اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده من قرأ (ان ترني أنا أقل منك مالا) نصب أقل فقد جعل أنا فصلا

أكفرت بالذي خلقك من تراب ﴾ لانه اصل مادتك أو مادة اصلك ﴿ ثم من نطفة ﴾ فانها مادتك القريبة ﴿ ثم سواك رجلا ﴾ ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على ان يعيده منه ﴿ لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ﴾ اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت بنقل الحركة أو دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة أو لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبر له خبر انا أو ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كأنه قال انت كافر بالله لكن انا مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ﴿ ولولا اذ دخلت جنتك قلت ﴾ وهلا قلت عند دخولها ﴿ ماشاء الله ﴾ الامر ماشاء الله أو ماشاء الله كائن على ان ما موصولة أو أي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها ﴿ لاقوة الا بالله ﴾ وقلت لاقوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فاعجبه فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله لم يضره ﴿ ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ﴾ يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول

أكفرت بالذي خلقك من تراب ﴾ أي خلق أصلك من تراب لان خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه له ﴿ ثم من نطفة ثم سواك رجلا ﴾ أي عدلك بشرا سويا وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال ﴿ لكنا هو الله ربي ﴾ مجازه لكن أنا هو الله ربي ﴿ ولا أشرك بربي أحدا ولولا ﴾ أي هلا ﴿ اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله ﴾ ومعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها ماشاء الله اعترافا بانه وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان أمرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وان شاء تركها خرابا ﴿ لاقوة الا بالله ﴾ أي وقلت لاقوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة الله وتأييده ولا أقدر على حفظ مالي ودفع شيء عنه الا بالله روى عن عروة بن الزبير أنه كان اذا رأى من ماله شيأ يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال ماشاء الله لاقوة الا بالله حتى يخرج من البستان ﴿ ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا ﴾ أي لاجل

ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله (وولدا) نصرة (لذلك)

(أكفرت بالذي خلقك من تراب) من آدم وآدم من تراب (ثم من نطفة) من نطفة أبيك (ثم سواك رجلا) معتدل القامة
(لكنا) لكن أنا أقول (هو الله ربي) خالقي ورازقي (ولا أشرك بربي أحدا) من الاوثان (ولولا اذ دخلت) فهلا دخلت (جنتك
بستانك (قلت ماشاء الله) هذا من الله ليس مني (لاقوة الا بالله) هذا بقوة الله لا بقوتي (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا)

فسر النفر بالاولاد فى قوله واعز نفرا (فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك) فى الدنيا أو فى العقبى (و يرسل عليها
حسبانا) عذابا (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها (أو يصبح ماؤها غورا) غائرا أى
ذاهبا فى الارض (فلن تستطيع له طلبا) فلا يتأتى منك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى ان ترن أفقر منك فانا أتوقع
من صنع الله أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى جنة خيرا
من جنتك و يسلبك لكفرك نعمته و يخرب بساتينك (وأحيط بثمره) هو عبارة عن اهلاكه وأصله من أحاط به العدو لانه اذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاك (فاصبح) أى الكافر (يقلب كفيه) يضرب احداهما على الاخرى ندما وتحسرا وانما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط فى اليد ولانه فى معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم (على ما أنفق فيها) أى فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) يعنى ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم (ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) تذكر موعظة أخيه فعلم انه

وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثانى لترن وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد ﴿ فعسى ربى ان يؤتينى خيرا من جنتك ﴾ فى الدنيا أو فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط ﴿ ويرسل عليها ﴾ على جنتك لكفرك ﴿ حسبانا من السماء ﴾ مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الاعمال السيئة ﴿ فتصبح صعيدا زلقا ﴾ ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها ﴿ أو يصبح ماؤها غورا ﴾ أى غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق ﴿ فلن تستطيع له طلبا ﴾ للماء الغائر ترددا فى رده ﴿ واحيط بثمره ﴾ واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم ﴿ فاصبح يقلب كفيه ﴾ ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا ﴿ على ما انفق فيها ﴾ فى عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم أو حال أى متحسرا على ما انفق فيها ﴿ وهى خاوية ﴾ ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها عليها ﴿ ويقول ﴾ عطف على يقلب أو حال من ضميره ﴿ ياليتنى لم اشرك بربى احدا ﴾ كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم

ذلك تكبرت على وتعظمت ﴿ فعسى ربى ﴾ أى فلعل ربى ﴿ أن يؤتينى ﴾ أى يعطينى ﴿ خيرا من جنتك ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ ويرسل عليها ﴾ أى على جنتك ﴿ حسبانا ﴾ قال ابن عباس نارا وقيل مرامى ﴿ من السماء ﴾ وهى الصواعق فتهلكها ﴿ فتصبح صعيدا زلقا ﴾ أى أرضا جرداء ملساء لانبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هائلا ﴿ أو يصبح ماؤها غورا ﴾ غائرا ذاهبا لاتناله الايدى ولا الدلاء ﴿ فلن تستطيع له طلبا ﴾ يعنى ان طلبته لم تجده ﴿ وأحيط بثمره ﴾ يعنى أحاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فهلكتها وغار ماؤها ﴿ فاصبح ﴾ يعنى صاحبها الكافر ﴿ يقلب كفيه ﴾ يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا ﴿ على ما أنفق فيها ﴾ المعنى فاصبح يندم على ما أنفق فى عمارتها ﴿ وهى خاوية على عروشها ﴾ أى ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض ﴿ ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ﴾ يعنى أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه

خدما فى الدنيا (فعسى ربى) وعسى من الله واجب (ان يؤتينى) ان يعطينى فى الآخرة (خيرا من جنتك) من بستانك فى الدنيا (ويرسل عليها) على جنتك (حسبانا) نارا (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) تصير ترابا أملس (أو يصبح) أو يصير (ماؤها غورا) غائرا لا تناله الدلاء (فلن تستطيع له طلبا) حيلة (وأحيط بثمره) أهلكت ثمرته ان قرأت بالنصب ويقال أهلك ماله ان قرأت بالضم (فاصبح يقلب كفيه) يضرب يديه بعضها على بعض ندامة (على ما أنفق فيها) فى الجنة ويقال على ما كان فيهما من غلتهما (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) على سقوفها (ويقول) يوم القيامة (ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) من

أي من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه (ولم تكن له فئة ينصرونه) يقدرون على نصرته (من دون الله) أي وحده لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقامه (هنالك الولاية لله الحق) يكن بالياء وقرأ الكسائي وحمزة وعلى فهي بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه

تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله يعاقب أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله ياليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وهنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويؤيده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه أو هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع أبو عمرو وعلي صفة للولاية أو خبر مبتدأ محذوف أي هي الحق أو هو الحق غيرهم بالجر صفة لله عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وبضمها غيرهم وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه (من)

أنه تمنى من قبل شركه فتمنى أن لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ﴿ولم تكن له فئة﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ﴿ينصرونه﴾ يقدرون على نصره بدفع الاهلاك أورد المهلك أو الاتيان بمثله ﴿من دون الله﴾ فإنه القادر على ذلك وحده ﴿وما كان منتصرا﴾ وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه ﴿هنالك﴾ في ذلك المقام وتلك الحال ﴿الولاية لله الحق﴾ النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله ﴿هو خير ثوابا وخير عقبا﴾ أي لأوليائه وقرأ حمزة والكسائي الولاية بالكسر ومعناها السلطان والملك أي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه أو لا يعبد غيره كقوله فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله ياليتني لم أشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة ﴿واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا﴾ واذكر لهم ما تشبهه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة ﴿كماء﴾ هو كماء ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صيره ﴿أنزلناه

أي من جهة شركه وطغيانه فتمنى أن لم يكن مشركا ﴿ولم تكن له فئة﴾ أي جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ أي يمنعونه من عذاب الله ﴿وما كان منتصرا﴾ أي ممتنعا لا يقدر على الانتقام وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله سبحانه وتعالى ﴿هنالك الولاية﴾ قرئ بكسر الواو يعني السلطان في القيامة ﴿لله الحق﴾ وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعني أنهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا ﴿هو خير ثوابا﴾ أي أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يثيب ﴿وخير عقبا﴾ أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير إثابة وعاقبة قوله عز وجل ﴿واضرب لهم﴾ أي اضرب يا محمد لقومك ﴿مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه

الأوثان (ولم تكن له فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) من عذاب الله (وما كان منتصرا) ممتنعا بنفسه من عذاب الله (هنالك الولاية) أي يوم القيامة الملك والسلطان لله (الحق) العدل (هو خير ثوابا) خير من أثاب (وخير عقبا) من أعقب (واضرب لهم) بين لأهل مكة (مثل الحيوة الدنيا) في بقائها وفنائها (كماء) كمطر (أنزلناه

السماء) أى هو كماء انزلناه (فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا أو أثر فى النبات الماء واختلط به حتى روى (فأصبح هشيما) يابسا متكسرا الواحدة هشيمة (تذروه الرياح) تنسفه وتطيره الريح حمزة وعلى (ان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء (مقتدرا) أى قادرا شبه حال الدنيا فى

نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والافناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) لا زاد القبر وعدة العقبى (والباقيات الصالحات) أعمال الخير التى يبقى ثمرتها للانسان أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخير أملا) لانه وعد صادق وأكثر الآمال كاذبة يعنى ان صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة (ويوم) واذكر يوم (نسير الجبال) تسير الجبال مكى

من السماء فاختلط به نبات الارض ﴿ فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع فى النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته ﴿ فأصبح هشيما ﴾ مهشوما مكسورا ﴿ تذروه الرياح ﴾ تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن ﴿ وكان الله على كل شئ ﴾ من الانشاء والافناء ﴿ مقتدرا ﴾ قادرا ﴿ المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ﴾ يتزين بها الانسان فى دنياه وتفنى عنه عما قريب ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ وأعمال الخيرات تبقى له ثمرتها أبد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والكلام الطيب ﴿ خير عند ربك ﴾ من المال والبنين ﴿ ثوابا ﴾ عائدة ﴿ وخير أملا ﴾ لان صاحبها ينال به فى الآخرة ما كان يأمل بها فى الدنيا ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ واذكروا يوم نقلعها ونسيرها فى الجو أو نذهب

من السماء ﴾ يعنى المطر ﴿ فاختلط به نبات الارض ﴾ أى خرج منه كل لون وزهرة ﴿ فأصبح ﴾ أى عن قريب ﴿ هشيما ﴾ قال ابن عباس يابسا ﴿ تذروه الرياح ﴾ قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه ﴿ وكان الله على كل شئ مقتدرا ﴾ أى قادرا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ المال والبنون ﴾ يعنى التى يفتخر بها عيينة وأصحابه الاغنياء ﴿ زينة الحيوة الدنيا ﴾ يعنى ليست من زاد الآخرة قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ قال ابن عباس هى قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل وما هى يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هى قول العبد الله أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك فى الموطا موقوفا عليه وعن ابن عباس [illegible] الباقيات الصالحات الصلوات [illegible] وعنه أنها الاعمال الصالحات ﴿ خير عند ربك [illegible] ما يؤمله الانسان * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ [illegible]

من السماء فاختلط به نبات الارض) فاختلط الماء بنبات الارض (فأصبح هشيما) فصار يابسا (تذروه الريح) ذرته الريح ولم يبق منه شئ كذلك الدنيا تذهب ولا يبقى منها شئ كما لا يبقى من الهشيم [illegible] (وكان الله على كل شئ) [illegible] [illegible] زهرة [illegible]

[illegible] زهرة الحياة الدنيا لا تبقى كما لا يبقى الهشيم (والباقيات الصالحات) الصلوات الخمس ويقال [illegible] والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخير أملا) خير ما يرجو به العباد من أعمالهم الصالحة (ويوم نسير الجبال)

بها فيجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك أى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت ﴿ وترى الارض بارزة ﴾ بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول ﴿ وحشرناهم ﴾ وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر أو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ماوعدلهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد ﴿ فلم نغادر ﴾ فلم نترك ﴿ منهم احدا ﴾ يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادر السيل وقرئ بالياء ﴿ وعرضوا على ربك ﴾ تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم ﴿ صفا ﴾ مصطفين لا يحجب احد احدا ﴿ لقد جئتمونا ﴾ على اضمار القول على وجه يكون حالا أو عاملا فى يوم نسير ﴿ كما خلقناكم اول مرة ﴾ عراة لا شئ معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى أو احياء كخلقتكم الاولى لقوله ﴿ بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ﴾ وقتا لانجاز الوعد بالبعث

أن تجعل هباء منثورا كما يسير السحاب ﴿ وترى الارض بارزة ﴾ أى ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما فى بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها ﴿ وحشرناهم ﴾ يعنى جميعا الى موقف الحساب ﴿ فلم نغادر منهم أحدا ﴾ أى لم نترك منهم احدا ﴿ وعرضوا على ربك صفا ﴾ أى صفا صفا وفوجا فوجا لا انهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ يعنى أحياء وقيل حفاة عراة غرلا ﴿ بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ﴾ يعنى القيامة يقول ذلك لمنكرى البعث (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ألا ان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ألا وانه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يارب أصحابى فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لى انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم زاد فى رواية فاقول سحقا سحقا * قوله غرلا أى قلفا والغرلة القلفة التى تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان * وقوله سحقا أى بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من ان يهمهم ذلك زاد النسائى فى رواية له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

أى فلم نترك غادرة أى تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب أحد أحدا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (لقد جئتمونا) أى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز أن يكون عامل النصب فى يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أى لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم أولا وانما قال وحشرناهم ماضيا بعد تسير وترى للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز ماوعدتم على ألسنة الانبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للمحاسبة

عن وجه الارض (وترى الارض بارزة) خارجة من تحت الجبال ويقال ظاهرة

(وحشرناهم) للبعث (فلم نغادر منهم أحدا) فلا نترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك) سيقوا الى ربك (قوله)
(صفا) جميعا فيقول الله لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) بلا مال ولا ولد (بل زعمتم) قلتم فى الدنيا (ان لن نجعل لكم موعد

والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ﴿ ووضع الكتاب ﴾ صحائف الاعمال فى الايمان والشمائل أو فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب ﴿ فترى المجرمين مشفقين ﴾ خائفين ﴿ مما فيه ﴾ من الذنوب ﴿ ويقولون ياويلتنا ﴾ ينادون هلكتهم التى هلكوا بها من بين الهلكات ﴿ مال هذا الكتاب ﴾ تعجبا من شأنه ﴿ لايغادر صغيرة ﴾ هنة صغيرة ﴿ ولا كبيرة الا احصاها ﴾ الا عدها واحاط بها ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ﴾ مكتوبا فى الصحف ﴿ ولا يظلم ربك احدا ﴾ فيكتب عليه مالم يفعل أو يزيد فى عقابه الملائم لعمله ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ﴾ كرره فى مواضع لكونه مقدمة الامور المقصود بيانها فى تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا فى زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير فى القرآن ﴿ كان من الجن ﴾

---

* قوله عزوجل ﴿ ووضع الكتاب ﴾ يعنى صحائف أعمال العباد توضع فى أيدى الناس فى ايمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدى الله تعالى ﴿ فترى المجرمين مشفقين ﴾ أى خائفين ﴿ مما فيه ﴾ يعنى من الاعمال السيئة ﴿ ويقولون ﴾ يعنى اذا رأوها ﴿ ياويلتنا ﴾ أى ياهلاكنا وكل من وقع فى هلكة دعا بالويل ﴿ مال هذا الكتاب لايغادر ﴾ أى لايترك ﴿ صغيرة ولا كبيرة ﴾ أى من ذنوبنا ﴿ الا أحصاها ﴾ أى عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمس والقبلة والكبيرة الزنا * عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا فى بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشئ الصغير التافه وقوله لموبقات أى مهلكات ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ﴾ أى مكتوبا مثبتا فى كتابهم ﴿ ولا يظلم ربك أحدا ﴾ أى لاينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤاخذ أحدا بجرم لم يعمله * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذى وقال لايصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبى موسى * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ قلنا ﴾ أى واذكر يامحمد اذ قلنا ﴿ للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ﴾ قال ابن عباس كان من حى من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس وكونه من الملائكة لاينافى كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك

من الذنوب (ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة) أى لايترك شيأ من المعاصى (الا أحصاها) حصرها وضبطها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) فى الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه مالم يعمل أو يزيد فى عقابه أو يعذبه بغير جرم (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية أو سجود انقياد (فسجدوا الا ابليس كان من الجن) وهو مستأنف كأن قائلا قال ماله لم يسجد

أحلا للبعث (ووضع الكتاب) فى الايمان والشمائل تطايرت الكتب الى أيدى الخلق مثل الثلج (فترى المجرمين) المشركين والمنافقين (مشفقين) خائفين (مما فيه) فى الكتاب (ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة) من أعمالنا (ولا كبيرة) ويقال الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة (الا أحصاها) حفظها وكتبها (ووجدوا ما عملوا) من خير وشر (حاضرا) مكتوبا (ولا يظلم ربك أحدا) لاينقص من حسنات احد ولا يزاد على سيآت أحد ويقال لاينقص من حسنة مؤمن ولا يترك من سيئة كافر (واذ قلنا للملائكة)
الذين كانوا فى الارض (اسجدوا لآدم) (قا و خا ١٥ بع) سجدة التحية (فسجدوا الا ابليس) رئيسهم (كان من الجن)

حال باضمار قد أو استئناف للتعليل كأنه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن ﴿ ففسق عن امر ربه ﴾ فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا فى اصله والكلام المستقصى فيه فى سورة البقرة ﴿ أفتتخذونه ﴾ أعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب ﴿ وذريته ﴾ اولاده أو اتباعه وسماهم ذرية مجازا ﴿ اولياء من دونى ﴾ وتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى ﴿ وهم لكم عدو

ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد اخراج ما لولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله أفتتخذونه وذريته فاثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور فى كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن * وقوله تعالى ﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾ أى خرج عن طاعة ربه ﴿ أفتتخذونه ﴾ يعنى يا بنى آدم أفتتخذون ابليس ﴿ وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ﴾ يعنى أعداء روى مجاهد عن الشعبى قال انى لقاعد يوما اذ أقبل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى فعلمت انه لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم قيل يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احاليل الرجل وعجيزة المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه واذا أكل ولم يسم اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر فأقول داسم داسم أعوذ بالله منه * روى أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء أخرجه الترمذى ﴿ م ﴾ عن عثمان بن أبى العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت

فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) خرج عما أمره ربه به من السجود وهو دليل على انه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دونى) وتستبدلونهم بى ومن ذريته لاقيس موسوس الصلاة والاعور صاحب الزنا وبتر صاحب المصائب ومطوس صاحب الاراجيف وداسم يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى (وهم لكم عدو) أعداء

من قبيلة الجن (ففسق عن أمر ربه) فتعظم وتمرد عن طاعة ربه وأبى عن السجود لآدم (أفتتخذونه) تعبدونه (وذريته أولياء) أربابا (من دونى) من دون الله (وهم لكم عدو) ظاهر العداوة

(بئس للظالمين بدلا) بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعة الله (ما أشهدتهم) أي ابليس وذريته (خلق السموات والارض) يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالاهية فنفى مشاركتهم في الالاهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها أو أشاورهم فيه أي تفردت بخلق الاشياء فافردوني في العبادة (ولا خلق أنفسهم) أي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم

بئس للظالمين بدلا ﴾ من الله تعالى ابليس وذريته ﴿ ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم ﴾ نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ﴿ ويوم يقول ﴾ أى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون ﴿ نادوا شركائي الذين زعمتم ﴾ انهم شركائي أو شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته ﴿ فدعوهم ﴾ فنادوهم للاعانة ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ فلم يعينوهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ بين الكفار وآلهتهم ﴿ موبقا ﴾ مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي

في ذلك فاذهبه الله عنى (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه * وقوله ﴿ بئس للظالمين بدلا ﴾ يعني بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ما أشهدتهم ﴾ أي ما أحضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة ﴿ خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ﴾ والمعنى ما أشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها ﴿ وما كنت متخذ المضلين ﴾ يعني الشياطين الذين يضلون الناس ﴿ عضدا ﴾ يعني أنصارا وأعوانا * قوله عز وجل ﴿ ويوم يقول نادوا ﴾ يعني يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا ﴿ شركائي ﴾ يعني الاصنام ﴿ الذين زعمتم ﴾ يعني انهم شركائي ﴿ فدعوهم ﴾ أي فاستغاثوا بهم ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ أي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ يعني بين الاصنام وعبدتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال ﴿ موبقا ﴾ يعني مهلكا قال ابن عباس هو واد في النار وقيل

(وما كنت متخذ المضلين) أى وما كنت متخذهم (عضدا) أى أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة (ويوم يقول) الله للكفار وبالنون حمزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركائي الذين زعمتم) انهم فيكم شركائي ليمنعوكم من عذابي وأراد الجن وأضاف الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من

(بئس للظالمين) المشركين مني (بدلا) في الطاعة ويقال بئس ما استبدلوا عبادة الله بعبادة الشيطان ويقال ولاية الله بولاية الشيطان (ما أشهدتهم) يعني الملائكة والشياطين (خلق السموات والارض) حين خلقتهما (ولا خلق أنفسهم) حين خلقتهم ويقال ما استعنت من الملائكة والشياطين في خلق السموات

والارض ولا في خلق أنفسهم (وما كنت متخذ المضلين) الكافرين اليهود والنصارى وعبدة الاوثان (عضدا) عونا (ويوم) ويوم القيامة (يقول) لعبدة الاوثان (نادوا شركائي الذين) يعني آلهتكم (زعمتم) عبدتم وقلتم انهم شركائي حتى يمنعوكم من عذابي (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوا لهم (وجعلنا بينهم) بين العابد والمعبود (موبقا)

وبق يبق وبوقا اذاهلك أومصدرا كالموعد أي وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشد
مشتركا يهلكون فيه جميعا أو الملائكة وعزيرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لانهم في قعر جهنم وه
في أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار فظنوا) فأيقنوا (أنهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها) عن النار (مصر
معدلا (ولقد صرفنا في هذ القرآن للناس من كل مثل) يحتاجون اليه (وكان الانـ
أكثر شيء جدلا) تمييز أي أكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل يعني ان جدل الانسان أكثر من جدل كل شيء (ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أي سببه وهو الكتاب والرسول (ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب) ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره ومامنع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار أن تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك أو انتظار ان يأتيهم العذاب أي عذاب الآخرة (قبلا) كوفي أي أنواعا جمع قبيل الباقون قبلا أي

شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لايكون حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان أو مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا﴾ فأيقنوا ﴿انهم مواقعوها﴾ مخالطوها واقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ انصرافا أومكانا ينصرفون اليه ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ من كل جنس يحتاجون اليه ﴿وكان الانسان اكثر شيء﴾ يتأتى منه الجدل ﴿جدلا﴾ خصومة بالباطل وانتصابه على التميز ﴿ومامنع الناس ان يؤمنوا﴾ من الايمان ﴿اذ جاءهم الهدى﴾ وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ﴿ويستغفروا ربهم﴾ من الاستغفار من الذنوب ﴿الا ان تأتيهم سنة لاولين﴾ الاطلب أوانتظار اوتقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿أو يأتيهم العذاب﴾ عذاب الآخرة ﴿قبلا﴾ عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه

نهر تسيل منه نار وعلى حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك ﴿ورأى المجرمون﴾ أي المشركون ﴿النار فظنوا﴾ أي أيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ أي داخلوها وواقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ أي معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها ✻ قوله سبحانه وتعالى ﴿ولقد صرفنا﴾ أي بينا ﴿في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ أي ليتذكروا ويتعظوا ﴿وكان الانسان أكثر شيء جدلا﴾ أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد به النضر بن الحرث وجداله في القرآن وقيل أراد به أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يارسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الي شيأ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده وكان الانسان أكثر شيء جدلا ✻ قوله عزوجل ﴿ومامنع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى﴾ يعني القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ويستغفروا ربهم﴾ والمعنى انه لامانع لهم من الايمان ولامن الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم لم يقدموا على الايمان والاستغفار ﴿الا ان تأتيهم سنة الاولين﴾ يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال ﴿أو يأتيهم العذاب قبلا﴾

واديا في النار وجعلنا ما بينهم من الوصل والود في الدنيا موبقا مهلكا في الآخرة (ورأى المجرمون) المشركون (النار فظنوا) فعلموا وأيقنوا (أنهم مواقعوها) داخلوها يعني النار (ولم يجدوا عنها مصرفا) مهربا (ولقد صرفنا) بينا (في هذا القرآن للناس) لاهل مكة (من كل مثل) من كل وجه من الوعد والوعيد لكي يتعظوا فيؤمنوا (وكان الانسان) أبي بن خلف الجمحي (أكثر شيء جدلا) في الباطل ويقال ليس شيء أجدل من الانسان (ومامنع الناس) أهل مكة المطعمين يوم بدر (ان يؤمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (اذ جاءهم الهدى) محمد عليه السلام بالقرآن (ويستغفروا ربهم) يتوبوا من الكفر الى الايمان (الا أن تأتيهم سنة الاولين) عذاب الاولين بهلاكهم (أو يأتيهم العذاب) بالسيف (قبلا) معاينة يوم بدر

نا(ومانرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو
اهم للرسل ماأنتم الابشر مثلنا ولوشاءالله لانزل ملائكة ونحوذلك (ليدحضوا به الحق) ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة
اتخذوا آياتى) القرآن (وماأنذروا) ماموصولة والراجع من الصلة محذوف أى وماأنذروه من العقاب أومصدرية
وانذارهم(هزوا) موضع استهزاء بسكون الزاء والهمزة حمزة وبابدال الهمزة واوا حفص وبضم الزاء والهمزة
هما (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها مذكرا فى قوله ان يفقهوه (فاعرض عنها) فلم يتذكر حين
كرولم يتدبر (ونسى ماقدمت يداه) عاقبة ماقدمت يداه من الكفر والمعاصى
غير متفكر فيها ولا ناظر فى
ان المسئ والمحسن لابد لهما
من جزاء ثم علل اعراضهم
ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم بقوله (انا
جعلنا على قلوبهم أكنة)
أغطية جمع كنان وهو
الغطاء (ان يفقهوه وفى
آذانهم وقرا) ثقلا عن
استماع الحق وجمع بعد
الافراد حملا على اللفظ من
ومعناه (وان تدعهم) يامحمد
(الى الهدى) الى الايمان
(فلن يهتدوا) فلايكون
منهم اهتداء البتة (اذا)
جزاء وجواب فدل على انتفاء
اهتدائهم لدعوة الرسول
بمعنى انهم جعلوا مايجب أن
يكون سبب وجود الاهتداء
سببا فى انتفائه وعلى انه
جواب للرسول على تقدير
قوله مالى لاأدعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا (أبدا) مدة

أوجمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا
وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب ﴿ وما نرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين ﴾
للمؤمنين والكافرين ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور
المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ﴿ ليدحضوا به ﴾ ليزيلوا
بالجدال ﴿ الحق ﴾ عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم
للرسل ماانتم الابشر مثلنا ولوشاءالله لانزل ملائكة ونحو ذلك ﴿ واتخذوا آياتى ﴾
يعنى القرآن ﴿ وماانذروا ﴾ وانذارهم أو والذى انذروا به من العقاب ﴿ هزوا ﴾ استهزاء
وقرئ هزأ بالسكون وهو مايستهزأ به على التقديرين ﴿ ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ﴾
بالقرآن ﴿ فاعرض عنها ﴾ فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ﴿ ونسى ماقدمت يداه ﴾ من الكفر
والمعاصى ولم يتفكر فى عاقبتهما ﴿ انا جعلنا على قلوبهم اكنة ﴾ تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم
مطبوع على قلوبهم ﴿ ان يفقهوه ﴾ كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى ﴿ وفى
آذانهم وقرا ﴾ يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه ﴿ وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا ﴾

قال ابن عباس أى عيانا من المقابلة وقيل فجأة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومانرسل المرسلين
الامبشرين ﴾ أى بالثواب على الطاعة ﴿ ومنذرين ﴾ بالعقاب لمن عصى ﴿ ويجادل
الذين كفروا بالباطل ﴾ هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ما أنتم الابشر
مثلنا وشبه ذلك ﴿ ليدحضوا ﴾ اى ليبطلوا ﴿ به الحق ﴾ ويزيلوه ﴿ واتخذوا آياتى
وماأنذروا هزوا ﴾ فيه اضمار يعنى اتخذوا ماأنذروا به وهو القرآن استهزاء * قوله
عزوجل ﴿ ومن أظلم ممن ذكر ﴾ أى وعظ ﴿ بآيات ربه فأعرض عنها ﴾ أى تولى
عنها وتركها ولم يؤمن بها ﴿ ونسى ماقدمت يداه ﴾ أى ماعمل من المعاصى من قبل ﴿ انا جعلنا
على قلوبهم أكنة ﴾ أى أغطية ﴿ ان يفقهوه ﴾ يريد لئلا يفهموه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾
أى ثقلا وصمما ﴿ وان تدعهم ﴾ يامحمد ﴿ الى الهدى ﴾ أى الدين ﴿ فلن يهتدوا اذا أبدا ﴾

(ومانرسل المرسلين الامبشرين) بالجنة للمؤمنين (ومنذرين) عن النار للكافرين (ويجادل) يخاصم (الذين كفروا) بالكتب
والرسل (بالباطل) بالشرك (ليدحضوا) ليبطلوا (به) بالباطل (الحق) والهدى (واتخذوا آياتى) كتابى ورسلى (وماأنذروا)
خوفوا من العذاب (هزوا) سخرية واستهزاء (ومن أظلم) ليس احد أظلم (ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه فاعرض عنها) فصرف عنها
باحدابها (ونسى ماقدمت يداه) ترك ذكر ماعملت يداه من الذنوب (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) اغطية (ان يفقهوه) لكى لايفقهوا
الحق والهدى (وفى آذانهم وقرا) صمما لكى لايسمعوا الحق والهدى (وان تدعهم) يامحمد (الى الهدى)الى التوحيد
(فلن يهتدوا) فلن يؤمنوا (اذا أبدا

التكليف كلها (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
أى ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن
يجدوا من دونه موئلا) منجا ولاملجأ يقال وأل اذا نجا وأل اليه اذا لجأ اليه
(وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لأن أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكناهم) أو تلك القرى نصب باضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لايتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك لاهلاك ووقته وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما أبو بكر أى لوقت هلاكهم أو لهلاكهم والموعد وقت أو مصدر (واذ) واذكر اذ (قال موسى لفتاه) هو يوشع ابن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم

وربك الغفور) المجاوز (ذو الرحمة) بتأخير العذاب (لو يؤاخذهم بما كسبوا) بشركهم (لعجل لهم العذاب) فى الدنيا (بل لهم موعد) أجل اهلاكهم (لن يجدوا من دونه) من عذاب الله (موئلا) ملجأ (وتلك القرى) أهل القرى الماضية (أهلكناهم لما ظلموا) حين كفروا (وجعلنا لمهلكهم) لهلاكهم (موعدا) أجلا ثم ذكر قصة موسى (صاحب
مع الخضر وكان موسى وقع فى قلبه ان ليس فى الارض أحد أعلم منى فقال الله ياموسى ان لى فى الارض عبدا أعبد لى منك وأعلم وهو
الخضر فقال موسى يارب دلنى عليه فقال الله له خذ سمكا مالحا وامض على شاطئ البحر حتى تلقى صخرة عندها عين الحياة فنضح
على السمكة منها حتى تحيي السمكة فثمة تلقى الخضر فقال الله (واذ قال موسى لفتاه) لشاجرده يوشع بن نون وكان من
أشراف بنى اسرائيل وانما سمى فتاه لانه كان يتبعه ويخدمه

تحقيقا ولاتقليدا الا انهم لايفقهون ولايسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالى لاادعوهم فان حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلام يدل عليه ﴿ وربك الغفور ﴾ البليغ المغفرة ﴿ ذوالرحمة ﴾ الموصوف بالرحمة ﴿ لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ﴾ استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم فى عدوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بل لهم موعد ﴾ وهو يوم بدر أو يوم القيامة ﴿ ان يجدوا من دونه موئلا ﴾ منجا يقال وأل اذا نجا وأل اليه اذا لجأ اليه ﴿ وتلك القرى ﴾ يعنى قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره ﴿ اهلكناهم ﴾ او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولابد من تقدير مضاف فى احدهما ليكون مرجع الضمائر ﴿ لما ظلموا ﴾ كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصى ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ لاهلاكهم وقتا معلوما لايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون فليعتبروا بهم ولايغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام أى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض ﴿ واذ قال موسى ﴾ مقدر باذكر ﴿ لفتاه ﴾

وهذا فى أقوام علم الله منهم انهم لايؤمنون ﴿ وربك الغفور ﴾ أى البليغ المغفرة ﴿ ذوالرحمة ﴾ أى الموصوف بالرحمة ﴿ لو يؤاخذهم ﴾ أى يعاقب الكفار ﴿ بما كسبوا ﴾ من الذنوب ﴿ لعجل لهم العذاب ﴾ أى فى الدنيا ﴿ بل لهم موعد ﴾ يعنى البعث والحساب ﴿ لن يجدوا من دونه موئلا ﴾ أى ملجأ ﴿ وتلك القرى ﴾ يعنى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ﴿ أهلكناهم لما ظلموا ﴾ أى كفروا ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ أى أجلا لاهلاكهم ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ قال موسى لفتاه ﴾ الآيات أكثر العلماء على ان موسى المذكور فى هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوى بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من أولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول أصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر فى كتابه العزيز موسى الا أراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو أراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يعرفه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة وأما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون ابن افرائيم بن يوسف وهو صاحب موسى وولى عهده بعد وفاته وقيل انه أخو يوشع وقيل انه فتاه يعنى عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لايقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل فتاى وفتاتى (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفل البكالى يزعم ان موسى

يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك

صاحب الخضر ليس هو موسى بنى اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبى
ابن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى
اسرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله سبحانه
وتعالى اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به قال
فخذ معك حوتا فاجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمه فاخذ حوتا فجعله فى مكتل
ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما
فاضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وأمسك
الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه ان يخبره بالحوت
وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به فقال له
فتاه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره
واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك
ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا
رجل مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا
موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى
صبرا ياموسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه
فقال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا فقال له الخضر فان اتبعتنى
فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم
سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ
موسى الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير
ول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ أمرا قال ألم أقل انك لن
ستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا قال رسول الله
لى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف
لسفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا مثل
انقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل
ذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له
وسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى
بيرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من
نى عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا
يها جدارا يريد أن ينقض أى مائلا فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم
يناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بينى

(لا أبرح) لا أزال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه أما الاولى فلانها كانت حال سفر وأما الثانى فلان
(حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعى ما هى غاية له فلابد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان
الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم و
خضر لانه أينما يصلى يخضر ماحوله (أو أمضى حقبا) أو أسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو أعلم منى فدلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه فى البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى
بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا (السمكة

سماه فتاه وقيل لعبده ﴿ لا أبرح ﴾ أى لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله ﴿ حتى ابلغ مجمع البحرين ﴾ من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع ﴿ أو امضى حقبا ﴾ أو اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع أو مضى الحقب أو حتى ابلغ الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنه وقيل سبعون روى ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه أى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى

وبينك سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت انه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وفى رواية عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فادركه رجل فقال أى رسول الله هل فى الارض أحد أعلم عنك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال أى رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفى رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث يفقد الحوت زاد فى رواية وفى أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شئ الا حيي فاصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ لا أبرح ﴾ أى لا أزال أسير ﴿ حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾ قيل أراد بحر فارس والروم مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ﴿ أو أمضى حقبا ﴾ يعنى أو أسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة فى المكتل وهو الزنبيل الذى يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التى عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيأ الا حيي فلما أصاب

(لا أبرح) لا أزال أمضى (حتى أبلغ مجمع البحرين) العذب والمالح بحر فارس والروم (أو أمضى حقبا) سنين ويقال دهرا

ى فأى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده
ن ردى فقال ان كان فى عبادك اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على
ساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هنالك فقال
تاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما ﴾ أى مجمع البحرين
بينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع أو بمعنى الوصل ﴿ نسيا حوتهما ﴾ نسى موسى عليه السلام
ن يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر روى ان
وسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب فى البحر معجزة لموسى أو الخضر و
بل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقد امره وما
كون منه امارة على الظفر بالمطلوب ﴿ فاتخذ سبيله فى البحر سربا ﴾ فاتخذ الحوت طريقه
ى البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار
الطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ
﴿ فلما جاوزا ﴾ مجمع البحرين ﴿ قال لفتاه آتنا غداءنا ﴾ ما نتغدى به ﴿ لقد لقينا من
سفرنا هذا نصبا ﴾ قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر
ألقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعى موسى فى سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة
﴿ قال أرأيت اذ أوينا ﴾ أرأيت ما دهانى اذ أوينا ﴿ الى الصخرة ﴾ يعنى الصخرة التى رقد
عندها موسى وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت ﴿ فانى نسيت الحوت ﴾ فقدته أو نسيت

السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى المكتل وهاجت ودخلت فى البحر ﴿ فلما بلغا ﴾
يعنى موسى وفتاه ﴿ مجمع بينهما ﴾ أى بين البحرين ﴿ نسيا ﴾ أى تركا ﴿ حوتهما ﴾
وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذى نسيه وانما أضاف النسيان اليهما لانهما
تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما أى نسيا كيفية الاستدلال بهذه
الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب ﴿ فاتخذ ﴾ أى الحوت ﴿ سبيله فى البحر سربا ﴾
أى مسلكا وروى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن
مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن
عباس جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما
انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط فى البحر فاتخذ سبيله
فى البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى
نسى صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلما جاوزا ﴾
يعنى ذلك الموضع وهو مجمع البحرين ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ لفتاه آتنا غداءنا ﴾ أى
طعامنا ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ أى تعبا وشدة وذلك انه ألقى على موسى
الجوع بعد ما جاوزا الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع فى طلبه ﴿ قال ﴾ يعنى يوشع
﴿ أرأيت اذ أوينا الى الصخرة ﴾ وهى صخرة كانت بالموضع الموعود ﴿ فانى نسيت
الحوت ﴾ أى تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك

وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فانى نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينساه متعهد الزاد قيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت فى الماء (فاتخذ سبيله فى البحر) أى اتخذ طريقا له من البر الى البحر (سربا) نصب على المصدر أى سرب فيه سربا يعنى دخل فيه واستتر به (فلما جاوزا) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك (قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) هى موضع الموعد (فانى نسيت الحوت) ثم اعتذر

(فلما بلغا مجمع بينهما) بين البحرين (نسيا حوتهما) خبر حوتهما (فاتخذ سبيله) طريقه (فى البحر سربا) يابسا (فلما جاوزا) من الصخرة (قال لفتاه) لشاجرده (آتنا غداءنا) أعطنا غداءنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا ومشقة (قال) يوشع (أرأيت) ياموسى (اذ أوينا) انتهينا

(الى الصخرة فانى نسيت الحوت) خبر الحوت

ذكره بما رأيت منه ﴿ وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ﴾ أى وما انسانى ذكره الا الشيط
لان أن أذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكر له وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان
بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى
وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى
جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه
أو لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبه
﴿ واتخذ سبيله فى البحر عجبا ﴾ سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب أو اتخاذا عجبا والمفعول
الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اى قال فى آخر كلامه اوموسى فى جوابه
تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى أى اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر
عجبا ﴿ قال ذلك ﴾ أى امر الحوت ﴿ ما كنا نبغ ﴾ نطلب لانه امارة المطلوب
﴿ فارتدا على آثارهما ﴾ فرجعا فى الطريق الذى جاآ فيه ﴿ قصصا ﴾ يقصان قصصا
أى يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى اتيا الصخرة ﴿ فوجدا عبدا من عبادنا ﴾
والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس

موسى فيخبره فنسى أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد * ثم قال ﴿ وما
أنسانيه الا الشيطان أن أذكره ﴾ أى وما أنسانى أن أذكر لك أمر الحوت الا الشيطان
قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التى هى من فعله دون
النسيان الذى يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الامن قبل الله تعالى ﴿ واتخذ سبيله فى البحر
عجبا ﴾ قيل هذا من قول يوشع بن نون يعنى وقع الحوت فى البحر فاتخذ سبيله فيه
مسلكا وروى فى الخبر كان للحوت سربا ولموسى وافتاه عجبا وقيل أى شئ أعجب
من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما أكل بعضه * قوله عز وجل ﴿ قال ﴾
يعنى موسى ﴿ ذلك ما كنا نبغ ﴾ نطلب ﴿ فارتدا على آثارهما قصصا ﴾ أى رجعا
يقصان الذى جاآ منه ويتبعانه ﴿ فوجدا عبدا من عبادنا ﴾ قيل كان ملكا من الملائكة
والصحيح الذى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء فى التواريخ انه الخضر واسمه
بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بنى اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك
الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمى به لانه جلس على فروة بيضاء
فاخضرت (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى الخضر
خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز تحته خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة
يابسة وقيل سمى خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ماحوله وروينا ان موسى رأى
الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وأنى بأرضك السلام قال أنا موسى
أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ومعنى ومسجى بثوب أى مغطى بثوبه وقوله وانى
بارضك السلام معناه من أين بارضك التى أنت فيها الآن السلام وروى انه لقيه على
طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدا عبدا من عبادنا

فقال (وما أنسانيه) وبضم
الهاء حفص (الا الشيطان)
بالقاء الخواطر بالقلب (أن
أذكره) بدل من الهاء فى
أنسانيه أى وما أنسانى
ذكره الا الشيطان (واتخذ
سبيله فى البحر عجبا) وهو
ان أثره بقى الى حيث سار
(قال ذلك ما كنا نبغ)
نطلب وبالياء مكى وافقه
أبو عمرو وعلى ومدنى فى
الوصل وبغير ياء فيهما
غيرهما اتباعا لخط المصحف
وذلك اشارة الى اتخاذه
سبيلا أى ذلك الذى كنا
نطلب لان ذهاب الحوت
كان علما على لقاء الخضر
عليه السلام (فارتدا على
آثارهما) فرجعا فى الطريق
الذى جاآ فيه (قصصا)
يقصان قصصا أى يتبعان
آثارهما اتباعا قال الزجاج
القصص اتباع الاثر (فوجدا
عبدا من عبادنا) أى الخضر
راقدا تحت ثوب أو جالسا

(وما انسانيه) وما شغلنيه (الا
الشيطان ان اذكره) لك
(واتخذ سبيله) طريقه (فى
البحر عجبا) يابسا (قال) موسى
(ذلك ما كنا نبغ) نطلب
دلالة لنا من الله على الخضر
(فارتدا) رجعا (على آثارهما)
خلفهما (قصصا) يقصان
اثرهما (فوجدا) هناك عند
الصخرة (عبدا من عبادنا)

الخ(آتيناه رحمة من عندنا) هى الوحى والنبوة أو العلم أو طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) يعنى الاخبار بالغيوب وقيل العلم اللدنى

حصل للعبد بطريق الالهام أتبعك على أن تعلمن مما

علمت رشدا) أى علما ذا رشد ارشد به فى دينى رشدا أبو عمرو وهما لغتان كالبخل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغى لاحد أن يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه (قال انك لن تستطيع معى) و بفتح الياء حفص وكذا ما بعده فى هذه السورة (صبرا) أى عن الانكار والسؤال (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) تمييز نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هى فى ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن لا يخرج اذ رأى ذلك فكيف اذا كان نبيا (قال ستجدنى ان شاء الله صابرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض (ولا أعصى لك امرا) فى محل النصب عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص وهو عطف على ستجدنى ولا محل له

يعنى الخضر (آتيناه رحمة من عندنا) يقول اكرمناه بالنبوة (وعلمناه من لدنا علما) علم الكوائن (قال له موسى هل أتبعك) أصحبك ياخضر (على أن تعلمن مما علمت رشدا) صوابا وهدى (قال) ياموسى

لن تستطيع معى صبرا) ان ترى منى شيأ لا تصبر عليه قال موسى أصبر قال الخضر (وكيف تصبر) ياموسى (على مالم تحط به) لم تعلم به (خبرا) بيانا (قال ستجدنى) ياخضر (ان شاء الله صابرا) على ما أرى منك (ولا أعصى لك أمرا) لا أترك أمرك

﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ هى الوحى والنبوة ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ مما تختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب ﴿قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن﴾ على شرط ان تعلمنى وهو فى موضع الحال من الكاف ﴿مما علمت رشدا﴾ علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك أو مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره مالم يكن شرطا فى ابواب الدين فان الرسول ينبغى ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه ﴿قال انك لن تستطيع معى صبرا﴾ نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله ﴿وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا﴾ أى وكيف تصبر وانت نبى على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز أو مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره ﴿قال ستجدنى ان شاء الله صابرا﴾ معك غير منكر عليك ﴿ولا اعصى لك امرا﴾ عطف على صابرا أى ستجدنى صابرا وغير عاص أو على ستجدنى وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن أو لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديدة فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى

﴿آتيناه رحمة﴾ أى نعمة ﴿من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ أى علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم فان قلت ظاهر هذه الآيات يدل على ان الخضر كان أعلى شأنا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه قلت لا يخلو اما أن يكون الخضر من بنى اسرائيل أو من غيرهم فان كان من بنى اسرائيل فهو من أمة موسى ولا جائز أن يكون أحد الامة أفضل من نبيها أو أعلى شأنا منه وان كان من غير بنى اسرائيل فقد قال الله تعالى لبنى اسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين أى على عالمى زمانكم ﴿قال له موسى هل أتبعك﴾ معناه جئت لاصحبك و أتبعك ﴿على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ أى صوابا وقيل علما ترشدنى به وفى بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وبنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرنى بهذا فحينئذ ﴿قال﴾ الخضر لموسى ﴿انك لن تستطيع معى صبرا﴾ وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أمورا منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال ﴿وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا﴾ أى علما ﴿قال﴾ موسى ﴿ستجدنى ان شاء الله صابرا﴾ انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿ولا أعصى لك أمرا﴾ أى

(قال فان اتبعتنى فلا تسألنى) بفتح اللام و مد بالنون مدنى وشامى و بسكون اللام وبتخفيف النون غيرهما والياء
فيهما اجماعا (عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا) أى فمن شرط اتباعك لى انك اذا رأيت منى شيأ وقد علمت انه
الا انه خفى عليك وجه صحته فنكرت فى نفسك ان لا تفاتحنى بالسؤال ولا تراجعنى فيه حتى اكون انا الفاتح عليك
من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خر

فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال اهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلى الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ثم (قال اخرقتها لتغرق اهلها) ليغرق حمزة وعلى من غرق (لقد جئت شيأ امرا) اتيت شيأ عظيما من امر الامر اذا عظم (قال) اى الخضر (ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا) فلما رأى موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة (قال لا تؤاخذنى بما نسيت) بالذى نسيته او بشئ نسيته او بنسيانى اراد انه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى او اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة

﴿ قال فان تبعتنى فلا تسألنى عن شئ ﴾ فلا تفاتحنى بالسؤال عن شئ انكرته منى ولم تـ
وجه صحته ﴿ حتى احدث لك منه ذكرا ﴾ حتى ابتدئك ببيانه • وقرأ نافع وابن عا
فلا تسألنى بالنون الثقيلة ﴿ فانطلقا ﴾ على الساحل يطلبان السفينة ﴿ حتى اذا ركبا فى السفيـ
خرقها ﴾ اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها ﴿ قال اخرقتها لتغر
اهلها ﴾ فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق اهلها • وقرئ لتغرق بالتشد
للتكثير • وقرأ حمزة والكسائى ليغرق اهلها على اسناده الى اهل ﴿ لقد جئت شيأ امرا ﴾
اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم ﴿ قال ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا ﴾
تذكير لما ذكره قبل ﴿ قال لا تؤاخذنى بما نسيت ﴾ بالذى نسيته أو بشئ نسيته يعـ
وصيته بان لا يعترض عليه أو بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النهـ
عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركـ
من وصيتك أول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه

لا أخالفك فيما تأمرنى به ﴿ قال فان اتبعتنى ﴾ أى فان صحبتنى ولم يقل اتبعنى ولكن جعـ
الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال ﴿ فلا تسألنى عن شئ ﴾ أى مما أعمله مما تنكره ولا تعترض
عليه ﴿ حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ معناه حتى أبتدئ بذكره فابين لك شانه ﴿ قو
سبحانه وتعالى ﴿ فانطلقا ﴾ أى يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجد
سفينة فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحـ
السفينة ماهم بلصوص ولكن أرى وجوه الانبياء وروينا عن أبى بن كعب عن النـ
صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغـ
نول أى بغير عوض ولا عطاء فلما لججوا فى البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا مـ
ألواح السفينة فذلك قوله تعالى ﴿ حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال ﴾ يعـ
موسى له ﴿ أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا ﴾ أى آتيت شيأ عظيما منكـ
روى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما رأى ذلك أخـ
ثوبه فحشا به الخرق ﴿ قال ﴾ العالم وهو الخضر ﴿ ألم أقل انك لن تستطيع معى صبـ
قال ﴾ يعنى موسى ﴿ لا تؤاخذنى بما نسيت ﴾ قال ابن عباس لم ينس ولكنه مـ
معاريض الكلام فكأنه نسى شيأ آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيـ
الترك وقال أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيـ

قال) الخضر (فان اتبعتنى) صحبتنى ياموسى (فلا تسألنى عن شئ) فعلته (حتى أحدث لك) حتى أبين لك (منه ذكرا) بيانا (فانطلقا) { والثانية
فمضيا موسى والخضر عليهما السلام (حتى اذا ركبا فى السفينة) عند العبر (خرقها) نقبها الخضر (قال) له موسى (أخرقتها ليغرق
لكى يغرق (أهلها) ان قرأت بنصب الياء ويقال لتغرق لتهلك ان قرأت بضم التاء (لقد جئت شيأ امرا) لقد فعلت شيأ منكرا
على القوم (قال) له الخضر (ألم أقل) ياموسى (انك لن تستطيع معى صبرا قال) موسى (لا تؤاخذنى بما نسيت) تركت من و

﴿ ولاترهقنى من امرى عسرا ﴾ ولاتغشنى عسرا من امرى بالمضايقة والمؤاخذة على المنسى فان ذلك يعسر على متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين ﴿ فانطلقا ﴾ أى بعد ماخرجا من السفينة ﴿ حتى اذا القيا غلاما فقتله ﴾ قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كالقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك ﴿ قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس ﴾ أى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أوانه لم يرها قداذنبت ذنبا يقتضى قتلها أوقتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا أوقصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله ﴿ لقدجئت شيأ نكرا ﴾ أى منكرا وقرأ نافع فى رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين

والثانية شرطا والثالثة عمدا ﴿ ولاترهقنى ﴾ أى لاتغشنى ﴿ من أمرى عسرا ﴾ والمعنى لاتعسر على متابعتك ويسرها بالاغضاء وترك المناقشة وقيل لاتكلفنى مشقة ولاتضيق على أمرى ﴿ فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله ﴾ فى القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضئ الوجه كأن وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبدالرزاق هذا الخبر وفيه وأشار باصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروى انه رضخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبى الله موسى يقول أقتلت نفسا زاكية الا وهو صبى لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه جيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى أبويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ أقتلت نفسا زاكية ﴾ أى لم تذنب قط وقرئ زكية وهى التى أذنبت ثم تابت ﴿ بغير نفس ﴾ أى لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل ﴿ لقد جئت شيأ نكرا ﴾ أى منكرا عظيما وقيل النكر أعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفى خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر أعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقدجئت شيأ أنكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لاسبيل الى تداركه

(ولاترهقنى من امرى عسرا) رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اى ولاتغشنى عسرا من امرى و هو اتباعه اياه اى ولاتعسر على متابعتك ويسرها على بالاغضاء وترك المناقشة (فانطلقا حتى اذا القيا غلاما فقتله) قيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لان خرقها جعل جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء (قال أقتلت نفسا) وانما خولف بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (زكية) زاكية حجازى و ابو عمرو وهى الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت اولانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) اى لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ماعلمه عالم موسى فلك أن تقتل (لقد جئت شيأ نكرا) وبضم الكاف حيث كان مدنى وأبو بكر وهو المنكر وقيل المنكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيأ أنكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل

(ولاترهقنى من أمرى عسرا) مشقة فى صحبتى اياك اى عاملنى فيها بالعفو واليسر...

(ولاترهقنى من أمرى عسرا) بمعنى لاتكلفنى من أمرى شدة (فانطلقا) فمضيا (حتى اذا القيا غلاما) بين قريتين (فقتله) الخضر قال) موسى (أقتلت) ياخضر (نفسا زكية) بريئة (بغير نفس) بغير قتل نفس (لقدجئت شيأ نكرا) فعلت فعلا منكرا عظيما

الجزء السادس عشر

اللهم آتنا من لدنك رحمة وعلما

﴿ قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ﴾ زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرة ﴿ قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى ﴾ وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى أى فلا تجعلنى صاحبك ﴿ قد بلغت من لدنى عذرا ﴾ قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك ثلاث مرات * وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر أعجب الاعاجيب * وقرأ نافع من لدنى بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله

قدنى من نصر الخبيبين قدى .

وأبو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد

﴿ قال ﴾ يعنى الخضر ﴿ ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ﴾ قيل زاد فى هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد للتوبيخ فعند هذا ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى ﴾ قيل ان يوشع كان يقول لموسى يا نبى الله اذكر العهد الذى أنت عليه قال موسى ان سألتك عن شئ بعد هذه المرة فلا تصاحبنى أى فارقنى ولا تصاحبنى ﴿ قد بلغت من لدنى عذرا ﴾ قال ابن عباس أى قد أعذرت فيما بينى وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر فى مفارقتى والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحدا من الانبياء بدأ بنفسه ولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة

(قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) زاد لك هنا لان النكر فيه اكثر (قال ان سألتك عن شئ بعدها) بعد هذه الكرة او المسئلة (فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) اعذرت فيما بينى وبينك فى الفراق ولدنى بتخفيف النون مدنى وابو بكر

(قال) الخضر (ألم اقل لك) يا موسى (انك لن تستطيع معى صبرا) انك ترى منى شيأ لا تصبر على ذلك (قال) موسى (ان سألتك) يا خضر (عن شئ بعدها) بعد قتل هذه النفس (فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) قد اعذرت منى بترك الصحبة

(فقال)

(فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) هى انطاكية او الابلة وهى ابعد ارض الله من السماء (استطعما اهلها) استضافا (فابوا ان يضيفوهما) ضيفه انزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى تبخل بالقرى (فوجدا فيها
قرية (جدارا) طوله مائة ذراع ﴿ ١٢٩ ﴾ (يريد ان ينقض) يكاد {سورة الكهف} يسقط استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك (فاقامه) بيده او مسحه بيده فقام واستوى او نقضه وبناه كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما قام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان (قال لو شئت لأتخذت عليه اجرا) اى لطلبت على عملك جعلا حتى تستدفع به الضرورة لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وادغام الذال بصرى وباظهارها مكى وبتشديد التاء وفتح الخاء واظهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتح الخاء وادغام الذال فى التاء غيرهم والتاء فى تخذ اصل كما فى تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ فى شئ (قال هذا فراق بينى وبينك) هذا اشارة الى السؤال الثالث اى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا [illegible]

﴿ فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية ﴾ قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية ﴿ استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما ﴾ وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال ﴿ فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض ﴾ يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال

يريد الرمح صدر ابى براء ٭ ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال آخر

ان دهرا يلم شملى بجمل ٭ لزمان يهم بالاحسان

وينقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا ﴿ فاقامه ﴾ بعمارته أو بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه ﴿ قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ تحريضا على أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بانه فضول لما فى لو من النفى كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أى لأتخذت وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون ﴿ قال هذا فراق بينى وبينك ﴾ الاشارة

فقال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة هو بذال معجمة أى حياء واشفاق من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة يعنى لمته ملامة ويشهد له قول الخضر هذا فراق بينى وبينك ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية ﴾ قال ابن عباس يعنى انطاكية وقيل الابلة وهى أبعد الارض من السماء وقيل هى بلدة بالاندلس ﴿ استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما ﴾ قال ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أتيا أهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما فابوا أن يضيفوهما وروى أنهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما عن أبى هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التى لا تضيف الضيف ﴿ فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض ﴾ أى يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول دارى تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير له النظر كما استعير للجدار الارادة ﴿ فاقامه ﴾ أى سواه وفى حديث أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ يعنى على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت أنا جياع وان أهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك أجرا ﴿ قال ﴾ [illegible] الخضر ﴿ هذا فراق بينى وبينك ﴾ يعنى هذا وقت فراق بينى وبينك وقيل هذا [illegible]

يضيفوهما) يطعموهما الطعام (ق وخا ١٧ بع) (فوجدا فيها جدارا) حائطا [illegible] الخضر (قال) موسى (لو شئت) يا خضر (لأتخذت عليه اجرا) جعلا خبزا نأكله (قال) الخضر (هذا فراق بينى وبينك) يا موسى

فراق بيني وبينك وقد قرئ بدء فضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا
السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى

وخمسة يعملون في البحر (فاردت ان اعيبها) اجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) امامهم أو خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى (يأخذ كل سفينة غصبا) اي يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها وهو مصدر أو مفعول له فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير وانما قدم للعناية (واما الغلام) وكان اسمه الحسين (فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا) فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه

(سأنبئك) اخبرك (بتأويل) بتفسير (ما لم تستطع عليه صبرا) ما لم تصبر عليه (اما السفينة) التي ثقبتها (فكانت لمساكين يعملون في البحر) فيعبرون بالناس (فاردت ان اعيبها) اشينها (وكان وراءهم) امامهم (ملك) يقال له جلندى (يأخذ كل سفينة غصبا) فلذلك ثقبتها (واما الغلام) الذي قتلته (فكان ابواه مؤمنين) من عظماء تلك القرية (فخشينا ان يرهقهما) فعلم ربك ان يكلفهما (طغيانا وكفرا) بطغيانه وكفره ومعه

الى الفرق الموعود بقوله فلا تصاحبني أو الى الاعتراض الثالث أو الوقت أي هذا الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل ﴿ سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴾ بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيأ اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أو لزمانتهم فانها كانت لعشر اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر ﴿ فاردت ان اعيبها ﴾ ان أجعلها ذات عيب ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ قدامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدي ﴿ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ من أصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية أو لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وأدعهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها ﴿ واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ﴾ ان يغشاهما ﴿ طغيانا وكفرا ﴾ لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا أو يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بعلته فيرتد

على ترك أخذ الاجر هو المفرق بيننا ﴿ سأنبئك ﴾ أي سوف أخبرك ﴿ بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴾ وقيل ان موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني فقال الخضر ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر أي يؤجرونها ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيأ لا يزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم يملكون تلك السفينة ﴿ فاردت أن أعيبها ﴾ أي أجعلها ذات عيب ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ أي أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول أصح ﴿ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعبتها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندى الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروي ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها * قوله عز وجل ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ﴾ أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا ﴿ ان يرهقهما ﴾ أي يغشيهما وقيل يكلفهما ﴿ طغيانا وكفرا ﴾ قيل معناه فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه

وء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وهو من كلام الخضر
منالك لانه تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وان كان من قول الله تعالى فمعنى فخشينا فعلمنا أن عاش ان يصير سببا لكفر
وله (فاردنا ان يبدلهما ربهما) يبدلهما ربهما مدنى وابو عمرو (خيرا منه زكوة) طهارة ونقاء من الذنوب (واقرب رحما)
ر وعطفا وزكاة ورحما تمييز روى انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا او
سبعين نبيا أو ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما رحما شامى وهما لغتان (واما الجدار فكان لغلامين) اصرم وصريم (يتيمين فى المدينة) هى القرية المذكورة (وكان تحته كنز لهما) اى لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله او مال مدفون من ذهب وفضة او كتب فيها علم والاول اظهر وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم

ضلاله أو بعما لا أته على طغيانه وكفره حبا له وانما خشى ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب ليه ان كنت علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى لك ان تقتل * وقرئ فخاف ربك أى فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز ان يكون قوله خشينا حكاية قول الله عز وجل ﴿ فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ﴾ أن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه ﴿ زكوة ﴾ طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة ﴿ واقرب رحما ﴾ رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم قرأ نافع وأبو عمرو ويبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التميز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة ﴿ واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ﴾ قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف

﴿ فاردنا أن يبدلهما ربهما ﴾ الابدال رفع الشئ ووضع آخر مكانه ﴿ خيرا منه زكوة ﴾ أى صلاحا وتقوى وقيل هو فى مقابلة قوله تعالى أقتلت نفسا زاكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا منه زكاة ﴿ واقرب رحما ﴾ أى ويكون المبدل منه أقرب عطفا ورحمة بابويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل أبدلهما جارية فتزوجها نبى من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما بغلام مسلم وقيل انه الغلام الذى قتل فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى وان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ﴾ قيل كان اسمهما أصرم وصريم ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ روى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة أخرجه الترمذى وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفى الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدى

بالحلف الكاذب فقتلته (فاردنا ان يبدلهما ربهما) ولدا (خيرا منه زكوة) صالحا (واقرب رحما) وصل رحما فرزق الله لهما جارية فتزوج بها نبى من الانبياء فولدت نبيا من الانبياء فهدى الله على يديه امة من الناس وكان الغلام رجلا كافرا لصا قتالا
ذلك قتله الخضر وكان اسمه جيسور (واما الجدار) الذى سوته (فكان لغلامين يتيمين) وكان اسمهما اصرم وصريم (فى المدينة)
فى مدينة انطاكية (وكان تحته كنز لهما) لوح من الذهب فيه علم وحكمة مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالموت كيف
يفرح وعجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد

يتعب وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله ﴿ وكان ابوهما صالحا ﴾ تنبيه على ان سعيه ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح ﴿ فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ﴾ أي الحلم وكمال الرأي ﴿ ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾ مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة أو مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط ﴿ وما فعلته ﴾ وما فعلت ما رأيته ﴿ عن امري ﴾ عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله

لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل الكنز اذا أطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما ﴿ وكان أبوهما صالحا ﴾ قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني لاصلي فاذكر ولدي فازيد في صلاتي ﴿ فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ﴾ أي يدركا ويعقلا ويقوما وهو ابلوغ ثماني عشرة سنة فان قلت كيف قال في الاولى فاردت وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما ذكر العيب أضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا لحكمة عالية ولما ذكر رعاية مصالح في مال اليتيمين لاجل صلاح أبيهما أضافه الى الله سبحانه وتعالى لان حفظ الابناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس الا لله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك أضافه الى الله تعالى ﴿ ويستخرجا كنزهما ﴾ يعني اذا بلغا وعقلا وقويا ﴿ رحمة من ربك ﴾ أي نعمة من ربك ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ أي باختياري ورأيي بل فعلته بامر الله والهامه اياي لان تنقيص أموال الناس واراقة دمائهم وتغيير احوالهم لا يكون الا بالنص وامر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن امري على ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحي وذلك للانبياء والصحيح انه ولي لله وليس بنبي واجيب عن قوله سبحانه تعالى وما فعلته عن امري انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض

واحد (اراد [illegible]) قيل جدهما السابع (صالحا) من التحيز وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) اي الحلم (ويستخرجا كنزهما رحمة) مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما (من ربك وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن امري) عن اجتهادي وانما فعلته بامر الله والهاء يعود الى الكل

رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكان ابوهما صالحا) ذو امانة قيل له كاشح (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) ان يحتلما (ويستخرجا كنزهما) يعني اللوح (رحمة من ربك) نعمة لهما من ربك ويقال وحيا من ربك فعلته (وما فعلته عن امري) من قبل

مختلفة ﴿ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ﴾ أى مالم تستطع فحذف التاء تخفيفا من فوائد هذه القصة ان لايعجب المرء بعلمه ولايبادر الى انكار مالم يستحسنه فلعل فيه سرا لايعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعى الادب فى المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين ﴾ يعنى اسكندر الرومى ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمى ذاالقرنين أولانه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض فى ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب

ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى ﴿ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ﴾ أى لم تطق ان تصبر عليه روى ان موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال أوصنى قال لاتطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به ✲ واختلف العلماء فى ان الخضر أحى أم ميت فقيل انه حى وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة والحكايات فى رؤيته والاجتماع به ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من ان تحصر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاواه هو حى عند جماهير العلماء فى الصالحين والعامة هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب فى حياة الخضر فيما حكى أنه شرب من عين الحياة وذلك ان ذاالقرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرا لله تعالى وأخطأ ذوالقرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة أرأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لايعيش بعده ✲ وقوله عز وجل ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين ﴾ قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلقوس كذا صح الرومى وكان ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل لامام فخر الدين فى تفسيره عن أبى الريحان السرورى المنجم فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه أبو كرب سمى بن عير بن افريقيس الحميرى وهو الذى افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول

قد كان ذوالقرنين جدى مسلما ✲ ملكا علا فى الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغى ✲ أسباب ملك من كريم مرشد
فرأى مآب الشمس عند غروبها ✲ فى عين ذى خلب وثأط حرمد

قوله فرأى مآب الشمس أى ذهاب الشمس وقوله فى عين ذى خلب أى حمأة والثأطة الحمأة أيضا والجمع ثأط والحرمد الطين الاسود وقيل سمى ذاالقرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى فى المنام كان أخذ بقرنى الشمس وقيل لانه كان له ذؤابتان

الى الجدر (ذلك)اى الاجوبة الثلاثة (تأويل مالم تسطع عليه صبرا)حذف التاء تخفيفا وقد زل اقدام اقوام من الضلال فى تفضيل الولى على النبى وهو كفر جلى حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولى والجواب ان الخضر نبى وان لم يكن كما زعم البعض فهذا ابتلاء فى حق موسى عليه السلام على ان أهل الكتاب يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ماثان ومن المحال أن يكون الولى وليا الا بايمانه بالنبى ثم يكون النبى دون الولى ولاغضاضة فى طلب موسى العلم لان الزيادة فى العلم مطلوبة وانما ذكر أولا فاردت لانه افساد فى الظاهر وهو فعله وثالثا فاراد ربك لانه انعام محض وغير مقدور البشر وثانيا فاردنا لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فاردنا فاراد الله عز وجل ومثله فى القرآن كثير (ويسئلونك) أى اليهود على جهة الامتحان أوأبو جهل وأشياعه (عن ذى القرنين) هو الاسكندر الذى ملك الدنيا قيل

نسمى(ذلك تأويل) تفسير (مالم تسطع عليه صبرا)مالم تصبر عليه (ويسئلونك)يا محمد اهل مكة (عن ذى القرنين)عن خبر ذى القرنين

ملكين مؤمنان ذوالقرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذاسرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبي وقيل ملكا من الملائكة وعن على رضى الله عنه انه قال ليس بملك ولانبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن فى طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله

فسمي ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه قيل كان يدعوهم الى توحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وقال عليه السلام سمى ذا القرنين لانه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقيها وغربيها وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان أوانقرض فى وقته قرنان من الناس أولانه ملك الروم وفارس أوالترك والروم أوكان لتاجه قرنان أوعلى رأسه مايشبه القرنين أوكان كريم الطرفين أبا وأما وكان من الروم (قل سأتلو عليكم منه) من ذى القرنين (ذكرا انا مكنا له فى الارض) جعلنا له فيها مكانة واعتلاء (وآتيناه من كل شئ) أراده من اغراضه ومقاصده فى ملكه (سببا) طريقا موصلا اليه (فاتبع سببا) والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أوقدرة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا فاتبع ثم أتبع كوفي وشامي الباقون بوصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعى اتبع لحق واتبع اقتفى وان لم يلحق (حتى)

بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح اقرانه واختلف فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا أومشركوا مكة ﴿ قل سأتلوا عليكم منه ذكرا ﴾ خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله ﴿ انا مكنا له فى الارض ﴾ أى مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول ﴿ وآتيناه من كل شئ ﴾ اراده وتوجه اليه ﴿ سببا ﴾ وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة ﴿ فاتبع سببا ﴾

حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما عمامته وروى عن على أنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم بعثه لهم فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله واختلفوا فى نبوته فقيل كان نبيا ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا ياذا القرنين وخطاب الله لايكون الامع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطفيل سئل على عن ذى القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولاملكا ولكن كان عبدا أحب الله فاحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال تسميتم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاصح الذى عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب وبنى السدود ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان ألفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذى هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فلذلك قوله سبحانه وتعالى ويسئلونك عن ذى القرنين ﴿ قل سأتلوا عليكم منه ذكرا ﴾ أى خبرا يتضمن حاله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ انا مكنا له فى الارض ﴾ أى وطأنا والتمكين تمهيد الاسباب قال على سخر الله له السحاب فحمل عليه ومدله فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذلل له طرقها ﴿ وآتيناه من كل شئ ﴾ مما يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء ﴿ سببا ﴾ أى علما يتسبب به الى كل ما يريد ويسير به فى أقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث أراد وقيل قربنا له أقطار الارض ﴿ فاتبع سببا ﴾ أى سلك طريقا

(قل) يا محمد لهم (سأتلوا عليكم) سأقرأ عليكم (منه) من خبره (ذكرا) بيانا (انا مكنا له) مكناه (فى الارض وآتيناه) أعطيناه (من كل شئ سببا) معرفة الطريق والمنازل (فاتبع سببا) فاخذ

حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أى منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال صلى الله عليه وسلم بدء أمره انه وجد فى الكتب ان أحد
لا دسام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير فى طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين (وجدها
ب فى عين حمئة) ذات حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة حامية شامى وكوفى غير حفص بمعنى حارة وعن أبى ذر كنت رديف
سول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدرى يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تغرب
عين حمئة وكان ابن عباس رضى الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال
ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأها فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما ولا تنافى فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم مالفظ البحر وكانوا كفارا (قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا) ان كان نبيا فقد أوحى الله اليه بهذا والا فقد أوحى الى نبى فامره النبى به أو كان الهاما خير بين ان يعذبهم بالقتل ان أصروا على أمرهم وبين ان يتخذ فيهم حسنا باكرامهم وتعليم الشرائع ان آمنوا أو التعذيب القتل
واتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان (قال) ذو القرنين (اما من ظلم فسوف نعذبه) بالقتل

أى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء ﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر حامية اى حارة ولا تنافى بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين أو حمئة على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة ﴿ ووجد عندها ﴾ عند تلك العين ﴿ قوما ﴾ قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم مالفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم أو يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله ﴿ قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب ﴾ أى بالقتل على كفرهم ﴿ واما ان تتخذ فيهم حسنا ﴾ بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله ﴿ قال اما من ظلم فسوف نعذبه

﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ أى ذات حمأة وهى الطينة السوداء وقرئ حامية أى حارة وسأل معاوية كعبا كيف تجد فى التوراة تغرب الشمس وأين تغرب قال نجد فى التوراة أنها تغرب فى ماء وطين وقيل يجوز أن يكون معنى فى عين حمئة أى عندها عين حمئة أو فى رأى العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب فى وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى ان الشمس كانها تغيب فى البحر ﴿ ووجد عندها قوما ﴾ أى عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب يقال انها الجاسوس واسمها بالسريانية «حرجسا» سكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح لولا ضجيج أهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب أى تغيب ﴿ قلنا ياذا القرنين ﴾ يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره ﴿ اما ان تعذب ﴾ يعنى تقتل من لم يدخل فى الاسلام ﴿ واما ان تتخذ فيهم حسنا ﴾ يعنى تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين الامرين ﴿ قال أما من ظلم ﴾ أى كفر ﴿ فسوف نعذبه ﴾ أى نقتله

ريقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) حيث تغرب (وجدها تغرب فى عين حمئة) حارة وتدل طينة سوداء ... قرئت بغير الالف
وجد عندها قوما) كفارا (قلنا ياذا القرنين) ألهمناه (ما أن تعذب) تقتل حتى يقولوا لا اله الا الله (واما ان تتخذ فيهم حسنا)
او فاتعفو عنهم وتتركهم (قال اما من ظلم) كفر بالله (فسوف نعذبه) فى الدنيا بالقتل

(ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) في القيامة يعني امامن دعوته الى الاسلام فأبى الاالبقاء على الظلم العظيم وهو الشر
فذاك هو المعذب في الدارين (وأمامن آمن وعمل صالحا) أي عمل ماتقتضيه الإ

(فله جزاء الحسنى) فله جزاء النعمة الحسنى التى هي كلمة الشهادة جزاء الحسنى كوفي غير أبي بكر أي فله النعمة الحسنى جزاء (وسنقول له من امرنا يسرا) أي ذا يسر أي لانأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) من دون الشمس (سترا) أي أبنية عن كعب أرضهم لاتمسك الابنية وبها أسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم أو الستر اللباس عن مجاهد من لايلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض (كذلك أي أمر ذو القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيما

﴿ ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ﴾ اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره أو استمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه أنا ومن معى في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله ﴿ واما من آمن وعمل صالحا ﴾ وهو ماتقتضيه الايمان ﴿ فله ﴾ في الدارين ﴿ جزاء الحسنى ﴾ فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال أي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها أو على المصدر لفعله المقدر حالا أي يجزى بها جزاء أو التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير أي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام أو على لسان نبي ﴿ وسنقول له من امرنا ﴾ مما نأمره به ﴿ يسرا ﴾ سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق ﴿ حتى اذا بلغ مطلع الشمس ﴾ يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف أي مكان مطلع الشمس فانه مصدر ﴿ وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴾ من اللباس أو البناء فان ارضهم لاتمسك الابنية أو انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية ﴿ كذلك ﴾ اى امر ذى القرنين كما وصفناه في رفعة المكانة وبسطة الملك أو امره فيهم كأمره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد أو نجعل أو صفة قوم أى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس في الكفر

﴿ ثم يرد الى ربه ﴾ أي في الآخرة ﴿ فيعذبه عذابا نكرا ﴾ أي منكرا يعنى بالنار لانها أنكر من القتل ﴿ وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى ﴾ أي جزاء أعماله الصالحة ﴿ وسنقول له من أمرنا يسرا ﴾ أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ أي سلك طريقا ومنازل ﴿ حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴾ قيل انهم كانوا في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل انهم كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش أحدهم احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية «مرقيسيا» وهم مجاورن يأجوج ومأجوج قوله سبحانه وتعالى ﴿ كذلك ﴾ أى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الاصح

(ثم يرد الى ربه) في الآخرة (فيعذبه) بالنار (عذابا نكرا) شديدا (وأما من آمن) لله (وعمل صالحا) خالصا (فله جزاء الحسنى) الجنة في الآخرة (وسنقول له من أمرنا يسرا) معروفة (ثم اتبع سببا) أخذ طريقا نحو المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونهم) ( ) بينهم وبين الشمس (سترا) جبلا ولا شجرا ولا ثوبا قوم عماة عراة عن الحق يقال لهم تارج وتأويل ومنسك (كذلك) كما بلغ الى المغرب

امره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبرا) نصب على المصدر لان فى أحطنا معنى خبرنا أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها أو تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم

والحكم ﴿ وقد احطنا بما لديه ﴾ من الجنود والآلات والعدد والاسباب ﴿ خبرا ﴾ علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لايحيط به الا علم اللطيف الخبير ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال ﴿ حتى اذا بلغ بين السدين ﴾ بين الجبلين المبنى بينهما سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان منيفان فى آخر الشمال فى منقطع ارض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة ﴿ وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا ﴾ لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى لايفقهون أى لايفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه ﴿ قالوا ياذا القرنين ﴾ أى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ﴿ ان يأجوج ومأجوج ﴾ قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج

﴿ وقد احطنا بما لديه خبرا ﴾ أى علما بما عنده ومن معه من الجند والعدة وآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ماعنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره * قوله عز وجل ﴿ ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين ﴾ هما هنا جبلان فى ناحية الشمال فى منقطع أرض الترك حكى ان الواثق بعث بعض من يثق به من أتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ﴿ وجد من دونهما قوما ﴾ أى امام السدين قيل هم الترك ﴿ لايكادون يفقهون قولا ﴾ قال ابن عباس لايفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم ﴿ قالوا ياذا القرنين ﴾ فان قلت كيف أثبت لهم القول وهم لايفهون * قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لايكادون يفقهون قولا الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس ﴿ ان يأجوج ومأجوج ﴾ أصلهما من أجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا ان يأجوج أمة ومأجوج امة وكل أمة اربعة

(ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما السدين وسدا مكى وأبو عمرو وحفص السدين وسدا حمزة وعلى بضمهما غيرهم قيل ما كان مسدودا خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب بين على انه مفعول به لبلغ كما انجر بالاضافة فى هذا فراق بينى وبينك وكما ارتفع فى لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق (وجد من دونهما) من ورائهما (قوما) هم الترك (لايكادون يفقهون قولا) أى لايكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها يفقهون حمزة وعلى أى لايفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة (قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج) هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهمزهما عاصم فقط وهما من ولد يافث أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم

بلغ الى المشرق (وقد أحطنا بما لديه خبرا) (قا و خا ۱۸ بع) قد علمنا بما كان عنده من الخبر والبيان (ثم أتبع سببا) أخذ طريقا الى المشرق نحو الروم (حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين (وجد من دونهما) من دون الجبلين (قوما لايكادون يفقهون قولا) قول غيرهم (قالوا) للترجمان (ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج

من الجلل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذ اسرع

آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشأم طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن على منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج مأجوج فهم متصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى له انى باعثك الى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احداهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج مأجوج فقال ذو القرنين بأى قوة أكابدهم وبأى جمع أكاثرهم وبأى لسان أناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى انى سأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شئ وألبسك الهيبة فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك فالنور يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيهم الا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين وجند منهم جندا عظيما ثم أخذ ناحية اليسرى فأتى تاويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التى في وسط الارض فلما كان فيما يلى منقطع الترك مما يلى المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذى روح خلق في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا شك أنهم يتملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير وقال أعدوا الى الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منالهم مخالب وأضراس كالسباع ولهم هلب شعر يوارى

(مفسدون في الارض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ويابسا الا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر (فهل نجعل لك خرجا) خراجا حمزة وعلى أى جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى) بالادغام وبفكه مكى (فيه ربى خير) أى ما جعلنى فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة لى اليه (فاعينونى بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (أجعل بينكم وبينهم ردما) جدارا وحاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد (آتونى زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جلدا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة

واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث ﴿مفسدون فى الارض﴾ أى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ﴿فهل نجعل لك خرجا﴾ جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر ﴿على ان تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ يحجزون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائى ﴿قال ما مكنى فيه ربى خير﴾ ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة بى اليه وقرأ ابن كثير مكننى على الاصل ﴿فاعينونى بقوة﴾ أى بقوة فعلة أو بما اتقوى به من الآلات ﴿اجعل بينكم وبينهم ردما﴾ حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع ﴿آتونى زبر الحديد﴾ قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ائتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة

أجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف فى واحدة ويشتى فى واحدة يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذوالقرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج ﴿مفسدون فى الارض﴾ قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم ﴿فهل نجعل لك خرجا﴾ أى جعلا وأجرا من الاموال ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ أى حاجزا فلا يصلون الينا ﴿قال﴾ لهم ذوالقرنين ﴿ما مكنى فيه ربى خير﴾ أى ما قوانى به ربى خير من جعلكم ﴿فاعينونى بقوة﴾ يعنى لا أريد منكم المال بل أعينونى بابدانكم وقوتكم ﴿أجعل بينكم وبينهم ردما﴾ أى سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وما تلك الآلة قال ﴿آتونى﴾ أى اعطونى وقيل جيئونى ﴿زبر الحديد﴾ أى قطع الحديد فأتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد

مفسدون فى الارض) يفسدون أرضنا يأكلون رطبنا ويحملون يابسنا ويقتلون أولادنا ويقال ... سدون فى الارض أى يأكلون الناس ويأجوج كان رجلا ومأجوج كان رجلا وكانا من بنى يافث ويقال سمى يأجوج ومأجوج ... لكثرتهم (فهل نجعل لك خرجا) جعلا ويقال أجرا ان قرأت بغير الالف (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) حاجزا (قال ما مكنى ... فيه) ما ملكنى عليه (ربى) وأعطانى (خير) مما تعرضون على من الجعل (فاعينونى بقوة) قالوا أى القوة تريد منا قال آلة الحدادين (أجعل بينكم وبينهم ردما) سدا (آتونى) أعطونى (زبر الحديد) فلق الحديد

دون الخراج على العمل ﴿ حتى اذا ساوى بين الصدفين ﴾ بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل ﴿ قال انفخوا ﴾ أى قال للعملة انفخوا فى الاكوار والحديد ﴿ حتى اذا جعله ﴾ جعل المنفوخ فيه ﴿ نارا ﴾ كالنار بالاحماء ﴿ قال آتونى افرغ عليه قطرا ﴾ أى آتونى قطرا أى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتونى لاضمر مفعول فرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتونى موصولة الالف ﴿ فما اسطاعوا ﴾ بحذف التاء حذرا من تلاقى متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ﴿ ان يظهروه ﴾ ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه ﴿ وما استطاعوا له نقبا ﴾ لثخنه وصلابته قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها ﴿ قال هذا ﴾ هذا السد أو الاقدار على تسويته ﴿ رحمة من ربى ﴾ على عباده ﴿ فاذا جاء وعد ربى ﴾ وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة ﴿ جعله دكا ﴾ مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية

والحديد على الحطب ﴿ حتى اذا ساوى بين الصدفين ﴾ أى بين طرفى الجبلين ﴿ قال انفخوا ﴾ يعنى فى النار ﴿ حتى اذا جعله نارا ﴾ أى صار نارا ﴿ قال آتونى أفرغ عليه ﴾ أى أصب عليه ﴿ قطرا ﴾ أى نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل ان السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكانه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه ﴿ فما اسطاعوا ان يظهروه ﴾ أى يعلوا عليه لعلوه وملاسته ﴿ وما استطاعوا له نقبا ﴾ أى من أسفله لشدته وصلابته ﴿ قال ﴾ يعنى ذو القرنين ﴿ هذا ﴾ أى السد ﴿ رحمة من ربى ﴾ أى نعمة من ربى ﴿ فاذا جاء وعد ربى ﴾ قيل يعنى يوم القيامة وقيل وقت خروجهم ﴿ جعله دكاء ﴾

فرسخ (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بفتحتين جانبي الجبلين لانهما يتصادفان أى يتقابلان الصدفين مكى وبصرى وشامى الصدفين أبو بكر (قال انفخوا) أى قال ذو القرنين للعملة انفخوا فى الحديد (حتى اذا جعله) أى المنفوخ فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال آتونى) أعطونى (أفرغ) أصب (عليه قطرا) نحاسا مذابا لانه يقطر وهو منصوب بافرغ وتقديره آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه قال ائتونى بوصل الالف حمزة واذا ابتدأ كسر الالف أى جيئونى (فما اسطاعوا) بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء (أن يظهروه) أن يعلوا السد (وما استطاعوا له نقبا) أى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته (قال هذا رحمة من ربى) أى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد ربى) فاذا دنا مجئ يوم القيامة وشارف أن يأتى (جعله) أى السد (دكا) أى مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك دكاء كوفى أى أرضا مستوية

(حتى اذا ساوى بين الصدفين) طرفى الجبل (قال) لهم (انفخوا) فنفخوا فيه النار (حتى اذا جعله نارا) يقول صار الحديد كنار فذهب بعضه فى بعض (قال آتونى) أعطونى (افرغ عليه) أصب على الحائط (قطرا) صفرا (فما اسطاعوا) فلم يقدروا (ان يظهروه) من أعلاه (وما استطاعوا له (اى) نقبا) من أسفله (قال هذا) الحائط (رحمة) نعمة (من ربى) عليكم (فاذا جاء وعد ربى) بخروج يأجوج ومأجوج (جعله دكا) كسر

(كان وعد ربى حقا) آخر قول ذى القرنين (وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يموج) يختلط (فى بعض) أى يضطربون

ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز

الضمير لياجوج ومأجوج

﴿ وكان وعد ربى حقا ﴾ كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذى القرنين ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ﴾ وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون فى بعض مزدحمين فى البلاد أو يموج بعض الخلائق فى بعض ويضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده قوله ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ لقيام الساعة ﴿ فجمعناهم جمعا ﴾ للحساب والجزاء ﴿ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين ﴾ وابرزناها واظهرناها لهم ﴿ عرضا الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى ﴾ عن آياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعا ﴾ استماعا لذكرى وكلامى لافراط

أى أرضا ملساء وقيل مدكوكا مستويا مع الارض ﴿ وكان وعد ربى حقا ﴾ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب وهو ان تجعل رأس أصبعك السبابة فى وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الاخلل يسير ✽ وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كأشد ما كان حتى اذا بلغوا امدتهم وأراد الله تعالى ان يبعثهم على الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفر منهم الناس وفى رواية تتحصن الناس فى حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فى الارض وعلونا من فى السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغفا فى رقابهم فيهلكون فوالذى نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر الله من لحومهم شكرا أخرجه الترمذى قوله قسوة وعتوا أى غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يكون فى أنوف الابل والغنم قوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ أجسادها لحما وتسمن (خ) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج ✽ قوله عز وجل ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ﴾ قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أى يدخل بعضهم فى بعض كموج الماء ويختلط بعضهم فى بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم فى بعض لكثرتهم ويختلط انسهم بجنهم حيارى ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ فيه دليل على ان خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿ فجمعناهم جمعا ﴾ أى فى صعيد واحد ﴿ وعرضنا ﴾ أى أبرزنا ﴿ جهنم يومئذ للكافرين عرضا ﴾ ليشاهدوها عيانا ﴿ الذين كانت أعينهم فى غطاء ﴾ أى غشاء وستر ﴿ عن ذكرى ﴾ أى عن الايمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعا ﴾ أى سمع قبول للايمان والقرآن لغلبة الشقاء

وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد وروى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا فى أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفخ فى الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم) أى جمع الخلائق للثواب والعقاب (جمعا) تأكيدا (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها (الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى) عن آياتى التى ينظر اليها أو عن القرآن فاذكره بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أى وكانوا صما عنه الا انه أبلغ

(وكان وعد ربى) بخروجهم (حقا) صدقا كائنا (وتركنا بعضهم يومئذ) يوم الخروج ويقال يوم الرجوع من الروم حيث لم يقدروا على الخروج منه (يموج) يجول (فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا) جميعا (وعرضنا جهنم) كشفنا جهنم (يومئذ) يوم القيامة (للكافرين) قبل دخولهم (عرضا) كشفا (الذين كانت أعينهم فى غطاء) فى عمى (عن ذكرى) عن توحيدى وكتابى (وكانوا لا يستطيعون سمعا) الاستماع الى قراءة القرآن من بغض محمد صلى الله عليه وسلم

اذا الاصم قديستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (أفحسب الذين كفروا ان يتخذ
عبادى من دونى أولياء) أى أفظن الكفار اتخاذهم عبادى يعنى الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بئس ماظنوا وقر
ان بصلتها سد مسد مفعولى أحسب وعبادى أولياء مفعولا ان يتخذوا وهذا أوجه يعنى انهم لايكونون لهم أولياء (انا اعتدنا جهنم
للكافرين نزلا) هو ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (قل هل ننبئكم
بالاخسرين أعمالا) أعمالا تمييز وانما جمع وان كان يكون مفرد لتنوع الاهواء وهم أهل الكتاب والرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو فى محل الرفع أى هم الذين (فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا) فلايكون لهم عندنا

صممهم عن الحق فان الاصم قديستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصمت مسامعهم بالكلية ﴿ أفحسب الذين كفروا ﴾ افظنوا والاستفهام للانكار ﴿ان يتخذوا عبادى﴾ اتخاذهم الملائكة والمسيح ﴿ من دونى اولياء ﴾ معبودين نافعهم أولا اعذبهم به فحذف المفعول الثانى كما يحذف الخبر للقرينة أو سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا أى أفكافيهم فى النجاة وان بما فى حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل أو خبر له ﴿ انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ﴾ ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب مايستحقر دونه ﴿ قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ﴾ نصب على التميز وجمع لانه من اسماء الفاعلين أو لتنوع اعمالهم ﴿ الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا ﴾ ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال أو الجر على البدل أو النصب على الذم ﴿ وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ﴾ لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق ﴿ اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ﴾ بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ﴿ ولقائه ﴾ بالبعث على ماهو عليه أو لقاء عذابه ﴿ فحبطت اعمالهم ﴾ بكفرهم فلايثابون عليها ﴿ فلانقيم لهم يوم القيمة وزنا ﴾

عليهم وقيل معناه لايستطيعون أن يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له ✽ قوله تعالى ﴿ أفحسب ﴾ أى أفظن ﴿ الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ﴾ يعنى أربابا يريد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعنى الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أفظن الذين كفروا ان يتخذوا غيرى أولياء وانى لا أغضب لنفسى فلا أعاقبهم وقيل معناه أفظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء ﴿ انا أعتدنا ﴾ أى هيأنا ﴿ جهنم للكافرين نزلا ﴾ أى منزلا قال ابن عباس رضى الله عنهما هى مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالنزل للضيف ✽ قوله تعالى ﴿ قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا ﴾ يعنى الذين اتعبوا أنفسهم فى عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم فى الصوامع وقال على بن أبى طالب هم أهل حروراء يعنى الخوارج ﴿ الذين ضل سعيهم ﴾ أى بطل عملهم واجتهادهم ﴿ فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون ﴾ أى يظنون ﴿ انهم يحسنون صنعا ﴾ أى عملا ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ﴾ يعنى أنهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء ﴿ فحبطت أعمالهم ﴾ أى بطلت ﴿ فلانقيم لهم يوم القيمة وزنا ﴾ قيل

(أفحسب) أفيظن (الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (أن يتخذوا عبادى) أن يعبدوا عبادى (من دونى أولياء) اربابا أن ينفعوهم فى الدنيا والآخرة ويقال أفحسب أفيكفى ان قرأت بضم الباء وجزم السين الذين كفروا أن يتخذوا عبادى أن يعبدوا عبادى من دونى من دون طاعتى أولياء أربابا (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) منزلا (قل) يا محمد (هل ننبئكم) نخبركم (بالاخسرين أعمالا) فى الآخرة (الذين ضل سعيهم) بطل عملهم (فى الحيوة الدنيا) وهم الخوارج ويقال أصحاب الصوامع (وهم يحسبون) يظنون (انهم يحسنون صنعا) يعملون عملا صالحا (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بمحمد عليه السلام والقرآن (ولقائه) لبعث بعد الموت (فحبطت أعمالهم) حسناتهم (فلانقيم لهم) لاعمالهم (يوم القيامة وزنا) ميزانا ويقال

ن ومقدار (ذلك جزاؤهم جهنم) هى عطف بيان لجزاؤهم (بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) أى
ؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله (ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا خالدين فيها)
حال (لا يبغون عنها حولا)
تحولا الى غيرها رضا بما
أعطوا يقال حال من مكانه
حولا أى لا مزيد عليها حتى
تنازعهم أنفسهم الى أجمع
لاعراضهم وامانيهم وهذه
غاية الوصف لان الانسان
فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو
طامح مائل الطرف الى أرفع
منه والمراد نفى التحول وتأكيد
الخلود (قل لو كان البحر)
أى ماء البحر (مدادا لكلمات
ربى) قال أبو عبيدة المداد
مايكتب به أى لو كتب كلمات
علم الله وحكمته وكان البحر
مدادا لها والمراد بالبحر الجنس
(خالدين فيها) مقيمين فيها (لا يبغون) لا يطلبون (عنها حولا) تحويلا (قل) يا محمد لليهود (لو كان البحر مدادا لكلمات ربى) لعلم ربى

نزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم
لانحباطها ﴿ذلك﴾ أى الامر ذلك وقوله ﴿جزاؤهم جهنم﴾ جملة مبينة له ويجوز
ن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أى جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله
جهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر ﴿بما كفروا واتخذوا
ياتى ورسلى هزوا﴾ أى بسبب ذلك ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم
جنات الفردوس نزلا﴾ فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات
لجنة واصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة ﴿لا يبغون
نها حولا﴾ تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به
كيد الخلود ﴿قل لو كان البحر مدادا﴾ مايكتب به وهو اسم ما يمد به الشئ كالحبر
دواة والسليط للسراج ﴿لكلمات ربى﴾ لكلمات علمه وحكمته

نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما وضع لاهل الحسنات والسيآت من الموحدين ليتميز
مقدار الطاعات ومقدار السيآت قال أبو سعيد الخدرى يأتى أناس باعمال يوم القيامة
ى عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم
م القيامة وزنا وقيل معناه نزدرى بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق)
ن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتى الرجل العظيم السمين
م القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة
زنا ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ فقال
الى ﴿جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا﴾ يعنى سخرية واستهزاء ٭
له تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾
ن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط
لجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال كعب ليس فى الجنان
نة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة
فردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقيل الفردوس هو البستان الذى
الاعناب وقيل هى الجنة الملتفة بالاشجار التى تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس
ستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو ما يهيأ للنازل على معنى
ت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل فى معنى كانت لهم أى فى علم الله تعالى
ان يخلقوا ﴿خالدين فيها لا يبغون﴾ أى لا يطلبون ﴿عنها حولا﴾ أى تحولا
غيرها قال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه
دار أخرى ٭ قوله تعالى ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى﴾ قال ابن عباس
ت اليهود يا محمد تزعم انا قد أوتينا الحكمة وفى كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا
ثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما

لا يوزن يوم القيامة من
أعمالهم قدر ذرة (ذلك
جزاؤهم جهنم بما كفروا)
بمحمد عليه السلام والقرآن
(واتخذوا آياتى) كتابى
(ورسلى) محمد عليه السلام
وغيره (هزوا) سخرية
واستهزاء (ان الذين آمنوا)
بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن (وعملوا الصالحات)
الطاعات فيما بينهم وبين ربهم
(كانت لهم جنات الفردوس)
أعلاها درجة (نزلا) منزلا

﴿ لنفد البحر ﴾ لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه ﴿ قبل ان تنفد كلمات ربي ﴾ فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ﴿ ولو جئنا بمثله ﴾ بمثل البحر الموجود ﴿ مددا ﴾ زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا ﴿ قل انما انا بشر مثلكم ﴾ لا ادعي الاحاطة على كلماته ﴿ يوحى الي انما الهكم اله واحد ﴾ وانما تميزت عنكم بذلك ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ يأمل حسن لقائه ﴿ فليعمل عملا صالحا ﴾ يرتضيه الله ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه احدا ﴾ بان يرائيه أو يطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما

أوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شيء فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أي ما يستمده الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون ﴿ لنفد البحر ﴾ أي لنفد ماؤه ﴿ قبل أن تنفد كلمات ربي ﴾ أي علمه وحكمه ﴿ ولو جئنا بمثله مددا ﴾ والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات ربي ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مددا وزيادة * قوله تعالى ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم ﴾ قال ابن عباس أعلم الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فامره ان يقر فيقول أنا آدمي مثلكم الا أني خصصت بالوحي وأكرمني الله به وهو قوله تعالى ﴿ يوحى الي انما الهكم اله واحد ﴾ لا شريك له في ملكه ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ أي يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه ﴿ فليعمل عملا صالحا ﴾ أي من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه في العمل الصالح ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ أي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان أحدهما ان يراد به سبحانه وتعالى والثاني أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به قوله من سمع سمع الله به أي من عمل عملا مراآة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به أي أسمعه المكروه (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه بريء هو والذي عمله * عن سعيد بن أبي فضالة رضي الله عنه قال سمعت

والكلمات غير نافدة ومددا تمييز نحو لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به ينفد حمزة وعلي وقيل قال حيي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد بالقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته (فليعمل عملا صالحا) خالصا لا يريد به الا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحى منه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) هو نهي عن الشرك أو عن الرياء قال صلى الله عليه

(لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) ويقال تدبير ربي (ولو جئنا بمثله مددا) زيادة (قل) يا محمد (انما أنا بشر مثلكم) آدمي مثلكم (يوحى الي) جبريل (انما الهكم اله واحد) بلا ولد ولا شريك (فمن كان يرجو لقاء ربه) يخاف البعث بعد الموت (فليعمل عملا صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) لا يرائي ولا يخالط بعبادة ربه أحدا ﴿ رسول

واتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فان يخرج الدجال فى تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلألأ من مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ

لتوحيد والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ خاتمة الكهف عند مضجعه كان له نور فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة مريم مكية الا آية السجدة وهى ثمان أو تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كهيعص﴾ امال ابوعمرو الهاء لان الفات اسماء التهجى يآت وابن عامر وحمزة الياء والكسائى وابوبكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ﴿ذكر رحمت ربك﴾ خبر ماقبله ان اول بالسورة وبالقرآن فانه مشتمل عليه أو خبر محذوف أى هذا المتلو ذكر رحمة ربك أو مبتدأ حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضى وذكر على الامر ﴿عبده﴾

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الناس ليوم لاريب فيه نادى مناد من كان يشرك فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه منه فان الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال أخوف ماأخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء (م) عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة مريم عليها السلام هى مكية وهى ثمان وتسعون

آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿كهيعص﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم القرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق فى وعده ﴿ذكر﴾ أى هذا الذى نتلو عليك ذكر ﴿رحمت ربك عبده﴾

﴿سورة مريم عليها السلام مكية وهى ثمان أو تسع وتسعون آية مدنى وشامى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كهيعص) قال السدى هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ على ويحيى بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما (ذكر رحمت ربك) خبر مبتدأ أى هذا ذكر (عبده) مفعول الرحمة

ويقال بطاعة ربه أحدا نزلت هذه الآية فى جندب بن زهير العامرى

﴿ومن السورة التى يذكر فيها مريم وهى كلها مكية آياتها ثمان وتسعون وكلماتها تسعمائة واثنان وستون وحروفها ثلاثة آلاف وثلثمائة وحرفان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (كهيعص) (قا و خا ١٩ بع) قال هو ثناء أثنى به على نفسه يقول كاف هاد عالم صادق ويقال كاف كاف لخلقه هاد هادى لخلقه يد الله على خلقه وعين عالم بامرهم صاد صادق بوعده ويقال الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حليم والعين من عليم والصاد من صادق ويقال من صدوق ويقال هو قسم اقسم به (ذكر رحمت ربك) يقول هذا ذكر ربك (عبده

(زكريا) بالقصر حمزة وعلي وحفص بدل من عبده (اذ) ظرف للرحمة (نادى ربه نداء خفيا) دعاه دعاء كما هو المامور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب الى الصفاء أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لانه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة (قال رب) هذا تفسير الدعاء وأصله يا ربي فحذف حرف النداء والمضاف اليه اختصارا (اني وهن العظم مني) ضعف وخص العظم لانه عمود البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه أشد ما فيه وأصلبه فاذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن (واشتعل الرأس شيبا) تمييز أي فشا في رأسي الشيب واشتعلت النار اذا تفرقت في التهابها وصارت شعلا فشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل مأخذ كاشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا ألا ترى ان أصل الكلام يا رب قد شخت اذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما وأقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي ففيه مزيد التقرير للتفصيل وأقوى منه وهنت عظام بدني ففيه عدول عن التصريح الى الكناية فهي أبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدني وأقوى منه اني وهنت عظام بدني وأقوى منه اني وهنت العظام من بدني ففيه سلوك طريق الاجمال والتفصيل وأقوى منه اني وهنت العظام مني ففيه ترك توسيط البدن وأقوى منه اني وهن العظم مني لشمول الوهن العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظم الى الافراد (رب) لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسي الى أبلغ وهي الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسي وأبلغ منه اشتعل رأسي شيبا لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيبا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق نير ولان فيه الاجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس مني شيبا وأبلغ منه واشتعل الرأس شيبا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم (ولم أكن بدعائك) مصدر مضاف الى المفعول أي بدعائي اياك

مفعول الرحمة أو الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد ﴿زكريا﴾ بدل منه أو عطف بيان له ﴿اذ نادى ربه نداء خفيا﴾ لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا أو لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم اولان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون ﴿قال رب اني وهن العظم مني﴾ تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ﴿ولم اكن بدعائك

زكريا﴾ قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته ﴿اذ نادى﴾ أي دعا ﴿ربه﴾ في المحراب ﴿نداء خفيا﴾ أي دعاء سرا من قومه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله في اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سيان لكن الاخفاء أولى لانه أبعد عن الرياء وأدخل في الاخلاص وقيل أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى ﴿قال رب اني وهن﴾ أي رق وضعف ﴿العظم مني﴾ أي من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس ﴿واشتعل الرأس﴾ أي ابيض الشعر ﴿شيبا﴾ أي شمط ﴿ولم اكن بدعائك

زكريا) رحمته بولد مقدم ومؤخر (اذ نادى ربه) دعا زكريا ربه في المحراب (نداء خفيا) أسره وأخفاه من قومه (قال رب) يا رب (اني وهن العظم مني) ضعف بدني (واشتعل الرأس شيبا) أخذ الرأس شمطا (ولم أكن بدعائك

(رب شقيا) أى كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقى فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال أنا الذى أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقت حاجته وقضى حاجته (وانى خفت الموالى) هم عصبته اخوته وبنو عمه وكانوا شرار بنى اسرائيل فخافهم ان يغيروا الدين وان لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى احياء الدين (من ورائى) بعد موتى وبالقصر وفتح الياء كهداى مكى وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لان وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية فى الموالى أى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى أو خفت الذين يلون الامر من ورائى (وكانت امرأتى عاقرا) عقيما لا تلد (فهب لى من لدنك) اختراعا منك بلا سبب لان امرأتى لا تصلح للولادة (وليا) ابنا يلى أمرك بعدى (يرثنى ويرث) برفعهما صفة لوليا أى هب لى ولدا وارثا منى العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث وبجزمهما أبو عمرو وعلى على انه جواب للدعاء يقال ورثته وورثت منه (من آل يعقوب) يعقوب ابن اسحق (واجعله رب رضيا) مرضيا ترضاه

رب شقيا) يقول لم أكن عندك بدعائى يارب خائبا (وانى خفت الموالى) يعنى الورثة (من ورائى) أن لا يكون من بعدى وارث يرث حبورتى ومكانى ويقال قلت ورثتى ان قرأت بنصب الخاء وكسر الفاء (وكانت امرأتى) صارت امرأتى أخت ام مريم بنت عمران بن ماثان (عاقرا) عقيما من الولد (فهب لى من لدنك) من عندك (وليا) ولدا (يرثنى) يرث حبورتى ومالى (ويرث من آل يعقوب) ان كان لهم حبورة ومال وكان آل يعقوب اخوال يحيى (واجعله رب رضيا) مرضيا صالحا فنادا

رب شقيا ﴾ بل كلما دعوتك استجبت لى وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه ﴿ وانى خفت الموالى ﴾ يعنى بنى عمه وكانوا اشرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم ﴿ من ورائى ﴾ بعد موتى وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف أو بمعنى الموالى أى خفت فعل الموالى من ورائى أو الذين يلون الامر من ورائى * وقرئ خفت الموالى من ورائى أى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدى أو خفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت ﴿ وكانت امرأتى عاقرا ﴾ لا تلد ﴿ فهب لى من لدنك ﴾ فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فانى وامرأتى لا تصلح للولادة ﴿ وليا ﴾ من صلبى ﴿ يرثنى ويرث من آل يعقوب ﴾ صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائى على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثنى الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا أو كان اخا عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام * وقرئ يرثنى وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثنى وهذا يسمى التجريد فى علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ ترضاه قولا وعملا

رب شقيا ﴾ أى عودتنى الاجابة فيما مضى ولم تخيبنى وقيل معناه لما دعوتنى الى الايمان آمنت ولم أشق بترك الايمان ﴿ وانى خفت الموالى من ورائى ﴾ أى من بعد موتى والموالى بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة ﴿ وكانت امرأتى عاقرا ﴾ أى لا تلد ﴿ فهب لى من لدنك وليا ﴾ أى أعطنى من عندك ولدا مرضيا ﴿ يرثنى ويرث من آل يعقوب ﴾ أى وليا ذا رشاد وقيل أراد به يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الحبورة لان زكريا كان رأس الاحبار والاولى أن يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون العلم ويبعد من زكريا وهو نبى من الانبياء ان يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما خاف ان يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه وذلك لما ان شاهد من بنى اسرائيل تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ أى برا تقيا مرضيا * قوله تعالى

أو راضيا عنك وتحكمك فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي) تولى الله تسميته تشريفا نبشرك بالتخفيف حمزة (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد بيحيي قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به (قال رب أنى) كيف (يكون لى غلام) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق يكون أيوهب له وهو وامرأته بتلك الحال أم يحولان

شابين (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن في السن العالية عتيا وصليا وجثيا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلى وحفص الا في بكيا (قال كذلك) الكاف رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ (قال ربك) أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره (هو على هين) أى خلق يحيي من كبيرين سهل (وقد خلقتك من قبل) أوجدتك من قبل يحيي خلقناك حمزة وعلى (ولم تك شيأ) لان المعدوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها

﴿ يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي ﴾ جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له ﴿ لم نجعل له من قبل سميا ﴾ لم يسم احد بيحيي قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامى الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمى وان كان عربيا فمنقول من فعل كيعيش ويعمر وقيل سمى به لانه حيي به رحم امه أو لان دين الله حيي بدعوته ﴿ قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائى وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته فان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك ﴿ قال ﴾ اى الله تعالى أو الملك المبلغ للبشارة تصديقا له ﴿ كذلك ﴾ الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال في ﴿ قال ربك ﴾ وذلك اشارة الى مبهم يفسره ﴿ هو على هين ﴾ ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو على هين أى الامر كما قلت أو كما وعدت وهو على ذلك يهون على او كما وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ ﴾ بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائى وقد خلقناك ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ علامة

﴿ يا زكريا ﴾ المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يا زكريا ﴿ انا نبشرك بغلام ﴾ أى بولد ذكر ﴿ اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا ﴾ أى لم يسم أحد قبله بيحيي وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيي وانما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه ﴿ قال رب أنى يكون لى ﴾ أى من أين يكون لى ﴿ غلام وكانت امرأتى عاقرا ﴾ أى وامرأتى عاقر ﴿ وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ أى يأسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد ﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ﴾ أى يسير ﴿ وقد خلقتك من قبل ﴾ أى من قبل يحيي ﴿ ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية ﴾ أى دلالة على حمل امرأتى

جبريل فقال (يا زكريا انا نبشرك بغلام) بولد (اسمه يحيي) يسمى يحيي باحيائه رحم امه (لم نجعل له من قبل سميا) اى لم نجعل لزكريا من قبل يحيي سميا ولدا يسمى يحيي ويقال لم يكن قبل يحيي احد يسمى يحيي (قال) زكريا (قال لجبريل (رب) يارب وسيدى (انى يكون لى غلام) من اين يكون لى ولد (وكانت امرأتى) صارت امرأتى (عاقرا) عقيما من الولد (وقد بلغت من الكبر عتيا) يبوسا ويقال سنى اثنان وسبعون سنة ان قرأت بكسر العين (قال) له جبريل (كذلك) هكذا كما قلت (قال ربك هو على هين) اى خلقه هو على هين (وقد خلقتك) وقد جعلتك يا زكريا (من قبل) من قبل يحيي (ولم تك شيأ قال) يارب (اجعل لى آية) علامة

بل امرأتي (قال آيتك أن لا تكلم النـاس ثلاث ليال سويا) حال من ضمير تكلم أى حال كونك سوى الاعضاء واللسان
ى علامتـك ان تمنع الكلام فلا تطيقـه وأنت سـليم الجوارح مابك خرس ولا بكم و دل ذكر الليالى هنا والايام فى آل
ران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن اذ ذكر الايام يتناول ما بازائها من الليالى وكذا ذكر الليالى يتناول ما بازائها
ن الايام عرفا (فخرج على قومه من ﴿ ١٤٩ ﴾ المحراب) من ﴿ سورة مريم ﴾ موضع صـلاته وكانوا ينتظرونه ولم يقـدر أن يتكلم (فاوحى اليهم) اشار باصبعه (أن سبحوا) صلوا وان هى المفسرة (بكرة وعشيا) صلاة الفجر والعصر (يايحيي) أى وهبناله يحيي وقلناله بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيي (خـذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أى بجد و استظهار بالتوفيق والتأييد (وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه فى الدين (صبيا) حال قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ماللعب خلقنا (وحنانا) شفقة ورحمة لابويه وغيرهما عطفا على الحكم (من لدنا)

اعلم بها وقوع ما بشرتنى به ﴿ قال آيتك ان لا تكلم النـاس ثلاث ليال سويا ﴾ سوى الخلق مابك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالى ههنا والايام فى آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ من المصلى أو من الغرفة ﴿ فاوحى اليهم ﴾ فاومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ﴿ ان سبحوا ﴾ صلوا أو نزهوا ربكم ﴿ بكرة وعشيا ﴾ طرفى النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة ﴿ يايحيي ﴾ على تقدير القول ﴿ خذ الكتاب ﴾ التوراة ﴿ بقوة ﴾ بجد واستظهار بالتوفيق ﴿ وآتيناه الحكم صبيا ﴾ يعنى الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة احكم الله عقله فى صباه واستنبأه ﴿ وحنانا من لدنا ﴾ ورحمـة منا عليه أو رحمة وتعطفا فى قلبه على ابويه وغيرهما عطفا على الحكم

﴿ قال آيتك ﴾ أى علامتك ﴿ أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾ أى صحيحا سليما من غير ما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول أصح قيل انه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله انطلق لسانه ✺ قوله عز وجل ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ أى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا متغيرا لونه فانكروا ذلك عليه وقالوا له مالك ﴿ فاوحى ﴾ أى فاومأ وأشار ﴿ اليهم ﴾ وقيل كتب لهم فى الارض ﴿ ان سبحوا ﴾ أى صلوا لله ﴿ بكرة وعشيا ﴾ المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة ✺ قوله عز وجل ﴿ يايحيي ﴾ فيه اضمار ومعناه وهبناله يحيي وقلناله يايحيي ﴿ خذ الكتاب ﴾ أى التوراة ﴿ بقوة ﴾ أى بجد واجتهاد ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ قال ابن عـباس يعنى النبوة ﴿ صبيا ﴾ وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه ٭ فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا ٭ قلت لان أصل النبوة مبنى على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبى نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتى الحكم صبيا ﴿ وحنانا من لدنا ﴾ أى رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

اذا حبلت امرأتى (قال آيتك) علامتك (أن لا تكلم الناس) لا تقدر أن تكلم النـاس (ثلاث ليال سويا) صحيحا بلا خرس ولا مرض (فخرج على قومه من المحراب) من المسجد (فاوحى اليهم) فاشار اليهم وقيل كتب لهم على الارض (أن سبحوا بكرة وعشيا) صلوا لله غدوة وعشية (يايحيي) قال الله ليحيي بعد ما بلغ وأدرك (خذ الكتاب) اعمل بما فى الكتاب التوراة (بقوة) بجد ومواظبة النفس (وآتيناه) أعطيناه يعنى يحيي (الحكم) الفهم والعلم (صبيا) فى صغره (وحنانا من لدنا) أعطيناه رحمة من عندنا

من عندنا (وزكوة) أى طهارة وصلاحا فلم يعمد بذنب (وكان تقيا) مسلما مطيعا (وبرا بوالديه) وبارا بهما لا يعصيهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه (وسلام عليه) أمان من الله (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتانى القبر (ويوم يبعث حيا) من الفزع الاكبر قال ابن عيينة انها اوحش المواطن (واذكر) يا محمد (فى الكتاب) القرآن (مريم) أى اقرأ عليهم فى القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ماجرى عليها (اذ) بدل من مريم بدل اشتمال اذ الاحيان مشتملة على مافيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انتبذت من أهلها) أى اعتزلت (مكانا) ظرف (شرقيا) أى تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرق بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت فى مشرقه للاغتسال من الحيض (فاتخذت من دونهم حجابا) جعلت بينها

﴿ وزكوة ﴾ وطهارة من الذنوب أوصدقة أى تصدق الله به على ابويه اومكنه او وفقه للتصدق على الناس ﴿ وكان تقيا ﴾ مطيعا متجنبا عن المعاصى ﴿ وبرا بوالديه ﴾ وبارا بهما ﴿ ولم يكن جبارا عصيا ﴾ عاقا أو عاصى ربه ﴿ وسلام عليه ﴾ من الله ﴿ يوم ولد ﴾ من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم ﴿ ويوم يموت ﴾ من عذاب القبر ﴿ ويوم يبعث حيا ﴾ من عذاب النار وهول القيامة ﴿ واذكر فى الكتاب ﴾ فى القرآن ﴿ مريم ﴾ يعنى قصتها ﴿ اذ انتبذت ﴾ اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على مافيها أو بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد أو ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمنى فتكون بدلا لا محالة ﴿ من اهلها مكانا شرقيا ﴾ شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف أو مفعول لان انتبذت متضمن معنى اتت ﴿ فاتخذت من دونهم حجابا ﴾ سترا

تحنن على هداك المليك ٭ فان لكل مقام مقالا

أى ترحم على ﴿ وزكوة ﴾ قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا فى اخلاصه ﴿ وكان تقيا ﴾ أى مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط ﴿ وبرا بوالديه ﴾ أى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية ﴿ ولم يكن جبارا ﴾ الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد ﴿ عصيا ﴾ قيل هو أبلغ من العاصى والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾ معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أوحش مايكون الخلق فى ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ماشاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى فى هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها ٭ قوله عز وجل ﴿ واذكر فى الكتاب ﴾ أى فى القرآن ﴿ مريم اذ انتبذت ﴾ أى تنحت واعتزلت ﴿ من أهلها ﴾ أى من قومها ﴿ مكانا شرقيا ﴾ أى مكانا فى الدار مما يلى المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست فى مشرقه تفلى رأسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة ﴿ فاتخذت ﴾ أى فضربت ﴿ من دونهم حجابا ﴾

لابويه (وزكاة) صدقة ابهما ويقال صلاحا فى دينه (وكان تقيا) مطيعا لربه (وبرا بوالديه) لطيفا بوالديه (ولم يكن جبارا) فى دينه قتالا فى الغضب (عصيا) عاصيا لربه (وسلام عليه) سلامة ومغفرة وسعادة منا على يحيى (يوم ولد) حين ولد (ويوم يموت) حين يموت (ويوم يبعث) حين يبعث من القبر (حيا واذكر) يا محمد (فى الكتاب) فى القرآن (مريم) خبر مريم (اذا (قال) انتبذت) انفردت وتنحت (من أهلها مكانا شرقيا) مشرقة دارهم (فاتخذت من دونهم) فأرخت من دون أهلها (حجابا) سترا لكي

ين اهلها حجابا يسترها التغتسل وراءه (فارسلنا اليها روحنا) جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمى روحا
ن الدين يحيا به وبوحيه (فتمثل لها بشرا) أى فتمثل لها جبريل فى صورة آدمى شاب أمرد وضئ الوجه جعد الشعر
ويا) مستوى الخلق وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر
عنه ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى ان كان يرجى منك ان تتقى الله فانى عائذة به منك (قال) جبريل عليه السلام (انما انا رسول ربك) أمنها لما خافت وأخبر أنه ليس بآدمى بل هو رسول من استعاذت به (لأهب لك) باذن الله تعالى او لاكون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع ليهب لك أى الله أبو عمرو ونافع (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير والبركة (قالت أنى) كيف (يكون لى غلام) ابن (ولم يمسسنى بشر) زوج بالنكاح

﴿فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى فى مغتسلها اتاها جبرائيل عليه السلام متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها ﴿قالت انى اعوذ بالرحمن منك﴾ من غاية عفافها ﴿ان كنت تقيا﴾ تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله أى فانى عائذة منك أو فتتعظ بتعويذى أو فلا تتعرض لى ويجوز ان يكون للمبالغة أى ان كنت تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك ﴿قال انما انا رسول ربك﴾ الذى استعذت به ﴿لأهب لك غلاما﴾ أى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه وتعالى ويؤيده قراءة ابى عمرو وابن كثير عن نافع ويعقوب بالياء ﴿زكيا﴾ طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير أى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح ﴿قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر﴾ ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها

قال ابن عباس أى سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون فى المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل فى صورة شاب أمرد وضئ الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى ﴿فارسلنا اليها روحنا﴾ يعنى جبريل ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ أى سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيأ وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء فى صورة بشر فحملت به والقول الاول أصح فلما رأت مريم جبرائيل عليه السلام يقصد نحوها بادرته من بعيد ﴿قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا﴾ أى مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى أى ينبغى أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغى أن تكون تقواك مانعة لك من الفجور ﴿قال﴾ لها جبريل عليه السلام ﴿انما أنا رسول ربك لأهب﴾ أسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به ﴿لك غلاما زكيا﴾ قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب ﴿قالت﴾ مريم ﴿أنى يكون لى﴾ أى من أين يكون لى ﴿غلام ولم يمسسنى بشر﴾ أى ولم يقربنى زوج

تغتسل فيه من الحيض (فارسلنا اليها) بعد ما فرغت (روحنا) رسولنا جبريل (فتمثل لها) فتشبه لها (بشرا سويا) فى صورة شاب لم ينقص (قالت) مريم (انى أعوذ) امتنع (بالرحمن منك ان كنت تقيا) مطيعا للرحمن يقال التقى كان اسم رجل سوء فظنت انه هو ذلك الرجل فمن ذلك تعوذت منه (قال) لها جبريل (انما انا رسول ربك ليهب لك) كى يهب الله لك (غلاما زكيا) ولدا صالحا (قالت) مريم لجبريل عليه السلام (أنى يكون لى غلام) من أين يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) لم يقربنى زوج

(ولم أك بغيا) فاجرة تبغي الرجال أي تطلب الشهوة من أي رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من أحد هذين والبغي فعو
عند المبرد بغوي فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين اتباعا ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق في أمرأة صبور وشكو
ر عند غيره على فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل ان رحمة الله قريب (قا

وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ﴿ ولم أك بغيا ﴾ عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء أو فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة أو للنسبة كطالق ﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله ﴾ اى ونفعل ذلك لنجعله آية أو لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لاهب على طريقة الالتفات ﴿ آية للناس ﴾ علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ﴿ ورحمة منا ﴾ على العباد يهتدون بارشاده ﴿ وكان امرا مقضيا ﴾ اى تعلق به قضاء الله في الازل اوقدر وسطر في اللوح أو كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة ﴿ فحملته ﴾ بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين ﴿ فانتبذت به ﴾ فاعتزلت وهو في بطنها كقوله

تدوس بنا الجماجم والتريبا

والجار والمجرور في موضع الحال ﴿ مكانا قصيا ﴾ بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار

﴿ ولم أك بغيا ﴾ أي فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما ﴿ قال ﴾ جبريل ﴿ كذلك قال ربك ﴾ أي هكذا قال ربك ﴿ هو على هين ﴾ أي خلق ولد بلا أب ﴿ ولنجعله آية للناس ﴾ أي علامة لهم ودلالة على قدرتنا ﴿ ورحمة منا ﴾ أي ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وكان أمرا مقضيا ﴾ أي محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل * قوله عز وجل ﴿ فحملته ﴾ قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في جيبه وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام في الحال ﴿ فانتبذت به ﴾ أي فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت ﴿ مكانا قصيا ﴾ أي بعيدا من اهلها قال ابن عباس أقصى الوادي وهو بيت لحم فرارا من أهلها وقومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية اشهر وذلك آية اخرى له لانه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة أشهر

(قال ربك هو على هين) أي اعطاء الولد بلا أب على سهل (ولنجعله آية للناس) تعليل معلله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أي عبرة وبرهانا على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان) خلق عيسى (أمرا مقضيا) مقدرا مسطورا في اللوح فلما اطمأنت الى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها (فحملته) أي الموهوب وكان سنها ثلاث عشرة سنة اوعشرا أو عشرين (فانتبذت به) اعتزلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل حملته في ساعة ووضعته في ساعة (مكانا قصيا) بعيدا من اهلها وراء الجبل وذلك لانها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة (وهى)

(ولم أك بغيا) فاجرة (قال) الها جبريل (كذلك) هكذا كما قلت لك (قال ربك هو على هين) خلقه على هين بلا أب (ولنجعله) لكي نجعله (آية) علامة وعبرة (للناس) لبني اسرائيل ولدا بلا أب (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان أمرا مقضيا) قضاء كائنا أن يكون ولدا بلا أب (فحملته) مريم وكان حمله تسعة أشهر ويقال يوما واحدا (فانتبذت) فانفردت (به) بولادتها اياه (مكانا قصيا)

فاجاءها المخاض ﴾ فالجأها المخاض وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه خص فى الاستعمال كآتى فى اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج ﴿ الى جذع النخلة ﴾ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو مابين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لارأس لها لاخضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس اوللعهد اذلم يكن ثمة غيرها كانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياته مايسكن روعتها يطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها ﴿ قالت ياليتنى مت قبل هذا ﴾ استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابوعمرو وابن كثير وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت ﴿ وكنت نسيا ﴾ مامن شانه ان ينسى ولايطلب ونظيره الذبح لمايذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمى به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته ﴿ منسيا ﴾ منسى الذكر بحيث لايخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم

هى بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقدكانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى و قال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صيهون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولايعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهادا منهما وأول من علم بحمل مريم يوسف فبقى متحيرا فى أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه و اذا أراد ان يبرئها رأى ماظهر منها من الحمل فأول ماتكلم به ان قال انه وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان أتكلم به أشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال أخبرينى يامريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر ان الله أنبت الشجر بالقدرة من غير غيث أوتقول ان الله تعالى لايقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لاأقول هذا ولكنى أقول ان الله تعالى يقدر على كل شئ يقول له كن فيكون قالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولاأنثى فعند ذلك زال ماعنده من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا ❊ قوله عز وجل ﴿ فاجاءها المخاض ﴾ أى ألجأها وجاءبها والمخاض وجع الولادة ﴿ الى جذع النخلة ﴾ وكانت نخلة يبست فى الصحراء فى شدة البرد ولم يكن لها سعف و قيل التجأت اليها تستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة ﴿ قالت ياليتنى مت قبل هذا ﴾ تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة ﴿ وكنت نسيا منسيا ﴾ يعنى شيأ حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه [illegible]

اللائمة (فاجاءها) جاءبها وقيل الجأها وهو منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الاتراك لاتقول جئت المكان واجاءنيه زيد (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بانها كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أى جذع هذه الشجرة كانه تعالى أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب لانه خرسة النفساء أى طعامها ثم (قالت) جزعا مما أصابها (ياليتنى مت قبل هذا) اليوم مدنى وكوفى غير أبى بكر وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات (وكنت نسيا منسيا) شيأ متروكا لايعرف ولايذكر بفتح النون حمزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناهما واحد وهو الشئ الذى حقه ان يطرح و ينسى

بعيدا من الناس (فاجاءها المخاض) الجأها الطلق (الى جذع النخلة) الى أصل نخلة يابسة (قالت ياليتنى مت قبل هذا) الولد ويقال قبل هذا اليوم (وكنت نسيا منسيا) شيأ متروكا لم يذكر ويقال حيضة ملقاة ويقال سقطة

لحقارته (فناداها من تحتها) اى الذى تحتها فمن فاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان بمكان منخفض عنها او عيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدنى وكوفى سوى أبى بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام او جبريل والهاء فى تحتها للنخلة والشدة ما لقيت سلت بقوله (ان لا تحزنى) لا تهتمى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس و ان بمعنى اى (قد جعل ربك تحتك) بقربك او تحت امرك ان امرته ان يجرى جرى وان امرته ان يقف وقف (سريا) نهرا صغيرا عند الجمهور وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول وعن الحسن سيدا كريما يعنى عيسى عليه السلام وروى ان خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمى الجدول سريا فقال الحسن صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب عيسى او جبريل عليهما السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقيل لها (وهزى) حركى (اليك) الى نفسك (بجذع النخلة) قال ابو على الباء زائدة اى هزى جذع النخلة (تساقط عليك) بادغام التاء الاولى فى الثانية مكى ومدنى وشامى وابو عمرو وعلى وابو بكر والاصل تتساقط باظهار التاءين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير وتساقط حفص بن القعقاع وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قرآت (رطبا) تمييز او مفعول به (الرطب) على حسب القراءة (جنيا) طريا وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل

على الاتباع ﴿ فناداها من تحتها ﴾ عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان فى نادى ضميرا احدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة ﴿ ان لا تحزنى ﴾ اى لا تحزنى او بان لا تحزنى ﴿ قد جعل ربك تحتك سريا ﴾ جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عليه السلام ﴿ وهزى اليك بجذع النخلة ﴾ واميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او بمعنى على الهز والامالة به او هزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع ﴿ تساقط عليك ﴾ تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع ﴿ رطبا جنيا ﴾ تمييز او مفعول روى انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال

انها لم تخلق ﴿ فناداها من تحتها ﴾ قيل ان مريم كانت على أكمة و جبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى و ذلك انه لما خرج من بطن أمه ناداها ﴿ أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ﴾ أى نهرا قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله فى الارض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقيل كان هناك نهر يابس فجرى فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحيت النخلة اليابسة فاورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أى تحت أمرك ان أمرته أن يجرى جرى وان أمرته بالامساك أمسك وقيل معنى سريا أى عيسى وكان عبدا سريا رفيعا ﴿ وهزى اليك ﴾ أى حركى اليك ﴿ بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴾ قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجاء أوان اجتنائه قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من

(فناداها من تحتها) من أسفلها يعنى جبريل (أن لا تحزنى) يامريم على ولادة عيسى (قد جعل ربك تحتك سريا) نبيا ويقال فناداها من تحتها ان قرأت بنصب الميم يعنى عيسى أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا نهرا صغيرا (وهزى اليك) خذى اليك (بجذع النخلة) باصل النخلة فحركيها (تساقط عليك رطبا جنيا) غضا طريا

(كلى) من الجنى (واشربى) من السرى (وقرى عينا) بالولد الرضى وعينا تمييز أى طيبى نفسا بعيسى وارفضى عنك ما حزنك (فاما) أصله ان ما ضمت ان الشرطية الى ما وأدغمت فيها (ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما) أى ان رأيت آدميا يسألك عن حالك فقولى انى نذرت للرحمن صمتا وامساكا عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب وقيل صياما حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه

التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا فينا وانما امرت ان تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفيه واجب وما قدع سفيه بمثل الاعراض ولا اطلق عنانه بمثل العراض وانما اخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة كلاما وقولا ألا ترى الى قول الشاعر فى وصف القبور وتكلمت عن اوجه تبلى وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام او سوغ لها هذا القدر بالنطق (فلن أكلم اليوم انسيا) آدميا (فأتت به) بعيسى (قومها) بعدما طهرت من نفاسها (تحمله) حال منها أى أقبلت نحوهم حاملة اياه فلما رأوه معها (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) بديعا عجيبا والفرى القطع كانه يقطع العادة (يا أخت هرون) وكان

﴿فكلى واشربى﴾ أى من الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره ﴿وقرى عينا﴾ طيبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك وقرئ وقرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت مايسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه ﴿فاما ترين من البشر احدا﴾ فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين ﴿فقولى انى نذرت للرحمن صوما﴾ صمتا وقد قرئ به اوصياما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم ﴿فلن اكلم اليوم انسيا﴾ بعد ان اخبرتكم بنذرى وانما كلم الملائكة واناجى ربى وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه قاطع فى قطع الطاعن ﴿فاتت به﴾ اى مع ولدها ﴿قومها﴾ راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس ﴿تحمله﴾ حاملة اياه ﴿قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا﴾ بديعا منكرا من فرى الجلد ﴿يا اخت هرون﴾ يعنون

الرطب ولا للمريض خير من العسل ﴿فكلى واشربى﴾ أى يامريم كلى من الرطب واشربى من النهر ﴿وقرى عينا﴾ أى طيبى نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره ﴿فاما ترين من البشر أحدا﴾ معناه يسألك عن ولدك ﴿فقولى انى نذرت للرحمن صوما﴾ أى صمتا قيل كان فى بنى اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها لتكون أقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام الى الافضل أولى الثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ﴿فلن أكلم اليوم انسيا﴾ يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس ❊ قوله تعالى ﴿فاتت به قومها تحمله﴾ قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال ياأماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين ﴿قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا﴾ أى عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع ﴿يا أخت هرون﴾ أى ياشبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شبهت به

(كلى) من الرطب (واشربى) من النهر (وقرى عينا) طيبى نفسا بولادة عيسى عليه السلام (فاما ترين من البشر) من الآدميين (احدا) بعد هذا اليوم (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) صمتا (فلن أكلم اليوم انسيا) آدميا ثم اسكتى بعد ذلك حتى يتكلم بعذرك ابنك (فاتت به) بعيسى (قومها) الى قومها (تحمله) وهو ابن أربعين يوما (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) منكرا اعظيما (يا أخت هرون)

أخاها من أبيها ومن [illegible] بني اسرائيل أو هو أخو موسى عليه السلام وكانت من اعقابه وبينهما ألف سنة و
كما قيل يا أخا همدان [illegible] واحدا منهم أو رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها به في الصلاح أو شتموها به (ما كان أبوك
امرأ [illegible]) [illegible] حنة (بغيا) زانية (فاشا
رت اليه) الى عيسى ان يجيبهم
وذلك ان عيسى عليه السلام
قال لها لا تحزني واحيلي
بالجواب علي وقيل أمرها
جبريل بذلك ولما أشارت
اليه غضبوا وتعجبوا و
(قالوا كيف نكلم من كان)
حدث ووجد (في المهد)
المعهود (صبيا) حال (قال
اني عبد الله) ولما أسكتت
بامر الله لسانها الناطق
أنطق الله لها اللسان
الساكت حتى اعترف
بالعبودية وهو ابن اربعين
ليلة أو ابن يوم روى انه
أشار بسبابته وقال بصوت
رفيع اني عبد الله وفيه
رد لقول النصارى (آتاني
الكتاب) الانجيل
(وجعلني نبيا) روى عن

هرون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ﴿ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا﴾ تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش ﴿فاشارت اليه﴾ الى عيسى ان كلموه ليجيبكم ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى ﴿وكان الله عليما حكيما﴾ او بمعنى صار ﴿قال اني عبد الله﴾ انطقه الله تعالى به اولا لانه اول المقامات وللرد على من زعم ربوبيته ﴿آتاني الكتاب﴾ الانجيل ﴿وجعلني نبيا﴾

في عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة في النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سألوني فقالوا الى انكم تقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أخا مريم لابيها وقيل كان من أمثل رجل في بني اسرائيل وقيل انما عنوا هرون أخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم وقيل كان هرون في بني اسرائيل فاسقا أعظم الفسق فشبهوها به ﴿ ما كان أبوك ﴾ يعني عمران ﴿ امرأ سوء ﴾ قال ابن عباس زانيا ﴿ وما كانت أمك ﴾ يعني حنة ﴿ بغيا ﴾ أي زانية فمن أين لك هذا الولد ﴿ فاشارت اليه ﴾ أي اشارت مريم الى عيسى ان كلمهم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا ﴿ قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ﴾ قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه و ﴿ قال اني عبد الله ﴾ قال وهب أتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوما وقيل بل يوم ولد اني عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا يتخذ الها فان قلت ان الذي اشتدت اليه الحاجة في ذلك الوقت نفي التهمة عن أمه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته لله تعالى قلت كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن أمه فلهذا أول ما تكلم انما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زنا والتكلم بازالة التهمة عن أمه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى ﴿ آتاني الكتاب وجعلني نبيا ﴾ قيل معناه سيجعلني نبيا ويؤتيني

ياشبيهة هرون في العبادة
وكان هرون رجلا صالحا
من أمثل الناس ويقال كان
هرون رجل سوء فضربوها
به ويقال كان هرون أخاها
من أبيها (ما كان أبوك امرأ
سوء) رجلا زانيا (وما كانت
أمك بغيا) فاجرة (فأشارت
اليه) الى عيسى عليه السلام
ان كلموه (قالوا) لها (كيف
نكلم من كان في المهد) في الحجر ويقال في السرير (صبيا) صغيرا ابن أربعين يوما فتكلم عيسى عليه السلام ﴿ الكتاب
(قال اني عبد الله آتاني الكتاب) علمني التوراة والانجيل في بطن أمي (وجعلني نبيا) بعد خروج

الحسن انه كان فى المهد نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك سبق فى قضائه أوجعل الآتى لامحالة كأنه وجد
وجعلنى مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت أومعلما للخير (وأوصانى) وأمرنى (بالصلوة والزكوة) ان
كنت مالا وقيل صدقة الفطر أوتطهير ﴿ ١٥٧ ﴾ البدن { سورة مريم } ويحتمل وأوصانى بان
آمركم بالصلاة والزكاة
(مادمت حيا)نصب على
الظرف أى مدة حياتى
(وبرابوالدتى) عطفا على
مباركا أى بارابها أكرمها
وأعظما(ولم يجعلنى جبارا)
متكبرا(شقيا)عاقا(والسلام
على يوم ولدت)يوم ظرف
والعامل فيه الخبر وهو على
(ويوم أموت ويوم ابعث
حيا) أى ذلك السلام
الموجه الى يحيي فى المواطن
الثلاثة موجه الى ان كان
حرف التعريف للعهد
وان كان للجنس فالمعنى وجنس
السلام على وفيه تعريض
باللعنة على أعداء مريم
وابنها لانه اذا قال وجنس
السلام على فقد عرض
بان ضده عليكم اذ المقام
مقام مناكرة وعناد
فكان مئنة لمثل هذا
التعرض (ذلك) مبتدأ
(عيسى)خبره (ابن مريم)
نعته أوخبرثان أى ذلك
الذى قال انى كذا وكذا

من بطن أمى (وجعلنى
مباركا) معلما للخير (أينما
كنت)حيثما كنت وأقمت (وأوصانى بالصلوة) باتمام الصلاة (والزكوة) الصدقة(مادمت حيا) ماحييت(وبرابوالدتى)
لطيفابوالدتى(ولم يجعلنى جبارا) فى دينى قتالا فى الغضب (شقيا) عاصيالربى (والسلام على يوم ولدت)السلامة على حين
ولدت من لمزة الشيطان(ويوم أموت) حين أموت من ضغطة القبر(ويوم أبعث حيا) حين أبعث من القبر حيا(ذلك عيسى ابن مريم)

وجعلنى مباركا ﴾ نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق فى قضائه
اوبجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا ﴿ اينما كنت ﴾ حيث
كنت ﴿ واوصانى ﴾ وامرنى ﴿ بالصلوة والزكوة ﴾ زكاة المال ان ملكته اوتطهير النفس
عن الرذائل ﴿ مادمت حيا وبرابوالدتى ﴾ وبارابها عطف على مباركا وقرئ بالكسر
على انه مصدر وصف به اومنصوب بفعل دل عليه اوصانى اى وكلفنى برا ويؤيده القراءة
بالكسر والجر عطفا على الصلاة ﴿ ولم يجعلنى جبارا شقيا ﴾ عندالله من فرط تكبره
﴿ والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ﴾ كما هو على يحيي والتعريف
للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على
نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى * والسلام على من اتبع الهدى * فانه
تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ اى

الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبى صلى الله
عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه أوتى
الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه ألهم التوراة وهو فى
بطن أمه ﴿ وجعلنى مباركا أينما كنت ﴾ معناه انى نفاع أينما توجهت وقيل معلما للخير
أدعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعنى ﴿ وأوصانى بالصلوة
والزكوة ﴾ أى أمرنى بهما وكلفنى فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة فى حال
طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان
قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة لايدل على أنه تعالى أوصاه بادائهما فى الحال بل المراد
أوصاه بادائهما فى الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن
أمه بالغا عاقلا وهذا القول أظهر فى سياق قوله ﴿ مادمت حيا ﴾ فانه يفيد ان هذا التكليف
متوجه اليه فى زمان جميع حياته حين كان فى الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل
الارض بعد رفعه ﴿ وبرابوالدتى ﴾ أى وجعلنى برابوالدتى ﴿ ولم يجعلنى جبارا شقيا ﴾
أى عاصيا لربى متكبرا على الخلق بل أنا خاضع متواضع وروى انه قال قلبى لين وأنا صغير
فى نفسى قال بعض العلماء لاتجد العاق الا جبارا شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشقى الذى
يذنب ولا يتوب ﴿ والسلام على يوم ولدت ﴾ أى السلامة عند الولادة من طعن الشيطان
﴿ ويوم أموت ﴾ أى عند الموت من الشرك ﴿ ويوم أبعث حيا ﴾ أى من أهوال يوم
القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى بعد فلم يتكلم حتى بلغ المدة
التى يتكلم فيها الاطفال ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ أى ذلك الذى قال انى عبدالله هو عيسى

عيسى ابن مريم لا كما قالت النصارى انه اله أو ابن الله (قـول الحق) كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لانه ولد بقوله كن بلا واسطة أب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف او بدل من عيسى ونصبه شامى وعاصم على المدح او على المصدر اى قول قول الحق هو ابن مريم وليس بالاه كما يدعونه (الذى فيه يمترون) يشكون من المرية الشك او يختلفون من المراء فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما ينبغى له (أن يتخذ من ولد) جئ بمن لتأكيد النفى (سبحنه) نزه ذاته عن اتخاذ الولد (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن

فيكون) بالنصب شامى

اى كما قال لعيسى كن فكان من غير أب ومن كان متعاليا بهذا كان منزها ان يشبه الحيوان الوالد (وان الله ربى وربكم فاعبـدوه) بالكسر شامى وكوفى على الابتداء وهو من كلام عيسى يعنى كما انا عبده فانتم عبيده على وعليكم ان نعبده ومن فتح عطف على بالصلاة اى واوصانى بالصلاة وبالزكاة وبان الله ربى وربكم او علقه بما بعده اى ولان الله ربى وربكم فاعبدوه (هذا) الذى ذكرت (صراط مستقيم) فاعبـدوه ولا تشركوا به شيأ (فاختلف الاحزاب) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية (من بينهم) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك ان النصارى

خبر عيسى بن مريم (قول الحق) خبر الحق (الذى فيه) فى عيسى (يمترون) يشكون يعنى النصارى وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم هو شريكه (ما كان لله) ما ينبغى لله (أن يتخذ من ولد سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (اذا قضى أمرا) اذا أراد ان يخلق ولدا بلا أب (فانما يقول له كن فيكون) ولدا بلا أب مثل عيسى فلما جاء عيسى بالرسالة الى قومه قال انى عبد الله ومسيحه (وان الله) هو (ربى) خالقى ورازقى (وربكم) خالقكم ورازقكم (فاعبدوه) فوحدوه (هذا) التوحيد الذى آمركم به (صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام (فاختلف الاحزاب) الكفار (من بينهم) فيما بينهم فقال بعضهم هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم هو شريكه

الذى تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم ﴿ قول الحق ﴾ خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول ﴿ الذى فيه يمترون ﴾ فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ﴿ ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه ﴾ تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه ﴿ اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ﴾ تبكيت لهم بان من اذا اراد شيأ اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب ﴿ وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلاة ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم ﴾

بن مريم ﴿ قول الحق ﴾ أى هذا الكلام هو القول الحق أضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله ﴿ الذى فيه يمترون ﴾ أى يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد ﴾ أى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغى له ذلك ﴿ سبحانه اذا قضى أمرا ﴾ أى اذا أراد أن يحدث أمرا ﴿ فانما يقول له كن فيكون ﴾ أى لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذى أراده ﴿ وان الله ربى وربكم فاعبدوه ﴾ هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان الله ربى وربكم لا رب للمخلوقات سواه ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ أى هذا الذى أخبرتكم به ان الله أمرنى به هو الصراط المستقيم الذى يؤدى الى الجنة ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم ﴾ يعنى النصارى سموا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث

تلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على ان يرجعوا الى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكان
ال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا
ن عبد الله مخلوق ونبي فتبع كل واحد منهم قوم (فويل للذين كفروا) من الاحزاب اذ واحد منهم على الحق (من مشهد يوم
ظيم) هو يوم القيامة ومن شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة اومن شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم
لائكة والانبياء وجوارحهم بالكفر اومن مكان الشهادة اووقتها أو المراد يوم
اجتماعهم للتشاور فيه وجعله
عظيما لفظاعة ماشهدوا به
في عيسى (اسمع بهم وأبصر
يوم يأتوننا) الجمهور على
ان لفظه أمر معناه التعجب
والله تعالى لا يوصف بالتعجب
ولكن المراد ان اسماعهم
وابصارهم جدير بان يتعجب
منهما بعد ما كانوا صما وعميا
في الدنيا قال قتادة ان عموا
وصموا عن الحق في الدنيا
فما أسمعهم وما أبصرهم
بالهدى يوم لاينفعهم وبهم
مرفوع المحل على الفاعلية
كاكرم بزيد فمعناه كرم زيد
جدا (لكن الظالمون اليوم)
أقيم الظاهر مقام المضمر أي
لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم
أنفسهم حيث تركوا الاستماع
والنظر حين يجدي عليهم
ووضعوا العبادة في غير موضعها
(في ضلال) عن الحق
(مبين) ظاهر وهو اعتقادهم
عيسى الها معبودا مع ظهور
آثار الحدث فيه اشعارا بأن
لاظلم أشد من ظلمهم
(وانذرهم) خوفهم (يوم الحسرة) يوم القيامة لانه يقع فيه الندم على مافات وفي الحديث اذا رأوا منازلهم في الجنة ان لو آمنوا

اليهود والنصارى اوفرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة اومن وقت الشهود اومن مكانه اومن شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وآرابهم وارجلهم بالكفر والفسوق اومن وقت الشهادة اومن مكانها وقيل هو ماشهدوا به في عيسى وامه ﴿ اسمع بهم وابصر ﴾ تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم ﴿ يوم يأتوننا ﴾ اى يوم القيامة جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما عميا في الدنيا والتهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب ﴿ لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين ﴿ وانذرهم يوم الحسرة ﴾ يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة

فرق في أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ يعني يوم القيامة حين ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لاينفعهم السمع والبصر أخبر انهم يسمعون ويبصرون في الآخرة مالم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم ﴿ يوم يأتوننا ﴾ أي يوم القيامة ﴿ لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ قيل أراد باليوم الدنيا يعني انهم في الدنيا في خطأ بين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين * قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسيء يتحسر هلاأ حسن العمل والمحسن هلا ازداد في الاحسان يدل عليه ماروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن أحد يموت الا ندم قالوا ماندمه يارسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لايكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لايكون نزع أخرجه الترمذي قوله أن لايكون نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال

ويل) الويل واد في جهنم من قيح ودم ويقال جب في النار ويقال فويل فشدة العذاب (للذين كفروا) تحزبوا في عيسى (من مشهد يوم عظيم) من عذاب يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر) ماأسمعهم وماأبصرهم (يوم يأتوننا) وهو يوم القيامة ان عيسى لكن الله ولا ولده ولا شريكه (لكن الظالمون) المشركون (اليوم) في الدنيا (في ضلال مبين) في كفر بين بقولهم ان عيسى هو الله وولده أو شريكه (وانذرهم) يا محمد خوفهم (يوم الحسرة)

(ا) بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة وهو مصدر (قضى الامر) اى من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة و ا
(وهم فى غفلة) هنا عن الاهتمام لذلك المقام (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون به وهم وهم حالان اى وانذرهم على هذه الحال غافلين
مؤمنين (انا نحن نرث الارض ومن عليها) اى نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم اله

احسانه ﴿اذ قضى الامر﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة و النار واذ بدل من اليوم اوظرف للحسرة ﴿وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون﴾ حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين وما بينهما اعتراض اوبانذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك اونتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه ﴿والينا يرجعون﴾ يردون للجزاء ﴿واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا﴾ ملازما للصدق اوكثير التصديق لكثرة ماصدق به من غيوب الله و اياته وكتبه ورسله ﴿نبيا﴾

أكثر المفسرين يعنى يوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادى مناد آخر يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده الى الدنيا زاد الترمذى فيه فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو ان أحدا مات حزنا لمات أهل النار قوله كهيئة كبش أملح الاملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال أشرف الى الشئ اذا اطلع ينظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس بجسم فى صورة كبش أوغيره فعلى هذا يتأول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخارى * وقوله تعالى ﴿اذ قضى الامر﴾ أى فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت ﴿وهم فى غفلة﴾ أى عما يراد بهم فى الآخرة ﴿وهم لا يؤمنون﴾ أى لا يصدقون ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ أى نميت سكان الارض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم ﴿والينا يرجعون﴾ فنجزيهم باعمالهم * قوله عز وجل ﴿واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا﴾ أى كثير الصدق وهو مبالغة

والفناء وذكر من التغيب المقلاء (والينا يرجعون) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أى يردون فيجزون جزاء وفاقا (واذكر) لقومك (فى الكتاب) القرآن (ابراهيم) قصته مع أبيه (انه كان صديقا نبيا) بغير همز وهمزه نافع قيل الصادق المستقيم فى الافعال والصديق المستقيم فى الاحوال فالصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ماصدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله اى كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا فى نفسه وهذه

الندامة (اذ قضى الامر) فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم فى غفلة) فى جهالة وعمى عن ذاك (وهم لا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والبعث بعد الموت (انا نحن نرث الارض) نملك الارض (ومن عليها) نملك من عليها ويقال نميت من فيها ونرث ما عليها ثم نميتهم

ونحييهم (والينا يرجعون) يوم القيامة فاجزيهم بأعمالهم الحسنة بالحسنة والسيئة بالسيئة (واذكر فى الكتاب (فى) ابراهيم) خبر ابراهيم (انه كان صديقا) مصدقا بايمانه (نبيا) مرسلا يخبر عن الله

املة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ماهو بدل منه وهو (اذقال) وجاز ان يتعلق اذبكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعا
خصائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته فى لكتاب أن يتلو
ذ على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره وموزده فى تنزيله (لابيه يا أبت) بكسر
ا وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبتى لئلا يجمع بين
العوض والمعوض منه (لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر) المفعول فيهما منسى غير منوى ويجوز ان يقدر أى لا يسمع شيأ ولا يبصر شيأ (ولا يغنى عنك شيأ) يحتمل أن يكون شيأ فى موضع المصدر أى شيأ من الاغناء وان يكون مفعولا به من قولك أغن عنى وجهك أى بعد (ياأبت انى قد جاءنى من العلم) الوحى أو معرفة الرب (مالم يأتك) مافى مالا يسمع ومالم يأتك يجوز ان تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعنى أهدك) أرشدك (صراطا سويا) مستقيما (ياابت لا تعبد الشيطان) لاتطعه فيما سول من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا

(اذ قال لابيه) آزر (ياأبت لم تعبد) من دون الله (مالا يسمع) ان دعوته (ولا يبصر) ان عبدته (ولا يغنى عنك شيأ) من عذاب الله (ياأبت انى قد جاءنى) من الله (من العلم) البيان (مالم يأتك) مالم يجئ اليك أن من عبد الله يعذبه الله تعالى بالنار (فاتبعنى) فى دين الله (أهدك صراطا سويا) أدلك الى طريق عدل ترضاه وهو الاسلام (يا أبت لا تعبد الشيطان) لا تطع الشيطان فى عبادة الاصنام (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) كافرا

استنبأه الله تعالى ﴿ اذقال ﴾ بدل من ابراهيم ومابينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا ﴿ لابيه ياابت ﴾ التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لايقال ياابتى ويقال ياابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها ﴿ لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ﴾ فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ﴿ ولا يغنى عنك شيأ ﴾ فى جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى تدعوه الى عبادة مايستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولاتحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغى ان يفعل مايفعل لغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لايسمع ولايبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى فقال ﴿ ياابت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا ﴾ ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه فى الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال ﴿ ياابت لاتعبد الشيطان ﴾ واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ﴿ ان الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾

فى كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله فى وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبى انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبى العالى فى الرتبة بارسال الله اياه وأى رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده ﴿ اذقال لابيه ﴾ يعنى آزر وهو يعبد الاصنام ﴿ ياأبت لم تعبد مالا يسمع ﴾ يعنى صوتا ﴿ ولا يبصر ﴾ ولا ينظر شيأ ﴿ ولا يغنى عنك ﴾ أى يكفيك ﴿ شيأ ﴾ وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح فى الالهية وذلك أن العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله أوصاف الكمال وهو الله فلا يستحق العبادة الا هو ﴿ ياأبت انى قد جاءنى من العلم ﴾ يعنى بالله والمعرفة ﴿ مالم يأتك فاتبعنى ﴾ أى على دينى ﴿ أهدك صراطا سويا ﴾ أى مستقيما ﴿ ياأبت لاتعبد الشيطان ﴾ أى لاتطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك ﴿ ان الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾ أى عاصيا

(يا ابت انى اخاف) قيل اعلم (ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا فى النار تليه ويليك فانظر فى نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما امر فى الحديث أوحى الى ابراهيم انك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فطلب منه أولا العلة فى خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوما عليه بالغى المبين فكيف بمن يعبد حجرا أو شجرا لا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيآت عبادته ولا يرفع عنه بلاء ولا يقضى له حاجة ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى شيأ من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوى فهب انى واياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى عصى الرحمن الذى جميع النعم منه أوقعك فى عبادة الصنم وزينها لك فانت عابده فى الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الادب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كأنه قال انى أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب فى نفسه وصدر كل نصيحة بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا واشعارا بوجوب احترام الاب وان كان كافرا (قال) آزر توبيخا (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) أى أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بنى وقدم الخبر على المبتدأ لانه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام (لأرجمنك) لاقتلنك بالرجام أو لاضربنك بها حتى تتباعد أو لاشتمنك

ومعلوم ان المطاوع للعاصى عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال ﴿ يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴾ قرينا فى اللعن أو العذاب تليه ويليك أو ثابتا فى موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته فى الربانية أو لانه ملاكها أو لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها ﴿ قال اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم ﴾ قابل استعطافه ولطفه فى الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بنى واخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال ﴿ لئن لم تنته ﴾ عن مقالك فيها أو الرغبة عنها ﴿ لأرجمنك ﴾ بلسانى

﴿ يا أبت انى أخاف ﴾ أى أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصر على الكفر فيكون من أهل النار فحمل الخوف على ظاهره أولى * واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام فى غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق فان قوله فى مقدمة كلامه يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة فى صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه أولا على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم أمره باتباعه فى الايمان ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة فى العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغى بقوله انى أخاف ﴿ أن يمسك ﴾ أى يصيبك ﴿ عذاب من الرحمن ﴾ أى ان أقمت على الكفر ﴿ فتكون للشيطان وليا ﴾ أى قرينا فى النار وقيل صديقا له فى النار وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لامور أحدها لشدة تعلق قلبه بصلاحية أبيه وأداء حق الابوة والرفق به وثانيها أن النبى الهادى الى الحق لا بد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل أحد فالاب أولى ﴿ قال ﴾ يعنى أباه مجيبا له ﴿ أراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم ﴾ أى أتاركها انت وتارك عبادتها ﴿ لئن لم تنته ﴾ اى ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها ﴿ لأرجمنك ﴾ قال ابن عباس

(يا أبت انى أخاف) أعلم (أن يمسك) يصيبك (عذاب من الرحمن) ان لم تؤمن به (فتكون للشيطان وليا) قرينا فى النار (قال) آزر (أراغب أنت عن آلهتى) عن عبادة آلهتى (يا ابراهيم لئن لم تنته) عن مقالتك (لأرجمنك) لاسبنك ويقال لاقتلنك

واهجرنى) عطف على محذوف يدل عليه لارجنك تقديره فاحذرنى واهجرنى (مليا) ظرف أى زمانا طويلا من الملاوة
قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة أو تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله (سأستغفر لك ربى) سأسأل
ان يجعلك من أهل المغفرة بان يهديك الاسلام (انه كان بى حفيا) ملطفا
بعموم النعم أو رحيما أو مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة (واعتزلكم) اراد بالاعتزال المهاجرة من ارض بابل الى الشام (وماتدعون من دون الله) أى ماتعبدون من أصنامكم (وأدعوا) واعبد (ربى) ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) أى كما شقيتم أنتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم (وهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (وكلا) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أى لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولادا مؤمنين أنبياء (ووهبنا لهم من رحمتنا) هى المال والولد

(واهجرنى مليا) واعتزلنى مادمت حيا ويقال اتركنى ولا تكلمنى طويلا ويقال دهرا (قال) ابراهيم (سلام عليك سأستغفر لك ربى) أدعو لك ربى (انه كان بى حفيا) عالما ان أراد أن يستجيب دعوتى (وأعتزلكم) أتركـكم
وماتدعون) تعبدون (من دون الله) من الاوثان (وأدعوا ربى) أعبد ربى (عسى) وعسى من الله واجب (ألا أكون بدعاء ربى)
عبادة ربى (شقيا) خائبا (فلما اعتزلهم) تركهم (وما يعبدون من دون الله) من الاوثان (وهبنا له اسحق) الضاحك (ويعقوب) ولد
الولد (وكلا) ابراهيم واسحق ويعقوب (جعلنا نبيا) أكرمناهم بالنبوة والاسلام (ووهبنا لهم من رحمتنا) من نعمتنا ولدا صالحا ومالا

يعنى الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد عنى ﴿ واهجرنى ﴾ عطف على مادل عليه لارجمنك أى فاحذرنى واهجرنى ﴿ مليا ﴾ زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عنى ﴿ قال سلام عليك ﴾ توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اى لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ﴿ سأستغفر لك ربى ﴾ لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقدم تقريره فى سورة التوبة ﴿ انه كان بى حفيا ﴾ بليغا فى البر والالطاف ﴿ واعتزلكم وماتدعون من دون الله ﴾ بالمهاجرة بدينى ﴿ وادعوا ربى ﴾ واعبده وحده ﴿ عسى ان لا اكون بدعاء ربى شقيا ﴾ خائبا ضائع السعى مثلكم فى دعاء آلهتكم وفى تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجبتين وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾ بالهجرة الى الشام ﴿ وهبنا له اسحق ويعقوب ﴾ بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء أو لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد ﴿ وكلا جعلنا نبيا ﴾ وكلا منهما أو منهم ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾ النبوة والاموال والاولاد

عباس معناه لاضربنك وقيل ولاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عنى بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح ﴿ واهجرنى ﴾ اى اجتنبنى قال ابن عباس اعتزلنى سالما لا يصيبنك منى معرة ﴿ مليا ﴾ اى دهرا طويلا ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ سلام عليك ﴾ اى سلمت منى لا اصيبك بمكروه وذلك لانه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه ﴿ سأستغفر لك ربى ﴾ قيل انه لما أعياه أمره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل لك ربى توبة تنال بها المغفرة ﴿ انه كان بى حفيا ﴾ أى برا لطيفا والمراد انه يستجيب لى اذا دعوته لانه عودنى الاجابة لدعائى ﴿ وأعتزلكم وماتدعون من دون الله ﴾ أى أفارقكم وأفارق ماتعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة ﴿ وأدعوا ربى ﴾ أى أعبد ربى الذى خلقنى وأنعم على ﴿ عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا ﴾ أى أرجو ان لا أشقى بدعاء ربى وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الاصنام فيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم * قوله عز وجل ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾ أى ذهب مهاجرا ﴿ وهبنا له ﴾ أى بعد الهجرة ﴿ اسحق ويعقوب ﴾ أى آنسنا وحشته من فراقهم باولاد أكرم على الله من أبيه ﴿ وكلا جعلنا نبيا ﴾ أى انعمنا عليهما بالنبوة ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾

(وجعلنا لهم لسان صدق) ثناء حسنا وهو الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد ... شهورا (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) كوفي غير المفضل أي أخلصه واصطفاه ومخلصا بالكسر غيرهم أي أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بما له من السعادة باصل الفطرة ومخلص في عبادته من العبادة بصدق الهمة (وكان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع (وناديناه) دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة (من جانب الطور) هو جبل بين مصر ومدين (الايمن) من اليمين أي من ناحية اليمين والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى انه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام (وقربناه) تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان (نجيا) حال أي مناجيا كنديم بمعنى منادم (ووهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه (أخاه) مفعول (هرون) بدل منه (نبيا) حال أي وهبنا له نبوة أخيه والا فهرون كان أكبر سنا منه

حالا (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أكرمناهم بالثناء الحسن (واذكر في الكتاب موسى) خبر موسى (انه كان مخلصا) (وكان) معصوما من الكفر والشرك والفواحش ويقال مخلصا بالعبادة والتوحيد ان قرأت بكسر اللام (وكان رسولا) الى بني اسرائيل (نبيا) مخبرا عن الله تعالى (وناديناه من جانب الطور) الجبل (الايمن) عن يمين موسى (وقربناه نجيا) أي قربناه حتى سمع صرير القلم ويقال كلمناه من قريب (ووهبنا له من رحمتنا) من نعمتنا (أخاه هرون نبيا) وزيرا معينا

﴿ وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل ﴿ واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا ﴾ موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء أو اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه ﴿ وكان رسولا نبيا ﴾ ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى ﴿ وناديناه من جانب الطور الايمن ﴾ من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة ﴿ وقربناه ﴾ تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته ﴿ نجيا ﴾ مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ﴿ ووهبنا له من رحمتنا ﴾ من اجل رحمتنا أو بعض رحمتنا ﴿ اخاه ﴾ معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول أو بدل على تقدير ان تكون من للتبعيض ﴿ هرون ﴾ عطف بيان له ﴿ نبيا ﴾

أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك أنه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد ﴿ وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ يعني ثناء حسنا رفيعا في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم ✲ قوله عز وجل ﴿ واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا ﴾ قرئ بكسر اللام أي أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح أي مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه ﴿ وكان رسولا نبيا ﴾ فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس ﴿ وناديناه من جانب الطور الايمن ﴾ أي من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي ياموسى اني أنا الله رب العالمين ﴿ وقربناه ﴾ قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسمعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته أي وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى ﴿ نجيا ﴾ أي مناجيا ﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا ﴾ وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من أهل هرون أخي فجاب الله دعوته وارسل الى هرون ولذلك سماه هبة له

(واذكر في الكتاب اسمعيل) هو ابن ابراهيم في الاصح (انه كان صادق الوعد) وافيه وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود اليه فانتظره سنة في مكانه حتى عاد وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم يعد ربه موعدا الا أنجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له وكأنه المشهور من خصاله (وكان رسولا) الى جرهم (نبيا) مخبرا منذرا (وكان يأمر أهله) أمته لان النبي أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على انه لم يداهن غيره (بالصلوة والزكوة) يحتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانهما اما العبادات البدنية والمالية (وكان عند ربه مرضيا) قرئ مرضوا على الاصل (واذكر في الكتاب ادريس) هو اخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل وقولهم سمي به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة (انه كان صديقا نبيا) أنزل الله

حال منه ﴿واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد﴾ ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى ﴿وكان رسولا نبيا﴾ يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته ﴿وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة﴾ اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ لاستقامة اقواله وافعاله ﴿واذكر في الكتاب ادريس﴾ وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس عليهما السلام من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب ﴿انه كان صديقا نبيا

وكان هرون أكبر من موسى * قوله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب اسمعيل﴾ هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم ﴿انه كان صادق الوعد﴾ قيل انه لم يعد شيأ الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى أي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة أخرى ﴿وكان رسولا﴾ الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم اسمعيل بوادي مكة حين خلفهم ابراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن ﴿نبيا﴾ أي مخبرا عن الله تعالى ﴿وكان يأمر أهله﴾ أي قومه وجميع امته ﴿بالصلوة والزكوة﴾ قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا وقيل كان يبدأ باهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ أي قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة باعلى الدرجات * قوله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب ادريس﴾ هو جد أبي نوح واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر في علم الحساب ﴿انه كان صديقا نبيا﴾ وذلك ان الله

(واذكر في الكتاب اسمعيل) خبر اسمعيل (انه كان صادق الوعد) اذا وعد أنجز (وكان رسولا) مرسلا الى قومه (نبيا) يخبر عن الله (وكان يأمر أهله) قومه (بالصلوة) باتمام الصلاة (والزكوة) باعطاء الزكاة الصدقة (وكان عند ربه مرضيا) صالحا (واذكر في الكتاب ادريس) خبر ادريس (انه كان صديقا) مصدقا بايمانه (نبيا) يخبر عن

ورفعناه مكانا عليا ﴾ يعنى شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة

تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ قيل هى الرفعة بعلو المرتبة فى الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ماروى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى ادريس فى السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه ۞ وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ماقاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم فى حاجة فصابه وهج الشمس فقال يارب انى مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يارب خلقتنى لحر الشمس فما الذى قضيت فيه قال ان عبدى ادريس سألنى ان أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يارب فاجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فاذن له حتى أتى ادريس فكان ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال انى أخبرت انك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى لعلى أزداد شكرا وعبادة فقال الملك لايؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وأنا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة صديق لى من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ملك الموت ليس لى ذلك ولكن ان أحببت أعلمته أجله فيتقدم لنفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتنى فى انسان ماأراه يموت ابدا قال وكيف ذلك فقال لا أجده يموت الا عند مطلع الشمس قال انى أتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا أراك تجده الا وقدمات فوالله مابقى من عمر ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع أهل الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فاذن له فاتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى الطعام فأبى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد ان أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى ان أصحبك فقال لى اليك حاجة قال وماهى قال تقبض روحى فأوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون أشد استعدادا له ثم قال له ادريس لى اليك حاجة أخرى قال وماهى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وماهى قال أريد ان أسأل مالكا ان يرفع أبوابها فاردها ففعل قال فكما أريتنى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما قال له الملك مالك لاتخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا واردها فانا وردتها وقال وماهم

عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه رفعته الملائكة الى السماء الرابعة وقد رآه النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لاشئ أعلى من الجنة وذلك انه حبب لكثرة عبادته الى الملائكة فقال لملك الموت اذقنى الموت يهن على ففعل ذلك باذن الله فحيي وقال أدخلنى النار أزدد رهبة ففعل ثم قال ادخلنى الجنة أزدد رغبة ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل باذنى فعل وباذنى دخل فدعه

الله (ورفعناه مكانا عليا) فى الجنة

(لئك) اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم (من ذرية آدم) من للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد أبى نوح (وممن حملنا مع نوح) ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أى ومن ذرية اسرائيل أى يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيي وعيسى لان مريم من ذريته (وممن) يحتمل العطف على من الاولى والثانية (هدينا) لمحاسن الاسلام (واجتبينا) من الانام أو لشرح الشريعة وكشف الحقيقة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن) أى اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبر الاولئك وان جعلته صفة له كان خبرا يتلى بالياء قتيبة لوجود الفاصل مع ان التأنيث غير حقيقى (خروا سجدا) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة (وبكيا) باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود فى جمع ساجد وقاعد فى الحديث اتلوا القرآن

والرابعة ﴿ اولئك ﴾ اشارة المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس ﴿ الذين انعم الله عليهم ﴾ بانواع النعم الدينية والدنيوية ﴿ من النبيين ﴾ بيان للموصول ﴿ من ذرية آدم ﴾ بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية ﴿ وممن حملنا مع نوح ﴾ أى ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ﴿ ومن ذرية ابراهيم ﴾ الباقون ﴿ واسرائيل ﴾ عطف على ابراهيم أى ومن ذرية اسرائيل كان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيي وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية ﴿ وممن هدينا ﴾ ومن جملة من هديناه الى الحق ﴿ واجتبينا ﴾ للنبوة والكرامة ﴿ اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴾ خبر لاولئك ان جعلت

نها بمخرجين فلست أخرج فاوحى الله تعالى الى الملك الموت باذنى دخل الجنة وبامرى لايخرج فهو حى هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا فى انه حى فى السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حى واستدل بهذا وقالوا أربعة من الانبياء أحياء اثنان فى الارض وهما الخضر والياس واثنان فى السماء وهما ادريس وعيسى ✳ قوله عز وجل ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ أولئك اشارة الى المذكورين فى هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه ﴿ من ذرية آدم ﴾ يعنى ادريس ونوحا ﴿ وممن حملنا مع نوح ﴾ أى ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح ﴿ ومن ذرية ابراهيم ﴾ يعنى اسحق واسمعيل ويعقوب ﴿ واسرائيل ﴾ اى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيي وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى ﴿ وممن هدينا واجتبينا ﴾ أى هؤلاء ممن أرشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام ﴿ اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا ﴾ جمع ساجد ﴿ وبكيا ﴾ جمع باك أخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

﴿ فصل ﴾

سجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوة

(أولئك الذين) ذكرتهم ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وموسى وهرون وعيسى وادريس وسائر الانبياء (أنعم الله عليهم من النبيين) أكرمهم الله بالنبوة والرسالة والاسلام (من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح) من ذرية نوح أولاده (ومن ذرية ابراهيم) اسمعيل واسحق (واسرائيل) من ذرية يعقوب يوسف واخوته (وممن هدينا) أكرمنا بالاسلام (واجتبينا) اصطفينا بالاسلام ومتابعة النبى صلى الله عليه وسلم يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه (اذا تتلى عليهم) اذا تقرأ عليهم (آيات الرحمن) بالامر والنهى (خروا سجدا وبكيا) يسجدون ويبكون من مخافة

الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم مع مالهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل و ع النبي عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود جمع ساجد ❊ وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقي وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون ﴿ اضاعوا الصلوة ﴾ تركوها أو اخروها عن وقتها ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور ﴿ فسوف يلقون غيا ﴾ شرا كقوله

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ❊ ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

او جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها ﴿ الا من تاب وآمن وعمل صالحا ﴾ يدل على ان الآية في الكفرة ﴿ فاولئك يدخلون الجنة ﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل

هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان أكون من المستكبرين عن أمرك ❊ قوله تعالى ﴿ فخلف من بعدهم ﴾ أي من بعد النبيين المذكورين ﴿ خلف ﴾ أي قوم سوء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الامة ﴿ أضاعوا الصلوة ﴾ أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل أخروها عن وقتها وهو ان لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والازقة ﴿ فسوف يلقون غيا ﴾ قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن له ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم أبعده قعرا وأشده حرا فيه بئر تسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية ❊ قوله تعالى ﴿ الا من تاب وآمن وعمل صالحا ﴾ يعني الا من تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى ﴿ فاولئك يدخلون الجنة ﴾

وابكوا وان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فين البكاء ويقول في سجود التلاوة سبحان ربي ا[لاعلى] ثلاثا (فخلف من بعدهم) فجاء من بعد هؤلاء المفضلين (خلف) أولاد سوء وبفتح اللام لعقب الخير عن ابن عباس هم اليهود (أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الامة (فسوف يلقون غيا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أعد للمصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور (الا من تاب) رجع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحا) بعد ايمانه (فاولئك يدخلون الجنة)

الله (فخلف) فبقي (من بعدهم) من بعد الانبياء والصالحين (خلف) سوء (أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة وكفروا بالله (واتبعوا الشهوات) اشتغلوا باللذات في الدنيا وتزوج الاخوات من الاب وهم اليهود (فسوف يلقون غيا) واديا في جهنم (الا من تاب) من اليهود (وآمن) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (فاولئك يدخلون الجنة { ولا

م الياء وفتح الخاء مكي وبصري وأبو بكر (ولا يظلمون شيأ) أي لا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه
يضاعف لهم أو لا يظلمون شيأ من الظلم (جنات) بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس أو نصب على المدح
دن) معرفة لانها علم لمعنى العدن وهو الاقامة أو علم لارض الجنة لكونها مقام اقامة (التي وعد الرحمن عباده) أي عباده التائبين
منين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه أضافهم اليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص
الغيب) أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها

﴿ ولا يظلمون شيأ ﴾ ولا ينقصون شيأ من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيأ على المصدر وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها أو منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم أو علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله ﴿ التي وعد الرحمن عباده بالغيب ﴾ أي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها أو وعدهم بايمانهم بالغيب ﴿ انه ﴾ ان الله ﴿ كان وعده ﴾ الذي هو الجنة ﴿ مأتيا ﴾ يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا أي مفعولا منجزا ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ﴾ فضول كلام ﴿ الا سلاما ﴾ ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة أو الا تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع أو على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أو على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة

ولا يظلمون شيأ ﴾ أي لا ينقصون شيأ ثم وصف الجنة فقال تعالى ﴿ جنات عدن ﴾ بساتين اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم ﴿ التي وعد الرحمن عباده بالغيب ﴾ أي انهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها ﴿ انه كان وعده مأتيا ﴾ أي آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأتيا أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ﴾ أي باطلا وفحشا وهو فضول الكلام ﴿ الا سلاما ﴾ يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب

(انه) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كان وعده) أي موعوده وهو الجنة (مأتيا) أي هم يأتونها (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) فحشا أو كذبا أو ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف فيها (الا سلاما) أي لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض أو لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا اذ لا ليل ولا نهار ثمه لانهم في النور أبدا وانما يعرفون مقدار النهار (قا و خا ٢٢ بع) برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها والرزق بالبكرة والعشي أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل اراد دوام الرزق كما تقول انا عنده بكرة وعشيا تريد الدوام

ولا يظلمون شيأ) لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم ثم بين أي الجنة لهم فقال (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) بالغائب عنهم (انه كان وعده مأتيا) كائنا (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) حلفا باطلا (الا سلاما) لكن يسلم بعضهم على بعض للاكرام (ولهم رزقهم فيها) طعامهم في الجنة (بكرة وعشيا) على مقدار بكرة

(تلك الجنة التى نورث من عبادنا) أى نجعلها ميراث أعمالهم يعنى ثمرتها وعاقبتها وقيل يرثون المساكين التى كانت لاهل لو آمنوا لان الكفر موت حكما عن الشرك عن ابن عباس رضى الله ان النبى عليه السلام قال [illegible] يا جبريل ماعنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل (وما نتنزل الا بامر ربك) والتنزيل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول أليق هنا يعنى ان نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) أى له ما قدامنا وما خلفنا من الاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من مكان الى مكان الا بامر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا أن نتقلب فى ملكوته الا

وعشية فى الدنيا (تلك الجنة) هذه الجنة (التى نورث) ننزل (من عبادنا من كان تقيا) من الكفر والشرك ويقال مطيعا لربه (وما نتنزل) من السماء (الا بامر ربك) يا محمد قال له جبريل ذلك حين حبس الله عنه الوحى فيما سأله قريش عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف (له ما بين أيدينا) من أمر الآخرة (وما خلفنا) من أمر الدنيا (وما بين ذلك) ما بين النفختين (وما كان ﴿ ربك نسيا) لم ينسك ربك

والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره ﴿ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾ نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل فى التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد ﴿ وما نتنزل الا بامر ربك ﴾ حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى ﴿ له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾ وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان أو لا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ تاركا لك أى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك

لا تعرف أفضل من الرزق الذى يؤتى به بالبكرة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك ❊ وقوله تعالى ﴿ تلك الجنة التى نورث من عبادنا ﴾ أى نعطى وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التى كانت لاهل النار لو آمنوا ﴿ من كان تقيا ﴾ أى المتقين من عباده ❊ قوله عز وجل ﴿ وما نتنزل الا بأمر ربك ﴾ (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبى صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساءظنى واشتقت اليك فقال له جبريل وانى كنت أشوق اليك ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ❊ وقوله ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا ﴾ أى له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل أكد ذلك بقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا أى هو المدبر لنا فى كل الاوقات الماضى والمستقبل وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أى ما مضى من الدنيا ﴿ وما بين ذلك ﴾ أى من هذا الوقت الى أن تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أى ما بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقى من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك أى مدة حياتنا ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ أى ناسيا أى ما نسيك ربك وما تركك

لنافيه(رب السموات والارض ومابينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أى هورب السموات والارض ثم قل لما عرفت انه متصف بهذه الصفات(فاعبده)فاثبت على عبادته(واصطبر لعبادته) أى اصبر على مكافأة الحسود لعبادة واصبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق أى لتتمكن من الاتيان بها (هل تعلم له سميا)شبيها ومثلا أوهل يسمى أحد غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق أى اذا صح أن لامعبود توجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها فت أبى بن خلف عظما وقال أنبعث بعد ماصرنا كذا فنزل(ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا) والعامل فى اذا مادل عليه الكلام وهو ابعث أى اذا مامت ابعث وانتصابه باخرج ممتنع لان مابعد لام الابتداء لايعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لزيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما فى اذا ما للتوكيد أيضا فكانه قال أحقا انا سنخرج من القبور أحياء حين تمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان مابعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء

ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وماننزل الجنة الا بامر الله ولطفه ومالك امور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه ومانجده من لطفه وفضله له وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اى وما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين وعدلهم من الثواب عليها وقوله ﴿ رب السموات والارض ومابينهما ﴾ بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف أو بدل من ربك ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه أى لما عرفت ربك بانه لاينبغى له ان ينساك أواعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولاتتشوش بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ مثلا يستحق ان يسمى الها واحدا الا الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر أى اذا صح ان لا احد مثله ولايستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ﴿ ويقول الانسان ﴾ المراد به الجنس باسره فان القول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم اوبعضهم المعهودوهم الكفرة اوابى بن خلف لانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ﴿ أئذا مامت لسوف اخرج حيا ﴾ من الارض أومن حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لابه فان مابعد اللام لايعمل فيما قبلها وهى ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام فى ياالله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا مامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر

﴿ رب السموات والارض ومابينهما ﴾ أى من يكون كذلك لايجوز عليه النسيان لانه لابد من ... أحوالها كلها وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض ... تعالى ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته ﴾ أى اصبر على أمره ونهيه ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ ... ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحدا يسمى الله غير الله * قوله تعالى ﴿ ويقول الانسان ﴾ أى جنس الانسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو ... بن خلف الجمحى وكان منكرا للبعث ﴿ أئذا مامت لسوف أخرج حيا ﴾ قاله

وحواليك(رب)خالق(السموات والارض ومابينهما)من الخلائق والعجائب هوالله (فاعبده) فأطعه(واصطبر لعبادته) ... على عبادته(هل تعلم له سميا)أحدا يسمى الله(ويقول الانسان)أبى بن خلف الجمحى بانكار البعث (أئذا مامت لسوف أخرج حيا من القبر بعد الموت هذا مالايكون

انكارهم (أولا يذكر الانسان) خفيف شامى ونافع وعاصم من الذكر والسائر بتشديد الذال والكاف وأ
يتذكر كقراءة أبى فادغمت التاء فى الذال أى أولا يتدبروا والواو عطفت لايذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين الم
عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولايتذكر حال النشأة الاولى حتى لاينكر النشأة الاخرى فان تلك
على قدرة الخالق حيث أخرج الجوهر والاعراض من العدم الى الوجو
الثانية فليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (انا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه (ولم يك شيأ) هو دليل على ما بينا وعلى أن المعدوم ليس بشئ خلافا للمعتزلة (فوربك لنحشرنهم) أى الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف وبمعنى مع أوقع أى يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة وفى اقسام الله باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لشان رسوله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) حال جمع جاث أى بارك على الركب ووزنه فعول لان أصله جثو كسجود وساجد أى يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم

﴿أولا يذكر الانسان﴾ عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف
ان الاصل ان تتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ
فانه لو تذكر وتأمل ﴿انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ﴾ بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك
فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع
وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد به التفكر وقرئ
يتذكر على الاصل ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ قسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما
لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿والشياطين﴾ عطف أو مفعول معه لما روى
ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة
وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ ليرى السعداء
ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا
غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم ﴿جثيا﴾ على ركبهم
لما يدهمهم من هول المطلع أو لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب
والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد فى مواقف
التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ
جهنم اهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائى وحفص

استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى ﴿أولا يذكر الانسان﴾ أى يتذكر ويتفكر يعنى
منكر البعث ﴿انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ﴾ والمعنى أولا يتفكر هذا الجاحد فى
خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة فى البعث
على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لاشك ان الاعادة ثانيا أهون من الايجاد أولا ثم
اقسم بنفسه فقال تعالى ﴿فوربك﴾ وفيه تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿لنحشرنهم﴾
أى لنجمعنهم فى المعاد يعنى المشركين المنكرين للبعث ﴿والشياطين﴾ أى
الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان فى سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾
قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبتيه
صورته كصورة الذليل فان قلت هذا المعنى حاصل لكل بدليل قوله تعالى وترى كل
أمة جاثية قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة فى مواقف المقالات والمناقلات وذلك
لما فيه من القلق لما يدهمهم من شدة الامور التى لا يطيقون معها القيام على أرجلهم

(أولا يذكر الانسان) أولا يتعظ أبى بن خلف الجمحى (انا خلقناه من قبل) من قبل هذا من نطفة منتنة (ولم يك
شيأ) فانى قادر على ان أحييه (فوربك) أقسم بنفسه (لنحشرنهم) يوم القيامة يعنى أبيا وأصحابه (والشياطين ثم لنحضرنهم)
لنجمعهم (حول جهنم) وسط جهنم (جثيا) جميعا

ثم لننزعن من كل شيعة) طائفة شاعت أى تبعت غاويا من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة أو فجورا أى لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغى اعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فاولاهم وقيل المراد باشدهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه ايهم مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلته وهو هو من هو اشد حتى لو جئ به لاعرب بالنصب وقيل ايهم هو اشد وهذا لان الصلة توضح الموصول وتبينه كما ان المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما ان حذف المضاف اليه فى من قبل يوجب بناء المضاف وجب ان يكون حذف الصلة او شئ منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزع وقال الخليل هى معربة وهى مبتدأ واشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد على الرحمن عتيا ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اى لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وعلى يتعلق بافعل أى عتوهم أشد على الرحمن (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بالنار (صليا) تمييز اى دخولا والباء تتعلق باولى (وان منكم) احد (الا واردها)

جثيا بالكسر ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة ﴾ من كل امة شايعت دينا ﴿ ايهم اشد على الرحمن عتيا ﴾ من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن كثير من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم فى النار على الترتيب أو يدخل كلا طبقتها التى تليق بهم وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامى وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة وعلى اما ان يتعلق بمحذوف يفسره ما بعده واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله ﴿ ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ﴾ أى لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى أو صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بايهم رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص صليا بكسر الصاد ﴿ وان منكم ﴾ وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم ﴿ الا واردها ﴾ الا واصلها وحاضر دونها يمر بها

فيجثون على ركبهم جثوا ﴿ ثم لننزعن ﴾ أى لنخرجن ﴿ من كل شيعة ﴾ أى من كل أمة وأهل دين من الكفار ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ قال ابن عباس يعنى جرأة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم فى الشر والمعنى أنه يقدم فى ادخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو أكبر جرما وأشد كفرا وفى بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان أشد منهم تمردا فى كفره خص بعذاب أعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره فى الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال فى جميعهم ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ ولا يقال أولى الا مع اشتراك القوم فى العذاب وقيل معنى الآية انهم أحق بدخول النار * قوله عز وجل ﴿ وان منكم الا واردها ﴾ أى وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر أى والله ما منكم من احد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا فى معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية فى قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود ههنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجى الله الذين اتقوا منها يدل عليه داخلها والمراد النار والورود الدخول عند على وابن عباس رضى الله عنهم وعليه جمهور اهل السنة لقوله تعالى فاوردهم النار

(ثم لننزعن) لنخرجن (من كل شيعة) من كل أهل دين (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة بالقرآن (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) احق بها (صليا) دخولا (وان منكم) وما منكم من أحد (الا واردها) داخلها يعنى النار غير النبيين والمرسلين

المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل وروده الجواز على

ماروى ان نافع بن الازرق سأل ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس انكم وماتعبدون دون الله حصب جهنم انتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يانافع والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله منها وما ارى الله ان يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى أخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار عذابها قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين بها لايجدون ألمها فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار قلت فيه وجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين أراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود أنه قال وان منكم الا واردها يعني القيامة والكناية راجعة اليها والقول الاول أصح وعليه أهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ماروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية فيلج النار الا تحلة القسم أخرجاه في الصحيحين أراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها (م) عن أم مبشر الانصارية أنها سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يارسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للمؤمن جز يامؤمن فقد

ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وقوله ثم ننجي الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لايبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يامؤمن فان نورك اطفأ لهبي وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبدالله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله اولئك عنها مبعدون واجيب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها فيسلم اهل الجنة ويتقاذف اهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لآخر أيقنت بالورود قال نعم قال وايقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل

الصراط فانه ممدود عليها ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ فيساقون الى الجنة ، وقرأ الكسائى ويعقوب ننجى بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اى هناك ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها

أطفأ نورك لهبى وروى عن مجاهد فى قوله تعالى وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفى الخبر الحمى كير من جهنم وهى حظ المؤمنين من النار (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء ، قوله فيح جهنم أى وهجها وحرها ❊ وقوله تعالى ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ أى كان ورود جهنم قضاء لازما قضاء الله تعالى عليكم وأوجبه ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ أى الشرك ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ أى جميعا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة فى الآية دليل على صحة مذهبهم فى ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد فى النار بدليل أن الله بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فبقى فى النار أبدا وأجيب عنه بان المتقى هو الذى يتقى الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه متق لان المتقى جزء من المتقى من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا فصارت الآية التى توهموها دليلا لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على اخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير وفى رواية من ايمان (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيأ فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق

(كان على ربك حتما مقضيا) اى كان ورودهم واجبا كائنا محتوما والحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمى به الموجب كقولهم ضرب الامير (ثم ننجى) وعلى بالتخفيف (الذين اتقوا) عن الشرك وهم المؤمنون (ونذر الظالمين فيها جثيا) فيه دليل على دخول الكل لانه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب ان صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة وقالت المرجئة الخبيثة لا يعاقب لان المعصية لا تضر مع الاسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد

(كان على ربك حتما مقضيا) قضاء كائنا واجبا أن يكون (ثم ننجى الذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش (ونذر) نترك (الظالمين) المشركين (فيها) فى جهنم (جثيا) جميعا دائما

وان المؤمنين يفترقون شجرة الى الجنة بعد تجاوزهم وتبقى شجرة فيها منهارة بهم

بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أعضاء السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهى عن النار فقد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيقول هل عسيت ان أفعل ذلك بك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطى الله ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة أى نكهتها ورأى بهجتها سكت ماشاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يارب قدمنى عند باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت المواثيق والعهود أن لا تسأل غير الذى كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت ان أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطى ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها رأى زهرتها ومافيها من النضرة والسرور فيسكت ماشاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذى أعطيت فيقول يارب لا تجعلنى أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له فى دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيته قال الله تمن كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الامانى قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدرى لابى هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم احفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضى الله عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفى رواية البخارى قال فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا عرفناه فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ٭ قلت أما ما يتعلق بمعنى الحديث والكلام على الرؤية فسيأتى فى تفسير سورتى ن والقيامة ونتكلم ههنا على شرح غريب ألفاظه ٭ قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعى الابل ٭ وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال أوبقته الذنوب أى أهلكته والمخردل المرمى المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع فى النار ٭ قوله وقد امتحشوا أى احترقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلد وتبدى العظم ٭ قوله كما تنبت الحبة فى حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهى البزورات جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه ٭ قوله قشبنى ريحها أى آذانى والقشب السم فكأنه قال قد سمنى ريحها ٭ قوله وأحرقنى ذكاؤها أى شتعالها ولهبها ٭ قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعـ

(واذا تتلى عليهم آياتنا) اى القرآن (بينات) ظاهرات الاعجاز أو حججا وبراهين حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا اذ آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا (قال الذين كفروا) أي مشركو قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا في زيهم (للذين آمنوا) لفقراء رؤسهم شعثة وثيابهم خشنة (أي الفريقين) نحن أم أنتم (خير مقاما) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكي وهو موضع الاقامة والمنزل (وأحسن نديا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية ان الله تعالى يقول اذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكم مفعول أهلكنا ومن تبيين لابهامها أي كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) في محل النصب صفة لكم ألا ترى انك لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية (أثاثا) هو متاع البيت أو ما جد من الفرش (ورئيا) منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريا بغير همز مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الادغام أو من الري الذي هو النعمة

على هيآتهم ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها أو ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم أو واضحات الاعجاز ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ لاجلهم أو معهم ﴿ أي الفريقين ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿ خير مقاما ﴾ موضع قيام أو مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اى موضع اقامة ومنزل ﴿ وأحسن نديا ﴾ مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله ﴿ وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا ﴾ وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمى اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعده وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثى

آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو ان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر بي وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه أي اضراسه وأنيابه وقيل هي آخر الاسنان ﴿ عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حمالة السيل أخرجه الترمذي الحمم الفحم والحمالة كل ما جاء به السيل فدلت الآية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى أخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون ﴿ قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ أي دلائل واضحات ﴿ قال الذين كفروا ﴾ يعنى النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش ﴿ للذين آمنوا ﴾ يعنى فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أفخر ثيابهم ﴿ أي الفريقين خير مقاما ﴾ أي منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة ﴿ وأحسن نديا ﴾ أي مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ﴾ أي متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا ﴿ ورئيا ﴾ أي منظرا

(واذا تتلى عليهم) تقرأ عليهم على النضر وأصحابه (آياتنا بينات) بالامر والنهى (قال الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والبعث يعنى النضر (قا و خا ٢٣ بع) وأصحابه (للذين آمنوا) بمحمد والقرآن يعنى أبا بكر وأصحابه (أي الفريقين) أهل ديننا منا ومنكم (خير مقاما) منزلا (وأحسن نديا) مجلسا (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قريش (من قرن) من أمم خالية (هم أحسن أثاثا) أكثر أموالا وأولادا (ورئيا) أحسن

(قل من كان فى الضلالة)الكفر (فليمدد له الرحمن مدا) جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر أى من كفر مدله الرحمن يعنى أمهله وأملى له فى العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وانما أخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لامحالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال (حتى اذا رأوا مايوعدون) هى متصل بقوله خير مقاما وحسن نديا ومابينهما اعتراض أى لايزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود رأى عين (اما العذاب فى الدنيا وهو تعذيب المسلمين ايام بالقتل والاسر (واما الساعة)اى القيامة ومايناله من الخزى والنكال فهما بدلان ممايوعدون (فسيعلمون من هو شرمكانا) منزلا (وأضعف جندا)أعوانا وانصارا أى فحينئذ يعلمون ان الامر على عكس ماقدروه وانهم شرمكانا وأضعف جندا لاخير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وجاز ان تتصل بما يليهما والمعنى ان الذين فى الضلالة ممدود لهم فى ضلالتهم لاينفكون عن ضلالتهم الى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هى التى يحكى بعدها الجمل الاترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مدا ومدله الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين أى المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء أو يقينا

(على)

مارث منه والرأى المنظر فعل من الرؤية لمايرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر رياعلى قلب الهمزة وادغامها أو على انه عن الرى الذى هو النعمة وقرأ ابو بكر ريئاعلى القلب وقرئ ريابحذف الهمزة وزيامن الزى وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما المعيار على الفضل والنقص مايكون فى الآخرة بقوله ﴿ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله ممايبنغى ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكقوله أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر ﴿ حتى اذا رأوا مايوعدون ﴾ غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير حتى اذا رأوا مايوعدون ﴿ أما العذاب وأما الساعة ﴾ تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة ومايناالهم فيه من الخزى والنكال ﴿ فسيعلمون من هو شرمكانا ﴾ من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ماقدروه وعاد ماتمتعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى ﴿ واضعف جندا ﴾ أى فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لمابين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عزوجل اراد به ماهو خيرله وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كأنه قيل من كان فى الضلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية

من الرؤية ﴿ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه ويمهله فى كفره ﴿ حتى اذا رأوا مايوعدن اما العذاب ﴾ أى الاسر والقتل فى الدنيا ﴿ واما الساعة ﴾ يعنى القيامة فيدخلون النار ﴿ فسيعلمون ﴾ أى عند ذلك ﴿ من هو شرمكانا ﴾ أى منزلا ﴿ وأضعف جندا ﴾ أى اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون أهم خير وهم فى النار أم المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم أى الفريقين خير مقاما واحسن نديا ✲ قوله عزوجل ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ أى ايمانا وايقانا

منظرا (قل) لهم يامحمد (من كان فى الضلالة) فى الكفر والشرك (فليمدد) فليزدد (له الرحمن مدا) زيادة فى المال والولد فانظرهم يامحمد (حتى اذا رأوا مايوعدون) من العذاب (اما العذاب) يوم بدر بالسيف (واما الساعة)واما عذاب يوم القيامة بالنار (فسيعلمون)وهذا وعيد لهم (من هو شر مكانا) منزلا فى الآخرة وضيقا فى الدنيا (وأضعف جندا) أهون ناصرا (ويزيد الله الذين اهتدوا) بالايمان (هدى)بالشرائع ويقال ويزيد الله الذين اهتدوا بالناسخ هدى

صيرة بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خير عندربك ثوابا) مما يفتخر به الكفار (وخير مردا) أى مرجعا وعاقبة تهكم بالكفار لأنهم قالوا للمؤمنين أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) ثم وبضم الواو وسكون اللام فى أربعة مواضع هنا وفى الزخرف ونوح حمزة وعلى ﴿ ١٧٩ ﴾ جمع ولد كأسد { سورة مريم } فى أسدا أو بمعنى الولد كالعرب فى العرب ولما كانت رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت فى معنى أخبر والفاء أفادت التعقيب كانه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله لأوتين جواب قسم مضمر (اطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أى انظر فى اللوح المحفوظ فرأى منيته (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) موثقا ان يؤتيه ذلك أو العهد كلمة الشهادة وعن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور انها فى العاص بن وائل فقد روى ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا و فضة فانا أقضيك ثمه فانى اوتى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع

﴿ والباقيات الصالحات ﴾ الطاعات التى تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ﴿ خير عند ربك ثوابا ﴾ عائدة مما تمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله ﴿ وخير مردا ﴾ والخير ههنا اما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره منه فى برده ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ﴾ نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتنى فيكون لى ثمه مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها فى التعقيب والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك * وقرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كاسد فى اسد أو لغة فيه كالعرب والعرب ﴿ اطلع الغيب ﴾ اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألى عليه ﴿ أم اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ أو اتخذ من علام الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه ﴿ كلا ﴾ ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه

على يقينهم ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ أى الاذكار والاعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها ﴿ خير عند ربك ثوابا وخير مردا ﴾ أى عاقبة ومرجعا * قوله تعالى ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا ﴾ الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فاتيته أتقاضاه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفا فجئته أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت أفرأيت الذى كفر بآياتنا ﴿ وقال لأوتين مالا وولدا ﴾ الى قوله فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله ﴿ أطلع الغيب ﴾ قال ابن عباس معناه أنظر فى اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو فى الجنة أم لا ﴿ أم اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ يعنى قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة ﴿ كلا ﴾ رد عليه يعنى لم يفعل ذلك

بالمنسوخ (والباقيات الصالحات) الصلوات الخمس (خير عند ربك ثوابا) خير ما يثيب الله به العباد الصلوات (وخير مردا) أفضل مرجعا فى الآخرة (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى العاص بن وائل السهمى (وقال لأوتين مالا وولدا) لئن كان ما يقول محمد فى الآخرة حقا لاعطين مالا وولدا فى الآخرة فرد الله عليه وقال (أطلع الغيب) أنظر فى اللوح المحفوظ ان له ما يقول (أم اتخذ) اعتقد (عند الرحمن عهدا) بلا اله الا الله فيكون له ما يقول (كلا) رد عليه لا يكون له ما يقول

و تنبيه على الخطأ وهومخطئ فيما تصوره لنفسه فايرتدع عنه (سنكتب مايقال) أى قوله والمراد سنظهرله ونع
انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو كقوله ا
ماانتسبنا لم تلدنى لئيمة اى علم وتبين بالانتساب أنى لست بابن لئيمة (ونمدله من العذاب) نزيده من العذاب كما يزيد فى الافتر
والاجتراء من المدد يقال مده وأمده بمعنى (مدا) أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى (ونرثه مايقول) أى نزوى عنه مازعم انه ينا
فى الآخرة والمعنى مسمى مايقول وهو المال والولد (ويأتينا فردا) حال اى بلا
مال ولاولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى فما يجدى عليه تمنيه وتأليه (واتخذوا من دون الله آلهة) اى اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أى ليعتزوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم عما ظنوا (سيكفرون بعبادتهم) الضمير للآلهة أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ماعبدتمونا وأنتم كاذبون أو للمشركين أى ينكرون ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ماكنا مشركين (ويكونون) أى المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما لان الله تعالى ينطقهم فتقول يارب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو فى مقابلة لهم عز والمراد ضد العز وهو الزل والهوان أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه أى يكونون

﴿ سنكتب مايقول ﴾ سنظهرله انا كتبنا قوله على طريقة قوله

اذاما انتسبنا لم تلدنى لئيمة

أى تبين انى لم تلدنى لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لاتتأخر عن القول لقوله تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد ﴿ ونمدله من العذاب مدا ﴾ ونطول له من العذاب مايستأهله أو نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ﴿ ونرثه ﴾ بموته ﴿ مايقول ﴾ يعنى المال والولد ﴿ ويأتينا ﴾ يوم القيامة ﴿ فردا ﴾ لايصحبه مال ولاولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثمه زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ﴾ ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده ﴿ كلا ﴾ ردع وانكار لتعززهم بها ﴿ سيكفرون بعبادتهم ﴾ سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ماعبدتمونا لقوله اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا أوسينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴿ ويكونون عليهم ضدا ﴾ يؤيد الاول الا اذا فسر الضد بضد العز أى ويكونون عليهم ذلا أو بضدهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم بان توقدبها نيرانهم أوجعل الواو للكفرة أى يكونون كافرين بهم بعد

﴿ سنكتب مايقول ﴾ أى سنحفظ عليه مايقول فنجازيه به فى الآخرة وقيل يأمر الملائكة حتى يكتبوا مايقول ﴿ ونمدله من العذاب مدا ﴾ أى نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه ﴿ ونرثه مايقول ﴾ معناه أى ماعنده من المال والولد باهلا كنا اياه وابطال ملكه وقيل نزول عنه ماعنده من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقى فرد فذلك قوله ﴿ ويأتينا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ فردا ﴾ بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يبعث فى الآخرة بمال ولاولد ✲ قوله تعالى ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ يعنى مشركى قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها ﴿ ليكونوا لهم عزا ﴾ أى منعة يعنى يكونوا شفعاء يمنعونهم من العذاب ﴿ كلا ﴾ أى ليس الامر كما زعموا ﴿ سيكفرون بعبادتهم ﴾ يعنى تجحد الاصنام والآلهة التى كانوا يعبدونها عبادة المشركين و يتبرؤن منهم ﴿ ويكونون عليهم ضدا ﴾ أى اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداء لهم وكانوا

(سنكتب) سنحفظ (مايقول) من الكذب (ونمدله) نزيدله (من العذاب مدا) زيادة (ونرثه مايقول) (أولياءهم) فى الجنة ونعطى غيره من المؤمنين (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) وحيدا خاليا من المال والولد والخير نزلت هذه الآية فى خباب ابن الارت وصاحبه فى خصومة كانت بينهما (واتخذوا) عبدوا أهل مكة (من دون الله آلهة) يعنى الاصنام (ليكونوا لهم) يعنى الاصنام (عزا) منعة من عذاب الله (كلا) رد عليهم لايكون لهم منعة من عذاب الله (سيكفرون بعبادتهم) سيتبرؤن يعنى الاصنام من عبادة الكفار (ويكونون) يعنى الاصنام (عليهم) على الكفار (ضدا)

..م لاالهم عزا وان رجع الضمير فى سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم أى أعداؤهم ضدا أى كفرة .. بعد ان كانوا يعبدونها ثم عجب نبيه عليه السلام بقوله (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى خليناهم واياهم .. ارسلت البعير أطلقته أو سلطناهم عليهم بالاغواء (تؤزهم ازا) تغريهم على المعاصى اغراء والازو الهز اخوان ومعناهما .. التهييج وشدة الازعاج (ولاتعجل عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) أى اعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء وقرأها ابن السماك عند المأمون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ماتنفد (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت (ونسوق المجرمين) الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا أضل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاشا لان من يرد الماء لايرده الا العطش وحقيقة الورود المسير الى الماء فيسمى به الواردون فالوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر أى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين مالايوصف أى اذكر يوم نحشر ذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذى غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم .. عونا بالعذاب (ألم تر) ألم

تخبر يامحمد (انا أرسلنا الشياطين) سلطنا الشياطين (على الكافرين تؤزهم أزا) تزعجهم الى معصية الله ازعاجا وتغريهم اغراء (ولاتعجل) فلاتستعجل (عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) يعنى النفس بعد النفس (يوم) وهو يوم القيامة (نحشر المتقين) .. الكفر والشرك والفواحش (الى الرحمن) الى جنة الرحمن (وفدا) ركبانا على النوق (ونسوق المجرمين) المشركين (الى جهنم وردا) عطاشا

ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله

اقلى اللوم عاذل والعتابن

او على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره مابعده اى سيجحدون بكلا سيكفرون بعبادتهم ﴿ألم ترانا ارسلنا الشياطين على الكافرين﴾ بان سلطناهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء ﴿تؤزهم ازا﴾ تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على مانطقت به الآيات المتقدمة ﴿فلاتعجل عليهم﴾ بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم ﴿انما نعد لهم﴾ ايام آجالهم ﴿عدا﴾ والمعنى لاتعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة ﴿يوم نحشر المتقين﴾ نجمعهم ﴿الى الرحمن﴾ الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها ﴿وفدا﴾ وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ﴿ونسوق المجرمين﴾ كما يساق البهائم ﴿الى جهنم وردا﴾ عطاشا فان من يرد الماء لايرده الا العطش اوكالدواب التى ترد الماء

أولياءهم فى الدنيا * قوله عزوجل ﴿ألم ترأنا ارسلنا الشياطين على الكافرين﴾ أى سلطناهم عليهم ﴿تؤزهم أزا﴾ أى تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تحثهم وتحرضهم على المعاصى تحريضا شديدا وفى الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات ﴿فلاتعجل عليهم﴾ أى لاتعجل بطلب عقوبتهم ﴿انما نعد لهم عدا﴾ يعنى الليالى والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسونها فى الدنيا الى الاجل الذى أجل لعذابهم * قوله تعالى ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا﴾ أى اذكر لهم يامحمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته الى جنته وفدا أى جماعات قال ابن عباس ركبانا قال ابوهريرة على الابل وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه مايحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت ﴿ونسوق المجرمين﴾ أى الكافرين ﴿الى جهنم وردا﴾ أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش

يساقون الى النار كأنهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم (لا يملكون الشفاعة) حال والواو ان جعل ضميرا ف
للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغ
والفاعل من اتخذ لانه فى معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقد
حذف المضاف أى الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن فى الحديث من قال لا
الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه و

قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بانى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى النصارى واليهود ومن
زعم أن الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيأ ادا) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات أو أمر نبيه عليه (يتفطرون)
السلام بانه يقول لهم ذلك والاد العجب أو العظيم المنكر والادة الشدة وأدنى الامر أثقلنى وعظم على ادا (تكاد السموات) تقرء

﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم ﴿ الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى او الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف أى الا شفاعة من اتخذ أو على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم ﴿ لقد جئتم شيأ ادا ﴾ على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم على ﴿ تكاد السموات ﴾ وقرأ نافع

والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث امسوا ٭ قوله تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة ٭ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى ٭ قوله عز وجل ﴿ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ يعنى لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله أى لا يشفع الا للمؤمن ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب ﴿ لقد جئتم شيأ ادا ﴾ قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما ﴿ تكاد السموات

(لا يملكون الشفاعة) لا تشفع الملائكة لاحد (الا من اتخذ) من اعتقد (عند الرحمن عهدا) بلا اله الا الله (وقالوا) يعنى اليهو
(اتخذ الرحمن ولدا) عزيرا ابنا (لقد جئتم شيأ ادا) قلتم قولا منكرا عظيما (تكاد السموات

وباء نافع وعلى (يتفطرن) وبالنون بصرى وشامى وحمزة وخلف وأبو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه
(ه) من عظم هذا القول (وتنشق الارض) تخسف وتنفصل أجزاؤها (وتخر الجبال) تسقط (هدا) كسرا أو قطعا أو هدما
و.دة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر أى تهد هدا من سماع قولهم أو مفعول له
أو حال أى مهدودة (أن دعوا) لان سموا ومحله جر بدل من الهاء فى منه أو نصب مفعول له علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أى هدها دعاؤهم (للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) انبغى مطاوع بغى اذا طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما وفى اختصاص الرحمن وتكريره كرات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (ان كل من) نكرة موصوفة صفتها (فى السموات والارض) وخبر كل (الا آت الرحمن) ووحد آتى وآتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى وهو

الكسائى بالياء ﴿ يتفطرن منه ﴾ يتشققن مرة بعد اخرى • وقرأ ابو عمرو وابن عامر
حمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال
طاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف ﴿ وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ﴾ تهد هدا
ومهدودة اولانها تهد أى تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة
عظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من
شدتها أو ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا
على من تفوه بها ﴿ ان دعوا للرحمن ولدا ﴾ يحتمل النصب على العلة لتكاد أو لهدا على
حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام أو بالابدال من الهاء فى منه والرفع
على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا أو فاعل هدا أى هدها دعاء الولد
للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط
بكل ما دعى له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه
﴿ وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ﴾ ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا
لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم
عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه
ولدا ثم صرح به فى قوله ﴿ ان كل من فى السموات والارض ﴾ أى ما منهم ﴿ الا آتى الرحمن

يتفطرن منه ﴾ من الانفطار وهو الشق ﴿ وتنشق الارض ﴾ أى تخسف بهم
﴿ وتخر الجبال هدا ﴾ أى تسقط وتنطبق عليهم ﴿ أن دعوا ﴾ أى من اجل ان
جعلوا ﴿ للرحمن ولدا ﴾ • فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور
الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة فى هذه الجمادات • قلت فيه وجهان أحدهما ان
الله تعالى يقول كدت ان أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه
الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى وانى لا أعجل بالعقوبة الثانى ان يكون
استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها فى الدين وهدمها لاركانه
وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين
وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم
نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ﴿ وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾
أى ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لا بد ان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى
ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح فى الله تعالى من سرور به واستعانة وذكر
جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى ﴿ ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن

(يتفطرن) يتشققن (منه) من قولهم (وتنشق) الارض تتصدع الارض (وتخر الجبال) تسير الجبال (هدا) كسرا (أن دعوا)
بان دعوا (للرحمن ولدا) عزيرا ابنا (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) عزيرا ابنا (ان كل من فى السموات والارض (يقول
من أحد فى السموات والارض (الا آت الرحمن

مستقبل أي يأتيه (عبدا) حال أي خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في السموات والارض من الملائكة والناس الا ه
يأتي الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والعبودية والنبوة تتنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع الي
نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا وقرأ ابن مسعود آ
الرحمن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي حصرهم بعلمه واحاط بهم (وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) أي كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا بلا مال ولا ولد أو بلا معين ولا ناصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) مودة في قلوب العباد قال الربيع يحبهم ويحببهم الى الناس وفي الحديث يعطى المؤمن مقة في قلوب الابرار ومهابة في قلوب الفجار وعن قتادة وهرم ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر لعبد ثناء في الارض حتى يستقر له في السماء (فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين)

عبدا ﴾ الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل ﴿ لقد احصاهم ﴾ حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته ﴿ وعدهم عدا ﴾ عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار ﴿ وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ﴾ من الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة في الارض والسين اما لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعده ذلك اذا دجا الاسلام أو لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل ﴿ فانما يسرناه بلسانك ﴾ بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه أي انزلناه بلغتك ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ الصائرين

عبدا ﴾ أي آتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده ﴿ لقد أحصاهم وعدهم عدا ﴾ أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شئ من أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته ﴿ وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ﴾ أي وحيدا ليس معه من أحوال الدنيا شئ ＊ قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ أي محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحببهم الى عباده المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال اني أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا أبغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول اني أبغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له البغضاء في الارض قال هرم بن حبان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا ＊ قوله تعالى ﴿ فانما يسرناه ﴾ أي سهلنا القرآن ﴿ بلسانك ﴾ يا محمد ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ يعني المؤمنين

عبدا) الا مقرا للرحمن بالعبودية مطيعا له غير الكافر (لقد أحصاهم) حفظهم (وعدهم عدا) علم بعددهم (وكلهم آتيه) يجيء الى الله (يوم القيمة فردا) وحيدا بلا مال ولا ولد (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (سيجعل لهم الرحمن ودا) يحبهم ويحببهم الى المؤمنين (فانما يسرناه بلسانك) هونا عليك قراءة القرآن (لتبشر) بالقرآن (المتقين) الكفر والشرك { وتنذر }

مؤين (وتنذربه قوما لدا)شدادا ١٨٥ فى احصومة بالباطل { سورة طه } أى الذين يأحدون فى كل
لديد أى شق من المراء والجدال جمع ألد يريد به أهل مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف لهم وانذار (هل تحس منهم من أحد) أى هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة (أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا ومنه الركاز أى لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعنى هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم والله أعلم

سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية وهى مائة وخمس وثلاثون آية كوفى

﴿بسم الله لرحمن الرحيم طه﴾ فخم الطاء لاستعلائها وأمال

والف واحش (وتنذر) تخوف (به) بالقرآن (قوما لدا) جدلا بالباطل (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك يا محمد (من قرن) من القرون الماضية (هل تحس منهم من أحد) هل ترى منهم أحدا بعد الهلاك (أو تسمع لهم ركزا) صوتا بعد ما هلكوا ودرسوا

ومن السورة التى يذكر فيها طه وهى كلها مكية آياتها مائة واثنان وثلاثون وكلماتها ألف وثلاثمائة وواحد وحروفها خمسة آلاف
ومائتان وأربعون حرفا (قا و خا ٢٤ مع) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (طه

ل التقوى ﴿وتنذر به قوما لدا﴾ اشداء الخصومة آخذين فى كل لديد أى شق من
راء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر ﴿ وكم اهلكنا قبلهم من قرن ﴾ تخويف للكفرة
تجسير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على انذارهم ﴿هل تحس منهم من احد﴾ هل
شعر باحد منهم وتراه ﴿أو تسمع لهم ركزا﴾ وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت
لخفى واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال
لمدفون * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد
ن كذب زكريا وصدق به ويحيي ومريم وعيسى وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لمذكورين فيها وبعدد من دعا الله فى الدنيا ومن لم يدع

سورة طه مكية وهى مائة واربع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ﴾ فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل
فخم الطاء وحده ابو عمرو وورش عن نافع لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء
لحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب
الاختصار والاستشهاد بقوله

ان السفاهة طاها فى خلائقكم * لاقدس الله اخلاق الملاعين

ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون * وقرئ طه على انه امر للرسول

﴿ وتنذر به ﴾ أى بالقرآن ﴿ قوما لدا ﴾ أى شدادا فى الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل
الالد الظالم الذى لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعى الباطل ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾
ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وأيقنوا انه لا بد من زوال الدنيا بالموت
خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة فى الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصى أقرب ثم أكد ذلك
قال تعالى ﴿ هل تحس منهم ﴾ أى هل ترى وقيل هل تجد منهم أى من القرون ﴿ من احد
أو تسمع لهم ركزا ﴾ أى صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله
أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة طه وهى مكية وهى مائة وأربعة وقيل خمس
وثلاثون آية وألف وستمائة واحدى واربعون كلمة
وخمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون حرفا

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التى فيها البقرة من
الذكر الاول وأعطيت طه والطواسين من الواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتم
سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة النافلة الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قوله عز وجل ﴿ طه ﴾ قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من أسماء الله
الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى وقيل معناه يا رجل والمراد به النبى

الهاء أبو عمرو وأمالهما حمزة وعلى وخلف وأبو بكر وفخمهما على الاصل غيرهم وماروى عن مجاهد والحسن والضحاك وعد
وغيرهم ان معناه يارجل فان صح فظاهر والا فالحق ماهو المذكور فى سورة البقرة (ما أنزلنا عليك القرآن) ان جعلت طه تعد
لاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهى فى موضع المبتدأ والقرآن ظاهر او
موقع الضمير لانه قرآن وأن

يكون جوابا لها وهى قسم (لتشقى) لتتعب لفرط تأسفك
عليهم وعلى كفرهم وتحسرك
على أن يؤمنوا أو بقيام
الليل وانه روى انه عليه
السلام صلى بالليل حتى
تورمت قدماه فقال له
جبريل ابق على نفسك فان
لها عليك حقا أى ما أنزلناه
لتنهك نفسك بالعبادة وما
بعثت الا بالحنيفية السمحة
(الا تذكرة) استثناء
منقطع أى لكن أنزلناه
تذكرة أو حال (لمن يخشى)
لمن خاف الله أو لمن يؤل
أمره الى الخشية (تنزيلا)
بدل من تذكرة اذا جعل
حالا ويجوز أن ينتصب
بنزل مضمرا أو على المدح
أو يخشى مفعولا به أى
انزله الله تذكرة لمن يخشى
تنزيل الله (ممن خلق
الارض والسموات) من
يتعلق بتنزيلا صلة له (العلى)
جمع العلياء تأنيث الاعلى
ووصف السموات بالعلى
دليل ظاهر على عظم قدرة

(ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)
لتتعب بالقرآن نزلت
هذه الآية والنبى صلى الله
عليه وسلم كان قبل ذلك يجتهد
بصلاة الليل حتى تورمت قدماه فخفف الله عليه بهذه الآية فقال طه يارجل هذه بلسان مكة أى ... ما أنزلنا ... تنذر
عليك القرآن جبريل بالقرآن (الا تذكرة) عظة (لمن يخشى) لمن يسلم و ... ... نز
يقول القرآن تكليما (ممن خلق الارض والسموات العلى) رفع بعضها

صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه
وان اصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت من يطأ الفا كقوله لا «هناك المرتع» ثم بنى عليه
الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طأها و الالف مبدلة
من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا
رجل أو اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾
خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأول بالسورة أو القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد
وجوابه ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء و استئناف ان كانت جملة فعلية
أو اسمية باضمار مبتدأ أو طائفة من الحروف محكية والمعنى ما نزلنا عليك القرآن لتتعب
بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد و
القيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم
ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة
عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به ﴿الا تذكرة﴾ لكن
تذكيرا وانتصابهما على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف
الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر
فى موقع الحال من الكاف او القرآن او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة
القرآن أى ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة ﴿لمن يخشى﴾ لمن فى
قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار أو لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع
به ﴿تنزيلا﴾ نصب باضمار فعله أو بيخشى أو على المدح أو البدل من تذكرة ان جعل
حالا وان جعل مفعولا له لفظا أو معنى فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ﴿ممن خلق
الارض والسموات العلى﴾ مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض

صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد
وافقت لغة العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل
العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به فى التهجد وذلك لما نزل الوحى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وكان
يصلى الليل كله فانزل الله تعالى هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا
عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاده فى العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد
الا لشقائك فنزلت ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أى لتعنى وتتعب ﴿الا تذكرة لمن يخشى﴾
أى لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون به ﴿تنزيلا ممن
خلق الارض والسموات العلى﴾ أى من الله الذى خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التى

خبها (الرحمن) رفع على المدح أي هو الرحمن (على العرش) خبر مبتدأ محذوف (استوى) استولى عن الزجاج ونبه بذكر
العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك
فقيل استوى فلان على العرش أي ملك وان لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك يد فلان
مبسوطة أي جواد وان لم يكن له يد رأسا والمذهب قول علي رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان (له ما في السموات وما في الارض) خبر ومبتدأ ومعطوف (وما بينهما) اى ذلك كله ملكه (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارضين او هو الصخرة التي تحت الارض السابعة (وان تجهر بالقول) ترفع صوتك (فانه يعلم السر) ما اسررته الى غيرك (واخفى) منه وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك وما

عظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال ﴿الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال ﴿وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى﴾ أى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه سبحانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المنفرد بها والمتوحد بمقتضاها

لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها الا الله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى ﴿ له ما في السموات وما في الارض وما بينهما ﴾ يعني الهواء ﴿ وما تحت الثرى ﴾ أى أنه مالك لجميع ما في الاربعة الاقسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وراء الثرى من شيء وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر الثور والثور على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست ❊ قوله تعالى ﴿ وان تجهر بالقول ﴾ أى تعلن به ﴿ فانه يعلم السر وأخفى ﴾ قال ابن عباس السر ما تسر في نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما أسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما أسر به ابن آدم في نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسره الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسره في نفسه وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر أن يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والاخفاء على ما فيه

فوق بعض (الرحمن على العرش استوى) استقر ويقال امتلأ به ويقال هو من المكتوم الذي لا يفسر (له ما في السموات وما في الارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (وما تحت الثرى) الذي تحت الارضين السابعة
السفلى لان الارضين على الماء والماء على الحوت والحوت على الصخرة والصخرة على قرني الثور والثور على الثرى والثرى هو التراب
الندي يعلم الله ما تحته (وان تجهر بالقول) تعلن بالقول والفعل (فانه يعلم السر) من القول والفعل (وأخفى) من السر ما هو كائن
مما لم يك بعد أو يكون يعلم الله ذلك كله

فقال ﴿ الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ﴾ ومن فى ممن خلق الارض صلة لتنزيلا أو صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى الضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه ه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذلك ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها ﴿ وهل اتاك حديث موسى ﴾ فى تمهيد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به فى تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل ﴿ اذ رأى نارا ﴾ ظرف للحديث لانه حدث أو مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليهما الصلاة والسلام فى الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا ﴿ فقال لاهله امكثوا ﴾ اقيموا مكانكم ه وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها فيه ﴿ انى آنست نارا ﴾ ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به ﴿ لعلى آتيكم منها بقبس ﴾ بشعلة من النار وقيل جمرة

ثواب أو عقاب فالسر هو الذى يسره المرء فى نفسه من الامور التى عزم عليها والاخفاء هو الذى لم يبلغ حد العزيمة ۞ ثم وحد نفسه فقال تعالى ﴿ الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ﴾ تأنيث الاحسن والذى فضلت به أسماؤه فى الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن ۞ قوله عز وجل ﴿ وهل أتاك حديث موسى ﴾ أى وقد أتاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به فى تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود ﴿ اذ رأى نارا ﴾ وذلك ان موسى استأذن شعيبا فى الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته وأخاه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت أيام الشتاء فاخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل فى شهرها لا يدرى أليلا تضع أم نهارا فسار فى البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الغربى الايمن وذلك فى ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ﴿ فقال لاهله امكثوا ﴾ أى أقيموا ﴿ انى آنست نارا ﴾ أى أبصرت نارا ﴿ لعلى آتيكم منها بقبس ﴾ أى شعلة من نار فى طرف عود

ستسره فيها (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) أى هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته رد لقولهم انك تدعو آلهة حين سمع اسماءه تعالى والحسنى تأنيث الاحسن (وهل) اى وقد (اتاك حديث موسى) خبره قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به فى تحمل اعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى (اذ رأى) ظرف لمضمر أى حين رأى (نارا) كان كيت وكيت أو مفعول به لاذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا فى الخروج الى أمه وخرج باهله فولد له ابن فى الطريق فى ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا فى زعمه وكان نورا (فقال لاهله امكثوا) أقيموا فى مكانكم (انى آنست) أبصرت (نارا) والايناس رؤية شئ يؤنس به (لعلى آتيكم منها) بنى الامر على الرجاء لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به (بقبس) نار مقتبس فى رأس عود

(الله لا اله الا هو) وحده لا شريك له (له الاسماء الحسنى) الصفات العليا فادعوه بها (وهل أتاك) يا محمد ثم أتاك (حديث موسى) خبر موسى (اذ رأى نارا) عن يساره (فقال لاهله امكثوا) انزلوا مكانكم (انى آنست نارا) انى رأيت نارا (لعلى آتيكم) (او) منها) من النار (بقبس) بشعلة مقتبسة وكان فى برد

أنثيلة (أوأجد على النار هدى) ذوى هدى أوقوما يهدوننى الطريق ومعنى الاستعلاء فى على النار ان أهل النار يستعلون

من أسفلها الى أعلاها وكانت شجرة العناب أوالعوسج ولم يجد عندها أحدا وروى انه كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه فثمة (نودى) موسى (ياموسى انى) بكسر الهمزة أى نودى فقيل ياموسى انى أولان النداء ضرب من القول فعومل معاملته وبالفتح مكى وأبو عمرو أى نودى بانى (أنا ربك) أنا مبتدأ أو تأكيد أوفصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى ياموسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فعرف انه كلام الله عز وجل بانه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع اعضائه (فاخلع نعليك) انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادى المقدس أولانها كانت من جلد حمار ميت غير مدبوغ أولان الحفوة تواضع لله ومن ثمة طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما وألقاهما من وراء

﴿أو أجد على النار هدى﴾ هاديا يدلنى على الطريق أو يهدينى ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها فى كل مايعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه ﴿فلما اتاها﴾ اى النار وجد نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء ﴿نودى ياموسى انى انا ربك﴾ فتحه ابن كثير وابو عمرو أى بانى وكسره الباقون باضمار القول أو اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه فانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة ﴿فاخلع نعليك﴾ امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من

﴿أوأجد على النار هدى﴾ أى أجد عند النار من يدلنى على الطريق ﴿فلما أتاها﴾ أى أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها اطافت بها نار بيضاء تتقد كاضوأ ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذى رآه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه الصلاة والسلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ماروى عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه أخرجه مسلم قيل ان موسى أخذ شيأ من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه واذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك ﴿نودى ياموسى انى أنا ربك﴾ قال وهب نودى من الشجرة فقيل ياموسى فاجاب سريعا ومايدرى من دعاه فقال انى اسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغى الا لله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا ۞ وقوله ﴿فاخلع نعليك﴾ كان السبب فيه ماروى عن ابن مسعود مرفوعا فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وانما أمر

شديد من الشتاء (أوأجد على النار) عند النار (هدى) من يدلنى على الطريق (فلما أتاها) فاذا هى شجرة خضراء تتوقد منها نار بيضاء (نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك) وكانت نعلاه من

الوادى (انك بالواد المقدس) المطهر أو المبارك (طوى) حيث كان منون شامى وكوفى لانه اسم علم للوادى وهو بدل منه
وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وأ
اخترناك حمزة (فاستمع للذى يوحى أو للوحى واللام يتعلق
باستمع أو باخترتك (اننى
أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى)
وحدنى وأطعنى (وأقم
الصلوة لذكرى) لتذكرنى
فيها لاشتمال الصلاة على
الاذكار أو لانى ذكرتها
فى الكتب وأمرت بها أو
لان أذكرك بالمدح والثناء
أو لذكرى خاصة لا تشوبه
بذكر غيرى أو لتكون
لى ذاكرا غير ناس أو
لاوقات ذكرى وهى مواقيت
الصلاة لقوله ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا وقد حمل على ذكر
الصلاة بعد نسيانها وذا يصح
بتقدير حذف المضاف أى
لذكر صلاتى وهذا دليل
على انه لا فريضة بعد التوحيد
أعظم منها (ان الساعة آتية)
لا محالة (أكاد) اريد عن
الاخفش وقيل صلة (أخفيها)
قيل هو من الاضداد أى
أظهرها أو أسترها عن العباد
فلا أقول هى آتية لارادتى
اخفاءه ولولا ما فى الاخبار
باتيانها مع تعمية وقتها من
الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا

جلد حمار ميت (انك بالواد
المقدس) المطهر (طوى)
اسم الوادى ويقال قد طوته
الانبياء قبلك ويقال طوى بئر قد طويت بصخر فى ذلك الوادى الذى كانت فيه الشجرة (وأنا اخترتك) ﴿تعالى﴾
بالرسالة الى فرعون (فاستمع لما يوحى) فاعمل بما تؤمر (اننى أنا الله لا اله لا أنا فاعبدنى) فأطعنى (وأقم الصلوة لذكرى) لو نسيت
صلاة فصلها حين ذكرتها (ان الساعة آتية) كائنة (أكاد اخفيها) اظهرها ويقال اسرها عن نفسى فكيف اظهرها لغيرى

الاهل والمال ﴿انك بالواد المقدس﴾ تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين ﴿طوى﴾ عطف بيان للوادى ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى أو المقدس أى نودى نداءين أو قدس مرتين ﴿وانا اخترتك﴾ اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك ﴿فاستمع لما يوحى﴾ للذى يوحى اليك أو للوحى واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين ﴿اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى﴾ بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل ﴿واقم الصلوة لذكرى﴾ خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهى تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها أو لان اذكرك بالثناء أو لذكرى خاصة لا ترائى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهو مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتى لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكرى ﴿ان الساعة آتية﴾ كائنة لا محالة ﴿اكاد اخفيها﴾ اريد اخفاء وقتها او اقرب أن اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما فى اخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به أو اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه

تخلعهما صيانة للوادى المقدس وقيل أمر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من وراء الوادى ﴿انك بالواد المقدس﴾ أى المطهر ﴿طوى﴾ اسم للوادى الذى حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوى فى استدارته ﴿وأنا اخترتك﴾ اصطفيتك برسالاتى وبكلامى ﴿فاستمع لما يوحى﴾ فيه نهاية الهيبة والجلال له كأنه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له ﴿اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى﴾ ولا تعبد غيرى ﴿وأقم الصلوة لذكرى﴾ أى لتذكرنى فيها وقيل لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى وقيل لاخلاص ذكرى وطلب وجهى ولا ترائى فيها ولا تقصد بها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة وأقم الصلوة لذكرى وفى رواية اذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول وأقم الصلوة لذكرى ﴿ان الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ قال أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسى فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا فى الكتمان لشئ يقولون كتمت سرك فى نفسى أى أخفيته غاية الاخفاء والله

، تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما أخبرت به (لتجزى) متعلق بآتية (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خير أو شر (فلا
يصدنك عنها) فلا يصرفنك عن العمل للساعة أوعن قمة الصلاة أوعن الايمان بالقيامة فالخطاب

لموسى والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لا يصدق بها (واتبع هواه) في مخالفة أمره (فتردى) فتهلك (وما تلك بيمينك ياموسى) ما مبتدأ وتلك خبره وهى بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فيها معنى الاشارة أي قارة أو مأخوذة بيمينك أو تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتنبيه لتتم المعجزة بها بعد التثبت أو للتوطين لئلا يهول انقلابها حية أو للايناس ورفع الهيبة للمكالمة (قال هى عصاى أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (وأهش بها على غنمى) أخبط ورق الشجر على غنمى لتأكل (ولى فيها) حفص (مآرب) جمع مأربة بالحركات الثلاث وهى الحاجة (أخرى) والقياس أخر وانما قال أخرى رداً الى الجماعة أو لنسق الآى وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها

(من لا يؤمن بها واتبع هواه) بالانكار وعبادة الاصنام ... (وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ
عليها) ... (وأهش بها على غنمى) أخبط بها الشجر ... (ولى فيها مآرب أخرى) حوائج شتى

ويؤيده القرآءة بالفتح من خفاه اذا اظهره ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ متعلق بآتية أو باخفيها على المعنى الاخير ﴿ فلا يصدنك عنها ﴾ عن تصديق الساعة أو عن الصلاة ﴿ من لا يؤمن بها ﴾ نهى الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا أرينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه ﴿ واتبع هواه ﴾ ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها ﴿ فتردى ﴾ فتهلك بالانصداد بصده ﴿ وما تلك ﴾ استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب ﴿ بيمينك ﴾ حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك ﴿ ياموسى ﴾ تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه ﴿ قال هى عصاى ﴾ وقرئ عصى على لغة هذيل ﴿ أتوكأ عليها ﴾ اعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع ﴿ وأهش بها على غنمى ﴾ واخبط الورق بها على رؤس غنمى وقرئ أهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها ﴿ ولى فيها مآرب اخرى ﴾ حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها

تعالى لا يخفى عليه شئ والمعنى فى اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى فى اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصى الى أن يتقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصى بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصى أو يتوب منها فى كل وقت مخافة معاجلة الاجل ☸ قوله تعالى ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ أى بما تعمل من خير وشر ﴿ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها ﴾ أى فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لا يؤمن بها ﴿ واتبع هواه ﴾ أى مراده وخالف أمر الله ﴿ فتردى ﴾ أى فتهلك ☸ قوله عز وجل ﴿ وما تلك بيمينك ياموسى ﴾ سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيه وتوقيفه على انها عصى حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة ﴿ قال هى عصاى ﴾ قيل كان لها شعبتان وفى أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة ﴿ أتوكأ عليها ﴾ أى أعتمد عليها اذا مشيت واذا عييت وعند الوثبة ﴿ وأهش بها على غنمى ﴾ أى أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم ﴿ ولى فيها مآرب أخرى ﴾ أى حاجة ومنافع أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا فى السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقى بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل

شكرا أجل الباقي حياء من التطويل أو ليسأل عنها الملك العلام فيزيد في الاكرام والمآرب الاخر انها كانت تماشيه و تحدثه وتحارب العدو و السباع وتصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا أولانها جواب سؤال آخر لانه لما قال هى عصاى قيل له ماتصنع بها فاخذ يعدد منافعها (قال ألقها يا موسى) اطرح عصاك لتفزع مما تتكئ عليه فلا تسكن الابنا وترى فيها كنه ما فيها من المآرب فتعتمد علينا فى المطالب (فالقاها) فطرحها (فاذا هى حية تسعى) تمشى سريعا قيل انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجرة فلما رآها تبتلع كل شئ خاف وانما وصف بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق فى غيرها لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها أولانها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا (قال) له ربه (خذها ولا تخف) بلغ

وكأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يتذكر حقيقتها ومايرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيرا دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذ ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصى تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه ﴿قال القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى﴾ قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى باعتبار اسم الذى يعم الحالين وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان ﴿قال خذها ولا تخف﴾ فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها

عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر واذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كدلو حتى يستقى وكانت تضئ بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿ألقها يا موسى﴾ أى انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى أنه يقول ارفضها ﴿فالقاها﴾ أى فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة ﴿فاذا هى حية﴾ صفراء من أعظم مايكون من الحيات ﴿تسعى﴾ أى تمشى بسرعة على بطنها وقال فى موضع آخر كأنها جان وهى الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال فى موضع آخر كأنها ثعبان وهو أكبر مايكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد ابن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم مايكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا يهتز كالنيازك وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لانيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودى يا موسى أقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف ﴿قال خذها﴾ أى بيمينك ﴿ولا تخف﴾

(قال ألقها) من يدك (يا موسى فالقاها) من يده (فاذا هى حية تسعى) تشتد رافعة رأسها فولى موسى هاربا ﴿ قيل ﴾ منها (قال) الله له (خذها) يا موسى (ولا تخف

من مآب خوفه ان أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها (سنعيدها) سنردها (سيرتها الاولى) تأنيث الاول والسيرة الحالة التى يكون عليها الانسان غريزية كانت أو مكتسبة وهى فى الاصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانتصبت على الظرف أى سنعيدها فى طريقتها الاولى أى فى حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت وارى ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها اذا انقلبت حية عند فرعون ثم نبه على آية أخرى فقال (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما اى يميلهما عند الطيران والمعنى ادخلهما تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر (من غير سوء) برص (آية أخرى) لنبوتك بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صلة بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجاز ان ينتصب آية بفعل محذوف يتعلق به الامر (لنريك من آياتنا الكبرى) أى خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى أو نريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى (اذهب الى فرعون انه طغى) جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية ولما امره بالذهاب الى فرعون الطاغى وعرف

﴿ سنعيدها سيرتها الاولى ﴾ هيئتها وحالتها المتقدمة وهى فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه وعلى الظرف أى سنعيدها فى طريقتها أو على تقدير فعلها أى سنعيد العصا بعد ذهابها سير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع به قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها ﴿ واضمم يدك الى جناحك ﴾ الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر استعارة من جناحى الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران ﴿ تخرج بيضاء ﴾ كانها مشعة ﴿ من غير سوء ﴾ من غير عابة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه ﴿ آية اخرى ﴾ معجزة ثانية وهى حال من ضمير تخرج كبيضاء أو من ضميرها أو مفعول باضمار خذ أو دونك ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ متعلق بهذا المضمر أو بما دل عليه الآية أو القصة أى دللنا بها أو فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا أو مفعول نريك ومن آياتنا حال منها ﴿ اذهب الى فرعون ﴾ بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة ﴿ انه طغى ﴾

قيل كان خوفه لما عرف مالقى آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها ﴿ سنعيدها سيرتها الاولى ﴾ أى الى هيئتها فنردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أمر الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغنى عنك شيأ قال لا ولكنى ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها فى فم الحية فاذا هى عصا كما كانت ويده فى شعبتها فى الموضع الذى كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون أراد الله تعالى أن يرى موسى ما أعطاه من الآية التى لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا ألقاها عند فرعون * قوله تعالى ﴿ واضمم يدك الى جناحك ﴾ أى الى ابطك وقيل تحت عضدك ﴿ تخرج بيضاء ﴾ أى نيرة مشرقة ﴿ من غير سوء ﴾ أى من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضئ بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر ﴿ آية أخرى ﴾ أى دلالة أخرى على صدقك سوى العصا ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته * قوله عز وجل ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ أى جاوز الحد فى العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مبعوثا الى الكل

نعيدها) سنجعلها (سيرتها الاولى) (قا و خا ٢٥ بع) عصا كما كانت (واضمم يدك الى جناحك) أدخل يدك فى ابطك (تخرج بيضاء) لها شعاع (من غير سوء) من غير برص (آية أخرى) علامة أخرى مع العصا (لنريك من آياتنا) من علاماتنا الكبرى) العظمى (اذهب الى فرعون انه طغى) علا

انه كلف امراعظيمايحتاج الى صدر فسيح (قال رب اشرح لى صدرى) وسعه يحتمل الوحى والمشاق وردى الاخلاق
فرعون وجنده (ويسر لى امرى) وسهل على ما امرتنى به من تبليغ الرسالة

عصى وتكبر ﴿ قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى ﴾ لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقى لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لى ابهام المشروح والميسر أولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة ﴿ واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ﴾ فان تحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبى لايفرق بين الجمرة والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها فى فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اى رب تدعونى قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف فى

لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدى وبصرى وانى ألبسك حلة من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وانى أقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالاتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لايغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يتنفس الا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له أجب ربك ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ رب اشرح لى صدرى ﴾ أى وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان أحدا لايقدر على مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ﴿ ويسر لى أمرى ﴾ سهل على ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة الى فرعون ﴿ واحلل عقدة من لسانى ﴾ وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته آسية ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت له آسية انه صبى لايعقل وقيل ان أم موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشأ فى حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب اذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية أيها الملك انه صبى لايعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين فى أحدهما جمر وفى الآخر جوهر فوضعهما بين يدى موسى فاراد أن يأخذ الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة ﴿ يفقهوا قولى ﴾ أى احلل العقدة كى يفهموا قولى

فرعون واشرح لى صدرى آكد من اشرح صدرى لانه تكرير لمعنى الواحد من طريقى الاجمال والتفصيل لانه يقول اشرح لى ويسر لى علم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم رفع الابهام بذكر الصدر والامر (واحلل) افتح (عقدة من لسانى) وكان فى لسانه رتة للجمرة التى وضعها على لسانه فى صباه وذلك ان موسى اخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة فى صغره فاراد قتله فقالت آسية ايها الملك انه صغير لايعقل فجعلت فى طشت نارا وفى طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فامال الملك يده الى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها وروى أن يده احترقت واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها ومن لسانى صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى وهذا يشعر بانه لم تزل العقدة بكمالها وأكثرهم على ذهاب جميعها (يفقهوا قولى) عند تبليغ الرسالة

وتكبر وكفر (قال رب اشرح لى صدرى) اين لى قلبى لكى لا أخافه (ويسر لى أمرى) هون على تبلغ { و } الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) أبسط رتة من لسانى (يفقهوا قولى) لكى

(و.عل لي وزيرا) ظهيرا اعتمد عليه من الوزر الثقل لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته أو من الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برأيه
ويلجأ اليه في أموره اومعينا من الموازرة وهي المعاونة فوزيرا مفعول اول لاجعل والثاني (من اهلي) أولي وزيرا مفعولاه
وق.(هرون) عطف بيان لوزيرا وقوله (أخي) بدل أو عطف بيان آخر ووزيرا وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما
عنا بامر الوزارة (أشدد به أزري) قوبه ظهري وقيل الازر القوة (وأشركه
في أمري) اجعله شريكي
في النبوة والرسالة واشدد
واشركه على حكاية النفس
شامي على الجواب والباقون
على الدعاء والسؤال (كي
نسبحك) نصلي لك وننزهك
تسبيحا (كثيرا ونذكرك
كثيرا) في الصلوات وخارجها
(انك كنت بنا بصيرا) عالما
باحوالنا فاجابه الله تعالى
حيث (قال قد أوتيت
سؤلك ياموسى) أعطيت
مسؤلك فالسؤال الطلبة
فعل بمعنى مفعول كخبز
بمعنى خبز وسولك بلاهمز
أبو عمرو (ولقد مننا)
أنعمنا (عليك مرة) كرة
(أخرى) قبل هذه ثم
فسرها فقال (اذ أوحينا
الى أمك مايوحى) الهاما
أومناما حين ولدت وكان
فرعون يقتل أمثالك واذ
ظرف لمننا ثم فسر مايوحى
بقوله (ان اقذفيه) القيه

ول العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ياموسى ومن لم يقل احتج
بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولايكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة
لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن
.اني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل ﴿ واجعل لي وزيرا من اهلي
رون اخي ﴾ يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل
ن اميره أو من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلجأ اليه في اموره ومنه
وازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس
بت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به
لي صلة أو حال أولي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير أو وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله
لم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون أو مبتدأ خبره ﴿ اشدد به
.ري واشركه في امري ﴾ على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما
جواب الامر ﴿ كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ﴾ فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي
ى تكاثر الخير وتزايده ﴿ انك كنت بنا بصيرا ﴾ عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا
ان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به ﴿ قال قد اوتيت سؤلك ياموسى ﴾ أي مسؤلك
.ل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول ﴿ ولقد مننا عليك مرة
خرى ﴾ أي انعمنا عليك في وقت آخر ﴿ اذ اوحينا الى امك ﴾ بالهام أو في منام أو
لى لسان نبي في وقتها أو ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ﴿ مايوحى ﴾ مالا
.لم الا بالوحي أو مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ﴿ ان اقذفيه

﴿ واجعل لي وزيرا من أهلي ﴾ أي معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحتمل عنك بعض
ل عملك ثم بين من هو فقال ﴿ هرون أخي ﴾ وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لسانا وأجمل
أوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أقنى جعدا ﴿ أشدد به أزري ﴾ أي قوبه ظهري
﴿ وأشركه في أمري ﴾ أي في امر النبوة وتبليغ الرسالة ﴿ كي نسبحك كثيرا ﴾ أي نصلي لك
ثيرا ﴿ ونذكرك كثيرا ﴾ أي نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من جميل نعمك ﴿ انك كنت بنا
.صيرا ﴾ أي خبيرا عليما ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ أي أعطيت جميع
.سألته ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ أي قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى
اذ أوحينا الى أمك مايوحى ﴾ أي ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال ﴿ أن اقذفيه

يفقهوا كلامي (واجعل لي
وزيرا) معينا (من أهلي
هرون أخي اشدد به أزري)
وظهري (وأشركه) يارب (في أمري) في تبليغ رسالتي الى فرعون (كي نسبحك) نصل لك (كثيرا ونذكرك) بالقلب
واللسان (كثيرا انك كنت بنا بصيرا) عالما (قال) الله له (قد أوتيت) أعطيت (سؤلك) ماسألت (ياموسى) فشرح الله له صدره
ويسر أمره وبسط لسانه وجعل هرون له معينا (ولقد مننا عليك مرة أخرى) غير هذه (اذ أوحينا الى أمك) ألهمنا أمك (مايوحى)
الذي يلهم (أن اقذفيه

(فى التابوت) وان مفسرة لان الوحى بمعنى القول (فاقذفيه فى اليم) النيل (فليلقه اليم بالساحل) الجانب وسمى ساحلا لان الماء يسحله أى يقشره والصيغة أمر ليناسب ماتقدم ومعناه الاخبار أى يلقيه اليم بالساحل (يأخذه عدولى وعدوله) يعنى فرعون والضمائر كلها

ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يفضى الى تنافر النظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى فى جوف التابوت روى انها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وقيرته ثم ألقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فاذا بصبي أصبح الناس وجها فاحبه فرعون حبا شديدا فذلك قوله (وألقيت عليك محبة منى) يتعلق منى بالقيت يعنى انى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب فما رآه أحد الا أحبه قال قتادة كان فى عينى موسى ملاحة مارآه احد الا أحبه (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره والقيت عليك محبة لتحب ولتصنع (على عينى) أى لتربى بمرأى منى وأصله من صنع الفرس اى احسن القيام عليه يعنى انا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ولتصنع بسكون اللام والجزم

فى التابوت ﴾ بان اقذفيه أو أى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول ﴿ فاقذفيه فى اليم ﴾ والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله

غلام رماه الله بالحسن يافعا

﴿ فليلقه اليم بالساحل ﴾ لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض ﴿ يأخذه عدولى وعدوله ﴾ جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة أو لان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال ﴿ والقيت عليك محبة منى ﴾ أى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لايكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق منى بالقيت أى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فلتقطه منه لكن لايبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهر ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أو على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وبسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء أى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى

فى التابوت ﴾ أى ألهمناها أن اجعليه فى التابوت ﴿ فاقذفيه فى اليم ﴾ يعنى نهر النيل ﴿ فليلقه اليم بالساحل ﴾ يعنى شاطئ البحر ﴿ يأخذه عدولى وعدوله ﴾ يعنى فرعون فاخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وشقوقه ثم ألقته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا هو بتابوت يجئ به الماء فامر الغلمان والجوارى باخراجه فاخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبى من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى ﴿ وألقيت عليك محبة منى ﴾ قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قيل مارآه أحد الا أحبه لملاحة كانت فى عينى موسى ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به

فى التابوت) ان اطرحى الصبى فى التابوت البردى (فاقذفيه فى اليم) فاطرحى التابوت فى البحر (فليلقه اليم) البحر (ونظر) (بالساحل) على الشط (يأخذه) يرفعه (عدولى) بالدين يعنى فرعون (وعدوله) بالقتل (وألقيت عليك محبة منى) ياموسى من رآك أحبك (ولتصنع على عينى) وماصنع بك كان

زيد على انه امر منه (اذ تمشى) بدل من اذ أوحينا الان مشى اخته كان منة عليه (اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله) روى ان اخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدى امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه الى نفسه فيربيه وأرادت بذلك المرضعة الام وتذكير الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك)فرددناك (الى أمك) كما وعدناها بقولنا انا رادوه اليك (كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك (وقتلت نفسا) قبطيا كافرا (فنجيناك من الغم) من القود قيل الغم القتل بلغة قريش وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين (وفتناك فتونا) ابتليناك ابتلاء بايقاعك فى المحن وتخليصك منها والفتون مصدر كالقعود أو جمع فتنة أى فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وكل ما يبتلى الله به عباده فتنة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فلبثت سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر لصفوراء وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد (ثم جئت على قدر

﴿ اذ تمشى اختك ﴾ ظرف لالقيت أو لتصنع أو بدل من اذ أوحينا على ان المراد بها وقت متسع ﴿ فتقول هل ادلكم على من يكفله ﴾ وذلك لانه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها ﴿ فرجعناك الى امك ﴾ وفاء بقولنا انا رادوه اليك ﴿ كى تقر عينها ﴾ بلقائك ﴿ ولا تحزن ﴾ هى بفراقك أو انت بفراقها وفقد اشفاقها ﴿ وقتلت نفسا ﴾ نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين ﴿ وفتناك فتونا ﴾ وابتليناك ابتلاء أو انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور فى حجرة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره ﴿ فلبثت سنين فى اهل مدين ﴾ لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثمانى مراحل من مصر ﴿ ثم جئت على قدر ﴾ قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم

ونظر اليه ﴿ اذ تمشى أختك ﴾ واسمها مريم متعرفة خبره ﴿ فتقول هل أدلكم على من يكفله ﴾ أى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امرأة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى ﴿ فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ﴾ أى بلقائك ورؤيتك ﴿ ولا تحزن ﴾ أى وليذهب عنها الحزن ﴿ وقتلت نفسا ﴾ قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنتى عشرة سنة ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ أى من غم القتل وكربه ﴿ وفتناك فتونا ﴾ قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها ان أمه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدى أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا ﴿ فلبثت ﴾ أى مكثت ﴿ سنين فى اهل مدين ﴾ هى بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها يرعى الغنم مهر زوجته صفوراء ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتى عشرة سنة هاربا ﴿ ثم جئت على قدر

فى منظرى (اذ تمشى أختك) فدخلت قصر فرعون (فتقول هل أدلكم على من يكفله) يرضعه (فرجعناك) فرددناك (الى أمك كى تقر عينها) تطيب نفسها (ولا تحزن) على ابنها بالهلاك (وقتلت نفسا) قبطيا (فنجيناك من الغم) من غم القود (وفتناك فتونا) ابتليناك بلاء مرة بعد مرة (فلبثت) مكثت (سنين) عشر سنين (فى أهل مدين ثم جئت على قدر) على مقدورى بالكلام والرسالة

ياموسى) أي موعدو مقدار لرسالة وهو أربعون سنة (واصطنعتك لنفسى) اخترتك واصطفيتك وحيي ورسالتي لتتصرف على ارادتي ومحبتي قل

اخترتك لامري وجعلتك القائم بحجتي واخاطب بيني وبين خلقي كأني أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتي) بمعجزاتي (ولاتنيا) تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير (في ذكرى) أي اتخذا ذكرى جناحا تطيران به أو أريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذهبا الى فرعون) كرر لان الاول مطلق والثاني مقيد (انه طغى) جاوز الحد بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) الطفا له في القول لماله من حق تربية موسى أو كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة اوعداه شبابا لايهرم بعده وملكا لاينزع عنه الا بالموت اوهو قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة (لعله يتذكر) أي يتعظ ويتأمل فيذعن للحق (أو يخشى) أي يخاف ان

وقته المعين ولامستأخر اوعلى مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء ﴿ياموسى﴾ كرره عقيب ماهو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك ﴿واصطنعتك لنفسى﴾ واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه ﴿اذهب انت واخوك بآياتي﴾ بمعجزاتي ﴿ولاتنيا﴾ ولاتفترا ولاتقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء ﴿في ذكرى﴾ لاتنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكرى والدعاء الى ﴿اذهبا الى فرعون انه طغى﴾ امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلاتكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله ﴿فقولا له قولا لينا﴾ مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما أو احتراما لماله من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لايهرم بعده وملكا لايزول الا بالموت ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ متعلق باذهبا أو قولا أي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولايخيب سعيكما

ياموسى ﴾ أي جئت على القدر الذي قدرت أن تجيء فيه قيل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى الى الانبياء فيه ﴿ واصطنعتك لنفسى ﴾ أي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على ارادتي ومحبتي وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لامري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كأني الذي أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ﴾ أي بدلائلي قال ابن عباس يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى عليه السلام ﴿ولاتنيا﴾ أي لاتضعفا وقيل لاتفترا ولاتقصرا ﴿في ذكرى﴾ أي لاتقصرا في ذكرى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها ﴿ اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا ﴾ أي داراياه وارفقا به قال ابن عباس لاتعنفا في قولكما وقيل كنياه فقولا له ياأبا العباس وقيل ياأبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك الى ان تزكى الآية وقيل انما أمرهما بالملاطفة لماله من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لايهرم وملكا لاينزع منه الا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لايقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فقال فرعون صواب ماقلت فغلبه على رأيه وكان هرون بمصر فأمر الله موسى أن يأتي هرون وأوحى الله الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة وأخبره بما أوحى اليه ❊ وقوله تعالى ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ أي يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر

الى فرعون (ياموسى واصطنعتك لنفسى) اصطفيتك لنفسى بالرسالة (اذهب أنت وأخوك) هرون (بآياتي) باليد والعصا (ولاتنيا في ذكرى) لاتضعفا ولاتعجزا ولاتفترا في تبليغ رسالتي الى فرعون (اذهبا ﴿ وقد ﴾ الى فرعون انه طغى) علا وتكبر وكفر (فقولا له قولا لينا) لطيفا لا اله الا الله ويقال كنياه (لعله يتذكر) يتعظ (أو يخشى) أو يسلم

ن الامر كما تصغان فيجره انكاره الى الهلكة وانما قال لعله يتذكر مع علمه انه لايتذكر لان الترجي لهما أي
ذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن
الزام الحجة وقطع المعذرة وقيل معناه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش وقد كان ذلك

من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشى وأراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان لايقطع أمرا دونه وتليت عند يحيي بن معاذ فبكى وقال هذا رفقك بمن يقول أنا الاله فكيف بمن قال انت الاله وهذا رفقك بمن قال أنا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الاعلى (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه اى عجل (أو أن يطغى) يجاوز الحد فى الاساءة الينا (قال لاتخافا اننى معكما) اى حافظكما وناصركما (اسمع) اقوالكم (وارى) افعالكم قال ابن عباس رضى الله عنهما اسمع دعاءكما فاجيبه وارى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهتما (فأتياه) اى فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فارسل معنا بنى اسرائيل) اى طلقهم عن الاستعباد والاسترقاق (ولاتعذبهم) بتكليف

فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانه لايؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ماحدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول أي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلاأقل من ان يتوهم فيخشى ﴿ قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ﴾ ان يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة أي نخاف ان يحمله حامل من استكبار اوخوف على الملك اوشيطان انسى اوجنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية ﴿ أوان يطغى ﴾ ان يزداد طغيانا فيتجرأ الى ان يقول فيك مالاينبغى لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب ﴿ قال لاتخافا اننى معكما ﴾ بالحفظ والنصر ﴿ اسمع وارى ﴾ مايجرى بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث فى كل حال مايصرف شره عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لايقدر شئ على معنى اننى حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ ﴿ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ﴾ اطلقهم ﴿ ولاتعذبهم ﴾ بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا فى ايدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم فى العمل ويقتلون ذكور اولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز

وقد سبق فى علمه انه لايتذكر ولايسلم قلت معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقيل هو منصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر ويخشى خاش اذا رأى برى والطافى بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق وقرأ رجل عند يحيي بن معاذ الرازى فقولا له قولا لينا الآية فبكى يحيي وقال الهى هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله ﴿ قالا ﴾ يعنى موسى وهرون ﴿ ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا ﴾ قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة ﴿ أوان يطغى ﴾ أي يجاوز الحد فى الاساءة الينا ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ لاتخافا اننى معكما اسمع وارى ﴾ قال ابن عباس اسمع دعاءكما فأجيبه وأرى مايراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهتما ﴿ فأتياه فقولا انا رسولا ربك ﴾ أي ارسلنا اليك ربك ﴿ فأرسل معنا بنى اسرائيل ﴾ أي خل عنهم وأطلقهم من أعمالك ﴿ ولا تعذبهم ﴾ أي لاتتعبهم فى العمل وكان فرعون يستعملهم فى الأعمال الشاقة كالبناء وقطع

(قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط) أن يعجل (علينا) بالضرب (أوان يطغى) بالقتل (قال) الله لهما (لاتخافا) من الضرب والقتل (اننى معكما) معينكما (أسمع) مايرد عليكما (وأرى) صنعه بكما (فأتياه) يعنى فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فأرسل معنا بنى اسرائيل) تذهب بهم الى أرضهم (ولاتعذبهم) لاتتعبهم بالعمل وذبح الابناء واستخدام

المشاق (قد جئناك بآية من ربك) بحجة على صدق ما ادعيناه وهذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان
والتفصيل لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها وهي المجيء بالآي فقال فرعون وما هي فاخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس
(والسلام على من تبع الهدى) اى سلم من العذاب من اسلم وليس بتحية وقيل وسلام
الملائكة الذين هم خزنة الجنة
على المهتدين (انا قد اوحى
الينا أن العذاب) في الدنيا
والعقبى (على من كذب)
بالرسل (وتولى)
اعرض عن الايمان وهي
أرجى آي القرآن لانه جعل
جنس السلام للمؤمن
وجنس العذاب على المكذب
وليس وراء الجنس شيء
فاتياه وأديا الرسالة وقالا له
ما أمرا به (قال فمن ربكما
يا موسى) خاطبهما ثم نادى
أحدهما لان موسى هو
الاصل في النبوة وهرون
تابعه (قال ربنا الذي اعطى
كل شيء خلقه) خلقه أول
مفعولي أعطى أي أعطى
خليقته كل شيء يحتاجون
اليه ويرتفقون به أو ثانيهما
أي أعطى كل شيء صورته
وشكله الذي يطابق المنفعة
المنوطة به كما أعطى العين
الهيئة التي تطابق الابصار
والاذن الشكل الذي يوافق
الاستماع وكذا الانف
والرجل واليد كل واحد
منها مطابق للمنفعة المنوطة
بها وقرأ نصير خلقه صفة
للمضاف أو للمضاف اليه أي
أعطى كل شيء مخلوق عطاء (ثم هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة (والمنكح)

النساء لانهم احرار (قد جئناك بآية) بعلامة (من ربك) يعني باليد وهو أول آية أراها الله فرعون (والسلام على من اتبع الهدى) التوحيد (انا قد أوحي الينا أن العذاب) لدائم (على من كذب) بالتوحيد (وتولى) عن الايمان (قال) فرعون (فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه) شكله الانسان انسانا وللبعير ناقة وللحمار اتانا وللشاة النعجة (ثم هدى) ثم ألهم الاكل

ان يكون للتدريج في الدعوة ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية قال أو لو جئتك بشيء مبين ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم ﴿انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى﴾ ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ أي بعدما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى عليه الصلاة والسلام بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه أو لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله أم انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴿قال ربنا الذي اعطى كل شيء﴾ من الانواع ﴿خلقه﴾ صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له أو اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اى اعطى كل مخلوق ما يصلحه ﴿ثم هدى﴾ ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا أو طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ماعداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي

الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ قال فرعون وما هي فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب من أسلم ﴿انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ أي انما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه ﴿قال﴾ يعني فرعون ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ أي فمن الهكما الذي ارسلكما ﴿قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ أي كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل اعطى كل شيء صلاحه وهداه وقيل اعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب

كفر ونحم عن الدخل عليه فلم يرا لاصرف الكلام عنه ﴿قال فما بال القرون الاولى﴾ فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة ﴿قال علمها عند ربي﴾ أي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به ﴿في كتاب﴾ مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ والضلال ان تخطئ الشئ في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى ﴿الذي جعل لكم الارض مهادا﴾ مرفوع صفة لربي أو خبر محذوف أو منصوب على المدح * وقرأ الكوفيون مهدا أي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع مهد ﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها ﴿وانزل من السماء ماء﴾ مطرا ﴿فاخرجنا به﴾ عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال

والمنكح وقيل يعني جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهي الحجرة والحمار الاتان ثم هدى الهمه كيف يأتي الذكر الانثى ﴿قال﴾ يعني فرعون ﴿فما بال القرون الاولى﴾ أي فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿علمها عند ربي﴾ أي اعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه ﴿في كتاب﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿لا يضل ربي﴾ اي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شئ ﴿ولا ينسى﴾ اي فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها ﴿الذي جعل لكم الارض مهادا﴾ أي فراشا وقيل مهدها لكم ﴿وسلك لكم سبلا﴾ أي ادخل في الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ يعني المطر تم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى ﴿فاخرجنا به﴾ أي بذلك الماء

لعقبي (قال فما بال القرون الاولى) فما حال الامم الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد (قال) موسى مجيبا (علمها عند ربي) مبتدأ وخبر (في كتاب) أي اللوح خبر ثان أي هذه سؤالك من الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه

الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ شيئا يقال ضللت الشئ اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم (ولا ينسى) ثوابهم وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره بالكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه (الذي) مرفوع صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح (جعل لكم الارض مهدا) كوفي وغيرهم مهادا وهما لغتان لما يبسط ويفرش (وسلك) أي جعل لكم فيها سبلا) طرقا (وانزل من السماء ماء) أي مطرا (فاخرجنا به) بالانتقال لكلام عن لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع للافتنان وقيل تم كلام موسى ثم اخبر الله تعالى عن الضرب والجماع (قال) فرعون لموسى (فما بال القرون الاولى) فما خبر القرون الماضية عندك كيف هلكوا (قال) موسى [illegible] (علمها عند ربي) مكتوب [illegible] في الكتاب أي اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) لا يخطئ ولا يذهب عليه شئ (ولا ينسى) [illegible] ولا يتركه [illegible] (الذي جعل لكم الارض مهدا) [illegible] (وسلك) جعل (لكم فيها) في الارض (سبلا) طرقا تذهبون وتجيئون فيها (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) فانبتنا بالمطر

عن نفسه بقوله فاخرجنا به وقيل هذا كلام موسى اى فاخرجنا نحن باخراثنه والعرض (ازواجا) اصنافا (من نبات) هو مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع (شتى) صفة للازواج أو للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى أى انها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى ان أرزاقنا تحصل بعمل الانعام وجعل الله علفها مما يفضل عن حاجتنا ولا نقدر على أكله قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من الضمير فى فاخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها (ان فى ذلك) فى الذى ذكرت (لآيات) لدلالات (لاولى النهى) لذوى العقول واحدها نهية لانها تنهى عن المحظور أو ينتهى اليها فى الامور (منها) من الارض (خلقناكم) اى اباكم آدم عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة بشيء من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة اولان النطفة من الاغذية وهى من الارض (وفيها نعيدكم) اذا متم فدفنتم (ومنها نخرجكم عند البعث (تارة اخرى) مرة اخرى والمراد باخراجهم انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وانبت فيها اصناف النبات التى منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى اصلهم الذى منه تفرعوا وامهم التى منها ولدوا وهى كفاتهم اذا ماتوا (ولقد اريناه) اى فرعون (آياتنا كلها) وهى تسع آيات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضادع والدم ونتق الجبل ﴿ يعنى ﴾

القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله لم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ﴿ ازواجا ﴾ اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض ﴿ من نبات ﴾ بيان وصفة لازواجا وكذلك ﴿ شتى ﴾ ويحتمل ان يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى أى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال ﴿ كلوا وارعوا انعامكم ﴾ وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى فاخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى ماهو معدبها الالانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ﴿ ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ﴾ لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية ﴿ منها خلقناكم ﴾ فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ بالموت وتفكيك الاجزاء ﴿ ومنها نخرجكم تارة اخرى ﴾ بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها ﴿ ولقد أريناه آياتنا ﴾ بصرناه ايها أو عرفناه صحتها ﴿ كلها ﴾ تأكيد لشمول الانواع أو لشمول الافراد على ان المراد

﴿ أزواجا ﴾ أى أصنافا ﴿ من نبات شتى ﴾ أى مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ماهو للناس ومنها ماهو للدواب ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ أى أخرجنا أصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعى ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الذى ذكر ﴿ لآيات لاولى النهى ﴾ أى لذوى العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم ﴿ منها خلقناكم ﴾ أى من الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذى يدفن فيه فيذره فى النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ أى عند الموت والدفن ﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ أى يوم القيامة للبعث والحساب * قوله تعالى ﴿ ولقد أريناه ﴾ يعنى فرعون ﴿ آياتنا كلها ﴾

(أزواجا) اصنافا (من نبات شتى) مختلفة ألوانه (كلوا) يعنى مما تأكلون (وارعوا) ماترعون (أنعامكم) من عشبها (ان فى ذلك) فى اختلافها وألوانها (لآيات) لعلامات (لاولى النهى) لذوى العقول من الناس (منها) من الارض (خلقناكم) يقول خلقناكم من آدم وآدم من تراب والتراب من الارض (وفيها) وفى الارض (نعيدكم) يقول نقبركم (ومنها) من الارض (نخرجكم) يقول من القبور نخرجكم (تارة أخرى) مرة أخرى بعد الموت للبعث (ولقد أريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من

(كذب)الآيات (وأبى) قبول الحق (قال) فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك ياموسى) فيه دليل
ء انه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل والافأى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فلنأتينك بسحر
مثـ) فلنعارضنك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أى مكان
موعد والضمير فى (لانخلفه) للموعد قرأ يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف لموعد (نحن ولا أنت مكانا)
ه بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لايقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا
و بينك وعدا لانخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالكسر حجازى وأبو عمرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت لمكانا أى منصفا بيننا و بينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية (قال موعدكم يوم الزينة) مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على تأويل الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون فى مكان لامحالة فبذكر الزمان علم المكان وعلى الثانى تقديره وعدكم وعد يوم الزينة (وان يحشر الناس) أى نجمع فى موضع رفع أو جر عطفا على يوم أو الزينة (ضحى) أى وقت الضحوة لتكون ابعد من الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع فى جميع اهل الوبر

بآياتنا آيات معهودة وهى الآيات التسع المختصة بموسى أو انه عليه السلام اراه آياته وعدد عليه ماأوتى غيره من المعجزات ﴿ فكذب ﴾ موسى من فرط عناده ﴿ وابى ﴾ الايمان والطاعة لعتوه ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا ﴾ ارض مصر ﴿ بسحرك ياموسى ﴾ هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لايقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ﴿ فلنأتينك بسحر مثله ﴾ مثل سحرك ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعدا ﴾ وعدا لقوله ﴿ لانخلفه نحن ولاانت ﴾ فان الاخلاف لايلائم الزمان المكان وانتصاب ﴿ مكانا سوى ﴾ بفعل دل عليه المصدر لابه لانه موصوف أو بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله ﴿ قال موعدكم يوم الزينة ﴾ من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم أو باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول أو وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار ﴿ وان يحشر الناس ضحى ﴾ عطف على اليوم أو على الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم

يعنى الآيات التسع التى أعطاها الله تعالى موسى ﴿ فكذب وأبى ﴾ يعنى فرعون وزعم انها سحر وأبى ان يسلم ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ أجئتنا لتخرجنا من أرضنا ﴾ يعنى مصر ﴿ بسحرك ياموسى ﴾ تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها ﴿ فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا ﴾ أى اضرب أجلا وميقاتا ﴿ لانخلفه ﴾ لانجاوزه ﴿ نحن ولاأنت مكانا سوى ﴾ أى مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا تستوى مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ موعدكم يوم الزينة ﴾ قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون فى كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ أى وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون أبعد من الريبة

ـات (فكذب) بالآيات وقال ليس هذا من الله (وأبى) أن يسلم ولم يقبل الآيات (قال) لموسى (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا)
مصر (بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله) مثل ماجئتنا به (فاجعل بيننا وبينك) ياموسى (موعدا) أجلا (لانخلفه)
لانجاوزه (نحن ولاانت مكانا سوى) غير هذه ويقال سوى أى عدلا ونصفا بيننا وبينك ان قرئت بضم السين (قال) موسى
(موعدكم) أجلكم (يوم الزينة)وهو يوم السوق ويقال يوم العيد ويقال يوم النيروز (وان يحشر) يجمع (الناس) من المدائن
(ضحى) ضحوة

والمد [illegible] فتولى [illegible] فرعون موسى معرضا (فجمع كيده) مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين أو أربعمائة أو سبعين ألفا [illegible] موسى أي [illegible] ويلكم لا تفتروا على الله كذبا لا تدعوا آيته ومعجزته سحرا (فيسحتكم [illegible] وحاد عن الهو وسحت وأسحت بمعنى الاعدام والنصب على جواب النهي (بعذاب [illegible] من كذب على الله (فتنازعوا) اختلفوا أي السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة لا تفتروا على الله كذبا الآية (أمرهم بينهم وأسروا النجوى) أي تشاوروا في السر وقالوا ان [illegible] فيه سر ونجوى يكون مصدرا [illegible] ثم اتفقوا هذا الكلام يعني (قالوا ان هذان لساحران) [illegible] موسى

وهرون قرأ أبو عمرو ان هذين لساحران و

[illegible] فرعون الى ان الخطاب لقومه ﴿فتولى فرعون فجمع كيده﴾ ما يكاد به يعني السحرة [illegible] ﴿ثم أتى﴾ الموعد ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا﴾ بان تدعوا [illegible] سحرا ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي وحفص [illegible] من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز ﴿وقد خاب [illegible] كما خاب فرعون فانه افترى [illegible] عليه فلم ينفعه ﴿فتنازعوا [illegible] أي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا [illegible] كلام السحرة ﴿وأسروا النجوى﴾ بان موسى ان غلبنا اتبعناه وتنازعوا واختلفوا [illegible] به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه قوله ﴿قالوا [illegible] لساحران﴾ تفسير لأسروا النجوى كأنهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا [illegible] وهذان [illegible] على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية

[illegible] فرعون فجمع ﴿يعني فرعون﴾ ﴿كيده﴾ يعني مكره وسحره وحيله ﴿ثم أتى﴾ [illegible] ﴿قال لهم موسى﴾ [illegible] السحرة الذي جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا [illegible] ساحر حبل وعصا [illegible] وقيل كانوا اثني عشر الفا ﴿ويلكم لا تفتروا [illegible] كذبا فيسحتكم بعذاب﴾ أي فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى) أي خسر من ادعى مع الله [illegible] وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى ﴿قوله تعالى [illegible] تنازعوا أمرهم بينهم﴾ أي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في أمر موسى سرا من فرعون [illegible] موسى اتبعناه وقيل [illegible] لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال [illegible] بقول ساحر ﴿وأسروا النجوى﴾ أي المناجاة ﴿قالوا﴾ قال بعضهم [illegible] ﴿ان هذان لساحران﴾ يعني موسى وهرون

ظهر واكنه [illegible] وابن كثير [illegible] وهو [illegible] ان هذان [illegible] ان مثل [illegible] والاه [illegible] النافية [illegible] وقيل هي [illegible] بمعنى [illegible] لساحران [illegible] أبي [illegible] وغيره [illegible] قيل هي [illegible] كعب وخثعم [illegible] والتثنية في [illegible] في [illegible] والنصب [illegible] قد ان أباها وأبا أباها [illegible] بلغا في [illegible] تزجح [illegible]

الشاعر [illegible] شيب [illegible] فقلت انه أي [illegible] وهذان مبتدأ وساحران خبر (يريدان) مبتدأ محذوف واللام داخلة على [illegible] محذوف تقديره هذان لهما ساحران فيكون دخولها في موضعها لو عرابها [illegible] لا [illegible] في خبرك [illegible] قال [illegible] على المبرد فرضيه وقد زيفه

(فتولى فرعون) [illegible] فرعون [illegible] (فجمع كيده) حيلته وسحرته اثنين وسبعين ساحرا (ثم أتى) الموعد (قال لهم موسى) للسحرة (ويلكم) [illegible] عليكم الويل (لا تفتروا) لا تختلقوا (على الله كذبا فيسحتكم) فيهلككم (بعذاب) من عنده (وقد خاب) خسر (من افترى) اختلق على الله الكذب (فتنازعوا أمرهم بينهم) فتشاوروا فيما بينهم ان غلبنا موسى آمنا به (وأسروا النجوى) من فرعون ثم (قالوا) [illegible] (ان هذان لساحران) بلغة بني الحرث بن كعب والله قال ان هذان على اللغة لا على الاعراب [illegible] لهم فرعون ان هذان موسى

أعلى (يريدان ان يخرجاكم من ارضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم) بدينكم وشريعتكم (المثلى) الفضلى تأنيث الامثل
والافضل (فاجمعوا) فاحكموا أى اجعلوه مجمعا عليه حتى لاتختلفوا فاجمعوا أبو عمرو ويعضده فجمع كيده (كيدكم)
ه ما يكاد به (ثم ائتوا صفا) مصطفين حال أمروا بان يأتوا صفا لانه أهيب
في صدور الرائين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قالوا) أى السحرة (ياموسى اما أن تلقى) عصاك أولا (واما أن نكون أول من ألقى) ما معنا وموضع أن مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر أو رفع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الامرين أو الامر القاؤك أو القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكانه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بركته وعلم موسى اختيار القائهم أولا حتى (قال بل ألقوا) أنتم اولا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها وخصت

واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لاتدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لايليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هى المخففة واللام هى الفارقة أو النافية واللام بمعنى الا ﴿يريدان ان يخرجاكم من ارضكم﴾ بالاستيلاء عليها ﴿بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم ﴿فاجمعوا كيدكم﴾ فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لايتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ﴿ثم ائتوا صفا﴾ مصطفين لانه اهيب فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة ﴿وقد افلح اليوم من استعلى﴾ فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض ﴿قالوا ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى﴾ أى بعدما اتوا مراعاة للادب وان بما بعدها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية محذوف أى اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك أو القاؤنا ﴿قال بل القوا﴾ مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول فى شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴿فاذا حبالهم وعصيهم﴾

﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ يعنى من مصر ﴿بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ قال ابن عباس يعنى بسراة قومكم واشرافكم وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل أراد أهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل يعنى يريدان أن يذهبا بهم لانفسهم وقيل معناه يذهبا بسنتكم وبدينكم الذى أنتم عليه ﴿فاجمعوا كيدكم﴾ أى لاتدعوا شيأ من كيدكم الا جئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم ﴿ثم ائتوا صفا﴾ أى جميعا مصطفين ليكون أشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود به ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ أى فاز من غلب ﴿قالوا﴾ يعنى السحرة ﴿ياموسى اما أن تلقى﴾ أى عصاك ﴿واما أن نكون أول من ألقى﴾ أى عصينا ﴿قال﴾ يعنى موسى ﴿بل ألقوا﴾ يعنى أنتم أولا ﴿فاذا حبالهم﴾ فيه اضمار أى فالقوا فاذا حبالهم ﴿وعصيهم﴾

هرون لساحران (يريدان أن يخرجاكم) يعنى موسى وهرون (من ارضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم) بدينكم ورجالكم (المثلى) الامثل فالامثل أهل الرأى والشرف (فأجمعوا كيدكم) مكركم وسحركم وعليكم (ثم ائتوا صفا) جميعا (وقد أفلح) فاز (اليوم من استعلى قالوا) يعنى السحرة لموسى (ياموسى اما أن تلقى) عصاك الى الارض أولا (واما أن نكون أول من ألقى قال) موسى (بل ألقوا) أنتم أولا فالقوا اثنين وسبعين عصا واثنين وسبعين حبلا (فاذا حبالهم وعصيهم

في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لاغير والتقدير ففاجأ موسى ات
خيل سعي حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي (يخيل) وبالتاء ابن ذكوان (ا
الى موسى (من سحرهم انها تسعى) رفع بدل اشتمال من الضمير في يخيل أي يخيل الملق روى انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت
عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أضمر في نفسه خوف ظنا منه
تقصده للجبلة البشرية أو خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لا تخف
انك انت الاعلى) الغالب القهر وفي ذكران وأنت وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة (والق ما في يمينك تلقف) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص وتلقف ابن ذكوان الباقون تلقف (ما صنعوا) زورا وافتعلوا أي اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها لا تحتفل بما صنعوا فان ما في يمينك أعظم منها أو تحقيرا أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الذي في يمينك فانه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها (انما صنعوا كيد ساحر) كوفي غير عاصم سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر او هم لتوغلهم في السحر كأنهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما موصولة أو مصدرية وانما وحد ساحر ولم يجمع
لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع خيل ان المقصود هو العدد (ولا يفلح)

يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ﴾ أي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل بالياء على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية أو من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه ﴿ قلنا لا تخف ﴾ ما توهمت ﴿ انك انت الاعلى ﴾ تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل ﴿ والق ما في يمينك ﴾ ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك أو تعظيما لها أي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه ﴿ تلقف ما صنعوا ﴾ تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال او على الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته والبزي بتشديد التاء ﴿ ان ما صنعوا ﴾ الذي زوروا وافتعلوا ﴿ كيد ساحر ﴾ وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة

يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ﴾ قيل انهم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى كان الارض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا في ميل من كل جانب ورآها كانها تسعى ﴿ فأوجس ﴾ أضمر وقيل وجد ﴿ في نفسه خيفة موسى ﴾ قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا في أمره فلا يتبعوه ﴿ قلنا لا تخف ﴾ أي قال الله تعالى لموسى لا تخف ﴿ انك أنت الاعلى ﴾ أي الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر ﴿ وألق ما في يمينك ﴾ اى عصاك والمعنى لا يخيفنك كثرة حبالهم وعصيهم فان في يمينك شيأ أعظم منها كلها ﴿ تلقف ﴾ أي تلتقم وتبتلع ﴿ ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ﴾ أي حيلة ساحر

يخيل اليه) أي موسى (من سحرهم انها تسعى) تمضي (فأوجس في نفسه خيفة موسى) يقول أضمر موسى في قلبه الخوف خاف أن لا يظفر بهم فيقتلون من آمن به (قلنا) لموسى (لا تخف انك أنت الاعلى) الغالب عليهم (وألق) على الارض ((ما في يمينك) ياموسى (تلقف) تلقم (ما صنعوا) ما طرحوا من العصي والحبال (انما صنعوا) طرحوا (كيد ساحر) عمل

[أ]ى الى قوله (ولايفلح الساحر) اى هذا الجنس (حيث أتى) أينما كان فالقى موسى عصاه فتلقفت ماصنعوا فلعظم مارأوا من
[الآ]لة وقعوا الى السجود فلذلك قوله (فالقى السحرة سجدا) قال الاخفش من سرعة ماسجدوا كأنهم ألقوا فما أعجب
[أ]مرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين
[و]روى انهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها فى السجود فرفعوا رؤسهم ثم (قالوا آمنا برب هرون وموسى) وانما قدم هرون
[و]أخر فى الشعراء محافظة للفاصلة ولان الواو لاتوجب ترتيبا (قال آمنتم) بغير مد
حفص وبهمزة ممدودة بصرى وشامى وحجازى وبهمزتين غيرهم (له قبل أن آذن لكم) أى لموسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) لعظيمكم أو لمعلمكم تقول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى (فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) القطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو ومحل الجار والمجرور النصب على الحال يعنى لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب فى الجذع تمكن المظروف فى الظرف فلهذا قال (ولاصلبنكم فى جذوع النخل)

[و]الكسائى سحر بمعنى ذى سحر أو بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ﴿ ولايفلح الساحر ﴾ أى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ماأعدت * فى سعى دنيا طالما قدمدت

[أو ل]نه قيل انما صنعوا كيد سحرى ﴿ حيث أتى ﴾ حيث كان واين اقبل ﴿ فالقى السحرة سجدا ﴾ أى فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو آية من [آي]ات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا [و]اعتابا وتعظيما لما رأوا ﴿ قالوا آمنا برب هرون وموسى ﴾ قدم هرون لكبر [س]نه أو لروى الآية أو لان فرعون ربى موسى فى صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم [ذ]كره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم رأوا فى سجودهم [ا]لجنة ومنازلهم فيها ﴿ قال آمنتم له ﴾ أى لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع * وقرأ [قن]بل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام ﴿ قبل ان آذن لكم ﴾ فى الايمان له ﴿ انه لكبيركم ﴾ لعظيمكم فى فنكم واعلمكم به أو لاستاذكم ﴿ الذى علمكم السحر ﴾ وانتم تواطأتم [ع]لى مافعلتم ﴿ فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن [ا]لابتدائية كان القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها فى حيز النصب على الحال [أ]ى لاقطعنها مختلفات * وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾

﴿ ولايفلح الساحر حيث أتى ﴾ أى من الارض وقال ابن عباس لايسعد حيث كان ﴿ فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى ﴾ قال صاحب الكشاف سبحان الله ماأعجب أمرهم ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم [ال]فرق بين الالقاءين وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا [أر]اهم الله تعالى فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم ﴾ أى لرئيسكم وعظيمكم يعنى انه أسحركم وأعلاكم [فى] صناعة السحر ومعلمكم ﴿ الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ [أ]ى أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾ أى على جذوع النخل

[ال]سحر (ولايفلح) لايأمن ولاينجو من عذاب الله ولايفوز (الساحر حيث أتى) أينما كان (فالقى السحرة سجدا) سجدوا من سرعة [سجود]هم كأنهم ألقوا (قالوا) يعنى السحرة (آمنا برب هرون وموسى قال) لهم فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم) قبل ان آمركم [ب]ه (انه) يعنى موسى (لكبيركم) عالمكم (الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولاصلبنكم فى جذوع النخل) على جذوع النخل

و خص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن اينا اشد عذابا) انا على ايمانكم بي أو رب موسى على ترك الايمان به و
يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله بغير الله ك
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وابقى) أدوم (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ما جاءنا من البينات) القاطعة الدالة على صدق
موسى (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا أى لن نختارك على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا أو قسم وجوابه لن نؤ
مقدم على القسم (فاقض ما انت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القتل والقطع

قطعه وعينهما مسرودتان قضاهما داود أى صنعهما أى احكم ما أنت حاكم (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) أى فى هذه الحياة الدنيا فانتصب على الظرف أى انما تحكم فينا مدة حياتنا (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه) ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا (من السحر) حال من ما روى انهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة فأكرههم فرعون على الاتيان بالسحر وخبر فرعون جهله به وتعنيه عليهم بالسحر فكيف يعد الشرع (والله خير) ثوابا لمن أطاعه (وأبقى) عقابا

(ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) أدوم أنا أو رب موسى (قالوا) يعنى السحرة لفرعون (لن نؤثرك) لن نختارك على ما رأيت وصدقت (على ما جاءنا من البينات) (ثوابا) من الامر والنهى والكتاب والرسول والعلامات (والذى فطرنا) وعلى عبادة الذى خلقنا (فاقض ما أنت قاض) فاصنع ما أنت صانع واحكم علينا ما أنت حاكم (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) تحكم علينا فى الدنيا وليس لك علينا سلطان فى الآخرة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) شركنا (وما أكرهتنا عليه) ما أجبرتنا عليه (من السحر) من تعلم السحر (والله خير وأبقى) ما عند الله من الثواب

شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو أول من صلب ﴿ ولتعلمن اينا ﴾ يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزؤ به فانه لم يكن من التعذيب فى شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به ﴿ اشد عذابا وابقى ﴾ وادوم عذابا ﴿ قالوا لن نؤثرك ﴾ لن نختارك ﴿ على ما جاءنا ﴾ موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما ﴿ من البينات ﴾ المعجزات الواضحات ﴿ والذى فطرنا ﴾ عطف على ما جاءنا أو قسم ﴿ فاقض ما انت قاض ﴾ ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به ﴿ انما تقضى هذه الحيوة الدنيا ﴾ انما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة ﴿ انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ وما اكرهتنا عليه من السحر ﴾ فى معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ﴿ والله خير وابقى ﴾

﴿ ولتعلمن أينا أشد عذابا ﴾ أى على ايمانكم به أنا أو رب موسى على ترك الايمان به ﴿ وأبقى ﴾ أى أدوم ﴿ قالوا ﴾ يعنى السحرة ﴿ لن نؤثرك ﴾ أى لن نختارك ﴿ على ما جاءنا من البينات ﴾ يعنى الدلالات الواضحات قيل هى اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فأين حبالنا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار ورأوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ﴿ والذى فطرنا ﴾ قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذى فطرنا ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ أى فاصنع ما أنت صانع ﴿ انما تقضى هذه الحيوة الدنيا ﴾ أى انما أمرك وسلطانك فى الدنيا وسيزول عن قريب ﴿ انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ﴾ فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون أكرههم فى الابتداء على تعلمهم السحر لكى لا يذهب أصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بنى اسرائيل وكان فرعون اكره الذين هم من بنى اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون أرنا موسى اذا هو نائم فأراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى عليهم فأكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر ﴿ والله خير وأبقى ﴾ أى خير منك

عصاه وهورد لقول فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت ربه مجرما) كافرا (فان له) للمجرم
جهنم لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيي) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) مات على الايمان (قد عمل الصالحات)
الايمان (فأولئك لهم الدرجات العلى) جمع العلياء (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها)
[illegible] نين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله قيل هذه الآيات

جزاء أو خير ثوابا وابقى عقابا ﴿ انه ﴾ اى الامر ﴿ من يأت ربه مجرما ﴾ بان يموت على كفره وعصيانه ﴿ فان له جهنم لا يموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيي ﴾ حياة مهنأة ﴿ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات ﴾ فى الدنيا ﴿ فاولئك لهم الدرجات العلى ﴾ المنازل الرفيعة ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من الدرجات ﴿ تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ﴾ حال والعامل فيها معنى الاشارة أو الاستقرار ﴿ وذلك جزاء من تزكى ﴾ تطهر من ادناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام من الله ﴿ ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى ﴾ أى من مصر ﴿ فاضرب لهم طريقا ﴾ فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما أو فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله ﴿ فى البحر يبسا ﴾ يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه أو وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله

كأن قتود رحلى حين ضمت ٭ حوالب غرزا ومعى جياعا

أو لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا ﴿ لا تخاف دركا ﴾ حال من المأمور أى

ثوابا وأبقى عقابا وقيل خير منك ان أطيع وأبقى عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ﴿ انه من يأت ربه مجرما ﴾ قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك ﴿ فان له جهنم لا يموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيي ﴾ حياة ينتفع بها ﴿ ومن يأته مؤمنا ﴾ أى من مات على الايمان ﴿ قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ﴾ أى الرفيعة العالية ثم فسر الدرجات بقوله ﴿ جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ أى تطهر من الذنوب وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله ٭ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وانعما أخرجه الترمذى ٭ قوله وانعما يقال أحسن فلان الى فلان وانعم أى أفضل وزاد فى الاحسان والمعنى انهما منهم وزاد أو تناهيا الى غايته ٭ قوله تعالى ﴿ ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى ﴾ أى أسر بهم ليلا من أرض مصر ﴿ فاضرب لهم طريقا ﴾ أى اجعل لهم طريقا ﴿ فى البحر ﴾ بالضرب بالعصا ﴿ يبسا ﴾ أى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى أيبس لهم الطريق فى البحر ﴿ لا تخاف دركا

الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) لما أراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه أمر موسى ان يخرج بهم من مصر ليلا ويأخذ بهم طريق البحر (فاضرب لهم طريقا فى البحر) اجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما (يبسا) أى يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا (لا تخاف) حال من الضمير فى فاضرب اى اضرب لهم طريقا غير خائف لا تخف جزم على الجواب (دركا) هو اسم من الادراك أى لا يدركك

والكرامة أفضل وأدوم مما تعطينا من المال (انه من يأت ربه) يوم القيامة (مجرما) مشركا له (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيي) حياة تنفعه (ومن يأته) يوم القيامة (مؤمنا) مصدقا فى ايمانه (قد عمل الصالحات) [illegible] (فأولئك لهم

الدرجات العلى) [illegible] ([illegible] ٢٧ ع) [illegible]
وتقوته فى وسط [illegible] (تجرى من تحتها) من تحت [illegible] [illegible]
(خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون (وذلك) الجنة والخلد (جزاء من تزكى) بوحد من وحد وأصلح (ولقد أوحينا
الى موسى أن أسر) أى سر (بعبادى) أول الليل (فاضرب لهم) بين لهم (طريقا فى البحر يبسا) طريقا يابسا جددا (لا تخاف دركا) ادراك

فرعون وجنوده ولا يلحقوك (ولاتخشى) الغرق وعلى قراءة حمزة ولاتخشى استئناف أى وأنت لاتخشى أويكون الا...
للاطلاق كما فى وتظنون بالله الظنونا فخرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا وقد استعاروا حليهم فركب فرعون فى ستمـ...
ألف من القبط فقص أثرهم فذلك قوله (فأتبعهم فرعون بجنوده) وهو حال أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أصـ...
من البحر (ماغشيهم) هو

آمنا من ان يدرككم العدو أوصفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لاتخف على انه جواب الامر ﴿ولاتخشى﴾ استئنف أى وانت لاتخشى أوعطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا أوحال بالواو والمعنى ولاتخشى الغرق ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم ﴿فغشيهم من اليم ماغشيهم﴾ الضمير لجنوده اوله ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ماسمعت قصته ولايعرف كنهه الاالله وقرئ فغشاهم ماغشاهم اى غطاهم ماغطاهم والفاعل هو الله تعالى أوماغشيهم أوفرعون لانه الذى ورطهم للهلاك ﴿واضل فرعون قومه ومهدى﴾ أى اضلهم فى الدين وماهداهم وهو تهكم به فى قوله وماهديكم الاسبيل الرشاد أواضلهم فى البحر ومانجا ﴿يابنى اسرائيل﴾ خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا أوللذين منهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل بآبائهم ﴿قد انجيناكم من عدوكم﴾ فرعون وقومه ﴿وواعدناكم جانب الطور الايمن﴾ لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهى لموسى اوله وللسبعين المختارين للملابسة ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ يعنى فى التيه ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ لذائذه اوحلالاته وقرأ حمزة والكسائى انجيتكم وواعدتكم

ولاتخشى﴾ قيل معناه لاتخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر امامك ﴿فأتبعهم﴾ أى فلحقهم ﴿فرعون بجنوده فغشيهم﴾ أى أصابهم ﴿من اليم ماغشيهم﴾ وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم مالم يعلم كنهه الاالله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه ﴿وأضل فرعون قومه وماهدى﴾ أى وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وماأهديكم الاسبيل الرشاد ﴿ قوله عزوجل ﴿يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ ذكرهم الله النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم

أى غشيهم مالايعلم كنهه الاالله عزوجل (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وماهدى) وما أرشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وماأهديكم الاسبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل بعد ماأنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله (يابنى اسرائيل) اى أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى وقلنا يابنى اسرائيل (قد أنجيناكم من عدوكم) أى فرعون (وواعدناكم) بايتاء الكتاب (جانب الطور الايمن) وذلك ان الله عزوجل وعد موسى أن يأتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قوام شرعهم ودينهم والايمن نصب لانه صفة جانب وقرئ بالجر على الجوار (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه وقلنا لكم (كلوا من طيبات) حلالات (مارزقناكم) (ولا)

فرعون (ولاتخشى) من الغرق (فأتبعهم فرعون) فلحقهم فرعون (بجنوده) بجموعه (فغشيهم من اليم) فغشى عليهم البحر (ماغشيهم وأضل فرعون) أهلك فرعون (قومه) فى البحر (ومهدى) ماانجاهم من الغرق ويقال أضلهم عن دين الله ومادلهم الى الصواب (يابنى اسرائيل) ياأولاد يعقوب (قد انجيناكم من عدوكم) من فرعون (وواعدناكم جانب الطور) الجبل (الايمن) يمين موسى باعطاء الكتاب (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه (كلوا من طيبات) من حلالات (مارزقناكم)

أبيكم وواعدتكم ورزقتكم كوفى غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تتعدوا حدود الله فيه بان تكفروا النعم وتنفقوها فى المعاصى أو لا يظلم بعضكم بعضا (فيحل عليكم غضبى) عقوبتى (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) هلك أو سقط سقوطا لا نهوض وأصله ان يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف شرف الايمان الى حفرة من حفر النيران قرأ على فيحل وقال الباقون بكسرهما فالمكسور فى معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداؤه والمضموم فى معنى النزول (وانى لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) وحد الله تعالى وصدقه فيما أنزل (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح (وما أعجلك) أى وأى شئ عجل بك (عن قومك ياموسى) أى عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أى أى شئ أوجب عجلتك استفهام انكار وما مبتدأ وأعجلك الخبر (قال هم أولاء على أثرى) أى هم خلفى يلحقون بى وليس بينى وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وعجلت اليك رب) أى الى الموعد الذى وعدت (لترضى) لتزداد عنى رضا

مارزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ﴿ولا تطغوا فيه﴾ فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدى لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق ﴿فيحل عليكم غضبى﴾ فيلزمكم عذابى ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ﴿ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾ فقد تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائى يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل ﴿وانى لغفار لمن تاب﴾ عن الشرك ﴿وآمن﴾ بما يجب الايمان به ﴿وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ ثم استقام على الهدى المذكور ﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة فى نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم ﴿قال﴾ موسى ﴿هم اولاء على أثرى﴾ ماتقدمتهم الا بخطا يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بينى وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعض ﴿وعجلت اليك رب لترضى﴾ فان المسارعة

ولا تطغوا فيه﴾ قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين وقيل لا تنفقوا بنعمتى على المعاصى وقيل لا تدخروا ﴿فيحل عليكم غضبى﴾ أى يجب عليكم غضبى ﴿ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾ أى هلك وسقط فى النار ﴿وانى لغفار لمن تاب﴾ قال ابن عباس تاب عن الشرك ﴿وآمن﴾ أى وحد الله وصدق رسوله ﴿وعمل صالحا﴾ أى أدى الفرائض ﴿ثم اهتدى﴾ قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل أقام على السنة * قوله عز وجل ﴿وما أعجلك﴾ أى وما حملك على العجلة ﴿عن قومك ياموسى﴾ وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك ياموسى فاجاب ربه ف ﴿قال هم أولاء على أثرى﴾ أى هم بالقرب منى يأتون على أثرى من بعدى فان قلت لم يطابق السؤال الجواب لانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم أولاء على أثرى قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة فى نفس ما أنكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منه الا تقدم سيره ثم أعقبه بجواب السؤال فقال ﴿وعجلت اليك رب لترضى﴾

من المن والسلوى (ولا تطغوا فيه) لا تكفروا به ويقال لا ترفعوا للغد (فيحل عليكم) فيجب عليكم (غضبى) سخطى وعذابى ويقال ينزل ان قرأت بضم الحاء (ومن يحلل عليه غضبى) يجب عليه غضبى سخطى وعذابى (فقد هوى) فقد هلك (وانى لغفار لمن تاب) من الشرك (وآمن) بالله (وعمل صالحا) خالصا (ثم اهتدى) ثم رأى ثواب عمله حقا ويقال ثم اهتدى الى السنة والجماعة ومات على ذلك فلما ذهب موسى عليه السلام مع السبعين الى الميقات تعجل الى الميعاد قبل السبعين قال الله له (وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم اولاء) يجيؤن (على أثرى وعجلت اليك رب لترضى) لتزداد

وهـذا دليل على جواز الاجتهاد (قال فانا قد فتنا قومك) ابتليناهم فى فتنة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم
والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون (وأضلهم السامرى) بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب
قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيـل كان علجا من كرمان
فاتخذ عجلا واسمه موسى
بن ظفر وكان منافقا (فرجع
موسى) من مناجاة ربه
(الى قومه غضبان أسفا)
شـديد الغضب أو حزينا
(قال يا قوم ألم يعدكم ربكم
وعدا حسنا) وعدهم الله
أن يعطيهم التوراة التى فيها
هدى ونور وكانت ألف
سورة كل سورة ألف آية
يحمل أسفارها سبعون
جملا ولا وعد أحسن من
ذلك (أفطال عليكم العهد)
أى مدة مفارقتى اياكم والعهد
الزمان يقال طال عهدى
بك أى طال زمنى بسبب
مفارقتك (أم أردتم أن
يحل عليكم غضب من ربكم)
أى أردتم أن تفعلوا فعلا
يجب به عليكم الغضب من
ربكم (فأخلفتم موعدى)
وعدوه ان يقيموا على أمره
وما تركهم عليه من الآيات
فاخلفوا موعده باتخاذ
العجل (قالوا ما أخلفنا
موعدك بملكنا) بفتح الميم

رضا عنى (قال) يا موسى
(فانا قد فتنا) ابتلينا (قومك)
بعبادة العجل (من بعدك)
من بعد انطلاقك الى الجبل
(واضلهم السامرى) أمرهم
بذلك السامرى (فرجع) فلما رجع (موسى الى قومه) مع السبعين سمع صوت الفتنة فصار (غضبان أسفا) حزينا (باختيارنا)
(قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) صدقا (أفطال عليكم العهد) أفجوزت عنكم المدة (أم أردتم أن يحل عليكم) يجب عليكم (غضب
سخط وعذاب (من ربكم فاختلفتم موعدى) فخالفتم وعدى (قالوا) يا موسى (ما أخلفنا موعدك) ما خالفنا وعدك (بملكنا) بعلمنا متعمدين

الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك ﴿ قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ﴾ ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ومانجا من عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا ﴿ واضلهم السامرى ﴾ باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اى اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا فان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذليس فى الآية مايدل عليه كان ذلك اخبارا من الله عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشئ ان يكون فى علمه ومقتضى مشيئته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا ﴿ فرجع موسى الى قومه ﴾ بعد ما استوفى الاربعين واخذ التوراة ﴿ غضبان ﴾ عليهم ﴿ اسفا ﴾ حزينا بما فعلوا ﴿ قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ﴾ بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور ﴿ أفطال عليكم العهد ﴾ أى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم ﴿ أم اردتم ان يحل عليكم ﴾ يجب عليكم ﴿ غضب من ربكم ﴾ بعبادة ما هو مثل فى الغباوة ﴿ فاخلفتم موعدى ﴾ وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له ﴿ قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ﴾

أى لتزداد رضا ﴿ قال فانا قد فتنا قومك ﴾ أى فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثنى عشر الفا ﴿ من بعدك ﴾ أى من بعد انطلاقك الى الجبل ﴿ وأضلهم السامرى ﴾ أى دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما أضاف الضلال الى السامرى لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المنشآت تضاف الى منشئها فى الظاهر وان كان الموجد لها فى الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا وأضلهم السامرى قيل كان السامرى من عظماء بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جارا لموسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر ﴿ فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا ﴾ أى حزينا جزعا ﴿ قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ﴾ أى صدقا انه يعطيكم التوراة ﴿ أفطال عليكم العهد ﴾ أى مدة مفارقتى اياكم ﴿ أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ﴾ أى أردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه ﴿ فأخلفتم موعدى ﴾ يعنى ما وعدوه من الاقامة على دينه الى أن يرجع ﴿ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ﴾ أى بملك أمرنا وقيل

دي عاصم وبضمها حمزة وعلى وبكسرها غيرهم أى ماأخلفنا موعدك بان ملكنا أمرنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا
ا خلفنـاك موعـدك ولكنا غلبنـا من جهة السامرى وكيده (ولكنا حملنا) بالضم والتشديد حجازى وشامى وحفص
ـفـ لحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أوزارا من زينة القوم) أثقالا من حلى القبط أو أرادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم قد
ـتـ وها ليلة الخروج من مصر بعلة ان لنا غدا عيدا فقال السامرى انما حبس موسى لشؤم حرمتها لانهم كانوا معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنـائم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها فخبأ فى حفرة النـار قالب عجل فانصاغت عجلا مجوفا فخار بدخول الريح فى مجار منه أشباه العروق وقيل نفخ فيه ترابا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فحيي فخار ومالت طباعهم الى الذهب فعبدوه (فقذفناه) فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى (فكذلك ألقى السامرى) مامعه من الحلى فى النـار أو مامعه من التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام (فأخرج لهم) السامرى من الحفرة (عجلا) خلقه الله تعالى من الحلى التى سبكتها النار ابتلاء (جسدا) مجسـدا (له خوار) صوت وكان يخور كما تخور العجاجيل (فقالوا) أى السـامرى

بار لكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامرى لما اخلفناه * وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح
ـزة والكسائى بالضم وثالثها من الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ ﴿ ولكنا حملنا اوزارا من
ـنة القوم ﴾ حملنا احمالا من حلى القبط اتى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم
ـرس وقيل استعاروا العيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هى ما القاه
ـحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل
ـأ ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى ﴿ فقذفناها ﴾ أى فى النار
فكذلك القى السامرى ﴾ أى ما كان معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت
ـلهم السـامرى انمـا اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم
ـرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقـذف كل ما معنا فيها ففعلوا * وقرأ ابو عمرو
ـحمزة والكسائى وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف ﴿ فاخرج لهم عجلا جسدا ﴾
ـن تلك الحلى المذابة ﴿ له خوار ﴾ صوت العجل ﴿ فقالوا ﴾ يعنى السامرى ومن افتتن به

ـختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع فى الفتنة لم يملك نفسه ﴿ ولكنا حملنا أوزارا من زينة
ـوم ﴾ أى حملنا مع أنفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الأثقال
ـيت أوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الآثام أى حملنا آثاما وذلك أن بنى اسرائيل
ـستعاروا حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر
ـقيل ان الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة
ـلم تكن الغنائم تحل لهم ﴿ فقذفناها ﴾ أى ألقيناها قيل ان السامرى قال لهم احفروا
ـفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك
ـعلوا ﴿ فكذلك ألقى السامرى ﴾ أى ما كان معه من الحلى فيها قال ابن عباس أوقد
ـرون نارا وقال اقذفوا مامعكم فيها وقيل ان هرون مر على السامرى وهو يصوغ
ـعجل فقال له ماهذا قال اصنع ماينفع ولا يضر فادع لى فقال هرون اللهم اعطه ماسألك
ـى مافى نفسـه فألقى السامرى ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل فى فم العجل
ـقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى ﴿ فأخرج لهم عجلا
ـجسـدا له خوار ﴾ اختلفوا هل كان الجسـد حيا أم لا على قولين أحدهما لا لانه
ـيجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامرى صور صورة على شكل العجل
ـجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثانى انه
ـار حيـا وخار كما يخور العجل ﴾ فقالوا

ولكنـا حملنا أوزارا) اجراما (من زينة القوم) من حلى آل فرعون فشـؤم ذلك حملنا على عبادة العجل (فقذفناها) فطرحنا
ـها فى النـار (فكذلك ألقى السامرى) كما ألقينا (فأخرج لهم) فصاغ لهم السـامرى من الذهب الذى ألقوا فى النار (عجلا
جسدا) مجسدا صغيرا بلا روح (له خوار) صوت (فقالوا) أى شئ

واتباعه (هذا الهكم واله موسى) فاجاب عامتهم الا اثنى عشر الفا فنسى) أى فنسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند ال
أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أى نسى السامرى ربه وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر أو نسى السامرى الاستدلال ع
العجل لا يكون الها بدليل قوله (أفلا يرون أن لا يرجع) أى انه لا يرجع فان مخف
الثقيلة (اليهم قولا) أى لا يجيبهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه اله وقيل انه ما خار الامرة (ولقد قال لهم) لمن عبدوا العجل (هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (ياقوم انما فتنتم به) ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعونى) كونوا على دينى الذى هو الحق (وأطيعوا أمرى) فى ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أى لن نزال مقيمين على العجل وعبادته (حتى يرجع الينا موسى) فتنظره هل يعبده كما عبدناه وهل صدق

اول ما رآه ﴿ هذا الهكم واله موسى فنسى ﴾ أو فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطو
أو فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان ﴿ أفلا يرون ﴾ أفلا يعلمو
﴿ ان لا يرجع اليهم قولا ﴾ انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع
بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ﴿ ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ﴿ ولقد قال لهم هرون من قبل ﴾ من قبل رجوع مو
عليه الصلاة والسلام أو قول السامرى كأنه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة تو
ذلك وبادر تحذيرهم ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ بالعجل ﴿ وان ربكم الرحمن ﴾ لا غير ﴿ فاتبعو
واطيعوا امرى ﴾ فى الثبات على الدين ﴿ قالوا لن نبرح عليه ﴾ على العجل وعباد
﴿ عاكفين ﴾ مقيمين ﴿ حتى يرجع الينا موسى ﴾ وهذا الجواب يؤيد اوجه الاو

هذا الهكم واله موسى ﴾ يعنى قال ذلك السامرى ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عا
وأحبوه حبا لم يحبوا شيأ قط مثله ﴿ فنسى ﴾ قيل هو اخبار عن قول السامرى أى ان مو
نسى الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخال
فى طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السام
انه نسى الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه ش
ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذى يجب الاستدلال به فقال ﴿ أفلا يرون أن لا يرجع ال
قولا ﴾ أى ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم ﴿ ولا يملك لهم ض
ولا نفعا ﴾ هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عب
وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل * قوله عز وجل ﴿ ولقد قال ل
هرون من قبل ﴾ أى من قبل رجوع موسى ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ أى ابتليتم بالعج
﴿ وان ربكم الرحمن فاتبعونى ﴾ على دينى فى عبادة الله ﴿ وأطيعوا أمرى ﴾ أى
ترك عبادة العجل * اعلم ان هرون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ أحسن الوجوه لا
زجرهم اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعا الى معرفة الله تعالى بقوله وان رب
الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعونى ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيع
أمرى فهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهى از
الشبهات ثم معرفة الله فانها هى الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الر
فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه
التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود ﴿ قالوا لن نبرح ﴾ أى لن نز
﴿ عليه ﴾ أى على عبادة العجل ﴿ عاكفين ﴾ أى مقيمين ﴿ حتى يرجع الينا موسى

هذا قال لهم السامرى (هذا الهكم واله موسى فنسى) فترك السامرى طاعة الله وأمره ويقال قال السامرى ترك موسى الطريق وأخطأ فقال الله (أفلا يرون) يعنى السامرى وأصحابه (الا يرجع) أن لا يرد (اليهم قولا) جوابا يعنى العجل (ولا يملك لهم) لا يقدر لهم (ضرا) دفع
الضرر (ولا نفعا) ولا جر النفع (ولقد قال لهم هرون من قبل) من قبل مجئ موسى عليه السلام (ياقوم انما (كأنم
فتنتم به) ابتليتم بالخوار وعبادة العجل ويقال أضللتم أنفسكم بعبادة العجل (وان ربكم الرحمن فاتبعونى) فى دينه (وأطيعوا أ
قولى ووصيتى (قالوا لن نبرح عليه) لن نزال على عبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) فلما رجع موسى

ى أم لا فلما رجع موسى (قال ياهرون مامنك اذرأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (الا تتبعنى) بالياء فى الوصل والوقف
كى افقه أبو عمرو ونافع فى لوصل وغيرهم بلاياء أى مادعاك الى ان تتبعنى لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشئ وبين
لدا، الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى أى شئ منعك أن تتبعنى حين لم يقبلوا قولك و تلحق بى وتخبرنى أو مامنعك ان تتبعنى
ى انب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت أباشره انا وكنت شاهد (أفعصيت أمرى) أى
أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم اخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا
عليه لان الغيرة فى الله ملكته (قال يابن أم) وبخفض الميم شامى وكوفى غير حفص وكان لابيه وأمه عند الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا وترفيقا (لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى) ثم ذكر عذره فقال (نى خشيت أن تقول) ان قاتلت بعضهم ببعض (فرقت بين بنى اسرائيل) أو خفت أن تقول ان فارقتهم واتبعتك ولحق بى فريق وتبع السامرى فريق فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ (قولى) اخلفنى فى قومى واصلح وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى على السامرى منكرا عليه حيث (قال فما خطبك) ماأمرك الذى تخاطب عليه (ياسامرى قال بصرت بمالم يبصروا به) و بالتاء

قال ياهرون ﴾ أى قال له موسى لما رجع ﴿ مامنعك اذرأيتهم ضلوا ﴾ بعبادة العجل
، ألا تتبعن ﴾ ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أوان تأتى عقبى وتلحقنى
لا مزيدة كما فى قوله مامنعك ان لا تسجد ﴿ أفعصيت امرى ﴾ بالصلابة فى الدين والمحاماة
يه ﴿ قال يابن ام ﴾ خص الام استعطافا وترفيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور
ى انهما كانا من اب وام ﴿ لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى ﴾ اى بشعر رأسى قبض عليهما
ره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا
صلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ﴿ انى خشيت ان تقول فرقت
بنى اسرائيل ﴾ لو قاتلت اوفارقت بعضهم ببعض ﴿ ولم ترقب قولى ﴾ حين قلت
خلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم
دارك الامر برأيك ﴿ قال فما خطبك ياسامرى ﴾ أى ثم اقبل عليه وقال له منكرا
خطبك أى ماطلبك له وما الذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه ﴿ قال
بصرت بمالم يبصروا به ﴾ وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت بمالم تعلموه

هم قالوا ان نقبل حجتك ولا نقبل الاقول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر
فا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون
ول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر
أسه بيمينه ولحيته بشماله و ﴿ قال ﴾ له ﴿ ياهرون ما منعك اذرأيتهم ضلوا ﴾ أى
ركوا ﴿ ألا تتبعنى ﴾ أى تتبع أمرى ووصيتى وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لو كنت
م اقاتلهم على كفرهم وقيل معناه مامنعك من اللحوق بى واخبارى بضلالتهم
كون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما أتوه ﴿ أفعصيت أمرى ﴾ أى خالفت أمرى
﴿ قال يابن أم لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى ﴾ أى بشعر رأسى وكان قد أخذ بذؤابتيه
﴿ انى خشيت ان تقول ﴾ أى لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا
قول ﴿ فرقت بين بنى اسرائيل ﴾ أى خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا
حزابا فيتقاتلون فتقول فرقت بين بنى اسرائيل ﴿ ولم ترقب قولى ﴾ أى لم تحفظ
صيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح وارفق بهم ثم أقبل موسى على السامرى
﴿ قال فما خطبك ﴾ أى فما أمرك و شأنك وما الذى حملك على ماصنعت ﴿ يا سامرى
ل ﴾ يعنى السامرى ﴿ بصرت بما لم يبصروا به

(قال) لهرون (ياهرون مامنعك اذرأيتهم ضلوا) الطريق (ألا تتبعن) لم لا
تتبعنى ووصيتى ولم تناجزهم القتال (أفعصيت) أفتركت (أمرى) وصيتى (قال) هرون لموسى (يابن أم) ذكر أمه لكى يرفق
ويرحم عليه (لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى) ولا بشعر رأسى (انى خشيت) خفت (أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) بالقتل
(ولم ترقب قولى) لم تنتظر قدومى فمن ذلك تركت القتال معهم ثم رجع موسى الى السامرى (قال فما خطبك) فما الذى حملك
على عبادة العجل (ياسامرى قال) السامرى (بصرت بمالم يبصروا به) أى رأيت

حمزة وعلى من الحجاج بصر علم وابصر نظر أي علمت مالم تعلمه بنو اسرائيل قال موسى وما ذلك قال رأيت جبريل
فرس الحياة فألقى في نفسي ان أقبض من أثره فما ألقيته على شئ الا صارله روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) القبضة
من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرئ فقبصت قبصة فالضاد
الكف والصاد باطراف الاصابع (من أثر

الرسول) أي من أثر
الرسول وقرئ بها (فنبذتها)
فطرحتها في جوف العجل
(وكذلك سولت) زينت لى
(نفسى) ان أفعله ففعلته اتباعا
لهواى وهو اعتراف بالخطأ
واعتذار (قال) له موسى
(فاذهب) من بيننا طريدا
(فان لك في الحيوة) ما عشت
(ان تقول) لمن أراد مخالطتك
جاهلا بحالك (لامساس)
أي لا يمسني أحد ولا أمسه
فمنع من مخالطة الناس منعا
كليا وحرم عليهم ملاقاته
ومكالمته ومبايعته واذا
اتفق أن يمس أحدا احم
الماس والممسوس وكان
يهيم في البرية يصيح لامساس
ويقال ان ذلك موجود
في أولاده الى الآن وقيل
أراد موسى عليه السلام
ان يقتله فمنعه الله تعالى منه
لسخائه (وان لك موعدا
ان تخلفه) أي لن يخلفك

وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذى جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيأ الا احـ
أو رأيت مالم تروه وهو ان جبريل عليه الصلاة والسلام جاءك على فرس الحياة وقيل انما عر
لان امه القته حين ولدته خوفه من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل ﴿فقبضت قبـ
من اثر الرسول﴾ من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضر
الامير وقرئ بالصاد والاول الاخذ بجميع الكف والثانى الاخذ باطراف الاصابع ونحو
الخضم والقضم والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف
جبريل أو اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور ﴿فنبذتها
في حلى المذاب أو في جوف العجل حتى حيي ﴿وكذلك سولت لى نفسى﴾ زينته وحسـ
لى ﴿قال فاذهب فان لك في الحيوة﴾ عقوبة على ما فعلت ﴿ان تقول لامساس﴾ خوفا من
ان يمسك احد فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحـ
النافر وقرئ لامساس كفجار وهو علم للمسة ﴿وان لك موعدا﴾ في الآخرة ﴿لن تخلفه

فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ أى من تراب حافر فرس جبريل ﴿فنبذتها﴾ أى فقذفتها في
العجل فخار فان قلت كيف عرف السامرى جبريل ورآه من بين سائر الناس قلت ذكر
فيه وجهين أحدهما ان أمه ولدته في السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعته في كهف
حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثا
انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامرى من بين سائر النا
فلما رآه قال ان لهذا لشأنا فقبض القبضة من أصل تربة أثر موطئه فلما سأله مو
قال قبضت قبضة من أثر الرسول اليك يوم جاء الميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فا
القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله ﴿وكذ
سولت﴾ أى زينت ﴿لى نفسى﴾ وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعنى الى فـ
غيرى ولكن اتبعت فيه هواى ﴿قال﴾ يعنى موسى للسامرى ﴿فاذهب فان لك في الحيوة
أى مادمت حيا ﴿ان تقول لامساس﴾ أى لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد فعوقـ
في الدنيا بعقوبة ولا شئ أوحش منها ولا أعظم وذلك ان موسى أمر بنى اسرائ
ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ا
عباس رضى الله عنهما لامساس لك ولولدك فصار السامرى يهيم في البرية مع الوحـ
والسباع لا يمس أحدا ولا يمسه أحد وقيل كان اذا مس أحدا أو مسه أحد حما جـ
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لامساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذ
﴿وان لك موعدا﴾ أى يعنى موعدا ﴿أى لن يخلفك في الآخرة ﴿لن تخلفه﴾ قر

مالم ير بنو اسرائيل قال له
موسى وما رأيت دونهم قال
رأيت جبريل على فرس
بيضاء أنثى [illegible]

(فقبضت قبضة من أثر الرسول) من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) فطرحتها في فم العجل ودبره (بكسر
فخار (وكذلك سولت) زينت (لى نفسى قال) له موسى (فاذهب) يا سامرى (فان لك في الحيوة) ما حييت (أن تقول لامـ
لا تخالط أحدا ولا تخالطك (وان لك موعدا) أجلا يوم القيامة (لن تخلفه) لن تجاوزه

ـه موعده الذى وعـدك على الشرك و الفساد فى الارض ينجزه لك فى الآخرة بعدما عاقبك بذاك فى الدنيا لن تخافه مكى
بو عمرو هـذا من أخلفت الموعد اذا وجدته حلفا (وانظر { } الى الهك الذى ظلت عليه)

لن يخلفـكه الله وينجزه لك فى الآخرة بعدما عاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اى لن تخلف الواعد اياه وسيأتيك لامحالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجـوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خالفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله ﴿ وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ﴾ ظلت على عبادته مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها ﴿ لنحرقنه ﴾ اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه أو بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ﴿ ثم لننسفنه ﴾ ثم لنذرينه رمادا أو مبرودا وقرئ بضم السين ﴿ فى اليم نسفا ﴾ فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر ﴿ انما الهكم ﴾ المستحق لعبادتكم ﴿ الله الذى لا اله الا هو ﴾ اذ لا احد يماثله او يدانيه فى كمال العلم والقدرة ﴿ وسع كل شئ علما ﴾ وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذى يصاغ ويحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التميز فى المشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ نقص عليك من انباء ما قد سبق ﴾ من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾ كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس ﴿ من اعرض عنه ﴾ عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل

بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح أى لن تكذبه ولم يخلفكه الله بل يكافئك على فعلك ﴿ وانظر الى الهك ﴾ أى الذى تزعم ﴿ الذى ظلت عليه عاكفا ﴾ أى دمت عليه مقيما تعبده ﴿ لنحرقنه ﴾ بالنار ﴿ ثم لننسفنه ﴾ أى لنذرينه ﴿ فى اليم ﴾ أى فى البحر ﴿ نسفا ﴾ روى ان موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه فى النار ثم ذراه فى البحر وقيل معناه لنحرقنه أى لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن أن يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها فى البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل وابطال ما ذهب اليه السامرى رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبنى اسرائيل ﴿ انما الهكم الله ﴾ أى المستحق للعبادة والتعظيم هو الله ﴿ الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما ﴾ أى وسع علمه كل شئ وقيل يعلم من يعبده ❊ قوله عز جل ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ﴾ يعنى من أخبار ﴿ ما قد سبق ﴾ يعنى الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾ وهو القرآن ﴿ من أعرض عنه ﴾ أى عن القرآن

وأصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا (عاكفا) مقيما (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) لنذرينه (فى اليم نسفا) فحرقه وذراه فى البحر فشرب بعضهم من مائه حباله فظهرت على شفاههم صفرة الذهب (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) تمييز أى وسع علمه كل شئ ومحل الكاف فى (كذلك) نصب أى مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون[1] نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الامم الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة فى معجزاتك (وقد آتيناك) أى أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذكر

(وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) أقمت عليه عابدا (لنحرقنه) بالنار ويقال لنبردنه بالمبرد (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) لنذرينه فى البحر ذروا (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو) بلا ولد ولا
ـيك (وسع كل شئ علما) علم ربنا بكل شئ (قوله ٢٨ بع) (كذلك) هكذ (نقص عليك) يا محمد ننزل عليك جبريل (من أنباء
ـدسبق) باخبار الامم الماضية (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) قد أكرمناك بالقرآن فيه خبر الاولين والآخرين (من أعرض عنه)

وهو القرآن ... (فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي ينقض ظهره ... أو لأنه جزاء الوزر وهو الإثم (خالدين) حال من ضمير في يحمل ... ووحد في فيه ... على لفظ من (فيه) في الوزر أي في جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيامة حملا) ... حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كما في هيت لك والمخصوص بالذم محذوف ... الوزر

... تقديره ساء لهم حملا وزرهم (يوم ينفخ

من أعرض عنه (فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره أو إثما عظيما (خالدين فيه) في الوزر أو في حمله والجمع فيه والتوحيد في أعرض للحمل على المعنى واللفظ (وساء لهم يوم القيامة حملا) أي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى أحزن والضمير الذي فيه للوزر أشكل أمر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى (يوم ينفخ في الصور) وقرأ أبو عمرو بالنون على إسناد النفخ إلى الآمر به تعظيما له أو للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على أن فيه ضمير الله أو ضمير إسرافيل وإن لم يجر ذكره لأنه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك (ونحشر المجرمين يومئذ) وقرئ ويحشر المجرمون (زرقا) زرق العيون وصفوا بذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب لأن الروم كانوا أعدى عدوهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين أو عميا فإن حدقة الأعمى تزرق (يتخافتون بينهم) يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت وإخفاؤه (إن لبثتم إلا عشرا) أي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا أنهم استحقوها على إضاعتها في قضاء الأوطار واتباع الشهوات أو في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة ... إلى آخر الآيات (نحن أعلم بما يقولون) وهو

ومن لم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) أي حملا ثقيلا من الإثم (خالدين فيه) أي مقيمين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) أي بئس ما حملوا أنفسهم من الإثم (يوم ينفخ في الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد به النفخة الثانية لأنه يتعقبه (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) أي نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا (يتخافتون) أي يتشاورون (بينهم) ويكلمون خفية (إن لبثتم) أي ما مكثتم في الدنيا (إلا عشرا) أي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك أن العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا قال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أي يتشاورون

ما هو يوم القيامة ينفخ ... (في الصور) ... أو هو جمع صورة أي تنفخ الأرواح في أبدانها وقرئ الصور جمع الصورة (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) حال أي ... وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا ... لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق (يتخافتون) يتسارون (بينهم) أي يقول بعضهم لبعض سرا ... ذلك اليوم (إن لبثتم) ما لبثتم في الدنيا (إلا عشرا) أي عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لما ... من شدائد ... النعمة والسرور ... ويستقصرون ... السرور تقصر ... وإن ... مدة تقصر ... أو استطالتهم الآخرة لأن ... الدنيا ... فيها ... في الآخرة ... أشد ... (نحن أعلم بما يقولون) (فيها)

من كفر به (فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) حملا ثقيلا (خالدين فيه) أي في عقوبة الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) من الذنوب (يوم ينفخ في الصور) النفخة الأخرى (ونحشر المجرمين) المشركين (يومئذ زرقا) عميا (يتخافتون بينهم) يتسارون فيما بينهم في هذا القول يقول بعضهم لبعض (إن لبثتم) ما مكثتم في القبور (إلا عشرا) عشرة أيام (نحن أعلم بما يقولون) في البعث

يقول أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) وهو كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين (ويسألونك عن الجبال) سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما تصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقديره ان سألوك (فقل) وانما قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويسألونك عن المحيض قل هو أذى وقوله ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي ويسألونك عن الروح قل الروح ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو لانها سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء (ينسفها ربي نسفا) أي يجعلها كالرمل يرسل عليها الرياح فيفرقها كالذرى

يقلعها (فيذرها) فيذر

مدة لبثهم ﴿ اذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ اعدلهم رأيا أو عملا ﴿ ان لبثتم الا يوما ﴾ استرجاع لقول من يكون اشد تقالا منهم ﴿ ويسألونك عن الجبال ﴾ عن مآل أمرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف ﴿ فقل ﴾ لهم ﴿ ينسفها ربي نسفا ﴾ يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها ﴿ فيذرها ﴾ فيذر مقارها أو الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة ﴿ قاعا ﴾ خاليا ﴿ صفصفا ﴾ مستويا كأن اجزاءها على صف واحد ﴿ لا ترى فيها عوجا ولا امتا ﴾ اعوجاجا ولا نتوأ ان تأملت فيها بالقياس الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني والامت وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين ﴿ يومئذ ﴾ أي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة ﴿ يتبعون الداعي ﴾ داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه ﴿ لا عوج له ﴾ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه

فيما بينهم ﴿ اذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ أي أوفاهم عقلا وأعدلهم قولا ﴿ ان لبثتم الا يوما ﴾ قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم ❊ قوله عز وجل ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ﴾ قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أي يقلعها من أصلها ويجعلها هباء منثورا ﴿ فيذرها ﴾ أي فيدع أماكن الجبال من الارض ﴿ قاعا صفصفا ﴾ أي أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها ﴿ لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾ أي لا انخفاضا ولا ارتفاعا أي لا ترى واديا ولا رابية ﴿ يومئذ يتبعون الداعي ﴾ أي صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك أنه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن ﴿ لا عوج له ﴾

مقارها أو يجعل الضمير للارض لعلمها كقوله ما ترك على ظهرها (قاعا صفصفا) مستوية ملساء (لا ترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا أمتا) ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان في المعاني كما ان المفتوح في الاعيان والارض عين ولكن لاستواء الارض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني (يومئذ) أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال اي يوم اذ نسفت ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعي) الى المحشر أي صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب الى صوبه لا يعدلون عنه (لا عوج له) أي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير

ذ يقول امثلهم طريقة) أفضلهم عقلا وأصوبهم رأيا واصدقهم قولا (ان لبثتم) ما مكثتم في القبور (الا يوما ويسألونك) يا محمد صلى الله عليه وسلم سألته بنو ثقيف (عن الجبال) عن حال الجبال يوم القيامة (فقل) لهم يا محمد (ينسفها ربي نسفا) يقلعها ربي قلعا (فيذرها) فيترك الارض (قاعا) مستوية (صفصفا) أملس لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا) واديا (ولا أمتا) ولا شيئا شاخصا من الارض ولا نباتا (يومئذ) وهو يوم القيامة (يتبعون الداعي) يسرعون ويتعمدون الى صوت الداعي (لا عوج له) لا ...

انحراف متبعين لصوته (وخشعت) وسكنت (الاصوات للرحمن) هيبة واجلالا (فلاتسمع الاهمسا) صوتا خفيفا لتحريك ال
وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت أى لاتسمع الاخفق الاقدام ونقلها الى المحشر (يومئذ لاتنفع الشفاعة
من أذن له الرحمن) محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اى لاتنفع الشفاعة الاشفاعة من أذن له الرحمن
أذن للشافع فى الشفاعة (ورضى له قولا) أى رضى قولا لاجله بان يكون المشفو
مسلما أو نصب على المدح لانه مفعول تنفع (يعلم مابين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم ماتقدمهم من الاحوال ومايستقبلونه (ولايحيطون به علما) أى بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير الى ما أو يرجع الضمير الى الله لانه تعالى ليس بمحاط (وعنت) خضعت وذلت ومنه قيل للاسير عان (الوجوه) أى أصحاب (للحى) الذى لايموت وكل حياة يعقبها الموت فهى كان لم تكن (القيوم) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق

(وخشعت الاصوات) ذلت الاصوات (للرحمن) لهيبة الرحمن (فلاتسمع) يامحمد (الاهمسا) الاوطأ خفيا كوطء الابل (يومئذ) وهو يوم القيامة (لاتنفع الشفاعة) لاتشفع الملائكة لاحد (الامن أذن له الرحمن) فى الشفاعة (ورضى له قولا) قبل منه لا اله الاالله (يعلم)
الله (مابين أيديهم) بين أيدى الملائكة من أمر الآخرة (وما خلفهم) من أمر الدنيا (ولايحيطون به علما) لايعلمون ﴿ وقد
مابين أيديهم وما خلفهم شيأ الاما علمهم الله يعنى الملائكة (وعنت الوجوه) نصبت الوجوه فى الدنيا بالسجود ويقال خضعت
الوجوه وذلت الوجوه يوم القيامة (للحى) الذى لايموت (القيوم) القائم الذى لابدء

﴿ وخشعت الاصوات للرحمن ﴾ خفضت لمهابته ﴿ فلاتسمع الاهمسا ﴾ صوتا خفيا
ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر
﴿ يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن أذن له الرحمن ﴾ الاستثناء من الشفاعة أى الاشفاعة
من اذن أو من اعم المفاعيل أى الامن اذن فى ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول
مرفوع بالبدلية وعلى الثانى منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن أو
من الاذن ﴿ ورضى له قولا ﴾ أى ورضى لمكانه عند الله قوله فى الشفاعة أو رضى لاجله
قول الشافع فى شانه أو قوله لاجله وفى شانه ﴿ يعلم مابين ايديهم ﴾ ماتقدمهم من الاحوال
﴿ وما خلفهم ﴾ ومابعدهم مما يستقبلونه ﴿ ولايحيطون به علما ﴾ ولايحيط علمهم
بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين أو لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع
ذلك ولاتفصيل ماعلموا منه ﴿ وعنت الوجوه للحى القيوم ﴾ ذلت وخضعت له خضوع

أى لاعوج لهم عن دعائه ولايزيغون عنه يمينا ولاشمالا بل يتبعونه سراعا ﴿ وخشعت
الاصوات للرحمن ﴾ أى سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الاصوات
وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع ﴿ فلاتسمع الاهمسا ﴾ وهو الصوت الخفى
قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الاقدام
الى المحشر كصوت اخفاف الابل ﴿ يومئذ لاتنفع الشفاعة ﴾ لاحد من الناس ﴿ الا
من أذن له الرحمن ﴾ أى الامن اذن له ان يشفع ﴿ ورضى له قولا ﴾ قال ابن عباس يعنى
قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لايشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة
عظيمة فهى لاتحصل الالمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا ﴿ يعلم مابين أيديهم
وما خلفهم ﴾ قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعى أى يعلم الله ماقدموا من الاعمال
وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى
لاتنفع الشفاعة الالمن أذن له الرحمن ان يشفع ثم قال يعلم مابين أيديهم أى أيدى الشافعين
وما خلفهم ﴿ ولايحيطون به علما ﴾ قيل الكناية ترجع الى ما أى هو يعلم مابين أيديهم
وما خلفهم وهم لايعلمونه والمعنى ان العباد لايحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل
الكناية راجعة الى الله تعالى أى ولايحيطون بالله علما ﴿ وعنت الوجوه ﴾ أى ذلت
وخضعت فى ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها
المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لامن صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر
لان الخضوع بها تبين وفيها يظهر ﴿ وقوله تعالى ﴿ للحى القيوم ﴾ تقدم تفسيره

(وقدخاب)يئس من رحمةالله (من حمل ظلما) من حمل الى موقف القيامةشركا لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه ولاظلم أشدمن جعل المخلوق شريك من خلقه (ومن يعمل من الصالحات) الصالحات الطاعات (وهومؤمن) مصدق بماجاء به محمدعليه السلام وفيه دليل أنه يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها (فلايخاف) أى فهو لايخاف فلايخف على النهى مكى (ظلما)أن يزادفى سيآته (ولاهضما) ولا ينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر (وكذلك) عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال (أنزلناه قرآنا عربيا) بلسان العرب (وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد أوالقرآن (ذكرا) عظة أوشرفا بايمانهم به وقيل أو بمعنى الواو (فتعالى الله) ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الافهام وتنزه عن مضاهاة الانام ومشابهة الاجسام (الملك) الذى يحتاج اليه الملوك (الحق) المحق فى الالوهية ولما ذكر القرآن وانزاله قال استطرادا واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك (ولا تعجل بالقرآن

العناة وهم الاسارى فى يدالملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده ﴿ وقدخاب من حمل ظلما ﴾ وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان مالاجله عنت وجوههم ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ بعض الطاعات ﴿ وهو مؤمن ﴾ لان الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الخيرات ﴿ فلا يخاف ظلما ﴾ منع ثواب مستحق بالوعد ﴿ ولاهضما ﴾ ولا كسرا منه بنقصان اوجزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه ، وقرئ فلايخف على النهى ﴿ وكذلك ﴾ عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال أومثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد ﴿ انزلناه قرآنا عربيا ﴾ كله على هذه الوتيرة ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ مكررين فيه آيات الوعيد ﴿ لعلهم يتقون ﴾ المعاصى فتصير التقوى لهم ملكة ﴿ أو يحدث لهم ذكرا ﴾ عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن ﴿ فتعالى الله ﴾ فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته ذاتهم ﴿ الملك ﴾ النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده ﴿ الحق ﴾ فى ملكوته يستحقه لذاته أو الثابت فى ذاته وصفاته ﴿ ولا تعجل بالقرآن

﴿ وقدخاب من حمل ظلما ﴾ قال ابن عباس خسر من اشرك ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلايخاف ظلما ولاهضما ﴾ قال ابن عباس معناه لايخاف ان يزاد على سيآته ولا ينقص من حسناته وقيل لايؤاخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه حسنة عملها * قوله تعالى ﴿ وكذلك أنزلناه ﴾ أى كما بينا فى هذه السورة أو هذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أى بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ أى كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد بهما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضى بيان الاحكام فلذلك قال تعالى ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أى يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات ﴿ أو يحدث لهم ذكرا ﴾ أى انما أنزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين مالا ينبغى ويحدث لهم القرآن ذكرا يرغبهم فى الطاعات وفعل ما ينبغى وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الامم السالفة * قوله تعالى ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أى جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على مايلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به منه ﴿ ولا تعجل بالقرآن ﴾ أراد

له (وقدخاب) خسر (من حمل ظلما) شركا (ومن يعمل من الصالحات) من الخيرات بينه وبين ربه (وهو مؤمن) مصدق فى ايمانه (فلايخاف ظلما) ذهاب عمله كله (ولاهضما) ولا نقصان عمله (وكذلك) هكذا (أنزلناه قرآنا عربيا) أنزلنا جبريل بالقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم على مجرى لغة العربية (وصرفنا فيه) بينا فى القرآن (من الوعيد) أى من الوعد والوعيد (لعلهم يتقون) لكى يتقوا الكفر والشرك والفواحش (أو يحدث لهم ذكرا) ثوابا ان آمنوا ويقال شرفا ان وحدوا ويقال عذابا ان لم يؤمنوا (فتعالى الله الملك الحق) تبرأ عن الولد والشريك (ولا تعجل بالقرآن) ولا تستعجل يا محمد بقراءة القرآن

[illegible] ان يقضى اليك وحيه) من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ (وقل رب زدنى علما) بالقرآن و معانيه و
[illegible] ما أمر [illegible] زيادة فى شئ الا فى العلم (ولقد عهدنا الى آدم) أى أوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة يقال فى

من قبل [illegible] يقضى اليك وحيه ﴾ [illegible] الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل عليه السلام
و [illegible] فى قراءته حتى يتم وحيه [illegible] ذكر [illegible] على سبيل الاستطراد وقيل نهى عن
[illegible] قبل ان [illegible] بيانه ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾ أى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال
[illegible] الوحى اليك [illegible] ﴿ ولقد عهدنا الى آدم ﴾ ولقد امرناه [illegible] تقدم الميثاق
اليه واوعز عليه وعزمه [illegible] اذا [illegible] الام جواب قسم محذوف و
عطف قصة آدم على قوله [illegible] الدلالة على ان اساس بنى آدم على العصيان
وعرقهم [illegible] النسيان ﴿ [illegible] ﴾ من قبل هذا الزمان ﴿ فنسى ﴾ العهد ولم
[illegible] وترك [illegible] الاحتراز عن الشجرة ﴿ ولم نجد له عزما ﴾ ت
رأى وثبات على الامر [illegible] الشيطان ولم يستطع تغر
[illegible] الامور [illegible] عن النبى
[illegible] عليه وسلم [illegible] حلم آدم يرجح حلمه وتوفيق الله تعالى ولم نجد
[illegible] وقيل عزما على الذنب [illegible] ولم نجد ان كان من الوجود الذى
[illegible] مفعولاه [illegible] من الوجود [illegible] حال من عزما أو متعلق
[illegible] ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ [illegible] باذكر أى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبين

النبى صلى الله عليه وسلم [illegible] عليه جبريل بالقرآن [illegible] فيقرأ معه قبل ان يفرغ
جبريل [illegible] من [illegible] والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى و
[illegible] بالقرآن أى ولا تعجل [illegible] من قبل ان يقضى اليك وحيه ﴾ أى من قبل ان يفرغ
جبريل من الابلاغ وقيل [illegible] ولا [illegible] حتى [illegible] معناه ﴿ و
رب زدنى علما ﴾ [illegible] زدنى علما [illegible] فى كل شئ
[illegible] أمر الله [illegible] عليه وسلم [illegible] الزيادة فى شئ الا فى العلم و
[illegible] زدنى علما [illegible] قوله عز وجل ﴿ و
[illegible] الى آدم ﴾ [illegible] أوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة ﴿ من قبل ﴾
من قبل هؤلاء الذين [illegible] وتركوا الايمان [illegible] الذين ذكرهم الله تعالى
[illegible] أى ترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن أكل
الشجرة [illegible] أكل منها وقيل [illegible] النسيان الذى هو ضد الذكر ﴿ ولم نجد له عزما ﴾
صبرا [illegible] نهى عنه [illegible] وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث أطاع عدوه
ابليس [illegible] وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية
[illegible] أقرب ﴿ قوله عز وجل ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

[illegible] الشجرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الى [illegible] الام
[illegible] س
أمرى [illegible]
[illegible] (فنسى) [illegible]
اى [illegible] عليه
السلام [illegible] نسين
[illegible] خففوه
(ولم نجد له عزما) قصدا
الى الخلاف لامره [illegible]
يكن آدم من اولى العزم
[illegible] الوجود [illegible]
ومفعولاه عزما [illegible]
[illegible] أى وعدمه
[illegible] متعلق نجد
(واذ) منصوب باذكر
(قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)
[illegible] السجود
[illegible] الخضوع [illegible]
[illegible] آدم [illegible] فضرب
(من قبل ان يقضى اليك
وحيه) [illegible] يفرغ
[illegible]
[illegible]
جبريل [illegible] جبريل
من [illegible] حتى [illegible]

[illegible] فنهاه الله عن ذلك وقال له (وقل يا محمد (رب زدنى علما) وحفظا وفهما وحكما بالقرآن (فسبح
(ولقد عهدنا الى آدم) أمرنا آدم أن لا يأكل من هذه الشجرة (من قبل) من قبل أكله من الشجرة ويقال من قبل مجئ محمد
[illegible] (واذ قلنا للملائكة) الذين كانوا فى الارض (اسجدوا

تعظيم له فيه (فسجدوا الا ابليس) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم وقال الحسن
الملائكة لباب الخليقة من الارواح ولا يتناسلون وابليس من نار السموم انما صح استثناؤه منهم لانه كان يصحبهم ويعبد الله معهم
(ابى) مستأنفة كأنه جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا
وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك)

انه نسى ولم يكن من اولى العزيمة والثبات ﴿فسجدوا الا ابليس﴾ قد سبق القول فيه ﴿ابى﴾ جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن الطاعة ﴿فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما﴾ فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما ﴿من الجنة فتشقى﴾ افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها او محافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ﴿ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعى في تحصيل اغراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها ﴿فوسوس اليه الشيطان﴾

فسجدوا الا ابليس ابى﴾ ان يسجد ﴿فقلنا يا آدم ان هذا﴾ أى ابليس ﴿عدو لك ولزوجك﴾ أى حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ أسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه فعل بوسوسته ما فعل آدم ما يترتب عليه الخروج ومعنى ذلك معنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط الى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه فان قلت لم أسند الشقاء الى آدم دون حواء قلت فيه وجهان احدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما ان في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثانى أنه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعى على زوجته ﴿ان لك ألا تجوع فيها﴾ أى في الجنة ﴿ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها﴾ أى تعطش ﴿ولا تضحى﴾ أى تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود والمعنى ان الشبع والرى والكسوة والكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره الله تعالى حصول هذه الاشياء في الجنة وانه مكفى لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه أهل الدنيا ﴿فوسوس اليه الشيطان﴾ أى انهى اليه الوسوسة ... فان قلت ...

حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك (فلا يخرجنكما من الجنة) فلا يكونن سببا لاخراجكما (فتشقى) فتتعب في طلب القوت ولم يقل فتشقيا مراعاة لرؤس الآى او دخلت تبعا ولان الرجل هو الكافل لنفقة المرأة وروى انه اهبط الى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه (ان لك ألا تجوع فيها) في الجنة (ولا تعرى) عن الملابس لانها معدة أبدا لك (وانك) بالكسر نافع وأبو بكر عطفا على ان الاولى وغيرهما بالفتح عطفا على ان لا تجوع وصحة نصب بان وحرف النصب كقولك ان في الدار ... (لا تظمأ فيها) لا تعطش لوجود الاشربة (ولا تضحى) لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس واهلها في ظل ممدود (فوسوس اليه الشيطان) أى انهى اليه ...

... من السجود لآدم (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء (فلا يخرجنكما من الجنة ...) (ان لك الا تجوع فيها) في الجنة من الطعام (ولا تعرى) من الثياب (وانك لا تظمأ فيها) لا تعطش فيها (ولا تضحى) لا يصيبك حر الشمس ويقال لا تعرق (فوسوس اليه الشيطان) باكل الشجرة

الوسوسة كاسر اليه (قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) اضاف الشجرة الخلد وهو الخلود لأن من اكل منها خلد بزعمه ولا يموت (وملك لا يبلى) لا يفنى (فاكلا) اى آدم وحواء (منه فبدت لهما سوآتهما) عوراتهما (وطفقا) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو ككاد فى وقوع الخبر فعلا مضارعا الا انه للشروع فى اول الامر وكاد للدنو منه (يخصفان عليهما من ورق الجنة) اى يلزقان الورق سوآتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) ضل عن الرأى وعن ابن عيسى خاب والحاصل ان العصيان وقوع الفعل على خلاف الامر والنهى وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون زلة ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من ان يكون رشدا فكان غيا

(قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) من أكل منها خلد ولا يموت (وملك لا يبلى) بقى فى ملك لا يفنى (فاكلا منها) من الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) فظهرت لهما عوراتهما (وطفقا) عمد (يخصفان) يلزقان (عليهما) على عورتهما (من ورق الجنة) من ورق التين كلما الزق بعضها الى بعض تساقطت (وعصى آدم ربه) بأكله من الشجرة (فغوى) ترك طريق الهدى ﴿ وتقدم ﴾

فانهى اليه وسوسته ﴿ قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد ﴾ الشجرة التى من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانها سببه بزعمه ﴿ وملك لا يبلى ﴾ لا يزول ولا يضعف ﴿ فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين ﴿ وعصى آدم ربه ﴾ بأكل الشجرة ﴿ فغوى ﴾ فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل

﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ﴾ أى على الشجرة التى ان أكلت منها بقيت مخلدا ﴿ وملك لا يبلى ﴾ أى لا يبيد ولا يفنى رغبة فى دوام الراحة فكان الشئ الذى رغب الله فيه آدم رغبه ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه أعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه * وقوله تعالى ﴿ فأكلا منها ﴾ يعنى أكل آدم وحواء من الشجرة ﴿ فبدت لهما سوآتهما ﴾ أى عريا من الثياب التى كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ أى يلزقان بسوآتهما من ورق التين ﴿ وعصى آدم ربه ﴾ أى باكل الشجرة ﴿ فغوى ﴾ أى فعل مالم يكن له فعله وقيل اخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهى عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز ان يقال آدم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبا يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومنى على أمر قدره الله تعالى على قبل ان يخلقنى باربعين عاما فحج آدم موسى وفى رواية لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال فهل تلومنى على ان عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل أن يخلقنى باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

الكلام على معنى الحديث وشرحه

قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته أى جادلته فغلبته قال أبو سليمان الخطابى قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على ماقضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء فى هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقى عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد

الشجرة أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو * وقرئ فغوى من غوى الفصيل

وتقدم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لان أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض التي خلق لها وانما أدلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلومني على أمر قدره الله على من قبل ان يخلقني

فصل في بيان عصمة الانبياء وماقيل في ذلك

قال الامام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة * أحدها مايقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم * الثاني مايتعلق بالتبليغ فقط اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض والا لارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على أن ذلك لايجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن * الثالث مايتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لايجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد وأجازه بعضهم على سبيل السهو * الرابع مايقع في أفعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة أقوال * أحدها قول من جوز عليهم الكبائر * الثاني قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة * الثالث لايجوز ان يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على وجه التأويل وهو قول الجبائي * الرابع انه لايقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطأ * الخامس انه لايقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال، أحدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة * الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة * الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لايجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر اصحابنا وابي الهذيل وابي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه وجوه * احدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من احاد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية في الرفعة والشرف * الثاني لو صدر منه وجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان أقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز ايضا لان معنى النبوة والرسالة هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وأيضا فانه يوم القيامة شاهد على الكل * الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال * الرابع ثبت ببديهة العقل أنه لاشئ أقبح من رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفته في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لاتفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا لغرضه واجتمعت الامة على ان الانبياء كانوا يأمرون

لان الغي خلاف الرشد وفي التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على

فليصب با كله

اذا تخم من اللبن وفى النهى عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ

الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه * الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغى فعله وترك ما ينبغى تركه فثبت أن الانبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهى وذلك ينافى صدور الذنب عنهم * السادس قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى فى حق موسى انى اصطفيتك على الناس برسالتى وبكلامى وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التى تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافى صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات مناقصة آدم هذه والجواب عنها أن نقول ان كلامهم اعايتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز أن يقال ان آدم حال ماصدرت عنه هذه الاشياء ماكان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضى عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أى جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما أى نسى عداوة ابليس له وماعهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له انى لكما لمن الناصحين وتوهم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أى قصدا للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التى نهى عنها لانه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم * فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصى فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر فى القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ماسلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لاشئ عليه قلت ان درجة الانبياء فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته فى عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤخذ به غيرهم وانهم فى تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو وتزيدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أوحذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون وهى الذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجرى من أحوالهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين أى يرونها بالاضافة الى علو

النبى المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر

من الشجرة ما أراده

(ثم اجتباه ربه) قربه اليه واصطفاه وقرئ به وأصل الكلمة الجمع يقال جبى الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) قبل توبته (وهدى) وهداه الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) يعنى آدم وحواء (بعضكم) ياذرية آدم (لبعض عدو) بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين (فاما

هدى) كتاب وشريعة (فمن اتبع هداى فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى العقبى قال ابن عباس رضى الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة يعنى ان الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه (ومن أعرض عن ذكرى) عن القرآن (فان له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة

(ثم اجتباه) اصطفاه (ربه) بالتوبة (فتاب عليه) فتجاوز عنه (وهدى) هداه الى التوبة (قال اهبطا منها) من الجنة (جميعا) لآدم وحواء والحية والطاوس (بعضكم لبعض عدو) الحية لبنى آدم وبنو آدم للحية (فاما يأتينكم منى هدى) فحين يأتينكم ياذرية آدم منى هدى كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) كتابى ورسولى (فلا يضل) باتباعه اياهما فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) عن توحيدى ويقال كفر بكتابى ورسولى (فان له معيشة ضنكا) عذابا شديدا فى القبر ويقال فى النار

لاولاده عنها ﴿ثم اجتباه ربه﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل معنى الكلمة الجمع ﴿فتاب عليه﴾ فقبل توبته لما تاب ﴿وهدى﴾ الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة ﴿قال اهبطا منها جميعا﴾ الخطاب لآدم وحواء اوله ولابليس ولما كانا اصلى الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله ﴿فاما يأتينكم منى هدى﴾ كتاب ورسول ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل﴾ فى الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ فى الآخرة ﴿ومن اعرض عن ذكرى﴾ عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى ﴿فان له معيشة ضنكا﴾ ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل

أحوالهم كالسيآت وسنذكر فى كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى *قوله عزوجل ﴿ثم اجتباه ربه﴾ أى اختاره واصطفاه ﴿فتاب عليه﴾ أى عاد عليه بالعفو والمغفرة ﴿وهدى﴾ أى هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار ﴿قال اهبطا منها جميعا﴾ قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما أصل البشر فجعلا كانهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ وقيل فى تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدوا ﴿فاما يأتينكم منى هدى﴾ أى كتاب ورسول ﴿فمن اتبع هداى﴾ أى الكتاب والرسول ﴿فلا يضل ولا يشقى﴾ قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى فلا يضل أى فى الدنيا ولا يشقى أى فى الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكرى﴾ يعنى القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه ﴿فان له معيشة ضنكا﴾ روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم انهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط فى القبر حتى تختلف أضلاعه وفى بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين فى النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه

لا يعرض أحدكم عن ذكر ربه الا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجة عن ابن
أعمى البصر وهو كقوله و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهو الوجه (قال رب لم حشرتني أعمى وقد
بصيرا) في الدنيا (قال كذلك) أي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر
(أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أي أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر اليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك (وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي للحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي (افلم يهدلهم) أي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون) حال من الضمير المجرور في لهم (في مساكنهم) يريد ان قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم (ان في ذلك لآيات لاولي النهى) لذوي العقول

عذاب القبر ﴿ونحشره﴾ قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على مح[ـل]
فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط ﴿يوم القيمة اعمى﴾ اعمى البصر أو القلب ويؤ[يده]
الاول ﴿قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا﴾ وقد امالهما حمزة والكسا[ئي]
لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف ف[هو]
جدير بالتغيير ﴿قال كذلك﴾ أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال ﴿اتتك آياتنا﴾
واضحة نيرة ﴿فنسيتها﴾ فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها ﴿وكذلك﴾ ومثـ[ل]
تركك اياها ﴿اليوم تنسى﴾ تترك في العمى والعذاب ﴿وكذلك نجزي من اسرف﴾
بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ بل كذ[بها]
وخالفها ﴿ولعذاب الآخرة﴾ وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أي والنـ[ـار]
بعد ذلك ﴿اشد وابقى﴾ من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار ز[ال]
عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها ﴿أفلم يهدلهم﴾ مسندا الى ا[لله]
أو الرسول أو ما دل عليه ﴿كم اهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي اهلاكنا اياهم أو الجـ[ـملة]
بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون ﴿يمشو[ن]
في مساكنهم﴾ ويشاهدون آثار اهلاكهم ﴿ان في ذلك لآيات لاولي النهى﴾ لذو[ي]

وهو الضنك في المعيشة وان قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثر[ين]
منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم
معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع ﴿ونحشره يوم القيـ[ـامة]
أعمى﴾ قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة ﴿قال رب لم حشرتني أعمى و[قد]
كنت بصيرا﴾ أي بصير العين أو بصيرا بالحجة ﴿قال كذلك﴾ أي كما ﴿أتتك آياتنا فنسيتها﴾
أي فتركتها وأعرضت عنها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أي تترك في النار وقيل نسوا من الـ[ـخير]
والرحمة ولم ينسوا من العذاب ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ أي كما جزينا م[ن]
أعرض عن القرآن كذلك نجزي من أسرف أي أشرك ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ولعذا[ب]
الآخرة أشد﴾ أي مما يعذبهم الله به في الدنيا والقبر ﴿وأبقى﴾ أي وأدوم * قو[له]
تعالى ﴿أفلم يهدلهم﴾ أي أفلم يبين القرآن لكفار مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرو[ن]
يمشون في مساكنهم﴾ يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كا[نوا]
يسافرون الى الشأم فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط ﴿[ان]
في ذلك لآيات لاولي النهى﴾ أي لذوي العقول

(ونحشره يوم القيمة أعمى قال) يقول (رب) يارب (لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا (قال كذلك) هكذا لانك (أتتك آياتنا) كتابنا ورسولنا (فنسيتها) [(ولو]ا)
فتركت العمل والاقرار بها (وكذلك اليوم تنسى) تترك في النار (وكذلك) هكذا (نجزي من أسرف) من أشرك (ولم يؤمن بآ[يات]
ربه) يعني الكتاب والرسول (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أدوم من عذاب الدنيا (أفلم يهدلهم) يبين لاهل مكة (كم أهلكنا [قبلهم]
من القرون) الماضية (يمشون في مساكنهم) في منازلهم (ان في ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات (لاولي النهى) لذوي العقو[ل]

اذا تفكروا وعلموا ان استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل مافعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كالزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على مايقولون) فيك (وسبح) وصل (بحمد ربك) فى موضع الحال وأنت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما واقعتان فى النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار) أى وتعهد آناء الليل أى ساعاته وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وقد تناول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت فى قوله والصلاة الوسطى عند البعض وانما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لامن الالباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) ابدل للمخاطب أى اذكر الله فى هذه الاقات رجاء أن

العقول الناهية عن التغافل والتعامى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهى العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة ﴿لكان لزاما﴾ لكان مثل مانزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم ﴿واجل مسمى﴾ عطف على كلمة اى ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن فى كان أى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم ﴿فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك﴾ وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه أو نزهه عن الشرك وسائر مايضيفون اليه من النقائص حامدا له على ماميزك بالهدى معترفا بانه المولى النعم كلها ﴿قبل طلوع الشمس﴾ يعنى الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ يعنى الظهر والعصر لانهما من آخر النهار أو العصر وحده ﴿ومن آناء الليل﴾ ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر أو اناء بالفتح والمد ﴿فسبح﴾ يعنى المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا ﴿واطراف النهار﴾ تكرير لصلاتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس

كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين

أو امر بصلاة الظهر فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين أو لان النهار جنس أو بالتطوع فى اجزاء النهار ﴿لعلك ترضى﴾ متعلق بسبح اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله مابه ترضى

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم ﴿لكان لزاما وأجل مسمى﴾ تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كالزم القرون الماضية الكافرة ﴿فاصبر على مايقولون﴾ نسختها آية السيف ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أى صل بامر ربك ﴿قبل طلوع الشمس﴾ يعنى صلاة الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ أى صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ أى ومن ساعاته ﴿فسبح﴾ يعنى فصل المغرب والعشاء. قال ابن عباس يريد أول الليل ﴿وأطراف النهار﴾ يعنى صلاة الظهر سمى وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء ﴿لعلك ترضى﴾ أى ترضى ثوابه فى المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أى تعطى ثوابه وقيل يرضاك

الناس (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما) عذابا لهلاكهم (وأجل مسمى) وقت معلوم لهذه الامة (فاصبر على مايقولون) يا محمد عما يقولون من الشتم والتكذيب نسختها آية القتال (وسبح بحمد ربك) صل بامر ربك يا محمد (قبل طلوع الشمس) صلاة الغداة (وقبل غروبها) صلاة الظهر والعصر (ومن آناء الليل) بعد دخول الليل (فسبح) فصل صلاة المغرب والعشاء (وأطراف النهار) صلاة الظهر والعصر (لعلك ترضى) لكى تعطى الشفاعة

تنال عند الله مابه ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى على وأبو بكر أي يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي نظر عينيك ومد لنظر تطويله وأن لايكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك أ يبادر الشئ بالنظر ثم

يغض الطرف ولقد شدد المتون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها (الى مامتعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (زهرة الحيوة الدنيا) زينتها وبهجتها وانتصب على الذم أو على ابداله من محل به أو على ابداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة (لنفتنهم فيه) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافي (خير وأبقى) مما رزقوا

نفسك وقرأ الكسائي وابوبكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي نظر عينيك ﴿الى مامتعنا به﴾ استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ﴿ازواجا منهم﴾ اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم أي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم أو ناسا منهم ﴿زهرة الحيوة الدنيا﴾ منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أو به على تضمينه معنى اعطينا أو بالبدل من محل به أو من ازواجا بتقدير مضاف ودونه أو بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في الجهرة أو جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ﴿ورزق ربك﴾ وما ادخر لك في الآخرة أو مارزقك من الهدى والنبوة ﴿خير﴾ مما منحهم في الدنيا ﴿وابقى﴾

ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لاتضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لايظلم بعضكم بعضا في رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام أي لاتزدحمون ولاينضم بعضكم الى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية لا للمرئي وهي فعل الرائي ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لاترتابون فيه ولاتشكون * قوله عز وجل ﴿ولا تمدن عينيك﴾ قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق أو أسلفني الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باعني أو أسلفني لقضيته واني لأمين في السماء وأمين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك أي لاتنظر نظرا تكاد ترده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له ﴿الى مامتعنا به﴾ أي اعطينا ﴿ازواجا﴾ أي أصنافا ﴿منهم زهرة الحيوة الدنيا﴾ أي زينتها وبهجتها ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن نزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ﴿ورزق ربك﴾ أي في المعاد في الجنة ﴿خير وأبقى﴾ أي أدوم وقال أبي بن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن أتبع بصره مافي أيدي الناس طال حزنه ومن ظن أن نعمة الله عليه في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه

حتى ترضى (ولا تمدن عينيك) ولا تنظرن رغبة (الى مامتعنا به) الى ما أعطينا من المال (أزواجا) رجالا (قوله (منهم) من بني قريظة والنضير (زهرة الحيوة الدنيا) زينة الدنيا (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيما أعطيناهم من الزينة (ورز ربك) الجنة (خير) أفضل (وأبقى) أدوم

(وأمر أهلك) أمتك أو أهل بيتك (بالصلوة واصطبر)أنت داوم (عليها لانسئلك رزقا)اى لانسألك ان ترزق نفسك ولأهلك (نحن نرزقك) واياهم فلاتهتم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الآخرة لان من كان فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزنى اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله وعن مالك بن دينار مثله وفى بعض المسانيد انه عليه السلام كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) أى واحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين (وقالوا) أى الكافرون (لولا يأتينا بآية من ربه) هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم يأتهم) أولم تأتهم مدنى وحفص وبصرى (بينة ما فى الصحف الاولى)أى الكتب المتقدمة يعنى انهم اقترحوا على عادتهم فى التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هى أم الآيات وأعظمها فى باب الاعجاز يعنى القرآن من قبل ان القرآن برهان ما فى سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهى مفتقرة الى شهادته على

فانه لاينقطع ﴿ وأمر اهلك بالصلوة ﴾ امر بان يأمر اهل بيته أو التابعين له من امته بالصلاة بعدما امر بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولايهتموا بامر المعيشة ولايلتفتوا لفت ارباب الثروة ﴿ واصطبر عليها ﴾ ودوام عليها ﴿ لانسئلك رزقا ﴾ أى ان ترزق نفسك ولا اهلك ﴿ نحن نرزقك ﴾ واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة ﴿ والعاقبة ﴾ المحمودة ﴿ للتقوى ﴾ لذوى التقوى روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ﴾ بآية تدل على صدقه فى ادعاء النبوة أو بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذى هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم والعمل على وجه خارق للعادة ولاشك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال ﴿ أولم يأتهم بينة ما فى الصحف الاولى ﴾ من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتى به امى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة الى ما شهد على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص عن عاصم اولم تأتهم بالتاء والباقون

* قوله تعالى ﴿ وأمر أهلك ﴾ أى قومك وقيل من كان على دينك ﴿ بالصلوة ﴾ أى بالمحافظة عليها ﴿ واصطبر عليها ﴾ أى اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول ﴿ لانسئلك رزقا ﴾ أى لانكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا ﴿ نحن نرزقك ﴾ أى بل نحن نرزق ونرزقك أهلك ﴿ والعاقبة للتقوى ﴾ أى الخصلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفى بعض المسانيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية * قوله تعالى ﴿ وقالوا ﴾ يعنى المشركين ﴿ لولا يأتينا بآية من ربه ﴾ أى بالآية المقترحة فانه كان قد أتاهم بآيات كثيرة ﴿ أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى ﴾ أى بيان ما فيها وهو القرآن لانه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى ما فى الصحف ما فى التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها فجعلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة ما فى الصحف الاولى هى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته

[...]تهم فى الدنيا (وأمر أهلك بالصلوة) عند الشدة (واصطبر عليها) اصبر عليها (لانسئلك رزقا) أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن [...]زقك والعاقبة للتقوى) الجنة لمتقى الكفر والشرك والفواحش (وقالوا) يعنى أهل مكة (لولا يأتينا) هلا يأتينا محمد (بآية) [...]لمة (من ربه أولم تأتهم بينة) بيان (ما فى الصحف الاولى) فى التوراة والانجيل أن فيهما صفة محمد صلى الله

بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أو البينة والتذكير لانها في معنى البرهان أو المراد بها القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل﴾ بالقتل والسبي في الدنيا ﴿ونخزى﴾ بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما ﴿قل كل﴾ اى كل واحد منا ومنكم ﴿متربص﴾ منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم ﴿فتربصوا﴾ وقرئ فتمتعوا ﴿فستعلمون من اصحاب الصراط السوى﴾ المستقيم وقرئ السواء أي الوسط الجيد والسوأى والسوء أي الشر والسوى وهو تصغيره ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلهما الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة أو على اصحاب أو على الصراط على ان المراد به النبي عليه الصلاة والسلام وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ طه اعطى يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم اجمعين

﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ أي من قبل ارسال الرسل وانزال القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا﴾ أي لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت الينا رسولا يدعونا ﴿فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ بالعذاب والهوان والافتضاح ﴿قل كل متربص﴾ أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وحوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى ﴿فتربصوا﴾ أي فانتظروا ﴿فستعلمون﴾ أي اذا جاء أمر الله وقامت القيامة ﴿من أصحاب الصراط السوى﴾ أي المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ أي من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (آياتك من قبل أن نذل) بنزول العذاب (ونخزى) في العقبى (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر للعاقبة ولما يؤل اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) أنتم (فستعلمون) اذا جاءت القيامة (من أصحاب) مبتدأ وخبر ومحلهما نصب (الصراط السوى) المستقيم (ومن اهتدى) الى النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة الا سورة طه ويس والله أعلم بالصواب

عليه وسلم ونعته (ولو أنا أهلكناهم) يعني أهل مكة (بعذاب من قبله) من قبل مجئ محمد عليه السلام اليهم بالقرآن (لقالوا) يوم القيامة (ربنا) يا رب (لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك) فنطيع رسولك ونؤمن بكتابك (من قبل أن نذل) نقتل يوم بدر (ونخزى) نعذب بعذاب يوم القيامة (قل) لهم يا محمد (كل) كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لهلاك صاحبه (فتربصوا) فانتظروا (فستعلمون) عند نزول العذاب يوم القيامة (من أصحاب الصراط السوى) العدل (ومن اهتدى) الى الايمان منا أو منكم

الجزء السابع عشر

سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ بالاضافة الى ما مضى أو عند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أو لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب أو تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله ﴿ وهم فى غفلة ﴾ أى فى غفلة عن الحساب ﴿ معرضون

تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهى مكية

وعدد آياتها مائة واثنتا عشرة آية وألف ومائة وثمان وستون

كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قوله عز وجل ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ أى وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت فى منكرى البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون أقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه ﴿ وهم فى غفلة معرضون ﴾ أى عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون

سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية كوفى واحدى عشرة مدنى وبصرى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقترب) دنا (للناس) اللام صلة لاقترب عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بالناس المشركون لانه متلو من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله اياهم ومجازاته على أعمالهم يعنى يوم القيامة وانما وصفه بالاقتراب لقلة ما بقى بالاضافة الى ما مضى ولان كل آت قريب (وهم فى غفلة) عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه فى دنياه واعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه فى مولاه واعراضه عن دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى والاول لا يفيق الا فى عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتتنبه وتعرض قبل ان تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين ليفوز برضى رب العالمين

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الانبياء وهى كلها مكية آياتها مائة واحدى عشرة وكلماتها ألف ومائة وثمان (لا يتفكرون) وثلاثون وحروفها اربعة آلاف وثمان ومائة وستون حرفا ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اقترب للناس حسابهم) يقول دنا لاهل مكة ما وعدتهم فى الكتاب من العذاب (وهم فى غفلة) عن ذلك (معرضون) مكذبون

(ما يأتيهم من ذكر) شئ من القرآن (من ربهم محدث) في التنزيل اتيانه مبتدأة تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدوثها (الا استمعوه) من النبي عليه السلام أو غيره ممن يتلوه (وهم يلعبون) يستهزؤن به (لاهية) حال من ضمير يلعبون أو وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير في استمعوه ومن قرأ لاهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم وارتفعت (قلوبهم) بلاهية وهي من لها عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها قال أبو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها (وأسروا) وبالغوا في اخفاء (النجوى) وهي اسم من التناجي ثم أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا ايذانا بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى فقدم عليه أي والذين ظلموا أسروا النجوى (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام

عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ﴿ ما يأتيهم من ذكر ﴾ ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة ﴿ من ربهم ﴾ صفة لذكر أو صلة ليأتيهم ﴿ محدث ﴾ تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا * وقرئ بالرفع حملا على المحل ﴿ الا استمعوه وهم يلعبون ﴾ يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير ﴿ واسروا النجوى ﴾ بالغوا في اخفائها أو جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها ﴿ الذين ظلموا ﴾ بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظلموا فيما اسروا به أو فاعل له والواو لعلامة الجمع أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم أو منصوب على الذم ﴿ هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وانتم تبصرون ﴾ بأسره في موضع النصب بدلا من النجوى أو مفعولا

لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لابد من جزاء المحسن والمسئ ثم اذا نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ يعني ما يحدث الله من تنزيل شئ من القرآن يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قال النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن وأضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ﴿ الا استمعوه وهم يلعبون ﴾ أي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ أي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ أي اغوا في اخفاء التناجي وهم الذين أشركوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم ﴿ هل هذا الا بشر مثلكم ﴾ يعني انهم أنكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من أشكاله أقرب ﴿ أفتأتون السحر ﴾ أي أتحضرون السحر وتقبلونه ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ أي تعلمون أنه سحر

به تاركون له (ما يأتيهم) ما يأتي الى نبيهم جبريل (من ذكر) بذكر يعني القرآن (من ربهم محدث) بآية بعد آية وسورة بعد سورة الكان اتيان جبريل وقراءة محمد صلى الله عليه وسلم واستماعهم محدثا الا القرآن (الا استمعوه) الا استمع أهل مكة الى قراءة محمد عليه السلام والقرآن (وهم يلعبون) يهزؤن بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لاهية قلوبهم) غافلة قلوبهم عن أمر الآخرة (وأسروا النجوى) اخفوا التكذيب بمحمد عليه السلام والقرآن فيما بينهم (الذين ظلموا) هم الذين ظلموا أشركوا أبو جهل وأصحابه يقول بعضهم لبعض (هل هذا) ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (الا بشر) آدمي (مثلكم أفتأتون السحر) أفتصدقون بالسحر والكذب (وأنتم تبصرون) وأنتم

... أي حل كلمات الذين من حيث الى ان سروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا اتأتون السحر ومعنى انهم اعتقدوا ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون انه سحر (قال ربي) حمزة وعلي وحفص أي قال محمد وغيرهم قل ربي أي قل يا محمد (يعلم القول في السماء والارض)

أي يعلم القول كل ما هو في السماء أو الارض سرا كان أو جهرا (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بما في ضمائرهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام رآها في نومه فتوهمها وحيا من الله اليه ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه وليس الامر كما يظن (فليأتنا بآية) بمعجزة (كما أرسل الاولون) أي كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه في قوله كما أرسل الاولون من حيث انه في معنى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى انه لافرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم بقوله

القول مقصور كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة ﴿قل ربي يعلم القول في السماء والارض﴾ جهرا كان أو سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى في المبالغة وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وهو السميع العليم﴾ فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون ﴿بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر﴾ اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام الحكاية والابتداء باخرى أو للاضراب عن تحاورهم في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا الرسول صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو ابعد من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق ﴿فليأتنا بآية كما ارسل الاولون﴾ أي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية

﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿ربي يعلم القول في السماء والارض﴾ أي لا يخفى عليه شيء ﴿وهو السميع﴾ لاقوالهم ﴿العليم﴾ بافعالهم ﴿قوله عز وجل ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ يعني أباطيل وأهاويل رآها في النوم ﴿بل افتراه﴾ أي اختلقه ﴿بل هو شاعر﴾ وذلك ان المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر ﴿فليأتنا﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم ﴿بآية﴾ أي بحجة ان كان صادقا ﴿كما أرسل الاولون﴾ أي من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم

تعلمون بأنه سحر وكذب (قل) لهم يا محمد (ربي يعلم القول في السماء والارض) أي يعلم السر من القول والعلن (وما من أهل السماء والارض (وهو السميع) لمقالة أبي جهل وأصحابه (العليم) بهم وبعقوبتهم (بل قالوا) قال بعضهم (أضغاث أحلام) أباطيل أحلام هذا الذي أتانا به محمد صلى الله عليه وسلم (بل افتراه) وقال بعضهم بل اختلق محمد عليه السلام القرآن من تلقاء نفسه (بل هو شاعر) وقال بعضهم بل هو شاعر يرويه (فليأتنا بآية) بعلامة (كما أرسل الاولون) من الرسل بالآيات الى قومهم ...

(ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) صفة لقرية عند مجيء الآيات المقترحة لانهم طلبوها تعنتا (أفهم يؤمنون) أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم (يوحى اليهم) نوحى حفص (فاسئلوا أهل الذكر) العلماء بالكتابين فانهم يعرفون أن الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (ان كنتم لا تعلمون) ذلك ثم بين انه كمن تقدمه من الانبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وحد الجسد لارادة الجنس (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا يعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوى جسد غير طاعمين (وما كانوا خالدين) كانهم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاولة خلودا (ثم صدقناهم الوعد) بانجائهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه

فيقول الله (ما آمنت قبلهم) قبل قومك يا محمد بالآيات (من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) عند التكذيب بالآيات (أفهم يؤمنون) أفقومك يؤمنون بالآيات لا يؤمنون (وما أرسلنا قبلك) من الرسل (الا رجالا) من البشر مثلك (نوحى اليهم) نرسل اليهم الملائكة كما ارسلنا اليك (فاسئلوا اهل الذكر) أهل التوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) أن الله لم يرسل الرسول الا من البشر (وما جعلناهم جسدا) الانبياء (لا يأكلون الطعام) ولا يشربون الشراب (وما كانوا خالدين) في الدنيا ولكن كانوا يأكلون الطعام ويشربون الشراب يموتون نزلت فيهم حين قالوا امالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق (ثم صدقناهم الوعد) نجزنا وعد الانبياء

﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ من اهل قرية ﴿اهلكناها﴾ باقتراح الآيات لما جاءتهم ﴿أفهم يؤمنون﴾ لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم ﴿وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾ جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم أو لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحى بالنون ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا أبشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل أو على حذف المضاف أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ اى في الوعد

﴿ما آمنت قبلهم﴾ أي قبل مشركي مكة ﴿من قرية﴾ أي من أهل قرية أتتهم الآيات ﴿أهلكناها﴾ أي بالتكذيب ﴿أفهم يؤمنون﴾ أي ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم أفيؤمن هؤلاء ﴿قوله تعالى﴾ ﴿وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم﴾ هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى انا لم نرسل الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا نوحى اليهم مثلك ﴿فاسئلوا أهل الذكر﴾ يعنى أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين بسؤال اهل الكتاب لان المشركين أقرب الى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن ﴿ان كنتم لا تعلمون﴾ ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وما جعلناهم﴾ أي الرسل ﴿جسدا لا يأكلون الطعام﴾ هذا رد لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام ﴿وما كانوا خالدين﴾ أي في الدنيا بل يموتون كغيرهم ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ أي الذي

اى من قومه (فنجيناهم) الرسل وقومهم (ومن نشاء) هم المؤمنون (وأهلكنا المسرفين) المجاوزين الحد بالكفر ودل الا
بهلاك المسرفين على أن من نشاء غيرهم (لقد أنزلنا اليكم) يامعشر قريش (كتابا فيه ذكركم) شرفكم ان عملتم به أ
بما ذكركم أو فيه موعظتكم فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة أى فيه ذكركم صفة الكتاب (أفلا تعقلون) مافضلتكم به على غيركم فتؤ
(وكم قصمنا) اهلكنا أى أهلكنا (من قرية) أى أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) كافرة وهى واردة عن غضب
وسخط عظيم لان القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم فانه كسر بلا
(وأنشأنا) خلقنا (بعدها قوما آخرين) فسكنوا مساكنهم (فلما أحسوا) أى اهل

﴿ فنجيناهم ومن نشاء ﴾ يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو احد
من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال ﴿ واهلكنا المسرفين ﴾ فى الكفر
والمعاصى ﴿ لقد انزلنا اليكم ﴾ يا قريش ﴿ كتابا ﴾ يعنى القرآن ﴿ فيه ذكركم ﴾ صيتكم
كقوله وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم
الاخلاق ﴿ افلا تعقلون ﴾ فتؤمنون ﴿ وكم قصمنا من قرية ﴾ واردة من غضب عظيم
لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم ﴿ كانت ظالمة ﴾ صفة لاهلها وصفت
بها لما قيمت مقامه ﴿ وانشأنا بعدها ﴾ بعد اهلاك اهلها ﴿ قوما آخرين ﴾ مكانهم ﴿
احسوا بأسنا ﴾ فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل
المحذوف ﴿ اذاهم منها يركضون ﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين
من فرط اسراعهم ﴿ لا تركضوا ﴾ على ارادة القول أى قيل لهم استهزاء لا تركضوا
اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك أو من ثمة من المؤمنين ﴿ وارجعوا الى ما اترفتم فيه ﴾
من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ﴿ ومساكنكم ﴾ التى كانت لكم ﴿ لعلكم
تسئلون ﴾ غدا من اعمالكم أو تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب أو تقصدو

وعدناهم باهلاك أعدائهم ﴿ فأنجيناهم ومن نشاء ﴾ أى من المؤمنين الذين صدقوهم ﴿ وأهلكنا
المسرفين ﴾ أى المشركين لان المشرك مسرف على نفسه * قوله عز وجل ﴿ لقد أنزلنا
اليكم ﴾ أى يامعشر قريش ﴿ كتابا فيه ذكركم ﴾ أى شرفكم وفخركم وهو شرف لمن
آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة
لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فيه بعث على التدبر
لان الخوف من لوازم العقل * قوله تعالى ﴿ وكم قصمنا ﴾ أى أهلكنا ﴿ من قرية كانت
ظالمة ﴾ أى كافرة والمراد أهل القرية ﴿ وأنشأنا بعدها ﴾ أى أحدثنا بعد هلاك أهلها
﴿ قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا ﴾ أى عذابنا بحاسة البصر ﴿ اذا هم منها يركضون ﴾
أى يسرعون هاربين من قريتهم لما أوا مقدمة العذاب ﴿ لا تركضوا ﴾ أى قيل لهم لا تركضوا
﴿ وارجعوا الى ما أترفتم فيه ﴾ أى نعمتم فيه من العيش ﴿ ومساكنكم لعلكم تسئلون

بأسنا) عذابنا أى علموا علم
حس ومشاهدة (اذا هم منها)
من القرية واذا للمفاجأة وهم
مبتدأ وخبر (يركضون)
يهربون مسرعين والركض
ضرب الدابة بالرجل فيجوز
أن يركبوا دوابهم يركضونها
هاربين من قريتهم لما أدركتهم
مقدمة العذاب أو شبهوا
فى سرعة عدوهم على
أرجلهم بالراكبين الراكضين
لدوابهم فقيل لهم (لا تركضوا)
والقائل بعض الملائكة
(وارجعوا الى ما أترفتم فيه)
انعمتم فيه من الدنيا ولين
العيش قال الخليل المترف
الموسع عليه عيشه القليل
فيه همه (ومساكنكم لعلكم
تسئلون) أى تقال لهم استهزاء بهم
ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم
لعلكم تسئلون غدا عما جرى
عليكم ونزل باموالكم فتجيبوا
السائل عن علم ومشاهدة
أو ارجعوا واجلسوا كما
كنتم فى مجالسكم حتى يسألكم
عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم

بالنجاة (فنجيناهم) يعنى الانبياء (ومن نشاء) من آمن بالرسل (وأهلكنا المسرفين) مشركين (لقد أنزلنا اليكم) (قد
الى نبيكم (كتابا) جبريل بكتاب (فيه ذكركم) شرفكم وعزكم ان آمنتم به (أفلا تعقلون) أفلا تصدقون بشرفكم
(وكم قصمنا) أهلكنا (من قرية) أهل قرية (كانت ظالمة) كافرة مشركة أهلها (وأنشأنا) خلقنا (بعدها) بعد هلاكهم
آخرين) فسكنوا) ديارهم (فلما أحسوا بأسنا) رأوا عذابنا بهلاكهم (اذا هم منها) من بأسنا (يركضون) يهربون و
يهربون أنصتات لهم الملائكة (لا تركضوا) لا تهربوا ولا تهربوا (وارجعوا الى ما أترفتم) أنعمتم (فيه ومساكنكم
منازلكم (لعلكم تسئلون) كى تسئلوا عن الايمان وقتل عن قتال

يكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس فى أنديتكم المعاونة فى نوازل
الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم أو قال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا الى منازلكم
واموالكم لعلكم تسئلون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودى من السماء يا لثارات الانبياء وأخذتهم السيوف ثم (قالوا ياويلنا
انا كنا ظالمين) اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فما زالت تلك) هى اشارة الى ياويلنا (دعواهم) دعاءهم
وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد أى الزرع المحصود
ولم يجمع كما لم يجمع المقدر (خامدين) ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل أى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا أى جعلته جامعا للطعمين (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) اللعب فعل يروق أوله ولا ثبات له ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للهو واللعب وانما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ونجازى المحسن والمسئ على ما تقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدث بقوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) اى ولدا او امرأة
النبى عليه السلام (قالوا)
القتل والعذاب (ياويلنا انا كنا ظالمين) بقتل نبينا (فما زالت تلك) الويل (دعواهم) قولهم (حتى جعلناهم حصيدا)
حصيدا بالسيف (خامدين) ميتين لا يتحركون هذه قصة أهل قرية نحو اليمن يقال لها حضور بعث الله اليهم نبيا فقتلوا ذلك النبى
عليه السلام فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم ولم يترك فيهم عينا تطرف (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق (لاعبين)
عابثين بلا أمر ولا نهى ثم نزل فى قولهم الملائكة بنات الله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) بنات وبقال

للسؤال والتشاور فى المهام والنوازل ﴿قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين﴾ لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبى فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يالثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول ياويل تعال فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية ﴿حتى جعلناهم حصيدا﴾ مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع ﴿خامدين﴾ ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين﴾ وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسببا لما ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال ﴿لو اردنا ان نتخذ لهوا﴾ ما يتلهى به ويلعب

قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الآية فى أهل حضور قرية باليمن وكان أهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا أى لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون شيأ من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم أهل ثروة ونعمة فتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء بالثارات الانبياء فلما رأوا ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم ﴿قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين﴾ أى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أى تلك الكلمة وهى قولهم ياويلنا ﴿حتى جعلناهم حصيدا﴾ أى بالسيوف كما يحصد الزرع ﴿خامدين﴾ أى ميتين ✽ قوله عز وجل ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين﴾ معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو وانما سويناهما لفوائد منها التفكر فى خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التى لا تعد ولا تحصى ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾

كأنه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته (لاتخذناه من لدنا) من الولدان أو الحور (ان كنا فاعلين) اى ان كنا ممن يفعل ذلك، ولسنا ممن يفعله لاستحالته فى حقنا وقيل هو نفى كقوله وان أدرى اى ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل اضرب عن اتخاذ اللهو وتنزه منه سبحانا ان نتخذ اللهو بل من سنتنا ان نقذف اى نرمى ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان او بالاسلام على الشرك وبالجد على اللعب (فيدمغه) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لان اصل استعمال القذف والدمغ فى الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل والمستعار حسى والمستعار له عقلى فكأنه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوى على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوى الضعيف (فاذاهو) أى الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل مما تصفون) الله من الولد ونحوه (وله من فى السموات والارض) خلقا وملكا فانى يكون شئ منه ولدا له وبينهما تناف ويوقف على الارض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزلا ولا مكانا يعنى الملائكة مبتدأ خبره (لايستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته

﴿لاتخذناه من لدنا﴾ من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ﴿ان كنا فاعلين﴾ ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب أى بل من شاننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداده اللهو ﴿فيدمغه﴾ فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله

سأترك منزلى لبنى تميم ۞ والحق بالحجاز فاستريحا

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق ﴿فاذاهو زاهق﴾ هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ مما تصفونه به مما لايجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية أو موصولة أو موصوفة ﴿وله من فى السموات والارض﴾ خلقا وملكا ﴿ومن عنده﴾ يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم أو لانه اعم منه من وجه أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء فى السماء والارض أو مبتدأ خبره ﴿لايستكبرون عن عبادته﴾ لايتعظمون عنها

قال ابن عباس اللهو المرأة وعنه انه الولد ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ أى من عندنا من الحور العين لا من عندكم من اهل الارض وقيل معناه لوكان ذلك جائزا فى حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر ذلك حتى لاتطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا فى المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ﴿ان كنا فاعلين﴾ أى ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لايليق بالربوبية ﴿بل﴾ أى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل ﴿نقذف﴾ أى نرمى ونسلط ﴿بالحق﴾ أى بالايمان ﴿على الباطل﴾ أى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا ﴿فيدمغه﴾ فيهلكه ﴿فاذاهو زاهق﴾ اى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ﴿ولكم الويل﴾ يامعشر الكفار ﴿مما تصفون﴾ الله بما لايليق به من الصاحبة والولد ﴿وله من فى السموات والارض﴾ أى عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم ﴿ومن عنده﴾ يعنى الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا داخلين فى جملة من فى السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم ﴿لايستكبرون عن عبادته﴾ اى لايتكبرون ولايتعظمون عنها

زوجة ويقال ولدا (لاتخذناه من لدنا) من عندنا من الحور العين (انا كنا) ما كنا (فاعلين) ذلك (بل نقذف بالحق) نرمى الحق (على الباطل) ويقال نبين الحق والباطل (فيدمغه) فيهلكه (فاذاهو زاهق) هالك يعنى (ولا الباطل (ولكم) يامعشر الكفار (الويل) الشدة من العذاب (مما تصفون) مما تقولون الملائكة بنات الله (وله) عبيد (من السموات والارض) من الخلق (ومن عنده) من الملائكة (لايستكبرون) لايتعاظمون (عن عبادته) عن طاعته

‌(لا يحسرون) ولايعيون (يسبحون الليل والنهار لايفترون) حال من فاعل يسبحون أى تسبيحهم متصل دائم فى جميع
وقا لاتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا ثم أضرب عن المشركين منكرا عليهم وموبخا فجاء
ا بمعنى بل والهمزة فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) يحيون الموتى ومن الارض صفة لآلهة لان آلهتهم
متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجر وتعبد فى الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة أى مدنى
يدق باتخذوا و يكون فيه بيان غاية الاتخاذ وفى قولهم ينشرون زيادة توبيخ وان
لم يدعوا ان أصنامهم تحيي
الموتى وكيف يدعون ومن
أعظم المنكرات أن ينشر
الموتى بعض الموات لانه
يلزم من دعوى الالوهية
لها دعوى الانشار لان
العاجز عنه لايصح ان يكون
الها اذ لايستحق هذا الاسم
الا القادر على كل مقدور
والانشار من جملة المقدورات
وقرأ الحسن ينشرون بفتح
الياء وهما لغتان أنشر الله
الموتى ونشرها أى أحياها
(لوكان فيهما آلهة الا الله)
اى غير الله وصفت آلهة
بالا كما وصفت بغير لو قيل
آلهة غير الله ولايجوز رفعه
على البدل لان لو بمنزلة ان
فى أن الكلام معه موجب
والبدل لايسوغ الا فى
الكلام غير الموجب
كقوله تعالى ولا يلتفت
منكم أحد الا امرأتك
ولايجوز نصبه استثناء
لان الجمع اذا كان منكرا
لايجوز أن يستثنى منه عند المحققين لانه (قا و خا ٣١ بع) لاعموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لوكان يدبر
السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما (لفسدتا) لخربتا لوجود التمانع وقد قررناه فى أصول الكلام

﴿لايستحسرون﴾ ولايعيون فيها واذا جئ بالاستحسار الذى هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان
... بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولايستحسرون ﴿يسبحون الليل والنهار﴾
... ونه ويعظمونه دائما ﴿لايفترون﴾ حال من الواو فى يسبحون وهو استئناف او حال من
... برقبله ﴿ام اتخذوا آلهة﴾ بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم ﴿من الارض﴾
... ة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص ﴿هم ينشرون﴾
... تى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع
... كنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار
﴿لوكان فيهما آلهة الا الله﴾ غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ماقبلها لما
... ها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها
... لقا او معه حملا لها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ولايجوز الرفع على البدل لانه
... رع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير موجب ﴿لفسدتا﴾ لبطلتا لما يكون
... بهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه

‌ولايستحسرون ﴾ اى لايعيون ولايتعبون وقيل لاينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله
... بقوله ﴿يسبحون الليل والنهار لايفترون﴾ اى لايضعفون ولايسأمون وذلك
تسبيحهم متصل دائم لايفتر فى جميع اوقاتهم لاتتخلله فترة بفراغ او شغل آخر قال كعب
... خبار التسبيح لهم كالنفس لبنى آدم ﴿ام اتخذوا آلهة من الارض﴾ يعنى الاصنام
... الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهى من الارض ﴿هم ينشرون﴾ اى
... يحيون الاموات اذا لايستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد
... ن العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل ﴿لوكان فيهما﴾ أى فى السماء
... لارض ﴿آلهة الا الله﴾ أى غير الله ﴿لفسدتا﴾ أى لخربتا وهلك من فيهما لوجود
... تمانع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام
... خر الدين الرازى قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضى الى المحال فوجب أن
... ون القول بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضى الى المحال لانا لو فرضنا وجود
... لهين فلابد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولوكان كذلك
... كان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد و تسكينه ولو فرضنا ان أحدهما أراد

... قرار بعبوديته (ولايستحسرون) لايعيون من عبادة الله (يسبحون الليل والنهار) يصلون لله بالليل والنهار (لايفترون)
... ن من عبادة الله والاقرار بالله (أم اتخذوا) أم عبدوا يعنى أهل مكة (آلهة من الارض) فى الارض (هم ينشرون) يحيون
... يخلقون (لو كان فيهما آلهة) يعنى فى السماء والارض اله (الا الله) غير الله (لفسدتا) لفسد أهلهما

تعاوقت عنه ﴿فسبحان الله رب العرش﴾ المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التدبير ومنشأ التقدير ﴿عما يصفون﴾ من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ﴿لا يسئل عما يفعل﴾ لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة لذاته ﴿وهم يسئلون﴾ لانهم مملوكون

تحريكه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أولا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الاعند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثانى وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما انه لو كان كل واحد منهما قادرا على مالا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لابد وأن يستويا فى القدرة واذا استويا فى القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثانى والالزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيها انه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذى وقع مراده يكون قادرا والذى لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال ولو فرضنا الهين كان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضى الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة فى مسئلة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضى الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا أو نقول لو قدرنا الهين فاما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفقا على الشئ الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما أن يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثانى والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما فى العالم العلوى والسفلى من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة فى القرآن واعلم ان كل من طعن فى دلالة التمانع فسر الآية بان المراد لو كان فى السماء والارض آلهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لاتقدر على تدبير العالم فلزم فساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حكى عنهم فى قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به * وأما قوله ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد ﴿لا يسئل عما يفعل﴾ أى لا يسئل الله عما يفعله ويقضيه فى خلقه ﴿وهم يسئلون﴾ أى والناس يسئلون عن أعمالهم والمعنى انه لا يسئل عما يحكم فى عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسئلون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم وا

ثم نزه ذاته فقال (فسبحن الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك (لا يسئل عما يفعل) لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقى لاستقبح ذلك وعد سفها فمن هو مالك الملوك ورب الارباب وفعله صواب كله أولى بان لا يعترض عليه (وهم يسئلون) لانهم مملوكون خطؤن فما أخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم فى كل شئ فعلوه وقيل وهم يسئلون يرجع الى المسيح والملائكة أى هم مسؤلون فكيف يكونون آلهة والالوهية تنافى الجنسيه والمسؤلية

(فسبحان الله رب العرش) السرير (عما يصفون) يقولون على الله من الولد والشريك (لا يسئل عما يفعل) لا يسئل الله عما يقول ويأمر ويفعل (وهم يسئلون) والعباد يسئلون عما يقولون ويعملون

ذوا من دونه آلهة) الاعادة لزيادة الافادة فالاول للانكار من حيث العقل والثانى من حيث النقل أى وصفتم الله تعالى بان يكون
ث فقيل لمحمد (قل هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك وذا عقلى وهو يأباه كامر أو نقلى وهو
الوحى وهو أيضا يأباه فانكم لاتجدون كتابا من الكتب السماوية الاوفيه توحيده وتنزيهه عن الانداد (هذا) أى القرآن (ذكر من معى) يعنى أمته (وذكر من قبلى) يعنى أمم الانبياء من قبلى وهو وارد فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه معى حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أكثرهم لايعلمون الحق) أى القرآن وهو نصب بيعلمون وقرئ الحق أى هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه) الا نوحى كوفى غير أبى بكر وحماد (انه لااله الأأنا فاعبدون) وحدونى فهذه الآية مقررة لماسبقها من آى التوحيد

ستعبدون والضمير للآلهة اوللعباد ﴿ام اتخذوا من دونه آلهة﴾ كرره استعظاما
غرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم اوضما لانكار مايكون لهم سندا
النقل الى انكار مايكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى
وهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية اووجدوا فى الكتب الآلهية الامر باشراكهم
ذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول مايدل على فساده عقلا وعلى الثانى
ل على فساده نقلا ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ على ذلك امامن العقل اومن النقل فانه
صح القول بمالا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا ﴿هذا
ر من معى وذكر من قبلى﴾ من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الاالامر
توحيد والنهى عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال
كتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معى امته ومن قبلى الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم
عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل
دو شبههما وبعدهما ﴿بل اكثرهم لايعلمون الحق﴾ ولايميزون بينه وبين الباطل وقرئ
ق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب ﴿فهم معرضون﴾
التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك ﴿وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى
انه لااله الا انا فاعبدون﴾ تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلى من حيث انه
لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص
زة والكسائى نوحى اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء

ق ليس فوقه أحد يقول له لشئ فعله لم فعلته ❁ قوله عز وجل ﴿أم اتخذوا من دونه
آة﴾ لما أبطل الله تعالى أن تكون آلهة سواه بقوله لوكان فيهما آلهة الاالله لفسدتا
أر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ
ل هاتوا برهانكم﴾ أى حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا ﴿هذا﴾ يعنى القرآن
ذكر من معى﴾ أى فيه خبر من معى على دينى ومن يتبعنى الى يوم القيمة بمالهم من
اب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿وذكر﴾ أى خبر ﴿من قبلى﴾ أى من
الامم السالفة وما فعل بهم فى الدنيا وما يفعل بهم فى الآخرة وقال ابن عباس ذكر من
القرآن وذكر من قبل التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة
والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا أو كان معه آلهة ﴿بل
أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون﴾ ❁ قوله عز وجل ﴿وما أرسلنا من قبلك
من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الاأنا فاعبدون﴾ أى فوحدونى وقيل لما توجهت
الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم
معرضون أى عن التأمل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لااله الا هو ❁ قوله تعالى

(أم اتخذوا) عبدوا (من دونه) من دون الله (آلهة) اصناما (قل) لهم يا محمد (هاتوا برهانكم) حجتكم بعبادتها (هذا) يعنى القرآن (ذكر من معى) خبر من هو معى (وذكر من قبلى) خبر من كان قبلى من المؤمنين والكافرين ليس فيه ان لله ولدا وشريكا (بل أكثرهم
لايعلمون الحق) ولايصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فهم معرضون) مكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
وما أرسلنا من قبلك) يا محمد (من رسول) مرسل (الا نوحى اليه انه) أى قل لقومك حتى يقولوا (لااله الا أنا فاعبدون) فوحدون

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر
عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا باولاد اذ العبودية تنافي الولادة (لا
بالقول) أي بقولهم فانيبت اللام مناب الاضافة والمعنى انهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله
(وهم بأمره يعملون) أي كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبني على أمره لا يعملون عملا لم يؤمروا به (يعلم ما ب
ومن خلفهم) أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم (ولا يشفعو
لمن الارتضى) أي لمن رضي الله عنه وقال لا اله الا الله (وهم من خشيته مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) من الملائكة (اني اله من دونه) من دون الله اني مدني وأبو عمرو (فذلك) مبتدأ أي فذلك القائل خبره (نجزيه جهنم) وهو جواب الشرط (كذلك نجزي الظالمين) الكافرين الذين وضعوا الالهية في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك قد تحقق الوعيد في ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾
تنزيه له عن ذلك ﴿ بل عباد ﴾ بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد ﴿ مكرمون ﴾
مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد ﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾ لا يقو
شيأ حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق
اليهم وجعل القول محله وأداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على
ما لم يقله وانيبت اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسب
بالضم من سابقته فسبقته أسبقه ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾ لا يعملون قط ما لم يأمرهم به ﴿ يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ﴾ لا تخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والـ
لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ﴿ ولا يشفعون الا لمن
ارتضى ﴾ ان يشفع له مهابة منه ﴿ وهم من خشيته ﴾ عظمته ومهابته ﴿ مشفقون ﴾
مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف
اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ﴿ ومن يقل منهم ﴾
من الملائكة او من الخلائق ﴿ اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ﴾ يريد به نفي ا
وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية ﴿ كذلك نجزي
الظالمين ﴾ من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾
نفسه عما قالوا ﴿ بل عباد ﴾ أي هم عباد يعني الملائكة ﴿ مكرمون ﴾ أي أكرمهم الله واصط
﴿ لا يسبقون ﴾ أي لا يتقدمونه ﴿ بالقول ﴾ أي لا يتكلمون الا بما يأمرهم به ﴿ وهم بأ
يعملون ﴾ المعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي ما عملوا و
عاملون وقيل قوما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ﴿ ولا يشفعون الا لمن ارتضى ﴾
عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضي الله تعالى عنه ﴿ وهم من خشيته مشفقون ﴾
خائفون وجلون لا يأمنون مكره ﴿ ومن يقل منهم اني اله من دونه ﴾ قيل عنى به ابليس
دعا الى عبادة نفسه فان أحدا من الملائكة لم يقل اني اله من دون الله ﴿ فذلك نجزيه جهنم كذ
نجزي الظالمين ﴾ أي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها ✻ قوله عز وجل

(وقالوا) يعني أهل مكة (اتخذ الرحمن ولدا) بنات من الملائكة (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (بل عباد مكرمون)
بل هم عبيد أكرمهم الله بالطاعة يعني الملائكة (لا يسبقونه) لا يسبق جبريل عن ميكائيل قبل أن يأمره (أو
(بالقول) ولا بالفعل (وهم) يعني الملائكة (بأمره يعملون) ويقومون يعني الملائكة (يعلم ما بين أيديهم) من أمر
(وما خلفهم) من أمر الدنيا (ولا يشفعون) يعني الملائكة يوم القيامة (الا لمن ارتضى) الا لمن رضي الله عنه
التوحيد بتوحيده (وهم) يعني الملائكة (من خشيته) من هيبته (مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) يعني من الملائكة
من الخلق (اني اله من دونه) من دون الله (فذلك نجزيه جهنم) فبذلك نجزيه جهنم (كذلك) هكذا (نجزي الظالمين) ا

(أولم ير الذين كفروا) ألم يرمكي (ان السموات والارض كانتا) أي جماعة السموات وجماعة الارض فلذا لم يقل كن (رتقا) بمعنى المفعول أي كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صلح ان يقع موقع مرتوقتين (ففتقناهما) فشققناهما والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء وتباينهما جائزان في العقل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لابد له من مخصص وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لافضاء بينهما ففتقناهما أي فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حي) أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل (أفلا يؤمنون) يصدقون بما يشاهدون (وجعلنا في الارض رواسي) جبالا

﴿أولم ير الذين كفروا﴾ أولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ﴿ان السموات والارض كانتا رتقا﴾ ذاتي رتق أو مرتوقتين وهو الضم والالتحام أي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ﴿ففتقناهما﴾ بالتنويع والتمييز أو كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق أو السموات بأسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء أو بوسط أو استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا أي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حي﴾ وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من أعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه أو صيرنا كل شئ حي بسبب من الماء لا يحيي دونه وقرئ حيا على انه صفة كل أو مفعول ثان والظرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان ﴿افلا يؤمنون﴾ مع ظهور الآيات ﴿وجعلنا في الارض رواسي﴾

﴿أولم ير الذين كفروا﴾ أي ألم يعلم الذين كفروا ﴿ان السموات والارض كانتا رتقا﴾ قال ابن عباس كانتا شيأ واحدا ملتزقتين ﴿ففتقناهما﴾ أي فصلنا بينهما بالهواء وقال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السموات رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حي﴾ أي وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شئ من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة كل شئ وقال المفسرون معناه ان كل شئ حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعني ان أكثر ما على وجه الارض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء ﴿أفلا يؤمنون﴾ أي أفلا يصدقون ﴿وجعلنا في الارض رواسي﴾

(أولم ير) يعلم (الذين كفروا) جحدوا بمحمد عليه السلام والقرآن (أن السموات والارض كانتا رتقا) لم تنزل منها قطرة من مطر ولم ينبت على الارض شئ من النبات ملتزقا بعضها على بعض (ففتقناهما) ففرقناهما وأبنا بعضهما عن بعض بالمطر والنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حي) خلقنا من ماء الذكر والانثى كل شئ يحتاج الى الماء (أفلا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعني أهل مكة (وجعلنا في الارض رواسي) الجبال

ثوابت من رسا اذا ثبت (ان تميد بهم) لئلا تضطرب بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذا في لئلا يعلم أهل الكتاب (وجعلنا فيها فجاجا) أى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال . (سبلا) متقدمة فان قلت أى فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت الاول للاعلام بانه جعل فيها طرق واسعة والثانى لبيان انه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم (لعلهم يهتدون) ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة

السماء سقفا محفوظا) فى موضع

عن السقوط كما قال ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه أو محفوظ بالشهب عن الشياطين كما قال وحفظناه من كل شيطان رجيم (وهم) أى الكفار (عن آياتها) عن الادلة التى فيها كالشمس والقمر والنجوم (معرضون) غير متفكرين فيها لا يؤمنون (وهو الذى خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتصرفوا فيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) ليكون سراج الليل (كل) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه أى كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فى فلك) عن ابن عباس رضى الله عنهما الفلك السماء والجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء تجرى فيه

ثابتات من رسا الشئ اذا ثبت ﴿ ان تميد بهم ﴾ كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالباس ﴿ وجعلنا فيها ﴾ فى الارض او الرواسى ﴿ فجاجا سبلا ﴾ مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك اوليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ الى مصالحهم ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ من الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب ﴿ وهم عن آياتها ﴾ عن احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته التى يحس ببعضها ويبحث عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة ﴿ معرضون ﴾ غير متفكرين ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ بيان لبعض تلك الآيات ﴿ كل فى فلك ﴾ اى كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة ﴿ يسبحون ﴾ يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز

أى جبالا ثوابت ﴿ أن تميد بهم ﴾ أى لئلا تميد بهم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة فى الماء فارساها الله وأثبتها بالجبال ﴿ وجعلنا فيها ﴾ أى فى الرواسى ﴿ فجاجا ﴾ أى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين ﴿ سبلا ﴾ هو تفسير الفجاج ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ أى الى مقاصدهم ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ أى من ان يسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب ﴿ وهم ﴾ يعنى الكفار ﴿ عن آياتها معرضون ﴾ أى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها فى افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون ﴾ أى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجرى والفلك مدار النجوم الذى يضمها وهو فى كلام العرب كل شئ مستدير وجمعه أفلاك وقيل الفلك

الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدأ خبره (يسبحون) يسيرون أى يدورون والجملة فى محل النصب على الحال { طاحونة }

الثوابت أوتادا لها (أن تميد بهم) كى لا تميد بهم الارض (وجعلنا فيها) فى الارض (فجاجا) أودية (سبلا) طرقا واسعة (لعلهم يهتدون) لكى يهتدوا الى الطرق فى الذهاب والمجئ (وجعلنا السماء سقفا) على الارض (محفوظا) من السقوط ويقال محفوظا بالنجوم من الشياطين (وهم) يعنى أهل مكة (عن آياتها) عن شمسها وقمرها ونجومها (معرضون) مكذبون لا يتفكرون فيها (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر) سخر الشمس والقمر (كل) كل واحد منهما (فى فلك يسبحون) فى دوران يدورون فى مجراه يذهبون

ان الشمس والقمر (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد) البقاء الدائم (أفان مت) بكسر الميم مدنى وكوفى غير أبى بكر (فهم الخالدون) والفاء الاول لعطف جملة على جملة والثانى لجزاء الشرط كانوا يقدرون انه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا أى قضى الله ان لايخلد فى الدنيا بشرا فان مت أنت أيبقى هؤلاء (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم) ونختبركم سمى ابتلاء وان كان عالما بماسيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لانه فى صورة الاختبار (بالشر) بالفقر والضر (والخير) الغنى والنفع (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم على حسب مايوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) مايتخذونك (الاهزوا) مفعول ثان ليتخذونك نزلت فى أبى جهل مربه النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبدمناف (أهذا الذى يذكر) يعيب (آلهتكم) والذكر يكون بخير وبخلافه فان كان

انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع اى جعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم ﴿ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون ﴾ نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفى معناه قوله

فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء لتعلق الشرط بماقبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ماانكره ﴿ ونبلوكم ﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿ بالشر والخير ﴾ بالبلايا والنعم ﴿ فتنة ﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه ﴿ والينا ترجعون ﴾ فنجازيكم حسب مايوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لماسبق ﴿ واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك ﴾ ومايتخذونك ﴿ الاهزوا ﴾ الامهزوابه ويقولون ﴿ أهذا الذى يذكر الهتكم ﴾ اى بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لايكون الا بسوء

طاحونة كهيئة فلك المغزل يريدان الذى تجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لاثقيلة ولاخفيفة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول والحق انه لاسبيل الى معرفة صفة السموات الا باخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر خلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية * قوله عزوجل ﴿ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ يعنى الدوام والبقاء فى الدنيا ﴿ أفان مت فهم الخالدون ﴾ نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون نشمت بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لايخلد فى الدنيا بشرا لاأنت ولاهم فان مت أنت أفيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم مافى نفسى ولاأعلم مافى نفسك فان الله تعالى حى يموت ولايجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت والآلام العظيمة قبل حلوله ﴿ ونبلوكم ﴾ أى نختبركم ﴿ بالشر والخير ﴾ أى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بماتحبون وماتكرهون ﴿ فتنة ﴾ أى ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون ﴿ والينا ترجعون ﴾ أى للحساب والجزاء * قوله عزوجل ﴿ واذا رآك الذين كفروا ان ﴾ أى ما ﴿ يتخذونك الاهزوا ﴾ أى سخريا قيل نزلت فى أبى جهل مربه النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبدمناف ﴿ أهذا الذى يذكر آلهتكم ﴾ أى يقول بعضهم لبعض هذا

(وماجعلنا)ماخلقنا(لبشر) من الانبياء(من قبلك الخلد) فى الدنيا(أفان مت) يامحمد (فهم الخالدون) فى الدنيا نزلت هذه الآية فى قولهم ننتظر محمدا عليه السلام حتى يموت فنستريح (كل نفس)منفوسة (ذائقة الموت)تذوق الموت (ونبلوكم)نختبركم (بالشر والخير)بالشدة والرخاء (فتنة) كلاهما ابتلاء من الله(والينا ترجعون) بعد الموت فيجزيكم باعمالكم(واذا رآك) يامحمد(الذين كفروا) أبوجهل وأصحابه(ان يتخذونك)يامحمد يقولون لك (الاهزوا) سخرية يقول بعضهم لبعض(اهذا الذى يذكر) يعيب (آلهتكم

الذاكر صديقاً فهو ثناء وان كان عدواً فذم (وهم بذكر الرحمن) أي بذكر الله ومايجب ان يذكر به من الوحدانية (هم كافرون) لايصدقون به أصلا فهم أحق ان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن أي بما أنزل عليك من القرآن هم كافرون جاحدون والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله تعالى وكرر هم تأكيدا أولان الصلة حالت بينه وبين الخبر فاعيد المبتدأ (خلق الانسان من عجل) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر بن الحرث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة مصدر وهو تقديم الشئ على وقته والظاهر أن المراد الجنس وانه ركب فيه العجلة فكأنه خلق من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم منعه وزجره كأنه قال ليس ببدع منه أن يستعجل فانه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم ٭ النخل ينبت بين الماء والعجل ٭ وانما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لانه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن عجل حال أي عجلا (سأريكم آياتي) نقماتي (فلاتستعجلون) بالاتيان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش في الوصل (ويقولون متى هذا الوعد) اتيان العذاب أو (سبل) القيامة (ان كنتم صادقين) قيل هو أحد وجهي

﴿ وهم بذكر الرحمن ﴾ بالتوحيداو بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم أوبالقرآن ﴿ هم كافرون ﴾ منكرون فهم احق ان يهزأبهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر ﴿ خلق الانسان من عجل ﴾ كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ماطبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب ﴿ سأريكم آياتي ﴾ نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار ﴿ فلاتستعجلون ﴾ بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ وقت وعد العذاب او القيامة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنون النبي عليه الصلاة

الذي يعيب آلهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة ﴿ وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴾ وذلك انهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن الارحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب ٭ قوله تعالى ﴿ خلق الانسان من عجل ﴾ قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شئ في آخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيي الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطوارا طوارا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل اى من طين قال الشاعر ٭ والنخل ينبت بين الماء والعجل ٭ أي بين الماء والطين وقيل أراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله ﴿ سأريكم آياتي فلاتستعجلون ﴾ وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحرث ومعنى سأريكم آياتي أي مواعيدي فلاتطلبوا العذاب قبل وقته فراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى ﴿ ويقولون ﴾ يعني المشركين ﴿ متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على

وهم بذكر الرحمن هم كافرون) جاحدون يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب (خلق الانسان) يعني آدم (من عجل) مستعجلا ويقال خلق الانسان يعني النضر بن الحرث من عجل مستعجلا بالعذاب (سأريكم آياتي) علامات وحدانيتي في الآفاق ويقال سأريكم آياتي عذابي بالسيف يوم بدر (فلا تستعجلون) بالعذاب قبل الاجل (ويقولون) يعني كفار مكة (متى هذا الوعد) الذي تعدنا يا محمد (ان كنتم صادقين

بحالهم (لويعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون) جواب لو محذوف
وحين مفعول به ليعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام
فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولايجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء
والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذى هونه عندهم (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجاءة (فتبهتهم) فتحيرهم أى لايكفونها بل تفجأهم
فتبهتهم (فلايستطيعون ردها) دفعها (ولاهم ينظرون)
يمهلون (واقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) فحل ونزل (بالذين سخروا منهم) جزاء (ما كانوا به يستهزؤن) سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له فى الانبياء اسوة وان مايفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء مافعلوا (قل من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أى من عذابه ان أتاكم ليلا

والسلام واصحابه رضى الله عنهم ﴿ لويعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوهم النار
ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون ﴾ محذوف الجواب وحين مفعول ليعلم اى لو يعلمون
الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل
جانب بحيث لايقدرون على دفعها ولايجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك
مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لوكان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما عليهم حين
لايكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك ﴿ بل تأتيهم ﴾
العدة او النار او الساعة ﴿ بغتة ﴾ فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين ﴿ فتبهتهم ﴾
فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا فى قوله
﴿ فلايستطيعون ردها ﴾ لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز
ان يكون للنار او للبغتة ﴿ ولاهم ينظرون ﴾ يمهلون وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيا
﴿ واقد استهزئ برسل من قبلك ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ وعدله بان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبياء مافعلوا يعنى جزاءه ﴿ قل ﴾ يا محمد للمستهزئين ﴿ من يكلؤكم ﴾ يحفظكم
﴿ بالليل والنهار من الرحمن ﴾ من بأسه ان اراد بكم وفى لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ

سبيل الاستهزاء فبين تعالى أنهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهؤلاء المستهزئين
فقال تعالى ﴿ لويعلم الذين كفروا حين لايكفون ﴾ أى لايدفعون ﴿ عن وجوههم النار ولا
عن ظهورهم ﴾ قيل السياط ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ أى لايمنعون من العذاب والمعنى لو علموا
لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
﴿ بل تأتيهم ﴾ يعنى الساعة ﴿ بغتة ﴾ أى فجأة ﴿ فتبهتهم ﴾ أى تحيرهم ﴿ فلايستطيعون
ردها ﴾ أى صرفها ودفعها عنهم ﴿ ولاهم ينظرون ﴾ أى لايمهلون للتوبة والمعذرة
﴿ واقد استهزئ برسل من قبلك ﴾ أى يا محمد كما استهزأ بك قومك ﴿ فحاق ﴾ أى نزل
أحاط ﴿ بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ أى عقوبة استهزائهم وفيه تسلية
للنبى صلى الله عليه وسلم أى فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم * قوله تعالى ﴿ قل
من يكلؤكم ﴾ أى يحفظكم ﴿ بالليل ﴾ اذا نمتم ﴿ والنهار ﴾ اذا انصرفتم فى معايشكم
﴿ من الرحمن ﴾ قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن

لويعلم الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مالهم فى العذاب لم يستعجلوا به (حين لايكفون) يقول حين العذاب لايقدرون ان يمنعوا (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) العذاب (ولاهم ينصرون) يمنعون مما يراد بهم من العذاب (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجأة (فتبهتهم) فتفجؤهم (فلايستطيعون ردها)

دفعها عن أنفسهم (ولاهم ينظرون) (قا و خا ٣٢ بع) يؤجلون من العذاب (واقد استهزئ برسل من قبلك) يقول
استهزأ بهم قومهم كما استهزأ بك قومك يا محمد (فحاق) فوجب ودار ونزل (بالذين سخروا منهم) على الانبياء (ما كانوا به يستهزؤن)
من العذاب ويقال نزل بهم العذاب باستهزائهم (قل) يا محمد لاهل مكة (من يكلؤكم) من يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن)
من عذاب

أونهارا (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أى بل هم معرضون عن ذكره ولايخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى
اذارزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمعنى انه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم
لايصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما فى أم من
معنى بل فقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تجوز منعنا وحفظنا ثم استأنف بقوله (لايستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون)
فبين ان ماليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا مصحوب من الله بالنصر
والتأييد كيف يمنع غيره
وينصره ثم قال (بل
متعنا هؤلاء وآباءهم
حتى طال عليهم العمر)
أى ماهم فيه من الحفظ
والكلاءة انما هو منا لامن
مانع يمنعهم من اهلاكنا
وما كلأناهم وآباءهم الماضين
الالتمتيعالهم بالحياة الدنيا
وامهالا كما متعنا غيرهم
من الكفار وأمهلناهم حتى
طال عليهم الامد فقست
قلوبهم وظنوا انهم دائمون
على ذلك وهو أمل كاذب
(أفلا يرون أنا نأتى الارض
ننقصها من أطرافها) أى
ننقص أرض الكفر ونحذف
أطرافها بتسليط المسلمين
عليها واظهارهم على أهلها
وردها دار اسلام وذكر
نأتى يشير بان الله يجريه على
أيدى المسلمين وان عساكرهم
كانت تغزو أرض المشركين
تأتيها غالبة عليها ناقصة

غير رحمته المعنة ون ندوعه بهد ﴿ بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ لايخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ﴾ بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تجاوز منعنا ومن عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه من المعرض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد ﴿ لايستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون ﴾ استئناف بابطال ما اعتقدوه فان من لايقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره ﴿ بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ﴾ اضراب عما توهموا ببيان ماهو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لايزالوا كذلك وانه بسبب ماهم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال ﴿ افلا يرون انا نأتى الارض ﴾ ارض الكفرة ﴿ ننقصها من اطرافها ﴾

﴿ بل هم عن ذكر ربهم ﴾ أى عن القرآن ومواعظه ﴿ معرضون ﴾ أى لايتأملون فى شئ منها ﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ﴾ معناه ألهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال ﴿ لايستطيعون نصر أنفسهم ﴾ أى لايقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم ﴿ ولاهم منا يصحبون ﴾ قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لايصحبون من الله بخير ﴿ بل متعنا هؤلاء ﴾ يعنى الكفار ﴿ وآباءهم ﴾ أى فى الدنيا بان أنعمنا عليهم وأمهلناهم ﴿ حتى طال عليهم العمر ﴾ أى امتد بهم الزمان فاغتروا ﴿ أفلا يرون ﴾ يعنى هؤلاء المشركين ﴿ انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها ﴾ يعنى ننقص من أطراف المشركين ونزيد فى أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك أرضا فارضا وقرية فقرية والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا فى اتيان الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها فى ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المتنعمين بالدنيا أما كان لهم عبرة فى ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لايقدرون على الامتناع منا

الرحمن ويقال غير الرحمن من عذابه (بل هم عن ذكر ربهم) عن توحيد ربهم وكتاب ربهم (معرضون) (ومن)
مكذبون به تاركون له (أم لهم آلهة) ألهم آلهة (تمنعهم من دوننا) من عذابنا (لايستطيعون نصر أنفسهم) صرف العذاب
عن أنفسهم يعنى الالهة فكيف عن غيرهم (ولاهم منا يصحبون) من عذابنا يجارون فكيف يجيرون غيرهم (بل متعنا) أجلنا
(هؤلاء) يعنى أهل مكة (وآباءهم) قبلهم (حتى طال عليهم العمر) الاجل (أفلا يرون) اهل مكة (أنا نأتى الارض) نأخذ الارض
(ننقصها) نفتحها لمحمد (من أطرافها) من نواحيها

ن أطرافها (أفهم الغالبون) أو كفار مكة يغلبون بعد ان نقصنا من أطراف أرضهم أى ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله
لى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرنا (قل انما أنذركم الوحى) أخوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء)
فتح الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شامى على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم (اذا ما ينذرون) يخوفون واللام
ى الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على
تصامهم وسدهم أسماعهم اذا ما أنذروا (ولئن مستهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب
ربك) صفة لنفحة (ليقولن
ياويلنا انا كنا ظالمين) أى
ولئن مسهم من هذا الذى
ينذرون به أدنى شئ لذلوا
ودعوا بالويل على أنفسهم
وأقروا أنهم ظلموا أنفسهم
حين تصاموا وأعرضوا
وقد بالغ حيث ذكر المس
والنفحة لان النفح يدل على
القلة يقال نفحه بعطية
رضخه بها مع ان بناءه للمرة
وفى المس والنفحة ثلاث
مبالغات لان النفح فى معنى القلة
والنزارة يقال نفحته الدابة
وهو رمح لين ونفحه بعطية
رضخه والبناء للمرة (ونضع
الموازين) جمع ميزان وهو
ما يوزن به الشئ فتعرف
كميته وعن الحسن هو ميزان
له كفتان ولسان وانما جمع
الموازين لتعظيم شأنها كما
فى قوله يا أيها الرسل والوزن
لصحائف الاعمال فى قول
(القسط) وصفت الموازين
بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها فى نفسها قسط أو على حذف المضاف أى ذوات القسط (ليوم القيامة) لاهل

بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدى المسلمين ﴿ فهم الغالبون ﴾
رسول الله والمؤمنين ﴿ قل انما انذركم بالوحى ﴾ بما اوحى الى ﴿ ولا يسمع الصم الدعاء ﴾
وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على
ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم
بما يسمعون ﴿ اذا ما ينذرون ﴾ منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام فى الانذار
او للمبالغة فى تصامهم وتجاسرهم ﴿ ولئن مستهم نفحة ﴾ ادنى شئ وفيه مبالغات ذكر
المس وما فى النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على
المرة ﴿ من عذاب ربك ﴾ من الذى ينذرون به ﴿ ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ﴾
لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ العدل
توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء
على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ﴿ ليوم القيامة ﴾

ومن ارادتنا فيهم ثم قال ﴿ أفهم الغالبون ﴾ استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن
الغالبون وهم المغلوبون ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ انما أنذركم بالوحى ﴾ أى أخوفكم بالقرآن
﴿ ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ﴾ أى يخوفون ﴿ ولئن مستهم ﴾ أى أصابتهم
﴿ نفحة من عذاب ربك ﴾ قال ابن عباس طرف وقيل شئ قليل ﴿ ليقولن ياويلنا
انا كنا ظالمين ﴾ دعوا على أنفسهم بالويل بعد ما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك
* قوله عز وجل ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ أى ذوات العدل وصفها بذلك لان بذلك
لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجرى على حد العدل
ومعنى وضعها احضارها ﴿ ليوم القيمة ﴾ اى لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان
العدل والقسط بينهم فى الاعمال فمن أحاطت حسناته بسيآته فاز ونجا وبالعكس ذل
وخسر والصحيح الذى عليه أئمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية
ويزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الاقوال أنه
ميزان واحد وانما جمع لاعتبار تعدد الاعمال الموزونة به وروى أن داود عليه
الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق

أفهم الغالبون) أفهم الآن غالبون على محمد صلى الله عليه وسلم (قل) لهم يا محمد (انما أنذركم بالوحى) بما نزل من القرآن (ولا يسمع
لصم الدعاء) من يتصامم عن الدعاء الى الله ويقال لا تقدر ان تسمع الدعاء من يتصامم ان قرأت بضم التاء (اذا ما ينذرون)
خوفون (ولئن مستهم) أصابتهم (نفحة) طرف (من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) على أنفسنا كافرين بالله
ونضع الموازين القسط) العدل (ليوم القيامة) فى يوم القيامة ميزان لها كفتان ولسان لا يوزن فيها غير

لجزاء يوم القيامة اولاهله اوفيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر ﴿فلا تظلم نفس شيئا﴾ من حقها او من الظلم ﴿وان كان مثقال حبة من خردل﴾ اى وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة ﴿أتينا بها﴾ احضرناها وقرى آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحب ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ اذلامزيد على علمنا وعدلنا

والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال الهى من الذى يقدران يملأ كفته حسنات قال ياداود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة فعلى هذا فى كيفية وزن الاعمال مع أنها اعراض طريقان أحدهما ان توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات فى كفة وصحائف السيآت فى كفة والثانى أن يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيآت جواهر سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله ولانقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه فى حق الكفار لانهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر * وقوله تعالى ﴿فلا تظلم نفس شيأ﴾ اى لاتبخس مالها وماعليها من خير وشر شيأ ﴿وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها﴾ معناه أنه لاينقص من احسان محسن ولايزاد فى اساءة مسئ وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتينا بها أى أحضرناها لنجازى بها عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشرله تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لايارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضروزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لاتظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولايثقل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذى السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لانه يجمع أحكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل فى طى الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت فى الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هى التى توزن لاأن الاعمال تجسد جواهر فتوزن والله أعلم * قوله تعالى ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيأ فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان الحاسب اذا كان فى العلم بحيث لايمكن ان يشتبه عليه شئ وفى القدرة بحيث لايعجز عن شئ فحقيق بالعاقل أن يكون بأشد الخوف منه ويروى عن الشبلى انه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال

حاسبونا فدققوا ۞ ثم منوا فأعتقوا
هكذا سمة الملوك ۞ بالمماليك يرفقوا

يوم القيامة أى لاجلهم (فلا تظلم نفس شيأ) من الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشئ مثقال حبة مثقال بالرفع مدنى وكذا فى لقمان على كان التامة (من خردل) صفة لحبة (أتينا بها) أحضرناها وأنث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه (وكفى بنا حاسبين) عالمين حافظين عن ابن عباس رضى الله عنهما لان من حفظ شيأ حسبه وعلمه

الحسنات والسيئات (فلا تظلم نفس شيأ) لاينقص من حسنات أحد ولايزاد على سيئات أحد (وان كان مثقال حبة من خردل) وزن حبة من خردل (أتينا بها) جئنا بها ويقال جزينا بها (وكفى بنا حاسبين) حافظين وعالمين ويقال مجازين

(ود آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) قيل هذه الثلاثة هى التوراة فهى فرقان بين الحق والباطل و[...]يستضاءبه ويتوصل به الى سبيل النجاة وذكر أى شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر مايحتاج الناس اليه فى مصالح دينهم و[د]لت الواو على الصفات كما فى قوله و سيدا وحصورا ونبيا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما [...] بذلك المتقون خصهم بقوله (للمتقين) ومحل (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (يخشون ربهم) [...]نه (بالغيب) حال أى يخافونه فى الخلاء (وهم من الساعة) القيمة وأهوالها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكر مبارك) كثير الخير غزير النفع (أنزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ أى جاحدون انه منزل من عند الله (ولقد آتينا ابراهيم رشده) هداه (من قبل) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام (وكنابه) بابراهيم أو برشده (عالمين) أى علمنا انه أهل لما آتيناه (اذ) اما أن تتعلق بآتينا أو برشده (قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل) أى الاصنام المصورة

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين﴾ اى الكتاب الجامع لكونه [فر]قا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون [أو] ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو [عل]ى انه حال من الفرقان ﴿الذين يخشون ربهم﴾ صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع ﴿بالغيب﴾ حال من الفاعل او المفعول ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون وفى تصدير [ال]ضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض ﴿وهذا ذكر﴾ يعنى القرآن ﴿مبارك﴾ كثير خيره ﴿انزلناه﴾ على محمد عليه الصلاة والسلام ﴿افانتم له منكرون﴾ استفهام توبيخ ﴿ولقد آتينا [اب]راهيم رشده﴾ الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ [ر]شده وهو لغة ﴿من قبل﴾ من قبل موسى وهرون أو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل من قبل [اس]تنبائه او بلوغه حين قال انى وجهت ﴿وكنابه عالمين﴾ علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن [الا]وصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم [با]لجزئيات ﴿اذ قال لابيه وقومه﴾ متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر [م]ن اوقات رشده وقت قوله ﴿ماهذه التماثيل﴾

[...] قوله عز وجل ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان﴾ يعنى الكتاب المفرق بين [ال]حق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون ﴿وضياء﴾ [يعن]ى التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة فى وضياء والمعنى آتينا [مو]سى التوراة ضياء ﴿وذكرا للمتقين﴾ يعنى يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها [...] ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أى يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه فى الخلوات اذا [غا]بوا عن أعين الناس ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ أى خائفون ﴿وهذا ذكر مبارك [أن]زلناه﴾ أى كما آتينا موسى التوراة فكذلك أنزلنا القرآن ذكرا مباركا أى هو ذكر [لم]ن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير ﴿أفأنتم﴾ يا أهل مكة ﴿له منكرون﴾ [أ]ى جاحدون ❊ قوله تعالى ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده﴾ أى صلاحه وهداه ﴿من [قب]ل﴾ أى من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير ﴿وكنابه عالمين﴾ أى انه من أهل الهداية والنبوة ﴿اذ قال لابيه وقومه ماهذا التماثيل

(ولقد آتينا) أعطينا (موسى وهرون الفرقان) المخرج من الشبهات ويقال النصرة والدولة على فرعون (وضياء) بيانا من الضلالة (وذكرا) عظة (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش [الذ]ين يخشون ربهم) يعملون لربهم (بالغيب) وان كان غائبا عنهم (وهم من الساعة) من عذاب الساعة (مشفقون) خائفون (وهذا) [القر]آن (ذكر مبارك) فيه الرحمة والمغفرة لمن آمن به (أنزلناه) أنزلنا جبريل به (أفأنتم) يا أهل مكة (له منكرون) جاحدون [ولق]د آتينا) أعطينا (ابراهيم رشده) يعنى العلم والفهم (من قبل) من قبل بلوغه ويقال أكرمناه بالنبوة من قبل موسى [وه]رون ويقال من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (وكنابه عالمين) بانه أهل لذلك (اذ قال لابيه) آزر (وقومه) نمروذ بن [كنع]ان وأصحابه (ماهذه التماثيل)

على صورة السباع والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم ليحتقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها (التى أنتم لها عاكفون) أى لاجل عبا
مقيمون فلما عجزوا عن الاتيان بالدليل على ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم (قال) ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآ
ضلال مبين) أى دان المقلدين والمقلدين منخرطون فى سلك ضلال ظاهر لا

التى انتم لها عاكفون ﴾ تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لاروح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها ﴿ قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين ﴾ منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة انه على حق ﴿ قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ﴾ كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبالجد تقوله ام تلعب به ﴿ قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن ﴾ اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم ﴿ وانا على ذلكم ﴾ المذكور من التوحيد ﴿ من الشاهدين ﴾ من المحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه ﴿ وتالله ﴾ وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب ﴿ لاكيدن اصنامكم ﴾ لاجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل ﴿ بعد ان تولوا ﴾ عنها ﴿ مدبرين ﴾ الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا

يعنى الصور والاصنام ﴿ التى أنتم لها عاكفون ﴾ أى مقيمون على عبادتها ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ فاقتدينا بهم ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ﴾ أى فى خطأ بين بعبادتكم اياها ﴿ قالوا اجئتنا بالحق ﴾ أى بالصدق ﴿ أم أنت من اللاعبين ﴾ يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب ﴿ قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن ﴾ أى خلقهن ﴿ وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾ أى على انه الاله الذى يستحق العبادة وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم ﴾ أى لامكرن بها ﴿ بعد ان تولوا مدبرين ﴾ أى منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا فى نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم فى كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه الى الارض وقال انى سقيم اشتكى رجلى فتركوه ومضوا ونادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهن فى بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم أصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه وهكذا الى باب البهو واذاهم قد جعلوا طعاما بين يدى الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الآلهة على طعامنا أكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى اذا لم يبق الا الصنم

على العمل وأكد بانتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع (قالوا اجئتنا بالحق) بالجد (أم أنت من اللاعبين) أى أجاد أنت فيما تقول أم لاعب استعظاما منهم انكاره عليهم واستبعادا لان يكون ما هم عليه ضلالا ثم أضرب عنهم مخبرا بانه جاد فيما قال غير لاعب مثبتا لربوبية الملك العلام وحدوث الاصنام بقوله (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) أى التماثيل فانى يعبد المخلوق ويترك الخالق (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين وتالله) أصله والله وفى التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطنة نمرود (لأكيدن أصنامكم) لاكسرنها (بعد ان تولوا مدبرين) بعد ذهابكم عنها الى عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله انى سقيم أى سأسقم ليتخلف فرجع الى بيت

التصاوير (التى أنتم لها عاكفون) عابدون لها

(قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فنحن نعبدهم (قال) لهم ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم) قبلكم (فى ضلال مبين) فى خطأ العظ
كفر وخطأ بين (قالوا) لابراهيم (أجئتنا بالحق) بجد تقول يا ابراهيم (أم أنت من اللاعبين) من المستهزئين بنا (قال) ابراهيم (بل ربكم
رب السموات والارض الذى فطرهن) خلقهن (وأنا على ذلكم) على ما قلت لكم (من الشاهدين وتالله) والله قال
(لاكيدن) لاكسرن (أصنامكم بعد ان تولوا) تنطلقوا (مدبرين) ذاهبين الى العيد فلما ذهبوا الى عيدهم وتركوا ابراهيم فى مدينتهم

..(فجعلهم جذاذا) قطعا من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر على جمع جديد أي مجذوذة
..وخفاف (الا كبيرا لهم) للاصنام أو للكفار أي فكسرها كلها بفأس في يده الا كبيرها فعلق الفأس في عنقه (لعلهم
..) الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه أو الى ابراهيم ليحتج عليهم أي الى الله لما رأوا عجز آلهتهم
..الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين)

أي ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) الجملتان صفتان لفتى الأن الاول وهو يذكرهم أي يعيبهم لابد منه للسمع لانك لاتقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع بخلاف الثاني وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال فالمراد الاسم لا المسمى اى الذى يقال له هذا الاسم (قالوا) اى نمرود واشراف قومه (فأتوا به) احضروا ابراهيم (على اعين الناس) في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اى بمرأى منهم ومنظر (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه او بما فعله كانهم كرهوا عقابه بلا بينة او يحضرون عقوبتنا له فلما احضروه (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم

..﴿فجعلهم جذاذا﴾ قطعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى ..بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا ..جذة ﴿الا كبيرا لهم﴾ للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه ﴿لعلهم ..يرجعون﴾ لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة ..آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن ..كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اى يرجعون ..الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم ﴿قالوا﴾ حين رجعوا ﴿من فعل هذا بآلهتنا ..انه لمن الظالمين﴾ بجراءته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط ..نفسه للهلاك ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولى سمع ..او صفة لفتى مصحح لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه ﴿يقال له ابراهيم﴾ ..ابراهيم ويجوز ان يرفع بالفعل لان المراد به الاسم ﴿قالوا فأتوا به على اعين الناس﴾ ..اى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب ﴿لعلهم يشهدون﴾ ..بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم﴾ حين

..ابراهيم علق الفأس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى ﴿فجعلهم جذاذا﴾ ..كسرا او قطعا ﴿الا كبيرا لهم﴾ أي تركه ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه ثم خرج ..وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها ..من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب ..مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان ﴿وقوله لعلهم اليه يرجعون﴾ قيل معناه يرجعون ..الى ابراهيم والى دينه وما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم ..يرجعون الى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس في عنقك فلما رجع ..القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم رأوا أصنامهم مكسرة ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه ..لمن الظالمين﴾ أي في تكسيرها واجترائه عليها ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ أي يسبهم ..ويعيبهم ﴿يقال له ابراهيم﴾ أي هو الذي نظن أنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار ..واشراف قومه ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس﴾ أي جيؤا به ظاهرا بمرأى من الناس ..حتى .. قاله نمرود ﴿لعلهم يشهدون﴾ أي عليه بانه الذى فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير ..بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به ﴿قالوا﴾ له ﴿أأنت ..فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم

بيت وثنهم (فجعلهم جذاذا) كسرا (الا كبيرا لهم) لم يكسره (لعلهم اليه يرجعون) من عيدهم فيعتل به فلما رجعوا

..وا وثنهم ودخلوا بيت وثنهم (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) على آلهتنا (قالوا سمعنا) قال رجل منهم سمعت ..فتى يذكرهم) بالكسر ويعيبهم (يقال له ابراهيم قالوا) قال لهم نمرود (فأتوا به على أعين الناس) بمنظر الناس (لعلهم يشهدون) ..على له وبقال على قوله ويقال على عقوبته (قالوا) قال له نمرود (أأنت فعلت هذا) الكسر (بآلهتنا يا ابراهيم

قال) ابراهيم (بل فعله) عن الكسائي انه يقف عليه أي فعله من فعله وفيه حذف الفاعل وانه لايجوز وجاز أن يكون ا[لفعل]
مسندا الى الفتى المذكور في قوله سمعنا فتى يذكرهم أو الى ابراهيم في قوله ياابرهيم ثم قال (كبيرهم هذا) وهو مبتدأ خبر
والاكثر انه لاوقف والفاعل كبيرهم وهذا وصف أو بدل ونسب الفعل الى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه واثبا[ته]
على أسلوب تعريضي تبكيتا لهم والزاما للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا

عجز كبيرهم وانه لايصلح الها وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق أنيق أنت كتبت هذا وصاحبك أمي فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لانفيه عنك واثباته للامي لان اثباته للعاجز منكما والامر دائر بينكما استهزاء به واثبات للقادر و يمكن ان يقال غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها اشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما تقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ماتنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا ويحكى انه قال غضب ان تعبد هذه الصغار معه وهو اكبر منها
فكسر هن او هو متعلق بشرط لايكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للمخبر عنه اى بل فعله كبيرهم ان (على ...
كانوا ينطقون وقوله فسئلوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير نفسه وانما اضاف نفسه اليهم لاشتراكهم في الخض[وع]
(فاسئلوهم) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) وانتم تعلمون عجزهم عنه

احضروه ﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ﴾ اسند الفعل اليه تجو[زا]
لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقرير النفيه مع الاستهز[اء]
والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لايحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أنت
كتبت هذا فقلت بل كتبته انت او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق
بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا
مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وماروى انه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم

قال ﴿ يعني ابراهيم ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ غضب اذ تعبدون معه هذه
الصغار وهو أكبر منها فكسرهن وأراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك
قوله ﴿ فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ﴾ أي حتى يخبروا عن فعل ذلك بهم وقيل
معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه أنا
فعلت ذلك (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة
هذه أختي لفظ الترمذي قيل في قوله اني سقيم أي سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم
وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعل على
طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختي أي في الدين والايمان قال الله تعالى انما
المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها
النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا
في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق ابراهيم عليه
الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها قال البغوي وهذه التأويلات لنفي الكذب عن ابرهيم
والاولى هو الاول للحديث ويجوز أن يكون الله أذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم
والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف حين أمر مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم
يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع
عليه أنه لو جاز أن يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما أخبر
الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها والحديث محمول

قال) ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) الذي الفأس على عنقه (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) يتكلمون حتى يخبروكم من كسر

فرجعوا الى انفسهم) فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لمااخذ بمخانقهم (فقالوا انكم انتم الظالمون) على الحقيقة بعبادة مالاينطق لامن ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فان من لايدفع عن رأسه الفاس كيف يدفع عن عابديه البأس (ثم نكسوا على رؤسهم) قال اهل التفسير اجرى الله تعالى الحق على لسانهم فى القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة اى ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم يقال نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم (قال) محتجا عليهم (أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيأ) هو فى موضع المصدر أى نفعا (ولايضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر ضجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اى لكم ولآلهتكم هذا التأفف أف مدنى وحفص أف مكى وشامى اف غيرهم (أفلاتعقلون) ان من هذا وصفه لايجوز ان يكون الها فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه) بالنار لانها اهول مايعاقب به وافظع (وانصروا آلهتكم) بالانتقام منه

ث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لماشابهت صورتها صورته ﴿ فرجعوا الى انفسهم ﴾ راجعوا عقولهم ﴿ فقالوا ﴾ فقال بعضهم لبعض ﴿ انكم انتم الظالمون ﴾ بهذا السؤال بعبادة من لاينطق ولايضر ولاينفع لامن ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ﴿ ثم نكسوا على رؤسهم ﴾ انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا أى نكسوا انفسهم ﴿ لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴾ فكيف تأمر بسؤالها وهو على ارادة القول قال أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيأ ولايضركم ﴾ انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لاتنفع ولاتضر فانه ينافى الالوهية ﴿ اف لكم ولماتعبدون من دون الله ﴾ تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له ﴿ أفلاتعقلون ﴾ قبح صنيعكم ﴿ قالوا ﴾ اخذا فى المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه ﴾ فان النار اهول مايعاقب به ﴿ وانصروا آلهتكم ﴾ بالانتقام لها

فى المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب * وقوله ﴿ فرجعوا الى أنفسهم ﴾ أى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم ﴿ فقالوا ﴾ ماتراه الا كاقال ﴿ انكم أنتم الظالمون ﴾ أى بعبادتكم مالايتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها ﴿ ثم نكسوا على رؤسهم ﴾ قال أهل التفسير أجرى الله الحق على ألسنتهم فى القول الاول وهو اقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أى ردوا الى الكفر وقالوا ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ أى فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليهم ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيأ ﴾ أى ان عبدتموه ﴿ ولايضركم ﴾ أى ان تركتم عبادته ﴿ أف لكم ﴾ أى تبا لكم ﴿ ولماتعبدون من دون الله ﴾ والمعنى انه حقر معبودهم ﴿ أفلاتعقلون ﴾ أى أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لاتستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ﴾ يعنى انكم

فرجعوا الى أنفسهم) بالملامة (قا و خا ٣٣ بع) (فقالوا) فقال لهم ملكهم نمروذ (انكم أنتم الظالمون) لابراهيم (ثم نكسوا على رؤسهم) رجعوا الى قولهم الاول وقال نمروذ (لقد علمت) يا ابراهيم (ماهؤلاء ينطقون) يعنى الاصنام تلك كسرتهم (قال) ابراهيم (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ) ان عبدتموه (ولايضركم) ان تركتموه (أف لكم) تفا لكم ويقال تبا لكم (ولماتعبدون من دون الله أفلاتعقلون) أفليس لكم ذهن الانسانية انه لاينبغى أن يعبد مالايضر ولاينفع (قالوا) قال لهم ملكهم نمروذ (حرقوه) بالنار (وانصروا آلهتكم) انتقموا لآلهتكم

﴿ان كنتم فاعلين﴾ ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل نمروذ ﴿قلنا يا نار كونى بردا وسلاما﴾ ذات برد وسلاما اى بردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كونى ذات

لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن فيها ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ أى ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذى قال هـذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلب لئن أصابته لتحطبن فى نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بشراء الحطب من ماله لابراهيم فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى أرضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى انه خليلى ليس لى خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيرى فان استغاث باحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا ألقاءه فى النار أتاه خازن المياه وقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن أبى بن كعب ان ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به فى المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجه فقال أما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار (ق) عن أم شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ زاد البخارى وكان ينفخ على ابراهيم ﴿قلنا﴾ أى قال الله عز وجل ﴿يا نار كونى بردا وسلاما

(ان كنتم فاعلين) اى ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهو الاحراق بالنار والا فرطتم فى نصرتها والذى اشار باحراقه نمرود أو رجل من اكراد فارس وقيل انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبى الله ونعم الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وما احرقت النار الا وثاقه وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما) أى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كان ذاتها برد وسلام

(ان كنتم فاعلين) به شيأ فصرحوه فى النار (قلنا يا نار كونى بردا) باردة من حرك (وسلاما) سليمة من البرد

{ على }

د مقام ابردى ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله أى
سلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق
ولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسله ربك قال حسبى
ن سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع
ليه نمروذ من الصرح فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن
راهيم عليه الصلاة والسلام وكان اذذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة
س ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه
الى دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله ﴿على ابراهيم وارادوا به كيدا﴾ مكرا
اضراره ﴿فجعلناهم الاخسرين﴾ اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم
لى الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ﴿ونجيناه
وطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين﴾ اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان

لى ابراهيم﴾ قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفى بعض الآثار انه
يبق يومئذ نار فى الارض الا طفئت فلم ينتفع فى ذلك اليوم بنار فى العالم ولو لم يقل على ابراهيم
بت ذات برد أبدا وقيل أخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء
ذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم
ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت أياما قط أنعم منى من الايام
لتى كنت فى النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد الى جنب
براهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة
البسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان
بك يقول أما علمت ان النار لا تضر احبائى ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من
سرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم
كبير الهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج
نها قال نعم قال هل تخشى ان أقمت ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم
شى فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيته معك
ثلك فى صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها
قال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع
ك حين أبيت الا عبادته وتوحيده وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل
لله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى دينى فقال لا أستطيع ترك ملكى
لكن سوف أذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه
لله عز وجل منه * قوله عز وجل ﴿وأرادوا به كيدا﴾ أى أرادوا أن يكيدوه
﴿فجعلناهم الاخسرين﴾ قيل معناه انهم خسروا السعى والنفقة ولم يحصل لهم
رادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت
ماءهم ودخلت فى دماغه بعوضة فاهلكته * قوله تعالى ﴿ونجيناه ولوطا﴾ يعنى
ن نمرود وقومه ﴿الى الارض التى باركنا فيها للعالمين﴾ يعنى الى ارض الشام

لو لم يقل ذلك لاهلكته
ببردها والمعنى ان الله تعالى
نزع عنها طبعها الذى طبعها
عليه من الحر والاحراق
وأبقاها على الاضاءة والاشراق
كما كانت وهو على كل
شئ قدير (وأرادوا به
كيدا) احراقا (فجعلناهم
الاخسرين) فارسل على
نمرود وقومه البعوض
فاكلت لحومهم وشربت
دماءهم ودخلت بعوضة
فى دماغ نمرود فاهلكته
(ونجيناه) أى ابراهيم
(ولوطا) ابن أخيه هاران
من العراق (الى الارض
التى باركنا فيها للعالمين)
أى أرض الشام وبركتها
ان أكثر الانبياء منها
فانتشرت فى العالمين آثارهم
الدينية وهى أرض خصب
يطيب فيها عيش الغنى
والفقير وقيل ما من ماء
عذب فى الارض الا وينبع
أصله من صخرة بيت المقدس
روى انه نزل بفلسطين

(على ابراهيم) ولو لم يقل
سلاما لاحرقه البرد (وأرادوا
به كيدا) حرقا (فجعلناهم
الاخسرين) الاسفلين
(ونجيناه) من النار (ولوطا)
نجينا لوطا من الخسف
وبلغناهما (الى الارض التى
باركنا فيها) بالماء والشجر (للعالمين) وهى ارض المقدس وفلسطين والاردن

مسيرة يوم وليلة وقال عليه السلام انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم (ووهبناله اسحق ويعقوب نافلة) قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق أى وهبناله هبة وقيل هى ولد الولد وقد سأل ولدا فاعطيه وأعطى يعقوب نافلة أى زيادة وفضلا من غير سؤال وهى حال من يعقوب (وكلا) أى ابراهيم واسحق ويعقوب وهو المفعول الاول لقوله (جعلنا) والثانى (صالحين) فى الدين والنبوة (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم فى الدين (يهدون) الناس (بامرنا) بوحينا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) وهى جميع الاعمال الصالحة وأصله أن تفعل الخيرات فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك

اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى هى مبادى الكمالات والخيرات الد والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط ع السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ﴿ووهبناله اسحق ويعقوب نافلة﴾ عطية فهى منهما أو ولد ولد أو زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقر ﴿وكلا﴾ يعنى الاربعة ﴿جعلنا صالحين﴾ بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصار كاملين ﴿وجعلناهم أئمة﴾ يقتدى بهم ﴿يهدون﴾ الناس الى الحق ﴿بأمرنا﴾ بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين ﴿واوحينا اليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم ع

بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال أبى بن كعب بارك الله وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التى ببيت المقد وقيل لان أكثر الانبياء منها (ق) عن أبى قتادة ان عمر بن الخطاب رضى الله تع عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وق فقال كعب انى وجدت فى كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أر وبها كنزه من عباده ✽ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله ع وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابرا أخرجه أبو داود أراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب فى المقام بها ✽ عن ز بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وماذاك يارس الله قال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها أخرجه الترمذى ✽ عن بهز بن حكيم أبيه عن جده قال قلت يارسول الله أين تأمرنى قال ههنا ونحا بيده نحو الشام أخر الترمذى قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئهم وآمنت سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أ ابراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كو من أرض العراق مهاجرا الى ربه و معه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والا على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خ ورجع الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهى على مس يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى أهلها و ما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجين ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين ✽ قوله تعالى ﴿ووهبناله اسحق ويعقو نافلة﴾ أى عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى أعط ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لى من الصالحين وزاده يعقوب نافلة و ولد الولد ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ يعنى ابراهيم واسحق ويعقوب ﴿وجعلناهم أئمة﴾ أى قدوة يهتدى بهم فى الخير ﴿يهدون بامرنا﴾ أى يدعون الناس الى ديننا بام ﴿وأوحينا اليهم فعل الخيرات﴾ أى العمل بالشرائع

(ووهبناله) لابراهيم (اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد الولد (نافلة) فضيلة على الولد (وكلا) يعنى ابراهيم واسحق ويعقوب وأولادهم (جعلنا صالحين) فى دينهم مرسلين (وجعلناهم أئمة) قادة فى الخير (يهدون بامرنا) يدعون الخلق الى أمرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) العمل بالطاعات ويقال الدعاء

ﻭ (واقام الصلوة وايتاء الزكوة) والاصل واقامة الصلاة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء (وكانوا لنا عابدين)
الاصنام فانتم يا معشر العرب أولاد ابراهيم فاتبعوه فى ذلك (ولوطا) انتصب بفعل يفسره (آتيناه حكما) حكمة وهى ما يجب
ﻓ من العمل أو فصلا بين الخصوم أو نبوة (وعلما) فقها (ونجيناه من القرية) من أهلها وهى سدوم (التى كانت تعمل
الخبائث) اللواطة والضراط وحذف المارة بالحصى وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله
وادخلناه فى رحمتنا) فى أهل رحمتنا أو فى الجنة (انه من الصالحين) أى جزاءه
على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم (ونوحا) أى واذكر نوحا (اذ نادى) أى دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) أى دعاءه (فنجيناه وأهله) أى المؤمنين من ولده وقومه (من الكرب العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناه منهم أى من اذاهم (انهم

فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله ﴿واقام الصلوة وايتاء الزكوة﴾ وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة ﴿ ولوطا آتيناه حكما ﴾ حكمة او نبوة أو فصلا بين الخصوم ﴿وعلما﴾ بما ينبغى علمه للانبياء ﴿ونجيناه من القرية﴾ سدوم ﴿التى كانت تعمل الخبائث﴾ يعنى اللواطة وصفها بصفة اهلها أو اسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه ﴿انهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ فانه كالتعليل له ﴿وادخلناه فى رحمتنا﴾ فى اهل رحمتنا أو فى جنتنا ﴿انه من الصالحين﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ ونوحا اذ نادى ﴾ اذ دعا الله على قومه بالهلاك ﴿ من قبل ﴾ من قبل المذكورين ﴿ فاستجبنا له ﴾ دعاءه ﴿فنجيناه واهله من الكرب العظيم﴾ من الطوفان أو اذى قومه والكرب الغم الشديد ﴿ ونصرناه ﴾ مطاوعه انتصر أى جعلناه منتصرا ﴿ من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم

﴿واقام الصلوة﴾ أى المحافظة عليها ﴿ وايتاء الزكوة ﴾ أى الواجبة وخصهما لان الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ أى موحدين ﴿قوله عز وجل ﴿ولوطا آتيناه حكما﴾ أى الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة ﴿ وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث﴾ يعنى قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث اتيان الذكور فى أدبارهم وكانوا يتضارطون فى مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات ﴿ انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه فى رحمتنا ﴾ قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب ﴿انه من الصالحين﴾ يعنى الانبياء ﴿ قوله تعالى ﴿ونوحا اذ نادى من قبل﴾ أى من قبل ابراهيم ولوط ﴿فاستجبنا له﴾ أى أجبنا دعاءه ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان أطول الانبياء عمرا و أشدهم بلاء والكرب أشد الغم ﴿ ونصرناه ﴾ أى منعناه ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على ﴿انهم

الى لا اله الا الله (واقام الصلوة) اتمام الصلوة (وايتاء الزكوة) اعطاء الزكاة (وكانوا لنا عابدين) مطيعين (ولوطا) أيضا (آتيناه حكما) أعطيناه فهما (وعلما) نبوة (ونجيناه من القرية) من أهل قرية سدوم (التى كانت تعمل) أهلها (الخبائث) يعنى اللواطة (انهم كانوا قوم
سوء) سوء فى كفرهم (فاسقين) باللواطة (وأدخلناه) ندخله فى الآخرة (فى رحمتنا) فى جنتنا ويقال أكرمناه
فى الدنيا بالنبوة (انه من الصالحين) فى دينهم المرسلين (ونوحا) أيضا أكرمناه بالنبوة (اذ نادى) دعا ربه على قومه بالهلاك (من
قبل) من قبل لوط (فاستجبنا له) الدعاء (فنجيناه وأهله) ومن آمن به (من الكرب العظيم) يعنى الغرق (ونصرناه من
القوم) على القوم ويقال نجيناه ان قرأت نصرناه بتشديد الصاد من القوم (الذين كذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا نوح (انهم

كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم (وداود وسليمان) أي واذكرهما (اذ) بدل م
(يحكمان في الحرث) في الزرع أو الكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفشت) دخلت (فيه غنم القوم) ليلا فاكلته وأفسدته وا
انتشار الغنم ليلا بلا راع (وكنا لحكمهم) زادهم والمتحاكين اليهما (شاهدين) أي كا
ذلك بعلمنا ومرأى منا (ففهمناها) أي الحكومة أو الفتوى (سليمان) وفيه دليل على ان الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه وقصته ان الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلا فتحاكما الى داود فحكم بالغنم لاهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أي قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها وأولادها وأصوافها والحرث الى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم فاما في شريعتنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم بالليل أو بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق أو قائد وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص انما ضمنوا لانهم
أرسلوها أو نسخ الضمان بقوله عليه السلام العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا صلحا وما فعله داود كان حكما { القضية

كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين ﴾ لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر فانهم لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله تعالى ﴿ وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ﴾ في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده ﴿ اذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ رعته ليلا ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ لحكم الحاكمين والمتحاكين اليهما عالمين ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ الضمير للحكومة أو للفتوى وقرئ ففهمناها روى ان داود امر بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واوبارها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم

كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين ﴾ ﴿ قوله عز وجل ﴿ وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو أشبه بالعرف ﴿ اذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ أي رعته ليلا فافسدته وكانت بلا راع ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان أقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم تبق منه شيأ فعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا أرفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضى ويروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعيد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلا وذهب أصحاب الرأي أن المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ أي علمناه وألهمناه حكم

كانوا قوم سوء) في كفرهم (فاغرقناهم أجمعين) بالطوفان (وداود وسليمان) أيضا أكرمناهما بالنبوة والحكمة (اذ يحكمان في الحرث) في كرم قوم (اذ نفشت فيه) دخلت فيه ووقعت فيه بالليل (غنم القوم) قوم آخرين (وكنا لحكمهم) لحكم داود وسليمان (شاهدين) عالمين (ففهمناها سليمان) الرفق في القضاء

والصلح خير (وكلا) من داود وسليمان (آتينا حكما) نبوة (وعلما) معرفة بموجب

والحكم (وكلا) داود وسليمان (آتينا) أعطينا (حكما) فهما (وعلما) نبوة

قومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان واملهما قالا اجتهادا والاول نظير قول بى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة فى العبد المغصوب اذا ابق حكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا كذلك قضى النبى صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل لاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابى حنيفة لا ضمان الا ان كون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار ﴿ وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ ليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم وله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل

لقضية ﴿ وكلا ﴾ يعنى داود وسليمان ﴿ آتينا حكما وعلما ﴾ أى بوجوه الاجتهاد وطرق لاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه أثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء فى أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب لمجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد فى الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة واذا أخطؤا فلا اثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله أجر وقال قوم ن داود وسليمان حكما بالوحى فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للانبياء الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحى واحتج من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهدين على الخطأ هو قول أصحاب الرأى وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد لمجتهدين فى حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم عنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فاخطأ فله أجر لم يرد به انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم فى الخطأ عنه موضوع اذ لم أل جهدا ووجه الاجتهاد فى هذا الحكم ان داود قوم قدر الضرر فى الحرث فكان مساويا قيمة الغنم وكان عنده الواجب فى ذلك الضرر فى الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم لى المجنى عليه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد الزوائد فاما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم فى تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ❊ ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احديهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتونى بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى

الحكم (وسخرنا) وذللنا (مع داود الجبال يسبحن) وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كان قائلا قال كيف سخر فقال يسبحن (والطير) معطوف على الجبال أو مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل فى الاعجاز لانها جماد روى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (وكنا فاعلين) بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع (لتحصنكم) شامى وحفص أى الصنعة وبالنون أبو بكر وحماد أى الله عز وجل وبالياء غيرهم أى اللبوس أو الله عز وجل (من بأسكم) من حرب عدوكم (فهل أنتم شاكرون) استفهام بمعنى الامر أى فاشكروا الله على ذلك (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح (عاصفة) حال أى شديدة الهبوب ووصفت فى موضع آخر بالرخاء لانها تجرى باختياره فكانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته (تجرى بامره) بامر سليمان (الى الارض التى باركنا فيها) بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحى الارض اليها

عليه فى صغره ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ يقدسن الله معه اما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له أو بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا أو يسبحن ﴿والطير﴾ عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف ﴿وكنا فاعلين﴾ لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال

البس لكل حالة لبوسها ∗ اما نعيمها واما بوسها

قيل كانت صفائح فحلقها وسردها ﴿لكم﴾ متعلق بعلم أو صفة للبوس ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام أو للبوس وفى قرءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع وفى قراءة ابى بكر ورويس بالنون لله عز وجل ﴿فهل انتم شاكرون﴾ ذلك امر اخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ﴿ولسليمان الريح﴾ وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاول امر يظهر فى الجبال والطير مع دواد بالاضافة اليه ﴿الريح عاصفة﴾ شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته ﴿تجرى بامره﴾ بمشيئته حال ثانية أو بدل من الاولى أو حال من ضميرها ﴿الى الارض التى باركنا فيها﴾ الى الشام رواحا بعد ما سار به منه بكرة

أخرجاه فى الصحيحين ∗ قوله تعالى ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ أى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويشتاق اليه ﴿وكنا فاعلين﴾ يعنى ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ أى صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله ألان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى ﴿لتحصنكم﴾ أى تمنعكم ﴿من بأسكم﴾ أى حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به ﴿فهل انتم شاكرون﴾ أى تقول ذلك لداود وأهل بيته ∗ قوله عز وجل ﴿ولسليمان الريح﴾ أى وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه ﴿عاصفة﴾ أى شديدة الهبوب ∗ فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهى الريح اللينة ∗ قلت كانت الريح تحت أمره ان أراد أن تشد اشتدت وان أراد أن تلين لانت ﴿تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها﴾ يعنى الشام وذلك لانها كانت تجرى بسليمان

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) مع داود اذا سبح (والطير) أيضا (وكنا فاعلين) نافعلنا ذلك بهم (وعلمناه صنعة لبوس) يعنى الدروع (لكم لتحصنكم) لتمنعكم (واصحابه من بأسكم) من سلاح عدوكم (فهل أنتم شاكرون) نعمته بالدروع (ولسليمان) وسخرنا لسليمان (الريح عاصفة) قاصفة شديدة (تجرى بامره) بامر الله ويقال بامر سليمان من اصطخر (الى الارض التى باركنا فيها) بالماء والشجر وهى الارض المقدسة والاردن وفلسط

﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ﴿ ومن الشياطين من يغوصون له ﴾ في البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح أو مبتدأ خبره ماقبله وهي نكرة موصوفة ﴿ ويعملون عملا دون ذلك ﴾ ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل

وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام ﴿ وكنا بكل شيء عالمين ﴾ أي بصحة التدبير فيه وعلمنا ان مايعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه خلقت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاء قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الاأتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه مايريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فاتحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا قال وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان امامن الانس اومن الجن نحن نزلناه ومابنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فنازلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا ومنها أسرع الريح تجري بامره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل وروى ان سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال المليك له ٭ قم في البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجن اني قد أذنت لهم ٭ يبنون تدمر بالصفاح والعمد

٭ قوله عز وجل ﴿ ومن الشياطين ﴾ أي وسخرنا له من الشياطين ﴿ من يغوصون له ﴾ أي يدخلون تحت الماء فيخرجون من قعر البحر الجواهر ﴿ ويعملون عملا دون ذلك ﴾ أي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل

(وكنا بكل شيء عالمين) وقد أحاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا (ومن الشياطين) أي وسخرنا منهم (من يغوصون له) في البحار بامر لاستخراج الدر ومايكون فيها (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان

(وكنا بكل شيء) سخرناله (عالمين ومن الشياطين) سخرنا من الشياطين (من يغوصون له) لسليمان البحر فيخرجون من البحر الجواهر (ويعملون عملا) من البنيان (دون ذلك) دون الغواصة

﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ ان يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى حبلته
﴿ وأيوب اذ نادى ربه

الآية ويتجاوزون فى ذلك الى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ أى حتى لا يخرجوا عن أمره وقيل حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا فى النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه خربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه * قوله تعالى ﴿ وأيوب اذ نادى ربه ﴾ أى دعا ربه

ذكر قصة أيوب عليه السلام

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه فى العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له اليفن وقيل نغير ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استراق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغى فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك وخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شئ آتى عليه قال ابليس اذهب فأتى الابل ورعاتها فأتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار

(وكنا لهم حافظين) ان يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه (وأيوب أى واذكر أيوب (اذ نادى ربه

(وكنا لهم) للشياطين (حافظين) من أن يهجوا أحد على أحد فى زمانه (وأيوب) واذكر أيوب (اذ نادى ربه) دعا ربه

حرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس فى صورة قيم ممن كانوا
لها على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلى فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك
أحرقتها ومن فيها غيرى فقال أيوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها
هو أخذها وانها مال الله أعارنيها وهو أولى بها اذا شاء نزعها قال وتركت الناس مبهوتين
يعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول
كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل
شمت به عدوه ويفجع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطانى وحين نزع منى عريانا
خرجت من بطن أمى وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عزوجل ليس
ينبغى لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو
علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك
شرا فأخرك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم من القوة فانى لم أكلم قلبه
قال عفريت من الجن عندى من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت
روحه قال ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطتها ثم صاح صيحة فتجثمت
أمواتا من عند آخرها ومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب فوجده
يصلى فقال له مثل القول الاول فرد عليه أيوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى أصحابه
فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندى من القوة ما اذا
شئت تحولت ريحا عاصفة تنسف كل شئ تأتى عليه قال فأت الفدادين فى الحرث والزرع
فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون فى الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح
عاصفة فنسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمانهم الى أيوب
وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس
يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى الى هلاك مال من أمواله حمد الله
وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما
رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم تنجح منه بشئ صعد سريعا حتى وقف فى الموقف الذى
يقف فيه وقال الهى ان أيوب يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطى
على ولده فانها المصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عزوجل انطلق فقد سلطتك
على ولده فانقض عدو الله حتى أتى بنى أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى
تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما
مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسين وانطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم
الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فأخبره وقال لو رأيت بنيك
كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت
حين شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق
أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت أمى لم تلدنى فاغتنم
ابليس ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب ان فاء

وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هون على أيوب المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رحمة بنت افرثيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه أصحابه فبكتوه ولاموه وقالوا تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والزمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الارض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيأ من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا ان أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم ان يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم الخشية من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا اشتاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لابرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لاكياس أقوياء

﴿ قال ﴾

ى أيوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب الصغير والكبير فاذا نبتت
القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة
ذا جعل الله العبد حكيما فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه
الى عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أتيتمونى غضابا رهبتم قبل ان
ترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بى لو قلت تصدقوا عنى باموالكم لعل الله ان
لصنى أو قربوا عنى قربانا لعل الله ان يقبله ويرضى عنى وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم
كم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم
وبا قد سترها الله تعالى بالعافية التى ألبسكم وقد كنتم فيما خلا توقروننى
نا مسموع كلامى معروف حقى منتصف من خصمى فاصبحت اليوم وليس لى رأى ولا
لام معكم وأنتم كنتم أشد على من مصيبتى ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه
ستغيثا به متضرعا اليه فقال يارب لاى شئ خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى لم تخلقنى ياليتنى
رفت الذنب الذى أذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت
تنى فالحقتنى بآبائى فالموت كان أجمل بى ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم
ليا وللارملة قيما الهى أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتى
علتنى للبلاء غرضا وللفتنة نصيبا وقد وقع على من البلاء مالو سلطته على جبل لضعف عن
له فكيف يحمله ضعفى وان قضاءك هو الذى أذانى وان سلطانك هو الذى أسقمنى وانحل
سمى ولو ان ربى نزع الهيبة التى فى صدرى وأطلق لسانى حتى أتكلم بملء فى فادلى بعذرى
تكلم ببراءتى وأخاصم عن نفسى لرجوت أن يعافينى عند ذلك مما بى ولكنه القانى وتعالى عنى
و برانى ولا أراه ويسمعنى ولا أسمعه فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى
ن أصحابه انه عذاب ثم نودى ياأيوب ان الله يقول ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك
ريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار
اصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغى ان يخاصمنى الا جبار مثلى اقدمنتك نفسك ياأيوب
راما يبلغ لمثله مثلك أين أنت منى يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معى
باطرافها هل علمت باى مقدار قدرتها أم على أى شئ وضعت اكنافها أبطاعتك حمل
ء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء اين كنت منى يوم رفعت السماء سقفا فى
هواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجرى نورها
تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين كنت منى يوم انبعت الانهار وسكبت
بحار أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الارحام حين
غت مدتها أين كنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدرى على
ى شئ أرسيتها أم باى مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدرى من أين
اء الذى أنزلت من السماء أم هل تدرى من أى شئ انشأت السحاب أم هل تدرى أين
خزانة الثلج أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل وأين خزانة
ريح وباى لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول فى أجواف الرجال وشق الاسماع

والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته
كلام كثير يدل على آثار قدرته ذكره لايوب فقال ايوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأ
وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي يعرض على الهي قد علمت ان كل الذي قد ذكرت صـ
يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شيء ولا تخـ
عليك خافية الهي أوثقني البلاء فتكلمت ولم أملك نفسي فكان البلاء هو الذي انطق
ليت الارض انشقت بي فذهبت فيها ولم اتكلم بشيء يسخطك ربي وليتني مت بغمي
أشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذري وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مـ
فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي أعوذ بك
اليوم منك واستجير بك من جهد البلاء فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثـ
واستعينك على أمري فاعني وأتوكل عليك فاكفني وأعتصم بك فاعصمني واستغفر
فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني قال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمـ
غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آ
وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
فيه تناول وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روى عن أنس
يرفعه أن أيوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقا
كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين
وأشهرا تختلف فيه الدود لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بالطعا
وتحمد الله معه اذا احمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ
ابليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما أحزنك قال
أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالا ولا ولدا ولم يزدد الا صبرا ثم سلطت على جسده
فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا ا
فأين مكرك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا علي قالوا من أين
أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته
فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقربه أحد غيرها قال أصبتم فانطلق ابليس حتى أتى
رحمة امرأة أيوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها أين بعلك يا أمة الله
قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع
فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو
فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فعلم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال
ليذبح لي هذه ايوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين
الصديق اين لونك الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك
عدو الله فنفخ فيك ويلك ارأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت
الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك
ما انصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني

{ لاجلد }

ن مسنى الضر ﴾ بانى مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر الفتح شائع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس كمرض وهزال ﴿ وانت ارحم لراحمين ﴾ وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض لمطلوب لطفا فى السؤال وكان روميا من اولاد عيص بن اسحق واستنبأه الله واكثر اهله يماله فابتلاه ربه بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة اوثلاث عشرة سنة اوسبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته اخير بنت ميشا بن يوسف اورحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله قال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة

لاجلدنك مائة جلدة امرتنى ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام ن اذوق منه شيأ اعزبى دعينى فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام لاشراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب ﴿ انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ قيل له ارفع رأسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء اغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شئ ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الاخرج فقام صحيحا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان عليه وما كان له من اهل ومال الاوقد ضعفه الله له وذكر لنا ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل ضمه بيده فأوحى الله اليه يا ايوب ألم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال خرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردنى الى من كله ادعه يموت جوعا ويضيع فتأكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة أت ولا تلك الحالة التى كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت عرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعينى يوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله عن أيوب فدعاها وقال ماتريدين ياأمة الله بكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على الكناسة لا أدرى أضاع أم ما فعل به قال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلى فقال هل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى لى أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهى تهابه ثم قالت أما انه أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانى انا ايوب الذى امرتنى أن اذبح سخلة لابليس وانى اطعت الله وعصيت لشيطان ودعوت الله فرد على ما ترين وقال وهب لبث ايوب فى البلاء ثلاث سنين فلما نلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيأ اعترض امرأته فى هيئة ليست كهيئة بنى آدم ى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء فقال لها انت ماحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفينى قالت لا قال انا اله الارض وانا الذى سنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركنى فاغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة ددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندى ثم اراها اياه ببطن الوادى

انى) اى دعا بانى (مسنى الضر)الضر بالفتح الضرر فى كل شئ وبالضم الضرر فى النفس من مرض او هزال (وانت ارحم الراحمين)الطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الراحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال انت اهل ان ترحم وأيوب اهل ان يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذى مسه عن انس رضى الله عنه اخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض الى الصلاة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له انا وجدناه صابرا نعم العبد وقيل انما شكا اليه تلذذا بالنجوى لامنه تضررا بالشكوى والشكاية اليه غاية القرب كما ان الشكاية منه غاية البعد

(أنى مسنى الضر) انى أصابتنى الشدة فى جسدى فارحمنى ونجنى (وأنت أرحم الراحمين

بلائي مدة رخائي ﴿ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ﴾ بالشفاء من مرضه ﴿ وآتيناه اهله ومثلهم معهم ﴾ بان ولد له ضعف ما كان أو احيي ولده وولد له منهم نوافل

الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى ارد علي المال والاولد والمعافى زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراها قال لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذ مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياى الى الكفر ثم ان الله تع رحم رحمة امرأة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها واراد ان يبر يمين ايو فامره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما ق مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشى ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء احدها ما قيل في حقه لو كان لك عند الله منز ما اصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها فأتته بط والثالث قول ابليس انى أداويه على أن يقول أنت شفيتني وقيل مسني الضر أي م شماتة الاعداء حتى روى انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شما الاعداء ❊ فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسني الض وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب ❊ قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعاء بدلي قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقو انما أشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى ان جبريل عليه السلام دخ على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال أجدني مغموما وأجد مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه بل أنا وارأساه ❊ قوله تعالى ﴿ فاستجبنا له ﴾ أي اجبنا دعاءه ﴿ فكشفنا ما به من ضر ﴾ وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره مشى أربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كا ﴿ وآتيناه أهله ومثلهم معهم ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين رد الله اليه اهله واولاده باعيانهم احياهم الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ا عباس رواية آخرى ان الله رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وق كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه انه كان له أندران أندر للقمح واند للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الاخر على أندر الشعير الورق حتى فاضا وروى ان الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئ السلام بصبرك فاخرج الى أندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فذهب واحدة فاتبعها وردها الى أندره فقال له الملك ما يكفيك ما في أندرك فقال هذه بر

(فاستجبناله) أجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) فكشفنا ضره انعاما عليه (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى ان أيوب عليه السلام كان روميا من ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله عز وجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده باعيانهم ورزقه مثلهم

فاستجبناله) الدعاء (فكشفنا) فرفعنا (ما به من ضر) من شدة (وآتيناه) أعطيناه (أهله) في الجنة الذين هلكوا في الدنيا (ومثلهم معهم) ولدا في الدنيا مثل ما هلكوا في الدنيا

رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا للعابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم ﴿ واسمعيل وادريس وذا الكفل ﴾ يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل منه أو له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف ﴿ كل ﴾ كل هؤلاء ﴿ من الصابرين ﴾ على مشاق

عن بركة ربى ولا أشبع من بركاته (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثى فى ثوبه فناداه ربه يا أيوب لم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يارب ولكنى لا غنى لى عن بركتك وقيل آتى الله أيوب مثل أهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان أهلك فى الآخرة فان شئت عجلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وآتيناك مثلهم فى الدنيا فقال بل يكونون لى فى الآخرة وأوتى مثلهم فى الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه اهله فى الآخرة ومثلهم معهم فى الدنيا وأراد بالاهل الاولاد ﴿ رحمة من عندنا ﴾ أى نعمة ﴿ وذكرى للعابدين ﴾ أى عظة وعبرة لهم * قوله عز وجل ﴿ واسمعيل ﴾ هو ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم ﴿ وادريس ﴾ هو اخنوخ ﴿ وذا الكفل كل من الصابرين ﴾ لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء أتبعه بذكر هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه صبر على الانقياد الى الذبح وأما ادريس فقد تقدم ت قصته وأما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من بنى اسرائيل وكان ملكا أوحى الله اليه انى اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بنى اسرائيل فمن تكفل انه يصلى الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال انى أستخلف رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل منى ثلاثا أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فأتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقال ففتح الباب فقال ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فأتنى حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان فى مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضى [illegible] وأخذ مضجعه دق الباب [illegible] من هذا فقال الشيخ المظلوم [illegible] اذا قعدت فأتنى قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا أنت قاعد [illegible]

معهم (رحمة من عندنا) هو مفعول له (وذكرى للعابدين) يعنى رحمة لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه (واسمعيل) بن ابراهيم (وادريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) أى اذكرهم وهو الياس أو زكريا أو يوشع بن نون وسمى به لانه ذو الحظ من الله والكفل الحظ (كل من الصابرين) أى هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر

(رحمة) نعمة (من عندنا وذكرى للعابدين) عظة للمؤمنين (و اسمعيل وادريس) واذكر اسمعيل وادريس (و ذا الكفل كل من الصابرين) على أمر

التكاليف وشدائد النوائب ﴿ وادخلناهم في رحمتنا ﴾ يعنى النبوة أو نعمة الآخرة ﴿ انهم من الصالحين ﴾ الكاملين في الصلاح وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد ﴿ وذا النون ﴾ وصاحب الحوت يونس بن متى ﴿ اذ ذهب مغاضبا ﴾ لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم

واذاقت جحدونى قال فانطلق اذ جلست فأتى وقت القائلة فلما جلس جعل ينفخ فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم آمرك قال أما من قبلى فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال أتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتنى وفعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا ﴿ وأدخلناهم في رحمتنا ﴾ يعنى ما أنعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب ﴿ انهم من الصالحين ﴾ قوله عز وجل ﴿ وذا النون ﴾ أى واذكر صاحب الحوت أضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى ﴿ اذ ذهب مغاضبا ﴾ قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقى منهم سبطان ونصف فأوحى الله الى شعيا النبى أن سر الى حزقيل الملك وقل له يوجه نبيا قويا فانى ألقى في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك باخراجى قال لا قال فهل سمانى الله لك قال لا قال فههنا غيرى أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبى وللملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفى بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جربوا عليه الكذب فخشى أن يقتلوه ملم يأتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم فقال ألتمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حمل أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع

(وأدخلناهم في رحمتنا) نبوتنا والنعمة في الآخرة (انهم من الصالحين) أى ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد (وذا النون) أى اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فأضيف اليه (اذ ذهب مغاضبا) حال أى مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه انه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روى انه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم

الله والرازى (وأدخلناهم) ندخلهم فى الآخرة (فى رحمتنا) فى جنتنا (انهم من الصالحين) من المرسلين غير ذى الكفل لانه كان رجلا صالحا ولم يكن نبيا (وذا النون) واذكر صاحب الحوت يعنى يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) مصارما من الملك

..ا ببطن الحوت (فظن أن لن نقدر) نضيق (عليه) وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه دخل يوما على معاوية فقال لقد
..نتى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا الا بك قال وماهى
يامعاوية فقرأ الآية فقال أويظن نبى الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة (فنادى فى الظلمات) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت (أن) أى بأنه (لا اله الا أنت) أو بمعنى أى (سبحانك انى كنت من الظالمين) لنفسى فى خروجى من قومى قبل أن تأذن لى فى الحديث مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) غم الزلة والوحشة والوحدة (وكذلك ننجى المؤمنين) اذا دعونا واستغاثوا بنا نجى شامى وأبو بكر بادغام النون فى الجيم عند البعض لان النون لا تدغم فى الجيم وقيل تقديره نجى النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل الى المصدر

..وق العذاب عندها وقرئ مغضبا ﴿فظن ان لن نقدر عليه﴾ لن نضيق عليه
..لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا
قيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار
..مرنا أو خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب
..لى البناء للمفعول وقرئ به مثقلا ﴿فنادى فى الظلمات﴾ فى الظلمة الشديدة المتكاثفة
..ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ﴿أن لا اله الا أنت﴾ بانه لا اله الا أنت ﴿سبحانك﴾
..ن ان يعجزك شئ ﴿انى كنت من الظالمين﴾ لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبى
..لى الله عليه وسلم مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ﴿فاستجبنا له ونجيناه
..ن الغم﴾ بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة ايام
..الغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة ﴿وكذلك ننجى المؤمنين﴾ من غموم دعوا الله فيها
..الاخلاص وفى الامام نجى فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم

..ت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولى العزم
..ن الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل
..قال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أى ان لن نقضى
..يه العقوبة قاله ابن عباس فى رواية عنه وقيل معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس
..قيل معناه فظن أنه يعجزه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله
..شيطان حتى ظن ان لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبى الله أن يدعه للشيطان
..ذفه فى بطن الحوت فمكث فيه أربعين مابين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة
..يل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه
..بطن الحوت ﴿فنادى فى الظلمات﴾ أى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت
..أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين﴾ أى حيث عصيتك وما صنعت
..شئ فلم أعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا
..أوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه
..اهوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال
..نفسه ما هذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو فى بطن الحوت
..معت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفى رواية صوتا
..روفا من مكان مجهول فقال ذاك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فقالوا
..عبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له
..ذلك فامر الحوت فقذفه فى الساحل فذلك قوله تعالى ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾
..من تلك الظلمات ﴿وكذلك ننجى المؤمنين﴾ أى من الكروب اذا دعونا واستغاثوا

([illegible]ن) يعنى فحسب (أن لن [illegible] عليه) بالعقوبة (فنادى فى الظلمات) فى ظلمة البحر
..ظلمة امعاء السمك وظلمة بطنها (أن لا اله الا أنت سبحانك) تبت اليك (انى كنت من الظالمين) لنفسى حيث غضبت
..لى سراك (فاستجبنا له) الدعاء (ونجيناه من الغم) من غم الظلمات (وكذلك) هكذا (ننجى المؤمنين) عند الدعاء

وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم اذ أصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها أوقع من حروف المضارعة التي لا ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره ﴿ وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا ﴾ وحيدا بلا ولد يرثني ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ فان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ﴾ أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة ﴿ انهم ﴾ أي المتوالدين أو المذكورين من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ يبادرون الى أبواب الخيرات ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا

قلت قد تمسك بهذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله ذهب مغاضبا ومنها فظن أن لن نقدر عليه ومنها قوله اني كنت من الظالمين قلت الجواب الكلي انه قد اختلفوا في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب المفصل فقوله ذهب مغاضبا فحمله على انه غاضب قومه وذلك أولى بحال الانبياء وأما قوله فظن أن لن نقدر عليه فقد تقدم معناه أي لن نضيق عليه وذلك أن يونس ظن انه مخير ان شاء أقام وان شاء خرج وان الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة وأما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وفي هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذا ما تقدم من التفصيل والله أعلم ✽ قوله عز وجل ﴿ وزكريا اذ نادى ربه ﴾ أي دعا ربه فقال ﴿ رب لا تذرني فردا ﴾ أي وحيدا لا ولد لي يساعدني وارزقني وارثا ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ هو ثناء على الله بانه الباقي بعد فناء خلقه وانه أورث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ﴾ أي ولدا ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ أي جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فسأل الله تعالى له أن يرزقها حسن الخلق ﴿ انهم كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ يعني الانبياء المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسارعة في الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ أي انهم ضموا الى فعل الطاعة أمرين أحدهما الفزع الى الله

لا يجوز وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل أصله ننجي من النجية حذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت احدى التاءين في تنزل الملائكة (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا) سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره الى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أي فان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث أي باق (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) ولدا (وأصلحنا له زوجه) جعلناها صالحة للولادة بعد العقار أي بعد عقرها أو حسنة وكانت سيئة الخلق (انهم) أي الانبياء المذكورين (كانوا يسارعون في الخيرات) أي انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي

(وزكريا) واذكر يا محمد زكريا (اذ نادى) دعا (ربه رب لا تذرني) لا تتركني (فردا) وحيدا بلا معين (وأنت خير الوارثين) المعينين (فاستجبنا له) الدعاء (ووهبنا له يحيى) ولدا صالحا (وأصلحنا له زوجه) بالولد (انهم) يعني الانبياء ويقال زكريا ويحيى (كانوا يسارعون في الخيرات) يبادرون الى الطاعات (ويدعوننا رغبا ورهبا) (لمكان

با وخوفا كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران فى موضع الحال أو المفعول له أى للرغبة فينا والرهبة منا
(وكانوا لنا خاشعين) متواضعين خائفين (والتى) أى واذكر التى (أحصنت فرجها) حفظته من الحلال والحرام (فنفخنا فيها
روحنا) أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ فى جيب درعها فاحدثنا بذلك النفخ عيسى فى بطنها واضافة الروح اليه
لتشريف عيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية) مفعول ثان (للعالمين) وانما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار
آيتين لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهى ولادتها اياه من { } غير فحل أو التقدير وجعلناها

آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (ان هذه أمتكم أمة واحدة) لا مة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام وهى ملة جميع الانبياء وأمة واحدة حال أى متوحدة غير متفرقة والعامل مادل عليه اسم الاشارة أى ان ملة الاسلام هى ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم فاعبدون) أى ربيتكم اختيارا فاعبدونى شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة (كل الينا

هكذا وهكذا ويقال يعبدوننا رغبا الى الجنة ورهبا من

ذوى رغب أو راغبين فى الثواب راجين الاجابة أو فى الطاعة وخائفين من العقاب أو المعصية ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ مخبتين أو دائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال ﴿والتى احصنت فرجها﴾ من الحلال والحرام يعنى مريم ﴿فنفخنا فيها﴾ أى فى عيسى عليه الصلاة والسلام فيها أى احييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها ﴿من روحنا﴾ من الروح الذى هو بامرنا وحده أو من جهة روحنا يعنى جبرائيل عليه الصلاة والسلام ﴿وجعلناها وابنها﴾ اى قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله ﴿آية للعالمين﴾ فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ﴿ان هذه امتكم﴾ أى ان ملة التوحيد أو الاسلام ملتكم التى يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها ﴿امة واحدة﴾ غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران ﴿وانا ربكم﴾ لا اله لكم غيرى ﴿فاعبدون﴾ لا غير ﴿وتقطعوا امرهم بينهم﴾ صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا فى الدين وجعلوا امره قطعا موزعة تقبيح فعلهم الى غيرهم ﴿كل﴾ من الفرق المتحزبة ﴿الينا

لمكان الرغبة فى ثوابه والرهبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله تعالى ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذى لا ينبسط فى الامور خوفا من الوقوع فى الاثم * قوله تعالى ﴿والتى أحصنت فرجها﴾ أى احصنته كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسنى بشر ولم أك بغيا وهى مريم بنت عمران ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ أمرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها وأضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله ﴿وجعلناها وابنها آية﴾ أى دلالة ﴿للعالمين﴾ على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية واحدة أى ولادتها اياه من غير أب آية * قوله تعالى ﴿ان هذه أمتكم﴾ أى ملتكم ودينكم ﴿أمة واحدة﴾ أى دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التى هى على مقصد واحد وجعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ أى لا دين سوى دينى ولا رب لكم غيرى فاعبدونى أى وحدونى ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا وأحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض ﴿كل الينا

ار (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين مطيعين (والتى) واذكر التى (أحصنت فرجها) حفظت جيب درعها (فنفخنا فيها من روحنا)
نفخ جبريل فى جيب درعها بامرنا (وجعلناها وابنها آية) علامة وعبرة (للعالمين) لبنى اسرائيل ولدا بلا أب وولادة المس
ان هذه أمتكم أمة واحدة) دينكم دين واحد مرضى (وأنا ربكم) رب واحد (فاعبدون) أطيعون (وتقطعوا أمرهم بينهم)
قوا فيما بينهم فى دينهم يعنى اليهود والنصارى والمجوس (كل) كل فرقة (الينا

راجعون) فنجزيهم على أعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) شيئاً (وهو مؤمن) بما يجب الايمان به (فلا كفران لسعيه)
أى فلا [illegible] بل يشكر والكفران مثل فى حرمان الثواب كما ان الشكر مثل فى اعطائه وقد نفى نفى الجنس ليكون
أبلغ (وانا له) أى للسعى أى الحفظة بامرنا (كاتبون) فى صحيفة عمله فنثيبه به (وحرام) وحرم كوفى غير حفص وحلال
وحل [illegible] وزنا ومعنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون)
[illegible] غير ممكن ان [illegible] لا يرجع الى الله بالبعث أو وحرام على
قرية أهلكناها أى قدرنا
اهلاكهم أو حكمنا
باهلاكهم ذلك وهو المذكور
فى الآية المتقدمة من العمل
الصالح والسعى المشكور
غير المكفور انهم لا يرجعون
من الكفر الى الاسلام
(حتى) هى التى يحكى بعدها
الكلام والكلام المحكى
الجملة من الشرط والجزاء
أعنى (اذا) وما فى حيزه
(فتحت يأجوج ومأجوج)
أى فتح سدهما فحذف
المضاف كما حذف المضاف
الى قرية فتحت شامى وهما
قبيلتان من جنس الانس
يقال الناس عشرة أجزاء
تسعة منها يأجوج ومأجوج
(وهم) راجع الى الناس
المسوقين الى المحشر وقيل
هم يأجوج ومأجوج
يخرجون حين يفتح السد
(من كل حدب) نشز
من الارض أى ارتفاع
(ينسلون) يسرعون

راجعون ﴾ فنجزيهم ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ﴾ بالله ورسله ﴿ فلا كفران لسعيه ﴾ فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفى نفى الجنس للمبالغة ﴿ وانا له ﴾ لسعيه ﴿ كاتبون ﴾ مثبتون فى صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما ﴿ وحرام على قرية ﴾ وممتنع على أهلها غير متصور منهم وقرئ أبو بكر وحمزة والكسائى وحرم بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ وحرم ﴿ أهلكناها ﴾ حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة ﴿ انهم لا يرجعون ﴾ رجوعهم الى التوبة أو الحياة ولا صلة وعدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أى وحرام عليها ذلك وهو المذكور فى الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون ﴿ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ متعلق بحرام أو بمحذوف دل الكلام عليه أو لا يرجعون اى يستمر الامتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هى التى يحكى الكلام بعدها والمحكى هى الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد ﴿ وهم ﴾ يعنى يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم ﴿ من كل حدب ﴾ نشز من الارض وقرئ حدث وهو القبر ﴿ ينسلون ﴾ يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين

راجعون ﴾ فنجزيهم بأعمالهم ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ﴾ أى لا نجحد ولا نبطل سعيه بل نشكر ويثاب عليه ﴿ وانا له كاتبون ﴾ أى لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ﴿ قوله عز وجل ﴾ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ قال ابن عباس معناه وحرام على أهل قرية أهلكناهم أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على أهل قرية حكمنا بهلاكهم أن تقبل أعمالهم لانهم لا يتوبون ﴿ قوله عز وجل ﴾ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ يريد فتح السد وذلك [illegible] أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة أعشار بنى آدم ﴿ وهم من كل حدب ينسلون ﴾ أى يسرعون النزول من الآكام والتلال وفى هذه الكناية وجهان أحدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ماروى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

راجعون فمن يعمل من الصالحات) الطاعات فيما بينه وبين ربه (وهو مؤمن) مصدق فى ايمانه (فلا كفران لسعيه) لا ينسى ثواب عمله بل يثاب عليه (وانا له كاتبون) مجازون ومثيبون ويقال حافظون (وحرام) التوفيق (على قرية) على أهل مكة أبى جهل وأصحابه (أهلكناها) خذلناها بالكفر (انهم لا يرجعون) عن كفرهم الى الايمان ويقال وحرام الرجوع على قرية على أهل مكة أهلكناها يوم بدر بالقتل انهم لا يرجعون الى الدنيا (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) فحينئذ يخرجون (وهم) يعنى يأجوج ومأجوج (من كل حدب) من كل أكمة ومكان مرتفع (ينسلون) يخرجون

لدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا انه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك
ينا فقال ماشانكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه
ي طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج
لست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة
اني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج
خلة بين الشأم والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله ومالبثه
ي الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كايامكم قلنا
رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره قلنا
رسول الله ومااسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم
يؤمنون به ويستجيبون له فيأمر لهم السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم
طول ما كانت درا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله
ينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي
كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه
جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله
لمسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا
كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل
لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب
د فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم
درجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى قد أخرجت
عبادا لي لايدان لاحد ان يقاتلهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج
هم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم
يقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم
خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم
النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى
لارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الاملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى
أصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل
لله مطرا لايكن منه بيت مدر ولاوبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض
أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك
ي الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة
من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة
فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون
فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة أخرجه مسلم

شرح غريب ألفاظ الحديث

﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ وهو القيامة ﴿ فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾ جواب الشرط وإذا المفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار ﴿ يا ويلنا ﴾ مقدر بالقول وقع موقع الحال من الموصول ﴿ قد كنا في غفلة من هذا ﴾ لم نعلم أنه حق ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ لأنفسنا بالإخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر

---

* قوله حتى ظننه في طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء * وقوله فخفض فيه ورفع أي خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في أمره وقيل انه خفض من أمره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من أمره * قوله انه شاب قطط أي جعد الشعر * وقوله طافئة أي خارجة عن حدها * قوله انه خارج خلة أي انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والخلل الدخول في الشيء * قوله فعاث أي فسد * قوله اقدروا له قدره أي قدروا قدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقاته * وقوله فتروح عليهم سارحتهم أي مواشيهم * وقوله فيصبحون ممحلين أي مقحطين قد أجدبت أرضهم وغلت أسعارهم * قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها * وقوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب * قوله بين مهرودتين رويت بالدال المهملة وبالمعجمة أي شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران * قوله لا يدان لاحد بقتالهم أي لا قدرة ولا قوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون في أنوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل * قوله زهمهم اي ريحهم المنتنة * قوله كالزلفة أي كالمرآة توجهه زلف ويروى بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها * قوله تأكل العصابة أي الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن (م) والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة * وقوله يتهارجون أي يختلفون والتهارج الاختلاف وأصله القتل * ((الوجه الثاني)) * في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم * قوله عز وجل ﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة ﴿ فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾ قيل معنى الآية ان القيامة اذا قامت شخصت أبصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون ﴿ يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا ﴾ يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ أي في وضعنا العبادة في غير موضعها * قوله

(واقترب الوعد الحق) أي القيامة وجواب إذا (فإذا هي) إذا للمفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهي شاخصة أو إذا هي شاخصة كان سديدا وهي ضمير مبهم يوضحه الأبصار ويفسره (شاخصة أبصار الذين كفروا) أي مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه (يا ويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا في غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة

(واقترب الوعد الحق) دنا قيام الساعة عند خروجهم من السد (فإذا هي شاخصة) ذليلة لا تكاد تطرف (أبصار الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يقولون (يا ويلنا يا حسرتنا (قد كنا في غفلة) في جهالة (من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) كافرين بمحمد عليه السلام والقرآن

(عزوجل)

...في موضعها (انكم وماتعبدون من دون الله) يعنى الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم له واتباعهم خطواتهم فى حكم ...هم (حصب) حطب وقرئ حطب (جهنم أنتم لها واردون) فيها داخلون (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم (ماوردوها) ما دخلوا ... (وكل) أى العابد والمعبود (فيها) فى النار (خالدون لهم) للكفار (فيها زفير) أنين وبكاء وعويل (وهم فيها لا يسمعون) شيأ ما لانهم صاروا صما وفى السماع نوع انس فلم يعطوه (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الاحسن وهى السعادة او البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة نزلت جوابا لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش انكم وماتعبدون من دون الله الى قوله خالدون أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة على ان قوله وماتعبدون لا يتناولهم لان ما لمن لا يعقل الا انهم أهل عناد فزيد فى البيان (أولئك) يعنى عزيرا والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم

﴿انكم وماتعبدون من دون الله﴾ يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم ذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مأولا بمن أو بما يعمه ويدل عليه ماروى ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة أولكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب ﴿حصب جهنم﴾ مايرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر ﴿انتم لها واردون﴾ استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها ﴿لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها﴾ لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها ﴿وكل فيها خالدون﴾ لا خلاص لهم عنها ﴿لهم فيها زفير﴾ انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون مايسرهم ﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ الخصلة الحسنى وهى السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشرى بالجنة ﴿اولئك عنها مبعدون﴾ لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة

عز وجل ﴿انكم﴾ الخطاب للمشركين ﴿وماتعبدون من دون الله﴾ يعنى اصنام ﴿حصب جهنم﴾ أى حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم فى النار كما يرمى بالحصباء وأصل الحصب الرمى ﴿أنتم لها واردون﴾ أى فيها داخلون ﴿لو كان هؤلاء﴾ يعنى الاصنام ﴿آلهة﴾ أى على الحقيقة ﴿ماوردوها﴾ أى ما دخل الاصنام النار وعابدوها ﴿وكل فيها خالدون﴾ يعنى العابدين والمعبودين ﴿لهم فيها زفير﴾ قيل الزفير هو ان يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ماينالهم من العذاب ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ قال ابن مسعود فى هذه الآية اذا بقى فى النار من يخلد فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخر ثم تلك التوابيت فى توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولا يرى أحدهم ان فى النار أحدا يعذب غيره * قوله تعالى ﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ قال العلماء ان هنا بمعنى الا أى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى السعادة والعدة الجميلة بالجنة ﴿أولئك عنها﴾ أى عن النار ﴿مبعدون﴾ قيل الآية عامة فى كل من سبقت له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين

(انكم) يا اهل مكة (وما تعبدون من دون الله) من الاصنام (حصب جهنم) حطب جهنم بلغة الحبشة ا(نتم) يا اهل مكة وما تعبدون من الاصنام (لها واردون) داخلون يعنى جهنم (لو كان هؤلاء) الاصنام (قا و خا ٣٦ بع) (آلهة ماوردوها) ما دخلوا النار (وكل) العابد والمعبود (فيها) فى النار داخلون (خالدون) مقيمون دائمون (لهم فيها) فى جهنم (زفير) صوت كصوت الحمار (وهم فيها) فى جهنم ...(لا يسمعون) صوت الرحمة والشفاعة وصوت الخروج والرخاء ولا يبصرون (ان الذين سبقت) وجبت (لهم منا الحسنى) ...ة يعنى عيسى وعزيرا (أولئك عنها) عن النار (مبعدون) منجون

منا الحسنى جميع المؤمنين . روى ان عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبقت لهم منا العناية فى البداية فظهرت لهم الولاية فى النهاية (لايسمعون حسيسها) صوتها الذى يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة فى الابعاد عنها

لايقربونها حتى لايسمعوا صوتها وصوت من فيها (وهم فيما اشتهت انفسهم)من النعيم (خالدون)مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لايحزنهم الفزع الاكبر)النفخة الاخيرة (وتتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم فى الدنيا العمل فى (يوم نطوى السماء) لايحزنهم أو تتلقاهم تطوى السماء يزيد طيها تكوير نجومها ومحو رسومها أو هو ضد النشر بجمعها ونطويها (كطى السجل)أى الصحيفة

(لايسمعون حسيسها) صوتها (وهم فيما اشتهت) تمنت (انفسهم خالدون) مقيمون فى الجنة (لايحزنهم الفزع الاكبر) ذا اطبقت النار وذبح الموت بين الجنة والنار (وتتلقاهم الملائكة) على باب الجنة بالبشرى (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) فى الدنيا نزلت من قوله انكم وما تعبدون من دون الله الى ههنا فى شأن عبد الله بن الزبعرى السهمى الشاعر وخصومته مع النبى { الكتاب } صلى الله عليه وسلم لقبل الاصنام (يوم)وهو يوم القيامة (نطوى السماء) باليمين (كطى السجل) كطى

والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول ﴿ لايسمعون حسيسها ﴾ وهو بدل من مبعدون أو حال من ضمير سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به ﴿ وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ﴾ دائمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص و الاهتمام به ﴿ لايحزنهم الفزع الاكبر ﴾ النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض أو الانصراف الى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ تستقبلهم مهنئين ﴿ هذا يومكم ﴾ يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول ﴿ الذى كنتم توعدون ﴾ فى الدنيا ﴿ يوم نطوى السماء ﴾ مقدر باذكر أو ظرف لايحزنهم أو تتلقاهم أو حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطى ضد النشر أو المحو وقولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول ﴿ كطى السجل

عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع والعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاثة ثم قام فاقبل عبد الله ابن الزبعرى السهمى فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى عزيرا والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل فى ابن الزبعرى ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لمن يعقل وما لمن لايعقل ﴿ لايسمعون حسيسها ﴾ يعنى صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم فى الجنة ﴿ وهم فيما اشتهت أنفسهم ﴾ أى من النعيم والكرامة ﴿ خالدون ﴾ أى مقيمون * قوله تعالى ﴿ لايحزنهم الفزع الاكبر ﴾ قال ابن عباس يعنى النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادى ياأهل النار خلود بلاموت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ أى تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤنهم ويقولون ﴿ هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ أى فى الدنيا * قوله عزوجل ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل

الكتب) حمزة وعلى حفص أى للمكتوبات أى لمايكتب فيه من المعانى الكثيرة وغيرهم للكتاب اى كما يطوى الطومار للكتابة
الما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه
ل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطى مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى
ول (كما بدأنا اول خلق نعيده) انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيد وماموصولة
اى نعيده مثل الذى بدأناه
نعيده واول خلق ظرف لبدأنا
اى اول ماخلق اوحال
من ضمير الموصول الساقط
من اللفظ الثابت فى المعنى
واول الخلق ايجاده اى
فكما اوجده اولا يعيده ثانيا
تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول
القدرة لهما على السواء
والتنكير فى خلق مثله فى قولك
هو اول رجل جاءنى تريد
أول الرجال ولكنك وحدته
ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا
رجلا فكذلك معنى اول خلق
أول الخلق بمعنى اول الخلائق
لان الخلق مصدر لايجمع
(وعدا) مصدر مؤكد لان
قوله نعيده عدة الاعادة
(علينا) أى وعدا كائنا
لامحالة (انا كنا فاعلين)
ذلك أى محققين هذا الوعد
فاستعدوا له وقدموا صالح
الاعمال للخلاص من هذه
الاهوال (ولقد كتبنا
فى الزبور) كتب داود عليه
السلام (من بعد الذكر) التوراة
(ان الارض) أى الشام (يرثها
دى) ساكنة الياء حمزة غيره بفتح الياء (الصالحون) أى أمة محمد عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور اى المكتوب يعنى ما أنزل

للكتاب ﴾ طيا كطى الطومار لاجل الكتابة أولما يكتب أو كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع أى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه ﴿ كما بدأنا اول خلق نعيده ﴾ أى نعيد ماخلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا عن العدم او جمعا بين الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية واول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره مابعده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بدأنا واول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف ﴿ وعدا ﴾ مقدر بفعله تأكيدا لنعيده أو منتصب به لانه عدة بالاعادة ﴿ علينا ﴾ اى علينا انجازه ﴿ انا كنا فاعلين ﴾ ذلك لامحالة ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور ﴾ كتاب داود ﴿ من بعد الذكر ﴾ أى التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ﴿ ان الارض ﴾ أى ارض الجنة أو الارض المقدسة ﴿ يرثها عبادى الصالحون ﴾ يعنى عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها

للكتاب ﴾ قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطى هو الدرج الذى هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوى السماء كما يطوى السجل الطومار الذى يكتب فيه والتقدير لايحزنهم الفزع الاكبر فى ذلك اليوم ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده قوله غرلا أى قلفا ﴿ وقوله تعالى ﴿ وعدا علينا انا كنا فاعلين ﴾ يعنى الاعادة والبعث بعد الموت ﴿ قوله تعالى ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ﴾ قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو أم الكتاب الذى عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أى بعدما كتب فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل ﴿ أن الارض يرثها عبادى الصالحون ﴾

اتب (للكتب) الصحيفة (كما بدأنا أول خلق) أول خلقهم من النطفة (نعيده) نبعثه من التراب (وعدا علينا) واجبا علينا (أنا كنا
لين) نحييهم بعد الموت (ولقد كتبنا فى الزبور) فى زبور داود (من بعد الذكر) من بعد التوراة ويقال ولقد كتبنا فى الزبور
كتب الانبياء من بعد الذكر اللوح المحفوظ (أن الارض) أرض الجنة (يرثها عبادى الصالحون) الموحدون ويقال الارض
المقدسة يرثها ينزلها عبادى الصالحون من بنى اسرائيل ويقال الصالحون فى آخر

على الانبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعنى به اللوح لان الكل أخذوا منه دليله قراءة حمزة وخلف بضم [illegible]
على جمع زبر بمعنى مزبور والارض أرض الجنة (ان فى هذا) أى القرآن أو فى المذكور فى هذه السورة من الا[illegible]
والوعد والوعيد والمواعظ (لبلاغا) لكفاية أو لسبب بلوغ الى البغية (لقوم عابدين) موحدين وهم أمة محمد عليه [illegible]
(وما أرسلناك الا رحمة) وقال عليه السلام انما أنا رحمة مهداة (للعالمين)
لانه بعث بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فانما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين فى الدارين والكافرين فى الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين فى الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف ورحمة مفعول له أو حال أى ذا رحمة (قل انما) انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى قوله (يوحى الى انما الهكم اله واحد) والتقدير يوحى الى وحدانية الهى ويجوز أن يكون المعنى ان الذى يوحى الى فتكون ما موصولة (فهل أنتم مسلمون) استفهام بمعنى الامر أى أسلموا (فان تولوا) عن الاسلام (فقل آذنتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) حال أى مستوين فى الاعلام به ولم أخصص

أوامة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ان فى هذا﴾ فيما ذكرنا من الاخبار والمواعظ والمواعيد ﴿لبلاغا﴾ لكفاية أو لسبب بلوغ الى البغية ﴿لقوم عابدين﴾ همهم العبادة دون العادة ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾ لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ﴿قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد﴾ أى ما يوحى الى الا أنه لا اله الا اله لكم لا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلى من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع ﴿فان تولوا﴾ عن التوحيد ﴿فقل آذنتكم﴾ أعلمتكم ما أمرت به أو حربى لكم ﴿على سواء﴾ مستوين فى الاعلام به أو مستوين

يعنى أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب فى اللوح المحفوظ فى كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد ان اراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها ﴿ان فى هذا﴾ أى فى القرآن ﴿لبلاغا﴾ أى وصولا الى البغية يعنى من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أى فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى ﴿لقوم عابدين﴾ أى مؤمنين لا يعبدون أحدا دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون ❊ قوله عز وجل ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾ ❊ قيل كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا فى حيرة من أمر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعنى للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة ﴿قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ أى منقادون لما يوحى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر أى أسلموا ﴿فان تولوا﴾ أعرضوا ولم يسلموا ﴿فقل آذنتكم﴾ أى أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا ﴿على سواء﴾ أى

الزمن (ان فى هذا) القرآن
(لبلاغا) الكفاية ويقال عظة بالامر والنهى (لقوم عابدين) موحدين (وما أرسلناك) يا محمد (الا رحمة) من العذاب { انذارا (للعالمين) من الجن والانس من آمن بك ويقال نعمة (قل) يا محمد (انما يوحى الى) فى هذا القرآن (انما الهكم اله واحد) بلا ولد ولا شريك (فهل أنتم) يا أهل مكة (مسلمون) مقرون مخلصون بالعبادة والتوحيد (فان تولوا) عن الايمان والاخلا[illegible]
(فقل) لهم يا محمد (آذنتكم) أعلمتكم فصرت أنا وأنتم (على سواء) على بيان علانية

ـنكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية (وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون) اى لا أدرى متى يكون يوم القيامة لان الله تعالى
ـطلعنى عليه ولكنى أعلم بأنه كائن لا محالة أولا أدرى متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا (انه يعلم الجهر من القول ويعلم
ـكتمون) اى انه عالم بكل شئ يعلم ما تجاهرونى به من الطعن فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحقاد للمسلمين وهو
ـازيكم عليه(وان أدرى لعله فتنة لكم) وما أدرى لعل تأخير العذاب عنكم
فى الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال واشدد وطأتك على مضر قال رب حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم يزيد ربى احكم زيد عن يعقوب (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم اى الكفار وهو المستعان على ما يصفون

بغير سر (وان أدرى) ما

ـرى (أقريب أم بعيد ما توعدون) من العذاب (انه يعلم الجهر من القول) والفعل (ويعلم ما تكتمون) ما تسرون من القول والفعل
ـعلم بعذابكم متى يكون (وان أدرى) ما أدرى (لعله) يعنى تأخير العذاب (فتنة) بلية (لكم ومتاع) أجل (الى حين) حين العذاب
ـل) يا محمد (رب احكم بالحق) اقض بينى وبين أهل مكة بالحق بالعدل (وربنا الرحمن المستعان) نستعين به (على
ـصفون) تقولون من الكذب

انا وانتم فى العلم بما اعلمتكم به أو فى المعاداة أو ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء أى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير ﴿ وان ادرى ﴾ وما ادرى ﴿ أقريب أم بعيد ما توعدون ﴾ من غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لا محالة ﴿ انه يعلم الجهر من القول ﴾ ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام ﴿ ويعلم ما تكتمون ﴾ من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه ﴿ وان ادرى لعله فتنة لكم ﴾ وما ادرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون ﴿ ومتاع الى حين ﴾ وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته ﴿ قل رب احكم بالحق ﴾ اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المتقضى لاستعجال العذاب أو التشديد عليهم ٭ وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام ﴿ وربنا الرحمن ﴾ كثير الرحمة على خلقه ﴿ المستعان ﴾ المطلوب منه المعونة ﴿ على ما تصفون ﴾ من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم ٭ وقرئ بالياء ٭ وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن والله تعالى اعلم

انذارا بينا نستوى فى علمه لا أستبد أنا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجه يستوى نحن وأنتم فى العلم به وقيل معناه لتستووا فى الايمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره ﴿ وان أدرى ﴾ أى وما أعلم ﴿ أقريب أم بعيد ما توعدون ﴾ يعنى يوم القيامة لا يعلمه الا الله ﴿ انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ﴾ أى لا يغيب عن علمه شئ منكم فى علانيتكم وسركم ﴿ وان أدرى لعله فتنة لكم ﴾ أى لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم بكم ﴿ ومتاع الى حين ﴾ أى تتمتعون الى انقضاء آجالكم ﴿ قل رب احكم ﴾ اى افصل بينى وبين من كذبنى ﴿ بالحق ﴾ أى بالعذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرنى عليهم والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب ﴿ وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ أى من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ياأيها الناس اتقوا ربكم) أمر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة التحريك والازعاج واضافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كأنها هي التي تزلزل الارض على المجاز الحكمي أو الى الظرف لانها تكون فيها كأنه قيل ومكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم شيأ فان هذا اسمها حال وجودها وانتصب (يوم ترونها) أي الزلزلة أو الساعة بقوله (تذهل) تغفل والذهول الغفلة (كل مرضعة عما أرضعت) عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة اذ المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال

﴿ سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة ﴾ تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي أو تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في أو اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها ﴿ شئ عظيم ﴾ هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ﴾ تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعلوما اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وما موصولة

﴿ تفسير سورة الحج وهي مكية غير ست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية والف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ أي احذروا عقابه واعملوا بطاعته ﴿ ان زلزلة الساعة شئ عظيم ﴾ الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شئ أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من أشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها ﴿ يوم ترونها ﴾ أي الساعة وقيل الزلزلة ﴿ تذهل ﴾ قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى ﴿ كل مرضعة عما أرضعت ﴾ أي كل امرأة معها ولد ترضعه

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الحج وهي كلها مكية الا خمس آيات ومن الناس من يعبد الله على حرف الى آخر الآيتين وقوله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى آخر الآيتين والسجدة الاخيرة فهؤلاء الآيات مدنيات وكل شئ في القرآن ياأيها الذين (و) آمنوا فهو مدني وكل شئ في القرآن ياأيها الناس فهو مكي ومدني ولا نجد ياأيها الذين آمنوا مكية آياتها خمس وسبعون آية وكلما ألف ومائتان واحدى وتسعون وحروفها خمسة آلاف ومائة وخمسة وثلاثون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسنادہ عن ابن عباس في قوله تعالى (ياأيها الناس) خاص وعام وههنا عام (اتقوا ربكم) اخشوا ربكم وأطيعوه (ان زلزلة الساعة) قيام الساعة (شئ عظيم)هوله(يوم ترونها) حين ترونها عند النفخة الاولى (تذهل) تشتغل (كل مرضعة)والدة(عما أرضعت

...غهابه (وتضع كل ذات حمل) أي حبلى (حملها) ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام
وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام (وترى الناس) أيها الناظر (سكارى) على
التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي نفسي نفسي (وما هم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) فخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب سكرى فيهما بالامالة حمزة وعلي وهو كعطشى في عطشان روى أنه نزلت الآيتان ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة (ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى أو هي عامة في كل من يخاصم في الدين

أو مصدرية ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ جنينها ﴿وترى الناس سكارى﴾ كأنهم سكارى ﴿وما هم بسكارى﴾ على الحقيقة ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم * وقرئ ترى من اريتك قائما أو رأيتك بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل واحد على غيره * وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت

﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ أي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول أصابنا أمر يشيب فيه الوليد تريد به شدته ﴿وترى الناس سكارى﴾ على التشبيه ﴿وما هم بسكارى﴾ على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادي بصوت ان الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري * وفي حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم ابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا * قوله عز وجل ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان

عن ولدها (وتضع كل ذات حمل حملها) وتضع الحوامل ما في بطونها من الاولاد (وترى الناس) قياما (سكارى) نشاوى (وما هم بسكارى) بنشاوى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد)
فلذلك تحيروا كأنهم سكارى (ومن الناس) وهو النضر بن الحرث (من يجادل في الله) يخاصم في دين الله وكتابه (بغير علم) بلا علم

الهوى (ويتبع) فى دماء (كل شيطان مريد) عات مستمر فى الشر ولا قف على مريد لان مابعد صفته (كتب عليه) قضى
الشيطان (أنه) أى الامر والشان وهو فاعل كتب (من تولاه) تبعه أى تبع الشيطان (فانه) فان الشيطان (يضله) عن سواء السبيل
(ويهديه الى عذاب السعير) لمرقال الزجاج الفاء فى فانه للعطف وان مكررة للتأكيد ورد عليه أبو على وقال ان من ان كان للشرط فالفاء
دخل لجزاء الشرط وان كان بمعنى الذى فالفاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير فالامر أنه يضله قال والعطف والتأكيد يكون بعد تمام
الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه وهدايته الى النار ثم الزم الحجة على منكري

وهى تعمه واضرابه ﴿ ويتبع ﴾ فى المجادلة أو فى عامة احواله ﴿ كل شيطان مريد ﴾ متجرد للفساد واصله العرى ﴿ كتب عليه ﴾ على الشيطان ﴿ انه من تولاه ﴾ تبعه والضمير للشان ﴿ فانه يضله ﴾ خبر لمن أو جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب أو اضمار القول أو تضمين الكتب معناه ﴿ ويهديه الى عذاب السعير ﴾ بالحمل على مايؤدى اليه ﴿ يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث ﴾ من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب ﴿ فانا خلقناكم ﴾ أى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم ﴿ من تراب ﴾ اذ خلق آدم منه والاغذية التى يتكون منها المنى ﴿ ثم من نطفة ﴾ منى من النطف وهو الصب ﴿ ثم من علقة ﴾ قطعة من الدم جامدة ﴿ ثم من مضغة ﴾ قطعة من اللحم وهى فى الاصل قدر ما يمضغ ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾ مسواة

يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا ﴿ ويتبع ﴾ أى فى جداله فى الله بغير علم ﴿ كل شيطان مريد ﴾ أى المتمرد المستمر فى الشر وفيه وجهان أحدهما انهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثانى أنه ابليس وجنوده ﴿ كتب عليه ﴾ أى قضى على الشيطان ﴿ أنه من تولاه ﴾ أى اتبعه ﴿ فانه ﴾ يعنى الشيطان ﴿ يضله ﴾ أى يضل من تولاه عن طريق الجنة ﴿ ويهديه الى عذاب السعير ﴾ وفى الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه أنه من يقبل منه فهو فى ضلال ثم الزم الحجة منكرى البعث فقال ﴿ يا أيها الناس ان كنتم فى ريب ﴾ أى شك ﴿ من البعث ﴾ أى بعد الموت ﴿ فانا خلقناكم من تراب ﴾ يعنى اباكم آدم الذى هو أصل النسل ﴿ ثم من نطفة ﴾ يعنى ذريته من المنى وأصلها الماء القليل ﴿ ثم من علقة ﴾ أى من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا ﴿ ثم من مضغة ﴾ وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾ قال ابن عباس أى تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذى تأتى به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكانه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثانى هو الناقص عن هذه

البعث فقال (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) يعنى ان ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا فى بدء خلقكم وقد كنتم فى الابتداء ترابا وماء وليس سبب انكاركم البعث الا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء (فانا خلقناكم) أى أباكم (من تراب ثم) خلقتم (من نطفة ثم من علقة) أى قطعة دم جامدة (ثم من مضغة) أى لحمة صغيرة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب كان الله عز وجل يخلق المضغ متفاوتة منها ماهو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ماهو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى

ولا حجة ولا برهان (ويتبع) يطيع (كل شيطان مريد) متمرد شديد اللعين (كتب عليه) قضى عليه على الشيطان (أنه من) فى الاحوال
تولاه) أطاعه (فانه يضله) عن الهدى (ويهديه) يدعوه (الى عذاب السعير) الى ما يجب به عذاب الوقود (يا أيها الناس) يا
أهل مكة (ان كنتم فى ريب) فى شك (من البعث) بعد الموت فتذكروا فى بدء خلقكم فان احياءكم ليس باشد على من بدء
(فانا خلقناكم من تراب) من آدم وآدم من تراب (ثم) خلقناكم بعد ذلك (من نطفة ثم من علقة) من دم عبيط بعد النطفة (ثم
من مضغة) من لحم طرى بعد العلقة (مخلقة) خلق تام (وغير مخلقة) وهى

.، ومن خلقة الى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وان

لانقص فيها ولاعيب وغير مسواة أو تامة وساقطة أو مصورة وغير مصورة ﴿لنبين لكم﴾ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ماقبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته مالايحيط به العقل ﴿ونقر فى الارحام مانشاء﴾ ان نقره ﴿الى اجل مسمى﴾ هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين ٭وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ﴿ثم نخرجكم طفلا﴾ عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم فى الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف ٭وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد أو الدلالة على الجنس أو لانه فى الاصل مصدر ﴿ثم لتبلغوا اشدكم﴾ كمالكم فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كأنها شدة فى الامور ﴿ومنكم من يتوفى﴾ عند بلوغ الاشد اوقبله ٭وقرئ يتوفى أى يتوفاه الله ﴿ومنكم من يرد الى ارذل العمر﴾ وهو الهرم والخرف ٭وقرئ بسكون الميم

الاحوال كلها وروى عن علقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت فى الرحم أخذها ملك بكفه وقال أى رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها فى الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أى رب أذكر أم أنثى أشق أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأى أرض يموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها فى أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتى على آخر صفته والذى أخرجاه فى الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لااله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ٭ وقوله تعالى ﴿لنبين لكم﴾ أى كمال قدرتنا وحكمتنا فى تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته فى ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ماتأتون وماتذرون وماتحتاجون اليه فى العبادة وقيل لنبين لكم أن تغير المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة ﴿ونقر فى الارحام مانشاء﴾ أى لاتسقطه ولاتمجه ﴿الى أجل مسمى﴾ أى وقت خروجه من الرحم تام الخلق ﴿ثم نخرجكم﴾ أى وقت الولادة من بطون أمهاتكم ﴿طفلا﴾ أى صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ أى كمال القوة والعقل والتمييز ﴿ومنكم من يتوفى﴾ أى قبل بلوغ الكبر ﴿ومنكم من يرد الى أرذل العمر﴾ أى الهرم والخرف

من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم نطفة ثانيا ولامناسبة بين التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة مابدأه (ونقر) بالرفع عند غير المفضل مستأنف بعد وقف أى نحن نثبت (فى الارحام مانشاء) ثبوته (الى أجل مسمى) أى وقت الولادة ومالم نشأ ثبوته أسقطته الارحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال وأريد به الجنس فلذا لم يجمع أو أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا) ثم نربيكم لتبلغوا (أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم وهو من الفاظ الجموع التى لا يستعمل لها واحد (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أو قبله أو بعده (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أخسه

السقط (لنبين لكم) فى القرآن بدء خلقكم (ونقر فى الارحام) من ان يسقط ويقال نترك فى الارحام (مانشاء) من الولد (الى أجل مسمى) الى وقت معلوم من الشهور (ثم نخرجكم) من الارحام (طفلا) صغارا (ثم) نتركبكم (لتبلغوا أشدكم) من ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة (ومنكم من يتوفى) تقبض روحه قبل (قا و خا ٣٧ بع) البلوغ (ومنكم من يرد) يرجع (الى أرذل العمر) الى حاله الاول بعد

يعنى الهرم واحرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أى لكيلا يعلم شيأ من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان عليه
ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت)
وانتفخت وربأت حيث كان يزيد ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن سار للناظرين اليه (ذلك) مبتدأ خبره
(بأن الله هو الحق) أى ذلك الذى ذكرنا من خلق بنى آدم واحياء
الارض مع ما فى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله هو الحق أى الثابت الوجود (وانه يحيي الموتى) كما أحياء الارض (وانه على كل شئ قدير) قادر (وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) أى انه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلابد أن يفى بما وعد (ومن الناس من يجادل فى الله) فى صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت فى أبى جهل (بغير علم) ضرورى

﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيأ﴾ ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعترى الانسان فى اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره ﴿وترى الارض هامدة﴾ ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا ﴿فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت بالنبات ﴿وربت﴾ وانتفخت وقرى ربأت اى ارتفعت ﴿وانبتت من كل زوج﴾ من كل صنف ﴿بهيج﴾ حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره ﴿بان الله هو الحق﴾ اى بسبب انه الثابت فى نفسه الذى به تتحقق الاشياء ﴿وانه يحيي الموتى﴾ وانه يقدر على احيائها والالما احيي النطفة والارض الميتة ﴿وانه على كل شئ قدير﴾ لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها ﴿وان الساعة آتية لاريب فيها﴾ فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه ﴿وان الله يبعث من فى القبور﴾ بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم﴾ تكرير للتأكيد

﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيأ﴾ أى يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيأ فيصير كما كان فى أول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم * ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى ﴿وترى الارض هامدة﴾ أى يابسة لا نبات فيها ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء﴾ يعنى المطر ﴿اهتزت﴾ أى تحركت بالنبات ﴿وربت﴾ أى ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات ﴿وأنبتت﴾ هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت وأضيف الى الارض توسعا ﴿من كل زوج بهيج﴾ أى من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشئ المشرق الجميل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى ﴿ذلك﴾ أى ذكرنا ذلك لتعلموا ﴿بأن الله هو الحق﴾ وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع ﴿وأنه يحيي الموت﴾ أى انه اذا لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات ﴿وانه على كل شئ قدير﴾ أى من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات ﴿وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور﴾ أى ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لاشك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق * قوله تعالى ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم﴾ يعنى النضر بن الحرث

الهرم (لكى لا يعلم) حتى لا يعقل (من بعد علم) من بعد علمه الاول (شيأ وترى الارض هامدة) منكسرة ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) بالنبات ويقال تحركت واستبشرت بالماء (وربت) انتفخت للنبات (وأنبتت) أخرجت بالماء (من كل زوج بهيج) من كل لون حسن (ذلك) القدرة فى تحويلكم وغير ذلك لتقروا وتعلموا (بان الله هو الحق) بان عبادة الله هى الحق (وانه يحيي الموتى) للنشور (وأنه على كل شئ) من الحياة (ولا هدى)
والموت (قدير وأن الساعة آتية) كائنة (لاريب فيها) لاشك فى كينونتها (وأن الله يبعث من فى القبور) للجزاء والعقاب (وم
الناس من يجادل فى الله) يخاصم فى دين الله وكتابه (بغير علم) بلا علم

لاهدى) أى استدلال لانه يهدى الى المعرفة (ولا كتاب منير) اى وحى ، العلم للانسان من احد هذه الوجوه الثلاثة ثانى عطفه) حال أى لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء وعن الحسن ثانى عطفه بفتح العين أى مانع تعطفه الى غيره يضل) تعليل للمجادلة ليضل مكى وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له فى الدنيا خزى) أى القتل يوم بدر (ونذيقه يوم يامة عذاب الحريق) اى جمع له عذاب الدارين (ذلك بما قدمت يداك)أى السبب فى عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليد لان اليد آلة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما أى وبان الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكون وطمانينه وهو

ولما نيط به من الدلالة بقوله ﴿ ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ على انه لا سند له من استدلال أو وحى أو الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ﴿ثانى عطفه﴾ متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد أو معرضها عن الحق استخفافا به ، وقرئ بفتح العين أى مانع تعطفه ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ علة للجدال ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث انه مؤداه كالغرض له ﴿ له فى الدنيا خزى ﴾ وهو ما اصابه يوم بدر ﴿ ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق﴾ المحرق وهو النار ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ على الالتفات او ارادة القول اى يقال له يوم القيامة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى ﴿وان الله ليس بظلام للعبيد﴾ وانما هو مجاز لهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش

﴿ ولا هدى﴾ أى ليس معه من الله بيان ولا رشاد ﴿ولا كتاب منير ﴾ أى ولا كتاب من الله له نور ﴿ ثانى عطفه ﴾ أى لاوى جنبه وعنقه متبخترا لتكبره معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ أى عن دين الله ﴿ له فى الدنيا خزى ﴾ أى عذاب وهوان وهو أنه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبى معيط ﴿ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك ﴾ أى يقال له ذلك ﴿ بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ أى فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أى وجه أراد تصرف فى عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم ✽ قوله عز وجل ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ الآية نزلت فى قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت فى هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أى على شك وأصله من حرف الشئ وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذى هو غير مستقر فقيل للشاك فى الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكينة وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله

(ولا هدى) بلا حجة (ولا كتاب منير) مبين بما يقول (ثانى عطفه) لاويا عنقه معرضا عن الآيات مكذبا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ليضل عن سبيل الله عن دين الله وطاعته (له فى الدنيا خزى) عذاب قتل يوم بدر صبرا (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق)عذاب النار ويقال العذاب الشديد (ذلك) القتل يوم بدر صبرا (بما قدمت يداك) بما عملت يداك فى الشرك من قوله ومن الناس من يجادل فى الله الى ههنا فى شأن النضر بن الحرث (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أن يأخذهم بلا جرم (ومن الناس من يعبد الله على حرف)على وجه تجربة وشك وانتظار نعمة نزلت هذه الآية فى شأن بنى الخلاف منافقى بنى أسد وغطفان

حال أى مضطربا (فان أصابه خير) صحة فى جسمه وسعة فى معيشته (اطمأن) سكن واستقر (به) بالخير الذى أصابه أو بالد[ين]
فعبد الله (وان أصابته فتنة) شر وبلاء فى جسده وضيق فى معيشته (انقلب على وجهه) جهته أى ارتد ورجع الى الك[فر]
كالذى يكون على طرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت فى أعاريب
قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه
ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءة روح وزيد خاسر الدنيا والآخرة والخسران فى الدنيا بالقتل فيها وفى الآخرة بالخلود فى النار (ذلك) أى خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذى لا يخفى على أحد (يدعو من دون الله) يعنى الصنم فانه بعد الردة يفعل كذلك (ما لا يضره) ان لم يعبده (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) والاشكال انه تعالى نفى الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الآية وأثبتهما هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة لمن ضره اقرب

فان احس بظفر قر والا فر ﴿فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ روى انها نزلت فى اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه وعلى انه خبر محذوف ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ اذ لا خسران مثله ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾ يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد فى التيه ضلالا ﴿يدعو لمن ضره﴾ بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ﴿اقرب من نفعه﴾ الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد أو داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به أو مستأنفة على ان يدعو تكرير

بلسانه دون قلبه ﴿فان أصابه خير﴾ أى صحة فى جسمه وسعة فى معيشته ﴿اطمأن به﴾ أى رضى به وسكن اليه ﴿وان أصابته فتنة﴾ أى بلاء فى جسده وضيق فى معيشته ﴿انقلب على وجهه﴾ أى ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذى كان عليه من الكفر ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ أى خسر فى الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر فى الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود فى النار ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أى الظاهر ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره﴾ ان عصاه ولم يعبده ﴿وما لا ينفعه﴾ أى ان أطاعه وعبده ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أى عن الحق والرشد ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ فان قلت قد قال الله تعالى فى الآية الاولى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال فى هذه الآية يدعو لمن ضره أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال فى الآية الاولى ما لا يضره أى لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره

(فان أصابه خير) نعمة (اطمأن به) رضى بدين محمد صلى الله عليه وسلم بلسانه (وان أصابته فتنة) شدة (انقلب على وجهه) (أى [...]
رجع الى دينه الاول الشرك بالله (خسر الدنيا) غبن الدنيا بذهابها (والآخرة) بذهاب الجنة (ذلك) الغبن (هو الخسران المبين)
الغبن البين بذهاب الدنيا والآخرة (يدعو) يعبد بنو الحلاف (من دون الله ما لا يضره) ان لم يعبده (وما لا ينفعه) ان عب[ده]
(ذلك هو الضلال) الخطأ (البعيد) عن الحق والهدى (يدعو) يعبد بنو الحلاف (لمن ضره اقرب من نفعه) يقول من ضره

نفعه (لبئس المولى) أى الناصر الصاحب (ولبئس العشير) المصاحب وكرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله مالا يضره ولا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) هذا وعد لمن عبدالله بكل حال لا لمن عبدالله على حرف (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة) المعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فليمدد بسبب) بحبل (الى السماء) الى سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق به وسمى الاختناق قطعا لان المختنق ينقطع نفسه بحبس مجاريه وبكسر اللام بصرى وشامى (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) أى الذى يغيظه أو ما مصدرية أى غيظه والمعنى فليصور فى نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه وسمى فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس فى يده الا ما ليس

للاول ومن مبتدأ وخبره ﴿لبئس المولى﴾ الناصر ﴿ولبئس العشير﴾ الصاحب ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد﴾ من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع ﴿من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة﴾ كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن ﴿فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع﴾ فليستقص فى ازالة غيظه أو جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا أو المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه أو فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد فى دفع نصره أو تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام ﴿فلينظر﴾ فليتصور فى نفسه ﴿هل يذهبن كيده﴾ فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ﴿ما يغيظ﴾ غيظه أو الذى يغيظه من نصر الله وقيل نزلت فى قوم من المسلمين استبطأوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين

أى ضر عبادته وقيل أنها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستشفع وقيل الآية فى الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا ووجه هذا القول ان الله تعالى بين فى الآية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور فى هذه الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الرؤساء بدليل قوله ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ أى الناصر والمصاحب المعاشر * قوله عز وجل ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد﴾ أى بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان * قوله تعالى ﴿من كان يظن ان لن ينصره الله﴾ يعنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿فى الدنيا﴾ أى باعلاء كلمته واظهار دينه ﴿والآخرة﴾ أى وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه ﴿فليمدد بسبب﴾ أى بحبل ﴿الى السماء﴾ أى سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشدد حبلا فى سقف بيته فليختنق به حتى يموت ﴿ثم ليقطع﴾ اى الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ أى صنعه وحيلته ﴿ما يغيظ﴾

قريب ونفعه بعيد (لبئس المولى) لرب (ولبئس العشير) الخليل والصاحب يقول من كانت عبادته مضرة على عابده لبئس المعبود هو (ان الله يدخل الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت أشجارها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (ان الله يفعل ما يريد) من الشقاوة والسعادة ونزل فيهم أيضا حين قالوا نخاف ان لا ينصر ... د فى الدنيا فيذهب ما كان بيننا وبين اليهود من المودة (من كان يظن) يحسب (أن لن ينصره الله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالغلبة (فى الدنيا والآخرة) بالعذر والحجة (فليمدد) فليربط (بسبب) بحبل (الى السماء) الى سماء بيته (ثم ليقطع) ليختنق (فلينظر) فليتفكر فى نفسه (هل يذهبن كيده) اختناقه (ما يغيظ) غيظه فى محمد صلى الله عليه وسلم ويقال فيه وجه آخر من كان يظن ... ن لن ينصره الله فى الدنيا بالرزق والآخرة بالثواب فليمدد بسبب الى السماء فليربط حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع ولينظر ... نفسه هل يذهبن كيده اختناقه ما يغيظ غيظه

بمذهب لما يغيظ (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزل القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدى من يريد) أى ولان الله يهدى به الذين يعلم انهم مؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) قيل الاديان خمسة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) فى الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم فى موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيدا ان أباه قائم (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان (أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الاوض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل

فى رزقه (وكذلك) هكذا (أنزلناه آيات) أنزلنا جبريل بآيات (بينات) بالحلال والحرام (وان الله يهدى) يرشد الى دينه (من يريد) من كان أهلا لذلك (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (والذين هادوا) يهود أهل المدينة (والصابئين) السائحين وهم شعبة من النصارى (والنصارى) يعنى نصارى أهل نجران السيد والعاقب (والمجوس) عبدة الشمس والنيران (والذين أشركوا) مشركى العرب (ان الله) قيل يفصل) يقضى (بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ) من اختلافهم وأعمالهم (شهيد) عالم (ألم تر) ألم تخبر يا محمد فى القرآن (ان الله يسجد له من فى السموات) من الخلق (ومن فى الارض) من المؤمنين (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب)

﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الانزال ﴿ أنزلناه ﴾ انزلنا القرآن كله ﴿ آيات بينات ﴾ واضحات ﴿ وان الله يهدى ﴾ ولان الله يهدى به أو يثبت على الهدى ﴿ من يريد ﴾ هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ﴾ بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازى كلا بما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التأكيد ﴿ ان الله على كل شئ شهيد ﴾ عالم به مراقب لاحواله ﴿ ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض ﴾ يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره أو يدل بذله على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله ﴿ والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴾ افراد

أى فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد فى أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله فى السماء فليطلب سببا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه فلينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وفى الآية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه روى ان الآية نزلت فى قوم من أسد وغطفان دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود مخالفة فقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فتنقطع المخالفة بيننا وبين اليهود فلا يميرونا ولا يؤونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن ان لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرنى نصره الله أى من يعطنى أعطاه الله ﴿ وكذلك أنزلناه ﴾ يعنى القرآن ﴿ آيات بينات وان الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ﴾ يعنى عبدة الاوثان قيل الاديان ستة واحدة وهو الاسلام وخمسة للشياطين وهو ما عدا الاسلام ﴿ ان الله يفصل بينهم ﴾ أى يحكم بينهم ﴿ يوم القيامة ﴾ وقيل يفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد ﴿ ان الله على كل شئ شهيد ﴾ أى انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجرى فى ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية فى تفسير سورة البقرة * قوله عز وجل ﴿ ألم تر ﴾ أى ألم تعلم وقيل ألم ترقلبك ﴿ أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴾

لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها * وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف
أو الجمع بين الساكنين ﴿ وكثير من الناس ﴾ عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد
فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر
فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه
خبر قسيمه نحو حق له الثواب أو فاعل فعل مضمر أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول
مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا
بما بعده * وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ﴿ ومن يهن الله ﴾ بالشقاوة ﴿ فماله
من مكرم ﴾ يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ﴿ ان الله يفعل مايشاء ﴾
من الاكرام والاهانة ﴿ هذان خصمان ﴾ أى فوجان مختصمان ولذلك قال

قيل سجود هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل مافى السماء نجم ولاشمس ولاقمر الايقع
ساجدا حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه
وقيل معنى سجودها الطاعة فانه مامن جماد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما
وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة
لجميع الاعراض التى خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت بمطاوعتها أفعال
المكلف وهو السجود الذى كل خضوع دونه فان قلت هذا التأويل يبطله قوله ﴿ وكثير
من الناس ﴾ فان السجود بالمعنى الذى ذكر عام فى الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس
يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذى ذكرته وان كان عاما فى حق الكل الا ان
بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود فى الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد
بظاهره وأما المؤمن فانه ساجد بذاته وبظاهره أيضا فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص
بالذكر وقيل معنى الآية ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض ويسجد له كثير
من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثانى بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت
قوله من فى السموات ومن فى الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من
الناس قلت لو اقتصر على ماتقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثيرا من الناس
يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ وهم الكفار
أى حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود
تسجد ظلالهم لله عز وجل ﴿ ومن يهن الله فماله من مكرم ﴾ أى من يذله الله فلا يكرمه
أحد ﴿ ان الله يفعل مايشاء ﴾ أى يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء
وقيل هو الذى يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب

فصل

هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها أو
سماع تلاوتها * قوله عز وجل ﴿ هذان خصمان

الكل يسجد له ولكننا لانقف عليه كما لانقف على تسبيحها قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وقيل سمى مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له
سجوداله تشبيها لمطاوعته
بسجود المكلف الذى كل
خضوع دونه (وكثير
من الناس) أى ويسجد له
كثير من الناس سجود
طاعة وعبادة أو هو
مرفوع على الابتداء ومن
الناس صفة له والخبر محذوف
وهو مثاب ويدل عليه قوله
(وكثير حق عليه العذاب)
أى وكثير منهم حق عليه
العذاب بكفره وابائه
السجود (ومن يهن الله)
بالشقاوة (فماله من
مكرم) بالسعادة (ان الله
يفعل مايشاء) من الاكرام
والاهانة وغير ذلك وظاهر
هذه الآية والتى قبلها
ينقض على المعتزلة قولهم
لانهم يقولون شاء أشياء ولم
يفعل وهو يقول يفعل
مايشاء (هذان خصمان)

هؤلاء يسجدون لله (وكثير
من الناس) وجبت لهم الجنة
وهم المؤمنون (وكثير حق
عليه العذاب) وجب عليهم
عذاب النار وهم الكافرون
(من يهن الله) بالشقاوة
(فماله من مكرم) بالسعادة
ويقال ومن يهن الله بالنكرة
فماله من مكرم بالمعرفة (ان الله
يفعل مايشاء) بخلقه من
الشقاوة والسعادة والمعرفة والنكرة (هذان خصمان) أهل دينين من المسلمين

﴿ اختصموا ﴾ حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون ﴿ في ربهم ﴾ في دينه أو في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت

اختصموا في ربهم ﴾ أي جادلوا في دينه وأمره واختلفوا في هذين خصمين فروى عن قيس ابن عبادة قال سمعت أبا ذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه في الصحيحين (خ) عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عبادة فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب فلما دنوا منهم قالوا من أنتم فذكروا انفسهم قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فأما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى أصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما أتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألست شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم انا أحق بما قال منه حيث يقول

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وغرتهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي

أي فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله (اختصموا) للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى أهل الاديان المذكورة فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم (في ربهم) في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله

واليهود والنصارى (اختصموا في ربهم) في دين ربهم فقال كل واحد منهم أنا أولى بالله وبدينه فحكم الله بينهم فقال

(ـذين كفروا) وهو فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم ثياب من نار) كان الله يقدر لهم
ـا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضى لانه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق
(ـب من فوق رؤسهم) بكسر الهاء والميم بصرى وبضمهما حمزة وعلى وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (الحميم)
ـا الحار عن ابن عباس رضى الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا
لاذابتها (يصهر) يذاب (به) بالحميم (ما فى بطونهم والجلود) أى يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر فى الظاهر والباطن (ولهم مقامع) سياط مختصة بهم (من حديد) يضربون بها (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) بدل الاشتمال من منها باعادة الجار أو الاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يعنى كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أعيدوا فيها) بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن ان النار تضربهم بلهبها فتلقيهم الى اعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا والمراد اعادتهم الى معظم النار لا انهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون اليها

﴿ فالذين كفروا ﴾ فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴿ قطعت لهم ﴾ قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ﴿ ثياب من نار ﴾ نيران تحيط بهم احاطة الثياب ﴿ يصب من فوق رؤسهم الحميم ﴾ حال من الضمير فى لهم وخبر ثان والحميم الماء الحار ﴿ يصهر به ما فى بطونهم والجلود ﴾ أى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم أو من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به أى يكف بعنف ﴿ كلما ارادوا ان يخرجوا منها ﴾ من النار ﴿ من غم ﴾ من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار ﴿ اعيدوا فيها ﴾ أى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها

ـضها الى بعض ولا يظلم ربك من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقا للبخارى اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى أولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم ذكره وهو أهل الاديان الستة وأيضا فانه ذكر صنفين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر مآل الخصمين فقال تعالى ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ﴾ قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شئ اذا حمى أشد حرا منه وسمى باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار مقطعات من نار ﴿ يصب من فوق رؤسهم الحميم ﴾ أى الماء الحار الذى انتهت حرارته ﴿ يصهر به ﴾ أى يذاب الحميم الذى يصب من فوق رؤسهم ﴿ ما فى بطونهم ﴾ من الشحوم والاحشاء ﴿ والجلود ﴾ عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوف أحدهم فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ أى سياط من حديد وهى الجرز من الحديد وفى الخبر لو وقع مقمع من حديد فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم ﴾ أى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذى يأخذ بأنفاسهم ﴿ أعيدوا فيها ﴾ أى ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا

(فالذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى اليهود والنصارى (قطعت لهم ثياب من نار) قمص وجباب من نار (يصب
من فوق رؤسهم) على رؤسهم (الحميم) (قا و خا ٣٨ بع) الماء الحار (يصهر به) يذاب بالحميم (ما فى بطونهم) من الشحوم
ـرها (والجلود) ويذاب به الجلود وغيرها (ولهم مقامع من حديد) حار يضرب على رؤسهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها)
من النار (من غمها) من غم العذاب (أعيدوا فيها) فى النار بضرب المقامع

(وذوقوا) أى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ذكر جزاء الخصم ...
فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور) جمع اسورة
سوار (من ذهب ولؤلؤا) بالنصب مدنى وعاصم وعلى و...

لؤلؤ والجر غيرهم عطفا على من ذهب وبترك الهمزة الاولى فى كل القرآن أبو بكر وحده (ولباسهم فيها حرير) ابريسم (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) أى أرشد هؤلاء فى الدنيا الى كلمة التوحيد والى صراط الحميد أى الاسلام أوهداهم الله فى الآخرة وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة والحميد الله المحمود بكل

فيضربون بالمقامع فيهوون بها ﴿وذوقوا﴾ أى وقيل لهم ذوقوا ﴿عذاب الحريق﴾ أى النار البالغة فى الاحراق ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ غير الاسلوب فيه وأسند الادخال الى الله تعالى وأكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم ﴿يحلون فيها﴾ من حليت المرأة اذا ألبستها الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد ﴿من أساور﴾ صفة مفعول محذوف وأساور جمع أسورة وهى جمع سوار ﴿من ذهب﴾ بيان له ﴿ولؤلؤا﴾ عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا أن يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها أو اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك أبو بكر والسوسى عن أبى عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلوا بقلب الثانية واوا ولولوا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولوليا بقلبهما ياءين ولول كأدل ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة على هيئة الفواصل ﴿وهدوا الى الطيب من القول﴾ وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده أو كلمة التوحيد ﴿وهدوا الى صراط الحميد﴾ المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة أو الحق أو المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه

وذوقوا عذاب الحريق﴾ أى تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى فى وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾ وهو الابريسم الذى حرم لبسه على الرجال فى الدنيا ✽ عن معاوية عن جد بهز بن حكيم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (ق) عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهم وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهم وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ✽ عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضئ ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ✽ قوله تعالى ﴿وهدوا﴾ من الهداية أى أرشدوا ﴿الى الطيب من القول﴾ قال ابن عباس هو شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل هو القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴿وهدوا الى صراط الحميد﴾ أى الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود

(وذوقوا) فيقال لهم ذوقوا (عذاب الحريق) الشديد (ان الله يدخل الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (يحلون فيها) يلبسون فى الجنة (من أساور من ذهب) أسورة من ذهب (ولؤلؤا ولباسهم فيها) فى الجنة (حرير) لا ... فضله (وهدوا الى الطيب من القول) أرشدوا فى الدنيا الى القول الطيب لا اله الا الله (وهدوا الى صراط الحميد) ووفقوا للدين المحمود فى فعله ويقال الحميد لمن وحده فهذا اقتضاء الله فيما بين اليهود والنصارى والمؤمنين فى

[اس]لام ﴿ ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ﴾ لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما [ير]يد به استمرارا لصدود منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل [هو] حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية أى معذبون ﴿ والمسجد [الح]رام ﴾ عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله ﴿ الذى جعلناه [للنا]س سواء العاكف فيه والباد ﴾ أى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها [واج]ارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشراء عمر دار [الس]جن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء [...] لا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول أو الحال والعاكف مرتفع به وقرئ [الع]اكف بالجر على انه بدل من الناس ﴿ ومن يرد فيه ﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول

أفعاله ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى بما جاء به محمد صلى الله عليه [وس]لم ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ أى بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام ﴿ والمسجد [الح]رام ﴾ أى ويصدون عن المسجد الحرام ﴿ الذى جعلناه للناس ﴾ أى قبلة لصلاتهم [و]منسكا ومتعبدا ﴿ سواء العاكف ﴾ أى المقيم ﴿ فيه ﴾ قال بعضهم ويدخل فيه [الغ]ريب اذا جاور وأقام به ولزم التعبد فيه ﴿ والباد ﴾ أى الطارئ المنتاب [الي]ـه من غيره واختلفوا فى معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادى فى تعظيم [ح]رمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه [نف]س المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية فى تعظيم الكعبة وفى فضل الصلاة فيه [و]الطواف به وعن جبير بن مطعم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يابنى عبد مناف لا تمنعوا [أ]حدا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الترمذى وأبو داود [و]النسائى وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادى سواء فى النزول به [ولي]س أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير انه لا يزعج أحدا احدا اذا كان قد سبق الى [المن]زل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء فى البيوت [و]المنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة [أ]حق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا أبوابهم فى الموسم فعلى هذا [ال]قول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان أرض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستو [ال]عاكف فيها والبادى فلما استوى ثبت ان سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب أبو حنيفة [وقا]لوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه [يج]وز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعى [وا]حتج الشافعى فى ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أضاف الديار الى [م]الكيها وقال النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار [أ]بى سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن [ب]أربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها ﴿ وقوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه ﴾

الاسلام ويصدون حال من فاعل كفروا أى وهم يصدون أى الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان يحسن الى الفقراء فانه يراد به استمرار وجود الاحسان منه فى الحال والاستقبال (والمسجد الحرام) أى ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الذى جعلناه للناس) مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فان أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا تباع دور مكة وان أريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس (سواء) بالنصب حفص مفعول ثان لجعلناه أى جعلناه مستويا العاكف فيه والباد) وغير المقيم بالياء مكى ووافقه أبو عمرو فى الوصل وغيره بالرفع على انه خبر والمبتدأ مؤخر أى العاكف فيه والباد سواء والجملة مفعول ثان وللناس حال (ومن يرد فيه) ﴿ خصومهم (ان الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن أبو سفيان وأصحابه وانما سماهم كفارا لانه لم يكن مؤمنا يومئذ (ويصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دين الله وطاعته (والمسجد الحرام) يصرفون محمدا عليه السلام وأصحابه عام الحديبية عن المسجد الحرام للعمرة

(الذى جعلناه) حرما وقبلة (للناس سواء العاكف فيه والباد) يعنى المقيم والغريب سواء شرع (ومن يرد) تل (فيه

المسجد الحرام (بالحاد بظلم) حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما فالالحاد العدول عن القصد (نذقه من عذاب أليم) في الآخرة وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم كل

من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) واذكر يا محمد حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله ابراهيم مكانه بريح أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم (أن) هي المفسرة لتوب التقدير أي قائلين له (لا تشرك بي شيأ وطهر بيتي) من الاصنام والاوثان وبفتح الياء مدني وحفص (للطائفين) لمن يطوف به (والقائمين) والمقيمين بمكة (والركع السجود) المصلين جمع راكع وساجد (وأذن

بالحاد بظلم) على أحد (نذقه من عذاب أليم) وجميع نضربه ضربا شديدا لكي لا يعود الى ظلم أحد وقيل نزلت في شأن عبد الله بن أنس بن حنظل قتل أنصاريا بالمدينة متعمدا وارتد عن الاسلام وهرب الى مكة فنزل فيه ومن يرد فيه من يلجأ اليه بالحاد بقتل أو بشرك نذقه من عذاب أليم وجميع لا يطعم

ولا يسقى ولا يؤوى حتى يخرج من الحرم ثم يقام عليه الحد (واذ بوأنا لابراهيم) بينا لابراهيم (مكان البيت) أعلم الحرام بسحابة وقفت على حياله فبنى ابراهيم البيت على حيال السحابة وأوحينا اليه (أن لا تشرك بي شيأ) من الاصنام (وطهر بيتي) مسجدي من الاوثان (للطائفين) حوله (والقائمين) المقيمين فيه (والركع السجود) لاهل الصلوات من جملة البلدان من كل وجه (و

وقرئ بالفتح من الورود ﴿بالحاد﴾ عدول عن القصد ﴿بظلم﴾ بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار أو صلة له أي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام ﴿نذقه من عذاب اليم﴾ جواب لمن ﴿واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت﴾ اى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اى واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ﴿ان لا تشرك بي شيأ وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة أو مصدرية موصولة بالنهي اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بيتي بفتح الياء ﴿واذن

أي في المسجد الحرام ﴿بالحاد بظلم﴾ أي بميل الى الظلم قيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء كان منهيا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيآت بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روي يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه أخرجه ابو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ قال لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب اليم قال السدي الا ان يتوب وروي عن عبد الله بن عمرو انه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله تعالى ﴿وأذ بوأنا لابراهيم مكان البيت﴾ قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا وانما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر أي جهة يبني فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدري فبنى عليه ﴿أن لا تشرك بي شيأ﴾ أي عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيأ ﴿وطهر بيتي﴾ أي من الشرك والاوثان والاقذار ﴿للطائفين﴾ أي الذين يطوفون بالبيت ﴿والقائمين﴾ أي المقيمين فيه ﴿والركع السجود﴾ أي المصلين قوله عز وجل ﴿وأذن﴾ أي

في الناس بالحج) ناد فيهم والحج هو القصد البليغ الى مقصد منيع وروى انه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فاجاب من قدرله أن يحج من الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع والاول أظهر وجواب الامر (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجال كانه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث (يأتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرأ عبد الله يأتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فانتم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال زر من هويت وان شطت بك الدار ٭ وحال من دونه حجب وأستار ٭ لا يمنعك بعد عن زيارته ٭ ان المحب لمن يهواه زوار ٭ واللام في (ليشهدوا) ليحضروا متعلق باذن أو بيأتوك (منافع لهم) نكرها لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة هذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجر البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عتاده ولا يأكل الا من زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة

في الناس ﴾ ناد فيهم وقرئ وآذن ﴿ بالحج ﴾ بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام صعد اباقبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ﴿ يأتوك رجالا ﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله ﴿ يأتين ﴾ صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس ﴿ من كل فج ﴾ طريق ﴿ عميق ﴾ بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ﴿ ليشهدوا ﴾ ليحضروا ﴿ منافع لهم ﴾ دينية

أعلم وناد والاذان في اللغة الاعلام ﴿ في الناس ﴾ قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة ﴿ بالحج ﴾ فقال ابراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك الاذان وعلينا الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس ألا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فالاول من اجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وروى ان ابراهيم صعد أباقبيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم أمر ان يفعل ذلك في حجة الوداع (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ﴿ يأتوك رجالا ﴾ أي مشاة على أرجلهم جمع راجل ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ أي ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدأ بذكر المشاة تشريفا لهم ﴿ يأتين ﴾ أي جماعة الابل ﴿ من كل فج عميق ﴾ أي من كل طريق بعيد فمن أتى مكة حاجا فكانه قد أتى ابراهيم لانه مجيب نداءه ٭ قوله تعالى ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى به الله من أمر الدنيا والآخرة

الناس) ناد ذريتك (بالحج يأتوك) حتى يجيئوا اليك (رجالا) مشاة على أرجلهم (وعلى كل ضامر) ركبانا على كل ابل ضمر وغيره (يأتين) يجئن (من كل فج عميق) طريق وأرض بعيدة (ليشهدوا منافع لهم) منافع الدنيا والآخرة منافع الآخرة بالدعاء والعبادة ومنافع الدنيا

وركب بحراوفقة لا ينفع وحدته الاماسعى فى مدة مدة ولا يؤنس وحشته الا ماكان يانس به من اوراده وغسل ر
بحر عوقه بدما بـ... ... مرآة لما سيأتى عليه من ... على سرير الغسل و تجهيزه مصليا الخطوط ...
ى ... ثم ... أشعث حيران ... يوم الحشر ... ووقوف الحجيج بعرفات آملين ع
ورهبـ... من بين مقبول ... ومخذول كوقف العرصات لانكم
الا ... شقى وسعيد
والانتقال الى مزدلفة بالمساء
هو سوق القسال القضاء
ومنى هو موقف ...
مذنبين الى شفاعة الشافعين
وحلق الرأس والتنظيف
كالخروج من السيئات
بالرحمة و ... والبيت
الحرام الذى من دخله كان
آمنا من الايذاء والقتال
أنموذج لدار السلام التى
هى من نزلها فى سلامة
من الفناء والزوال غيران
الجنة حفت بمكاره النفس
العادية كما ان الكعبة حفت
بمتالف البادية فمرحبا بمن
جاوز مهالك البوادى شوقا
الى اللقاء يوم التنادى
(ويذكروا اسم الله) عند
الذبح (فى أيام معلومات)
هى عشر ذى الحجة عند أبى
حنيفة رحمه الله وآخرها
يوم النحر وهو قول ابن
عباس رضى الله عنهما
وأكثر المفسرين رحمهم الله
وعند صاحبيه هى ايام
النحر وهو قول ابن عمر رضى
الله عنهما (على مارزقهم
من بهيمة الانعام) أى على ذبحها وهو يتناول ... والبهيمة مبهمة فى كل ذات أربع فى البر والبحر فبينت بالانعام وهى (ثم)
الابل والبقر والضأن والمعز (فكلوا منها) من لحومها والامر للاباحة ويجوز الاكل من هدى التطوع والمتعة والقران لانه ...
نسك فاشبه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذى أصابه بؤس أى شدة (الفقير) الذى أضعفه الاعسـ...

ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ﴿ويذكروا اسم الله﴾ عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله ﴿فى ايام معلومات﴾ فى عشر ذى الحجة وقيل ايام النحر ﴿على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر ﴿فكلوا منها﴾ من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه اوندبا الى مواساة الفقرا ومساواتهم وهذا فى المتطوع به دون الواجب ﴿واطعموا البائس﴾ الذى اصابه بؤس أى شدة ﴿الفقير﴾ المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به فى الاول

﴿ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات﴾ يعنى عشر ذى الحجة فى قول أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من أجل وقت الحج فى آخرها وعن ابن عباس انها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده ﴿على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ يعنى الهدايا والضحايا تكون من النعم وهى الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون فى هذه الايام ﴿فكلوا منها﴾ أمر اباحة ليس بواجب وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيأ فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى اذا كان تطوعا يجوز للمهدى أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله فى قصة حجة الوداع قال وقدم على ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر على ما غبر وأشركه فى بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر وطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها أخرجه مسلم قوله ماغبر أى مابقى قوله ببضعة أى بقطعة واختلف العلماء فى الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بفساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدى ان يأكل منه شيأ قال الشافعى لايأكل منه شيأ وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحق وقال مالك يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والنذور وعند أصحاب الرأى يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ يعنى الزمن الذى لاشئ له ﴿قوله تعالى

بالربح والتجارة (ويذكروا اسم الله) ليذكروا اسم الله (فى أيام معلومات) معروفات أيام التشريق (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) على ذبيحة الانعام (فكلوا منها) من الاضاحى (وأطعموا) أعطوا (البائس الفقير) الضرير الزمن المحتاج

م ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه قيل قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط
والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة التفث وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم قضاء التفث مناسك الحج كلها
وليوفوا نذورهم) مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره وان لم ينذر أو ما ينذرونه من
ال البر فى حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وليطوفوا) طواف الزيادة الذى هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل اللامات
الث ساكنة عند غير ابن عياش وأبى عمرو (بالبيت العتيق) القديم لانه أول بيت
وضع للناس بناه آدم ثم جدده ابراهيم أو الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية الى كرم الحرية أو لانه أعتق من الغرق لانه رفع ومن الطوفان أو من أيدى الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله أو من أيدى الملاك فلم يملك قط وهو مطاف أهل الغبراء كما ان العرش مطاف أهل السماء فان الطالب اذا هاجته معية الطرب وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الارض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل فاذا عاين البيت لم يزده التسلي به الا اشتياقا ولم يفده التشفي باستلام الحجر الا احتراقا فيردده الاسف لهفان ويردده اللهف حوله فى الدوران وطواف الزيادة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة
الاسلام حتى لا يرتفض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه كما ان عقد الاسلام لا ينحل بازدحام الآثام
ترتفع ألم حوبة بتوبة وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهال فى صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن ... الانكال على من تب ...

﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء ﴿ وليطوفوا ﴾ طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع ﴿ بالبيت العتيق ﴾ القديم لانه اول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله

﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ أى ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقلم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج اشعث أغبر اذ لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ أراد نذر الحج والهدى وما نذر الانسان من شئ يكون فى الحج أى ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذره أو لم ينذره ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمى والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى أن ينتهى اليه ويمشى أربعا وهذا الطواف سنة لا شئ على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شئ بدأ به حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا زاد فى رواية ثم يصلى ركعتين يعنى بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف فى الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة أشواط ويمشى أربعا ثم يصلى سجدتين والطواف الثانى هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمى والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما أرانى الا حابستكم قال النبى صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى اطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفرى قوله عقرى حلقى معناها عقرها الله أى أصابها بالعقر وبوجع فى حلقها وقيل معناه مشؤمة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شئ يجرى على ألسنة العرب كقولهم لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن ينفر

ثم ليقضوا تفثهم) ليتموا مناسك حجهم حلق الرأس ورمى الجمار وتقليم الاظفار ... وليوفوا نذورهم) ... أوجبوا على أنفسهم (وليطوفوا) الطواف الواجب (بالبيت العتيق) أعتق من كل جبار دخل فيه ويقال من غرق الطوفان من نوح ويقال هو أول بيت بنى ويقال من

وشواهد الاحوال (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) ا...
مالايحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما فى جميع تكاليفه و...
أن يكون خاصة بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر ا...
والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أى التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعات والحفظ والقيام بمراعاتها (وأحلت لكم الانعام) أى كلها (الاما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الاما بين فى كتابه فحافظوا على حدوده ولاتحرموا شيأ مما أحل كتحريم البعض البحيرة ونحوها ولاتحلوا ماحرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم حرماته أتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور)

طاف حوله فقد عتق (ذلك) الذى ذكرت من المناسك عليهم أن يوفوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) مناسك الحج (فهو خير له عند ربه) بالثواب (وأحلت لكم) رخصت لكم (الانعام) ذبيحة الانعام وأكل لحومها (الا ما يتلى) الا ماحرم (وسلم عليكم) فى سورة المائدة مثل الميتة والدم ولحم الخنزير (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فاتركوا شرب الخمر وعبـ... الاوثان (واجتنبوا قول الزور) اتركوا قول الباطل والكذب

تعالى واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ﴿ذلك﴾ خبر محذوف أى الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ احكا... وسائر مالايحل هتكه أو الحرم ومايتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم ﴿فهو خير له﴾ فالتعظيم خير له ﴿عند ربه﴾ ثوابا ﴿وأحلت لكم الانعام الاما يتلى عليكم﴾ الا المتلو عليكم تحريمه وهو ماحرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ماحرمه الله كالبحيرة والسائبة ﴿فاجتنبوا الرجس من الاوثان﴾ فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها ﴿واجتنبوا قول الزور﴾

الثالث طواف الوداع لارخصة لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر فى أن يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل فى طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمى عتيقا لان الله أعتقه من أيدى الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله أعتقه من الغرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لانه لم يملك ❁ قوله عز وجل ﴿ذلك﴾ أى الامر ذلك يعنى ماذكر من أعمال الحج ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ أى مانهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله مالايحل انتهاكه وقيل الحرمة ماوجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها ﴿فهو خير له عند ربه﴾ أى ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله فى الآخرة ﴿وأحلت لكم الانعام﴾ أى ان تأكلوها بعد الذبح وهى الابل والبقر والغنم ﴿الا ما يتلى عليكم﴾ أى تحريمه وهو قوله فى سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية ﴿فاجتنبوا الرجس من الاوثان﴾ أى اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الاوثان رجسا لان عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ أى الكذب والبهتان وقال ابن عباس هى شهادة الزور وروى عن أيمن بن خريم قال ان النبى صلى الله عليه

لانه من أعظم الحرمات وأسبقها حظرا ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شئ كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريقة التشبيه يعنى انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور أى الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لان الشرك من باب الزور اذ المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة (حنفاء لله) مسلمين (غير مشركين به) حال كحنفاء (ومن يشرك بالله فكأنما خر) سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أى تسلبه بسرعة فتخطفه اى تخطفه مدنى (أو تهوى به الريح) أى تسقطه والهوى السقوط (فى مكان سحيق) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذى هو يوقعه فى الضلال بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة

تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع ﴿ حنفاء لله ﴾ مخلصين له ﴿ غير مشركين به ﴾ وهما حالان من الواو ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ﴾ لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر ﴿ فتخطفه الطير ﴾ فان الاهواء الرديئة توزع افكاره وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء ﴿ أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى قوله أو كصيب من السماء أو للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون

وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذى وقال قد اختلفوا فى روايته ولا نعرف لايمن سماعا من النبى صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ۞ قوله تعالى ﴿ حنفاء لله ﴾ أى مخلصين له ﴿ غير مشركين به ﴾ فدل ذلك على ان المكلف ينوى بما يأتيه من العبادة الاخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا فى الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به أى حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر ﴾ أى سقط ﴿ من السماء ﴾ الى الارض ﴿ فتخطفه الطير ﴾ أى تسلبه وتذهب به ﴿ أو تهوى به الريح ﴾ أى تميل وتذهب به ﴿ فى مكان سحيق ﴾ أى بعيد ومعنى الآية ان من أشرك بالله بعيد من الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه فى المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه اهلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت اجزاءه فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء فى علوه والذى ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التى تطرحه فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة

لانهم كانوا يقولون فى تلبيتهم فى الجاهلية (قا و خا ٣٩ بع) لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فنهاهم الله عن ذلك (حنفاء لله) كونوا مسلمين مخلصين لله بالتلبية والحج (غير مشركين به) بالله فى التلبية والحج (ومن يشرك بالله فكأنما خر) وقع (من السماء فتخطفه) فتأخذه (الطير) وتذهب به حيث يشاء (أو تهوى) تذهب (به الريح فى مكان سحيق)

(ذلك)أي الامر ذلك (ومن يعظم شعائر الله)تعظيم الشعائر وهى ا

لانهـا من معـالم الحج أن
يختارها عظـام الاجرام
حسـانا سمانا غالية الاثمان
(فانها من تقوى القلوب)
أى فان تعظيمها من أفعال
ذوى تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات وانما ذكرت
القلوب لانها مراكز التقوى
(لكم فيهـا منـافع) من
الركوب عنـد الحـاجة
وشرب ألبانها عند الضرورة
(الى أجل مسمى) الى أن
تنحر (ثم محلها)أى وقت
وجـوب نحرهـا منتهية
(الى البيت العتيق)والمراد
نحرها فى الحرم الذى هو
فى حـكم البيت اذ الحرم
حريم البيت ومثـله فى
فى الاتساع قولك بلغت البلد و
انمـا اتصل مسيرك بحدوده
وقيل الشعائر المناسك
كلها وتعظيمها اتمامهـا
ومحلهـا الى البيت العتيق

بعيد(ذلك)التباعد لمن أشرك
بالله(ومن يعظم شعائر الله)
مناسك الحج فيذبح أسمنها
وأعظمها(فانها)يعنى ذبيحة
أسمنها وأعظمها(من تقوى
القلوب)من صفات القلوب
واخلاص الرجل(لكم فيها)
فى الانعام(منافع)فى ركوبها
وألبانها (الى أجل مسمى)
الى حين تقلد وتسمى هديا
(ثم محلها)منحرها(الى البيت العتيق)ان كانت للعمرة وان

المهوى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ﴿ ذلك ومن يع
شعائر الله ﴾ دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لانها من معالم الحج و
اوفق لظاهر مابعده وتعظيمها ان تختار حسانا سمانا غالية الاثمان ٭ روى انه عليه الص
والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله
اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار ﴿ فانها من تقوى القلوب ﴾ فان تعظيمها من اف
ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منش
التقوى والفجور والآمرة بهما ﴿ لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى الب
العتيق ﴾ اى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحر
منتهية الى البيت أى ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخى فى الوقت لا التراخى فى الرتب
أى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاو
اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها أو المراد على الاول لكم فيها منافع د
تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع الي
الاعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارا
فى الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطوا

٭ قوله عز وجل ﴿ ذلك ﴾ يعنى الذى ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ﴿ و
يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ﴾ أى تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ا
عباس شعائر الله البدن والهدى وأصلها من الاشعار وهو العلامة التى يعرف بها انها هد
وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلو
﴿ لكم فيها ﴾ أى فى البدن ﴿ منافع ﴾ قيل هى درها ونسلها وصوفها ووبرها وركو
ظهرها ﴿ الى أجل مسمى ﴾ أى الى أن يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له ش
من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم
الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بان تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة ا
أجل مسمى يعنى الى أن تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء فى ركوب الهدى فق
مالك والشافعى وأحمد واسحق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روى ع
أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقـ
يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك فى الثانية أو الثالثة أخرجاه فى الصحيحين وكذا
يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن رى ولدها وقال أصحاب الرأى لا يركبه
الا أن يضطر اليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أى بالتجا
والاسواق الى أجل مسمى أى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أى بالاج
والثواب فى قضاء المناسك الى انقضاء أيام الحج ﴿ ثم محلها الى البيت العتيق ﴾ أى منحر
عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر فى حديث حجة الوداع أ
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم ومن ق
الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها أى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق

(ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحمزة أى موضع قربان وغيرهما
على المصدر أى اراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على مارزقهم من بهيمة الانعام) أى عند
وذبحها (فالهكم اله واحد) أى اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد وفيه دليل على ان ذكر اسم
رط الذبح يعنى أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أى يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك أن يذكر اسمه
ت أسماؤه على النسائك وقوله (فله أسلموا) أى اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما

أى خالصا لا تشوبوه باشراك (وبشر المخبتين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده أى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبة (والصابرين على ما أصابهم) من المحن والمصائب (والمقيمى الصلوة) فى أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفى الشريعة يتناول الابل والبقر وقرئ برفعها وهو

يارة ﴿ ولكل امة ﴾ ولكل اهل دين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبدا أو قربانا يتقربون به
الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك ﴿ ليذكروا اسم الله ﴾
ن غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه عال الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك
كر المعبود ﴿ على مارزقهم من بهيمة الانعام ﴾ عند ذبحها وفيه تنبيه على
القربان يجب ان يكون نعما ﴿ فالهكم اله واحد فله اسلموا ﴾ اخلصوا التقرب أو الذكر
تشوبوه بالاشراك ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المتواضعين المخلصين فان الاخبات صفتهم
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها ﴿ والصابرين على
اصابهم ﴾ من الكلف والمصائب ﴿ والمقيمى الصلوة ﴾ فى اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلوة
الاصل ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ فى وجوه الخير ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة
صله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم
مشاركة البقرة لها فى اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة
بقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره

وفون به طواف الزيارة * قوله تعالى ﴿ ولكل أمة ﴾ أى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم
جعلنا منسكا ﴾ قرئ بكسر السين أى مذبحا وهو موضع القربان وقرئ منسكا
السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين ﴿ ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة
انعام ﴾ أى عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواها
جوز ذبحه فى القرابين وان جاز أكله * قوله عز وجل ﴿ فالهكم اله واحد ﴾ أى
اعلى الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد ﴿ فله أسلموا ﴾ أى أخلصوا وانقادوا
طيعوا ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل
شعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذى لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال
ل ﴿ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ أى خافت من عقاب الله فيظهر عليها
الخشوع والتواضع لله تعالى ﴿ والصابرين على ما أصابهم ﴾ أى من البلاء والمرض
والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن
ينتصر لنفسه ﴿ والمقيمى الصلوة ﴾ أى فى أوقاتها محافظة عليها ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾
يتصدقون * قوله تعالى ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها

كانت للحج فالى منى (ولكل أمة) من المؤمنين (جعلنا منسكا) مذبحا لهم لحجهم وعمرتهم (ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام) على ذبيحة الانعام (فالهكم اله واحد) بلا ولد ولا شريك

له أسلموا) اخلصوا بالعبادة والتوحيد (وبشر المخبتين) المجتهدين المخلصين بالجنة (الذين اذا ذكر الله) أمروا بامر من
الله (وجلت قلوبهم) خافت قلوبهم (والصابرين) وبشر الصابرين أيضا بالجنة (على ما أصابهم) من المرازى
ب (والمقيمى الصلوة) وبشر المقيمين للصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها بالجنة أيضا
ما رزقناهم) من الاموال (ينفقون) يتصدقون ويؤدون زكاتها (والبدن)

كقوله والقمر قدرناه (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها ومن
ثاني مفعولى (جعلنا لكم فيها خير) النفع في الدنيا والاجر في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صوا
من انهاء أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن (فاذا وجبت جنوبها) وجوب الجنوب وقوعها على الارض
الحائط وجبة اذا سقط أي اذا سقطت جنوبها على الارض بعد نحرها وسكنت
(فكلوا منها) ان شئتم
(وأطعموا القانع) السائل
من قنعت اليه اذا خضعت له
وسألته قنوعا (والمعتر)
الذي يريك نفسه ويتعرض
ولا يسأل وقيل القانع
الراضي بما عنده وبما يعطى
من غير سؤال من قنعت قنعا
وقناعة والمعتر المتعرض
للسؤال (كذلك سخرناها
لكم) أي كما أمرناكم
بنحرها سخرناها لكم أوهو
كقوله ذلك ومن يعظم ثم
استأنف فقال سخرناها لكم
أي ذللناها لكم مع قوتها
وعظم اجرامها لتتمكنوا
من نحرها (لعلكم تشكرون)
لكي تشكروا انعام الله عليكم
(لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها

﴿جعلناها لكم﴾ ومن رفعه جعله مبتدأ ﴿من شعائر الله﴾ من اعلام دينه التي شرع
﴿لكم فيها خير﴾ منافع دينية ودنيوية ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ بان تقولوا عند ذبح
اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك ﴿صواف﴾ قائمات قد صففن ا
وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف حافر ا
لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافيا بابدال التنوين من
الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصوافي بسكون الياء على لغة من
الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ سقطت على الارض
كناية عن الموت ﴿فكلوا منها واطعموا القانع﴾ الراضي بما عنده وبما يعطى مر
مسئلة ويؤيده قراءة القنع أو السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السـ
﴿والمعتر﴾ والمعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره و
﴿كذلك﴾ مثل ماوصفنا من نحرها قياما ﴿سخرناها لكم﴾ مع عظمها وقوتها
تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها ﴿
تشكرون﴾ انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص ﴿لن ينال الله﴾ لن يصيب رضاه و
منه موقع القبول ﴿لحومها﴾ المتصدق بها ﴿ولا دماؤها﴾ المهراقة بالنحر من

يريد الابل الضخام الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها ﴿جعلناها لكم من شعائر
اي من أعلام دينه قيل لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة في سنامها فيعلم بذلك انها هدى ﴿
خير﴾ أي نفع في الدنيا وثواب في العقبى ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي عند نحرها ﴿ص
أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والاخرى معقولة فينحرها
(ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال ا
قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ أي سقطت بعد
ووقع جنبها على الارض ﴿فكلوا منها﴾ أمر اباحة ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾
القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يسأل و
عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذي يسأل والمعتر هو
يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا تـ
ذبيحة يجيء الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم ﴿كذلك﴾ أي مثل ما وصفنا من
قياما ﴿سخرناها لكم﴾ أي لتتمكنوا من نحرها ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي انعام الله
﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا

يعني البقر والابل (جعلناها
لكم) سخرناها لكم (من شعائر
الله) من مناسك الحج لكي
تذبحوا (لكم فيها) في الاضاحي
(خير) ثواب (فاذكروا
اسم الله عليها) على ذبحها
(صواف) خوالص من
العيوب ويقال معقولة يدها
اليسرى قائمة على ثلاث
قوائم وقرئت برفع النون (فاذا وجبت جنوبها) فاذا خرت لجنبها بعد الذبح (فكلوا منها) من الاضاحي (وأطعموا) {
أعطوا (القانع) السائل الذي يقنع باليسير (والمعتر) الذي يعترضك ولا يسألك (كذلك) الذي ذكرت لكم (سخرناها) ذلـ
لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته ورخصته (لن ينال الله) لن يصل الى الله (لحومها ولا دماؤها) وكانوا في الجاهلية

ولكن يناله التقوى منكم) أى لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى أولن يصيب رضاالله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحروا الابل نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت (كذلك سخرها لكم) أى البدن (لتكبروا الله) لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله (على ماهدا كم) على ماأرشدكم اليه (وبشر المحسنين) الممتثلين أوامره بالثواب (ان الله يدفع) مكى و بصرى و غيرهما يدافع أى يبالغ فى الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ثم علل ذلك بقوله (ان الله لايحب كل خوان) فى أمانة الله (كفور) لنعمة الله أى لانه لايحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها (اذن) مدنى و بصرى وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدنى وشامى وحفص والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بانهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا

انها لحوم ودماء ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم امره تعالى والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت ﴿كذلك سخرها لكم﴾ كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله ﴿لتكبروا الله﴾ اى لتعرفوا عظمته باقتداره على مالايقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال أو الذبح ﴿على ماهداكم﴾ ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر ﴿وبشر المحسنين﴾ المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ﴿ان الله يدفع عن الذين آمنوا﴾ غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه ﴿ان الله لايحب كل خوان﴾ فى امانة الله ﴿كفور﴾ لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم ﴿اذن﴾ رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل وهو الله ﴿للذين يقاتلون﴾ المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى للذين يقاتلهم المشركون ﴿بأنهم ظلموا﴾ بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله لن ينال الله لحومها ولادماؤها أى لن ترفع الى الله لحومها ولادماؤها ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ أى ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وهو ما أريد به وجه الله ﴿كذلك سخرها لكم﴾ يعنى البدن ﴿لتكبروا الله على ماهدا كم﴾ وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ماهدانا والحمد لله على ماأولانا ﴿وبشر المحسنين﴾ قال ابن عباس الموحدين * قوله تعالى ﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم ﴿ان الله لايحب كل خوان كفور﴾ أى خوان فى أمانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور * قوله عز وجل ﴿أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا﴾ أى أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيؤن من بين مضروب

لحم الاضاحى على حائط البيت ويتلطخون بدمها فنهاهم الله عن ذلك ويقال لايقبل الله لحومها ولادماءها (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يقبل الاعمال الزاكية الطاهرة منكم (كذلك) هكذا (سخرها) ذللها (لكم لتكبروا الله) لتعظموا الله (على ماهدا كم) كما هداكم لدينه وسنته (وبشر المحسنين) بالقول والفعل بالجنة ويقال المحسنين بالذبائح (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن كفار مكة (ان الله لايحب كل خوان) خائن (كفور) كافر بالله (أذن للذين يقاتلون) أذن المؤمنين بالقتال مع كفار مكة (بانهم ظلموا) ظلمهم كفار مكة

وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم او[مر] بالقتال حتى هاجر فنزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد مانهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان ا[لله] على نصرهم) على نصر المؤمنين (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله ان الله يدافع عن الذين آم[نوا] (الذين) فى محل جر بدل من للذين أو نصب باعنى أو رفع باضمارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق الا أ[ن] يقولوا ربنا الله) أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب التمكين لا موجب الاخراج ومثله هل تنقمو[ن] منا الا أن آمنا بالله ومحل ان يقولوا جر بدلا من حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم ا[لا] بسبب قولهم (ولولا دفع الله) دفاع مدنى ويعقوب (الناس بعضهم ببعض لهدمت) وبالتخفيف حجازى (صوامع وبيع وصلوات ومساجد) أى لولا اظهاره وتسليط المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أى كنائس وسميت الكنيسة صلاة لانها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا أو لقربها من التهديم (يذكر فيها اسم الله كثيرا) فى المساجد أو فى جميع ما تقدم

المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى اول آية نزلت فى القتال بعدمانهى عنه فى نيف وسبعين آية ﴿ وان الله على نصرهم لقدير ﴾ وعدلهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم ﴿ الذين اخرجوا من ديارهم ﴾ يعنى مكة ﴿ بغير حق ﴾ بغير موجب استحقوا به ﴿ الا ان يقولوا ربنا الله ﴾ على طريقة قول النابغة

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل منقطع ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين ﴿ لهدمت ﴾ لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف ﴿ صوامع ﴾ صوامع الرهابنة ﴿ وبيع ﴾ وبيع النصارى ﴿ وصلوات ﴾ وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها «صلوثا» بالعبرانية فعربت ﴿ ومساجد ﴾ ومساجد المسلمين ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ صفة للاربع

ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية فى قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فاذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا أى بسبب ماظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء ﴿ وان الله على نصرهم لقدير ﴾ فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ﴾ يعنى انهم اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ أى بالجهاد واقامة الحدود ﴿ لهدمت صوامع ﴾ هى معابد الرهبان المتخذة فى الصحراء ﴿ وبيع ﴾ هى معابد النصارى فى البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى ﴿ وصلوات ﴾ هى كنائس اليهود ويسمونها «بالعبرانية صلوثا» ﴿ ومساجد ﴾ يعنى مساجد المسلمين ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ يعنى فى المساجد

(وان الله على نصرهم) على نصر المؤمنين على عدوهم (لقدير الذين أخرجوا من ديارهم) أخرجهم كفار ﴿ و ﴾ مكة من منازلهم (بغير حق) بلا حق ولا جرم (الا أن يقولوا ربنا الله) لا لقولهم لا اله الا الله محمد رسول الله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) فيدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمؤمنين عن الكفرين وبالمجاهدين عن القاعدين بغير عذر ولولا ذلك (لهدمت صوامع) صوامع الرهبان (وبيع) كنائس اليهود (وصلوات) بيت نار المجوس لان كل هؤلاء فى مأمن المسلمين (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها) فى المساجد (اسم الله) بالتكبير والتهليل (كثيرا

ولينصرن الله من ينصره) اى ينصر دينه و اولياءه (ان الله لقوى) على نصراوليائه (عزيز) على انتقام اعدائه (الذين) موضعه نصب بدل من من ينصره أو جر تابع للذين أخرجوا (ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هو اخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم فى الارض و بسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله عز و جل أعطاهم التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الامور) أى مرجعها الى حكمه وتقديره و فيه تأكيد لما وعده من اظهار أوليائه واعلاء كلمتهم (وان يكذبوك) هذه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة اياه أى لست بأوحدى فى التكذيب (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وثمود) صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) شعيبا (وكذب موسى) كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه أو كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك

أو لمساجد خصت بها تفضيلا ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ﴿ان الله لقوى﴾ على نصرهم ﴿عزيز﴾ لا يمانعه شئ ﴿الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ﴿ولله عاقبة الامور﴾ فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده ﴿وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين﴾ تسلية له عليه الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه ﴿وكذب موسى﴾ غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما

ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم فى شريعة كل نبى مكان صلواتهم فهدم فى زمن موسى الكنائس وفى زمن عيسى البيع والصوامع وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أى ينصر دينه ونبيه ﴿ان الله لقوى﴾ أى على نصر من ينصر دينه ﴿عزيز﴾ أى لا يضام ولا يمنع مما يريده * قوله عز وجل ﴿الذين ان مكناهم فى الارض﴾ أى نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد ﴿اقاموا الصلوة وأتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون ﴿ولله عاقبة الامور﴾ أى آخر أمور الخلق مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع * قوله تعالى ﴿وان يكذبوك﴾ فيه تسلية وتعزية للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى﴾ * فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى * قلت

(ولينصرن الله) على عدوه (من ينصره) من ينصر نبيه بالجهاد (ان الله لقوى) بنصرة نبيه ونصرة من ينصر نبيه (عزيز) بنقمة من أعداء نبيه (الذين ان مكناهم فى الارض) أنزلناهم فى أرض مكة (أقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) أدوا زكاة أموالهم (وأمروا بالمعروف) بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (ونهوا عن المنكر) عن الكفر والشرك ومخالفة الرسول (ولله عاقبة الامور) والى الله ترجع عواقب الامور فى الآخرة (وان يكذبوك) يا محمد قريش (فقد كذبت) قوم (قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) قوم هود هودا (وثمود) قوم صالح صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) قوم شعيب شعيبا (وكذب موسى) كذبه قومه

بغيره (فأمليت للكافرين) أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم على كفرهم (فكيف كان نكير) انكاري وتغ
حيث أبدلتهم بالنعم نقما وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا نكيري بالياء في الوصل والوقف يعقوب (فكأين من قرية أهلكنا
أهلكتها بصري (وهي ظالمة) حال أي وأهلها مشركون (فهي خاوية) ساقطة من خوى النجم اذا سقط (على عرو
يتعلق بخاوية والمعنى انها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الا
ثم تهدمت حيطانها فسقطت
فوق السقوف ولا محل لفهي
خاوية من الاعراب لانها
معطوفة على أهلكناها
وهذا الفعل ليس له محل
وهذا اذا جعلنا كأين
منصوب المحل على تقدير
كثيرا من القرى أهلكناها
(وبئر معطلة) أي متروكة
لفقد دلوها ورشائها وفقد
تفقدها أو هي عامرة فيها
الماء ومعها آلات الاستقاء
الا أنها عطلت أي تركت
لا يستقي منها لهلاك أهلها
(وقصر مشيد) مجصص من
الشيد الجص أو مرفوع
البنيان من شاد البناء رفعه
والمعنى كم قرية أهلكناها
وكم بئر عطلناها عن سقاتها
وقصر مشيد أخليناه عن
ساكنيه أي أهلكنا البادية
والحاضرة جميعا فخلت
القصور عن أربابها والآبار
عن ورادها والاظهر ان
البئر والقصر على العموم

القبط (فأمليت للكافرين)
فأمليت للكافرين في كفرهم
الى الاجل (ثم أخذتهم)
بالعقوبة (فكيف كان نكير) انظر يا محمد كيف كان تغييري عليهم بالعقوبة (فكأين من قرية) كم من أهل قرية { بصالح
(أهلكناها) بالعذاب (وهي ظالمة) مشركة كافرة أهلها (فهي خاوية) ساقطة (على عروشها) على سقوفها (وبئر معطلة) و
بئر معطلة عطلها أربابها ليس عليها أحد (وقصر مشيد) حصين طويل ليس فيه ساكن ان قرئت بنصب الميم ويقال مجصص ان ق

كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع ﴿ فأمليت للكافرين ﴾ فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ﴿ ثم اخذتهم فكيف كان نكير ﴾ أي انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا ﴿ فكأين من قرية اهلكناها ﴾ باهلاك اهلها وقرأ البصريان اهلكتها بغير لفظ التعظيم ﴿ وهي ظالمة ﴾ اي اهلها ﴿ فهي خاوية على عروشها ﴾ ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر أي هي خالية وهي على عروشها اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كأي بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع ﴿ وبئر معطلة ﴾ عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقي منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله ﴿ وقصر مشيد ﴾ مرفوع أو مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله

فيه وجهان أحدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كأنه قيل بعد ماذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره ﴿ فأمليت للكافرين ﴾ أي أمهلتهم واخرت العقوبة عنهم ﴿ ثم أخذتهم ﴾ أي عاقبتهم ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أي انكاري عليهم مافعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه * قوله عز وجل ﴿ فكأين من قرية أهلكتها ﴾ وقرئ أهلكناها على التعظيم ﴿ وهي ظالمة ﴾ أي وأهلها ظالمون ﴿ فهي خاوية ﴾ أي ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ أي على سقوفها ﴿ وبئر معطلة ﴾ أي وكم من بئر معطلة أي متروكة مخلاة عن أهلها ﴿ وقصر مشيد ﴾ أي رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان أربعة آلاف نفر ممن آمن

يسيروا فى الارض) هذا حث على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله ... ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا (فتكون
قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه
[من ال]وحى (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) الضمير
فى فانها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الابصار أى فما عميت أبصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل انسان أربع أعين عينان فى رأسه وعينان فى قلبه فاذا أبصر ما فى القلب وعمى ما فى الرأس لم يضره وان أبصر ما فى الرأس وعمى ما فى القلب لم ينفعه وذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب ولئلا يقال ان القلب يعنى به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شئ (ويستعجلونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كأنه قال ولم يستعجلونك به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) يعدون

عالى وعطلهما ﴿أفلم يسيروا فى الارض﴾ حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ ما يجب ان يسمع من الوحى والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم ﴿فانها﴾ الضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليها والظاهر اقيم مقامه ﴿لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ عن الاعتبار أى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفى التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا فى الدنيا اعمى أفأكون فى الآخرة اعمى فنزلت فانها لاتعمى الابصار ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ المتوعد به ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة ﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ بيان لتناهى صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال أو لتمادى عذابه وطول ايامه حقيقة أو من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى

بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمى المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه فى السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم * قوله تعالى ﴿أفلم يسيروا فى الارض﴾ يعنى كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ أى يعلمون بها ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ يعنى ما يذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها ﴿فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ المعنى ان عمى القلب هو الضار فى أمر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ نزلت فى النضر بن الحرث ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ أى انه أنجز ذلك يوم بدر ﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ قال ابن عباس يعنى يوما من الايام الستة التى خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من ايام الآخرة يدل عليه ما روى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك

بضم الميم وتشديد الياء (أفلم يسيروا فى الارض) أفلم يسافر أهل مكة فى تجاراتهم (فتكون) فتصير (لهم قلوب يعقلون بها) التخويف وما صنع بغيرهم اذا نظروا وتفكروا فيها (أو آذان يسمعون بها) الحق والتخويف (ق و خا ٤٠ بع) (فانها) يعنى النظرة غير ... الشرك (لاتعمى الابصار) عن النظر (ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) من الحق والهدى (ويستعجلونك) يعنى (بالعذاب) استعجله النضر بن الحرث قبل أجله (ولن يخلف الله وعده) بالعذاب (وان يوما) من الذى وعد فيه عذابهم (عند ربك كألف سنة مما تعدون) من

[illegible] أهل قريه كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا (ثم أخذتها
[illegible] الاولى أى فكأين معطوفة بالفاء وهذه أى
[illegible] تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو

[illegible] من قرية ﴾ وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء [illegible] لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من [illegible] تحقق بد لامحالة وان تأخيره لعادته تعالى ﴿ واملیت لها ﴾ [illegible] ﴿ ثم اخذتها ﴾ بالعذاب ﴿ والى المصير ﴾ والى حكمي [illegible] الناس انما لكم نذير مبين ﴾ اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار [illegible] العذاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين [illegible] زيادة في غيظهم ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ﴾ [illegible] ورزق كريم ﴾ هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ﴿ والذين سعوا [illegible] بالابطال [illegible] معاجزين ﴾ مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق

[illegible] سنة أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى [illegible] بالعذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة وقيل ان [illegible] في الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه ان [illegible] سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير [illegible] من يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس [illegible] من قرية أمليت لها ﴾ أى أمهلتها ﴿ وهى ظالمة ﴾ أى مع استمرار أهلها على [illegible] ﴾ أى أنزلت بهم العذاب ﴿ والى المصير ﴾ يعنى مصيرهم الى في الآخرة [illegible] قوله عز وجل ﴿ قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين ﴾ أمر الله [illegible] التخويف والانذار وأن تقول لهم انما بعثت لكم منذرا ﴿ فالذين آمنوا [illegible] الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان [illegible] نذير مبين أردف ذلك بان أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين [illegible] الصالحات لهم مغفرة أى ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر أيضا مع التوبة [illegible] لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة ﴿ والذين سعوا في آياتنا ﴾ أى عملوا في ابطال [illegible] أى مثبطين الناس عن الايمان وقرئ معاجزين أى معاندين مشاقين

[illegible] أمليت لها) أمهلتها الى أجل (وهى ظالمة) مشركة كافرة أهلها (ثم أخذتها) عاقبتها [illegible] الناس) يا أهل مكة (انما أنا لكم) من الله (نذير) رسول مخوف (مبين) [illegible] الصالحات) الخيرات فيما بينهم وبين ربهم (لهم مغفرة) لذنوبهم [illegible]) ثواب حسن في الجنة (والذين سعوا في آياتنا) كذبوا بآياتنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (معاجزين) [illegible]

هم للاسلام يتم لهم (اولئك أصحاب الجحيم) أى النار الموقدة [illegible] من رسول)
أئدة لتأكيد النفى (ولا نبى) هذا دليل بين على ثبوت التغاير [illegible] يقول البعض انهما واحد
النبى صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف [illegible]
ثلاثة عشر والفرق بينهما ان الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب [illegible] ان يدعو
ربعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبى حافظ شرع غيره [illegible]

ن عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر [illegible]
قرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انها حال مقدرة ﴿اولئك اصحاب الجحيم﴾ [illegible]
يل اسم ذركة ﴿وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى﴾ الرسول من [illegible]
والناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بنى اسرائيل [illegible]
ى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبى عليه السلام علماء امته بهم فالنبى اعم من [illegible]
انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا [illegible]
م قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا [illegible]
سول وهو من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبى [illegible]
المنام ﴿الا اذا تمنى﴾ اذا زور فى نفسه ما يهواه ﴿القى الشيطان فى [illegible]
نغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله [illegible]

ل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا نقدر [illegible]
النشور ولا جنة ولا نار ﴿ أولئك أصحاب الجحيم ﴾ [illegible]
قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ﴾ [illegible]
المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه [illegible]
بعدهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى فى نفسه أن يأتيه من الله [illegible]
حرصه على ايمانهم فكان يوما فى مجلس لقريش فانزل الله عز وجل [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى [illegible]
ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق [illegible]
لترجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله [illegible]
فقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد [illegible]
والمشركين فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد غير [illegible]
سعيد بن العاص فانهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتهما [illegible]
كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم [illegible]

[illegible] الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد [illegible]
[illegible] ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون [illegible]
[illegible] عند قوله ومناة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات [illegible]
[illegible] السلام هو الذى تكلم بها فيكون هذا القاء فى قراءة النبى عليه السلام [illegible]
[illegible] فقد روى انه نادى يوم أحد ألا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب [illegible]

[illegible] (أولئك أصحاب الجحيم) أهل النار (وما أرسلنا من قبلك [illegible]
(الا اذا تمنى) قرأ الرسول أو حدث النبى (ألقى الشيطان فى أمنيته) فى قراءته [illegible]

[illegible] فى أمنيته)
[illegible] السلام كان
[illegible] فلما
[illegible] لاخرى
[illegible] الغرانيق
[illegible] لترتجى و
[illegible] تدركته العصمة
[illegible] جبريل
[illegible] ان
[illegible] هذا
[illegible] لا
[illegible] النبى عليه
[illegible] لا يجوز
[illegible] عنا
[illegible]
[illegible] على
[illegible] السلام جبرا
[illegible] الامتناع
[illegible] الشيطان
[illegible] فى حق
[illegible] اعادى
[illegible] ففى
[illegible] ذلك
[illegible] وهو
[illegible] لا يجوز
[illegible] طل من
[illegible] عليه السلام
[illegible] انه
[illegible] سمع
[illegible] بعث الى من يرسل

ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت و
ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فإن جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول ا
الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال ماذا صنعت لقد تلوت على الناس مالم آتك به ع
تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوف
فأنزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بأرض الحبش
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت قريش وأه
فرجع أكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذي
حدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الا بجوار أو مستخفيا فلما
هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان ا
اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم كل م
فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله وما أرسلنا من قبلك من ر
الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا ولا نبي النبي هو الذي تكون نبوته ا
أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا اذا تمنى أي أحب شيأ واشتهاه وحد
نفسه بما لم يؤمر به ألقى الشيطان في أمنيته أي في مراده وقال ابن عباس اذا حدث
الشيطان في حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى ما من نبي الا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمن
نبي الا ألقى الشيطان عليه ما يرضى قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقال أكثر المفسرين
تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته قال حسان في عثمان حين

تمنى كتاب الله أول ليلة • وآخرها لاقى حمام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الامة فيما كان طريقه البلا
معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا س
ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله ع
وسلم في التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة • أحدهما تو
صل هذه القصة وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صح
سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من ال
كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع س
واختلاف ألفاظها فقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة وآخر يقول
وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نف
فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وان ا
صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك الى غير ذلك من اختلاف
ألفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه
قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش أخذ كفا من حصى أ
تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا أخرجه البخاري ومسلم

﴿ من ﴾

﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ﴾ فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ﴿ ثم يحكم الله آياته ﴾ ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة ﴿ والله عليم ﴾ باحوال الناس ﴿ حكيم ﴾ فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم

من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة * الجواب الثاني وهو من حيث المعنى هو أن الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه أن ينزل عليه مدح آلهة غير الله أو ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى نبهه جبريل عن ذلك فهذا كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية * الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا كما صح عنه في قراءته فيحتمل ان الشيطان ترصد لتلك السكتات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا لصوت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله عز وجل * الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى أي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوى التمني اشتغل الخاطر فحصل في السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى أي تلا وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد أذكرني كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطأ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم * قوله عز وجل ﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ﴾ أي يبطله ويذهبه ﴿ ثم يحكم الله آياته ﴾ أي يثبتها ﴿ والله عليم حكيم ﴾ * قوله عز وجل

(فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أي يذهب به ويبطله ويخبرانه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان (والله عليم) بما أوحى الى نبيه وبقصد الشيطان (حكيم) لا يدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله تعالى به

(فينسخ الله) يبين الله (ما يلقي الشيطان) على لسان نبيه لكي لا يعمل به (ثم يحكم الله) يبين (آياته) لنبيه لكي يعمل بها (والله عليم) بما يلقي الشيطان على لسان نبيه (حكيم) حكم

قوما بقوله (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) محنة وابتلاء (للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكا وظلمة (وان الظالمين) أى المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (لفى شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله وبدينه وبالآيات (انه) أى القرآن (الحق من ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتخبت) فتطمئن (له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) فيتأولون ما يتشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الاصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) شك (منه) من القرآن أو من الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يعنى يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتى بخير أو شديد لا رحمة فيه أو لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة

لذلك فمراد الله به دالآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله اول ليله ❊ تمنى داود الزبور على رسل

فى امنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ﴿ليجعل ما يلقى الشيطان﴾ علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل ﴿فتنة للذين فى قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ المشركين ﴿وان الظالمين﴾ يعنى الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم ﴿لفى شقاق بعيد﴾ عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك﴾ ان القرآن هو الحق النازل من عند الله أو تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته فى جنس الانس من لدن آدم ﴿فيؤمنوا به﴾ بالقرآن أو بالله ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ بالانقياد والخشية ﴿وان الله لهادى الذين آمنوا﴾ فيما اشكل عليهم ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية﴾ فى شك ﴿منه﴾ من القرآن أو الرسول أو مما القى الشيطان فى امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ القيامة او الموت أو اشراطها ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يوم

﴿ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة﴾ أى محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء ﴿للذين فى قلوبهم مرض﴾ أى شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أى الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون ﴿وان الظالمين لفى شقاق بعيد﴾ أى فى خلاف شديد ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ أى التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء ﴿انه الحق من ربك﴾ أى الذى أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك ﴿فيؤمنوا به﴾ أى يعتقدوا انه من الله عز وجل ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أى تسكن اليه ﴿وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم﴾ أى الى طريق قويم وهو الاسلام ❊ قوله عز وجل ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه﴾ أى فى شك من القرآن وقيل من الدين الذى هو صراط مستقيم ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أى فجأة وقيل أراد بالساعة الموت ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أى عذاب

بنسخه (ليجعل ما يلقى الشيطان) على لسان نبيه (فتنة) بلية (للذين فى قلوبهم مرض) شك وخلاف لكى يعملوا به (والقاسية قلوبهم) عن ذكر الله (وان الظالمين) المشركين الوليد بن المغيرة وأصحابه (لفى شقاق) خلاف ومعاداة (بعيد) عن الحق والهدى (وليعلم) لكى يعلم تبيان الله (الذين أوتوا العلم) أعطوا العلم بالقرآن والتوراة عبد الله بن سلام وأصحابه (انه) يعنى تبيان الحق هو (الحق من ربك فيؤمنوا به) فيصدقوا بتبيان الله (فتخبت له) فتخلص له وتقبله يعنى تبيان الله (قلوبهم وان الله لهادى) حافظ (الذين آمنوا) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الى صراط مستقيم) الى دين قائم يرضاه وهو الاسلام (ولا يزال الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن الوليد بن المغيرة وأصحابه (فى مرية منه) فى شك من القرآن ولكن انظرهم يا محمد (حتى تأتيهم الساعة) قيام الساعة (بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) لا فرج فيه

وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته (الملك يومئذ) أي يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أي يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم (لله) فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) أي يقضي ثم بين حكمه فيهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوما من الفريق الأول بفضيلة فقال (والذين هاجروا في سبيل الله) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثم قتلوا) في الجهاد قتلوا شهداء (أو ماتوا) حتف أنفهم (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق الحسن الذي لا ينقطع أبدا (وان الله لهو خير الرازقين) لانه المخترع للخلق بلا مثال المتكفل للرزق بلا إملال (ليدخلنهم مدخلا) بفتح الميم مدنى والمراد الجنة (يرضونه) لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ

حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقيم أو لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا أو لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه أو يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره أو على انه موضع ضميرها للتهويل ﴿الملك يومئذ لله﴾ التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول مريتهم ﴿يحكم بينهم﴾ بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين﴾ وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا﴾ في الجهاد ﴿أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا﴾ الجنة ونعيمها انما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلتا ﴿وان الله لهو خير الرازقين﴾ فانه يرزق بغير حساب ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾ هو الجنة فيها ما يحبونه

لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تأتي بخير وقيل لانه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ﴿الملك يومئذ﴾ يعني يوم القيامة ﴿لله﴾ وحده من غير منازع ولا مشارك فيه ﴿يحكم﴾ أي يفصل ﴿بينهم﴾ ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾ قوله تعالى ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه ﴿ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا﴾ أي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ﴿وان الله لهو خير الرازقين﴾ فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجند أي أعطاهم أرزاقهم والرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾ يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه

وهو يوم بدر (الملك) القضاء (يومئذ) يوم القيامة (لله يحكم بينهم) يقضي بين المؤمنين والكافرين (فالذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (في جنات النعيم) يكرمون بالتحف (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (فأولئك لهم عذاب مهين) يهانون به ويقال شديد (والذين هاجروا في سبيل الله) في طاعة الله من مكة الى المدينة (ثم قتلوا) قتلهم العدو في سبيل الله (أو ماتوا) في سبيل الله ... (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) ... أموالهم وغنائم حلالا لا يبالهم (وان الله لهو خير الرازقين) أفضل المطعمين في الدنيا والآخرة (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) لانفسهم لا يبالونه يعني

لاعبين (وان الله لعليم) بأحوال من قضى نحبه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا (حليم) بامهال من
عاندا روى ان طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يانبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من ا
ونحن نجاهد معك كما جهدوا فمالنا ان متنا معك فنزل الله هاتين الآيتين (ذلك) أي الامر ذلك وه
مستأنف (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) سمى الابتداء بالجزاء عقوبة لاستلزامه من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه (ثم بغى
عليه لينصرنه الله) أي من جزى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق ع
ان ينصره (ان الله لعفو) يمحو آثار الذنوب (غفور) يستر أنواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الآية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفو أقرب للتقوى فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك الافضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغي وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين أودل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة (ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير) أي ذلك النصر للمظلوم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج

﴿ وان الله لعليم ﴾ باحوالهم واحوال معادهم ﴿ حليم ﴾ لا يعاجل في العقوبة ﴿ ذلك ﴾ الا
ذلك ﴿ ومن عاقب بمثل ما عوقب به ﴾ ولم يزد في الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذ
هو الجزاء للازدواج أو لانه سببه ﴿ ثم بغى عليه ﴾ بالمعاودة الى العقوبة ﴿ لينصرنه الله ﴾ لا
﴿ ان الله لعفو غفور ﴾ للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام وعرض عما ندب الله ال
بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفر
فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى وتنبيه على انه تعالى
قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ﴿ ذلك ﴾ اى ذلك النص
﴿ بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ بسبب ان الله قادر على تغليب
بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد
الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النها
بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها ﴿ وان الله سميع ﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب
﴿ بصير ﴾ يرى افعالهما فلا يهملهما

﴿ وان الله لعليم ﴾ بنياتهم ﴿ حليم ﴾ بالعفو عنهم ❊ قوله عز وجل ﴿ ذلك ﴾ أي الام
ذلك الذي قصصنا عليك ﴿ ومن عاقب بمثل ما عوقب به ﴾ أي جازى الظالم بمثل ظل
وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه ﴿ ثم بغى عليه ﴾ أي ظلم باخراجه من منزله يعني ما أ
المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم الى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم م
المشركين أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا في المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أ
يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليه
وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى ﴿ لينصرنه الله ان الله لعفو ﴾ أ
عن مساوي المؤمنين ﴿ غفور ﴾ يعني لذنوبهم ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك النصر ﴿ بان الله
القادر على ما يشاء فمن قدرته انه ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ في مع
هذا الايلاج قولان أحدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشم
ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثاني هو ما يزيد في أحدهم
وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى ﴿ وان الله سميع بص

الجنة (وان الله لعليم) بثوابهم وكرامتهم (حليم) بتأخير عقوبة من قتلهم (ذلك) هذا قضاء الله فيما بين المؤمنين (ذلك)
والكافرين في الآخرة (ومن عاقب) قاتل وليه (بمثل ما عوقب به) بوليه (ثم بغى عليه) ثم تطاول عليه بظلم (لينصرنه الله) يعني ا
على الظالم فيقتله ولا يأخذ منه الدية وهو رجل قتل وليه فأخذ من قاتل وليه الدية ثم بغى عليه فقتله أيضا فيقتل ولا يؤخذ
الدية (ان الله لعفو) متجاوز لمن تاب (غفور) لمن مات على التوبة (ذلك) عقوبة من بغى على أخيه (بان الله يولج الليل في ا
يزيد الليل على النهار فيكون النهار أطول من الليل (ويولج النهار في الليل) يزيد النهار على الليل فيكون الليل أطول من
(وان الله سميع) لمقالة خلقه (بصير) باعمالهم

لا في الليل أي يزيد من هذا في ذاك ومن ذاك في هذا أو بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما لايخفى عليه مايجرى فيهما
بأيدى عباده من الخير والشر والبغى والانصاف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت في النهار الاصوات
بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شئ بشئ في الليالى وان توالت الظلمات (ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون)
عن غير أبى بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أى ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار واحاطته بما يجرى
فيهما وادراكه قولهم وفعلهم بسبب ان الله الحق الثابت الهيته وان كل مايدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لاشئ أعلى منه
شأنا وأكبر سلطانا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض مخضرة) بالنبات بعد ما كانت مسودة يابسة وانما
عدل الى لفظ المضارع ولم يقل فأصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول

أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جوابا للاستفهام لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار كما تقول لصاحبك ألم ترانى أنعمت عليك فتشكر ان نصبته نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه وان رفعته أثبت شكره (ان الله لطيف) واصل علمه أو فضله الى كل شئ (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختص بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكا
(وان الله لهو الغنى) المستغنى بكمال قدرته (قا و خا ٤١ بع) بعد فناء ما في السموات وما في الارض (الحميد)
المحمود بنعمته

﴿ذلك﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم ﴿بان الله هو الحق﴾ الثابت في نفسه
الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل
ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه أو الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما
﴿وان مايدعون من دونه﴾ الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على
مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فانه في معنى الآلهة
﴿هو الباطل﴾ المعدوم في حد ذاته أو باطل الالوهية ﴿وان الله هو العلى﴾ على
الاشياء ﴿الكبير﴾ عن ان يكون له شريك لاشئ اعلى منه شانا واكبر منه
سلطانا ﴿ألم تر ان الله انزل من السماء ماء﴾ استفهام تقرير ولذلك رفع ﴿فتصبح
الارض مخضرة﴾ عطف على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك
ألم تر انى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء
أثر المطر زمانا بعد زمان ﴿ان الله لطيف﴾ يصل علمه أو لطفه الى كل ما جل ودق
﴿خبير﴾ بالتدابير الظاهرة والباطنة ﴿له ما في السموات وما في الارض﴾ خلقا وملكا
﴿وان الله لهو الغنى﴾ في ذاته عن كل شئ ﴿الحميد﴾ المستوجب للحمد بصفاته

﴿ذلك بان الله هو الحق﴾ أى ذو الحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق ﴿وان
ما يدعون﴾ يعنى المشركين ﴿من دونه هو الباطل﴾ يعنى الاصنام التى ليس عندها ضر
ولا نفع ﴿وان الله هو العلى﴾ أى العالى على كل شئ ﴿الكبير﴾ أى العظيم في قدرته
وسلطانه ﴿قوله عز وجل ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة﴾
أى بالنبات ﴿ان الله لطيف﴾ أى باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان
﴿خبير﴾ أى بما في قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم ﴿له ما في السموات وما في الارض﴾
أى عبيدا وملكا ﴿وان الله لهو الغنى الحميد﴾ يعنى الغنى عن عباده الحميد في أفعاله

د) القدرة لتقروا وتعلموا (بأن الله هو الحق) بأن عبادة الله هى الحق وأن الله هو المولى (وأن ما يدعون) تعبدون (من دونه)
من دون الله (هو الباطل) الشيطان (وأن الله هو العلى) أعلى كل شئ (الكبير) أكبر كل شئ أعظم أو الذى [illegible] محمد في القرآن (أن الله
أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض) فتصير الارض (مخضرة) بالنبات (ان الله لطيف) باستخراج النبات (خبير)
بمكانه (له ما في السموات وما في الارض) من الخلق (وان الله لهو الغنى) عن خلقه (الحميد) المحمود في فعاله ويقال الحميد لمن

قبل سماء علم الصوت يعنى فى الارض (ألم تر أن الله سخر لكم مافى الارض) من البهائم مذللة للركوب فى البر (وا
تجرى فى البحر بأمره) أى ومن المراكب جارية فى البحر ونصب الفلك عطفا على ما وتجرى حال لها أى وسخر
الفلك فى حال جريها (ويمسك السماء أن تقع على الارض) أى يمنعها من أن تقع (الا باذنه) بأمره أو بمشيئته (ا
بالناس لرؤف) بتسخير مافى الارض (رحيم) بامساك السماء لئلا تقع على الارض عدد آلاءه مقرونة باسمائه ليشكروه على

ويذكروه بحمده وعن أبي حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم فى الآ
الثمانية يستجاب قارئه
الثة (وهو الذى أحياكم)
فى أرحام أمهاتكم (ثم
يميتكم) عند انقضاء آجالكم
(ثم يحييكم) لايصال
جزائكم (ان الانسان
لكفور) لجحود لما أفاض
عليه من ضروب النعم
ودفع عنه من صنوف النقم
أولا يعرف نعمة الانشاء
المبدى للوجود ولا الافناء
المقرب الى الموعود ولا
الاحياء الموصل الى المقصود
(لكل أمة) أهل دين
(جعلنا منسكا) مصدر
وهو رد لقول من يقول ان
الذبح ليس بشريعة الله اذهو
شريعة كل أمة (هم ناسكوه)
عاملون به (فلا ينازعنك)
فلا يجادلنك والمعنى فلا
تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم
من أن ينازعوك (فى الامر)
أمر الذبح أو الدين نزلت
حين قال المشركون للمسلمين
مالكم تأكلون ما قتلتم ولا
تأكلون ما قتله الله يعنى

وحده (ألم تر) ألم تخبر فى القرآن يا محمد (ان الله سخر) ذلل (لكم ما فى الارض) من الشجر والدواب (والفلك) (الله
وسخر الفلك يعنى السفن (تجرى فى البحر بأمره) باذنه (ويمسك السماء) يمنع السماء (ان تقع) لكى لا تقع (على الارض الا
بامره الى يوم القيامة (ان الله بالناس) بالمؤمنين (لرؤف رحيم وهو الذى أحياكم) فى ارحام أمهاتكم صغارا (ثم يميتكم
صغارا أو كبارا (ثم يحييكم) للبعث بعد الموت (ان الانسان) يعنى الكافر بديل بن ورقاء الخزاعى (لكفور) كافر بالله و
بعد الموت وبنعمته ساهين (لكل أمة) لكل أهل دين (جعلنا منسكا) مذبحا ويقال معبدا (هم ناسكوه) ذابحوه على
(فلا ينازعنك) فلا يخاصمنك ولا يصرفنك (فى الامر) فى أمر الذبيحة والتوحيد

واعلم الله ﴿ ألم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض ﴾ جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم ﴿ والفلك ﴾
عطف على ما وعلى اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿ تجرى فى البحر بامره ﴾ حا
منها أو خبر ﴿ ويمسك السماء ان تقع على الارض ﴾ من ان تقع أو كراهة ان تقع بان خلق
على صورة متداعية الى الاستمساك ﴿ الا باذنه ﴾ الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه ر
لاستمساكها لذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط
قبول غيرها ﴿ ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴾ حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وف
عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار ﴿ وهو الذى احياكم ﴾ بعد ان ك
جمادا عناصر ونطفا ﴿ ثم يميتكم ﴾ اذا جاء اجلكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ فى الآخرة ﴿ ان الانسا
لكفور ﴾ لجحود للنعم مع ظهورها ﴿ لكل امة ﴾ اهل دين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبد
أو شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا ﴿ هم ناسكوه ﴾ ينسكونه ﴿ فلا ينازعنك ﴾ سائر ارباب
الملل ﴿ فى الامر ﴾ فى امر الدين أو النسائك لانهم بين جهال واهل عناد أو لان ام
دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات

﴿ ألم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض ﴾ أى الدواب التى تركب فى البر ﴿ والفلك ﴾ أى
وسخر لكم السفن ﴿ تجرى فى البحر بأمره ﴾ يعنى سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما جرت
﴿ ويمسك السماء ان تقع ﴾ أى لكيلا تسقط ﴿ على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف
رحيم ﴾ يعنى انه أنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية فى الانعام
والاحسان فهو اذا رؤف رحيم بكم ﴿ وهو الذى أحياكم ﴾ أى أنشأكم و
تكونوا شيئا ﴿ ثم يميتكم ﴾ أى عند انقضاء آجالكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ أى يوم البعث
للثواب والعقاب ﴿ ان الانسان لكفور ﴾ أى لجحود لنعم الله عز وجل * قوله تعالى
﴿ لكل أمة جعلنا منسكا ﴾ قال ابن عباس شريعة ﴿ هم ناسكوه ﴾ هم عاملون بها وعنه ا
قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة ﴿ فلا ينازعنك فى الامر ﴾
أى فى أمر الذبائح نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا
لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مالكم تأكلون مما تقتلون بايديكم ولا تأكلون مما قتله

ة (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادة ربك (انك لعلى هدى مستقيم) طريق قويم و... بذكر الواو في الكل أمة بخلاف
ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الآى الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها وهذه وقعت مع أباعد عن معناها
فلم تجد معطفا (وان جادلوك) مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فقل
الله أعلم بما تعملون) أى فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله أعلم باعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم
به هذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتأديب يجاب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا
خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض) أى كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض (ان ذلك) الموجود فيهما (فى كتاب) فى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) اى علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم أشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به) نزل مكى وبصرى (سلطانا) حجة وبرهانا

الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء أو عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز فى افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته ﴿وادع الى ربك﴾ الى توحيده وعبادته ﴿انك لعلى هدى مستقيم﴾ طريق الى الحق سوى ﴿وان جادلوك﴾ وقد ظهر الحق ولزمت الحجة ﴿فقل الله اعلم بما تعملون﴾ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق ﴿الله يحكم بينكم﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب ﴿يوم القيمة﴾ كما يفصل فى الدنيا بالحجج والآيات ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من امر الدين ﴿الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض﴾ فلا يخفى عليه شئ ﴿ان ذلك فى كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم بعد علمنا به وحفظنا له ﴿ان ذلك﴾ ان الاحاطة به واثباته فى اللوح المحفوظ أو الحكم بينكم ﴿على الله يسير﴾ لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا﴾ حجة تدل

الله وقيل معناه لا تنازعهم أنت * قوله تعالى ﴿وادع الى ربك﴾ أى الى الايمان به والى دينه ﴿انك لعلى هدى مستقيم﴾ أى على دين واضح قويم ﴿وان جادلوك﴾ أى خاصموك فى أمر الذبح وغيره ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ أى من التكذيب ﴿الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ أى فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيمة يتردد بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وأبى * قوله عز وجل ﴿ألم تر﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة ﴿ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب﴾ أى فى اللوح المحفوظ ﴿ان ذلك﴾ أى علمه بجميعه ﴿على الله يسير﴾ أى هين وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا﴾ أى حجة ظاهرة من دليل سمعى

(وادع الى ربك) الى توحيد ربك (انك لعلى هدى مستقيم) على دين قائم يرضاه وهو الاسلام (وان جادلوك) خاصموك فى أمر الذبيحة والتوحيد لقولهم ان ما ذبح الله أحل مما تذبحون أنتم بسكاكينكم (فقل الله أعلم بما تعملون) فى دينكم من الذبيحة وغيرها (الله يحكم) يقضى (بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه) فى أمر الذبيحة والتوحيد (تختلفون) تخالفون (ألم تعلم) يا محمد (أن الله يعلم ما فى السماء) ما يكون فى اهل السموات من الخيرات (والارض) ما يكون من اهل الارض من الخير والشر (ان ذلك فى كتاب) مكتوب فى اللوح المحفوظ (ان ذلك) حفظ ذلك بغير الكتاب (على الله يسير) هين (ويعبدون) يعنى كفار مكة (من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) كتابا ولا

(وما ليس لهم به علم) أي ما تمسكوا في عبادتهم [illegible] برهان سماوي من جهة وحي ولا حملهم عليها دليل عقلي (وما للظالمين من نصير) [illegible] وما [illegible] هذا خبر من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) القرآن (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر (يكادون يسطون) يبطشون [illegible] والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم (النار) خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار أي هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار ولما كانت دعواهم بأن لله تعالى شريكا جارية في الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب) بين (مثل فاستمعوا له) اضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون سهل ويعقوب (من دون الله) آلهة باطلة

على جواز عبادته ﴿وما ليس لهم به علم﴾ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله ﴿وما للظالمين﴾ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم ﴿من نصير﴾ يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا﴾ من القرآن ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة والاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو ما يقصدونه من الشر ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ يثبون ويبطشون بهم ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم ﴿النار﴾ أي هو النار كأنه جواب سائل قال ما هو ويجوز أن يكون مبتدأ خبره ﴿وعدها الله الذين كفروا﴾ وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا أو حالا منها ﴿وبئس المصير﴾ النار ﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ بين لكم حال مستغربة وقصة رائعة [illegible] سماها مثلا أو جعل لله مثل أي مثل في استحقاق العبادة ﴿فاستمعوا له﴾ للمثل أو لبيانه استماع تدبر وتفكر ﴿ان الذين تدعون من دون الله﴾ يعني الاصنام وقرأ يعقوب

﴿وما ليس لهم به علم﴾ أي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي ﴿وما للظالمين﴾ أي المشركين ﴿من نصير﴾ أي مانع يمنعهم من العذاب ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ يعني القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أي الانكار والكراهة يتبين ذلك في وجوههم ﴿يكادون يسطون﴾ أي يقعون ويبسطون اليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ أي محمد وأصحابه من شدة الغيظ ﴿قل﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ أي بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون ﴿النار﴾ أي هي النار ﴿وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾ قوله تعالى ﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال في الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة ﴿فاستمعوا له﴾ أي تدبروه حق تدبره فان [illegible] التدبر وتعقل [illegible] ومعنى جعل لي شبيه وشبه بي الاوثان أي جعل المشركون الاصنام شركائي فعبدوها ثم بين حالها وصفتها فقال تعالى ﴿ان الذين تدعون من دون الله﴾

عذرا (وما ليس لهم به علم) حجة ولا بيان (وما للظالمين) المشركين (من نصير) من مانع من عذاب الله (واذا تتلى) تقرأ (عليهم آياتنا) القرآن (بينات) مبينات بالامر والنهي (تعرف) يا محمد (في وجوه الذين كفروا) بالقرآن (المنكر) انكار غيظه من القرآن

(يكادون يسطون) يهمون ان [illegible] ويقعوا (بالذين يتلون) يقرؤن (عليهم آياتنا) القرآن (قل) يا محمد لاهل مكة (أفأنبئكم) أخبركم (بشر من ذلكم) مما قلتم للمسلمين في الدنيا تقولون [illegible] أينا أهل دين اقل حظا منكم فقال الله قل يا محمد الخ و(النار وعدها الله الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأنتم كافرون بمحمد والقرآن (وبئس المصير) صاروا اليه (يا أيها الناس) يعني أهل مكة (ضرب مثل) بين مثل آلهتكم (فاستمعوا له) وأجيبوا له (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) من الاوثان

ن يخلقوا ذبابا) ان لتأكيد نفي المستقبل وتأكيده هنا للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال محال ان يخلقوا وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره وسمي ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره آب لاستكباره (ولو اجتمعوا له) لخلق الذباب ومحله النصب على الحال كأنه قيل مستحيل منهم ان يخلقوه الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل

تعالى وأذله ولواجتمعوا لذلك (وان يسلبهم الذباب شيأ) شيأ ثاني مفعولي يسلبهم (لا يستنقذوه منه) أي هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيأ فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن أخذه (ضعف الطالب) أي الصنم يطلب ما سلب منه (والمطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب (ما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له

(ان يخلقوا ذبابا) لن يقدروا ان يخلقوا ذبابا (ولو اجتمعوا له) لو اجتمع العابد والمعبود ما قدروا أن يخلقوا ذبابا (وان يسلبهم) أي (الذباب) من الآلهة (شيأ) لطخوا عليها من العسل (لا يستنقذوه منه) لا يستخيروه ولا يخلصوه من الذباب يعني الآلهة (ضعف الطالب) يعني الصنم (والمطلوب) الذباب ويقال ضعف الطالب العابد والمطلوب المعبود (ما قدروا الله حق قدره) ما عظموا الله حق عظمته ... نزلت في اليهود لقولهم عزير ابن الله وقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء وقولهم يد الله مغلولة وقولهم ان الله استراح بعد ما فرغ من خلق السموات والارض فرد الله عليهم ذلك وقال ما قدروا الله حق قدره

لباء وقرئ به مبنيا للمفعول و الراجع الى الموصول محذوف على الاوليين ﴿ لن يخلقوا ذبابا ﴾ لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ أي الخلق وهو بجوابه المقدر في موضع حال جيء به للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين ﴿ وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ﴾ ... غاية التجهيل بان اشركوا اله قادر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما اختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ عابد الصنم ومعبوده أو الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ﴿ ما قدروا الله حق قدره ﴾ ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه

يعني الاصنام ﴿ لن يخلقوا ذبابا ﴾ أي واحدا في صغره وضعفه ... لا تقدر على ذلك ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ أي لخلقه والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له ﴿ وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ﴾ قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدي الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم ﴿ ما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب

(إن الله لقوي عزيز) أي إن الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به أو لقوي بنصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه [illegible] (من الملائكة رسلا) كجبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم (ومن الناس) رسلا كإبراهيم وموسى [illegible] عليهم السلام هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين [illegible] حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا (إن الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته [illegible] ما بين أيديهم [illegible] وما خلفهم [illegible] خيرا وشرا [illegible] من الآخرة (وإلى الله ترجع الأمور) أي إليه مرجع الأمور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله ترجع شامي وحمزة وعلي (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) في صلاتكم وكان أول ما أسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وفيه دليل على أن الأعمال ليست من الإيمان وأن هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة (واعبدوا ربكم) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم (وافعلوا الخير) قيل لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات

مناسبة ﴿إن الله لقوي﴾ على خلق الممكنات بأسرها ﴿عزيز﴾ لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يدعونها عاجزة عن أقلها مقهورة من ذلك ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا﴾ يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي ﴿ومن الناس﴾ يدعون سائرهم إلى الحق ويبلغون إليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه غيره في صفاتها بين أن له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل بإجابتهم والاقتداء بهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن سواه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ﴿إن الله سميع بصير﴾ مدرك للأشياء كلها ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ عالم بواقعها ومترقبها ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ وإليه مرجع الأمور كلها لأنه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ في صلاتكم أمرهم بهما لأنهم ما كانوا يفعلونهما أول الإسلام أو صلوا وعبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله وخروا له سجدا ﴿واعبدوا ربكم﴾ بسائر ما تعبدكم به ﴿وافعلوا الخير﴾ وتحروا ما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة

ولا ينتصف منه ﴿إن الله لقوي عزيز﴾ أي غالب لا يقهر قوله عز وجل ﴿الله يصطفي من الملائكة﴾ أي يختار من الملائكة ﴿رسلا﴾ جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم ﴿ومن الناس﴾ أي ويختار الله من الناس رسلا مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والرسل صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فأخبر الله تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من عباده لرسالته ﴿إن الله سميع﴾ أي لأقوالهم ﴿بصير﴾ أي بأفعالهم لا تخفى عليه خافية قوله تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ قال ابن عباس ما قدموا ﴿وما خلفهم﴾ أي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ أي في الآخرة قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أي صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود ﴿واعبدوا ربكم﴾ أي وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة ﴿وافعلوا الخير﴾ قال ابن

(إن الله لقوي) أي على أعدائه (عزيز) بالنقمة من اليهود (الله يصطفي) يختار (من الملائكة رسلا) بالرسالة يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل [illegible] ومثل هاروت (ومن الناس) محمد عليه السلام وسائر النبيين (إن الله سميع) بمقالتهم حين قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق (بصير) بعقوبتهم (يعلم ما بين أيديهم) من أمر الآخرة (وما خلفهم) من أمر الدنيا يعني الملائكة (وإلى الله ترجع الأمور) عواقب الأمور في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) في الصلاة (واعبدوا) أطيعوا (ربكم) وافعلوا الخير) [illegible]

الارحام ومكارم الاخلاق ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أى افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود لقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما ﴿ وجاهدوا فى الله ﴾ أى لله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ﴿ حق جهاده ﴾ أى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد

عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أى لكى تسعدوا وتفوزوا بالجنة

﴿ فصل فى حكم سجود التلاوة هنا ﴾

لم يختلف العلماء فى السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا فى السجدة الثانية فروى عن عمر وعلى وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبى الدرداء وأبى موسى انهم قالوا فى الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق يدل عليه ما روى عن عقبة ابن عامر قال قلت يا رسول الله أفى الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما أخرجه الترمذى وأبو داود وعن عمر بن الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين أخرجه مالك فى الموطأ وذهب قوم الى ان فى الحج سجدة واحدة وهى الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثورى وأبى حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء فى عدة سجود التلاوة فذهب الشافعى وأحمد وأكثر أهل العلم الى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعى قال فى الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة فى الحج سجدة وأثبت سجدة ص وبه قال أحمد فى احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبى بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن احدى عشرة سجدة يدل عليه ما روى عن أبى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى القرآن احدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال اسناده واه ودليل من قال فى القرآن خمس عشرة سجدة ما روى عن عمرو بن العاص قال أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث فى المفصل وفى سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ وإذا السماء انشقت أخرجه مسلم [illegible]
وقال أبو حنيفة [illegible]
جاهدوا فى سبيل الله [illegible] حق جهاده [illegible]

دعا المؤمنين أولا الى الصلاة التى هى ذكر خالص لقوله تعالى وأقم الصلوة لذكرى ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل أريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) أى كى تفوزوا وافعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالغزو أو بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر أو هو كلمة حق عند أمير جائر (فى الله) أى فى ذات الله ومن أجله (حق جهاده) وهو ان لا تخاف فى الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع فى الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما [illegible]
[illegible]
(وجاهدوا فى الله حق جهاده) [illegible]

مبالغة كقولك هو حق عالم وجد عالم وأضيف الجهاد إلى الضمير اتساعا أو لأنه مختص بالله من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله ﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي إليه وفي قوله ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه أو إلى الرخصة في إغفال بعض ما أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا بأن رخص لهم في المضائق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والأروش والديات في حقوق العباد ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف أي وسع دينكم توسعة ملة أبيكم أو على الإغراء أو على الاختصاص وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالأب لأمته من حيث إنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته

وعنه أيضا قال لا تخافوا في الله لومة لائم هو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد الأكبر روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ذكره البغوي بغير سند قيل أراد بالأصغر جهاد الكفار وبالأكبر جهاد النفس ﴿هو اجتباكم﴾ أي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فأي رتبة أعلى من هذا وأي سعادة فوق هذا ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب إلا جعل له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات من الأمراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلا إلى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر في السفر والتيمم عند عدم الماء وأكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بالمرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله لعباده وقيل أعطى الله هذه الأمة خصلتين لم يعطهما أحدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني إسرائيل من الآصار [illegible] دخل في [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] لم يكن إبراهيم أبا للأمة كلها فكيف سماه أبا في قوله ملة أبيكم

﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم لدينه ولنصرته ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيمم وبالإيماء وبالقصر والإفطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ أي اتبعوا ملة أبيكم أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم وسماه أبا وإن لم يكن أبا للأمة كلها لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام إنما أنا لكم مثل الوالد

﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم لدينه ﴿وما جعل عليكم في الدين﴾ أي الدين ﴿من حرج﴾ من ضيق [illegible] من لم يستطع أن يصلي قائما فليصل قاعدا ومن لم يستطع أن يصلي قاعدا فليصل مضطجعا [illegible] ﴿ملة أبيكم﴾ [illegible] الدين أبيكم ﴿إبراهيم﴾

(وسماكم المسلمين) أى الله بدليل قراءة أبى الله سماكم (من قبل) فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) أى فى القرآن أى فضلكم
على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم)

فغلبوا على غيرهم ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ القرآن فى الكتب المتقدمة ﴿وفى هذا﴾ وفى القرآن والضمير لله تعالى ويدل عليه انه قرئ الله سماكم أو لابراهيم وتسميتهم بمسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ﴿ليكون الرسول﴾ يوم القيامة متعلق بسماكم ﴿شهيدا عليكم﴾ بانه قد بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من اطاع وعصيان من عصى ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بتبليغ الرسل اليهم ﴿فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بانواع الفضل والشرف ﴿واعتصموا بالله﴾ وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولى اموركم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ هو اذ لا مثل له سبحانه فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا ناصر سواه فى الحقيقة ۞ عن النبى عليه السلام
من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها
بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

ابراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو ابو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو ابو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وأزواجه أمهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم كالوالد وفى قوله ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ قولان أحدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعنى ان الله سماكم المسلمين فى الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثانى ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعنى ان ابراهيم سماكم المسلمين فى أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا ﴿وفى هذا﴾ أى وفى القرآن سماكم المسلمين ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم﴾ يعنى يوم القيامة ان قد بلغكم ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ يعنى تشهدون يوم القيامة على الامم ان رسلهم
قد بلغتهم ﴿فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله﴾ أى ثقوا به وتوكلوا
عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل
ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام
هو التمسك بالكتاب والسنة ﴿هو مولاكم﴾
أى وليكم وناصركم وحافظكم ﴿فنعم
المولى ونعم النصير﴾ أى الناصر
لكم والله تعالى أعلم

م م
م

أنه قد بلغكم رسالة ربكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة (فاقيموا الصلوة) بواجباتها (وآتوا الزكوة) بشرائطها (واعتصموا بالله) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة (هو مولاكم) أى مالككم وناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى) حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم (ونعم النصير) أى الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد أفلح من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب

هو سماكم) الله سماكم (المسلمين من قبل) من قبل هذا القرآن فى كتب الانبياء (وفى هذا) القرآن (ليكون الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (شهيدا عليكم) مزكيا معدلا لكم (وتكونوا شهداء على الناس) للنبيين (فاقيموا الصلوة) فاتموا الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها (وآتوا الزكوة) اعطوا ...

(واعتصموا بالله) تمسكوا بدين الله (فى وخ ٢٤ يع) وكتابه (هو مولاكم) حافظكم (فنعم المولى) حافظ (ونعم النصير) مانع لكم

الجزء الثامن عشر

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين

سورة المؤمنين مكية وهى مائة وتسع عشرة آية عند البصريين
وثمان عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت على الماضى ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون المتوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم * وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلونى البراغيث وعلى الابهام والتفسير وفلح اجتزاء بالضمة عن الواو وفلح على البناء

تفسير سورة المؤمنين وهى مكية وهى مائة وثمان عشرة آية وألف
وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فنزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سرى عنه فقرأ قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذى * قوله عزوجل ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا فى الجنة وقيل الفلاح

﴿ سورة المؤمنين مكية وهى مائة وثمان عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قد أفلح المؤمنون) قد تفيد معنى ثبات المتوقع وما تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهى الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أى فازوا بما طلبوا ونجوا مما هربوا والايمان فى اللغة التصديق والمؤمن مصدق وفى الشرع كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن قال عليه السلام خلق الله الجنة فقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا أنا حرام على كل بخيل ومرائى لانه بريائه أبطل العبادات البدنية وببخله العبادات المالية

ومن السورة التى يذكر فيها المؤمنون وهى كلها مكية آياتها مائة وتسع عشرة وكلماتها ألف وثمانمائة وأربعون وحروفها أربعة آلاف وثمانمائة وحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) يقول قد فاز ونجا وسعد الموحدون بتوحيد الله أولئك هم الوارثون الجنة دون الكفار وقيل قد فاز ونجا المؤمنون المصدقون بايمانهم والفلاح على وجهين نجاح وبقاء ثم ذكر نعت المؤمنين فقال (البقاء

للغول ﴿ الذين هم فى صلوتهم خاشعون ﴾ خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم * روى انه عليه السلام كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ﴿ والذين هم عن اللغو ﴾ عما لا يعنيهم من قول وفعل ﴿ معرضون ﴾ لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه وكذلك قوله ﴿ والذين هم للزكوة فاعلون ﴾ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة ليدل على

البقاء والنجاة ﴿ الذين هم فى صلوتهم خاشعون ﴾ قال ابن عباس مخبتون أذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لابد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع فى صلاته لابد وأن يحصل له الخشوع فى جميع الجوارح فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شئ سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات فى الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف * عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو فى صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وفى رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائى وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره الى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم فاشتد قوله فى ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء فى الصلاة فلما نزل الذين هم فى صلوتهم خاشعون رمقوا بابصارهم الى موضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشئ من جسده فى الصلاة لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ذكره البغوى بغير سند * عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وقيل الخشوع فى الصلوة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجرى على لسانه من القراءة والذكر * قوله تعالى ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصى وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب ﴿ والذين هم للزكوة فاعلون ﴾ أى الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة ههنا

(الذين هم فى صلوتهم خاشعون) خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح وقيل الخشوع فى الصلاة جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وأن لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك وعن أبى الدرداء هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام واضيفت الصلاة الى المصلين لا الى المصلى له لانتفاع المصلى بها وحده وهى عدته وذخيرته وأما المصلى له فغنى عنها (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعنى ان لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع فى الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذى يخرجه المزكى عن

(الذين هم فى صلوتهم خاشعون) مخبتون متواضعون لا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يرفعون أيديهم فى الصلاة (والذين هم عن اللغو معرضون) عن الباطل والحلف تاركون له (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون

النصاب الى الفقير وعلى معنى وهو فعل المزكى الذى هو التزكية وهو المراد هنا فجعل المزكين فاعلين له لان لفظ الفعل يعم جميع الافعال كالضرب والقتل ونحوهما تقول للضارب والقاتل والمزكى فعل الضرب والقتل والتزكية ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل فى العمل فانك تقول هذا ضارب زيد ولا تقول ضرب لزيد (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة (الا على أزواجهم) فى موضع حال أى الا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان زيد على البصرة أى واليا عليها والمعنى انهم لفروجهم حافظون فى جميع الاحوال الا فى حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون الا على أزواجهم أى يلامون على كل مباشرة الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه وقيل غراء الا من أزواجهم أى زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) أى امائهم ولم يقل من لان المملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما تباع البهائم (فانهم غير ملومين) أى لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وامائهم (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فأولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لارادة الشهوة (والذين هم لأماناتهم وعهدهم) لامانتهم مكى وسهل سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وانما تؤدى العيون لا المعانى والمراد به العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (راعون) (أى

انهم بغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل يفعل الحدث لا المحل الذى هو موقعه أو الثانى على تقدير مضاف ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ لا يبذلونها ﴿الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ زوجاتهم أو سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسى أو حال أى حفظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج أو التسرى أو بفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهى الى النفس واعظمها خطرا ﴿فانهم غير ملومين﴾ الضمير لحافظون أو لمن دل عليه الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم أو امائهم فانهم غير ملومين على ذلك ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ المستثنى ﴿فأولئك هم العادون﴾ الكاملون فى العدوان ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق ﴿راعون﴾ قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج

هى العمل الصالح والاول أولى ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ الفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام ﴿الا على أزواجهم﴾ على بمعنى من ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ يعنى الاماء والجوارى والآية فى الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها ﴿فانهم غير ملومين﴾ يعنى بعدم حفظ فرجه من امرأته وأمته فانه لا يلام على ذلك وانه لا يلام فيهما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان فى غير المأتى وفى حال الحيض والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فانه ملوم ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ أى التمس وطلب سوى الازواج والولائد وهن الجوارى المملوكة ﴿فأولئك هم العادون﴾ أى الظالمون المتجاوزون الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وأيديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ﴿قوله عز وجل ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾

زكاة أموالهم (والذين هم لفروجهم حافظون) يحفظون فروجهم عن الحرام (الا على أزواجهم) أربع نسوة (أو ما ملكت أيمانهم) من الولائد بغير عدد (فانهم غير ملومين) بالحلال (فمن ابتغى وراء ذلك) فمن طلب سوى الحلال (فأولئك هم العادون) المعتدون الحلال الى الحرام (والذين هم لأماناتهم) لما ائتمنوا عليه مثل الصوم والوضوء والاغتسال من الجنابة والوديعة وأشباه ذلك (وعهدهم) فيما بينهم وبين الله أو بينهم وبين الناس (راعون)

افظون والراعى القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعى الغنم (والذين هم على صلواتهم) صلاتهم كوفى غير أبى بكر (يحافظون)
امون فى أوقاتها واعادة ذكر الصلاة لانها أهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها أولانها وحدت أولا ليفاد الخشوع
جنس الصلاة أية صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض
والواجبات والسنن والنوافل (أولئك) الجامعون لهذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار فى الحديث مامنكم من أحد الاوله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فان مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس) هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أنث الفردوس بتأويل الجنة (ولقد خلقنا الانسان) أى آدم (من سلالة) من الابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وقيل انما سمى التراب الذى خلق آدم منه سلالة لانه سل من كل تربة (من طين) من للبيان كقوله من الاوثان
لنازلون (الذين يرثون) ينزلون (الفردوس) مقصورة الرحمن والفردوس هو البستان بلسان الرومية (هم فيها خالدون) فى الجنة مقيمون لا يموتون ولا يخرجون منها (ولقد خلقنا الانسان) ولد آدم (من سلالة) سلة (من طين) والطين هو آدم

لامانتهم على الافراد لأمن الالباس أولانها فى الاصل مصدر ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ يواظبون عليها ويؤدونها فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائى وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به أولا فان الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلاة تعظيم لشأنها ﴿اولئك﴾ الجامعون لهذه الصفات ﴿هم الوارثون﴾ الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهى مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار ﴿هم فيها خالدون﴾ انث الضمير لانه اسم للجنة أو لطبقتها العليا ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة﴾ من خلاصة سلت من بين الكدر ﴿من طين﴾ متعلق بمحذوف لانه صفة

أى حافظون يحفظون ما أئتمنوا عليه والعقود التى عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فنها ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التى أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ أى يداومون ويراعون أوقاتها واتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها * فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا * قلت هما ذكران مختلفان فليس تكرار او صفهم أولا بالخشوع فى الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها * قوله عز وجل ﴿أولئك﴾ يعنى أهل هذه الصفة ﴿هم الوارثون﴾ يعنى يرثون منازل أهل النار من الجنة * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فمن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون ذكره البغوى بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يؤل أمرهم الى الجنة وينالوها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ هو أعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس اخرجه الترمذى ﴿هم فيها خالدون﴾ أى لا يخرجون منها ولا يموتون * قوله عز وجل ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ يعنى ولد آدم لان الانسان اسم جنس ﴿من سلالة من طين﴾ قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هى المنى لان النطفة تسل من الظهر من طين يعنى طين آدم لان السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو

حافظون له بالوفاء (والذين هم على صلواتهم) لاوقات صلواتهم (يحافظون) له بالوفاء (أولئك) أهل هذه الصفة (هم الوارثون)

(ثم جعلناه) أى نسله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لان آدم عليه السلام لم يصر نطفة وهو كقوله وبدأ الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل الانسان بنو آدم و السلالة النطفة والعرب تسمى النطفة سلالة أى ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعنى من نطفة مسلولة من طين أى من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام (نطفة) ماء قليلا (فى قرار) مستقر يعنى الرحم (مكين) حصين

(ثم خلقنا النطفة) أى صيرناها فلذا تعديه الى مفعولين والخلق يتعدى الى مفعول واحد (علقة) قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) لحما قدر ما يمضغ (فخلقنا المضغة عظاما) فصيرناها عظاما (فكسونا العظام لحما) فانبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظما العظم شامى وأبو بكر عظما العظام زيد عن يعقوب عظاما العظم عن أبى زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذ الانسان ذو عظام كثيرة (ثم أنشأناه) الضمير يعود الى الانسان أو الى المذكور (خلقا آخر) أى خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وسميعا وبصيرا وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا اذا غصب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره فى قدرته وعلمه (أحسن) بدل أو خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان أضيف لان المضاف اليه عوض من من (الخالقين) ﴿ وبين

لسلالة أو من بيانية أو بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين أو الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ﴿ثم جعلناه﴾ ثم جعل نسله فحذف المضاف ﴿نطفة﴾ بان خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء ﴿فى قرار مكين﴾ مستقر حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ فصيرناها قطعة لحم ﴿فخلقنا المضغة عظاما﴾ بان صلبناها ﴿فكسونا العظام لحما﴾ مما بقى من المضغة أو مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ﴿ثم انشأناه خلقا آخر﴾ هو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر ﴿فتبارك الله﴾ فتعالى شانه فى قدرته وحكمته ﴿احسن الخالقين﴾ المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين

آدم وقوله من سلالة أى سل من كل تربة ﴿ثم جعلناه نطفة﴾ يعنى الذى هو الانسان جعلناه نطفة ﴿فى قرار مكين﴾ أى حريز وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ أى صيرنا النطفة قطعة دم جامد ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ أى جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة ﴿فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما﴾ وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل ان بين كل خلق وخلق أربعين يوما ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ أى مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعدما كان جمادا وناطقا بعد ما كان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشى الى الفطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب فى البلاد الى ما بعدها ﴿فتبارك الله﴾ أى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال ﴿أحسن الخالقين﴾ أى المصورين والمقدرين فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية

(ثم جعلناه) أى الانسان نسل السلالة (نطفة فى قرار مكين) فى مكان حريز رحم أمه فيكون نطفة أربعين يوما (ثم خلقنا) ثم حولنا (النطفة علقة) دما عبيطا فتكون علقة أربعين يوما (فخلقنا) فحولنا (العلقة مضغة) لحما أربعين يوما (فخلقنا) فحولنا (المضغة عظاما) بلا لحم (فكسونا العظام لحما) أوصالا وعروقا وغير ذلك (ثم أنشأناه خلقا آخر) جعلنا فيه الروح (فتبارك الله احسن الخالقين

المدرين أى أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبدالله بن سعد بن أبى سرح كان
كتب للنبى عليه السلام فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبدالله
ان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبى يوحى الى فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان
بنه وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضى الله عنهما (ثم انكم
بعد ذلك) بعدما ذكرنا من أمركم (لميتون) عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيمة تبعثون) تحيون للجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) جمع طريقة وهى السموات لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم (وما كنا عن الخلق غافلين) أراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة أو بمقدار ماعلمنا من حاجاتهم (فاسكناه فى الارض) كقوله فسلكه ينابيع فى الارض وقيل جعلناه ثابتا فى الارض فماء الارض كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (وانا على ذهاب به

عليه ﴿ثم انكم بعد ذلك لميتون﴾ لصائرون الى الموت لامحالة ولذلك ذكر النعت الذى للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ﴿ثم انكم يوالقيمة تبعثون﴾ للمحاسبة والمجازاة ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل مافوقه مثله فهو طريقه أو لانها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها ﴿وما كنا عن الخلق﴾ عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو جميع المخلوقات ﴿غافلين﴾ مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ماقدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ﴿وانزلنا من السماء ماء بقدر﴾ بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره أو بمقدار ماعلمنا من صلاحهم ﴿فاسكناه﴾ فجعلناه ثابتا مستقرا ﴿فى الارض وانا على ذهاب به﴾ على ازالته بالافساد أو التصعيد أو التعميق

وبين قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله • قلت الخلق له معان منها الايجاد والابداع ولاموجد ولامبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر

ولانت تفرى ماخلقت وبعـ • ـض القوم يخلق ثم لايفرى

معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لايفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿ثم انكم بعد ذلك﴾ أى بعد ماذكر من تمام الخلق ﴿لميتون﴾ أى عند انقضاء آجالكم ﴿ثم انكم يوم القيمة تبعثون﴾ أى للحساب والجزاء ❁ قوله عزوجل ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ أى سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة فى الصعود والهبوط ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ أى بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ماتركناهم سدى بغير امر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وماكنا عن الخلق غافلين أى عن اعمالهم واقوالهم وضمائرهم لاتخفى علينا خافية ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ أى يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر مايكفيهم لمعايشهم فى الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة ﴿فاسكناه فى الارض﴾ يعنى مايبقى فى الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس فى الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكناه فى الارض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء فى الارض من السماء ﴿وانا على ذهاب به

أحكم المحولين (ثم انكم بعد ذلك لميتون) تموتون (ثم انكم يوم القيمة (قاوخا ٤٣ بع) تبعثون) تحيون (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سبع سموات بعضها فوق بعض مثل القبة (وما كنا عن الخلق غافلين) تاركين لهم بلاامر ولانهى (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) من المعيشة وقيل بمقدار مايكفيكم (فأسكناه) فادخلناه (فى الارض) فجعلناه منه الركى والعيون والانهار والغدران (وانا على ذهاب به) على غور الماء

لقادرون) أي كما قدرنا على انزاله نقدر على اذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر (فانشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل و

لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) سوى النخيل والاعناب (ومنها تأ

أي من الجنات أي من ثمارها ويجوز ان هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلها أي انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وهي شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لايخلو اما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وأبي عمرو للتعريف والعجمة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لان الالف للتأنيث كصحراء

بحيث يتعذر استنباطه ﴿ لقادرون ﴾ كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ا
الى كثرة طرقه ومبالغة في الابعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأ
ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ﴿ فانشأنا لكم به ﴾ بالماء ﴿ جنا
من نخيل واعناب لكم فيها ﴾ في الجنات ﴿ فواكه كثيرة ﴾ تتفكهون بها
﴿ ومنها ﴾ ومن الجنات ثمارها وزروعها ﴿ تأكلون ﴾ تغذيا أو ترتزقو
وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضمير
للنخيل والاعناب اى لكم في ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب
والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه ﴿ وشجرة ﴾ عطف على
جنات وقرئت بالرفع على الابتداء أي ومما انشأ لكم به شجرة ﴿ تخرج من طور سيناء ﴾ جبل
موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو م
ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومن
صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السنا

لقادرون ﴾ وصح من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة
والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة
من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الارض وجعل فيها
منافع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند
خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم
كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار
الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت
هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوي
في تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالاجازة
عن سعيد بن ساق الاسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن
عباس ﷺ ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى ﴿ فانشأنا لكم به ﴾ أي بالماء ﴿ جنات ﴾ أي
بساتين ﴿ من نخيل وأعناب ﴾ انما أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام
الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا ﴿ لكم فيها ﴾ أي في الجنات ﴿ فواكه كثيرة
ومنها تأكلون ﴾ أي شتاء وصيفا ﴿ وشجرة ﴾ أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون
﴿ تخرج من طور سيناء ﴾ أي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية
وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه
أشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي

في الارض (لقادرون فانشأنا لكم) خلقنا لكم ويقال أنبتنا لكم (به) بالماء (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب) كروم (لكم فيها) في البساتين (فواكه كثيرة) ألوان فواكه كثيرة (ومنها) من ألوان الثمار (تأكلون وشجرة) تنبت بالمطر شجرة وهي شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) من جبل مشجر والطور هو الجبل بلسان النبط والسيناء هو الجبل (منه

(تنبت بالدهن) قال الزجاج الباء للحال أى تنبت ومعها الدهن تنبت مكى وأبو عمرو واما الان أنبت بمعنى نبت كقوله حتى اذا أنبت البقل أولان مفعوله محذوف أى تنبت زيتونها وفيه الدهن (وصبغ للآكلين) أى ادام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى فى هذه الشجرة اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هـ وأول شجرة تنبت بعد الطوفان وخص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجرة وأفضلها وأجمعها للمنافع (وان لكم فى الانعام) جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم (لعبرة نسقيكم) وبفتح النون شامى ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان (مما فى بطونها) أى تخرج لكم من بطونها لبنا سائغا (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الالبان وهى منافع الاصواف والاوبار والاشعار (ومنها تأكلون) أى لحومها (وعليها) وعلى الانعام فى البر (وعلى الفلك) فى البحر (تحملون) فى أسفاركم وهذا يشير الى ان المراد بالانعام الابل لانها هى المحمول عليها فى العادة فلذا قرنها بالفلك التى هى السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة • سفينة بر تحت خدى زمامها • يريد ناقته

دوهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف تأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامى ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لافعلال اذ ليس فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر ﴿ تنبت بالدهن ﴾ أى ت ملتبسة بالدهن ومصطحبة له ويجوز ان يكون الباء صلة متعدية لتنبت كما فى قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فى رواية تنبت وهى اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم • قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن • وقرئ • على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر دهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ معطوف على الدهن جار ى اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الآخر أى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا هن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز أى يغمس فيه للائتدام • وقرئ وصباغ دباغ فى دبغ ﴿ وان لكم فى الانعام لعبرة ﴾ تعتبرون بحالها وتستدلون بها ﴿ نسقيكم مما بطونها ﴾ من الالبان أو من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض أو للابتداء • وقرأ نافع ابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ﴾ فى ظهورها صوافها وشعورها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ فتنتفعون باعيانها ﴿ وعليها ﴾ وعلى الانعام منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هى المحمول عليها عندهم المناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة

سفينة بر تحت خدى زمامها

يكون الضمير فيها كالضمير فى وبعولتهن احق بردهن ﴿ وعلى الفلك تحملون ﴾

منه نودى موسى بين مصر وايلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها يف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذى فيه هذا الجبل ﴿ تنبت دهن ﴾ أى تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ صبغ الادام الذى يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله تعالى فى هذه الشجرة المباركة اداما هو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان أول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها تبقى فى الارض نحو ثلاثة آلاف سنة • قوله عز وجل ﴿ وان لكم فى الانعام لعبرة ﴾ أى آية تعتبرون بها ﴿ نسقيكم مما فى بطونها ﴾ أى البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه منهما شئ فتستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية فى سورة النحل ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ﴾ أى كما تنتفعون بها وهى حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل ﴿ وعليها ﴾ أى وعلى الابل ﴿ وعلى الفلك تحملون ﴾ أى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر • قوله تعالى

المشجر بلسان الحبشة (تنبت بالدهن) تخرج الدهن (وصبغ للآكلين) وما يصطبغ به الآكل (وان لكم فى الانعام) فى الابل (لعبرة) اعلامة (نسقيكم مما فى بطونها) من ألبانها تخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا (ولكم فيها) فى ركوبها وحملها (منافع كثيرة ومنها) من لحومها وألبانها وأولادها (تأكلون وعليها) على الابل يعنى فى البر (وعلى الفلك) على السفن فى البحر (تحملون) تسافرون

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله)وحدوه(مالكم من اله) معبود(غيره) بالرفع على المحل وبالج
اللفظ والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون عقوبة الله الذى هو ربكم و
اذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شئ (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى أشرافهم لعوامهم (
الا بشر مثلكم)يأكل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أى يطلب الفضل عليكم ويترأس (ولو شاء الله) ارسال رسول(
لارسل ملائكة) لارسل ملائكة(ماسمعنا بهذا)أى بارسال بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب من
رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر (فى آبائنا الاولين ان هو الا ر
جنة)جنون (فتربصوا به
حتى حين) فانتظروا
واصبروا عليه الى زمان
حتى ينجلى أمره فان أفاق
من جنونه والا قتلتموه
(قال رب انصرنى بما
كذبون) فلما أيس من
ايمانهم دعا الله بالانتقام منهم
والمعنى أهلكهم بسبب
تكذيبهم اياى اذ فى نصرتى
اهلاكهم أو انصرنى بدل
ما كذبون كقولك هذا
بذاك أى بدل ذاك والمعنى
أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة
النصرة عليهم (فأوحينا
اليه) أى أجبنا دعاءه فاوحينا
اليه (أن اصنع الفلك باعيننا)
أى تصنعه وأنت واثق
بحفظ الله لك ورؤيته اياك
أو بحفظنا وكلاءتنا كان معك
من الله حفاظا يكلؤنك بعيونهم
لئلا يتعرض لك ولا يفسد
عليك مفسد عملك ومنه قولهم
عليه من الله عين كالئة

فى البر والبحر ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ﴾ الى آ
القصص مسوق لبيان كفران الناس ماعدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاقهم من زوا
﴿ مالكم من اله غيره ﴾ استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى غيره بالجر على اللف
﴿ أفلا تتقون ﴾ أفلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته ا
عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لاتحصونها ﴿ فقال الملأ ﴾ الاشراف ﴿ الذين كفر
من قومه ﴾ لعوامهم ﴿ ماهذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ﴾ اى يطلب الفض
عليكم ويسودكم ﴿ ولو شاء الله ﴾ ان يرسل رسولا ﴿ لانزل ملائكة ﴾ رسلا ﴿ ماسم
بهذا فى آبائنا الاولين ﴾ يعنون نوحا اى ماسمعنا به انه نبى أو ما كلمهم به من الحث على عبا
الله ونفى اله غيره أو من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم أو لانهم كانوا فى فت
متطاولة ﴿ ان هو الا رجل به جنة ﴾ اى جنون ولاجله يقول ذلك
﴿ فتربصوا به ﴾ فاحتملوه وانتظروا ﴿ حتى حين ﴾ لعله يفيق من جنونه ﴿ قال
بعدما ايس من ايمانهم ﴿ رب انصرنى ﴾ باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذا
﴿ بما كذبون ﴾ بدل تكذيبهم اياى أو بسببه ﴿ فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا
بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه أو يفسده عليك مفسد

﴿ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ أى مالك
معبود سواه ﴿ أفلا تتقون ﴾ أى أفلا تخافون عقابه اذا عبدتم غيره ﴿ فقال الملأ الذين كفر
من قومه ماهذا الا بشر مثلكم ﴾ أى آدمى مثلكم مشارك لكم فى جميع الامور ﴿ يريد أ
يتفضل عليكم ﴾ أى انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وأنتم له تبع ﴿ ولو شاء الله لانز
ملائكة ﴾ يعنى بابلاغ الوحى ﴿ ماسمعنا بهذا ﴾ أى الذى يدعونا اليه نوح ﴿ فى آبائنا الاولين ا
هو الا رجل به جنة ﴾ أى جنون ﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾ أى الى الموت فتستريحوا م
﴿ قال رب انصرنى بما كذبون ﴾ أى اعنى باهلاكهم بتكذيبهم اياى ﴿ فاوحينا اليه أن اصنع الف
باعيننا ﴾ أى بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له أحد ولا يفسد عل

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال)لقومه (ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى أمركم أن (عمله
تؤمنوا به (أفلا تتقون) عبادة غير الله (فقال الملأ) الرؤساء (الذين كفروا من قومه ماهذا) يعنون نوحا (الا بشر)
(مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) بالرسالة والنبوة (ولو شاء الله) أن يرسل الينا رسولا (لانزل ملائكة) أى ملكا من الم
(ماسمعنا بهذا) الذى يقول نوح (فى) زمن (آبائنا الاولين ان هو) ماهو يعنون نوحا (الا رجل به جنة) جنون (فتربصوا
فانتظروا (به حتى حين) الى حين يموت (قال) نوح (رب انصرنى) أعنى بالعذاب (بما كذبون)بالرسالة (فاوحينا ا
أرسلنا اليه جبريل(أن اصنع الفلك) أن خذ فى علاج السفينة(بأعيننا) بمنظر منا

ووحينا) أمرنا وتعليمنا اياك صنعتها روى انه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر (فاذا جاء أمرنا) أى عذابنا
رنا (وفار التنور) أى فار الماء من تنور الخبز اى أخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ فى الانذار
الاعتبار روى انه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور
خبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان من حجارة واختلف فى مكانه فقيل فى مسجد الكوفة وقيل
لشام وقيل بالهند (فاسلك فيها) فادخل فى السفينة (من كل زوجين) من كل أمة زوجين وهما أمة الذكر وأمة
لانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة
والحصان والرمكة روى انه لم يحمل الا ما يلد و يبيض من كل حفص والمفضل أى من كل أمة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادة بيان (واهلك) ونساءك وأولادك (الا من سبق عليه القول) من الله باهلاكه وهو ابنه واحدى زوجتيه فجئ بعلى مع سبق الضار كما جئ باللام مع سبق النافع فى قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) ولا تسألنى نجاة الذين كفروا فانى أغرقهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا تمكنتم عليها راكبين (فقل الحمد لله الذى نجانا
من القوم الظالمين) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت انت ومن معك فى معنى
اذا استويتم لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة

﴿ووحينا﴾ وامرنا وتعليمنا كيف تصنع ﴿فاذا جاء امرنا﴾ بالركوب أو نزول العذاب ﴿وفار التنور﴾ روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها فى هود ﴿فاسلك فيها﴾ فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم فى سقر ﴿من كل زوجين اثنين﴾ من كل امتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين أى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد ﴿واهلك﴾ واهل بيتك أو ومن آمن معك ﴿الا من سبق عليه القول منهم﴾ أى القول من الله باهلاكه لكفره وانما جئ بعلى لان السابق ضار كما جئ باللام حيث كان نافعا فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا﴾ بالدعاء لهم بالانجاء ﴿انهم مغرقون﴾ لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله ﴿فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ كقوله فقطع دابر القوم الذين

عمله ﴿ووحيا﴾ قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها ﴿فاذا جاء أمرنا﴾ أى عذابنا ﴿وفار التنور﴾ قيل هو التنور الذى يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رأيت الماء يفور من التنور ﴿فاسلك فيها﴾ أى فأدخل فى السفينة ﴿من كل زوجين اثنين﴾ أى من كل حيوان ذكر وأنثى ﴿وأهلك﴾ أى وسائر من آمن بك ﴿الا من سبق عليه القول﴾ أى وجب عليه العذاب ﴿منهم﴾ يعنى الكفار وقيل أراد باهله أهل بيته خاصة والذى سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون﴾ ❊ قوله عز وجل ﴿فاذا استويت﴾ أى اعتدلت ﴿أنت ومن معك على الفلك﴾ أى فى السفينة ﴿فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ أى الكافرين

(ووحينا) بوحينا اليك (فاذا جاء أمرنا) وقت عذابنا (وفار التنور) نبع الماء من التنور ويقال طلع الفجر (فاسلك فيها) فاحمل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) صنفين اثنين ذكر وأنثى (وأهلك) واحمل أهلك يعنى من آمن بك (الا من سبق) وجب (عليه القول) بالعذاب (منهم ولا تخاطبنى) ولا تراجعنى بالدعاء (فى الذين ظلموا) فى نجاة الذين كفروا من قومك (انهم مغرقون) بالطوفان (فاذا استويت أنت) اذا ركبت أنت (ومن معك) من المؤمنين (على الفلك) على السفينة (فقل الحمد لله) الشكر لله (الذى نجانا من القوم الظالمين) الكافرين

(وقل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها (رب أنزلنى منزلا) أى انزالا أو موضع انزال منزلا أبو بكر اى مكـ
(مباركا وأنت خير المنزلين) والبركة فى السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات (ان فى ذلك
فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) لعبر أو مواعظ (وان) هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة بين النافية وبين
والمعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيار
عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مذكر (ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد قوم
نوح (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفـ
من بعد قوم نوح ومجىء قصة هود على أثر قصة نوح فى الاعراف وهود والشعراء (فارسلنا فيهم) الارسال يعدى بالى ولم يعد بفى هنا وفى قوله كذلك أرسلناك فى أمة وما أرسلنا فى قرية ولكن الامة والقرية جعلت موضعا للارسال كقول رؤبة * أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام * (رسولا) هو هود (منهم) من قومهم (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) ان مفسرة لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وقال الملأ من قومه) ذكر مقالة قوم هود فى جوابه فى الاعراف وهود بغير واو لانه على تقدير سؤال سائل قال فاقال قومه فقيل له قالوا
كيت كيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه انه اجتمع فى الحصول هذا (الذين)
الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبى صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم

ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿وقل رب انزلنى﴾ فى السفينة أو فى الارض ﴿منزلا مباركا﴾ يتسبب لمزيد الخير فى الدارين وقرأ غير ابى بكر منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال ﴿وانت خير المنزلين﴾ ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم ﴿ان فى ذلك﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿لآيات﴾ يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار ﴿وان كنا لمبتلين﴾ لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة ﴿ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ هم عاد او ثمود ﴿فارسلنا فيهم رسولا منهم﴾ هود أو صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحى اليه وهو بين اظهرهم ﴿ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره﴾ تفسير لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله ﴿أفلا تتقون﴾ عذاب الله ﴿وقال الملأ من قومه

﴿وقل رب أنزلنى منزلا مباركا﴾ قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة وأراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء ﴿وأنت خير المنزلين﴾ معناه انه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وأنت خير المنزلين لانه يحفظ من أنزله ويكلؤه فى سائر أحواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك ﴿ان فى ذلك﴾ أى الذى ذكر من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله ﴿لآيات﴾ أى دلالات على قدرتنا ﴿وان كنا﴾ أى وما كنا ﴿لمبتلين﴾ أى الا مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم * قوله تعالى ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أى من بعد اهلاكهم ﴿قرنا آخرين﴾ يعنى عادا ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم﴾ يعنى هودا قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول أصح ﴿أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ أى هذه الطريقة التى انتم عليها مخافة العذاب ﴿وقال الملأ من قومه

(وقل) حين تنزل من السفينة (رب أنزلنى منزلا مباركا) بالماء والشجر (وأنت خير المنزلين) فى الدنيا والآخرة (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات وعبرات لاهل مكة لكى يقتدوا بهم (وان كنا) وقد كنا (لمبتلين) بالبلايا ويقال مختبرين بالعقوبة (ثم أنشأنا من بعدهم) خلقنا من بعد هلاك قوم نوح (قرنا آخرين) قوما آخرين (فارسلنا فيهم) اليهم (رسولا منهم) من نسبهم (أن اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى آمركم أن تؤمنوا به (أفلا تتقون) عبادة غير الله (وقال الملأ) الرؤساء (من قومه) من قوم

لن بالفاء وجئ بالفاء فى قصة نوح لانه جواب لقوله وقع عقيبه (الذين كفروا) صفة للملا أو لقومه (وكذبوا بلقاء الآخرة)
ى بلقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وأترفناهم) ونعماهم (فى الحيوة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد
ماهذا) أى النبي (الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أى منه فحذف لدلالة ماقبله عليه أى
ن أين يدعى رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أى فيما يأمركم به وينهاكم عنه (انكم اذا) واقع
جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم (الخاسرون) بالانقياد لمثلكم ومن

حقهم انهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أيعدكم انكم اذا متم) بالكسر نافع وحمزة وعلى وحفص وغيرهم بالضم (وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى انكم للتأكيد وحسن ذلك للفصل بين الاول والثانى بالظرف ومخرجون خبر عن الاول والتقدير أيعدكم أنكم مخرجون اذا متم وكنتم تراباوعظاما (هيهات هيهات) وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائى يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضمر أى بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب أو فاعلها ماتوعدون واللام زائدة أى بعد ماتوعدون

الذين كفروا ﴾ لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال ﴿ وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾ بلقاء مافيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث ﴿ واترفناهم ﴾ ونعمناهم ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ بكثرة الاموال والاولاد ﴿ ماهذا الا بشر مثلكم ﴾ فى الصفة والحالة ﴿ يأكل مماتأكلون منه ويشرب مماتشربون ﴾ تقرير للمماثلة وماخبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف أو مجرور حذف مع الجار لدلالة ماقبله عليه ﴿ ولئن اطعتم بشرا مثلكم ﴾ فيمايأمركم به ﴿ انكم اذا لخاسرون ﴾ حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ﴿ أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما ﴾ مجردة عن اللحوم والاعصاب ﴿ انكم مخرجون ﴾ من الاجداث أو من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره أو انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم أو فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخراجكم اذا متم أو انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة ﴿ هيهات هيهات ﴾ بعد التصديق أو الصحة ﴿ لما توعدون ﴾ أو بعد ماتوعدون واللام للبيان كما فى هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فاله هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف

الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾ أى بالمصير اليها ﴿ وأترفناهم ﴾ أى نعمناهم ووسعنا عليهم ﴿ فى الحيوة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مماتأكلون منه ويشرب مماتشربون ﴾ أى من مشربكم ﴿ ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ﴾ أى لمغبونون ﴿ أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ﴾ أى من قبوركم أحياء ﴿ هيهات هيهات ﴾ قال ابن عباس أى بعيد بعيد ﴿ لماتوعدون ﴾ استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر فى بدء أمرهم وقدرة الله على ايجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه

الرسول (الذين كفروا
كذبوا بلقاء الآخرة) بالبعث بعد الموت (وأترفناهم) أنعمناهم بالمال والولد (فى الحيوة الدنيا ماهذا) يعنون الرسول (الا بشر)
دمى (مثلكم تأكل ممأ تأكلون منه) كماتأكلون منه (ويشرب مماتشربون) كماتشربون (ولئن أطعتم بشرا) آدميا (مثلكم انكم
اذا لخاسرون) جاهلون مغبونون (أيعدكم) هذا الرسول (أنكم اذا متم وكنتم) صرتم (ترابا) بعد الموت (وعظاما) بالية (انكم
مخرجون) محيون بعد الموت (هيهات هيهات) بعيدا بعيدا (لماتوعدون) لايكون هذا

من البعث (ان هى) هذا ضمير لايعلم مايعنى به الابما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحياتنا الدنيا) ثم وضع هى مو
الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لاحياة الاهذه الحياة التى نحن فيها ودنت منا وهذا لان ان النافية دخلت على
التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التى لنفى الجنس (نموت ونحيا) أى يموت بعض ويولد بعض ينقر
قرن فيأتى قرن آخر أوفيه تقديم وتأخير أى نحيا ونموت وهو قراءة أبى وابن مسعود رضى الله عنهما (وما
بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الارجل افترى على الله كذبا) أى ماهو الامفتر

الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرنى بما كذبون) فاجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عما قليل) قليل صفة للزمان كقديم وحديث فى قولك مارأيته قديما ولاحديثا وفى معناه عن قريب و ما زائدة او بمعنى شئ أوزمن وقيل بدل منها وجواب القسم المحذوف (ليصبحن نادمين) اذا عاينوا مايحل بهم (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال فلان يقضى بالحق أى بالعدل (فجعلناهم غثاء) شبههم فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسود من الورق والعيدان (فبعدا) فهلاكا يقال بعد بعدا وأبعد أى هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لايستعمل اظهارها (للقوم الظالمين) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك (ثم)

وبابدال التاء هاء ﴿ ان هى الاحياتنا الدنيا ﴾ اصله ان الحياة الاحياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله

هى النفس ماحملتها تتحمل (٢)

ومعناه لاحياة الاهذه الحياة الدنيا لان ان نافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التى تنفى مابعدها نفى الجنس ﴿ نموت ونحيا ﴾ يموت بعضنا ويولد بعضنا ﴿ ومانحن بمبعوثين ﴾ بعد الموت ﴿ ان هو ﴾ ماهو ﴿ الارجل افترى على الله كذبا ﴾ فيما يدعيه من ارساله له أو فيما يعدنا من البعث ﴿ وما نحن له بمؤمنين ﴾ بمصدقين ﴿ قال رب انصرنى ﴾ عليهم وانتقم لى منهم ﴿ بما كذبون ﴾ بسبب تكذيبهم اياى ﴿ قال عما قليل ﴾ عن زمان قليل وماصلة لتأكيد معنى القلة أو نكرة موصوفة ﴿ ليصبحن نادمين ﴾ على التكذيب اذا عاينوا العذاب ﴿ فاخذتهم الصيحة ﴾ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح ﴿ بالحق ﴾ بالوجه الثابت الذى لادافع له أوبالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحق أوبالوعد الصدق ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك ﴿ فبعدا للقوم الظالمين ﴾ يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا

لايكون أبدا ﴿ ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم ﴿ ومانحن بمبعوثين ﴾ أى بعد الموت ﴿ ان هو ﴾ يعنون رسولهم ﴿ الارجل افترى على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين ﴾ أى بمصدقين بالبعث بعد الموت ﴿ قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن ﴾ أى ليصيرن ﴿ نادمين ﴾ على كفرهم وتكذيبهم ﴿ فاخذتهم الصيحة بالحق ﴾ يعنى صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ هو مايحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض ﴿ فبعدا ﴾ أى الزمنا بعدا من الرحمة ﴿ للقوم الظالمين ﴾ * قوله عز وجل

(ان هى) ماهى (الاحياتنا الدنيا) فى الدنيا (نموت ونحيا) يموت الآباء ويحيا الابناء (ومانحن بمبعوثين) للبعث بعد المو
(ان هو) ماهو يعنون الرسول (الارجل افترى) اختلق (على الله كذبا) بما يقول (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين له بما يق
(قال) الرسول (رب انصرنى) أعنى بالعذاب (بما كذبون) بالرسالة (قال) الله (عما قليل) عن قليل (ليصبحن) ليصب
(نادمين) بالتكذيب عند العقوبة (فاخذتهم الصيحة بالحق) يعنى صوت جبريل بالعذاب (فجعلناهم) بعد الهلاك (غ
يابسا (فبعدا) فسحقا وخيبة من رحمة الله (للقوم الظالمين) الكافرين

(٢) تمامه * وللدهر ايام تجود وتعدل

(ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة أجلها) من صلة أى ما تسبق أمة (أجلها) المكتوب لها والوقت الذى حد لها لاكها وكتب (وما يستأخرون) لا يتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا تترى) فعلى والالف للتأنيث كسكرى لان الرسل جماعة ولذا لا ينون لانه غير منصرف تترى بالتنوين مكى وأبو عمرو ويزيد على أن الالف للالحاق كأرطى وهو نصب على الحال فى القراءتين أى متتابعين واحدا بعد واحد

مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بافعال لا يستعمل اظهاره واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ﴿ ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ﴾ يعنى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ﴿ ما تسبق من امة اجلها ﴾ الوقت الذى حد لها لاكها ومن مزيدة للاستغراق ﴿ وما يستأخرون ﴾ الاجل ﴿ ثم ارسلنا رسلنا تترى ﴾ متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا ﴿ كلما جاء امة رسولها كذبوه ﴾ اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجىء الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجىء الذى هو منتهاه اليهم ﴿ فاتبعنا بعضهم بعضا ﴾ فى الاهلاك ﴿ وجعلناهم احاديث ﴾ لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا ﴿ فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا ﴾ بالآيات التسع ﴿ وسلطان مبين ﴾ وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبى ﴿ الى فرعون وملئه فاستكبروا ﴾

﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ﴾ أى أمما آخرين ﴿ ما تسبق من أمة أجلها ﴾ أى وقت هلاكها ﴿ وما يستأخرون ﴾ أى عن وقت هلاكهم ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى ﴾ أى مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا ﴿ كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا ﴾ أى بالهلاك فاهلكنا بعضهم فى أثر بعض ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ أى سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بامرهم وشأنهم ﴿ فبعدا لقوم لا يؤمنون ﴾ * قوله تعالى ﴿ ثم ارسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين ﴾ أى بحجة بينة كالعصا واليد وغيرهما ﴿ الى فرعون وملئه فاستكبروا ﴾ أى تعظموا عن الايمان

وتاؤه فيهما بدل من الواو والاصل وترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كتوراة (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما (فأتبعنا) الامم والقرون (بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم احاديث) اخبارا يسمع بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام وتكون جمعا للاحدوثة وهو ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) بدل من أخاه (بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وملئه فاستكبروا) امتنعوا عن

(ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد هلاكهم (قرونا آخرين) قرنا بعد قرن من قرن الى قرن (قاو خا ٤٤ بع) ثمان عشرة سنة والقرن ثمانون سنة (ما تسبق من أمة) ما تهلك من أمة (أجلها) قبل أجلها (وما يستأخرون) عن الاجل (ثم أرسلنا رسلنا تترى) متتابعا بعضها فى أثر بعض (كلما جاء أمة رسولها) الى أمة رسول (كذبوه) كذبوا ذلك الرسول (فأتبعنا بعضهم بعضا) بالهلاك (وجعلناهم أحاديث) فى دهرهم يحدث بهم (فبعدا) فسحقا من رحمة الله (لقوم لا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) حجة بينة (الى فرعون وملئه) قومه (فاستكبروا) عن الايمان

قبول الايمان ترفعا وتكبرا (وكانوا قوما عالين) متكبرين مترفعين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) البشر يكون واحدا و
و مثل وغيره يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وقومهما) أى بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون و
من دان لملك فهو عابد له عند العرب (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغ

(ولقد آتينا موسى) أى قوم موسى (الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) يعملون بشرائعه ومواعظه (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) تدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير نطفة واحد لان الاعجوبة فيهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما) جعلنا مأواهما أى منزلهما (الى ربوة) شامى وعاصم ربوة غيرهما أى أرض مرتفعة وهى بيت المقدس أو دمشق او الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية منبسطة او ذات ثمار وماء يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها (ومعين) وماء ظاهر جار

عن الايمان والمتابعة ﴿وكانوا قوما عالين﴾ متكبرين ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى فى جانب النقصان اغبياء لايعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لايدرك غيرهم ويعلمون ما لاينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ﴿وقومهما﴾ يعنى بنى اسرائيل ﴿لنا عابدون﴾ خادمون منقادون كالعباد ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ بالغرق فى بحر قلزم ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿لعلهم﴾ لعل بنى اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم ﴿يهتدون﴾ الى المعارف والاحكام ﴿وجعلنا ابن مريم وامه آية﴾ بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما أو جعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ﴿وآويناهما الى ربوة﴾ ارض بيت المقدس فانها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ﴿ذات قرار﴾ مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ﴿ومعين﴾ وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى

﴿وكانوا قوما عالين﴾ أى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم ﴿فقالوا﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ يعنون موسى وهرون ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ أى مطيعون متذللون ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ أى بالغرق ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعنى التوراة ﴿لعلهم يهتدون﴾ أى لكى يهتدى به قومه * قوله عز وجل ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ أى دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وأنطقه فى المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شأنهما آية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا فى هذه الآية فكانت آية واحدة ﴿وآويناهما الى ربوة﴾ أى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الايواء انها فرت بابنها اليها * وقوله ﴿ذات قرار﴾ أى منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ﴿ومعين﴾

موسى والآيات (وكانوا قوما عالين) مخالفين لموسى مستكبرين عن الايمان (فقالوا أنؤمن لبشرين) لآدميين يعنون موسى وهرون (مثلنا وقومهما لنا عابدون) مطيعون (فكذبوهما) بالرسالة (فكانوا من المهلكين) فصاروا من المغرقين فى اليم (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة (لعلهم يهتدون) لكى يهتدوا بها من الضلالة (وجعلنا ابن مريم) يعنى عيسى (وأمه آية) علامة وعبرة ولدا بلا أب وولادة بلا مس (وآويناهما) رجعناهما (الى ربوة) الى مكان مرتفع (ذات قرار) مستو ذات نعيم (ومعين) ماء ظاهر جار (هو) وهو دمشق

وجه الارض أوانه مفعول أى مدرك بالعين بظهوره من عانه اذا أدركه بعينه أوفعيل لانه نفاع بظهوره وجريه الماعون وهو المنفعة (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم أرسلوا متفرقين فى ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان امرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه او هو خطاب

لفضله وقيامه مقام الكل

واصله الابعاد فى الشئ أو من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع أو مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف مأواها ذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان ﴿ ياايها الرسل كلوا من الطيبات ﴾ نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا او يكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات أو حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول مارزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات مايستلذ به من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال مالا يعصى الله فيه والصافى مالا ينسى الله فيه والقوام مايمسك النفس ويحفظ العقل ﴿ واعملوا صالحا ﴾ فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم ﴿ انى بما تعملون عليم ﴾ فاجازيكم عليه ﴿ وان هذه ﴾ اى ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ماتعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف ﴿ امتكم امة احدة ﴾ ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب امة على الحال ﴿ وانا ربكم فاتقون ﴾ فى شق العصا ومخالفة الكلمة

هو الماء الجارى الذى تراه العيون * قوله تعالى ﴿ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات ﴾ قيل أراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال ﴿ واعملوا صالحا ﴾ أى استقيموا على مايوجبه الشرع ﴿ انى بما تعملون عليم ﴾ فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به واذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلان يكون تحذيرا لغيرهم أولى لما روى عن أبى هريرة ان رسول صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ياأيها الرسل كلوا من الطيبات وقال ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك أخرجه مسلم * قوله عز وجل ﴿ وان هذه أمتكم ﴾ أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها ﴿ أمة واحدة ﴾ أى ملة واحدة وهى الاسلام ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ أى فاحذرون وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فامركم واحد وأنا ربكم

فى زمانه وكان يأكل من الغنائم اولعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل امه وهو اطيب الطيبات والمراد بالطيبات ماحل والامر للتكليف اومايستطاب ويستلذ والامر للترفيه والاباحة (واعملوا صالحا) موافقا للشريعة (انى بما تعملون عليم) فاجازيكم على اعمالكم (وان هذه) كوفى على الاستئناف وان حجازى وبصرى بمعنى ولان اى فاتقون لان هذه او معطوف على ماقبله اى بما تعملون عليم وبان هذه اوتقديره واعلموا ان هذه (امتكم) أى ملتكم وشريعتكم التى انتم عليها (امة واحدة) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام وانتصاب امة على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وانا ربكم) وحدى (فاتقون) فخافوا عقابى فى مخالفتكم امرى

(ياأيها الرسل) يعنى محمدا (كلوا من الطيبات) كلوا من الحلال (واعملوا صالحا) اعمل صالحا فيما بينك وبين ربك (انى بما تعملون) بما تعمل يامحمد ويعملون من الخير (عليم) بثوابه (وان هذه أمتكم أمة واحدة) ملتكم ملة واحدة ودينكم دينا واحدا مختارا (وانا ربكم) رب واحد أكرمتكم بذلك (فاتقون) فأطيعون

(فتقطعوا امرهم بينهم) تقطع بمعنى قطع أى قطعوا امر دينهم (زبرا) جمع زبور اى كتبا مختلفة يعنى جعلوا [illegible]
اديانا وقيل [illegible] فرقة تنتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ زبرا [illegible]
زبرة اى [illegible] (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم (بما لديهم) من الكتاب او الدين [illegible]
الهوى [illegible] (فرحون)

مسرورون معتقدون انهم على الحق (فذرهم [illegible]
غمرتهم) [illegible] وغفلتهم
(حتى حين) [illegible]
تقتلوا أو يموتوا (أيحسبون [illegible]
نمدهم به من مال وبنين) ما بمعنى
الذى وخبر ان (نسارع لهم
فى الخيرات) [illegible] من
خبر ان الى اسمها محذوف
أى نسارع لهم به والمعنى
ان هذا الامداد ليس الا
استدراجا لهم الى المعاصى
وهم يحسبونه مسارعة لهم
فى الخيرات ومعاجلة
بالثواب جزاء على حسن
صنيعهم وهذه الآية حجة
على المعتزلة فى مسألة الاصلح
لانهم يقولون ان الله لا يفعل
بأحد من الخلق الا ما هو
أصلح له فى الدين وقد أخبر ان
ذلك ليس بخير لهم فى الدين
ولا اصلح (بل لا يشعرون)
بل استدراك لقوله أيحسبون
أى انهم اشباه البهائم
لا شعور لهم حتى يتأملوا فى
ذلك انه استدراج أو مسارعة
فى الخير ثم بين ذكر أوليائه
فقال (ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون)

﴿ فتقطعوا امرهم بينهم ﴾ فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة أو فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض أو التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لهم ﴿ زبرا ﴾ قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم أو من الواو أو مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حال من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل ﴿ كل حزب ﴾ من المتحزبين ﴿ بما لديهم ﴾ من الدين ﴿ فرحون ﴾ معجبون معتقدون انهم على الحق ﴿ فذرهم فى غمرتهم ﴾ فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها أو لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم ﴿ حتى حين ﴾ الى ان يقتلوا أو يموتوا ﴿ أيحسبون انما نمدهم به ﴾ ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم ﴿ من مال وبنين ﴾ بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره ﴿ نسارع لهم فى الخيرات ﴾ والراجع محذوف والمعنى أيحسبون ان الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم ﴿ بل لا يشعرون ﴾ بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم ﴾ من خوف عذابه ﴿ مشفقون ﴾ حذرون

[illegible]ون ﴿ فتقطعوا ﴾ أى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة ﴿ أمرهم ﴾ أى دينهم ﴿ بينهم زبرا ﴾ أى فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا أى كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أى مسرورون معجبون بما عندهم من الدين ﴿ فذرهم ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فى غمرتهم ﴾ قال ابن عباس فى كفرهم وضلالتهم وقيل فى عمايتهم وغفلتهم ﴿ حتى حين ﴾ أى الى أن يموتوا ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ﴾ أى ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين فى الدنيا ﴿ نسارع لهم فى الخيرات ﴾ أى نعجل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا عنهم ﴿ بل لا يشعرون ﴾ أى ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال تعالى ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ أى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله

(فتقطعوا أمرهم بينهم) فتفرقوا فيما بينهم فى دينهم (زبرا) فرقا فرق اليهود والنصارى والمشركين والمجوس (كل حزب) (خائفون) كل اهل دين وفرقة (بما لديهم فرحون) معجبون (فذرهم) اتركهم يا محمد (فى غمرتهم) فى جهالتهم (حتى حين) الى حين العذاب [illegible] بدر (أيحسبون) أيظن أهل الفرق (أنما نمدهم به) أنما نعطيهم فى الدنيا (من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات) مسارعة لهم فى الخيرات فى الدنيا وثواب فى الآخرة (بل لا يشعرون) أنا مكرمون لهم فى الدنيا ومهينون لهم فى الآخرة ثم بين لمن المسارعة فى الخيرات فى الدنيا فقال (ان الذين هم من خشية ربهم) من عذاب ربهم (مشفقون)

خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى بكتب الله كلها لايفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب (والذين هم بربهم لايشركون) كمشركى العرب (والذين يؤتون ماآتوا) أى يعطون ماأعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يأتون ماأتوا بالقصر أى يفعلون مافعلوا (وقلوبهم وجلة) خائفة ان لاتقبل منهم لتقصيرهم (انهم الى ربهم راجعون) الجمهور على ان التقدير لانهم وخبران الذى (اولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات فيبادرونها (وهم لها سابقون) أى لاجل الخيرات سابقون الى الجنات أولاجلها سبقوا الناس (ولانكلف نفسا الا وسعها) أى طاقتها يعنى ان الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف مالا يطلق (ولدينا كتاب) أى اللوح أوصحيفة الاعمال (ينطق بالحق وهم لايظلمون)

﴿ والذين هم بآيات ربهم ﴾ المنصوبة والمنزلة ﴿ يؤمنون ﴾ بتصديق مدلولها ﴿ والذين هم بربهم لايشركون ﴾ شركا جليا ولاخفيا ﴿ والذين يؤتون ما آتوا ﴾ يعطون مااعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ماأتوا أى يفعلون مافعلوه من الطاعات ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ أى خائفة ان لايقبل منهم وان لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به ﴿ انهم الى ربهم راجعون ﴾ لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم مايخفى عليهم ﴿ اولئك يسارعون فى الخيرات ﴾ يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفى عن اضدادهم ﴿ وهم لها سابقون ﴾ لاجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس الى الطاعة أو الثواب أو الجنة أو سابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله تعالى هم لها عاملون ﴿ ولانكلف نفسا الا وسعها ﴾ قدر طاقتها يريد به التحريض على ماوصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ﴿ ولدينا كتاب ﴾ يريد اللوح أو صحيفة الاعمال ﴿ ينطق بالحق ﴾ بالصدق لايوجد فيه مايخالف الواقع ﴿ وهم لايظلمون ﴾

خائفون من عقابه قال الحسن البصرى المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وأمنا ﴿ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ﴾ أى يصدقون ﴿ والذين هم بربهم لايشركون والذين يؤتون ما آتوا ﴾ أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ماعملوا من أعمال البر ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ أى خائفة ان ذلك لاينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لاتقبل منهم ﴿ أنهم الى ربهم راجعون ﴾ أى انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم * عن عائشة قالت قلت يارسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لايابنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون فى الخيرات أخرجه الترمذى * وقوله ﴿ أولئك يسارعون فى الخيرات ﴾ أى يبادرون الاعمال الصالحة ﴿ وهم لها سابقون ﴾ أى اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات * قوله عز وجل ﴿ ولا نكلف نفسا الا وسعها ﴾ أى طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض ﴿ ولدينا كتاب ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿ ينطق بالحق ﴾ أى يبين الصدق والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل فى اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التى تكتبها الحفظة ﴿ وهم لايظلمون ﴾ أى لاينقص من حسناتهم

خائفون انهم منا مسارعة فى الخيرات (والذين هم بآيات ربهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرأن (يؤمنون) يصدقون انهم منا مسارعة فى الخيرات (والذين هم بربهم لايشركون) الاوثان لهم منا مسارعة فى الخيرات (والذين يؤتون ماآتوا) يعطون ماأعطوا من الصدقة وينفقون ماأنفقوا من المال فى سبيل الله ويقال يعملون ماعملوا من الخيرات (وقلوبهم وجلة) خائفة (انهم الى ربهم راجعون) فى الآخرة فلا يقبل منهم (أولئك) أهل هذه الصفة (يسارعون فى الخيرات) يبادرون فى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) وهم سابقون بالخيرات (ولانكلف نفسا) من العمل (الا وسعها) طاقتها (ولدينا) عندنا (كتاب ينطق) وهو ديوان الحفظة مكتوب فيه حسناتهم وسيآتهم ينطق (بالحق) يشهد عليهم بالصدق والعدل (وهم لايظلمون) لاينقص من حسناتهم

لايقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب
أو بتكليف ما لا وسع له به (بل قلوبهم فى غمرة من هذا) بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين
(ولهم أعمال من دون ذلك) أى ولهم اعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أى لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون)
وعليها مقيمون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى اذا أخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) عذاب الدنيا
وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبى عليه الصلاة والسلام أو قتلهم يوم بدر و(اذا)
هى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية (اذاهم يجأرون) يصرخون استغاثة والجؤار الصراخ باستغاثة فيقال لهم (لاتجأروا اليوم) فان الجؤار غير نافع لكم (انكم منا لا تنصرون) أى من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة (قد كانت آياتى تتلى عليكم) أى القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقرى والنكوص ان يرجع القهقرى وهو أقبح مشية لانه لا يرى ماوراءه (مستكبرين) متكبرين على المسلمين حال من تنكصون (به) بالبيت

بزيادة عقاب أو نقصان ثواب ﴿بل قلوبهم﴾ قلوب الكفرة ﴿فى غمرة﴾ فى غفلة غامرة لها ﴿من هذا﴾ من الذى وصف به هؤلاء أو من كتاب الحفظة ﴿ولهم اعمال﴾ خبيثة ﴿من دون ذلك﴾ متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك ﴿هم لها عاملون﴾ معتادون فعلها ﴿حتى اذا أخذنا مترفيهم﴾ متنعميهم ﴿بالعذاب﴾ يعنى القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة ﴿اذاهم يجأرون﴾ فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب ﴿لاتجأروا اليوم﴾ فانه مقدر بالقول أى قيل لهم لاتجأروا اليوم ﴿انكم منا لا تنصرون﴾ تعليل للنهى أى لاتجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصرة ومعونة من جهتنا ﴿قد كانت آياتى تتلى عليكم﴾ يعنى القرآن ﴿فكنتم على اعقابكم تنكصون﴾ تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى ﴿مستكبرين به﴾ الضمير

ولا يزاد على سيآتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى ﴿بل قلوبهم فى غمرة﴾ أى غفلة وجهالة ﴿من هذا﴾ أى القرآن ﴿ولهم أعمال﴾ أى للكفار أعمال خبيثة من المعاصى والخطايا محكومة عليهم ﴿من دون ذلك﴾ يعنى من دون أعمال المؤمنين التى ذكرها الله فى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴿هم﴾ يعنى الكفار ﴿لها﴾ أى لتلك الاعمال الخبيثة ﴿عاملون﴾ أى لابد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة ﴿حتى اذا أخذنا مترفيهم﴾ أى رؤساءهم وأغنياءهم ﴿بالعذاب﴾ قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف ﴿اذاهم يجأرون﴾ أى يصيحون ويستغيثون ويجزعون ﴿لاتجأروا اليوم﴾ أى لاتجزعوا ولا تضجوا اليوم ﴿انكم منا لا تنصرون﴾ أى لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم ﴿قد كانت آياتى تتلى عليكم﴾ يعنى القرآن ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أى ترجعون القهقرى وتتأخرون عن الايمان ﴿مستكبرين به﴾

ولا يزاد على سيآتهم (بل قلوبهم) قلوب أهل مكة يعنى أبا جهل واصحابه (فى غمرة) فى جهلة وغفلة (من هذا) الكتاب ويقال من هذا القرآن (ولهم أعمال) مقدور مكتوب عليهم (من دون ذلك) من
دون ما تأمرهم سوى الخير (هم لها عاملون) فى الدنيا حتى أجلهم يا محمد (حتى اذا أخذنا مترفيهم) جبابرتهم (قال)
ورؤساءهم يعنى أبا جهل بن هشام والوليد بن المغيرة المخزومى وعاص بن وائل السهمى وعتبة وشيبة وأصحابهم (بالعذاب)
بالجوع سبع سنين (اذاهم يجأرون) يتضرعون قل لهم يا محمد (لاتجأروا) لا تتضرعوا (اليوم) من عذابنا (انكم منا)
عذابنا (لا تنصرون) لا تمنعون (قد كانت آياتى) القرآن (تتلى) تقرأ وتعرض (عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) الى د
الاول تميلون وترجعون (مستكبرين به) متعظمين بالبيت تقولون

أ بالحرم لانهم يقولون لايظهر علينا أحد لانا أهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بآياتي لا في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أو يتعلق الباء بقوله (سامرا) تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول

للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره أو لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين أو لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله ﴿ سامرا ﴾ أي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر وسمارا ﴿ تهجرون ﴾ من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة أو الهذيان أي تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ أي القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ﴿ أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ﴾ من الرسول والكتاب أو من الامن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله وطاعوه ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم ﴾ بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ فهم له منكرون ﴾ دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا أو ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ارجحهم عقلا واثقبهم نظرا ﴿ بل جاءهم بالحق

قال ابن عباس أي بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاول أظهر ﴿ سامرا ﴾ يعني انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله ﴿ تهجرون ﴾ من الاهجار وهو الافحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي تهذون وتقولون مالا تعلمون ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ يعني أفلم يتدبروا ماجاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ﴾ يعني فانكروا يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ﴾ قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والامانة ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ أي جنون وليس هو كذلك ﴿ بل جاءهم بالحق ﴾ أي بالصدق والقول الذي لاتخفى صحته وحسنه على عاقل

البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسحرا والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمارا أو بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهزيان تهجرون نافع من أهجر في منطقه اذا أفحش (أفلم يدبروا القول) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) بل أجاءهم مالم يأت آباءهم الاولين فلذلك أنكروه واستبدعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق أي عرفوه بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه أوجههم عقلا وأثقبهم ذهنا (بل جاءهم بالحق) الابلج

نحن أهله (سامرا) تقولون السمر حوله (تهجرون) تسبون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقرآن (أفلم يدبروا القول) أفلم يتفكروا في القرآن ومافيه من الوعيد (أم جاءهم) من الامن والبراءة يعني أهل مكة (مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم) نسب رسولهم (فهم له منكرون) جاحدون (أم يقولون) بل يقولون (به جنة) جنون (بل جاءهم بالحق) جاءهم محمد صلى الله

والصراط مستقيم وبه خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجدوا له مردا ولا عدفعا فلذلك نسـ
الى جنون (وأكثرهم للحق كارهون) وفيه دليل على ان أقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للايمان به أنفة واستنـ
من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه كابى طالب (ولو اتبع الحق) أى الله (أهواءهم) فيما يعتقدون من الآ
(لفسدت السموات والارض) كما قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (ومن فيهن) خص العقلاء بالذكر لان غير
تبع (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو شرفهم ا
الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين الآية (فهم عن ذكرهم معرضون) بسوء اختيارهم (أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير) حجازى و بصرى وعاصم خرجا فخرج على وحمزة شامى خراجا فخراج وهو ماتخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى يعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من الخالق خير (وهو خير الرازقين) أفضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام تحقيق

واكثرهم للحق كارهون ﴾ لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا لكراهته للحق ﴿ ولو اتبع الحق اهواءهم ﴾ بان كان فى الواقع آلهة شتى ﴿ لفسدت السموات والارض ومن فيهن ﴾ كما سبق تقريره فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة ﴿ بل اتيناهم بذكرهم ﴾ بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم او صيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم ﴿ فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ لا يلتفتون اليه ﴿ أم تسألهم ﴾ قيل انه قسيم قوله أم به جنة ﴿ خرجا ﴾ اجرا على اداء الرسالة ﴿ فخراج ربك ﴾ رزقه فى الدنيا او ثوابه فى العقبى ﴿ خير ﴾ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة ﴿ وهو خير الرازقين ﴾ تقرير لخيرية خراجه ﴿ وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ﴾ تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه

﴿ وأكثرهم للحق كارهون ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم ﴾ قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أى لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون ﴿ لفسدت السموات والارض ومن فيهن ﴾ أى لفسد العالم ﴿ بل أتيناهم بذكرهم ﴾ قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن ﴿ فهم عن ذكرهم ﴾ أى شرفهم ﴿ معرضون أم تسألهم ﴾ أى على ما جئتهم به ﴿ خرجا ﴾ أى أجرا وجعلا ﴿ فخراج ربك خير ﴾ أى ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير ﴿ وهو خير الرازقين ﴾ تقدم تفسيره ﴿ وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ﴾ أى الى دين الاسلام

عليه وسلم بالقرآن والتوحيد
والرسالة (وأكثرهم للحق) للقرآن (كارهون) جاحدون (ولو اتبع الحق أهواءهم) لو كان الاله يهواهم فى السماء (و
اله وفى الارض اله (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) من الخلق (بل أتيناهم بذكرهم) أنزلنا جبريل الى نبيهم بالقرآن ف
عزهم وشرفهم (فهم عن ذكرهم) عن شرفهم وعزهم (معرضون) مكذبون (أم تسألهم) يا محمد أهل مكة (خرجا) جعلا فلذا
لا يجيبونك (فخراج ربك) فثواب ربك فى الجنة (خير) أفضل مما لهم فى الدنيا (وهو خير الرازقين) أفضل المعطين فى الد
والآخرة (وانك) يا محمد (لتدعوهم الى صراط مستقيم) دين قائم

أ يستجيبوا لك (وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر) لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذى أصابهم برحمتنا ايهم ووجدوا الخصب (للجوا) أى لتمادوا (فى طغيانهم يعمهون) يترددون يعنى لعادوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) استشهد على ذلك بانا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أى خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم أى وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا ووزن استكان استفعل من الكون أى انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال (حتى اذا فتحنا) فتحنا يزيد (عليهم بابا ذا عذاب شديد) أى باب الجوع الذى هو أشد من الاسر والقتل (اذاهم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد (قا و خا ٤٥ بع) ليستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤى فيهم

يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة فى هذه الآيات بان حصر اقسام مايؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ماعدا كراهة الحق وقلة الفطنة ﴿وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾ عن الصراط السوى ﴿لناكبون﴾ لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ يعنى القحط ﴿للجوا﴾ لثبتوا واللجاج التمادى فى الشئ ﴿فى طغيانهم﴾ افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين ﴿يعمهون﴾ عن الهدى روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ﴿ولقد اخذناهم بالعذاب﴾ يعنى القتل يوم بدر ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون اوافتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ماقبله ﴿حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ يعنى الجوع فانه اشد من الاسر والقتل ﴿اذاهم فيه مبلسون﴾ متحيرون آيسون من كل خير حتى

﴿وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾ أى عن دين الحق ﴿لناكبون﴾ أى لعادلون عنه ومائلون ﴿ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر﴾ أى قحط وجدوبة ﴿للجوا﴾ أى لتمادوا ﴿فى طغيانهم يعمهون﴾ اى لم ينزعوا عنه ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل الله عليهم سنين كسنى يوسف فاصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال أنهم قد أكلوا القد والعظام وشكا اليه الضر فادع الله ان يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية ﴿فما استكانوا لربهم﴾ أى ماخضعوا وماذلوا لربهم ﴿وما يتضرعون﴾ أى لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم ﴿حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة ﴿اذا هم فيه مبلسون﴾ أى آيسون من كل خير

رضاه وهو الاسلام (وان الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (عن الصراط) عن دين الله (لناكبون) مائلون (ولو رحمناهم) يعنى أهل مكة (وكشفنا) رفعنا (مابهم من ضر) من جوع (للجوا)لتمادوا (فى طغيانهم) فى كفرهم وضلالتهم (يعمهون) يمضون عمهة لايبصرون الحق والهدى (ولقد أخذناهم بالعذاب) بالجوع والقحط (فما استكانوا لربهم) فما خضعوا لربهم بالتوحيد (وما يتضرعون)لايؤمنون (حتى) أجلهم يامحمد (اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى الجوع (اذاهم فيه مبلسون) آيسون من كل خير

لين معاده وهم كذلك حتى اذا فتحوا ابوابا جهنم حينئذ ييئسون لقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (وهوالذي أنشأ لكم

السمع والابصار والافئدة) خصصها بالذكر لانها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية مالايتعلق بغيرها (قليلا ماتشكرون) أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم وولي ضعتها وهاغيرمواضعها فإنكم لم تستعملوا أبصاركم وأسماعكم في آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيئا (وهوالذي ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (في الارض واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهوالذي يحيي ويميت) أي يحيي النسم بالانشاء ويميت بالافناء (وله اختلاف الليل

والنهار) أي يجيء أحدهما عقيب الآخر واختلافه في الظلمة والنور أو في الزيادة والنقصان وهو مختص به ولايقدر على تصريفهما غيره (أفلاتعقلون) فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بل قالوا) أي أهل مكة (مثل ماقال الاولون) أي الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) متنا نافع وحمزة وعلي وحفص (لقدوعدنا نحن وآباؤنا هذا) أي البعث (من قبل) مجيء محمد (ان هذا الا اساطير الاولين) جمع

جاءك اعناهم يستعطفك ﴿وهوالذي أنشألكم السمع والابصار﴾ لتحسوابها مانصب من الآيات ﴿والافئدة﴾ لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية ﴿قليلا ماتشكرون﴾ تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وماصلة للتأكيد ﴿وهوالذي ذرأكم في الارض﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل ﴿واليه تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ﴿وهوالذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ ويختص به تعاقبهما لايقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة أومجازا أولامره وقضائه تعاقبهما أو انتقاص احدهما وازدياد الآخر ﴿أفلاتعقلون﴾ بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين ﴿بل قالوا﴾ أي كفار مكة ﴿مثل ماقال الاولون﴾ آباؤهم ومن دان بدينهم ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا ﴿لقدوعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين﴾ الاكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل

* قوله عزوجل ﴿وهوالذي أنشألكم السمع والابصار والافئدة﴾ أي لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا ﴿قليلا ماتشكرون﴾ أي لم تشكروا هذه النعم ﴿وهوالذي ذرأكم في الارض﴾ أي خلقكم ﴿واليه تحشرون﴾ أي تبعثون ﴿وهوالذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ أي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض ﴿أفلا تعقلون﴾ أي ماترون من صنعه فتعتبروا ﴿بل قالوا مثل ماقال الاولون﴾ أي كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه أنكروا البعث مثل ماأنكر الاولون مع وضوح الادلة ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ أي لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب ﴿لقدوعدنا نحن﴾ أي هذا الوعد ﴿وآباؤنا هذا من قبل﴾ أي وعد آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نر له حقيقة ﴿ان هذا الا أساطير الاولين﴾ أي أكاذيب الاولين * قوله تعالى

(وهوالذي أنشألكم) خلق لكم يا أهل مكة (السمع) تسمعون به (والابصار) تبصرون بها (والافئدة) يعني القلوب تعقلون بها (قليلا ماتشكرون) فشكركم فيما صنع اليكم قليل يا أهل مكة (وهوالذي ذرأكم) خلقكم (في الارض واليه تحشرون) بعد الموت فيجزيكم باعمالكم (وهوالذي يحيي) للبعث (ويميت) في الدنيا (وله) (قل) (اختلاف الليل والنهار) تقليب الليل والنهار وذهابهما ومجيئهما وزيادتهما ونقصانهما وظلمة الليل وضوء النهار كل هذا آية لكم بان الله يحيي الموتى (أفلاتعقلون) أفلاتصدقون بالبعث بعد الموت (بل قالوا) كذبوا بالبعث بعد الموت يعني كفار مكة (مثل ماقال الاولون) مثل ما كذب الاولون بالبعث بعد الموت (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا) صرنا ترابا رميما (وعظاما) باليه (أئنا لمبعوثون) لمحيون بعد الموت (لقدوعدنا نحن وآباؤنا هذا) الذي تعدنا يا محمد (من قبل) من قبل ما وعدتنا (ان هذا) ماهذا الذي تقول يا محمد (الا أساطير الاولين) أحاديث الاولين

طار جمع سطر وهى ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع أسطور أوفق ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام باقامة الحجة
على المشركين بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوا (قل
أفلا تذكرون) فتعلموا أن من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية
تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل
أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به أو أفلا تتقون فى جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء
(قل من بيده ملكوت كل شئ) الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة
فتنبئ عن عظم الملك (وهو يجير
ولا يجار عليه ان كنتم
تعلمون) أجرت فلانا على
فلان اذا أغثته منه ومنعته
يعنى وهو يغيث من يشاء
ممن يشاء ولا يغيث أحد منه
احدا (سيقولون لله قل فأنى
تسحرون) تخدعون عن الحق
أو عن توحيده وطاعته
والخادع هو الشيطان والهوى
الاول لله بالاجماع اذا

فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر ﴿ قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من اهل العلم أو من العالمين بذلك فيكون استهانة لهم
وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له
مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال ﴿ سيقولون لله ﴾
لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها ﴿ قل ﴾ أى بعد
ماقالوا ﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على ايجادها
ثانيا فان بدأ الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل ﴿ قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾ فانها اعظم من ذلك ﴿ سيقولون لله ﴾ وقرأ
ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال ﴿ قل أفلا تتقون ﴾
عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته ﴿ قل من
بيده ملكوت كل شئ ﴾ ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه ﴿ وهو يجير ﴾ يغيث
من يشاء ويحرسه ﴿ ولا يجار عليه ﴾ ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى
لتضمين معنى النصرة ﴿ ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ فمن اين

﴿ قل ﴾ أى يا محمد لاهل مكة ﴿ لمن الارض ومن فيها ﴾ من الخلق ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أى
خالقها ومالكها ﴿ سيقولون لله ﴾ أى لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله ﴿ قل ﴾
أى قل لهم يا محمد اذا أقروا بذلك ﴿ أفلا تذكرون ﴾ أى فتعلموا ان من قدر على خلق
الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت ﴿ قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ﴾ أى عبادة غيره وقيل معناه أفلا
تحذرون عقابه ﴿ قل من بيده ملكوت كل شئ ﴾ أى ملك كل شئ ﴿ وهو يجير ﴾ أى
يؤمن من يشاء ﴿ ولا يجار عليه ﴾ أى لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء
من السوء ولا يمتنع منه من أراده بسوء ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أى فاجيبوا ﴿ سيقولون لله
قل فأنى تسحرون ﴾ أى فأنى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم

فى دهرهم وكذبهم (قل)
لكفار مكة يا محمد (لمن الارض
ومن فيها) من الخلق أجيبوا
(ان كنتم تعلمون سيقولون
لله قل) لهم يا محمد (أفلا
تذكرون) أفلا تتعظون
فتطيعون الله (قل) لهم أيضا
يا محمد (من رب) خالق
(السموات السبع ورب
العرش العظيم) السرير
الكريم (سيقولون لله) الله
ـنها (قل) لهم يا محمد (أفلا تتقون) عبادة غير الله (قل) لهم أيضا يا محمد (من بيده ملكوت كل شئ) خزائن كل شئ (وهو
يجير) يقضى (ولا يجار عليه) لا يقضى عليه ويقال هو يجير الخلق من عذابه ولا يجار عليه لا يجير احد أحدا من عذابه أجيبوا
(ان كنتم تعلمون سيقولون لله) بيد الله بقدرة الله ذلك كله (قل) لهم يا محمد (فانى تسحرون) من أين تكذبون على الله ويقال انظر
يا محمد كيف يصرفون بالكذب ان قرأت بضم التاء

السؤال لمن وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فيجاب لفلان كقول الش

اذ قيل من رب المزالف والقرى ٭ ورب الجياد الجرد قيل لخالد

أي لمن المزالف ٭ ومن قرأ الله فعلى الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا فجوابه فلان (بل أتيناهم بالحق) بان نسبة الولد اليه ؛ والشريك باطل (وانهم لكاذبون) في قولهم اتخذ الله ولدا وادعائهم الشريك ثم أكد كذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لانه منزه عن ال والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك في الالوهية (اذا لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل وا من الآلهة بالذي خلقه فستبد به وتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر (ولعلى بع على بعض) ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز للممالك والتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ ولا يقال اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم) بالجر صفة لله وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبتدأ محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالى عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب اما تريني ما يوعدون)

تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة ﴿ بل آتيناهم بالحق ﴾ من التوحيد والوعد بالنشور ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ حيث انكروا ذلك ﴿ ما اتخذ الله من ولد ﴾ لتقدسه عن مماثلة احد ﴿ وما كان معه من اله ﴾ يساهمه في الالوهية ﴿ اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض ﴾ جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب وظهر التغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه ﴿ فتعالى عما يشركون ﴾ بالفاء ﴿ قل رب اما تريني ﴾ ان كان لابد من ان تريني لان ما والنون للتأكيد ﴿ ما يوعدون ﴾ من العذاب في الدنيا والآخرة

الحق باطلا ﴿ بل أتيناهم بالحق ﴾ أي بالصدق ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ أي فيما يدعون من الشريك والولد ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ﴾ أي من شريك ﴿ اذا لذهب كل اله بما خلق ﴾ أي لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو ﴿ ولعلى بعضهم على بعض ﴾ أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ ويقدر على كل شئ ثم نزه نفسه تعالى فقال ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ أي من اثبات الولد والشريك ﴿ عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ أي تعظم من أن يوصف بما لا يليق به ٭ قوله عز وجل ﴿ قل رب ﴾ أي يا رب ﴿ اما تريني ما يوعدون ﴾ أي ما وعدتهم من العذاب

(بل آتيناهم بالحق) أرسلنا جبريل الى نبيهم بالقرآن فيه أن ليس لله ولد ولا شريك (وانهم لكاذبون) في قولهم (رب ؛ ان الملائكة بنات الله (ما اتخذ الله من ولد) من بني آدم ولا بنات من الملائكة (وما كان معه من اله) من شريك (اذا) وكان كما يقول (لذهب كل اله بما خلق) الى نفسه فاستولى كل اله على ما خلق (ولعلى بعضهم على بعض) لغلب بعضهم على بعض (سبحان الله) نزه نفسه ويقال ارتفع وتبرأ (عما يصفون) يقولون من الكذب (عالم الغيب) ما غاب عن العباد ويقال ما يكون (والشهادة) ما ؛ العباد ويقال ما كان (فتعالى) فتبرأ (عما يشركون) به من الاوثان (قل) يا محمد (رب) يا رب (اما تريني ما يوعدون) من

والنون مؤكدان أى ان كان لابد من ان ترينى ماتعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة (رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين)
فلا تجعلنى قرينا لهم ولا تعذبنى بعذابهم عن الحسن رضى الله عنه أخبره الله ان له فى أمته نقمة ولم يخبره متى وقتها فامره أن
يدعو هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبى المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ماعلم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية
وتواضعا لربه واستغفاره عليه الصلاة والسلام اذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء فى فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما
للتأكيد (وانا على أن نريك مانعدهم لقادرون) كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر
على انجاز ماوعد ان تأملتم فاوجه هذا الانكار (ادفع بالتى) بالخصلة التى (هى
أحسن السيئة) هو أبلغ
من أن يقال بالحسنة السيئة
لما فيه من التفضيل كانه قال
ادفع بالحسنى السيئة والمعنى
اصفح عن اساءتهم ومقابلتها
بما أمكن من الاحسان وعن
ابن عباس رضى الله عنهما
هى شهادة أن لا اله الا الله
والسيئة الشرك أو الفحش
بالسلام او المنكر بالموعظة
وقيل وهى منسوخة بآية
السيف وقيل محكمة اذ
المداراة محثوث عليها مالم
تؤد إلى ثلم دين (نحن أعلم
بما يصفون) من الشرك
أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم
فنجازيهم عليه (وقل رب أعوذ
بك من همزات الشياطين)
من وساوسهم ونخساتهم
والهمزة النخس والهمزات
جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض
والمعنى ان الشياطين يحثون
الناس على المعاصى كما
تهمز الراضة الدواب حثا لها
على المشى (وأعوذ بك رب
أن يحضرون) أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه بالتعوذ من أن يحضروه أصلا أو عند تلاوة القرآن أو عند

﴿ رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين ﴾ قرينا لهم فى العذاب وهو اما لهضم النفس أو لان شؤم
الظلمة قد يحيق بما وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه
تعالى اخبر نبيه ان له فى امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل
واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار ﴿ وانا على ان نريك مانعدهم لقادرون ﴾
لكنا نؤخره علما بان بعضهم أو بعض اعقابهم يؤمنون أو لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد
لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ﴿ ادفع
بالتى هى احسن السيئة ﴾ وهو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى
وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف
والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل ﴿ نحن
اعلم بما يصفون ﴾ أى بما يصفونك به أو بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم
فكل الينا امرهم ﴿ وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ﴾ وساوسهم واصل الهمز
النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصى بهمز الراضة الدواب على المشى
والجمع للمرات او لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف اليه ﴿ واعوذ بك رب ان يحضرون ﴾
ويحوموا حولى فى شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القران وحلول

﴿ رب ﴾ أى يارب ﴿ فلا تجعلنى فى القوم الظالمين ﴾ أى لا تهلكنى بهلاكهم ﴿ وانا على
أن نريك مانعدهم ﴾ أى من العذاب ﴿ لقادرون ادفع بالتى هى أحسن ﴾ أى بالخلة التى هى
أحسن وهى الصفح والاعراض والصبر ﴿ السيئة ﴾ يعنى أذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين
والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف ﴿ نحن أعلم بما يصفون ﴾ أى يكذبون
ويقولون من الشرك * قوله عز وجل ﴿ وقل رب أعوذ بك ﴾ أى امتنع واعتصم بك
﴿ من همزات الشياطين ﴾ قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم
وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصى ﴿ وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ أى فى شئ من
أمورى وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له * عن جبير بن مطعم

العذاب (رب) يارب (فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) مع القوم الكافرين يوم بدر (وانا على أن نريك) يا محمد (مانعدهم) من العذاب
يوم بدر (لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة) يقول ادفع بلا اله الا الله كلمة الشرك عن أبى جهل وأصحابه ويقال بالسلام كلمة القبيح
عن نفسك (نحن أعلم بما يصفون) من الكذب (وقل رب أعوذ بك) اعتصم بك (من همزات) نزغات (الشياطين) التى
تصرع بها الرجل (وأعوذ بك رب أن يحضرون) من ان يحضرونى بنى الشياطين فى الصلاة وعند القراءة

النزع (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعلق بيصفون أى لايزالون يشركون الى وقت مجئ الموت ولايزالون سوء الذكر الى هذا الوقت ومابينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه منهم (قال رب ارجعون) أى ردونى الى الدنيا خطاب لله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) فى الموضع الذى تركت وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ماتمنى أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولكن ليتدارك مافرط لعلى ساكنة الياء كوفى وسهل ويعقوب (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد (انها كلمة) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لامحالة لايخليها ولايسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه (ومن ورائهم) أى امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الى يوم يبعثون)

الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه ﴿ حتى اذا جاء احدهم الموت ﴾ متعلق بيصفون ومابينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون ﴿ قال ﴾ تحسرا على مافرط منه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر ﴿ رب ارجعون ﴾ ردونى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا واطرقا ﴿ لعلى اعمل صالحا فيما تركت ﴾ فى الايمان الذى تركته أى لعلى آتى بالايمان واعمل فيه وقيل فى المال اوفى الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون ﴿ كلا ﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها ﴿ انها كلمة ﴾ يعنى قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض ﴿ هو قائلها ﴾ لامحالة لتسلط الحسرة عليه ﴿ ومن ورائهم ﴾ امامهم والضمير للجماعة ﴿ برزخ ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ يوم

أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمرو لاأدرى أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ فى متن الحديث ونزيده ايضاحا قوله نفثه الشعر أى لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق وقوله ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة الموتة الجنون لان المجنون ينخسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى ﴿ حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ﴾ قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله أولا ثم رجع الى مسئلة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون ﴿ لعلى أعمل صالحا فيما تركت ﴾ أى ضيعت وقيل تركت أى منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لا اله الا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ماتمنى ان يرجع الى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب ﴿ كلا ﴾ كلمة ردع وزجر أى لايرجع اليها ﴿ انها ﴾ يعنى مسألته الرجعة ﴿ كلمة هو قائلها ﴾ أى لاينالها ﴿ ومن ورائهم برزخ ﴾ أى من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز ﴿ الى يوم يبعثون ﴾

وعند الموت (حتى اذا جاء أحدهم) يعنى كفار مكة (الموت) يعنى ملك الموت وأعوانه لقبض روحهم (قال رب ارجعون) الى الدنيا (لعلى أعمل صالحا) واومن بك(فيما تركت)فى الذى تركت فى الدنيا وكذبت به (كلا) حقا لايرد الى الدنيا (انها) يعنى الرجعة (كلمة هو قائلها) يتكلم بها صاحبها ولا ﴿ معناه ﴾ تنفعه (ومن ورائهم) قدامهم (برزخ) يعنى القبر (الى يوم يبعثون) من القبور

يردهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم ان لارجوع بعد البعث الا الى الآخرة (فاذا نفخ فى الصور) قيل انها نفخة الثانية (فلا انساب بينهم يومئذ) وبالادغام أبو عمرو لاجتماع المثلين وان كانا من كلمتين يعنى يقع التقاطع بينهم ث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولايكون

التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء

القيامة وهو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لارجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون فى الآخرة ﴿ فاذا نفخ فى الصور ﴾ لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو به وبكسر الصاد يؤيدان الصور ايضا جمع الصورة ﴿ فلا انساب بينهم ﴾ تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه أو يفتخرون بها ﴿ يومئذ ﴾ كما يفعلون اليوم ﴿ ولا يتساءلون ﴾ ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لايناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ موزونات عقائده واعماله اى ومن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر ﴿ فاولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالنجاة والدرجات ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ اى ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴿ فاولئك الذين خسروا انفسهم ﴾ غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها ﴿ فى جهنم خالدون ﴾ بدل من الصلة أو خبر ثان لاولئك ﴿ تلفح وجوههم النار ﴾ تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا

من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا لان كلا مشغول عن سؤال صاحبه بحاله ولاتناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فللقيامة مواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون فيتساءلون (فمن ثقلت موازينه) جمع موزون وهى الموزونات من الاعمال الصالحة التى لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه) بالسيئات والمراد الكفار (فاولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها (فى جهنم خالدون) بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) أى تحرق (وجوههم النار

معناه ان بينهم وبين الرجعة حجابا ومانعا عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم انه لارجعة يوم البعث الا الى الآخرة ✵ قوله تعالى ﴿ فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم ﴾ قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض فلا أنساب بينهم ﴿ يومئذ ولا يتساءلون ﴾ ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفى رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أى لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون فى الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا من أنت ومن أى قبيلة أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع ● فان قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال فى موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ● قلت قال ابن عباس ان للقيامة أحوالا ومواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون افاقة فيتساءلون ✵ قوله عز وجل ﴿ فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا ﴾ أى غبنوا ﴿ أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح ﴾ أى تسفع وقيل تحرق ﴿ وجوههم النار

(فاذا نفخ فى الصور) نفخة الث (فلا انساب بينهم) فلا نفع بينهم بالنسب (يومئذ) يوم القيامة (ولا يتساءلون) عن ذلك (فمن ثقلت موازينه) ميزانه من الحسنات (فأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (ومن خفت موازينه) ميزانه من الحسنات (فأولئك الذين خسروا) غبنوا (أنفسهم فى جهنم خالدون) مقيمون دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها (تلفح وجوههم النار) تضرب

وهم فيها كالحون) عابسون فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أي القرآن (تتلى عليكم) في الدنيا (فكنتم بها تكذبون) تزعمون ليست من الله تعالى (قالوا ربنا غلبت علينا) ملكتنا (شقوتنا) شقاوتنا حمزة وعلي وكلاهما مصدر أي شقينا بأعمالنا السيئة التي عملناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لايصح

﴿ وهم فيها كالحون ﴾ من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم ﴾ على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن ﴿ فكنتم بها تكذبون ﴾ تأنيث وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة ﴿ وكنا قوما ضالين ﴾ عن الحق ﴿ ربنا اخرجنا منها ﴾ من النار ﴿ فان عدنا ﴾ الى التكذيب ﴿ فانا ظالمون ﴾ لانفسنا ﴿ قال اخسؤا فيها ﴾ اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ﴿ ولا تكلمون ﴾ في رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا الى اجل قريب فيجابون أولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسأوا فيها ثم

وهم فيها كالحون ﴾ أي عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوي على النار ❊ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ❊ قوله تعالى ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم ﴾ يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها ﴿ فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ أي التي كتبت علينا فلم نهتد ﴿ وكنا قوما ضالين ﴾ أي عن الهدى ﴿ ربنا اخرجنا منها ﴾ أي من النار ﴿ فان عدنا ﴾ أي لما تكره ﴿ فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ﴾ أي ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذ طرد اخسأ ﴿ ولا تكلمون ﴾ أي في رفع العذاب فاني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروي عن عبد الله بن عمرو ان أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي الدرداء وقوله فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم

لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا لانهم انما يقولون ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط في أمره فلا يحمل أن يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم (وكنا قوما ضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فان عدنا) الى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسؤا فيها) اسكتوا سكوت ذلة وهوان (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير أن يحضرون ارجعوني ولا تكلموني بالياء في الوصل والوقف

وجوههم وتحرق عظامهم وتأكل لحومهم النار (وهم فيها) في النار (كالحون) وكلحهم سود وجوههم وزرقة أعينهم (ألم تكن) يقول الله لهم ألم تكن (آياتي) القرآن (تتلى عليكم) في الدنيا (فكنتم بها) بالآيات (تكذبون) تجحدون (قالوا) لكفارهم في النار (ربنا) يا ربنا (غلبت علينا شقوتنا) التي (انه) كتبت علينا في اللوح المحفوظ فلم نؤمن (وكنا قوما ضالين) كافرين (ربنا) يا ربنا (أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى الكفر (فانا ظالمون) على أنفسنا (قال) الله لهم (اخسؤا فيها) اصغروا في النار (ولا تكلمون) لا تسألوني الخروج

بب وغيره بالياء (انه) ان الامر والشأن (كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) مفعول ثان وبالضم مدنى وحمزة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا أن فى ياء النسبه مبالغة قيل الصحابة رضى الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى انسوكم) اغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه أى كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (جزيتهم اليوم بما صبروا) بصبرهم (انهم) أى لانهم (هم الفائزون) ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا أى جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى الى اثنين وجزاهم بما صبروا جنة انهم حمزة وعلى على الاستئناف أى انهم هم الفائزون لا أنتم (قال) أى الله او المأمور بسؤالهم من الملائكة قل مكى وحمزة وعلى أمر للملك ان يسألهم (كم لبثتم فى الارض) فى الدنيا (عدد سنين) أى كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة لى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة (فسئل العادين) أى

من النار (انه كان فريق) طائفة (من عبادى) المؤمنين (يقولون ربنا) يا ربنا (آمنا) بك وبكتابك ورسولك

فاغفر لنا) ذنوبنا (وارحمنا) بالانعذبنا (قا و خا ٤٦ بع) (وأنت خير الراحمين) أنت أرحم علينا من الوالدين (فاتخذتموهم سخريا) استهزاء (حتى أنسوكم ذكرى) حتى شغلكم ذلك عن توحيدى وطاعتى (وكنتم منهم تضحكون) عليهم تستهزؤن (انى جزيتهم اليوم) الجنة (بما صبروا) على طاعتى وعلى أذاكم (انهم هم الفائزون) فازوا بالجنة ونجوا من النار نزلت هذه الآية فى أبى جهل أصحابه لاستهزائهم على سلمان واصحابه (قال) الله لهم (كم لبثتم) مكثتم (فى الارض) فى القبور (عدد سنين) الشهور والايام (قالوا لبثنا يوما) ثم شكوا فى ذلك فقالوا (أو بعض يوم) ثم قالوا لاندرى ذلك (فاسئل العادين) الحفظة

لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء ﴿ انه ﴾ ان الشأن وقرئ بالفتح اى لانه ﴿ كان فريق من عبادى ﴾ يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة ﴿ يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا ﴾ هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائى هنا وفى ص بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية ﴿ حتى انسوكم ذكرى ﴾ من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافونى فى اوليائى ﴿ وكنتم منهم تضحكون ﴾ استهزاء بهم ﴿ انى جزيتهم اليوم بما صبروا ﴾ على اذاكم ﴿ انهم هم الفائزون ﴾ فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استئناف ﴿ قال ﴾ اى الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك أو لبعض رؤساء اهل النار ﴿ كم لبثتم فى الارض ﴾ أحياء او اموا تا فى القبور ﴿ عدد سنين ﴾ تمييز لكم ﴿ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ﴾ استقصار لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار أو لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار أو لانها منقضية والمنقضى فى حكم المعدوم ﴿ فسئل العادين ﴾ الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها أو الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين أى القدماء المعمرين

﴿ انه كان فريق من عبادى ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا ﴾ أى تسخرون منهم وتستهزؤن بهم ﴿ حتى انسوكم ذكرى ﴾ أى انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكرى ﴿ وكنتم منهم تضحكون ﴾ نزل فى كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله ﴿ انى جزيتهم اليوم بما صبروا ﴾ أى على اذاكم واستهزائكم فى الدنيا ﴿ انهم هم الفائزون ﴾ أى جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة ﴿ قال ﴾ يعنى ان الله قال للكفار يوم البعث ﴿ كم لبثتم فى الارض ﴾ أى فى الدنيا وفى القبور ﴿ عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ﴾ معناه انهم نسوا مدة لبثهم فى الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب ﴿ فاسئل العادين ﴾ يعنى الملائكة الذين يحفظون أعمال بنى آدم ويحصونها

الحساب أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم فسل الاهمزمكي وعلي (قل ان لبثتم الا قليلا) أي مالبثتم الا زمنا ق
أولبثا قليلا (لوانكم كنتم تعلمون) صدقهم الله تعالى في تقالهم لسنى لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا ع
قل ان حمزة وعلي (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) حال أي عابثين أومفعول له أي عبث (وانكم الينا لاترجعون) وبفتح ا
وكسر الجيم حمزة وعلي ويعقوب وهومعطوف على انما خلقناكم أوعلى عبثا أي للعبث ولنترككم غير مرجوعين بل خلقنا
للتكليف ثم رجوع من دار التكليف الى دار الجزاء فيثيب المحسن ويعا

المسيء (فتعالى الله) عن ان يخلق عبثا (الملك الحق) الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه أو الثابت الذي لايزول ولايزول ملكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان) أي لاحجة (له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقوله من أحسن الى زيد لااحق بالاحسان منه فان الله مثيبه أو صفة لازمة جيء بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لاان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان

ويقال ملك الموت وأعوانه (قل) لله لهم (ان لبثتم) ما مكثتم في القبور (الا قليلا) عند مكثكم في النار (لو أنكم كنتم تعلمون) ذلك يقول ان كنتم تصدقون قولي ويقال
يقول الله لهم لو أنكم كنتم في الدنيا تعلمون تصدقون أن لبثكم ... مامكثتم في القبور الا قليلا (دعوى
مقدم ومؤخر (أفحسبتم) أفظننتم ياأهل مكة (أنما خلقناكم عبثا) هملا بلا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب (وأنكم الينا
لاترجعون) بعد الموت (فتعالى الله) ارتفع وتبرأ عن الولد والشريك (الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) السرير
الحسن (ومن يدع) يعبد (مع الله الها آخر) من الاوثان (لا برهان له به) لاحجة له بما

فانهم ايضا يستقصرون ﴿ قل ﴾ وفي قراءة الكوفيين قل ﴿ ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون ﴾ تصديق لهم في مقالهم ﴿ أفحسبتم انما خلقناكم عبثا ﴾ توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين اومفعول له اي ما خلقناكم تعبثا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجزيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث ﴿ وانكم الينا لاترجعون ﴾ معطوف على انما خلقناكم أو عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال ﴿ لا اله الا هو ﴾ فان ما عداه عبيده ﴿ رب العرش الكريم ﴾ الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم اولنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة للرب ﴿ ومن يدع مع الله الها آخر ﴾ يعبده افرادا أواشراكا ﴿ لا برهان له به ﴾ صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لابرهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لادليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه أواعتراض بين الشرط والجزاء لذلك

عليهم ﴿ قال ان لبثتم ﴾ أي مالبثتم في الدنيا ﴿ الا قليلا ﴾ سماه قليلا لان المرء وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة ﴿ لو أنكم كنتم تعلمون ﴾ أي قدر لبثكم في الدنيا ✽ قوله عز وجل ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾ أي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لاثواب لها ولاعقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة أوامر الله عز وجل ﴿ وأنكم الينا لاترجعون ﴾ أي في دار الآخرة للجزاء روى البغوي بسنده عن الحسن أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في اذنه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أي هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات ﴿ لا اله الا هو رب العرش الكريم ﴾ أي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات ﴿ ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ﴾ أي لاحجة ولابينة له به اذ لايمكن اقامة برهان ولادليل على الهية غير الله ولاحجة في

(فإنما حسابه) أي جزاؤه وهذا جزاء الشرط (عند ربه) أي فهو مجازيه لا محالة (إنه لا يفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمتها إنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وأنت خير الراحمين) لأن رحمته إذا أدركت أحدا أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته

﴿سورة النور مدنية وهي ستون وأربع آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سورة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة (أنزلناها) صفة لها وقرأ طلحة سورة على زيدا ضربته أو على أتل سورة والسورة الجامعة جمل آيات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وفرضناها) أي فرضنا ﴿٣٦٣﴾ أحكامها التي فيها وأصل الفرض {سورة النور} القطع أي جعلناها مقطوعا بها وبالتشديد مكي وأبو عمرو للمبالغة في الإيجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أي دلائل واضحات (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا وبتخفيف الذال حمزة وعلي وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزاني) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أي فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدهما أو الخبر فاجلدوا أو دخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط وتقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرأ عيسى ابن عمر بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر

﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ فهو مجازله مقدار ما يستحقه ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ إن الشأن وقرئ بالفتح على التعليل أو الخبر أي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت * وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لقد أنزلت إلي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر * وروي أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح والله أعلم

﴿سورة النور مدنية وهي ثنتان أو أربع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة﴾ أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة ﴿أنزلناها﴾ صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل إلا إذا قدر اتل أو دونك أو نحوه ﴿وفرضناها﴾ فرضنا ما فيها من الأحكام وشدده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة في إيجابها ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ واضحات الدلالة ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال ﴿الزانية والزاني﴾ أي فيما فرضنا

... دعوى الشرك ﴿فإنما حسابه﴾ أي جزاؤه ﴿عند ربه﴾ أي هو يجازيه بعمله ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ أي لا يسعد من جحد وكذب ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾

﴿تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنتان وقيل أربع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ أي أوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ أي واضحات ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي تتعظون * قوله تعالى ﴿الزانية والزاني﴾

... من دون الله (فإنما حسابه) عذابه (عند ربه) في الآخرة (إنه لا يفلح) لا يأمن ولا ينجو (الكافرون) من عذاب الله (وقل) يا محمد (رب اغفر) تجاوز عن أمتي (وارحم) أمتي فلا تعذبهم (وأنت خير الراحمين) أرحم الراحمين ﴿ومن السورة التي يذكر فيها النور وهي كلها مدنية آياتها أربع وستون آية وكلماتها ألف وثلاثمائة وستة عشر وحروفها خمسة آلاف وتسعمائة وعشرون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (سورة أنزلناها) يقول أنزلنا جبريل بها (وفرضناها) بينا فيها الحلال والحرام (وأنزلنا فيها) بينا فيها (آيات بينات) بالأمر والنهي والفرائض والحدود (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا بالأمر والنهي فلا تعطلوا الحدود (الزانية والزاني) وهما بكران زنيا

(فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى انه لايبالغ ايصال الالم الى اللحم واحد

الائمة لان ... الدين ... لانهم لايمكنهم الاجتماع فينوب ا

والزانى حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئتا بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا يا وانما قدم الزانية لان الزنا فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعى عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا أو مردودا وله فى العبد ثلاثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذى يقتص له من المسلم ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ رحمة ﴿فى دين الله﴾ فى طاعته واقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فان الايمان يقتضى الجد فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وحدوده

فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة فى وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان فى الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا أى فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أى الزانية والزانى مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة التغريب الى رأى الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب وتجلد المرأة ولا تغرب وان كان الزانى محصنا فعليه الرجم ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ أى رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وقيل معنى الرأفة ان تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهرى يجتهد فى حد الزنا والفرية أى القذف ويخفف فى حد الشرب وقيل يجتهد فى حد الزنا ويخفف دون ذلك فى حد الفرية ويخفف دون ذلك فى حد الشرب ﴿فى دين الله﴾ أى فى حكم الله روى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقال يا بنى ان الله لم يأمرنى بقتلها وقد ضربت فأوجعت ﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ معناه ان المؤمن لا تأخذه الرأفة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج والهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود

منا بهم وهذا الحكم ... ليس بمحصن ... حكم المحصن الرجم وشرائط احصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول وهذا دال على أن التغريب غير مشروع لان الفاء انما يدخل على الجزاء وهو اسم لما فى والتغريب المروى منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والاذى فى قوله فامسكوهن فى البيوت وقوله فآذوهما بهذه الآية (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رحمة والفتح لغة وهى قراءة مكى وقيل الرأفة فى دفع المكروه والرحمة فى ايصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ولا يأخذهم اللين فى استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب (فى دين الله) أى فى طاعة الله أو حكمه (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر أى فاجلدوا

(فاجلدوا كل واحد منهم) بالزنا (مائة جلدة) سوط (ولا تأخذكم بهما) باقامة الحد عليهما (رأفة) رقة (فى دين الله) فى تنفيذ حكم الله عليهم (ان كنتم) اذ كنتم (تؤمنون بالله واليوم الآخر) بالبعث { وليشهد

وتعطوا الحد (وليشهد عذابهما) وليحضر موضع حدهما وسميته عذابا دليل على انه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن
ن حلقة ليعتبروا وينزجر هو وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول شئ وعن ابن عباس
ى الله عنهما أربعة إلى اربعين رجلا (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها
إلا زان أو مشرك) أي الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في خبيثة من شكله
أو في مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة
أو المشركين فالآية تزهيد في نكاح البغايا اذ الزنا عديل الشرك في القبح والايمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات
للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما في أول الاسلام ثم نسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير
الزاني يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح لكنه يقتضي اذا قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان
وسئل صلى الله عليه وسلم عمن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال اوله سفاح وآخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزاني بكونه غير
راغب في العفائف ولكن في الفواجر ﴿ ٣٦٥ ﴾ ومعنى الثانية ﴿ سورة النور ﴾ صفة الزانية بكونها غير
مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا لان تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ماجنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه الخاطب ومنه بدء الطلب وقرئ لا ينكح بالجزم على النهي وفي المرفوع
أيضا معنى النهي ولكن أبلغ وآكد ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهما جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه
تحت هذه العادة ويتصون عنها (وحرم ذلك على المؤمنين) أي الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا أو لما فيه من التشبه بالفساق
وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة

وهو من باب التهييج ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شئ من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد أو اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير ﴿ الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ﴾ اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان أو مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك

﴿ وليشهد ﴾ أي وليحضر ﴿ عذابهما ﴾ أي حدهما اذا أقيم عليهما ﴿ طائفة ﴾ أي نفر ﴿ من المؤمنين ﴾ قيل أقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا
قوله عز وجل ﴿ الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون

الموت (وليشهد عذابهما) وليحضر عند اقامة الحد عليهما (طائفة من المؤمنين) رجلا أو رجلان فصاعدا لكي يحفظوا الحد
(الزاني) من أهل الكتاب المعلن به (لا ينكح) لا يتزوج (الا زانية) من ولائد أهل الكتاب (أو مشركة) من ولائد مشركي
العرب (والزانية) من ولائد أهل الكتاب أو من ولائد المشركين (لا ينكحها) لا يتزوجها (الا زان) من أهل الكتاب (أو مشرك) من
مشركي العرب (وحرم ذلك) التزويج يعني تزويج ولائد أهل الكتاب وولائد احرار المشركين (على المؤمنين) نزلت هذه
الآية في قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يتزوجوا ولائد أهل الكتاب وولائد أحرار المشركين كن بالمدينة
معلنات بالزنا رغبة في كسبهن فلما نزلت هذه الآية تركوا ذلك ويقال الزاني من أهل القبلة أو من أهل الكتاب لا ينكح الا
زانية الا بزانية مثله أو من أهل الكتاب أو مشركة من مشركي العرب والزانية من أهل القبلة ومن أهل الكتاب ومن
مشركي العرب لا ينكحها لا يزني بها الا زان من أهل القبلة او من أهل الكتاب أو مشرك من مشركي العرب وحرم ذلك الزنا على المؤمنين

من مقابحه وتكاثر غيره عن [illegible] [illegible] وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على [illegible] [illegible] منسوخ بقوله وأنكحوا الأيامى منكم [illegible] عليه السلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول إلى نهي الزاني

المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفي المدينة نساء بغايا من أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق إلى نفسها فقال مرثد إن الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيأ فنزلت الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود بألفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزان أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول إذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة إن حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن امرأتي لا تمنع يد لامس فقال طلقها قال إني أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فأمسكها إذا وروى هذا الحديث أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه أحد الرواة إلى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروي أن عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص على أن يجمع بينهما فأبى الغلام وقيل في معنى الآية أن الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصالحة من النساء وإنما يرغب في نكاح

انى والسحاب (والذين يرمون المحصنات) وبكسر الصاد على اى يقذفون بالزنا الحرائر والعفائف المسلمات المكلفات والقذف
بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن ﴿٣٦٧﴾ بالزنا بان يقول يازانية لذكر المحصنات {سورة النور} عقيب الزوانى ولاشتراط

ن الزنا الا بزانية والزانية ان يزنى بها الا زان وهو فاسد ﴿والذين يرمون المحصنات﴾
يقذفونهن بالزنا ووصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزوانى واعتبار اربعة شهداء
بقوله ﴿ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ والقذف بغيره مثل يافاسق
ياشارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ
والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولافرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات
لخصوص الواقعة أولان قذف النساء اغلب واشنع ولايشترط اجتماع الشهود عند
الاداء ولايعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة ولكن ضربه اخف من ضرب
الزانى لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ﴿ولاتقبلوا لهم شهادة﴾ اى شهادة
كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم فى القذف ولايتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى
حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لاترتيب
بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده ﴿ابدا﴾ مالم يتب وعند
ابى حنيفة الى آخر عمره ﴿واولئك هم الفاسقون﴾ المحكوم بفسقهم ﴿الا الذين تابوا

فاجرة خبيثة مثله أومشركة والفاسقة الخبيثة لاترغب فى نكاح الصلحاء من الرجال
وانما ترغب فى نكاح فاسق خبيث مثلها أومشرك وحرم ذلك على المؤمنين أى صرف
الرغبة بالكلية الى نكاح الزوانى وترك الرغبة فى الصالحات العفائف محرم على المؤمنين
ولايلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية * قوله تعالى ﴿والذين يرمون﴾ أى
يقذفون بالزنا ﴿المحصنات﴾ يعنى المسلمات الحرائر العفائف ﴿ثم لم يأتوا باربعة
شهداء﴾ أى يشهدون على الزنا ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ بيان حكم الآية ان
من قذف محصنا أومحصنة بالزنا فقال له يازانى أويازانية أوزنيت فيجب عليه جلد ثمانين
ان كان القاذف حرا وان كان عبدا يجلد أربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف
التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى
لوزنى فى عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلاحد عليه فان أقر
المقذوف على نفسه بالزنا أوأقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان
الحد انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه وأما الكنايات مثل أن يقول يافاسق أويافاجر
ياخبيث أويامؤاجر أوقال امرأتى لاترديد لامس فهذا ونحوه لايكون قذفا الا أن يريد
ذلك وأما التعريض مثل أن يقول أما أنا فمازنيت أوليست امرأتى زانية فليس بقذف
عند الشافعى وأبى حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال أحمد هو قذف فى حال الغضب دون
حال الرضا * وقوله تعالى ﴿ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ فيه دليل على ان
القذف من الكبائر لان اسم الفسق لايقع الا على صاحب كبيرة ﴿الا الذين تابوا

اربعة شهداء بقوله (ثم
لم يأتوا باربعة شهداء) أى
ثم لم يأتوا باربعة شهود
يشهدون على الزنا لان
القذف بغير الزنا بان يقول
يافاسق يا آكل الربا يكفى
فيه شاهدان وعليه التعزير
وشروط احصان القذف
الحرية والعقل والبلوغ
والاسلام والعفة عن الزنا
والمحصن كالمحصنة فى وجوب
حد القذف (فاجلدوهم ثمانين
جلدة) ان كان القاذف حرا و
نصب ثمانين نصب المصادر كما
نصب مائة جلدة وجلدة
نصب على التمييز (ولاتقبلوا لهم
شهادة أبدا) نكر شهادة فى
موضع النفى فتعم كل شهادة
ورد الشهادة من الحد عندنا
ويتعلق باستيفاء الحد أو
بعضه على ماعرف وعند
الشافعى رحمه الله تعالى
يتعلق رد شهادته بنفس
القذف فعندنا جزاء الشرط
الذى هو الرمى الجلد ورد
الشهادة على التأبيد وهو
مدة حياتهم (وأولئك هم
الفاسقون) كلام مستأنف
غير داخل فى حيز جزاء
الشرط كانه حكاية حال
الرامين عند الله تعالى بعد
انقضاء الجملة الشرطية
وقوله (الا الذين تابوا

(والذين يرمون المحصنات) يقذفون الحرائر المسلمات العفائف بالفرية (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أحرار عدول مسلمين
(فاجلدوهم) بالفرية (ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) العاصون بالفرية (الا الذين تابوا

من بعد ذلك) اى القذف (وأصلحوا) أحوالهم استثناء من الفاسقين ويدل عليه (فان الله غفور رحيم) اى يغفر ذنوبهم ويرـ
ـحق الاستثناء أن يكون منصوبا عندنا لانه عن موجب وعند من جعل الاستثناء بالجملة الثانية أن يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم ولما ذكر حكم قذف الاجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال (والذين يرمون أزواجهم) اى يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) اى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (الا أنفسهم) يرتفع على البدل من شهداء (فشهادة أحدهم أربع) بالرفع كوفى غير أبى بكر على انه خبر والمبتدأ فشهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لانه فى حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو فشهادة أحدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شهادات بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا

من بعد ذلك ﴾ عن القذف ﴿ واصلحوا ﴾ اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذا الامر ولايلزم سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجر على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ علة للاستثناء ﴿ والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم ﴾ نزلت فى هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على ان الا بمعنى غير ﴿ فشهادة احدهم اربع شهادات ﴾ فالواجب شهادة احدهم أو فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على انه خبر شهادة ﴿ بالله ﴾ متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها ﴿ انه لمن الصادقين ﴾ أى فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا

من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴾ اختلف العلماء فى قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفى حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان ابن يسار والشعبى وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى وبه قال مالك والشافعى وذهب قوم الى أن شهادة المحدود فى القذف لاتقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعى وشريح وأصحاب الرأى قالوا بنفس القذف لاترد شهادته مالم يحد قال الشافعى هو قبل أن يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردونها فى أحسن حاليه وتقبلونها فى شر حاليه وذهب الشافعى الى أن حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لايسقط الحد بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا قلت معنى أبدا مادام مصرا على القذف لان أبد كل انسان مدته على مايليق به كما يقال شهادة الكافر لاتقبل أبدا يراد بذلك مادام على كفره فاذا أسلم قبلت شهادته ✻ قوله عز وجل ﴿ والذين يرمون ﴾ أى يقذفون ﴿ أزواجهم ولم يكن لهم شهداء ﴾ أى يشهدون على صحة ماقالوا ﴿ الا أنفسهم ﴾ اى غير انفسهم ﴿ فشهادة أحدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ﴾ سبب نزول هذه الآية ماروى عن سهل بن سعد الساعدى ان عويمرا العجلانى جاء الى عاصم بن عدى فقال لعاصم

من بعد ذلك) من بعد الفرية (وأصلحوا) فيما بينهم وبين ربهم (فان الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة نزلت هذه الآية من أولها الى ههنا فى شأن عبد الله بن أبى وأصحابه (والذين يرمون أزواجهم) نساءهم بالفرية (ولم يكن لهم شهداء) على ماقالوا (الا أنفسهم فشهادة أحدهم اربع شهادات بالله) فيحلف ﴿ ارأيت الرجل أربع مرات بالله الذى لا اله الا هو (انه لمن الصادقين) فى قوله على المرأة

رأيت لوان رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال ياعاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتنى بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التى سألت عنها فقال عويمر والله لا أنتهى حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يارسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يارسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه فى الصحيحين زاد فى رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه * قوله اسحم اى اسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها * وقوله خدلج الساقين اى ممتلئ الساقين غليظهما * وقوله كأنه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة تلصق بالارض واراد بها فى الحديث المبالغة فى قصره (خ) عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امرأته عند النبى صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبى صلى الله عليه وسلم البينة او حد فى ظهرك فقال يارسول الله اذا رأى أحد على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد فى ظهرك فقال هلال بن أمية والذى بعثك بالحق انى لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهرى من الحد فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجاآ فقام هلال بن أمية فشهد والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومى سائر اليوم فمضت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا مامضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن وفى رواية غير البخارى عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لى ان أهيجه حتى آتى بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتى بأربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان فى ظهرى لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿والخامسة﴾ والشهادة الخامسة ﴿ان لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ في الرمي وقرأنا ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف ع وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعا ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولدان تعرض له فيه وثبوت

يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امرأ قط الا بكرا ولا طلق امرأة له واجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد يارسول الله بأبي أنت وأمي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبر الله فقا النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا ا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزن بها فامسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يارسول الله اني جئت الى أهلي عشاء فوجدت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمع باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقا هلال والله يارسول الله اني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به والله يعلم اني لصادق و قلت الاحقا واني لأرجو أن يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فبينما كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه و ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يارسول الله قد صدقت وما قلت الاحقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس وا هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليه كما لم يحدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد ﴿والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وس ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت ب

(والخامسة) لا خلاف في رفع الخامسة هنا في المشهور والتقدير والشهادة الخامسة (ان لعنت الله عليه) فهي مبتدأ وخبر (ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا

(والخامسة ان لعنت الله عليه) وفي المرة الخامسة يقول لعنة الله على الرجل (ان كان من الكاذبين) فيما قال عليها

(غلاما)

شهادات بالله انه) ان الزوج (لمن الكاذبين) فيما رماني به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان) أي الزوج (من الصادقين) فيما رماني به من الزنا ونصب حفص الخامسة عطفا على أربع شهادات وغيره رفعها بالابتداء وان غضب الله خبره وخفف نافع ان لعنت الله وان غضب الله بكسر الضاد وهما في حكم المثقلة وان غضب الله سهل ويعقوب وحفص وجعل الغضب في جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جرى اللعن على ألسنتهن وسقوط وقوعه عن قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن والاصل ان اللعان عندنا شهادات مؤكدات بالايمان مقرونة باللعن قائمة مقام

(ويدرأ) يعني يدفع الحاكم (عنها العذاب) عن المرأة العذاب بالرجم (أن تشهد أربع شهادات بالله) اذا حلفت المرأة أربع مرات بالله الذي لا اله الا هو (انه) يعني زوجها

حد الزنا على المرأة لقوله ﴿ ويدرأ عنها العذاب ﴾ أي الحد ﴿ ان تشهد اربع شهادات الله انه لمن الكاذبين ﴾ فيما رماها به ﴿ والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ﴾

غلاما كأنه جمل أورق على الشبه المكروه وكان أميرا بمصر لا يدرى من أبوه الاورق هو الابيض وروى ابن عباس ان عويمرا لما لاعن زوجته خولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودى الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها لحبلى من غيرى واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله اني ما قربتها منذ أربعة أشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالقعود فقعد ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله انه ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد بالله انه ما رآني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي في أمرهما رأى ثم قال تحينوا الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذى رميت به قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق بشريك * بيان حكم الآية ان الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الاجنبية وجوب الحد عليه ان كانت محصنة أو التعزير ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف أجنبيا أو اجنبية يقام عليه الحد الا أن يأتي باربعة يشهدون بالزنا أو يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفي الزوجة اذا وجد أحد هذين أو لاعن سقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا أقام الزوج بينة على زناها أو اعترفت هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه واذا أراد الامام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة من الزنا وان كان قذرماها برجل بعينه سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد أو هذا الحمل لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا أتى بكلمة من كلمات من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فهذه خمسة أحكام تتعلق بلعان الزوج * قوله عز وجل ﴿ ويدرأ ﴾ أي يدفع ﴿ عنها العذاب ﴾ أي الحد ﴿ ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ﴾ حكم الآية ان الزوج اذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا فان أرادت

(لمن الكاذبين) فيما قال عليها (والخامسة أن غضب الله عليها) على المرأة (ان كان) زوجها (من الصادقين) فيما تقول عليها

فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر أو بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان لعنة الله وان غضب الله بتخفيف النون فيهما ورفع التاء وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ﴾ متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ﴿ ان الذين جاؤا بالافك ﴾ بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضى الله عنها وذلك انه عليه الصلاة والسلام استصحبها فى بعض الغزوات فاذن ليلة فى القفول

استقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رمانى به وتقول فى الخامسة على غضب الله ان كان زوجى من الصادقين فيما رمانى به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأى لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخرين اللعان حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبى اذا قعد عن اقامة البينة وعند أبى حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفى النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعى وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه تقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تأبيد التحريم وعند أبى حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا أكذب نفسه جاز له أن ينكحها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبى حنيفة اذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثورى والشافعى وأكثر أهل العلم وقال الزهرى والاوزاعى وأصحاب الرأى لا يجرى اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان أحد الزوجين رقيقا أو ذميا أو محدودا فى قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجرى اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم أو نائبه ويغلظ اللعان باربعة اشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بمحضر جماعة من الناس أما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشئ منها وأما المكان فهو ان يلاعن فى أشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى سائر البلاد فى الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر وأما الجمع فأقله أربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفى التغليظ بالزمان والمكان قولان ۞ قوله تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ أى لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان ﴿ وان الله تواب ﴾ أى يعود على من يرجع عن المعاصى بالرحمة ﴿ حكيم ﴾ أى فيما فرضه من الحدود ۞ قوله عز وجل ﴿ ان الذين جاؤا بالافك

حد القذف فى حقه ومقام حد الزنا فى حقها لان الله تعالى سماه شهادة ف

قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما واذا التعنا كما بين فى النهر لا تقع الفرقة حتى يفرق القاضى بينهما وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة بائنة وعند ابى يوسف وزفر والشافعى تحريم مؤبد ونزلت آية اللعان فى هلال ابن امية او عويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتى خولة شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبى صلى الله عليه وسلم بينهما (ولولا فضل الله) تفضله (عليكم ورحمته) نعمته (وان الله تواب حكيم) جواب لولا محذوف أى لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله عنها قالت عائشة فقدت عقدا فى غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو

(ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته) لبين الكاذب منكم (وأن الله تواب) متجاوز لمن تاب (حكيم) حكم اللعان بين المرأة والرجل بالفرية نزلت هذه الآية فى عاصم بن عدى الانصارى ابتلى بهذا (ان الذين جاؤا بالافك) تكلموا بالكذب (عصبة)

لرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقدها من جزع
ظفار قدانقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله
لى مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان بن
لمعطل السلمى رضى الله عنه قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته
ركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به ﴿ عصبة منكم ﴾ جماعة منكم وهى من العشرة الى

صبة منكم ﴾ الآيات سبب نزولها ماروى عن ابن شهاب قال حدثنى عروة
ن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عتبة بن
سعود عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ماقالوا وكلهم حدثنى
لائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت
ن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا
الت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين
زواجه فأيها خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة أقرع
بننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما
نزل الحجاب فكنت أحمل فى هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله
ليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل
شيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا
عقد لى من جزع أظفار قدانقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل
لرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب
هم يحسبون انى فيه وكان النساء اذذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم
نما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين
رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما
ستمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت
هم سيفقدونى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان
بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلى فرأى
سوادانسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب على
استيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كلمنى كلمة
لا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها
انطلق يقودبى الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا معرسين وفى رواية موغرين فى
نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول
قدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك
أشعر بشئ من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لاأرى من النبى صلى الله عليه وسلم
للطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف
ذلك الذى يريبنى منه ولاأشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع

الهودج لخفتى فلما ارتحلوا أناخ لى صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أتاهم
بعدما نزلوا فهلك فى من هلك
فاعتللت شهرا وكان عليه
الصلاة والسلام يسأل
كيف أنت ولاأرى منه لطفا
كنت أراه حتى عثرت خالة
أبى أم مسطح فقالت تعس
مسطح فانكرت عليها
فاخبرتنى بالافك فلما
سمعت ازددت مرضا وبت
عند أبوى لايرقألى دمع وما
اكتحل بنوم وهما يظنان
ان الدمع فالق كبدى حتى
قال عليه الصلاة والسلام
ابشرى ياحميراء فقد أنزل
الله براءتك فقلت بحمد الله
لابحمدك (عصبة) جماعة
من العشرة الى الاربعين
واعصوصبوا اجتمعوا وهم
عبد الله بن أبى رأس النفاق
وزيد بن رفاعة وحسان بن
ثابت ومسطح بن اثاثة
وحمنة بنت جحش ومن
ساعدهم (منكم) من جماعة
المسلمين وهم ظنوا ان
الافك وقع من الكفار
دون من كان من المؤمنين

(عصبة) جماعة (منكم)
نزلت فى عبد الله بن أبى
ابن سلول المنافق وحسان
بن ثابت الانصارى ومسطح
ابن اثاثة ابن خالة أبى بكر
الصديق وعباد بن عبد المطلب
وحمنة بنت جحش الاسدية فيما قالوا على عائشة وصفوان بن المعطل من الفرية

لاربعين وكذلك العصابة يريد عبدالله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح ابن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبران وقوله

وهى متبرزنا وكنا لانخرج الاليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا نمشى فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت ياهنتاه أولم تسمعى ماقال قلت وماقال فاخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم قلت له أتأذن لى أن آتى أبوى قالت وأنا حينئذ أريد ان أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوى فقلت لامى يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت يابنية هونى على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله قالت فاما أسامة فاشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يارسول الله ولانعلم والله الاخيرا وأما على بن أبى طالب فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك من عائشة قالت له بريرة لاوالذى بعثك بالحق ان رأيت منها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتى الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبى ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى وفى رواية فى أهل بيتى فوالله ماعلمت على أهلى الاخيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الاخيرا وماكان يدخل على أهلى الا معى قالت فقام سعد بن معاذ أحد بنى عبدالاشهل فقال أنا أعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لاتقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير و هو ابن عم سعد يعنى ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى

{ الله }

الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن ان البكاء فالق كبدي قالت فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي اذا استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ماقيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة وقلت لابي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ماأدري ما أقول لرسول الله فقلت لامي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ماأدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن اني والله لقد علمت انكم سمعتم ماتحدث به الناس حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لاتصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني فوالله ما أجد لي ولكم مثلا الا أبا يوسف اذقال فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم اني بريئة وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بامر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولاخرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه قال فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها أن قال لي ياعائشة احمدي الله وفي رواية قال أبشري ياعائشة اما الله فقد برأك فقالت لي أمي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لاأقوم اليه ولاأحمد الا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات فانزل الله عز وجل هذه الآيات في براءتي قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لاأنفق عليه شيأ أبدا بعد الذي قال لعائشة فانزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لاانزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال يازينب ماعلمت أومارأيت فقالت يارسول الله أحمي سمعي

وبصرى والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذى بلغنى من حديث هؤلاء الرهط زاد فى رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد فى سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق على صحته أخرجاه فى الصحيحين زاد البخارى فى رواية عن عروة عن عائشة والذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى ابن سلول وقال عروة أخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لى من أهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح ابن اثاثة وحمنة بنت جحش فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى ٭ لعرض محمد منكم وقاء

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعرا بيت من أبياته فقال

حصان رزان ماتزن بريبة ٭ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأى عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح او يهاجى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ حل غريب الفاظ هذا الحديث ﴾

٭قوله وكلهم حدثنى طائفة اى قطعة من حديثها ٭قوله كان اوعى اى احفظ له ٭قولها آذن اى اعلم بالرحيل ٭قولها فاذا عقد لى من جزع اظفار هو نوع من الخرز و٭ والحجر اليمانى المعروف ٭قولها لم يهبلن اى يكثر لحمهن من السمن فيثقلن ٭قولها انما يأكلن العلقة من الطعام هو بضم العين اى البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق ٭قولها وليس بها منهم داع ولا مجيب اى ليس بها احد لا من يدعو ولا من يرد جوابا ٭قولها فتيممت اى قصدت ٭قولها قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر فى آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله ٭قولها باسترجاعه هو قوله انا لله وانا اليه راجعون ٭قولها فخمرت اى غطيت وجهى بجلبابى اى ازارى ٭قولها موغرين فى نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة اى اولها ٭قولها والناس يفيضون اى يخوضون ويتحدثون ٭قولها وهو يريبنى يقال رابنى الشئ يريبنى أى شككت فيه ٭قولها ولا أرى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف أى الرفق بها واللطف فى الافعال الرفق وفى الاقوال لين الكلام ٭قولها حتى نقهت أى أفقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول وأصله المكان الواسع الخالى والمرط كساء من صوف أو خز ٭قولها تعس مسطح أى عثر وهو من الدعاء على الانسان أى سقط لوجهه ٭قولها ياهنتاه أى يا بلهاء كأنها نسبتها الى البله وقلة المعرفة ٭قولها لا يرقأ لى دمع أى لا ينقطع وقول بريرة ان رأيت بمعنى النفى أى ما رأيت منها أمرا أغمصه بالصاد المهملة أى أعيبه والداجن

لاتحسبوه شرالكم ﴾ مستأنف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم والهاء للافك ﴿ بل هو خير لكم ﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا ﴿ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ﴾ لكل جزاء ما اكتسب بقدر ماخاض فيه مختصا به ﴿ والذى تولى كبره ﴾ معظمه ٭ وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه

الشاة التى تألف البيت وتقيم به ٭ قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى أى من يقوم بعذرى ان أنا كافأته على سوء صنيعه ان عاتبت أو عاقبت فلاتلومونى على ذلك ٭ قولها وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه أى من قبيلته ٭ قولها ولكن احتملته الحمية أى حمله الغضب والانفة والتعصب الجهل للقرابة ٭ قولها فتثاور الحيان أى ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة ٭ قولها فلم يزل يخفضهم أى يهون عليهم ويسكن ٭ قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت ألممت قيل هو من اللمم وهو صغائر الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل ٭ قولها قلص دمعى أى انقطع جريانه ٭ قولها مارام أى مابرح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسرى عنه أى كشف عنه وقول زينب أحمى سمعى وبصرى أى أمنعهما من أن أخبر عالم أسمع ولم أبصر ٭ قولها وهى التى كانت تسامينى من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله أى منعها من الوقوع فى الشر بالورع ٭ وقول الرجل ما كشفت من كنف أى من ستر أنثى ٭ قوله ويستوشيه أى يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه ٭ وقول حسان فى عائشة حصان بفتح الحاء يقال امرأة حصان أى متعففة رزان أى ثابتة ماتزن أى ترمى ولاتتهم بريبة أى بامر يريب الناس حية وتصبح غرثى أى جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لاتغتاب أحدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل ٭ وقول عائشة فى حسان انه كان ينافح أى يناضل ويخاصم عن الله ورسوله ٭ وأما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك أى بالكذب والافك أسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالافك عصبة أى جماعة منكم أى عبد الله بن أبى ابن سلول ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن أبى بن سلول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم ٭ قلت كان ينسب الى الايمان فى الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين ﴿ لاتحسبوه شرالكم ﴾ يعنى الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولابويها وللنبى صلى الله عليه وسلم ولصفوان ﴿ بل هو خير لكم ﴾ يعنى ان الله أجركم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم ﴿ لكل امرئ منهم ﴾ أى من العصبة الكاذبة ﴿ ما اكتسب من الاثم ﴾ جزاء مااجترح من الذنب على قدر ماخاض فيه ﴿ والذى تولى كبره ﴾ أى تحمل معظمه وبدأ بالخوض

(لاتحسبوه) أى الافك (شرالكم) عندالله (بل هو خيرلكم) لان الله أثابكم عليه وأنزل فى البراءة منه ثمانى عشرة آية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أى على كل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت (والذى تولى كبره) أى عظمه

(لاتحسبوه) يعنى القذف لعائشة وصفوان (شرالكم) فى الآخرة (بل هو خيرلكم) فى الثواب (لكل امرئ منهم) ممن خاض فى أمر عائشة وصفوان بن المعطل (ما اكتسب من الاثم) على قدر ماخاض فيه (والذى تولى كبره) اشاع وأعظم المقالة

عبـدالله بن أبى (منهم) أى من العصبة (له عذاب عظـيم) أى جهنم يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو فى
من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله مانجت منه ولا نجا منها ثم وبخ الخائضين فقال (لولا) هـلا (اذ سمعتموه)
أى الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهـو كقوله ولا تلمزوا أنفسكم
(خـير) عفافا وصلاحا ذلك نحو مايروى ان عمر رضى الله عنه قال لرسـول الله عليه الصلاة والسـلام انا قاطع بكذب
المنـافقين لان الله عصمك من وقوع الذباب عـلى جلدك لانه يقع على النجاسـات فيتلطخ بهـا فلما عصمك الله من
القذر من القذر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمـان ان الله ماأوقع ظلك
عـلى الارض لئـلا يضع انسـان قـدمه على ذلك الظـل فلما لم يمكن
أحدا من وضع القدم على
ظلك كيف تمكن أحدا من
تلويث عرض زوجتك
وكذا قال على رضى الله عنه
ان جبريل أخبرك ان على
نعليك قذرا وأمرك باخراج
النعل عن رجلك بسبب
ما التصق به من القذر فكيف
لا يأمرك باخراجها بتقدير
ان تكون متلطخة بشئ
من الفواحش وروى ان
أبا أيوب الانصارى قال
لامرأته ألا ترين مايقال
فقالت لو كنت بدل صفوان
أكنت تظن بحرم رسـول
الله سوأ فقال لا قالت ولو
كنت أنا بدل عائشة ماخنت
رسـول الله فعائشة خير
منى وصفـوان خير منك
وانما عدل عن الخطاب الى
الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ليبالغ فى التوبيخ بطريق الالتفات وليدل (فاؤلئك)
التصريح بلفـظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضى ان لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن
وهذا من الادب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له وليتـك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ماسمعه باخوانه (وقالوا هذا افك
مبين) كذب ظاهر لا يليق بهما (لولا جاؤا عليه باربعة شهداء) هلا جاؤا على القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء (فاذلم يأتوا بالشهداء

﴿ منهم ﴾ من الخائضين وهو ابن ابى فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أو هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين ﴿ له عذاب عظيم ﴾
فى الآخرة أو فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى
واشـل اليدين ومسطح مكفوف البصر ﴿ لولا ﴾ هـلا ﴿ اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خـيرا ﴾ بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا
انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى
ظن الخـير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم
وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفـك عنـه
ولذلك يتسع فيـه مالا يتسـع فى غـيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض عـلى
ان لا يخلوا باوله ﴿ وقالوا هذا افك مبين ﴾ كما يقول المتيقن المطلع على الحال ﴿ لولا جاؤا
عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء

فيه وأقام باشـاعته وهو عبدالله بن أبى بن سـلول ﴿ منهم ﴾ من العصبة ﴿ له عذاب
عظيم ﴾ يعنى عذاب النار فى الآخرة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا
عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين ＊ قوله عز وجل ﴿ لولا اذ سمعتموه ﴾ أى الحديث
الكذب وهو قول أهل الافك ﴿ ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم ﴾ باخوانهم وأهل
دينهم ﴿ خيرا ﴾ والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول أهل الافك ان يكذبوه
ويحسنوا الظن ولا يسرعوا فى التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة
للمؤمنين ﴿ وقالوا هذا افك مبين ﴾ أى كذب بين لا حقيقة له ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ جاؤا
عليه ﴾ أى على مازعموا ﴿ باربعة شهداء ﴾ أى يشهدون بذلك ﴿ فاذلم يأتوا بالشهداء

فيه وهو عبدالله بن أبى (منهم له عذاب عظيم) فى الدنيا بالحد وفى الآخرة بالنار (لولا) هلا (اذ سمعتموه) قذف عائشة وصفوان
(ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بامهاتهم (خيرا) يقول هلا ظننتم بعائشة أم المؤمنين كما تظنون بامهاتكم (وقالوا
هلا قلتم (هذا) القذف (افك مبين) كذب بين (لولا جاؤا عليه) هلا جاؤا على ماقالوا (باربعة شـهداء) عـدول فيصدقونهم
بذلك (فاذلم يأتوا بالشهداء) باربعة شهداء

الابعة (فاولئك عندالله) أى فى حكمه وشريعته (هم الكاذبون)أى القاذفون لان الله تعالى جعل الفصلة بين الرمى
الدق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاؤها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بينة
علىواهم فكانوا كاذبين (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم)لولا هذه لامتناع
الشئ لوجود غيره بخلاف ماتقدم أى ولولا أنى قضيت ان أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم
التى من جملتها الامهال للتوبة وان أترحم عليكم فى الآخرة فى العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ماخضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض فى الحديث وخاض واندفع (اذ) ظرف لمسكم أو لافضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه (بألسنتكم) أى ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه (وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم) انما قيد بالافواه مع ان القول لايكون الا بالفم لان الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم (وتحسبونه) أى خوضكم فى عائشة رضى الله عنها (هينا) صغيرة (وهو عندالله عظيم) كبيرة جزع

لئك عندالله هم الكاذبون ﴾ من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان مالاحجة عليه كذب عندالله أى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة ﴾ لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بانواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم ﴿ لمسكم ﴾ عاجلا ﴿ فيما افضتم فيه ﴾ خضتم فيه ﴿ عذاب عظيم ﴾ يستحقر دونه اللوم والجلد ﴿ اذ ﴾ ظرف لمسكم أو افضتم ﴿ تلقونه بألسنتكم ﴾ يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اى تتبعونه ﴿ وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم ﴾ اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم ﴿ وتحسبونه هينا ﴾ سهلا لاتبعة له ﴿ وهو عندالله عظيم ﴾ فى الوزر واستجراء العذاب فهذه ثلاثة آثام

فاولئك عندالله ﴾ أى فى حكم الله ﴿ هم الكاذبون ﴾ وهذا من باب الزواجر • فان قلت كيف يصيرون عندالله كاذبين اذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عندالله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت • قلت قيل هذا فى حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فاولئك هم الكاذبون فى غيبى وعلمى وقيل معناه فاولئك عندالله فى حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يأت بالشهود يجب زجره * قوله تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴾ معناه لولا انى قضيت ان أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وان أترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ماخضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب ﴿ اذ تلقونه بألسنتكم ﴾ أى يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغنى كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض ﴿ وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم ﴾ أى من غير ان تعلموا انه حق ﴿ وتحسبونه هينا ﴾ أى وتظنون انه سهل لا اثم فيه ﴿ وهو عندالله عظيم ﴾ أى فى الوزر

فأولئك عندالله هم الكاذبون) ثم نزل فى شأن الذين لم يقذفوا عائشة وصفوان بن المعطل ولكن خاضوا فيه (ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم) لاصابكم (فيما أفضتم فيه) خضتم فى شأن عائشة وصفوان (عذاب عظيم) شديد فى الدنيا والآخرة (اذ تلقونه بألسنتكم) اذ يرويه بعضكم عن بعض (وتقولون بافواهكم) بالسنتكم (ماليس لكم به علم) حجة وبيان (وتحسبونه) يعنى قذف عائشة وصفوان (هينا) ذنبا هينا (وهو عندالله عظيم)

بعضهم عندالموت فقيل له فى ذلك فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عندالله عظيم (ولولا) وهلا (اذسمعتم
قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا) فصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شأنا وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفس
لوقوعها فيها وانها لاتنفك عنها فلذا يتسع فيها مالايتسع فى غيرها وفائدة تقديم الظرف انه كان الواجب
ان يتفادوا أول ماسمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم قدم والمعنى هلا قلتم اذسمعتم الافك مايص
أن نتكلم بهذا (سبحانك) للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب فى كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله عند ر
التعجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة وانما جاز
تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لانا
مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب أن لايكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات (هذا بهتان) زور يبهت من يسمع (عظيم) وذكر فيما تقدم هذا افك مبين ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة فى التبرى (يعظكم الله أن تعودوا) فى ان تعودوا (لمثله) لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه (أبدا) مادمتم احياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصاد عن كل قبيح (ويبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة (والله عليم) بكم وباعمالكم (حكيم) يجزى على وفق أعمالكم أو عليم صدق نزاهتها وحكيم ببراءتها (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين (قيل) آمنوا) أى ماقبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الاشاعة ومحبة

مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عندالله عظيم ﴿ ولولا اذسمعتموه قلتم مايكون لنا ﴾ ماينبغى ومايصح لنا ﴿ ان نتكلم بهذا ﴾ يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ سبحانك ﴾ تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان تكون حرم نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لماقبله وتمهيدا لقوله ﴿ هذا بهتان عظيم ﴾ لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ﴿ يعظكم الله ان تعودوا لمثله ﴾ كراهة ان تعودوا لمثله أو فى ان تعودوا ﴿ ابدا ﴾ مادمتم احياء مكلفين ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ﴿ ويبين الله لكم الآيات ﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كى تتعظوا وتتأدبوا ﴿ والله عليم ﴾ بالاحوال كلها ﴿ حكيم ﴾ فى تدابيره ولايجوز الكشخنة على نبيه ولايقرره عليها ﴿ ان الذين يحبون ﴾ يريدون ﴿ ان تشيع ﴾ ان تنتشر ﴿ الفاحشة فى الذين آمنوا

﴿ ولولا اذسمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك ﴾ قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه ﴿ هذا بهتان عظيم ﴾ أى كذب عظيم يبهت ويحير من عظمه روى ان أم أيوب الانصارى قالت لابى أيوب الانصارى مابلغك مايقول الناس فى عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله ﴿ يعظكم الله ﴾ قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينها كم الله ﴿ ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات ﴾ أى فى الامر والنهى ﴿ والله عليم ﴾ أى بامر عائشة وصفوان ﴿ حكيم ﴾ أى حكم ببراءتهما * قوله عز وجل ﴿ ان الذى يحبون ان تشيع الفاحشة ﴾ أى يظهر الزنا ويذيع ﴿ فى الذين آمنوا ﴾

فى العقوبة (ولولا) هلا (اذسمعتموه) قذف عائشة وصفوان (قلتم مايكون لنا) مايجوز لنا (أن نتكلم بهذا) الكذب (سبحانك هذ
بهتان عظيم) كذب عظيم (يعظكم الله) يخوفكم الله وينها كم (أن تعودوا لمثله) أن لاتعودوا الى مثله (ابدا ان كنتم) اذ كن
(مؤمنين) مصدقين (ويبين الله لكم الآيات) بالامر والنهى (والله عليم) بمقالتكم (حكيم) فيما حكم عليكم من الحد (ان الذ
يحبون) يعنى عبدالله بن أبى وأصحابه (ان تشيع) ان تظهر (الفاحشة فى الذين آمنوا)

لهم (لهم عذاب أليم فى الدنيا) بالحد ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي وحسانا ومسطحا الحد (والآخرة) بالنار وعدها ان لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور وسرائر الصدور (وأنتم لا تعلمون أى انه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة فى المنة عليهم والتوبيخ

لهم (وان الله رؤف) حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب (رحيم) بغفرانه جناية القاذف اذا تاب (ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أى آثاره ووساوسه بالاصغاء الى الافك والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) فان الشيطان (يأمر بالفحشاء) ما أفرط قبحه (والمنكر) ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الافك (ولكن الله يزكى من يشاء) يطهر

عائشة وصفوان (لهم عذاب أليم) بالضرب (فى الدنيا والآخرة) بالنار لعبد الله ابن أبي خاصة (والله يعلم) ان عائشة وصفوان لم يزنيا (وأنتم لا تعلمون) ذلك (ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته) على من لم

لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ﴾ بالحد والسعير الى غير ذلك ﴿ والله يعلم ﴾ ما فى الضمائر ﴿ وانتم لا تعلمون ﴾ فعاقبوا فى الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله ﴿ وان الله رؤف رحيم ﴾ على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة ﴿ ياايها الذين آمنوا لا تتبعو خطوات الشيطان ﴾ باشاعة الفاحشة ٭ وقرأ نافع والبزى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وقرئ بفتح الطاء ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿ مازكا ﴾ ما طهر من دنسها ﴿ منكم من احد أبدا ﴾ آخر الدهر ﴿ ولكن الله يزكى من يشاء ﴾

قيل الآية مخصوصة عن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من أحب ان تشيع الفاحشة أو تظهر على أحد فهو داخل فى حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين ﴿ لهم عذاب أليم فى الدنيا ﴾ يعنى الحد والذم على فعله ﴿ والآخرة ﴾ أى وفى الآخرة لهم النار ﴿ والله يعلم ﴾ أى كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ وقيل معناه يعلم ما فى قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وأنتم لا تعلمون ذلك ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ أى لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة ﴿ وان الله رؤف رحيم ﴾ ٭ قوله تعالى ﴿ ياايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أى آثاره ومسالكه ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ أى بالقبائح من الاقوال والافعال وكل ما يكرهه الله عز وجل والآية عامة فى حق كل أحد لان كل مكلف ممنوع من ذلك ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا ﴾ أى ما طهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقيل الخطاب للذين خاضوا فى الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذى فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبدا ﴿ ولكن الله يزكى ﴾ أى يطهر ﴿ من يشاء ﴾ من الذنب بالرحمة والمغفرة

قذف عائشة وصفوان (وان الله رؤف رحيم) بالمؤمنين ثم نهاهم عن متابعة الشيطان فقال (ياأيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لا تتبعوا خطوات الشيطان) تزيين الشيطان ووسوسته (ومن يتبع خطوات الشيطان) تزيين الشيطان ووسوسته (فانه يأمر بالفحشاء) بالقبيح من العمل والقول (والمنكر) ما لا يعرف فى شريعة ولا فى سنة (ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته) بالعصمة والتوفيق (مازكى) ما وحد وصلح (منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى) يوفق ويصلح (من يشاء) من كان اهلا لذلك

التائبين بقبول توبتهم اذاأخلصوها (والله سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم واخلاصهم (ولايأتل) ولا يحلف من أ[لى]
اذا حلف افتعال من الالية أولايقصر من الألو (أولوالفضل منكم) فى الدين (والسعة) فى الدنيا (ان يؤتوا) [عل]ى
لايؤتوا ان كان من الالية (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) أى لايحلفوا على ان لايحسنوا الى المستحقين
للاحسان أولايقصروا فى أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية
اقترفوها (وليعفوا وليصفحوا) العفو الستر والصفح الاعراض أى وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة (ألا تحبون ان يغفرالله لكم) فليفعلوا بهم مايرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بادب الله واغفروا وارحموا نزلت فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لاينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى عائشة رضى الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قرأها النبى صلى الله عليه وسلم على أبى بكر قال بلى أحب ان يغفرالله لى ورد الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف

يحمله على التوبة وقبولها ﴿ والله سميع ﴾ لمقالتهم ﴿ عليم ﴾ بنياتهم ﴿ ولايأتل ﴾ ولا يحلف افتعال من الالية او ولايقصر من الألو ويؤيد الاول انه قرئ ولايتأل وانه نزل فى ابى بكر رضى الله عنه وقد حلف ان لاينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ﴿ اولوالفضل منكم ﴾ فى الدين ﴿ والسعة ﴾ فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر وشرفه رضى الله عنه ﴿ ان يؤتوا ﴾ على ان لايؤتوا او فى ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات ﴿ اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ﴾ صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ فى تعليل المقصود ﴿ وليعفوا ﴾ مافرط منهم ﴿ وليصفحوا ﴾ بالاغماض عنه ﴿ ألاتحبون ان يغفرالله لكم ﴾ على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روى انه عليه الصلاة والسلام قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ العفائف

﴿ والله سميع ﴾ أى لاقوالكم ﴿ عليم ﴾ أى بما فى قلوبكم * قوله عز وجل ﴿ ولايأتل ﴾ أى ولايحلف من الالية وهى القسم ﴿ أولوالفضل منكم والسعة ﴾ يعنى الغنى يعنى ابابكر الصديق ﴿ ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ﴾ يعنى مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبى بكر الصديق حلف أبوبكر ان لاينفق عليه فانزل الله هذه الآية ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ أى عن خوض مسطح فى أمر عائشة ﴿ ألاتحبون ﴾ يخاطب أبابكر ﴿ أن يغفرالله لكم والله غفور رحيم ﴾ فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر قال بلى انا أحب ان يغفرالله لى ورجع الى مسطح بنفقته التى كان ينفق عليه وقال والله لاأنزعها عنه أبدا وفى الآية أدلة على فضل أبى بكر الصديق لان الفضل المذكور فى الآية ذكره تعالى فى معرض المدح وذكره بلفظ الجمع فى قوله أولوالفضل وقوله الاتحبون ان يغفرالله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته ومنها انه احتمل الاذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال فى حق أبى بكر وليعفوا وليصفحوا فدل ان أبابكر كان ثانى اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع الاخلاق وفى الآية دليل على ان من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير ويكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه * قوله تعالى ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ أى العفائف

(والله سميع) لمقالتكم (عليم) بكم باعمالكم ثم نزل فى شأن أبى بكر حين حلف انه لاينفق على ذوى قرابته لقبل ماخاضوا فى أمر عائشة يعنى مسطحا وأصحابه فقال (ولايأتل) لاينبغى أن يحلف (أولوالفضل منكم) بالبذل (والسعة) بالمال (أن يؤتوا أولى القربى) ان لايؤتوا (الغافلات)
أى لايعطوا أولاينفقوا على ذوى القرابة وكان مسطح ابن خالته (والمساكين) وكان مسكينا (والمهاجرين فى سبيل الله) [فى]
طاعة الله وكان مهاجريا (وليعفوا) يتركوا (وليصفحوا) يتجاوزوا (ألاتحبون أن يغفرالله لكم) الاتحب ياأبابكر أن يغفرالله لك
(والله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب فقال أبوبكر بلى أحب يارب فألطف بقرابته وأحسن اليهم بعدما نزلت هذه الآية ثم نز[ل]
فى شأن عبدالله بن أبى وأصحابه الذين خاضوا فى أمر عائشة وصفوان فقال (ان الذين يرمون) بالزنا (المحصنات) الحرائر

(الـغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهـاء ولامكر لانهن لم يجربن الامور (المؤمنات) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضى الله عنهما هن أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع المؤمنات اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريدت عائشة رضى الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبى عليه الصلاة والسلام فكانه قذفهن (لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) جعل القـذفة ملعونين فى الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة ان لم يتوبوا والعامل فى (يوم تشهد عليهم) يعذبون وبالياء حمزة وعلى (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أى بما أفكوا أو بهتوا والعامل فى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذى هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبى يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بان ينتصب عـلى المدح (ويعلمون) عند ذلك (ان الله هو الحق المبين) لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضرورى ولم يغلظ الله تعالى فى القرآن فى شئ من المعاصى تغليظه فى افك عائشة رضى الله عنها فاوجز فى ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وماذاك الا ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض فى أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة فى أمر الافك

﴿الغافلات﴾ عما قذفن به ﴿المؤمنات﴾ بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن ابى ﴿لعنوا فى الدنيا والآخرة﴾ لما طعنوا فيهن ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل فى افك عائشة رضى الله عنها ﴿يوم تشهد عليهم﴾ ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف * وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل ﴿ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون﴾ يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ جزاءهم المستحق ﴿ويعلمون﴾ لمعاينتهم الامر ﴿ان الله هو الحق المبين﴾ الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه اوذو الحق البين اى العادل الظاهر

﴿الغافلات﴾ أى عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هى التى لا يقع فى قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضى الله عنها ﴿المؤمنات﴾ وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها ﴿لعنوا﴾ أى عذبوا ﴿فى الدنيا﴾ بالحد ﴿والآخرة﴾ أى وفى الآخرة بالنار ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ وهذا فى حق عبدالله بن أبى بن سلول المنافق وروى عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله فى الدنيا والآخرة قال ذلك لعائشة وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس فى ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا للآية ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ هذا قبل ان يختم على أفواههم ﴿وأيديهم وأرجلهم﴾ يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدى والارجل بما عملت فى الدنيا وهو قوله ﴿بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أى جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل ﴿ويعلمون ان الله هو الحق المبين﴾ أى الموجود الظاهر الذى بقدرته وجود كل شئ وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم فى الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبدالله بن أبى بن سلول كان يشك فى الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين * قوله عز وجل

(الغافلات) عن الزنا العفائف (المؤمنات) المصدقات بتوحيد الله يعنى عائشة (لعنوا) عذبوا (فى الدنيا) بالجلد (والآخرة) بالنار يعنى عبدالله بن أبى (ولهم عذاب عظيم) شديد أشد مما يكون فى الدنيا يعنى عبدالله بن أبى وأصحابه (يوم) وهو يوم القيامة (تشهد عليهم) على عبدالله بن أبى وأصحابه (ألسنتهم) بما قالوا (وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا (يومئذ) يوم القيامة (يوفيهم الله دينهم الحق) يوفرهم الله جزاء أعمالهم بالعدل (ويعلمون أن الله) يعنى أن ما قال الله فى الدنيا (هو الحق المبين) ونزل فيهم

ولقد برأ الله تعالى أربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم رضى الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآى العظام فى ك[تابه] المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها و بين تبرئة أولئك وماذلك الالاظهار علو منزلة رسوله والت[نبيه] على اناوة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبيثات) من القول تقال (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثو[ن]) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون) أى وأولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضى [الله] عنها ومارميت به من قول لايطابق حالها فى النزاهة وبالطيب ويجوز أن يكون اشارة الى أهل البيت وانهم مبرؤن مما يق[ول] أهل الافك وان يراد بالخبيثات الخبائث يتزوجن الخباث والخباث تتز[وج] الخبائث وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) مستأنف أوخبر بعد خبر (ورزق كريم) فى الجنة ودخل ابن عباس رضى الله عنهما على عائشة رضى الله عنها فى مرضها وهى خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لاتخافى لانك لاتقدمين الاعلى مغفرة ورزق كريم و تلا الآية فغشى عليها فرحا بماتلا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أعطيت تسعا ما أعطيهن امرأة نزل جبريل بصورتى فى راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام ان يتزوجنى وتزوجنى بكرا وماتزوج بكرا غيرى وتوفى عليه الصلاة والسلام ورأسه فى حجرى وقبر فى بيتى ولقد حفته الملائكة فى بيتى ﴿ ان ويترل عليه الوحى و أنا فى لحافه و أنا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذرى من

عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لامحالة ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ أى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله ﴿اولئك﴾ يعنى اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم اوالرسول وعائشة وصفوان رضى الله عنهم ﴿مبرؤن ممايقولون﴾ اذلو صدق لم تكن زوجته عليه السلام ولم يقرر عليها اوقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين اى مبرأون ممايقولون فيهم أو للخبيثين والخبيثات اى مبرأون من ان يقولوا مثل قولهم ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ يعنى الجنة ولقد برأ الله اربعة

﴿الخبيثات للخبيثين﴾ قال أكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من الناس ومثله ﴿والخبيثون﴾ اى من الناس ﴿للخبيثات﴾ من القول ﴿والطيبات﴾ أى من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لايليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لايليق الا بالطيب من الناس وعائشة لايليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح ومايليق بها وقيل معناه لايتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولايتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين بروها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبدالله بن أبى المنافق و الشاكين فى الدين والطيبات من النساء ﴿للطيبين والطيبون للطيبات﴾ يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿أولئك مبرؤن﴾ يعنى عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزهون ﴿مما يقولون﴾ يعنى أصحاب الافك ﴿لهم مغفرة﴾ أى عفو لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعنى الجنة روى

أيضا (الخبيثات) من القول والفعل (للخبيثين) من الرجال والنساء ويقال بهم تليق (والخبيثون) من الرجال والنساء (للخبيثات) [من] القول والفعل يتبعون ويقال بهم تليق ويقال الخبيثات من النساء حنة بنت جحش الاسدية التى خاضت فى أمر عائشة للخبيثين [من] الرجال عبدالله بن أبى وأصحابه وحسان بن ثابت تشبه والخبيثون من الرجال عبدالله بن أبى وأصحابه للخبيثات من النساء اللاتى خ[ضن] فى أمر عائشة تشبه (والطيبات) من القول والفعل (للطيبين) من الرجال والنساء ويقال بهم تليق (والطيبون) من الرجال والنس[اء] (للطيبات) من القول والفعل يتبعون ويقال بهم تليق ويقال والطيبات من النساء يعنى عائشة للطيبين من الرجال يعنى النبى صلى [الله] عليه وسلم تشبه والطيبون من الرجال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم للطيبات يعنى عائشة تشبه (أولئك) عائشة وصفوان (مبرؤن م[ما]) يقولون) عليهم من الفرية (لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (ورزق كريم) فى الجنة يقول اذا أثنى على الرجل والمرأة ثناء حسنا

بار بعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات الكريمة مع هذه المبالغات وماذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم ﴾ التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لايدخلان الا باذن ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او لا يؤذن له او من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس اوتتعرفوا هل ثمه انسان من الانس ﴿ وتسلموا على اهلها ﴾ بان تقولوا السلام عليكم أأدخل * وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات

ان عائشة كانت تفتخر باشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورتها فى سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروى انه أتى بصورتها فى راحته ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحى وهي معه فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء * قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا ﴾ أى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفى هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس فى اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل فى البيت انسان فيؤذنه انى داخل وقيل هو من آنست أى أبصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة أو يتنحنح حتى يعرف أهل البيت ﴿ وتسلموا على اهلها ﴾ بيان حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختلفوا فى أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أدخل سلام عليكم كما فى الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وكذا هو فى مصحف ابن مسعود وروى عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذى وعن ربعى بن حراش قال جاء رجل من بنى عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى البيت فقال أألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أأدخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن ابى سعيد وابى بن كعب عن ابى موسى قال أبو سعيد كنت فى مجلس من مجالس الانصار اذ جاء أبو موسى كانه مذعور فقال استأذنت على عمر

والتمت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان معتذرا فى حقها * حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل * حليلة خير الناس دينا و منصبا * نبي الهدى والمكرمات الفواضل * عقيلة حى من لؤى بن غالب * كرام المساعى مجدها غير زائل * مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل شين وباطل * (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أى بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنونها (حتى تستأنسوا) أى تستأذنوا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرأ به والاستئناس فى الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشئ اذا أبصره ظاهرا مكشوفا أى حتى تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح (وتسلموا على أهلها) والتسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له و الا رجع وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم و الا فالاستئذان

وكانا أهلا لذلك صدق به عليهما ويقول من سمعهما كذلك واذا أثنى على الرجل والمرأة الخبيثين ثناء سيأ وكانا اهلا له صدق به عليهما ويقول من سمعهما كذلك ثم نهاهم عن دخول بعضهم على بعض بغير اذن فقال (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) ليس لكم (قا و خا ٤٩ بع) ان تدخلوا بيوتا (حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها) ثم تستأنسوا فيقول

(ذلكم) أي الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن فكان الرجل م
أهل الجاهلية اذا دخل بيتا غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخ

فان اذن له دخل والا رجع ﴿ذلكم خير لكم﴾ اى الاستئذان أو التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة أو من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا أو حييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى عليه السلام أأستأذن على امى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ متعلق بمحذوف اى انزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم ﴿فان لم تجدوا فيها احدا﴾ يأذن لكم ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق أو كان فيه منكر ونحوها ﴿وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ ولا تلحوا ﴿هو ازكى لكم﴾ الرجوع

ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم قال ابى بن كعب فوالله لا يقوم معك الا الأصغر القوم فكنت اصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثانى مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع * عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن أو الايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور أخرجه أبو داود * وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن أخرجه ابو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم يسلم وقال ابو موسى الاشعرى وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روى عن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أستأذن على امى قال نعم فقال الرجل انى معها فى البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل انى خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك فى الموطأ مرسلا * وقوله تعالى ﴿ذلكم خير لكم﴾ أى فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهجم بغير اذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ أى هذه الآداب فتعملوا بها * قوله عز وجل ﴿فان لم تجدوا فيها﴾ أى فى البيوت ﴿أحدا﴾ أى يأذن لكم فى دخولها ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ أى فى الدخول ﴿وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ يعنى اذا كان فى البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما ﴿هو أزكى لكم﴾ أى الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فان للناس أحوالا

فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد (لعلكم تذكرون) أى قيل لكم هذا لكى تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به فى باب الاستئذان (فان لم تجدوا فيها) فى البيوت (أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من يأذن لكم أو فان لم تجدوا فيها أحدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن أهلها لان التصرف فى ملك الغير لا بد من أن يكون برضاه (وان قيل لكم ارجعوا) أى اذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تلحوا فى اطلاق الاذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة فاذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى اليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك وعن أبى عبيد ماقرعت بابا على عالم قط (هو أزكى لكم) أى الرجوع

ادخل مقدم ومؤخر (ذلكم) التسليم والاستئذان (خير لكم) واصلح (لعلكم تذكرون)

لكى تتعظوا فلا يدخل بعضكم على بعض بغير اذن (فان لم تجدوا فيها) فى البيوت (أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها) بغير اذن (وحاجات
(حتى يؤذن لكم) بالدخول (وان قيل لكم ارجعوا) ان ردوكم (فارجعوا) ولا تقوموا على أبواب الناس (هو) الرجوع (ازكى لكم

طيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة أو أنفع وأنمى خيرا (والله بما تعملون عليم) وعيد للمخاطبين بانه عالم بما
تون وما يذرون مما خوطبوا به فوف جزاءه عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا)

اطهر لكم مما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المرؤة او انفع لدينكم ودنياكم ﴿والله بما تعملون عليم﴾ فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ﴿ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾ كالربط والخانات والحوانيت ﴿فيها متاع﴾ استمتاع ﴿لكم﴾ كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها ﴿والله يعلم ماتبدون وما تكتمون﴾ وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو تطلع على عورات ﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم﴾ اى ما يكون نحو محرم

وحاجات يكرهون الدخول عليهم فى تلك الاحوال واذا حضر الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتى دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله لو أخبرتنى بمكانك فيقول هكذا أمرنا ان نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من حجر فى باب النبى صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل وفى رواية يحك به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لطعنت به فى عينك انما جعل الاذن من أجل البصر (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفى رواية للنسائى قال لو ان امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته ففقأت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة أخرى جناح ﴿والله بما تعملون عليم﴾ أى من الدخول بالاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ﴿ليس عليكم جناح﴾ أى اثم ﴿ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾ أى بغير استئذان ﴿فيها متاع لكم﴾ أى منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هى الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤووا أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم فى الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان وقيل هى جميع البيوت التى لا ساكن فيها لان الاستئذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استئذان ﴿والله يعلم ماتبدون وما تكتمون﴾ ❊ قوله تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ أى عما لا يحل النظر اليه قيل معناه يغضوا أبصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل اليه النظر وانما أمروا ان يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك ❊ عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ياعلى لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذى (م) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى

فى أن تدخلوا (بيوتا غير مسكونة) استثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت التجار (فيها متاع لكم) أى منفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ماتبدون وما تكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على

اصلح لكم من ان تقوموا على ابواب الناس (والله بما تعملون) من الاستئذان وغيره (عليم) ثم رخص لهم فى الدخول فى بيوت غير بيوتهم بغير اذن وهى الخانات على الطرق فقال (ليس عليكم جناح) حرج (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) ليس فيها ساكن معلوم مثل الخانات وغير ذلك (فيها متاع لكم) منفعة لكم من الحر والبرد فى الشتاء والصيف (والله يعلم ماتبدون) من الاستئذان والتسليم (وما تكتمون) من الجواب والاذن
أمرهم بحفظ العين والفرج فقال (قل للمؤمنين) يا محمد (يغضوا من أبصارهم) يكفوا أبصارهم عن الحرام ومن صلة فى الكلام

مايحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنا لان الزنا لارخصة فيه بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية وكفها وقدميها في رواية والى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين (ذلك) أى غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) أى أطهر من دنس الاثم (ان الله خبير بما يصنعون) فيه ترغيب وترهيب

انه خبير باحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فعليهم اذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر فى كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أمرن بغض الابصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبتيه وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر الى المرأة الا الى مثل ذلك وغض بصرها من الاجانب أصلا أولى بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين (ولا يبدين زينتهن) الزينة ماتزينت به المرأة من حلى أو كحل أو خضاب والمعنى لايظهرن مواضع الزينة وهى الحلى ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها لاظهارها وانتما لاظهار أعيانها وموضعها الرأس والاذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهى للاكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال (الى)

﴿ويحفظوا فروجهم﴾ الا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ﴿ذلك ازكى لهم﴾ انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ﴿ان الله خبير بما يصنعون﴾ لايخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة وسكون ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن﴾ فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ﴿ويحفظن فروجهن﴾ بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن

عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضى الرجل الى الرجل فى ثوب واحد ولا تفضى المرأة الى المرأة فى ثوب واحد * وقوله تعالى ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ أى عما لا يحل قال أبو العالية كل ما فى القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا فى هذا الموضع فانه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه * فان قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج * قلت فيه دلالة على ان أمر النظر أوسع الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وثديهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات فى البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكفاك ان أبيح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه * فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج * قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه ﴿ذلك أزكى لهم﴾ أى غض البصر وحفظ الفرج ﴿ان الله خبير بما يصنعون﴾ أى انه خبير باحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم * قوله عز وجل ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ اى عما لا يحل لهن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحرث اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يارسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه أخرجه الترمذى وأبو داود * قوله تعالى ﴿ولا يبدين﴾ أى يظهرن ﴿زينتهن﴾ أى لغير محرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب فى الرجل والسوار فى المعصم والقرط فى الاذن والقلائد فى العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبى النظر اليها والمراد من الزينة النظر

(ويحفظوا فروجهم) عن الحرام (ذلك) حفظ العين والفرج (ازكى) اصلح (لهم) وخير لهم (ان الله خبير بما يصنعون) من الخير والشر (وقل) يامحمد (للمؤمنات يغضضن) يكففن (من ابصارهن) عن الحرام ورؤية الرجال ومن ص فى الكلام (ويحفظن فروجهن) عن الحرام (ولا يبدين) ولا يظهرن (زينتهن) الدملوج والوشاح

(الاماظهر منها) الاماجرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان ففى سترها حرج بين فان المرأة لاتجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشى فى الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن

وليضربن من قولك ضربت بيدى على الحائط اذا وضعتها عليه (بخمرهن) جمع خمار (على جيوبهن) بضم الجيم مدنى وبصرى وعاصم كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن ان يسدلنها من قدامهن حتى تغطيهن (ولايبدين زينتهن) أى مواضع الزينة الباطنة كالصدور الساق والرأس ونحوها (الالبعولتهن) لازواجهن جمع بعل (أو آبائهن) ويدخل فيهم الاجداد (اوآباء بعولتهن) فقد صاروا محارم (أوأبنائهن) ويدخل فيهم النوافل (اوابناء بعولتهن) فقد صاروا محارم ايضا (اواخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة (اونسائهن) اى

(الاماظهر منها) من ثيابها (وليضربن بخمرهن) رخين قناعهن (على جيوبهن) على صدورهن ونحورهن وشددن ذلك ثم ذكر الزينة أيضا فقال (ولايبدين زينتهن) الدملوج والوشاح وغيرذلك (الالبعولتهن) أزواجهن (أو آبائهن) فى النسب أو اللبن (أو آباء بعولتهن) أو آباء ازواجهن (أوابنائهن) فى النسب أو اللبن (أو أبناء بعولتهن) ابناء أزواجهن من غيرهن (أواخوانهن) فى النسب أو اللبن (أو بنى اخوانهن) فى النسب أو اللبن (أو بنى اخواتهن) فى النسب أو اللبن (أونسائهن) نساء

مواضعها لمن لايحل ان تبدى له ﴿ الاماظهر منها ﴾ عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أومايعم المحاسن الخلقية والزينية والمستثنى هوالوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا فى الصلاة لافى النظر فان كل بدن الحرة عورة لايحل لغيرالزوج والمحرم النظر الى شئ منها الالضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضم الجيم ﴿ ولايبدين زينتهن ﴾ كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لايحل له ﴿ الالبعولتهن ﴾ فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن اوابنائهن أوابناء بعولتهن أواخوانهن أو بنى اخوانهن اوبنى اخواتهن ﴾ لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن مايبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم فى معنى الاخوان اولان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم ﴿ اونسائهن ﴾ يعنى المؤمنات فان الكافرات لايتحرجن عن وصفهن للرجال او

الى مواضعها من البدن ﴿ الاماظهر منها ﴾ أى من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعى الوجه والكفان وقال ابن مسعود هى الثياب وقال ابن عباس هى الكحل والخاتم والخضاب فى الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبى النظر اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيأ من ذلك غض البصر وانما رخص فى هذا القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه فى الصلاة وسائر بدنها عورة ﴿ وليضربن بخمرهن ﴾ أى ليلقين مقانعهن ﴿ على جيوبهن ﴾ أى موضع الجيب وهو النحر والصدر أى ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف أوخز أوكتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع ﴿ ولايبدين زينتهن ﴾ يعنى الخفية التى لم يبح لهن كشفها فى الصلاة ولا للاجانب وهى ماعدا الوجه والكفين ﴿ الالبعولتهن ﴾ قال ابن عباس لايضعن الجلباب والخمار الالازواجهن ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أوأبناء بعولتهن أوأخوانهن أوبنى أخوانهن أوبنى أخواتهن ﴾ فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولاينظرون الى مابين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدن زوجته غير أنه يكره له النظر الى فرجها ﴿ أونسائهن ﴾ أى المؤمنات من أهل دينهن أراد به أنه

الحرائر لان مطلق هذا اللفظ (او ماملكت أيمانهن) أ

النساء كلهن وللعلماء فى ذلك خلاف ﴿ أوماملكت ايمانهن ﴾ يعم الاماء والعبيد لماروى انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبى منها ﴿ أوالتابعين غيراولى الاربة من الرجال ﴾ أى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولايعرفون شيأ من امور النساء وقرأ ابن عامر وابوبكر غير بالنصب على الحال ﴿ أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾

يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الامابين السرة والركبة ولايجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أوالكافرة لان الله تعالى قال أونسائهن والذمية أوالكافرة ليست من نسائنا ولانها أجنبية فى الدين فكانت أبعد من الرجل الاجنبى كتب عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء ﴿ أوماملكت أيمانهن ﴾ قيل هو عبد المرأة فيجوزله الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الامابين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل هو كالاجنبى معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد ﴿ أوالتابعين غير أولى الاربة من الرجال ﴾ قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الاذا الاربة منهم فانهن لايبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غيرأولى الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لاهمة لهم الاذلك ولاحاجة لهم فى النساء وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذى لايستطيع غشيان النساء ولايشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصى وقيل هو الشيخ الهرم الذى ذهبت شهوته وقيل هو المخنث (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعرف ماههنا لايدخل عليكن فحجبوه زاد أبوداود فى رواية وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم قوله أقبلت باربع أى ان لها فى بطنها أربع عكن فهى تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ أى لم يكشفوا عن عورات النساء معهم من الصغر ولايعلمون من أمر الرجال والنساء شيأ فلابأس بان يرى زينتهن ﴿ للجماع

اماءهن ولايحل لعبدها ان ينظر الى هذه المواضع منها خصيا كان اوعنينا اوفحلا وقال سعيد بن المسيب لاتغرنكم سورة النور فانها فى الاماء دون الذكور وعن عائشة رضى الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها (او التابعين غير) بالنصب شامى ويزيد وابو بكر على الاستثناء اوالحال وغيرهم بالجر على البدل اوعلى الوصفية (اولى الاربة) الحاجة الى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولاحاجة لهم الى النساء لانهم بله لايعرفون شيأ من امرهن اوشيوخ صلحاء او العنين اوالخصى اوالمخنث وفى الاثر انه المجبوب والاول الوجه (من الرجال) حال (اوالطفل الذين) هو جنس فصلح ان يراد به الجمع (لم يظهروا على عورات النساء)

اهل دينهن المسلمات لانه لا يحل لها أن تراها متجردة يهودية أونصرانية أومجوسية (أوماملكت ايمانهن) من الاماء دون العبيد (أوالتابعين) لازواجهن (غيرأولى الاربة) الشهوة (من الرجال) والنساء يعنى الخصى والشيخ الكبير الفانى (أوالطفل) يعنى الصغير (الذين لم يظهروا) على عورات النساء) لم يطيقوا الجامعة مع النساء ولا النساء

لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشئ اذا اطلع عليه او لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوى عليه (لا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم انها ذات خال فنهين عن ذلك اذ سماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمى صوت الحلى وسواسا

لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ﴿ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن﴾ ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت ﴿وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون﴾ اذ لايكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما تذكر ﴿لعلكم تفلحون﴾ بسعادة الدارين وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون وفى الزخرف يا ايه الساحر وفى الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء فى الوصل فى الثلاثة وبفتحها ووقف ابو عمرو والكسائى عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الالف ﴿وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم﴾

الجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبى مالم يحتلم ﴿ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن﴾ قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة فى مشاهدتهن وقد علل ذلك قوله تعالى ليعلم مايخفين من زينتهن فنبه به على ان الذى لاجله نهى عنه أن يعلم به ما عليهن من الحلى وغيره ﴿وتوبوا الى الله جميعا﴾ أى من التقصير الواقع فى أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة فى هذه السورة قيل أن اوامر الله ونواهيه فى كل باب لايقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى ﴿أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (م) عن الاغر المزنية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة فى اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفرلى وتب على انك انت تواب الرحيم مائة مرة اخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشى (ق) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه * قوله عزوجل ﴿وأنكحوا الايامى منكم﴾ جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لازوج له من رجالكم ونسائكم ﴿والصالحين من عبادكم﴾ اى من عبيدكم ﴿وامائكم﴾ بيان حكم الآية الامر المذكور فى الآية امر

(وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون) ايه شامى اتباعا للضمة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء ولان بعدها الفا فى التقدير (لعلكم تفلحون) العبد لايخلو عن سهو وتقصير فى اوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتأميل الفلاح اذا تابوا وقيل احوج الناس الى التوبة من توهم انه ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على ان العصيان لاينافى الايمان (وأنكحوا الايامى منكم) الايامى جمع ايم وهو من لازوج له رجلا كان اوامرأة بكرا كان او ثيبا واصله ايائم فقلبت (والصالحين) اى الخيرين اوالمؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وامائكم) اى من غلمانكم وجواريكم والامر للندب اذ النكاح

هؤلاء بغير ريبة (ولا يضربن بأرجلهن) احداهما بالاخرى لتقرع الخلخال بالخلخال (ليعلم) لكى يعلم ويظهر (مايخفين من زينتهن) مايوارين من زينتهن يعنى الخلاخل عند الغريب (وتوبوا الى الله جميعا) من جميع الذنوب الصغائر والكبائر (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخط والعذاب ثم دلهم على تزويج البنين والبنات والاخوة والاخوات ممن ليس لهم ازواج فقال (وأنكحوا) زوجوا (الايامى منكم) بناتكم وأخواتكم ورجال بنيكم واخوانكم ممن ليس لهم أزواج (والصالحين من عبادكم) وزوجوا الصالحين من عبيدكم (وامائكم

لما نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح مخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لايستبدان به اذلو استبدا لما وجب على الولى والمولى وايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان أو انثى بكرا كان أو ثيبا قال

فان تنكحى انكح وان تتأيمى ٭ وان كنت افتى منكم اتأيم

وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ﴿ ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ رد لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لايمنعن

ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته ان يتزوج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع ايضا والوجاء بكسر الواو رض الانثيين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل ٭ عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيمة اخرجه ابو داود والنسائى (م) عن عبدالله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة اما من لاتتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى لعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعى وعند أصحاب الرأى النكاح أفضل قال الشافعى قد ذكر الله عبدا أكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذى لايأتى النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفى الآية دليل على ان تزويج الايامى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وأبى هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعى وعمر ابن عبد العزيز واليه ذهب الثورى والاوزاعى وعبدالله بن المبارك والشافعى واحمد واسحق وجوز أصحاب الرأى للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولى شرط فى النكاح ماروى عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكاح الابولى أخرجه أبو داود والترمذى ولهما عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان تشاجروا فالسلطان ولى من لاولى له ٭ وقوله تعالى ﴿ ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم

مندوب اليه (ان يكونوا فقراء) من المال (يغنهم الله من فضله) بالكفاية و القناعة او باجتماع الرزقين وفى الحديث التمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رضى الله عنه روى مثله

ان يكونوا) يعنى الاحرار (فقراء يغنهم الله من فضله) من رزقه

والله واسع)ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء وقيل فى الآية دليل على ان تزويج النساء والأيامى الى الاولياء كما ان تزويج العبيد والاماء الى الموالى قلنا الرجل لا يلى على الرجل الايم الا باذنه فكذا لا يلى على المرأة الا باذنها لان الايم ينتظمهما (وليستعفف الذين) وليجتهدوا فى العفة كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف (لا يجدون نكاحا) استطاعة تزوج من المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فأمر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغنى عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان تقدر عليه (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم) أى المماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء ومنصوب بفعل يفسره (فكاتبوهم) وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى ان تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك اوكتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق (قا و خا ٥٠ بع) ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاقه الامر

فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح اووعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام * اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروط بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ﴿ والله واسع ﴾ ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته ﴿ عليم ﴾ يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته ﴿ وليستعفف ﴾ وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة ﴿ الذين لا يجدون نكاحا ﴾ اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به وبالوجدان التمكن منه ﴿ حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ فيجدوا ما يتزوجون به ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض ﴿ مما ملكت ايمانكم ﴾ عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره ﴿ فكاتبوهم ﴾ او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية

الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ﴿ والله واسع ﴾ أى أنه ذو الافضال والجود ﴿ عليم ﴾ أى بما يصلح خلقه من الرزق * قوله تعالى ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا ﴾ أى ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة ﴿ حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ أى يوسع عليهم من رزقه ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ أى يطلبون المكاتبة ﴿ مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ﴾ سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فابى عليه فانزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين فى الحرب

بيان حكم الآية وكيفية المكاتبة

وذلك أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك فى نجمين أو فى نجوم معلومة فى كل نجم كذا فاذا أديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل فى يده من المال فهو له وتبعه أولاده الذين حصلوا فى الكتابة فى العتق واذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما فى يده من المال فهو لسيده لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(والله واسع) برزقه للحر والعبد (عليم) بارزاقهما (وليستعفف) عن الزنا (الذين لا يجدون نكاحا)سعة للتزويج (حتى يغنيهم الله من فضله) من رزقه نزلت فى حويطب بن عبد العزى فى شأن غلام له سأل كتابته فلم يكاتب (والذين يبتغون الكتاب)يطلبون منكم المكاتبة(مما ملكت أيمانكم) يعنى عبيدكم (فكاتبوهم

باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لايعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لم يوجد عند المحل ﴿ان علمتم فيهم خيرا﴾ امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز ﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيأ من اموالهم وفي معناه حط شئ

المكاتب عبد ما بقي عليه درهم أخرجه ابو داود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذى علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وان سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روى ان سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس بن مالك ان يكاتبه وكان كثير المال فابى فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فابى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم ﴿ان علمتم فيهم خيرا﴾ فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندب واستحباب ولا يجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعى لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق أن يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثورى وقيل مالا روى ان عبدا لسلمان الفارسى قال له كاتبنى قال ألك مال قال لا قال تريد أن تطعمنى أوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعى أظهر معانى الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فاحب ان لا يمتنع من المكاتبة اذا كان هكذا وعن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الاداء والناكح الذى يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله أخرجه الترمذى والنسائى وقيل معنى الخير أن يكون العبد عاقلا بالغا فاما الصبى والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبى المراهق ❁ وقوله تعالى ﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ قيل هو خطاب للموالى فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيأ وهو قول عثمان وعلى والزبير وجماعة وبه قال الشافعى ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول على ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعى قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب اظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أى سهمهم الذى جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث لجميع الناس على

وفي الرقاب وعند الشافعى رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة ربعه وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سأل صبيح مولاه حويطبا أن يكاتبه فأبى فنزلت واعلم ان العبيد أربعة قن مقتنى للخدمة ومأذون في التجارة ومكاتب وآبق فمثال الاول ولى العزلة الذى حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثانى ولى العشيرة فهو نجى الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطى في الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل في الغضب والرضا ميزانه والقصد في الفقر والغنى عنوانه والعلم مفزعه ومنجاه والقرآن كتاب الاذن من مولاه هو كائن في الناس بظواهره بائن منهم بسرائره فقد هجرهم فيما له عليهم

ان علمتم فيهم خيرا) صلاحا ووفاء (وآتوهم) أعطوهم بعني لجملة الناس (من مال الله الذى آتاكم) اعطاكم حتى يؤدوا مكاتبتهم ويقال حث المولى على ترك الثلث عن مكاتبه ثم نزل في شأن عبد الله بن أبى وأصحابه كان لهم ولائد (مؤنتهم)

الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهرا وماهو منهم بالعيش فيهم • ولكن معدن الذهب الرغام يأكل ما يأكلون يشرب مايشربون وما يدريهم انه ضيف الله يرى السموات والارض قائمات بامره وكانه قيل فيه

فان انفق الانام وأنت منهم • فان المسك بعض دم الغزال

فـال ولي العزلة أصفى وأحلى وحال ولي العشرة أوفى وأعلى ونزل الاول من الثاني في حضرة الرحمن منزلة النديم ن الوزير عند السلطان أما النبي عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع زلالين فباطن أحواله مهتدي ولي العزلة وظاهر أعماله مقتدي ولي العشرة والثالث المجاهد الحاطب العامل طالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه في اليوم والليلة خمس وفي المائتين درهما خمسة وفي السنة شهر وفي العمر زورة فكانه شترى نفسه من ربه بهذه النجوم

المرتبة فيسعى في فكاك رقبته ﴿سورة النور﴾ خوفا من البقاء في ربقة

من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضي الله تعالى عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ اماءكم ﴿على البغاء﴾ على الزنى كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنى وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ان اردن تحصنا﴾ تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز

مؤنتهم واختلف العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سواء ترك مالا أولم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة واليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء بما بقي عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وتتبعه أولاده وأكسابه كما في الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها مالم يعجز المكاتب عن أداء النجوم ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ أي اماءكم ﴿على البغاء﴾ أي الزنا ﴿ان أردن تحصنا﴾ الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجارية اذهبي فابغينا شيأ قال فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وفي رواية أخرى ان جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال له أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء

العبودية وطمعا في فتح باب الحرية ليسرح في رياض الجنة فيتمتع بمياه ويفعل مايشاؤه ويهواه والرابع الآبق فما أكثرهم فمنهم القاضي الجائر والعالم غير العامل والعامل المرائي والواعظ الذي لا يفعل مايقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل مالا ينفعه يصول فضلا عن السارق والزاني والغاصب فمنهم أخبر النبي عليه الصلاة والسلام ان الله لينصر هذا الدين بقوم لاخلاق لهم في الآخرة (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) كان لابن ابي ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة وأروى وقتيلة

يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر بغت (ان أردن تحصنا) تعففا عن الزنا وانما قيده بهذا الشرط لان الاكراه لا يكون الامع ارادة التحصن فآمر المطيعة للبغاء لايسمى مكرها ولا أمره اكراها ولانها نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة

يجبرونهن على الزنا لقبل كسبهن وأولادهن فنهاهم الله عن ذلك وحرم عليهم فقال (ولا تكرهوا) ولا تجبروا (فتياتكم) ولائدكم (على البغاء) على الزنا والفجور (ان أردن) بعد ما أردن (تحصنا) تعففا

وفيه توبيخ للموالى اى اذا رغبن فى التحصن فانتم أحق بذلك (لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) أى لتبتغوا باكراههن على الز
اجورهن أولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
أى لهن وفى مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله لهن والله ولعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذى يخاف منه التلف فكانت آثمة أولهم اذا تابوا (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء حجازى وبصرى وأبو بكر وحماد والمراد الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فى معانى الاحكام والحدود وجاز أن يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف أى أجرى مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسرها غيرهم أى بينت هى الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) ومثلا من أمثال من قبلكم أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضى الله عنها (وموعظة) ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذكم بهما

ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾ اى لهن اوله ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذا حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ﴿ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات﴾ يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص فى هذا وفى الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة رضى الله تعالى عنها فانها كقصة يوسف ومريم ﴿وموعظة

الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون انزلت فى عبدالله بن أبى بن سلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا الضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا أن ندعه فانزل الله هذه الآية وروى ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف العلماء فى معنى قوله ان أردن تحصنا على أقوال أحدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذى ذكر فى سبب نزول الآية فخرج النهى على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثانى انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغى بالطبع طوعا الثالث أن ان بمعنى اذا أى اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا كقوله وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أى اذا كنتم مؤمنين القول الرابع ان فى هذه الآية تقديما وتأخيرا تقديره وانكحوا الايامى منكم ان أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴿لتبتغوا﴾ أى لتطلبوا ﴿عرض الحيوة الدنيا﴾ أى من أموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن ﴿ومن يكرههن﴾ يعنى على الزنا ﴿فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾ يعنى بالمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله ❊ قوله تعالى ﴿ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات﴾ أى من الحلال والحرام ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ أى شبها من حالكم بحالهم أيها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين ﴿وموعظة

عن الزنا (لتبتغوا) لتطلبوا بذلك (عرض الحيوة الدنيا) من كسبهن وأولادهن (ومن يكرههن) يجبرهن يعنى اولائك على الزنا (فان الله من بعد اكراههن) وتوبتهن (غفور) {للمتقين} متجاوز (رحيم) بعد الموت (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) يقول أنزلنا جبريل الى نبيكم بآيات مبينات بالحلال والحرام والامر والنهى عن الزنا والفواحش (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) صفة الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين والكافرين (وموعظة)

تقين﴾ يعنى ماوعظ به فى تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد
لآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته ﴿الله نور السموات والارض﴾ النور فى الاصل
ية تدركها الباصرة اولا وبوساطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام
كثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لايصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد
رم بمعنى ذوكرم اوعلى تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى
رهما بالكواكب ومايفيض عنها من الانوار اوبالملائكة والانبياء اومدبرهما من قولهم
رئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور اوموجدهما فان النور
اهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله
بحانه وتعالى موجود بذاته موجد لماعداه اوالذى به يدرك اويدرك اهلهما من حيث
ه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له فى توقف الادراك عليه ثم على البصيرة
نها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات
المعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات
ست لذاتها والالما فارقتها فهى اذا من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه ابتداء اوبتوسط
ن الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضى الله عنهما معناه
ادى من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما
لى الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول
بهما ﴿مثل نوره﴾ صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على
ن اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره ﴿كمشكاة﴾ كصفة مشكاة وهى الكوة غير النافذة
﴿فيها مصباح﴾ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح

متقين﴾ أى المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر * قوله عز وجل
﴿الله نور السموات والارض﴾ قال ابن عباس معناه الله هادى السموات والارض فهم
وره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات
الارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه مزين السموات والارض
ين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين
لارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق
لمدح كما قال الشاعر

اذا سار عبدالله عن مرو ليلة ٭ فقد سار عنها نورها وجمالها

﴿مثل نوره﴾ أى مثل نور الله عز وجل فى قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به وقال
ن عباس مثل نوره الذى أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن أى مثل نور قلب
لمؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى
لطاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا ﴿كمشكوة﴾ هى الكوة
التى لامنفذ لها قيل هى بلغة الحبشة ﴿فيها مصباح﴾ أى سراج وأصله من الضوء

أى هم المنتفعون بها وان كانت موعظة للكل نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذونور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أى من الباطل الى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضىء له السموات والارض وجاز ان المراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أى صفة نوره العجيبة الشان فى الاضاءة (كمشكوة) كصفة مشكاة وهى الكوة فى الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أى سراج

نهيا (للمتقين) عن الزنا والفواحش ثم ذكر كرامته للمؤمنين ومنته عليهم فقال (الله نور السموات والارض) هادى أهل السموات والارض والهدى من الله على وجهين التبيان والتعريف ويقال الله مزين السموات بالنجوم والارض بالنبات والمياه ويقال الله منور قلوب أهل السموات وأهل الارض المؤمنين (مثل نوره) نور المؤمنين ويقال مثل نور الله فى قلب المؤمن (كمشكاة) ككوة (فيها مصباح) مقدم

ضخم ثاقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج شامي بكسر الراء (الزجاجة كأنها كوكب دري) مضيء بضم الـ
وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمرو وعلي كأنه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمز
أبو بكر وحمزة شبه في زهرته الدراري كالمشتري والز

ونحوهما (توقد) بالتخفيف حمزة وعلي وأبو بكر الزجاجة ويوقد بالتخفيف شامي ونافع وحفص ويوقد بالتشديد مكي وبصري أي هذا المصباح (من شجرة) أي ابتداء ثقوبه من زيت شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لانها نبتت في الارض التي بورك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام (زيتونة) بدل من شجرة نعتها (لا شرقية ولا غربية) أي منبتها الشأم يعني ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشأم وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس

ومؤخر يقول كمشكاة كمصباح وهو السراج (المصباح) السراج (في زجاجة) في قنديل من جوهر (الزجاجة)

الفتيلة المشتعلة ﴿المصباح في زجاجة﴾ في قنديل من الزجاج ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر اوفعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا ﴿توقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرأ ابن كثير وابو عمرو توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى

﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ من درأ الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال وفي ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل دري أي شديد الانارة نسب الى الدر في صفائه وحسنه وان كان الكوكب أضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدري أحد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وقيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب ﴿توقد﴾ أي اتقد المصباح ﴿من شجرة مباركة زيتونة﴾ أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو أصفى الادهان وأضوؤها وقيل انها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشأم لانها هي الارض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة أخرجه الترمذي ﴿قوله﴾ ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها لا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها أضوأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست في مقنأة لا تصيبها

القنديل في مشكاة وهي كوة غير نافذة بمعنى الجنبة (كأنها) يعني الزجاجة (كوكب دري) نجم مضيء من هذه (الشمس
الانجم الخمسة عطارد والمشتري والزهرة وبهرام وزحل هذه الانجم كلها درية (يوقد من شجرة) أخذ دهن القندي
من دهن شجرة (مباركة زيتونة) وهي شجرة الزيتون (لا شرقية ولا غربية) بفلاة على تلعة لا يصيبها ظل الشر
ولا ظل الغرب ويقال بمكان لا تصيبها الشمس حين طلعت

لانابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون اولا
ضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او فى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفى الحديث
لا خير فى شجرة ولا نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى ﴿ يكاد زيتها يضئ ولو لم
تمسسه نار ﴾ اى يكاد يضئ بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وميضه ﴿ نور على نور ﴾ نور
متضاعف فان نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة
لاشعته وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دل عليه الآيات
المبينات فى جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى
من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف
المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به
قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابى

الشمس ولا فى مضحاة لا يصيبها الظل فهى لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة
ليست فى شرق يضرها الحر ولا فى غرب يضرها البرد وقيل معناه هى شامية لان الشأم
وسط الارض لا شرقى ولا غربى وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لانها لو كانت
فى الدنيا لكانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره ﴿ يكاد زيتها يضئ ﴾ أى من
صفائه ﴿ ولو لم تمسسه نار ﴾ أى قبل أن تمسه النار ﴿ نور على نور ﴾ أى نور المصباح
على نور الزجاجة

فصل فى بيان التمثيل المذكور فى الآية

اختلف أهل العلم فى معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد
بلغت فى الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التى فيها زجاجة
صافية وفى تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية فى الصفاء والرقة والبياض فاذا
كان كذلك كان كاملا فى صفائه وصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل
لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار أخبرنى عن قوله تعالى مثل
نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة
قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هى شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله
عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم به أنه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضئ ولو لم تمسسه نار
وروى عن ابن عمر فى هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه
والمصباح النور الذى جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصرانى توقد من شجرة
مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
محمد بن كعب القرظى المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم أجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه
السلام لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعنى ابراهيم لم يكن يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى الى الشرق

فى وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشى جميعا فهى شرقية وغربية (يكاد زيتها) دهنها (يضئ ولو لم تمسسه نار) وصف الزيت بالصفاء والوميض وانه لتلألؤه يكاد يضئ من غير نار (نور على نور) أى هذا النور الذى شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوى النور وهذا لان المصباح اذا كان فى مكان متضائق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل أعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل يكون بدنئ محسوس معهود لا بعلى غير معاين ولا مشهود فابو تمام لما قال فى المأمون

ولا حين غربت (يكاد زيتها) زيت الشجرة (يضئ) من وراء قشرها (ولو لم تمسسه) وان لم تمسسه (نار نور على نور) فهو النور على النور المصباح نور والقنديل نور والزيت نور

مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي
به المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية
تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تد
الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم مالم تعلم وا
القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء الم
بقوله تعالى ه ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ه بالاشياء الخمسة المذ
في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمـ
لان محلها الكوى ووجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذ
والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار الـ
وانارتها بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الـ
والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديها الى ثمرات لانهاية لها والزيـ
المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لاتكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللو
الجسمية اولوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجا
والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من
تفكر ولاتعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن الـ

يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل
يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لـ
قلب المؤمن قال أبي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جـ
الله فيه من الايمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده
مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لاتصيبها الشمس اذا طلعت
اذا غربت وكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال ان أعـ
شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤ
يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال أبي أي فهو يتقلب في خـ
أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة و
ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل
تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعـ
بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور و
الكلبي نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا
القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة
المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء أي
المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل تكاد حجة القرآن تتضح وان لم
نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نز

اقدام عمرو في سماحة حاتم * وحلم أحنف في ذكاء اياس
قال ان الخليفة فوق من مثلتهم فقال مرتجلا

لاتنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

يهدي الله لنوره) أي هذا النور الثابت (من يشاء) من عباده أي يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله أو بنظره في الدليل (ويضرب الله الامثال للناس) تقريبا الى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شئ عليم) فيبين كل شئ بما يمكن ان يعلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة وقرأ أبي مثل نور المؤمن (في بيوت) يتعلق بمشكاة أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كائن في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بتوقد أي توقد في بيوت أو بيسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف أي سبحوا في بيوت

يهدي الله لنوره) يكرم الله بنوره يعني المعرفة ويقال يكرم الله بدينه (من يشاء) من كان أهلا لذلك ويقال مثل نوره نور محمد صلى الله عليه وسلم في اصلاب آبائه على هذا الوصف الى قوله ﴿سورة النور﴾ توقد من شجرة مباركة

مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث يتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضئ لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور ﴿يهدي الله لنوره﴾ لهذا النور الثاقب ﴿من يشاء﴾ فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ﴿ويضرب الله الامثال للناس﴾ ادناه للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا ﴿والله بكل شئ عليم﴾ معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن يكترث لها ﴿في بيوت﴾ متعلق بما قبله أي كمشكاة في بيوت أو توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحير أو مبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم اوتمثيلا

القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور وقوله تعالى ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة ﴿ويضرب الله الامثال للناس﴾ أي يبين الله الاشياء للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك ﴿والله بكل شئ عليم﴾ * قوله عز وجل ﴿في بيوت﴾ أي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس

يقول كان نور محمد في ابراهيم حنيفا مسلما زيتونة دين حنيفية لا شرقية ولا غربية لم يكن ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا يكاد زيتها يقول تكاد أعمال ابراهيم تضئ في أصلاب آبائه على هذا الوصف الى قوله توقد من شجرة مباركة يقول كانه نور محمد صلى الله عليه وسلم ولو لم تمسسه نار أي لو لم يكن ابراهيم نبيا لكان له هذا النور أيضا ويقال لو لم تمسسه نار لو لم يكرم الله ابراهيم لم يكن له هذا النور ويقال لو لم يكرم

الله عبده المؤمن بهذا النور لم يكن له (قا و خا ٥١ بع) هذا النور (ويضرب الله الامثال للناس) هكذا يبين الله صفة المعرفة للناس (والله بكل شئ) من كرامته لعباده (عليم) وهذا مثل ضربه الله للمعرفة وبين منفعتها ومدحها لكي يشكروا ويقول كما ان السراج نور يهتدى به كذلك المعرفة نور يهتدى بها وكما ان القنديل نور ينتفع به كذلك المعرفة نور يهتدى بها وكما ان الكواكب الدرية يهتدى بها في ظلمات البر والبحر كذلك المعرفة يهتدى بها في ظلمات الكفر والشرك وكما ان دهن القنديل من زيتونة مباركة كذلك المعرفة من الله تعالى لعبده وكما ان الزيتونة لا شرقية ولا غربية كذلك دين المؤمن حنفي لا يهودي ولا نصراني وكما ان زيت الشجرة نور مضئ وان لم تصبه النار فكذلك شرائع ايمان المؤمنين ممدوح وان لم يكن معها غيرها من الفضائل وكما ان السراج والقنديل والمشكاة نور على نور كذلك المعرفة نور وقلب المؤمن نور وصدره نور ومدخله نور ومخرجه نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء يكرم الله بهذا النور من كان أهلا لذلك فهذا وصف الله للمعرفة (في بيوت) يقول هذه القناديل معلقة في بيوت

(أذن الله) أي أمر (ان ترفع) تبنى كقوله بناها رفع سمكها فسواها ذ

لصلاة المؤمنين أو ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المرا
ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو يسبح وفيه تكرير مؤكد لا
يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمرا
المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم ﴿اذن الله ان تر
بالبناء او التعظيم ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباح
في احكامه ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ ينزهونه اى يصلون له فيها بالغدوات
والعشيات والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقر
والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وابو بكر وعاصم يسبح بالفتح على اسن
الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما دل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث ا
ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو ﴿لا تلهيهم تجارة﴾ لا تشغلهم معاملة راب
﴿ولا بيع عن ذكر الله﴾ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة أو با
ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالت
الشراء فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا

المساجد بيوت الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل ا
بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقد
بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس
التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا ﴿أذن الله أن ترفع﴾ أى تبنى وقيل ت
فلا يذكر فيها الخنى من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال ابن ع
يتلى فيها كتابه ﴿يسبح له فيها﴾ أى يصلى له فيها ﴿بالغدو والآصال﴾ أى بالغداة والعشي قال ا
التفسير اراد به الصلاة المفروضة فالتي تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالآ
صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل ارا
الصبح والعصر ✻ عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البرد
دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغ
صلاة الضحى والآصال صلاة العصر ✻ عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى
عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كاجر الحاج الم
ومن خرج الى مسجد الى تسبيح الضحى لا يعنيه الا ذلك كان أجره كاجر المعتمر وص
على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين أخرجه أبو داود ﴿رجال﴾ قيل خ
الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة
جماعة ﴿لا تلهيهم﴾ أى لا تشغلهم ﴿تجارة﴾ وقيل خص التجارة بالذكر لانها أع
ما يشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان ا
التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجل
والبيع ما يبيعه الرجل على يده ﴿ولا بيع﴾ أى ولا يشغلهم بيع ﴿عن ذكر الله﴾

ابراهيم التو عد من لربه
أو تعظم وعن الحسن
ما أمر الله ان ترفع بالبناء
ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها
اسمه) يتلى فيها كتابه أو هو
عام في كل ذكر (يسبح له فيها
بالغدو والآصال) أى يصلى
له فيها بالغداة صلاة الفجر
وبالآصال صلاة الظهر
والعصر والعشاءين وانما وحد
الغدو لان صلاته واحدة وفي
الآصال صلوات والآصال
جمع أصل جمع أصيل وهو
العشي (رجال) فاعل يسبح
يسبح شامي وأبو بكر ويسند
الى أحد الظروف الثلاثة
أعني له فيها بالغدو ورجال
مرفوع بما دل عليه يسبح
أى يسبح له (لا تلهيهم)
لا تشغلهم (تجارة) في السفر
(ولا بيع) في الحضر وقيل
التجارة الشراء اطلاقا لاسم
الجنس على النوع أو خص
البيع بعدما عم لانه أوغل في
الالهاء من الشراء لان الربح
في البيعة الرابحة متيقن
وفي الشراء مظنون (عن
ذكر الله) باللسان والقلب

وبقال بيوت (أذن الله)
أمر الله (ان ترفع) أن تبنى
وهي المساجد (ويذكر فيها)
في المساجد (اسمه) توحيده
(يسبح له) يصلي له (فيها) في المساجد (بالغدو) غدوة صلاة الفجر (والآصال) عشية صلاة الظهر والعصر والمغرب (حد
والعشاء (رجال لا تلهيهم) لا تشغلهم (تجارة) في الجلب (ولا بيع) يدا بيد (عن ذكر الله) عن طاعة الله ويقال عن الاوقات

(واقام الصلوة) أى وعن اقامة الصلاة التاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما قلبت الواو الفا اجتمع الفان فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فادخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام التاء فسقطت (وايتاء الزكوة) أى وعن ايتاء الزكاة والمعنى لاتجارة لهم حتى تلهيهم كاولياء العزلة أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلاة قاموا اليها غير متثاقلين كاولياء العشرة (يخافون يوما) أى يوم القيامة ويخافون حال من الضمير فى تلهيهم أو صفة أخرى لرجال (تتقلب فيه القلوب) ببلوغها الى الحناجر (والابصار) بالشخوص والزرقة أو تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفران والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله) أى يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أى ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أى يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل فى حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه فالمذكور

...له وفيه ايماء بانهم تجار ﴿واقام الصلوة﴾ عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله

واخلفوك عد الامر الذى وعدوا

﴿وايتاء الزكوة﴾ مايجب اخراجه من المال للمستحقين ﴿يخافون يوما﴾ مع ماهم عليه من الذكر والطاعة ﴿تتقلب فيه القلوب والابصار﴾ تضطرب وتتغير من الهول أو تتقلب احوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقه وتبصر الابصار مالم تكن تبصر أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من أى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ﴿ليجزيهم الله﴾ متعلق بيسبح أو لاتلهيهم أو يخافون ﴿احسن ماعملوا﴾ احسن جزاء ماعملوا الموعود لهم من الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ اشياء لم يعدهم بها على اعمالهم ولم تخطر ببالهم ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ...

...حضور المساجد لاقامة الصلوات ﴿وأقام الصلوة﴾ يعنى اقامة الصلاة فى وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لايكون من مقيمى الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان فى السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة ﴿وايتاء الزكوة﴾ يعنى المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لايحبسونها ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار﴾ يعنى ان هؤلاء الرجال وان بالغوا فى ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بانهم ماعبدوا الله حق عبادته قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع فى النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من أى ناحية يؤخذ بهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل تتقلب القلب فى الجوف فيرتفع الى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج وتتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدته ﴿ليجزيهم الله أحسن ماعملوا﴾ يعنى انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ماعملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهى الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لايجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعمائة ضعف ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى يجزيهم أحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله ※ قوله تعالى

(واقام الصلوة) تمام الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها فى مواقيتها (وايتاء الزكوة) أى أداء زكاة أموالهم (يخافون) عذاب يوم وهو يوم القيامة (تتقلب فيه القلوب والابصار) حالا بعد حال يعرفون حينا ولا يعرفون حينا (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) باحسان ماعملوا فى الدنيا (ويزيدهم من فضله) من كرامته بواحده تسعة (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بلاتقتير ولان

فى قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو مايرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الارض
ماء يجرى (بقيعة) بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كجيرة فى جار (يحسبه الظمآن) يظنه العطشان (
اذا جاءه) اى جاء الى ماتوهم انه ماء (لم يجده شيأ) كما ظنه (ووجد الله) أى جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيما أى يجد مغفرته
(عنده) عند الكافر (فوفاه حسابه) أى أعطاه جزاء عمله وافيا كاملا وحد بعد تقد
حالا على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لانه لايحتاج الى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب أو قريب حسابه لان ماهو آت قريب شبه مايعمله من لايعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ماقدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد مارجاء ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتمسا للدين فى الجاهلية فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات

المشيئة وسعة الاحسان ﴿ والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة ﴾ والذين كف
حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مـ
فى العاقبة كالسراب وهو مايرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيـ
انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجـ
وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة ﴿ يحسبه الظمآن ماء ﴾ أى العطشان وتخصيـ
لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة ﴿ حتى اذا جاءه ﴾ جاء ماتوهمه
أو موضعه ﴿ لم يجده شيأ ﴾ مما ظنه ﴿ ووجد الله عنده ﴾ عقابه أو زبانيته أو وجـ
محاسبا اياه ﴿ فوفاه حسابه ﴾ استعراضا أو مجازاة ﴿ والله سريع الحساب ﴾ لايشـ
حساب عن حساب روى انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية والتمـ
الدين فلما جاء الاسلام كفر ﴿ أو كظلمات ﴾ عطف على كسراب وأو للتخيير فان اعما
لكونها لاغية لامنفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المترا
من لجج البحر والامواج والسحاب أو للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسرا

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ لما ضرب مثلا لحال المؤمن وانه فى الد
والآخرة فى نور وانه فائز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب و
شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر فى البرارى يظنه من رآه ماء فاذا قرب
لم ير شيأ والقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب ﴿ يحسبه ﴾ أ
يتوهمه ﴿ الظمآن ﴾ أى العطشان ﴿ ماء حتى اذا جاءه ﴾ أى جاء ماقدر انه ماء وقـ
جاء الى موضع السراب ﴿ لم يجده شيأ ﴾ أى لم يجده على ماقدر وظنه ووجه التشـ
ان الذى يأتى به الكافر من أعمال البر يعتقد ان له ثوابا عند الله وليس كذا
فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقا
العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذ
اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب فى البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شـ
فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده أغنى عنه شيأ ولا نفـ
﴿ ووجد الله عنده ﴾ أى وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله ﴿ فوفاه حسابه ﴾ اى جز
عمله ﴿ والله سريع الحساب ﴾ معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحـ
عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى ﴿ أو كظلمات ﴾ أعلم الله سبحـ
وتعالى ان أعمال الكفار ان كانت حسنة فهى كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهـ

هنداز ولامنة (والذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أعمالهم) مثل أعمالهم فى الآخرة
(كسراب بقيعة) فى بقاع من الارض (يحسبه الظمآن ماء) العطشان ماء من البعد (حتى اذا جاءه لم يجده شيأ) (كظلمات)
من الشراب فكذلك لايجد الكافر من ثواب عمله شيأ يوم القيامة (ووجد الله عنده) ووجد عند الله عقوبة ذنوبه ويقال وجد الله
مستعدا لعذابه (فوفاه حسابه) فوفره عذابه (والله سريع الحساب) شديد العذاب ويقال اذا حاسب فحسابه سريع (أو كظلمات

ذي) أو هنا كاوفي أو كصيب (لجي) عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر (يغشاه) يغشى البحر او من فيه أي يعلوه
وطيه (موج) هو ما ارتفع من الماء (من فوقه موج) اى من فوق الموج موج آخر (من فوقه سحاب) من فوق الموج الاعلى سحاب
(ظلمات) أي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج
الموج وظلمة السحاب على الموج ﴿٤٠٥﴾ (اذا أخرج يده) أي الواقع فيه {سورة النور} (لم يكد يراها) مبالغة في لم يرها

وان كانت قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا وكالسراب في الآخرة ﴿ في بحر لجي ﴾ ذي لج أي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء ﴿ يغشاه ﴾ يغشى البحر ﴿ موج من فوقه موج ﴾ أي امواج مترادفة متراكمة ﴿ من فوقه ﴾ من فوق الموج الثاني ﴿ سحاب ﴾ غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ﴿ ظلمات ﴾ أي هذه ظلمات ﴿ بعضها فوق بعض ﴾ وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى أو باضافة السحاب اليها في رواية البزي ﴿ اذا اخرج يده ﴾ وهي أقرب ما يرى اليه ﴿ لم يكد يراها ﴾ لم يقرب ان يراها فضلا ان يرها كقوله ذي الرمة

اذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا ﴾ ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها ﴿ فما له من نور ﴾ بخلاف الموفق الذي له نور على نور ﴿ ألم تر ﴾ ألم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي أو الاستدلال ﴿ ان الله

كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات ﴿ في بحر لجي ﴾ أي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه ﴿ يغشاه ﴾ أي يعلوه ﴿ موج من فوقه موج ﴾ أي متراكم ﴿ من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ﴾ معناه ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى ﴿ اذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ أي لم يقرب ان يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من أقرب شيء يراه الانسان قال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال ابى بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة الى النار ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار * قوله عز وجل ﴿ ألم تر ان الله

أي لم يقرب ان يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيأ ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيأ كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان في الايقان (أن الله

في بحر لجي) يقال مثل النكرة في قلب الكافر كظلمة في بحر لجي في غمر عميق (يغشاه) يعلوه يعني البحر (موج من فوقه موج) آخر (من فوقه) من فوق الموج الثاني (سحاب)

كان قلب الكافر مثل النكرة في قلبه كظلمة البحر ومثل قلبه كالبحر اللجي ومثل صدره كالموج الهائل ومثل أعماله كسحاب لا ينتفع به بل الله ختم الله طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فهذه (ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها) من شدة الظلمة فكذلك الكافر لا يبصر الحق والهدى من شدة ظلمة قلبه (ومن لم يجعل الله له نورا) معرفة في الدنيا (فما له من نور) معرفة في الآخرة ويقال ومن لم يكرمه الله بالايمان في الدنيا فما له من ايمان في الآخرة (ألم تر) ألم تخبر في القرآن يا محمد (ان الله

يسبح له من فى السموات والارض والطير)عطف على من (صافات)حال من الطير اى باسطات اجنحتهن فى الهواء (كل قد علم صلاته وتسبيحه) ضمير فى الكل اولله وكذا فى صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كأنهم بأسرار لم يطلعهم ... يهتدون اليها (والله عليم بما يفعلون) لايعزب عن علمه شئ (ولله ملك السموات والارض) لانه خالقهما ومن ملك شيأ فيتملكه بيده (والى الله المصير) مرجع الكل (ألم تر أن الله يزجى) يسوق الى حيث يريد (سحابا) جمع سحابة دليله (ثم يؤلف بينه) وتذكيره لفظ أى يضم بعضه الى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبل فى جبل (وينزل) وينزل مكى ومدنى وبصرى (من السماء) لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من التبعيض لان

يسبح له) يصلى لله (من فى السموات) من الملائكة (والارض) من المؤمنين (والطير) ويسبح الطير (صافات) مفتوحات الاجنحة (كل) كل واحد منهم (قد علم صلاته) من يصلى له (وتسبيحه) من يسبح ويقال قد علم الله صلاة من يصلى وتسبيح من يسبح (والله عليم بما يفعلون) من خير والشر

(ولله ملك) خزائن (السموات) المطر (والارض) النبات (والى الله المصير)المرجع بعد الموت (ألم تر) ألم تخبر ... فيها) فى القرآن يا محمد (أن الله يزجى) يسوق (سحابا ثم يؤلف بينه) يضم بين السحاب (ثم يجعله ركاما)بعضه على بعض يقول يجعله ركاما ثم يؤلفه مقدم ومؤخر (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) ينزل من خلال السحاب (وينزل من السماء من جبال

يسبح له من فى السموات والارض ﴾ ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء والملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال ﴿ والطير ﴾ على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله ﴿ صافات ﴾ فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف فى الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره ﴿ كل ﴾ كل واحد مما ذكر أو من الطير ﴿ قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ أى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا أو طبعا لقوله تعالى ﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾ أو علم كل على تشبيه حاله فى الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه يبعد ان يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة فى اسباب تعيشها لاتكاد تهتدى اليها العقلاء ﴿ ولله ملك السموات والارض ﴾ فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب ﴿ والى الله المصير ﴾ والیه مرجع الجميع ﴿ ألم تر ان الله يزجى سحابا ﴾ يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز ﴿ ثم يجعله ركاما ﴾ متراكما بعضه فوق بعض ﴿ فترى الودق ﴾ المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ من فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله ﴿ وينزل من السماء ﴾ من الغمام وكل ما علاك فهو سماء ﴿ من جبال

يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات ﴾ أى باسطات اجنحتهن فى الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من فى السموات والارض ﴿ كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ قيل الصلاة لبنى آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه ﴿ والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض ﴾ اى ان جميع الموجودات ملكه وفى تصرفه وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واجد الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها احد سواه ﴿ والى الله المصير ﴾ اى والى الله مرجع العباد بعد الموت ﴿ قوله تعالى ﴿ ألم تر ان الله يزجى ﴾ أى يسوق ﴿ سحابا ﴾ بامره الى حيث يشاء من ارضه وبلاده ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ اى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض ﴿ ثم يجعله ركاما ﴾ أى متراكما بعضه فوق بعض ﴿ فترى الودق ﴾ أى المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ أى من وسطه وهو مخارج القطر ﴿ وينزل من السماء من جبال

نزله الله بعض تلك الجبال التى (فيها) فى السماء (من برد) للبيان أو الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل برد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال أي بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الارض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) ى يصيب الانسان وزرعه (و يصرفه عمن يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذبه (يكاد سنا برقه) ضوئه (يذهب بالابصار) يخطفها يذهب يزيد على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما فى الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان فى ذلك) فى ازجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار (لعبرة لاولى الابصار) لذوى العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من فى السموات

فيها﴾ من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها أو جمودها ﴿من برد﴾ بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لابد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله ﴿فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء﴾ والضمير للبرد ﴿يكاد سنا برقه﴾ ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع ﴿يذهب بالابصار﴾ بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال قدرته من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص احدهما وزيادة الآخر أو بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك ﴿ان فى ذلك﴾ فيما تقدم ذكره ﴿لعبرة لاولى الابصار﴾ لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته

فيها من برد﴾ قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان فى السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال فى الكثرة من برد * فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة * قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التى فى السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد ﴿فيصيب به﴾ أى البرد ﴿من يشاء﴾ فيهلكه وأمواله ﴿و يصرفه عمن يشاء﴾ أى فلا يضره ﴿يكاد سنا برقه﴾ أى ضوء برق السحاب ﴿يذهب بالابصار﴾ أى من شدة ضوئه وبريقه ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ أى يصرفهما فى اختلافهما وتعاقبهما فيأتى بالليل ويذهب بالنهار ويأتى بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر ويذمونه فى أشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم * وقوله تعالى ﴿ان فى ذلك﴾ أى الذى ذكر من هذه الاشياء ﴿لعبرة لاولى الابصار﴾ أى دلالة لاهل العقول

فيها من برد) يقول ينزل من جبال فى السماء بردا (فيصيبه) فيعذب الله بالبرد (من يشاء) من كان أهلا لذلك (ويصرفه) يصرف عذابه (عمن يشاء) يكاد سنا برقه) ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) من شدة نوره (يقلب الله الليل والنهار) يذهب بالليل ويجئ بالنهار ويذهب بالنهار ويجئ بالليل فهذا تقليبهما (ان فى ذلك) فيما ذكرت من تقليب الليل والنهار وغير ذلك (لعبرة) لعلامة (لاولى الابصار) فى الدنيا ويقال

والارض ومايطير بينهماودعاءهم له وتسخير السحاب الى آخر ماذكر فهى براهين لائحة على وجوده دلائل واضحة على ...
لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى (والله خلق كل) خالق كل حمزة وعلى (دابة) كل حيوان يدب على وجه الا...
(من ماء) اى من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة ...
هوام ومنها بهائم ومنها الناس وهو كقوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وهذا دليل على ...
خالقا ومدبرا والا لم تختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء فى وجعلنا من الماء كل شىء حى لان المقصود ثمة ان أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا ان أول ماخلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فاعطى ماوراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثمة قيل (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية والحوت وسمى الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال فى الامر المستمر قد مشى هذا الامر أو على طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالبهائم وقدم ماهو أعرف فى القدرة وهو الماشى بغير آلة مشى من أرجل أو غيرها ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع (يخلق الله مايشاء) كيف (ان

وتنزهه عن الحاجة ومايفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة ﴿والله خلق كل دابة﴾ حيوان يدب على الارض ٭ وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة ﴿من ماء﴾ هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات مالا يتولد عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق ﴿فمنهم من يمشى على بطنه﴾ كالحية وانما سمى الزحف مشيا على الاستعارة أو المشاكلة ﴿ومنهم من يمشى على رجلين﴾ كالانس والطير ﴿ومنهم من يمشى على اربع﴾ كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ماهو اعرف فى القدرة ﴿يخلق الله مايشاء﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور

والبصائر على قدرة الله وتوحيده ٭ قوله عز وجل ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ أى من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد فى الدنيا ولا تدخل فيه الملائكة والجن لانا لانشاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم ﴿فمنهم من يمشى على بطنه﴾ أى كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك ﴿ومنهم من يمشى على رجلين﴾ يعنى مثل بنى آدم والطير ﴿ومنهم من يمشى على أربع﴾ يعنى كالبهائم والسباع ٭ فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة ٭ قلت ذلك الخلق من غير نطفة لابد ان يكون من شىء وذلك الشىء أصله من الماء فكان من الماء ٭ فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فيا استعمل فى غير العقلاء ٭ قلت ذكر الله تعالى مالا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لان جعل الشريف أصلا والخسيس تبعا أولى ٭ فان قلت لم قدم مايمشى على بطنه على غيره من المخلوقات ٭ قلت قدم الاعجب والاعرف فى القدرة وهو الماشى بغير آلة المشى وهى الارجل والقوائم ثم ذكر مايمشى على رجلين ثم مايمشى على أربع ٭ فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفى الحيوانات مايمشى على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلا ومالا أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمادها على أربع فى المشى ٭ والباقى تبع لها ﴿يخلق الله مايشاء﴾ أى مما لا يعقل ولا يعق...

فى العين (والله خلق كل دابة) على وجه الارض (من ماء) من ماء الذكر والانثى (فمنهم من يمشى على بطنه) ا...
وأشباهها (ومنهم من يمشى على رجلين) الانسان وأشباهه (ومنهم من يمشى على أربع) الدواب (يخلق الله مايشاء) كما يشاء

(ان الله على كل شئ قدير) لا يتعذر عليه شئ (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء) بفضله ومشيئته
(الى صراط مستقيم) الى دين الاسلام الذى يوصل الى جنته والآيات لالزام حجته لما ذكر انزال الآيات ذكر بعده
تفرق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون
وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) بألسنتهم (وأطعنا)
الرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك)

أى من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أى المخلصين وهو اشارة الى القائلين آمنا واطعنا لا الى الفريق المتولى وحده وفيه اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا اعتقادهم ما يعتقد هؤلاء والاعراض وان كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم (واذا دعوا الى الله ورسوله) أى الى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد (ليحكم) الرسول (بينهم

(ان الله على كل شئ قدير) من الخلق وغيره (لقد أنزلنا آيات مبينات) يقول أنزلنا جبريل بآيات مبينات بالامر والنهى (والله يهدى) يرشد الى دينه (من يشاء) ويكرم من كان أهلا لذلك (الى صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام ثم نزل فى شأن قوم عثمان بن عفان قالوا لعثمان لا تذهب مع على للقضاء (ق و خا ٥٢ بع) عند النبى صلى الله عليه وسلم فى خصومة فى قطعة أرض بينهما لانه يميل اليه فذمهم الله بذلك وقال (ويقولون) قوم عثمان بن عفان (آمنا بالله وبالرسول) صدقنا بالله وبالرسول (وأطعنا) ما أمرنا به (ثم يتولى فريق) طائفة (منهم) من قوم عثمان (من بعد ذلك) من بعد ما قالوا هذه الكلمة عن حكم الله (وما أولئك بالمؤمنين) بالمصدقين فى ايمانهم (واذا دعوا الى الله) الى كتاب الله (ورسوله ليحكم) الرسول (بينهم) بكتاب

والاعضاء والهيآت والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ فيفعل ما يشاء ﴿لقد انزلنا آيات مبينات﴾ للحقائق بانواع الدلائل ﴿والله يهدى من يشاء﴾ بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول﴾ نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبى عليه الصلاة والسلام وقيل فى مغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى ارض فابى ان يحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿واطعنا﴾ أى واطعناهما ﴿ثم يتولى﴾ بالامتناع عن قبول حكمه ﴿فريق منهم من بعد ذلك﴾ بعد قولهم هذا ﴿وما اولئك بالمؤمنين﴾ اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم أو الى الفريق المتولى منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان أو الثابتون عليه ﴿واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أى ليحكم النبى صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا أو المدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة

﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ أى هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام ﴿والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾ يعنى الى دين الاسلام الذى هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته * قوله تعالى ﴿ويقولون﴾ يعنى المنافقين ﴿آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ أى يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ أى يعرض عن طاعة الله ورسوله ﴿من بعد ذلك﴾ أى من بعد قولهم آمنا ويدعو الى غير حكم الله قال الله تعالى ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ نزلت هذه الآية فى بشر المنافق كان بينه وبين يهودى خصومة فى أرض فقال اليهودى نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فنزل الله هذه الآية ﴿واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أى الرسول يحكم بحكم الله بينهم

اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما فى أرض فجعل اليهودى يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا (وان يكن لهم الحق) أى اذا كان الحق لهم على غيرهم (يأتوا اليه) الى الرسول (مذعنين) حال أى مسرعين فى طاعة طلبا لحقهم لا رضا بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق والعدل يمتنعون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم فى ذمة الخصم (أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) قسم الامر فى صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين فى أمر نبوته خائفين الحيف فى قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله (بل اولئك هم الظالمون) أى لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة اليه (انما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما فى التعريف و ان يقولوا أوغل بخلاف قول المؤمنين (اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم) النبى عليه الصلاة والسلام ليحكم أى ليفعل الحكم (بينهم) بحكم الله الذى أنزل عليه (ان يقولوا سمعنا) قوله (وأطعنا) أمره (وأولئك

حكم الله تعالى ﴿ اذا فريق منهم معرضون ﴾ فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم بذلك لا يحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه ﴿ وان يكن لهم الحق ﴾ أى لا عليهم ﴿ يأتوا اليه مذعنين ﴾ منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا أو لمذعنين وتقديمه للاختصاص ﴿ أفى قلوبهم مرض ﴾ كفر أو ميل الى الظلم ﴿ أم ارتابوا ﴾ بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك ﴿ أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ فى الحكومة ﴿ بل اولئك هم الظالمون ﴾ اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم أو فى الحاكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم أو متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته صلى الله عليه وسلم يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه ﴿ انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واو

﴿ اذا فريق منهم معرضون ﴾ يعنى عن الحكم وقيل عن الاجابة ﴿ وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين ﴾ أى مطيعين منقادين لحكمه أى اذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه لعلمهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا ﴿ أفى قلوبهم مرض ﴾ أى كفر ونفاق ﴿ أم ارتابوا ﴾ أى شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك ﴿ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ أى يظلم ﴿ بل اولئك هم الظالمون ﴾ أى لانفسهم باعراضهم عن الحق قوله عز وجل ﴿ انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ﴾ أى الى كتاب الله ﴿ ورسوله ليحكم بينهم ﴾ هذا تعليم أدب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغى ان يكونوا وهو ﴿ ان يقولوا سمعنا ﴾ أى الدعاء ﴿ وأطعنا ﴾ أى بالاجابة ﴿ وأولئك

الله بحكم الله (اذا فريق) طائفة (منهم معرضون) عن كتاب الله وحكم الرسول (وان يكن لهم) لقوم عثمان (الحق) (يأتوا اليه) الى النبى صلى الله عليه وسلم (مذعنين) مسرعين طائعين (أفى قلوبهم مرض) شك ونفاق (أم ارتابوا) شكوا بالله وبرسوله (أم يخافون) أيخافون (أن يحيف الله) يجور الله (عليهم ورسوله) فى الحكم (بل أولئك هم الظالمون) الضارون لانفسهم وكانوا منافقين فى السر ثم ذكر قول المخلصين فقال (انما كان قول المؤمنين) المخلصين كقول عثمان قال لعلى بن أبى طالب امض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قضى لنا رضيت به فمدحه الله بذلك وقال انما كان قول المخلصين (اذا دعوا الى الله) الى كتاب الله (ورسوله) وسنة رسوله (ليحكم) الرسول (بينهم) بكتاب الله بحكم الله (ان يقولوا سمعنا) أجبنا (وأطعنا) ما أمرنا (وأولئك

ى) الفائزون(ومن يطع الله) فى فرائضه(ورسوله) فى سننه (ويخش الله) على مامضى من ذنوبه (ويتقه)
ش (فاولئك هم الفائزون) وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهى جامعة لاسباب
تقه بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر بنية اوقف وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة حفص وبكسر القاف والهاء
(قسموا بالله جهد ايمانهم) أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين لانهم بذلوا فيها جهودهم وجهد يمينه مستعار من
ه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال
ف جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهد فحذف الفعل وقدم المصدر
فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى لئن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا (قل لاتقسموا) لاتحلفوا كاذبين لانه معصية (طاعة معروفة) أمثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف أى الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لايشك فيها ولايرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها (ان الله خبير بما تعملون) يعلم

المحون ﴾ على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ماينبغى بعد انكاره
ل وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى
الحكم ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ فيما يأمرانه أو فى الفرائض والسنن
وش الله ﴾ على ماصدر عنه من الذنوب ﴿ ويتقه ﴾ فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون
ن بالاياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف
ف ﴿ فاولئك هم الفائزون ﴾ بالنعيم المقيم ﴿ واقسموا بالله جهد ايمانهم ﴾ انكار
ع عن حكمه ﴿ لئن امرتهم ﴾ بالخروج عن ديارهم واموالهم ﴿ ليخرجن ﴾
و لاقسموا على الحكاية ﴿ قل لاتقسموا ﴾ على الكذب ﴿ طاعة معروفة ﴾ اى المطلوب
ك طاعة معروفة لااليمين والطاعة النفاقية المنكرة أو طاعة معروفة امثل منها أولتكن
ع قرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ﴿ ان الله خبير بما تعملون ﴾ فلايخفى عليه سرائركم

ى هذه صفته ﴿ هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ﴾ قال ابن عباس فيما ساءه وسره
ش الله ﴾ أى ماعمل من الذنوب ﴿ ويتقه ﴾ أى فيما بعد ﴿ فاولئك هم
فائزون ﴾ أى الناجون * قوله تعالى ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ قيل جهد
م أن يحلف بالله ولايزيد على ذلك شيأ ﴿ لئن أمرتهم ليخرجن ﴾ وذلك ان المنافقين
وانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا
ت أقمنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله
والنبى صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا
كيف لانرضى بحكمك فقال الله تعالى ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لاتقسموا ﴾ أى لاتحلفوا وتم
كلام ثم ابتدأ فقال ﴿ طاعة معروفة ﴾ أى هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد
وهى معروفة أى امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون مالاتفعلون وقيل
طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لايوافقها الفعل ﴿ ان الله
خبير بما تعملون ﴾ أى من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل

هم المفلحون) الناجون من
العذاب يعنى عثمان بن عفان ونزل فى عثمان أيضا لقوله والله لئن شئت يارسول الله لاخرجن من مالى كله
(ومن يطع الله ورسوله) فى الحكم (ويخش الله) فيما مضى (ويتقه) فيما بقى (فأولئك هم الفائزون)
بالجنة ونجوا من النار (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) حلف بالله عثمان جهد يمينه (لئن أمرتهم ليخرجن) من ماله كله
يامحمد (لاتقسموا) لاتحلفوا (طاعة معروفة) هى طاعة معروفة حسنة ان فعلتم ولكن اطيعوا طاعة معروفة
فى أوجبت عليكم (ان الله خبير بما تعملون) من الخير والشر

ما في سرائركم والحفي عليه من سرائركم وانه فضحكم لامحالة ومجازيكم على نفاقكم (قل أطيعوا الله وأطيعوا
صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات هو أبلغ في تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه ماحمل وعليكم
... وانضررتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ماحمله الله تعالى وكلفه من أداء
ذي مخرج عن عهدة تكليفه واما أنتم فعليكم ما كلفتم من تلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم
سخط الله وعذابه (وان تطيعوه تهتدوا) أي وان اطعموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم
والضرر في توليكم والنفع
وماعلى الرسول الا أن يبلغ ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ومن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعيض (ليستخلفنهم في الارض) أي أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح العموم لقوله عليه الصلاة والسلام ليدخلن هذا الدين على مادخل عليه الليل (كما استخلف) استخلف ابوبكر (الذين من قبلهم وليمكنن لهم

(قل) يامحمد القوم عثمان (اطيعوا الله) في الفرائض

﴿ قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول ﴾ امر بتبليغ ماخاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في ... ﴿ فان تولوا فانما عليه ﴾ أي على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ماحمل ﴾ من التبليغ ﴿ وعليكم ﴾ ... من الامتثال ﴿ وان تطيعوه ﴾ في حكمه ﴿ تهتدوا ﴾ الى الحق ﴿ وماعلى الرسول الا ... المبين ﴾ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى واتما بقي ماحملتم فان اديتم فلكم وان توليتم ... ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾ خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ... أوله ومن معه ومن للبيان ﴿ ليستخلفنهم في الارض ﴾ ليجعلنهم خلفاء متصرفين في ... تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليس... أو الوعد في تحققه منزل منزلة القسم ﴿ كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ يعني بني ... استخلفهم في مصر والشأم بعد الجبابرة وقرأ ابوبكر بضم التاء وكسر اللام واذا ا... الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤا كسروا الالف ﴿ وليمكنن لهم

﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ يعني بقلوبكم وصدق نياتكم ﴿ فان تولوا ﴾ أي أ... عن طاعة الله ورسوله ﴿ فانما عليه ﴾ أي على الرسول ﴿ ماحمل ﴾ أي ما كلف وأمر به ... الرسالة ﴿ وعليكم ماحملتم ﴾ أي ما كلفتم من الاجابة والطاعة ﴿ وان تطيعوه تهتدوا ﴾ أي تصيبوا الحق والرشد في طاعته ﴿ وماعلى الرسول الا البلاغ المبين ﴾ أي التبليغ البين ﴿ قوله عز وجل ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ﴾ قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه و... بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لايفارق أحد منهم سلاحه فقال ر... أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها ﴿ كما ... الذين من قبلهم ﴾ أي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما ... بني اسرائيل واهلك الجبابرة بمصر والشأم وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿ وليمكن

(وأطيعوا الرسول) في السنن والحكم (فان تولوا) أعرضوا عن طاعتهما (فانما عليه ما حمل) ما أمر من التبليغ (وعليكم ما حملتم) ما أمرتم من الاجابة (وان تطيعوه) تطيعوا النبي فيما أمركم (تهتدوا) من الضلالة (وماعلى الرسول الا البلاغ المبين (وعد الله الذين آمنوا منكم) يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (ليستخلفنهم في ... بعضهم على أثر بعض (كما استخلف الذين من قبلهم) من بني اسرائيل يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ويقال لننزلنهم كما أنزلنا الذين من قبلهم من بني اسرائيل أرضهم بعدما أهلك عدوهم (وليمكنن لهم) ليظهرن لهم

دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم)وليبدلنهم بالتخفيف مكى وأبو بكر (من بعد خوفهم أمنا) وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض و يجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشأم بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن لهم دين المرتضى و هو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتعضيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ماياتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لاتغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة و ملكوا خزائنهم و استولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون فى ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله فى تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنهم (يعبدوننى) ان جعلته استئنافا فلا محل له كأنه قيل مالهم يستخلفون و يؤمنون فقال يعبدوننى موحدين ويجوز ان يكون حالا بدل من الحال الاولى وان جعلته حالا عن وعدهم أى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم فمحله النصب (لايشركون بى شيأ) حال من فاعل يعبدون أى يعبدوننى موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الاولى

دينهم الذى ارتضى لهم ﴾ وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت ﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم ﴾ من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف ﴿ امنا ﴾ منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة بالاخبار عن الغيب على ماهو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذلم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة ﴿ يعبدوننى ﴾ حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن ﴿ لايشركون بى شيأ ﴾ حال من الواو أى يعبدوننى

دينهم الذى ارتضى ﴾ أى اختاره ﴿ لهم ﴾ قال ابن عباس يوسع لهم فى البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان ﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى ﴾ آمنين ﴿ لايشركون بى شيأ ﴾ فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا فى الارض (خ) عن عدى بن حاتم قال بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال ياعدى هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحدا الا الله قلت فيما بينى و بين نفسى فأين دعار طيئ الذين قدسعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف الا الله وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ماقال أبو القاسم صلى الله

(دينهم الذى ارتضى لهم) رضى واختار لهم (وليبدلنهم) بمكة (من بعد خوفهم) من العدو (أمنا) بعد هلاك عدوهم (يعبدوننى) لكى يعبدونى بمكة (لايشركون بى شيأ)من الاوثان

غير مشركين ﴿ومن كفر﴾ ومن ارتد أو كفر هذه النعمة ﴿بعد ذلك﴾ بعد الوعد أو حصول الخلافة ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات أو كفروا مثل النعمة العظيمة ﴿وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول﴾ في سائر ما أمركم به ولا يبعد عطف ذلك على أطيعوا الله فإن الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها أو بالمندرجة هي فيه بقوله ﴿لعلكم ترحمون﴾ كما علق به الهدى ﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض﴾ لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى كما هو في القراءة بالتاء أو الذين كفروا فاعل والمعنى ولا يحسبن الكفار في الارض احدا

عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا خ وفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان في ايامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين ✲ عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمن اثنتي عشرة سنة وعلي ستا قال علي قلت لحماد القائل لسعيد امسك سفينة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمن اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وبهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلي كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الائمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم ✲ وقوله تعالى ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ أي العاصون قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمن فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا ✲ عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال لما أريد قتل عثمن جاء عبد الله بن سلام فقال عثمن ما جاء بك قال جئت في نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فانك خارجا خير لي منك داخلا فخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمن أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا ✲ قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ أي افعلوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة ﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين﴾ أي فائتين عنا ﴿في الارض﴾

(ومن كفر بعد ذلك) أي بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بأنعم الله (فأولئك هم الفاسقون) هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها قالوا أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمن رضي الله عنه فاقتتلوا بعد ما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلوة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وان طال (وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول) فيما يدعوكم اليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها (لعلكم ترحمون) أي كي ترحموا فانها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض)

(ومن كفر بعد ذلك) التمكين والتبديل (فأولئك هم الفاسقون) العاصون (وأقيموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) أعطوا زكاة أموالكم (وأطيعوا الرسول) في سنتكم (لعلكم ترحمون) لكي ترحموا فلا تعذبوا (لا تحسبن) يا محمد (الذين كفروا) كفار مكة (معجزين في الارض) فائتين في الارض من عذاب الله (و)

ن فأتين الله بان لايقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا
معجزين وبالياء شامي وحمزة والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان
الذين كفروا و معجزين (ومأواهم النار) معطوف على لاتحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار (ولبئس المصير) أى المرجع النار (ياايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أمر بأن يستأذن العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أى الاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وقرئ بسكون اللام تخفيفا (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة وهى (من قبل صلوة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة

(ثلاث مرات) فى ثلاث ساعات (من قبل صلوة الفجر) من حين ينفجر الصبح الى حين تصلى صلوة الفجر

يعجز الله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه أو لايحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث ﴿ومأواهم النار﴾ عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ﴿ولبئس المصير﴾ المأوى الذى يصيرون اليه ﴿ياايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روى ان غلام اسماء بنت ابى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعوا عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لايدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ﴿ثلاث مرات﴾ فى اليوم والليلة مرة ﴿من قبل صلوة الفجر﴾ لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات أو الرفع

ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾ قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ﴾ قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى اسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم واللام لام الامر وفيه قولان أحدهما انه على الندب والاستحباب والثانى انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت أيمانكم يعنى العبيد والاماء ﴿ والذين لم يبلغوا الحلم منكم ﴾ من الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهم اتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ وغيره [illegible] فاذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال أبو حنيفة يكون بالغا حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعى وأبو يوسف ومحمد واحمد فى الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجرى عليه الاحكام وان لم يحتلم ﴿ ثلاث مرات ﴾ أى ليستأذنوا فى ثلاثة أوقات ﴿ من قبل صلوة الفجر

(ومأواهم) مصيرهم (النار) فى الآخرة (ولبئس المصير) صاروا اليه مع الشياطين نزلت هذه الآية فى أبى جهل وأصحابه ثم نزل حين قال عمر رضى الله عنه وددت أن الله نهى ابناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا فى العورات الثلاث الا باذن فقال (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ليستأذنكم) فى الدخول عليكم (الذين ملكت أيمانكم) العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم) الاحلام (منكم) من أحراركم

(وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهي نصف النهار في القيظ لانها وقت وضع الثياب للقيلولة (ومن بعد صلوة العشاء) وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم (ثلاث عورات لكم) أي هي أوقات ثلاث عورات فحذف المـ[ضاف] والمضاف وبالنصب كوفي غير حفص بدلا من ثلاث مرات أي اوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الاحـ[وال] عورة لان الانسان يختل تستره فيها والعورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدلج بن عمرو على [عمر] رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه وددت أن الله نهى عن الدخـ[ول] في هذه الساعات الا باذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عذرهم في ترك الاستئذان [وراء] هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) أي لا اثم عليكم ولا على المذكو[رين] في الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الاوقات بقوله (طوافون عليكم) أي هم طوافون بحوائج البيت (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض) تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التي قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لافضى الى الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص (كذلك يبين الله لكم الآيات) أي كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التي احتجتم الى بيانها (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) في بيان

خبر محذوف أي هي من قبل صلاة الفجر ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ لمتقضـ[ى] للقيلولة ﴿من الظهيرة﴾ بيان للحين ﴿ومن بعد صلوة العشاء﴾ لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ﴿ثلاث عورات لكم﴾ أي هي ثلاث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره مابعده واصل العورة الخلل ومنه اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ماينافي آية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين ﴿طوافون عليكم﴾ أي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاث وغيرها بانها عورات ﴿بعضكم على بعض﴾ بعضكم طائف على بعض أو يطوف بعضكم على بعض ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التبيين ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ أي الاحكام ﴿والله عليم﴾ باحوالكم ﴿حكيم﴾ فيما شرع لكم

وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ﴾ أي وقت المقيل ﴿ ومن بعد صلوة العشاء ﴾ وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الانسا[ن] مالا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وغـ[ير] العبيد والصبيان يستأذن في جميع الاوقات ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ سميت هذه الاوقا[ت] عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ﴿ ليس عليكم ولا عليهم ﴾ يعـ[ني] العبيد والخدم والصبيان ﴿ جناح ﴾ أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿ بعدهن ﴾ أي بعد هذه الاوقات الثلاثة ﴿ طوافون عليكم ﴾ أي العبيد والخدم يترددون ويدخلو[ن] ويخرجون في أشغالكم بغير اذن ﴿ بعضكم على بعض ﴾ أي يطوف بعضكم على بعـ[ض] ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴾ اختلف العلماء في حكم هذه الآ[ية]

(وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) عند القيلولة الى ان تصلي صلاة الظهر (ومن بعد صلوة العشاء) الاخيرة [ا]لى [ا]لليل الى حين طلوع الفجر (ثلاث عورات) ثلاث خلوات (لكم) ثم رخصهم بعد ذلك في الدخول عليهم بغير [اذن] فقال (ليس عليكم) على أرباب البيوت (ولا عليهم) على الابناء والخدام الصغار دون الكبار (جناح) [اثم] (بعدهن) بعد هذه الثلاث العورات (طوافون عليكم) للخدمة (بعضكم على بعض) يدخل بعضكم على بعض بغير اذن وأما الكـ[بار] من العبيد والابناء فينبغي لهم أن يستأذنوا بالدخول على آبائهم ومماليكهم في كل حين (كذلك) هكذا (يبين) [الله] لكم الآيات) الامر والنهي كما بين الله هذا (والله عليم) أعلم بصلاحكم (حكيم) حكم

(واذا بلغ الاطفال منكم) أي الاحرار دون المماليك (الحلم) أي الاحتلام أي اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم
(فليستأذنوا) في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا
في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم في الدخول
الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن
وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم) فيما يبين من الاحكام (حكيم) بمصالح الانام (والقواعد) جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والحائض أي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (من النساء) حال (اللاتي لا يرجون نكاحا) يطمعن فيه وهي في محل الرفع صفة للمبتدأ وهي القواعد والخبر

﴿واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين قبلهم﴾ من الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان ﴿والقواعد من النساء﴾ العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل ﴿اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ لا يطمعن فيه لكبرهن

فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة أن نفرا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله تعالى بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفي رواية عنه ...ه وزاد فرأى ان ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى ابن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم بيتا واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية وقوله عز وجل ﴿واذا بلغ الاطفال منكم الحلم﴾ أي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا ﴿فليستأذنوا﴾ أي يستأذنوا في جميع الاوقات في الدخول عليكم ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ أي الاحرار الكبار ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ أي دلالته وقيل أحكامه ﴿والله عليم﴾ أي بأمور خلقه ﴿حكيم﴾ بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فانما أنزلت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره * قوله ﴿والقواعد من النساء﴾ يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن ﴿اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ أي لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتي اذا رآهن الرجال استقذروهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية

عليكم بالاستئذان للصبيان الصغار في العورات الثلاث ثم ذكر الكبار دون الصغار
(واذا بلغ الاطفال منكم) من أحراركم (قا و خا ٥٣ بع) وعبيدكم (الحلم) الاحتلام (فليستأذنوا) عليكم في كل حين (كما استأذن الذين من قبلهم) من اخوانهم المذكورين (كذلك) هكذا (يبين الله لكم آياته) أمره ونهيه كما بين هذا (والله عليم) بحكم (حكيم) حكم على الكبار بالاستئذان في كل حين (والقواعد من النساء) العجائز (اللاتي) يئسن من المحيض اللاتي (لا يرجون نكاحا) لا يتزوجهن ولا يحتجن الى الزوج

(فليس عليهن جناح) اثم ودخلت الفاء لما فى المبتدأ من معنى الشرط بسبب الالف واللام (ان يضعن) فى أبد
(ثيابهن) أى الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار (غير)حال (متبرجات بزينة) أى غير مظهرات ز
يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أى لايقصدن بوضع الثي
ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه (وأن يستعففن) أى يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ خبره (خير لهن والله سميع) لمايعلن (عليم) بما يقصدن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لاتكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة

﴿ فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن ﴾ أى الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان ا
فى القواعد بمعنى اللاتى اولوصفها به ﴿ غير متبرجات بزينة ﴾ غير مظهرات زينة مما
باخفائه فى قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة با
لاغطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لايغيب منه
الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ﴿ وان يستعففن خير لهن ﴾
الوضع لانه ابعد من التهمة ﴿ والله سميع ﴾ لمقالتهن للرجال ﴿ عليم ﴾ بمقصودهن ﴿
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ نفى لما كا

﴿ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ﴾ أى عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلب
والرداء الذى فوق الثياب والقناع الذى فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه ﴿ غير متبرج
بزينة ﴾ أى من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو أن تظ
المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره ﴿ وأن يستعففن ﴾ أى فلا يلقين الجلباب
الرداء ﴿ خير لهن والله سميع عليم ﴾ ❊ قوله عزوجل ﴿ ليس على الاعمى حرج
اختلف العلماء فى هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتأك
أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والع
وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله عزوجل عن أكل الاموال بالباطل والا
لايبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لايتمكن من الجلوس ولايستطيع المزاحمة
الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفى من الطعام حقه فانزل الله هذا الآ
فعلى هذا التأويل يكون على بمعنى فى أى ليس فى الاعمى والمعنى ليس عليكم فى مؤاك
الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهو
عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الاعمى يقول ربما آ
اكثر من ذلك ويقول الاعرج والاعمى ربما أجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزل
ترخيصا لهؤلاء فى الاكل من بيوت من سماهم الله فى باقى الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون
الرجل فى طلب الطعام فاذا لم يكن عنده شئ ذهب بهم الى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض
من سمى الله تعالى فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير ب
فانزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولو
لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لاندخ
وأصحابها غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء فى التخل
عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله ﴿ ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج

(فليس عليهن) على العجائز (جناح) حرج (أن يضعن ثيابهن) من ثيابهن الرداء عند الغريب (غير متبرجات بزينة) من غير أن يتزين أن يظهرن ماعليهن من الزينة عند الغريب (وأن يستعففن) بالرداء عند الغريب (خير لهن من) أن يضعنه (والله سميع) لمقالتهن (عليم) بأعمالهن ثم نزل حين تحرجوا من المؤاكلة مع بعضهم بعضا مخافة الظلم لما (وقول
أنزل قوله يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بالظلم وخافوا من ذلك فرخص لهم المؤاكلة مع بعضهم بعض
(ليس على الاعمى حرج) يقول ليس على من أكل مع الاعمى حرج مأثم (ولا على الاعرج حرج) ليس على من أك
الاعرج حرج مأثم (ولا على المريض حرج) وليس على من أكل مع

(لاعلى أنفسكم) اى حرج (ان تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت أولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا
الاولاد فى الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لابيك أو بيوت أزواجكم لان الزوجين صارا كنفس
صار بيت المرأة كبيت الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت
أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم او بيوت خالاتكم) لان الاذن من
هؤلاء ثابت دلالة (أوما ملكتم مفاتحه) جمع مفتح وهو مايفتح به الغلق قال ابن عباس رضى الله عنهما هو وكيل الرجل و قيمه فى ضيعته وماشيته له أن يأكل من ثمر ضيعته و يشرب من لبن ماشيته وأريد بملك المفاتح كونها فى يده وحفظه وقيل أريد به بيت عبده لان العبد ومافى يده لمولاه (أوصديقكم) يعنى أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك فى مودته وتصدقه فى مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ماشاء فاذا حضر مولاها فاخبرته أعتقها سرورا بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس

جون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع
المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل
ان لايكون ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت
آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم
صاحب البيت بأذن اوقرينة اوكان فى اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لاتدخلوا
بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام *وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد وهو
لاثم ماقبله ولا مابعده ﴿ ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم ﴾ من البيوت التى فيها
ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت
ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان اطيب مايأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ﴿ أو بيوت
آبائكم أو بيوت امهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت اعمامكم أو بيوت عماتكم
أو بيوت اخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه ﴾ وهو مايكون تحت ايديكم وتصرفكم
من ضيعة أو ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو مايفتح به
وى مفاتحه ﴿ أو صديقكم ﴾ أو بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم

قوله تعالى ﴿ ولا على أنفسكم ﴾ كلام مستأنف قيل لما نزلت ولاتأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل قالوا لايحل لاحدنا أن يأكل عند أحد فانزل الله تعالى ولا على أنفسكم أن
تأكلوا من بيوتكم ﴾ أى لاحرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم
وبيوت أزواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أراد بيوت أولادكم ونسب بيوت
الاولاد الى الآباء لما جاء فى الحديث أنت ومالك لابيك ﴿ أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم
أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت اعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم
أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه ﴾ قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته
وماشيته لابأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولايحمل ولايدخر
وقيل يعنى بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتح الخزائن
ويجوز أن يكون المفتاح الذى يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلابأس أن يأكل
الشئ اليسير وقيل ماملكتم مفاتحه أى ماخزنتموه عندكم وماملكتموه ﴿ أو صديقكم ﴾
والصديق هوالذى صدقك فى المودة قال ابن عباس نزلت فى الحرث بن عمرو خرج
غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده
مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان آكل من

المريض حرج مأثم (ولا على أنفسكم) حرج مأثم (ان تأكلوا من بيوتكم) من بيوت أبنائكم بغير اذن بالعدل
والانصاف (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم) من كل وجه (أو بيوت أخواتكم) من كل وجه (أو بيوت
أعمامكم) اخوة آبائكم (أو بيوت عماتكم) أخوات آبائكم (أو بيوت أخوالكم) اخوة أمهاتكم (أو بيوت خالاتكم)
أخوات أمهاتكم (أوماملكتم مفاتحه) خزائن ماعندكم من المال يعنى العبيد والاماء (أوصديقكم) فى الخلطة نزل أوصديقكم
فى مالك بن زيد والحرث بن عمار

فلايؤكل الابأذن (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين جمع شت نزلت فى بنى ليث

وكانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل

من يؤاكله أكل ضرورة أوفى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لايأكلون الامع ضيفهم أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أى فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة أو بيوتا فارغة أو مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب بسلموا لانها فى معنى تسليما نحو قعدت جلوسا (من عند الله) أى ثابتة بامره مشروعة من لدنه أولان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والحيا من عند الله (مباركة طيبة) وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق

وكانا صديقين (ليس عليكم جناح) مأثم (أن تأكلوا جميعا) مجتمعين بالعدل والانصاف (أو أشتاتا) متفرقين ودخل فى هذه الآية الاعمى والاعرج والمريض وغير ذلك (فاذا دخلتم بيوتا) يعنى بيوتكم أو المساجد وليس فيها أحد (والاه... (فسلموا على أنفسكم) فقولوا السلام علينا من ربنا (تحية من عند الله) كرامة من الله لكم (مباركة) بالثواب (طيبة) بالمغفرة

واسربه وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب... باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانهم يعتادون التبسط بينهم او كان ذلك فى اول الا... فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لاقطع بسرقة مال المحرم ﴿ ليس عليكم جنا... تأكلوا جميعا أو اشتاتا ﴾ مجتمعين أو متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة ... يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لايأ... الامعه او فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى القزازة والا... ﴿ فاذا دخلتم بيوتا ﴾ من هذه البيوت ﴿ فسلموا على انفسكم ﴾ على اهلها الذين هم دينا وقرابة ﴿ تحية من عند الله ﴾ ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان تكون صلة للتحية فانه طلب الحياة وهى من عنده تعالى وانتصابها على المصدر لانها بمعنى الت... ﴿ مباركة ﴾ لانها ترجى بها زيادة الخير والثواب ﴿ طيبة ﴾ يطيب بها نفس المستمع... انس رضى الله عنه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه يطل ... واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك فصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الا...

طعامك بغير اذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح أن تأ... من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا ﴿ ... عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ﴾ نزلت فى بنى ليث بن عمرو وهم حى من ... كان الرجل منهم لايأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والط... بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها ... يأتى من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد احدا أكل وقال ابن عباس كان الغنى يدخل ... الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله انى لاجنح أى أ... ان آكل معك وانا غنى وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى قوم من الانصار كانوا لايأكلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف ... جميعا أى مجتمعين أو أشتاتا أى متفرقين ﴿ فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم ﴾ ... ليسلم بعضكم على بعض هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته ... قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ... فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ور... وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن فى البيت أحد فقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل ا... ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس فى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على ا... قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴿ تحية من عند الله م... طيبة ﴾ قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثوا...

(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لكى تعقلوا وتفهموا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع) أى الذى يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير فى الحرب وكل اجتماع فى الله حتى الجمعة والعيدين (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أى ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل ان يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث عاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) وضمنه شيأ آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا (فاذا استأذنوك) فى الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) فبه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام

﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ كرره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ اى الحق والخير فى الامور ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى الكاملون فى الايمان ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ﴾ من صميم قلوبهم ﴿ واذا كانوا معه على امر جامع ﴾ كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع ﴿ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾ يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته المميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس الرسول عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ﴿ ان الذين يستأذنوك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ﴾ فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لامحالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك ﴿ فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ﴾ مايعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق الامر ﴿ فأذن لمن شئت منهم ﴾ تفويض للامر الى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه عليه الصلاة السلام ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان

والاجر ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ أى عن الله أمره ونهيه وآدابه * قوله عز وجل ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه ﴾ أى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ على أمر جامع ﴾ أى يجمعهم من حرب أو صلاة حضرت أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور فى امر نزل ﴿ لم يذهبوا ﴾ أى لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له ﴿ حتى يستاذنوه ﴾ قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لايخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن الامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بان يكونوا فى المسجد فتحيض امرأة منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان ﴿ ان الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا أستاذنوك لبعض شأنهم ﴾ أى أمرهم ﴿ فأذن لم شئت منهم ﴾ أى فى الانصراف والمعنى ان شئت فاذن وانت شئت فلا تأذن

(كذلك) هكذا (يبين الله لكم الآيات) الامر والنهى كما بين هذا (لعلكم تعقلون) لكى تعقلوا ماأمرتم به (انما المؤمنون) المصدقون فى ايمانهم (الذين آمنوا بالله ورسوله) فى السر والعلانية (واذا كانوا معه) مع النبى صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) فى يوم الجمعة أو فى غزوة (لم يذهبوا) لم يخرجوا من المسجد ولم يرجعوا من الغزو (حتى يستأذنوه) يعنى حتى يستأذنوا النبى صلى الله عليه وسلم (ان الذين يستأذنونك) يامحمد بالرجوع عن غزوة تبوك وكان ذلك عمر بن الخطاب استأذن النبى صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى المدينة لعلة كانت به (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فى السر والعلانية (فاذا استأذنوك) يامحمد المخلصون (لبعض شأنهم) حاجتهم (فأذن لمن شئت منهم) من

(واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل ان لا يستأذن قالوا وينبغى أن يكن الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استئذان (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن الجمع بغير اذن الداعى أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا وينادى باسمه الذى سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يانبى الله يارسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون قليلا قليلا (منكم لواذا) حال أى ملاوذين اللواذ والملاوذة هو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أى ينسلون عن الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والضمير فى أمره لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر

المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا ﴿واستغفر لهم الله﴾ بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ﴿ان الله غفور﴾ لفرطات العباد ﴿رحيم﴾ بالتيسير عليهم ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته عليه السلام واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يانبى الله ويارسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت أو لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب أو لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم﴾ ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل ﴿لواذا﴾ ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج أو يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح ﴿فليحذر الذين يخالفون عن امره﴾ يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين

﴿واستغفر لهم الله﴾ أى ان رأيت لهم عذرا فى الخروج عن الجماعة ﴿ان الله غفور رحيم﴾ * قوله عز وجل ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يانبى الله يارسول الله فى لين وتواضع ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون﴾ أى يخرجون ﴿منكم لواذا﴾ أى يستتر بعضهم ببعض ويروغ فى خفية فيذهب قيل كانوا فى حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا أى يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أى يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه

المخلصين (واستغفر لهم الله) فيما ذهبوا (ان الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) أى لا تدعوا الرسول باسمه يا محمد (كدعاء بعضكم بعضا) باسمه ولكن عظموه ووقروه وشرفوه وقولوا له يانبى الله ويارسول الله ويا أبا القاسم (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) يخرجون منكم من المسجد (لواذا) يلوذ بعضكم بعضا وكان المنافقون اذا خرجوا من المسجد خرجوا بغير اذن اذا لم يرهم أحد (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال عن أمر الله

تصيبهم فتنة) محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو اسباغ
ستدراجا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والآية تدل على أن الامر للايجاب (ألا ان لله ما في السموات والارض)
يه على ان لا يخالفوا أمر من له ما في السموات والارض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه
لمخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع

ما في السموات والارض مختص به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجهدون في سترها (ويوم يرجعون اليه) وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب أى ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا) بما أبطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم (والله بكل شي عليم) فلا يخفى عليه خافية وروى ابن ان عباس رضى الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لاسلمت والله أعلم ﴿ سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ن خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف
نه والضمير لله تعالى فان الامر له في الحقيقة أو للرسول فانه المقصود بالذكر ﴿ ان تصيبهم
نة ﴾ محنة في الدنيا ﴿ أو يصيبهم عذاب اليم ﴾ في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب
نه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل
لى حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب ﴿ ألا ان لله ما في السموات
الارض قد يعلم ما انتم عليه ﴾ ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص
انما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ﴿ ويوم يرجعون اليه ﴾ يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء
يجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرأ يعقوب بفتح
لياء وكسر الجيم ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه ﴿ والله بكل
ىء عليم ﴾ لا يخفى عليه خافية * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى
ن الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

﴿ سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ان تصيبهم فتنه ﴾ أى لئلا تصيبهم فتنة أى بلاء في الدنيا ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾
ى وجيع في الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى ﴿ ألا ان لله ما في السموات والارض ﴾
ى ملكا وعبيدا ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ أى من الايمان والنفاق ﴿ ويوم يرجعون اليه ﴾
ى يوم القيامة ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ أى من الخير والشر ﴿ والله بكل شىء عليم ﴾ عن
ئشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف
لا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع
ى صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الفرقان وهى مكية وسبع وسبعون آية وثمانمائة ﴾
﴿ واثنتان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

تصيبهم فتنة) بلية (أو يصيبهم عذاب أليم) بالضرب (الا ان لله ما في السموات والارض) من الخلق (قد يعلم) أى يعلم الله (ما أنتم
عليه) من الكفر والايمان والتصديق والتكذيب والاخلاص والنفاق والاستقامة والميل وغير ذلك (ويوم يرجعون اليه)
ى وهو يوم القيامة (فينبئهم) يخبرهم الله (بما عملوا) في الدنيا (والله بكل شىء) من أعمالهم (عليم) ﴿ ومن السورة التى يذكر
فيها الفرقان وهى كلها مكية آياتها سبع وتسعون آية وكلماتها ثلاثمائة واثنتان وتسعون وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث
وثلاثون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في

(تبارك) تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر وتزايد عن كل شئ و عنه في صفاته وأفعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب (الذي نزل الفرقان) هو فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أو لانه لم ينزل جملة مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلنا (على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعموم الرسالة من خ عليه الصلاة والسلام (نذيرا) منذرا أي مخوفا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار وه تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي) رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو على الابدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به أو نصب على المدح (له ملك السموات والارض) على الخلوص (ولم يتخذ ولدا) كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعمت الثنوية (وخلق كل شئ) أي أحدث كل شئ وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرمن ولا شبهة فيه لمن يقول ان الله شئ ويقول بخلق القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على ان لفظ شئ اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة في (فقدر

﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تز على كل شئ وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه انزاله الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مص فرق بين الشيئين اذ فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو المحق والمبطل باعجازه أو لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده و رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كقوله لقد انزلنا اليكم آيات او الانبياء على ان الفرقان ا جنس للكتب السماوية ﴿ليكون﴾ العبد او الفرقان ﴿للعالمين﴾ للجن والانس ﴿نذيرا﴾ م أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة ﴿الذي له ملك السموات والارض﴾ بدل من الاول او مدح مرفو او منصوب ﴿ولم يتخذ ولدا﴾ كزعم النصارى ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ كقو الثنوية أثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عل فقال ﴿وخلق كل شئ﴾ احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخل

* قوله عز وجل ﴿تبارك﴾ تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقي معناه تعظم ﴿الذي نزل الفرقان﴾ أي القرآن سماه فرقانا لانه فرق به بين الحـ والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا في أوقات كثيرة ولهذا قال نز بالتشديد لتكثير التفريق ﴿على عبده﴾ يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ليكو للعالمين﴾ أي للانس والجن ﴿نذيرا﴾ قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد ص الله عليه وسلم ﴿الذي له ملك السموات والارض﴾ أي هو المتصرف فيهما كي يشاء ﴿ولم يتخذ ولدا﴾ أي هو الفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى ﴿ولم يكن شريك في الملك﴾ أي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد الاصنام ﴿وخ كل شئ﴾ مما تطلق عليه صفة المخلوق

قوله تعالى (تبارك) يقول ذو بركة ويقال تبارك تعالى وارتفع وتبرأ عن الولد والشريك (الذي نزل الفرقان) نزل جبر بالقرآن (على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون) محمد صلى الله عليه وسلم (للعالمين) الجن والانس (نذيرا) رسولا مخ بالقرآن (الذي له ملك) خزائن (السموات) المطر (والارض) النبات (ولم يتخذ ولدا) كما قالت اليهود والنصارى (ولم يكن شريك في الملك) كما قال مشركو العرب فيباريه (وخلق كل شئ) عبدوه وغير ما عبدوه

فعال العباد (فقدره تقديرا) فهيأه لما يصلح له بلا خلل فيه كما انه خلق الانسان على هذا الشكل الذى تراه فقدره
ك والمصالح المنوطة به فى الدين والدنيا أو قدره للبقاء الى أمد معلوم (واتخذوا) الضمير للكافرين لاندراجهم
عالمين أو لدلالة نذيرا عليهم لانهم المنذرون (من دونه آلهة) أى الاصنام (لايخلقون شيأ وهم يخلقون) أى
روا على عبادة من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة
لايقدرون على خلق شئ وهم يخلقون (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها (ولا يملكون موتا) اماتة (ولا حيوة) أى احياء (ولا نشورا) احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها (وقال الذين كفروا ان هذا) ماهذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه (وأعانه عليه قوم آخرون) أى اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومى قاله النضر ابن الحرث (فقد جاؤا ظلما وزورا) هذا اخبار من الله

سان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة ﴿ فقدره تقديرا ﴾ فقدره وهيأه
راده منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير
واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك أو فقدره للبقاء
الى أجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون
ى واوجد كل شئ فقدره فى ايجاده حتى لايكون متفاوتا ﴿ واتخذوا من دونه آلهة ﴾
ضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ فى الرد على المخالفين فيهما ﴿ لايخلقون
وهم يخلقون ﴾ لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ﴿ ولا يملكون ﴾ ولا يستطيعون
لانفسهم ضرا ﴾ دفع ضر ﴿ ولا نفعا ﴾ ولا جلب نفع ﴿ ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا
را ﴾ ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية
له عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على
ث والجزاء ﴿ وقال الذين كفروا ان هذا الا افك ﴾ كذب مصروف عن وجهه
افتراه ﴾ اختلقه ﴿ واعانه عليه قوم آخرون ﴾ أى اليهود فانهم يلقون اليه اخبار
م وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر
فقد جاؤا ظلما ﴾ بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود ﴿ وزورا ﴾ بنسبة
وبرئ منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته

ره تقديرا ﴾ أى سواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شئ تقديرا من
ل والرزق فجرت المقادير على ما خلق ﴿ قوله تعالى ﴿ واتخذوا ﴾ يعنى عبدة الاوثان ﴿ من
آلهة ﴾ يعنى الاصنام ﴿ لايخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ﴾ أى
ضر ولا جر نفع ﴿ ولا يملكون موتا ﴾ أى اماتة ﴿ ولا حيوة ﴾ اى احياء ﴿ ولا نشورا ﴾
بعثا بعد الموت ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعنى النضر بن الحرث واصحابه ﴿ ان هذا ﴾
ماهذا القرآن ﴿ الا افك ﴾ أى كذب ﴿ افتراه ﴾ أى اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم
وأعانه عليه قوم آخرون ﴾ قيل هم اليهود وقيل عبيد بن الخضر الحبشى الكاهن
ل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا
الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى ﴿ فقد جاؤا ﴾ يعنى قائلى هذه المقالة ﴿ ظلما
را ﴾ أى بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء

(فقدره تقديرا) فقدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم بالتقدير ويقال قدر لكل ذكر أنثى (واتخذوا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (من دونه) من دون الله (آلهة) يعبدونها (لايخلقون شيأ) لايقدرون
واشيأ (وهم يخلقون) (قا و ل ٥٤ يع) وهى مخلوقة منحوتة يعنى الاصنام (ولا يملكون لانفسهم) يعنى الاصنام
دفع الضرر (ولا نفعا) جر النفع الى أنفسهم ولا الى غيرهم (ولا يملكون موتا) لايقدرون أن ينقصوا من الحياة (ولا حيوة)
يزيدوا فى الحياة ويقال ولا يملكون موتا لايقدرون ان يخلقوا نطفة ولا حياة ولا ان يجعلوا فيها الروح (ولا نشورا) بعثا
ت (وقال الذين كفروا) كفار مكة (ان هذا) ماهذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من
سه (وأعانه عليه) على اختلاقه (قوم آخرون) جبر ويسار وأبو فكيهة الرومى (فقد جاؤا ظلما) شركا (وزورا) كذبا

ردللكفرة فيرجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل فى معنى فعل فيعدى تعديته أوحذف الجار وأوصل الفعل أى
و زوروظلمهم ان جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاماعربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزورا
بنسبة ماهوبرئ منه اليه (وقالوا أساطير الاولين) أى هو أحاديث المتقدمين وماسطروه كرستم وغيره جمع اسطار وأ
كاحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه (فهى تملى عليه) أى تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره
ماتملى عليه ثم يتلوه علينا (قل) يامحمد (أنزله) أى القرآن ا
يعلم السر فى السموات والارض) أى يعلم كل سر خفى فى السموات والارض يعنى ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التى يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيما) فيمهلهم ولايعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوها بمكابرتهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لاتغير وتسميتهم اياه بالرسول سخرية منهم كأنهم قالوا أى شئ لهذا الزاعم انه رسول (يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق) حال والعامل

(وقالوا) يعنى النضر وأصحابه (أساطير الاولين) هذا القرآن أحاديث الاولين فى دهرهم وكذبهم (اكتتبها) استقرأها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار (فهى تملى عليه) تقرأ على محمد صلى الله عليه وسلم (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا (قل) لهم يامحمد ﴿ نولا
(أنزله) يعنى أنزل جبريل بالقرآن (الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا) لمن تاب منهم (رحيما) لم
على التوبة (وقالوا) أبوجهل وأصحابه والنضر وأصحابه وأمية بن خلف وأصحابه (مال هذا الرسول) ماهذا الرسول (
الطعام) كمانأكل (ويمشى فى الاسواق) يتردد ويمشى فى الطريق كمانتردد

﴿ وقالوا اساطير الاولين ﴾ ماسطره المتقدمون ﴿ اكتتبها ﴾ كتبها لنفسه أو استكتبها وقر
على البناء للمفعول لانه امى واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فه
اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستترفيه ﴿ فهى تملى عليه ب
واصيلا ﴾ ليحفظها فانه امى لايقدر ان يكرر من الكتاب أو ليكتب ﴿ قل انزله ال
يعلم السر فى السموات والارض ﴾ لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخب
عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لايعلمها الاعالم الاسرار فكيف تجعلونه اسا
الاولين ﴿ انه كان غفورا رحيما ﴾ فلذلك لايعجل فى عقوبتكم على ماتقولون مع
قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا ﴿ وقالوا مال هذا الرسول ﴾ مال
الذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ﴿ يأكل الطعام ﴾ كما نأكل ﴿ ويمشى فى الاسواق
لطلب المعاش كما نمشى والمعنى ان صح دعواه فماباله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعم
وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما
باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم

﴿ وقالوا أساطير الاولين اكتتبها ﴾ يعنى النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن لي
من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها
صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان تكتب له لانه كان لايكتب ﴿ ف
تملى عليه ﴾ أى تقرأ عليه ليحفظها لانه لايكتب ﴿ بكرة وأصيلا ﴾ يعنى غد
وعشية قال الله تعالى ردا عليهم ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ أنزله ﴾ يعنى القرآن ﴿ الذى
السر ﴾ أى الغيب ﴿ فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما ﴾ أى لولا ذ
لعاجلهم بعذابه ﴿ وقالوا مال هذا الرسول ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ يأ
الطعام ﴾ أى كما نأكل نحن ﴿ ويمشى فى الاسواق ﴾ أى يلتمس المعاش كما ن
نحن واذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا ولا يجوز ان يمتازعنا بالنبوة وكا
يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك لايأكل ولا تملك لان الملك لايتسو
وأنت تتسوق وتبتذل ومقولهم فاسد لان أكله الطعام لكونه آدميا ولم يدع
ملك ومشيه فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته فى التوراة ولم يكن سخابا فى الاسو
وليس شئ من ذلك ينافى النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك

هذا (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أى ان صح انه رسول الله
با يأكل الطعام كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل
اش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا فى الانذار والتخويف ثم نزلوا الى ان يكون
دا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بستان يأكل هو منه
ير أو نأكل نحن كقراءة على وحمزة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على أنزل وهو ماض لدخول
ع وهو فيكون بينهما وانتصب

فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا بمعنى هلا

احد ﴿لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا﴾ لنعلم صدقه بتصديق الملك ﴿أو يلقى
به كنز﴾ فيستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾
ذا على سبيل التنزل أى ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان
للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائى بالنون والضمير للكفار
﴿وقال الظالمون﴾ وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ﴿ان تتبعون﴾
تتبعون ﴿الا رجلا مسحورا﴾ سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة أى بشرا
ملكا ﴿انظر كيف ضربوا لك الامثال﴾ أى قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك
احوال النادرة ﴿فضلوا﴾ عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى والمميز بينه
بين المتنبى فخبطوا خبط عشواء ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ الى القدح فى نبوتك أو الى
رشد والهدى ﴿تبارك الذى ان شاء جعل لك﴾ فى الدنيا ﴿خيرا من ذلك﴾ مما قالوه
لكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى ﴿جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ بدل من
خيرا ﴿ويجعل لك قصورا﴾ عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر

﴿لولا أنزل اليه ملك﴾ أى يصدقه ويشهد له ﴿فيكون معه نذيرا﴾ أى داعيا ﴿أو يلقى اليه
كنز﴾ أى ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى التصرف فى طلب المعاش ﴿أو تكون
له جنة﴾ أى بستان ﴿يأكل منها﴾ أى هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له كنز
﴿وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا﴾ أى مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق
﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف ضربوا لك الامثال﴾ أى الاشباه التى لا فائدة لها فقالوا
مسحور محتاج ﴿فضلوا﴾ أى عن الحق ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ الى الهدى ومخرجا
من الضلالة * قوله تعالى ﴿تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك﴾ أى من الذى
قالوا وأفضل من البستان الذى ذكروا وقال ابن عباس يعنى خيرا من المشى فى الاسواق
والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال ﴿جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك
قصورا﴾ أى بيوتا مشيدة * عن أبى امامة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى

حكمه حكم الاستفهام
وأراد بالظالمين فى قوله
(وقال الظالمون) اياهم
باعيانهم غير انه وضع
الظاهر موضع المضمر
تسجيلا عليهم بالظلم فيما
قالوا وهم كفار قريش
(ان تتبعون الا رجلا
مسحورا) سحر فجن أو
ذا سحر وهو الرئة عنوا انه
بشر لا ملك (انظر كيف
ضربوا) بينوا (لك الامثال)
الاشباه أى قالوا فيك تلك
الاقوال واخترعوا لك
تلك الصفات والاحوال
من المفترى والمملى عليه
والمسحور (فضلوا) عن
الحق (فلا يستطيعون
سبيلا) فلا يجدون طريقا
اليه (تبارك الذى ان شاء
جعل لك خيرا من ذلك
جنات تجرى من تحتها
الانهار ويجعل لك قصورا)

(لولا) هلا (أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) معينا يخبره بما يراد به من سوء (أو يلقى اليه كنز) أو ينزل عليه مال فيستعين به
(أو تكون له جنة) بستان (يأكل منها) فيشبع (وقال الظالمون) المشركون أبو جهل والنضر وأمية وأصحابهم (ان تتبعون)
ما تتبعون (الا رجلا مسحورا) مغلوب العقل مجنونا (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) كيف بينوا وسموا لك الاسماء
ساحر وكاهن وكذاب وشاعر ومجنون ويقال كيف شبهوك بالمسحور (فضلوا) فضلت حيلهم فاخطؤا (فلا يستطيعون سبيلا)
مخرجا مما قالوا فيك ولا حجة على ما قالوا لك (تبارك) يقول تعالى (الذى ان شاء) قد شاء (جعل لك خيرا من ذلك) مما قالوا (جنات)
بساتين فى الآخرة (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (ويجعل لك قصورا)

أي تكاثر خيرالذى ان شاء وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ماوعدك فى الآخرة
الجنات والقصور وجنات بدل من خيرا ويجعل بالرفع مكى وشامى وأبو

الشرط اذا وقع ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ماحكى عنهم يقول بل أتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أومتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ماوعدك فى الآخرة وهم لايؤمنون بها (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) وهيأنا للمكذبين بها نارا شديدة فى الاستعار (اذارأتهم) أى النار أى قابلتهم (من مكان بعيد) أى اذا كانت منهم بمرأى الناظرين فى البعد (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أى سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر أواذارأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار

وقد جعل لك قصورا فى الجنة من الذهب والفضة خيرا لك مما قالوا وكان ذلك فى الدنيا ويقال ان شاءالله يجعل لك فى الدنيا ماقالوا من القصور والبساتين يعنى يفتح لك الحصون والمدائن فى الشرق والغرب برغم

بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله

وان اتاه خليل يوم مسئلة ۞ يقول لاغائب مالى ولاحرم

ويجوزان يكون استئنافا بوعد مايكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال فطعنوا فيك لفقرك أوفلذلك كذبوك لالما تمحلوا من المطاعن الفاسدة أوفكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعدالله لك فى الآخرة أوفلاتعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه ﴿واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ نارا شديدة الاستعار وقيل هواسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان ﴿اذا رأتهم﴾ اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لاتتراأى ناراهما أى لاتتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار أوجهنم ﴿من مكان بعيد﴾ وهواقصى مايمكن ان يرى منه ﴿سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على

ايجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لايارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أوقال ثلاثا أو نحو هذا فاذاجعت تضرعت اليك وذكرتك واذاشبعت حمدتك وشكرتك ۞عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوشئت لسارت معى جبال مكة ذهبا جاءنى ملك ان حجزته لتسارى الكعبة فقال يامحمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فشارالى ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدذلك لايأكل متكئا يقول أناعبدآكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكرهذين الحديثين البغوى بسنده ۞قوله تعالى ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ أى القيامة ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ أى مسعرة ﴿اذارأتهم من مكان بعيد﴾ قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام ۞فان قلت كيف تتصور الرؤية من النار وهوقوله اذارأتهم ۞قلت يجوز أن يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها ﴿سمعوا لها تغيظا﴾ أى غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب ﴿وزفيرا﴾ أى صوتا ۞فان قلت كيف يسمع التغيظ ۞قلت معناه رأوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى ۞ متقلدا سيفا ورمحا

أى وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفرجهنم يوم القيامة زفرة فلايبقى ملك مقرب ولانبى مرسل الاخرلوجهه

الكفار (بل كذبوا بالساعة) ولكن كذبوا بقيام الساعة (واعتدنا لمن كذب بالساعة) بقيام الساعة (سعيرا) نارا وقودا
(اذارأتهم) النار (من مكان بعيد) من مسيرة خمسمائة عام (سمعوا لها)للنار (تغيظا) كتغيظ بنى آدم (وزفيرا) صوتا

(وا ألقوامنها) من النار (مكانا ضيقا) ضيقا مكى فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصف الجنة بان
عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مقرنين) أى وهم مع
ذلك الضيق مسلسلون مقرنون فى السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة
وفى رجلهم الاصفاد (دعوا هنالك) حينئذ (ثبورا) هلاكا أى قالوا

واثبوراه أى تعال ياثبوراه فهذا حينك فيقال لهم (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير (قل أذلك خير) أى المذكور من صفة النار خير (أم جنة الخلد التى وعد المتقون) أى وعدها فالراجع الى الموصول محذوف وانما قال أذلك خير ولا خير فى النار توبيخا للكفار (كانت لهم جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا وانما قيل كانت لان ماوعده الله كانه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبا فى اللوح قبل ان خلقهم (لهم فيها مايشاؤن) أى مايشاؤنه

ف المضاف ﴿ واذا القوا منها مكانا ﴾ فى مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ﴿ ضيقا ﴾ يادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة عرضها السموات والارض * وقرأ ابن كثير بسكون الراء ﴿ مقرنين ﴾ قرنت ايديهم الى اقهم بالسلاسل ﴿ دعوا هنالك ﴾ فى ذلك المكان ﴿ ثبورا ﴾ هلاكا أى يتمنون لاكا وينادونه فيقولون ياثبوراه تعال فهذا حينك ﴿ لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ﴾ ال لهم ذلك ﴿ وادعوا ثبورا كثيرا ﴾ لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور دته أو لانه يتجدد لقوله تعالى * كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا ذاب أو لانه لاينقطع فهو فى كل وقت ثبور ﴿ قل أذلك خير أم جنة الخلد التى عد المتقون ﴾ الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح الدلالة على خلودها أو التميز عن جنات الدنيا ﴿ كانت لهم ﴾ فى علم الله أو اللوح أو لان وعده الله فى تحققه كالواقع ﴿ جزاء ﴾ على اعمالهم بالوعد ﴿ ومصيرا ﴾ ينقلبون يه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم ﴿ لهم فيها مايشاؤن ﴾ مايشاؤنه من النعيم ولعله تقصر هم طائفة على مايليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لايدرك شيأ مما يدركه الكامل بالتشهى وفيه تنبيه

﴿ واذا ألقوا منها مكانا ضيقا ﴾ قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح ﴿ مقرنين ﴾ ى مصفدين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل ﴿ دعوا هنالك ثبورا ﴾ قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفى الحديث ان أول من كسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه هو يقول ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم حتى يقفوا على النار فينادى ياثبوراه هم ينادون ياثبورهم فيقال لهم ﴿ لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ﴾ هكذا ذكره البغوى بغير سند وقيل معناه هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة * قوله عز وجل ﴿ قل أذلك خير ﴾ أى الذى ذكرت من صفة النار وأهلها ﴿ أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا ﴾ أى ثوابا ومرجعا لهم قال تعالى ﴿ لهم فيها مايشاؤن ﴾ أى ان جميع المرادات لاتحصل الا فى الجنة لافى غيرها * فان قلت قد يشتهى الانسان شيأ وهو

الحمار (واذا ألقوا منها) فى النار القوا (مكانا ضيقا) كضيق الزج فى الرمح (مقرنين) مسلسلين مع الشياطين (دعوا هنالك) عند ذلك التضييق

را) ويلا يقولون واويلاه واثبوراه يقول الله لهم (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) ويلا واحدا (وادعوا ثبورا كثيرا) عا
بكم (قل) يامحمد لاهل مكة لابى جهل وأصحابه (أذلك) الذى ذكرت من الويل والثبور والسعير (خير أم جنة الخلد)
لدوأصحابه (التى وعد المتقون) الكفر والشرك والفواحش (كانت) صارت (لهم) جنة الخلد (جزاء ومصيرا) فى الآخرة
م فيها) فى الجنة (مايشاؤن) مايتمنون ويشتهون

(خالدين) حال من الضمير في يشاؤن والضمير في (كان) لما يشاؤن (على ربك وعدا) اى موعودا (مسئولا) مطلوبا أو
ان يسأل أو قد سئله المؤمنون والملائكة في دعواتهم ربنا و آتنا ماوعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآ
حسنة ربنا وأدخلهم وعدتهم (ويوم نحشرهم) للبعث
الجمهور وبالياء مكي ويزيد ويعقوب وحفص (وما يعبدون من دون الله) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي يعني الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانهم أريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم (فيقول) وبالنون شامي (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق أو للطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بادخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما لم يقل أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل وزيد انتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلابد ذكرهم وايلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسؤل عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤل عنه ان يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فتزيد (قا

على كل المرادات لاتحصل الا في الجنة ﴿ خالدين ﴾ حال من احد ضمائرهم ﴿ ك
على ربك وعدا مسئولا ﴾ الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود أي كان ذلك موعودا حقيقا
بان يسئل ويطلب او مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا و آتنا ماوعدتنا على رسلك او الملائكة
بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف
في وعده ولايلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب
للانجاز ﴿ ويوم نحشرهم ﴾ للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقو
وحفص بالياء ﴿ ومايعبدون من دون الله ﴾ يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لا
وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف أو لانه اريد به الوصف كانه قيل
ومعبوديهم أو لتغليب الاصنام تحقيرا أو اعتبارا لغلبة عبادها أو يخص الملائكة وعز
والمسيح بقرينة السؤال والجواب أو الاصنام ينطقها الله أو تتكلم بلسان الحال كما قيل
كلام الايدي والارجل ﴿ فيقول ﴾ اى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ا
عامر بالنون ﴿ أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ لاخلالهم بالنظر الصحيح
واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم عباد
أم ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لا
لاشبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضلوا للمبالغة

لايحصل في الجنة كان يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت ان الله يزيل ذا
الخاطر عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذا
الشاغلة عن الالتفات الى غيره ﴿ خالدين ﴾ أي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكو
دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد في المعنى

أشد الغم عندي في سرور ۰ تيقن عنه صاحبه انتقالا

﴿ كان على ربك وعدا مسؤلا ﴾ أي مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا
قالوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا و آتنا ماوعدتنا عـ
رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا ومسئ
اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنا
عدن التي وعدتهم * قوله تعالى ﴿ ويوم نحشرهم ومايعبدون من دون الله ﴾ يعـ
من الملائكة والانس والجن مثل عيسى وعزير وقيل يعني الاصنام ثم يخاطبهم ﴿ فيقو
أأنتم أضللتم عبادي هـؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ أي أخطؤا الطريق

(خالدين) مقيمين في الجنة لايموتون ولايخرجون (كان على ربك وعدا مسؤلا) سئلوه فاعطاهم (ويوم) وه
القيامة (نحشرهم) يعني عبدة الاوثان (ومايعبدون من دون الله) من الاصنام (فيقول) الله للاصنام ويقال لل
(أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء) عن طاعتي وأمرتموهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) تركوا الطريق وعبدوكم

ـهم (قالوا سبحانك) تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له نبي أو ملك أو غيرهما نداثم
وما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) أي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتولى أحدا دونك فكيف
ـنا ان نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك نتخذ يزيد واتخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو اتخذوا وليا والى مفعولين
نتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من
مل لواحد وهو من أولياء والاصل ان نتخذ أولياء وزيدت من لتأكيد معنى النفي والقراءة الثانية من المتعدى
لمفعولين فالمفعول الاول ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء لان من لا تزاد
في المفعول الثاني بل في الاول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي (ولكن متعتهم وآباءهم)
ل والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكر) أي ذكر الله والايمان
به والقرآن والشرائع (وكانوا) عند الله (قوما بورا) أي هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ... ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(بما تقولون) بقولكم فيهم انهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل
من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ
من دونك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم

قالوا سبحانك ﴾ تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة أو انبياء معصومون أو جمادات لا تقدر
على شيء أو اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده أو تنزيها لله
عن الانداد ﴿ ما كان ينبغي لنا ﴾ ما كان يصح لنا ﴿ ان نتخذ من دونك من اولياء ﴾ للعصمة أو لعدم
القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ ان نتخذ على البناء للمفعول
من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني
من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي ﴿ ولكن متعتهم وآباءهم ﴾
بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات ﴿ حتى نسوا الذكر ﴾ حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر
لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناده الى
فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينهض حجة علينا للمعتزلة ﴿ وكانوا ﴾
في قضائك ﴿ قوما بورا ﴾ هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع
أو جمع بائر كعائذ وعوذ ﴿ فقد كذبوكم ﴾ التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف
القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون ﴿ بما تقولون ﴾ في قولكم انهم آلهة أو هؤلاء اضلونا
والباء بمعنى في أو مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك

قالوا ﴾ يعني المعبودين ﴿ سبحانك ﴾ نزهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة ﴿ ما كان
ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ﴾ يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا
من دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك ﴿ ولكن
متعتهم وآباءهم ﴾ أي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا ﴿ حتى نسوا الذكر ﴾ معناه
تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه ﴿ وكانوا قوما بورا ﴾
معناه هلكى أي غلب عليهم الشقاء والخذلان ﴿ فقد كذبوكم ﴾ هذا خطاب مع المشركين
أي كذبكم المعبودون ﴿ بما تقولون ﴾ أي انهم آلهة

وأنفسهم (قالوا) يعني الاصنام (سبحانك) نزهوه (ما كان ينبغي لنا) يستحق لنا (أن نتخذ) نعبد (من دونك من اولياء) أربابا
قالوا يعني الملائكة سبحانك نزهوه ما كان ينبغي لنا لا يجوز لنا أن نتخذ نعبد من دونك من أولياء أربابا فكيف جاز لنا أن نأمرهم
أن يعبدونا (ولكن متعتهم) أجلتهم في الكفر (وآباءهم) قبلهم (حتى نسوا الذكر) حتى تركوا التوحيد وطاعتك (وكانوا
قوما بورا) هلكى فاسدة القلوب فيقول الله لعبدة الاصنام (فقد كذبوكم بما تقولون

(فمايستطعون صرفا ولا نصرا) أى فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبالتاء حفص أى فما تستطيعو
يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) أى يشر
الظلم وضع الشئ فى غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (نذقه
كبيرا) هو النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الا على قول المعتزلة وا

ما كان ينبغى لنا ﴿فما يستطيعون﴾ اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابد ﴿صرفا﴾ دفع العذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليصرف أى يحتال ﴿ولا نصرا﴾ يعينكم عليه ﴿ومن يظلم منكم﴾ ايها المكلفون ﴿نذقه عذابا كبيرا﴾ هى النار والشر وان عم كل من كفر أو فسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التو والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا ﴿وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلو الطعام ويمشون فى الاسواق﴾ أى الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين ع واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان تكون حالا اكتفى ف بالضمير وهو جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقر يمشون أى تمشيهم حوائجهم أو الناس ﴿وجعلنا بعضكم﴾ ايها الناس ﴿لبعض فتنة﴾ ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العدو وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه

﴿فما يستطيعون﴾ أى الآلهة ﴿صرفا﴾ أى صرف العذاب عن أنفسهم ﴿ولا نصرا﴾ أ ولا نصر أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أيها العابدون بدفع العذاب عنكم ﴿ومن يظلم منكم﴾ أ يشرك ﴿نذقه عذابا كبيرا﴾ * قوله عز وجل ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أى يا محمد ﴿من المرسل الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق﴾ قال ابن عباس لما عير المشركون رسول ا صلى الله عليه وسلم وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق أنزل ا تعالى هذه الآية والمعنى أن هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه له الطعن وما أنا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلى يأكلون الط ويمشون فى الاسواق ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ أى بلية قال ابن عباس أى جع بعضكم بلاء بعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا أنتم الهد قيل نزلت فى ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا أراد أن يسلم رأى الوض قد أسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل على فيقيم على كفره ويمت من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت فى أبى جهل والوليد بن عق والعاص بن وائل السهمى والنضر بن الحرث وذلك انهم رأوا أباذر وابن مسعو وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قد أسلموا قبلهم فقالوا انسلم فنكو مثل هؤلاء وقيل نزلت فى ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولو انظروا الى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا وأراذلنا فقال ال

(وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) كسرت ان لاجل اللام فى الخبر والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أى من المرسلين ونحوه وما منا الا له مقام معلوم أى وما منا أحد قيل هو احتجاج على من قال مالهذا الرسول الله يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وتسلية للنبى عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه فى الاسواق يعنى انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء

فما تستطيعون) يعنى الكفار (صرفا) صرف الملائكة ويقال صرف الاصنام عن شهادتهم عليهم أو صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) منع (ومن يظلم منكم) يكفر منكم يا معشر المؤمنين ويقال من يستقم منكم على الكفر يا معشر الكفار (نذقه عذابا كبيرا) فى النار (وما أرسلنا قبلك) يا محمد (من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام) كما أكل جوابا لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام (ويمشون فى الا في الطرق كما تمشى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) بلية ابتلينا العربى بالمولى والشريف بالوضيع والغنى بالفقير يقول الله لابى

يه دليل على القضاء والقدر ﴿أتصبرون﴾ علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض
ة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله • ليبلوكم ايكم احسن عملا • اوحث على الصبر على ما
افتتنوا به ﴿وكان ربك بصيرا﴾ بمن يصبر او بالصواب
فيما يبتلى به وغيره

الى لهؤلاء المؤمنين ﴿أتصبرون﴾ أى على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى
نيل ان الغنى فتنة الفقير يقول مالى لم أكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف
ة الوضيع ﴿وكان ربك بصيرا﴾ أى لمن صبر ولمن جزع (ق) عن أبى هريرة يبلغ به النبى
لى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من
هو دونه فى المال والجسم لفظ البخارى ولمسلم انظروا الى من هو أسفل
منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن
لا تزدروا نعمة الله عليكم

(أتصبرون) على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبرون فيزداد غمكم وحكى أن بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا فراى خصيا فى مواكب ومراكب فخطر بباله شئ فاذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصبرا ربنا أى وجعلتك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا (وكان ربك بصيرا) عالما بالصواب فيما يبتلى به أو بمن يصبر ويجزع

وأصحابه (أتصبرون) مع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سلمان وأصحابه حتى تكونوا معهم فى الدين والامر سواء شرعا تجلسون معهم (وكان ربك بصيرا) بانهم لا يصبرون على ذلك ويقال أتصبرون يامعشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على اذاهم حتى أوفيكم ثواب الصابرين وكان ربك بصيرا بمن يؤمن وبمن لا يؤمن منهم

الجزء التاسع عشر

اللهم اسعدنا بلقائك يا اكرم الاكرمين

﴿وقال الذين لا يرجون﴾ لا يأملون ﴿لقاءنا﴾ بالخير لكفرهم بالبعث اولا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول ﴿لولا﴾ هلا ﴿انزل علينا الملائكة﴾ فيخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فيكونون رسلا الينا ﴿اونرى ربنا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتباعه ﴿لقد استكبروا فى انفسهم﴾ اى فى شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك ﴿وعتوا﴾ وتجاوزوا الحد فى الظلم ﴿عتوا كبيرا﴾ بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله

وجارة جساس ابأنا بنابها ... كليبا علت ناب كليب بواؤها

﴿يوم يرون الملائكة﴾ الموت اوالعذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه

---

* قوله عز وجل ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ اى لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ فتخبرنا ان محمدا صادق ﴿أونرى ربنا﴾ فيخبرنا بذلك ﴿لقد استكبروا﴾ أى تعظموا ﴿فى أنفسهم﴾ بهذه المقالة ﴿وعتوا عتوا كبيرا﴾ أى طغوا وقيل عتوا فى القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به

* قوله تعالى ﴿يوم يرون الملائكة﴾ أى عند الموت وقيل يوم القيامة

(وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لانهم كفرة لا يؤمنون بالبعث أولا يخافون عقابنا اما لان الراجى قلق فيما يرجوه كالخائف أولان الرجاء فى لغة تهامة الخوف (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أوشهودا على نبوته ودعوى رسالته (أونرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) وصف العتو بالكبر فبالغ فى افراطه أى انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا انهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام فى لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) اى يوم الموت أويوم البعث ويوم

(وقال الذين لا يرجون لقاءنا) البعث بعد الموت يعنى أباجهل وأصحابه (لولا أنزل) هلا أنزل (علينا الملائكة) فيخبرونا بان الله أرسلك الينا (أونرى ربنا) فنسأله عنك (لقد استكبروا فى أنفسهم) عن الايمان ويقال حيث سألوا رؤية الرب (وعتوا عتوا كبيرا) ابوا عن الايمان اباء كبيرا ويقال اجترؤا اجتراء كبيرا حيث سألوا (لا بشرى) نزول الملائكة عليهم (يوم) وهو يوم القيامة (يرون الملائكة) عند الموت

(بشرى)تقول لهم الملائكة منصوب بما دل عليه(لا بشرى)اى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله(يومئذ)مؤكد ليوم يرون
ياً او اذكر اى اذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لان المضاف اليه لا يعمل فى المضاف
(بشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفى بلا لا يعمل فيما قبل لا (للمجرمين) ظاهر فى موضع ضمير أو عام يتناولهم
و.وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاسماء يتناول أكمل المسميات

(ويقولون) أى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم انما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بافعال متروك اظهارها ومحجورا لتأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى أشيائه وقصد الى ما تحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل اهل الجنة على اهل

﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر
وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا
فانَّ لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى
لعامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع
ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ﴿ويقولون حجرا
محجورا﴾ عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى
ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او تقولها الملائكة
بمعنى حراما محرما عليكم الجنة اوالبشرى • وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما
اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه
ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت ﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا﴾ اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة
الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم
بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار
يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم
المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم
التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى

﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون
للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة كما بشر المؤمن ﴿ويقولون حجرا محجورا﴾
قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم أن تكون لكم البشرى
وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذ نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون قالوا
حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة * قوله عز وجل ﴿وقدمنا الى ما عملوا من
عمل﴾ يعنى من أعمال البر التى عملوها فى حال الكفر ﴿فجعلناه هباء منثورا﴾ أى باطلا لا ثواب له
لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد
والهباء هو ما يرى فى الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدى ولا يرى
فى الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس رضى الله عنهما هو ما تسفيه الرياح وتذريه
من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار

(بشرى (يومئذ للمجرمين) المشركين بالجنة (ويقولون) يعنى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما البشرى بالجنة على الكافرين
ويقولون يعنى الكفار عند رؤية الملائكة حجرا محجورا بعدا بعيدا بيننا وبينكم (وقدمنا) عمدنا (الى ما عملوا من عمل) خير
فى الدنيا (فجعلناه) فى الآخرة (هباء منثورا) كتراب من حوافر الدواب ويقال كشئ يجول فى ضوء الشمس اذا دخلت فى كوة

النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) تمييز والمستقر المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم يتجـ
ويتحادثون (وأحسن مقيلا) مكانا يأوون اليه للاسترواح الى أزواجهم ولا نوم فى الجنة ولكنه سمى
استراحتهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروى انه يفرغ من الحسا

نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى لفظ الاحسن تهكم بهم (ويوم) واذكر يوم (تشقق السماء) والاصل تتشقق فحذف التاء كوفى وأبو عمرو وغيرهم أدغمها فى الشين (بالغمام) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذى تشق به السماء كما تقول شققت السنام بالشفرة فانشق بها (ونزل الملائكة تنزيلا) وننزل الملائكة مكى وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد (الملك) مبتدأ (يومئذ) ظرفه (الحق) نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى الا ملكه (للرحمن) خبره (وكان) ذلك اليوم (يوما على الكافرين عسيرا) شديد يقال عسر عليه فهو عسير

يرى ولا يستطاع أن يمس

كونوا قردة خاسئين ﴿اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا﴾ مكانا يستقر فيه فى أ
الاوقات للتجالس والتحادث ﴿واحسن مقيلا﴾ مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالاز
والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه اولانه لايخلو من ذلك غالبا اذ لا
فى الجنة وفى احسن رمز الى مايتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحا
ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما
من الامكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمتر
فى الدنيا وروى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل ا
فى النار ﴿ويوم تشقق السماء﴾ اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن ع
ويعقوب ﴿بالغمام﴾ بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله «هـ
ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة» ﴿ونزل الملائـ
تنزيلا﴾ فى ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد و قرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وا
ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ الثابت له لان كل م
يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا
لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ شد

* قوله تعالى ﴿أصحاب الجنة يومئذ﴾ أى يوم القيامة ﴿خير مستقرا﴾ أى
من هؤلاء المشركين المستكبرين ﴿وأحسن مقيلا﴾ أى موضع القائلة وذلك ان أ
الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر من اول النهار الى وقت القائلة حتى يسكـ
مساكنهم فى الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل ا
فى الجنة واهل النار فى النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك
لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس رضى الله عنـ
الحساب فى ذلك اليوم فى أوله ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يـ
كما بين العصر الى غروب الشمس * قوله تعالى ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾
عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم ﴿و
الملائكة تنزيلا﴾ قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر
فى الارض من الانس والجن ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى ال
الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيد
على اهل السماء التى تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش ﴿الملك يومئذ ا
للرحمن﴾ أى الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يـ
أن يوم القيامة لا ملك يقضى غيره ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ أى شد

(أصحاب الجنة) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (يومئذ) وهو يوم القيامة (خير مستقرا) منزلا (وأحسن مقيلا) { وفـ
مبيتا من منزل ابى جهل وأصحابه ومبيتهم (ويوم تشقق السماء بالغمام) عن الغمام لنزول الرب بلا كيف (ونزل الملائكة
الاول فالاول (الملك) القضاء (يومئذ الحق) العدل (للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا عسره وشدد ذلك ال

﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان و[ح]ق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما و[ار]اد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابى معيط كان يكثر مجالسة النبى ع[ليه] الصلاة والسلام فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ف[ف]عل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل من ط[عام]ى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه و[تبز]ق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا[ال]قاك خارجا من مكة الاعلوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن ا[بى] باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات ﴿يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا﴾ [طري]قا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بى طرق الضلالة ﴿ياويلتا﴾ و[قر]ئ بالياء على الاصل ﴿ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا﴾ يعنى من اضله وفلان كناية

وهو دليل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء فى الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن [حتى] يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا * قوله تعالى ﴿ويوم يعض [الظ]الم على يديه﴾ أراد بالظالم عقبة بن أبى معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر [الا ص]نع طعاما ودعا اليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فقدم [ذا]ت يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم [فلما] قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله [فأ]كل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابى ابن [خل]ف فلما أخبر أبى بن خلف قال له ياعقبة صبأت قال لا والله ماصبأت ولكن [دخ]ل على رجل فابى أن يأكل طعامى الا أن أشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتى [ولم] يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا الذى أرضى عنك أبدا الا أن تأتيه فتبزق فى [و]جهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا أراك خارجا من مكة الا علوت [رأ]سك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبى بن خلف فقتله النبى صلى الله عليه [وس]لم بيده يوم أحد وقيل لما بزق عقبة فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه [فى] وجهه فاحترق خداه فكان أثر ذلك فى وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبى معيط [خ]ليل أمية بن خلف فاسلم عقبة فقال له أمية وجهى من وجهك حرام ان تابعت محمدا [ف]كفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعنى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس [ب]ن عبد مناف على يديه أى ندما وأسفا على مافرط فى جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر [لط]اعة خليله الذى صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما [ه]كذا كلما نبتت يده أكلها على ما فعل تحسرا وندامة ﴿يقول ياليتنى اتخذت﴾ أى فى الدنيا ﴿مع الرسول سبيلا﴾ أى ليتنى اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه طريقا الى الهداية ﴿ياويلتا﴾ دعا على نفسه بالويل ﴿ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا﴾ قيل يعنى أبى بن خلف

حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها فى الدنيا (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة مالا يجده عند لفظ المكنى عنه واللام فى الظالم للعهد وأريد به عقبة لما بين أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار (يقول ياليتنى اتخذت) فى الدنيا (مع الرسول) محمد عليه الصلاة والسلام (سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (ياويلتا) وقرئ ياويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وانما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام فان أريد بالظالم عقبة لما روى انه اتخذ ضيافة فدعا اليها

الكافرين (ويوم يعض الظالم) الكافر عقبة بن أبى معيط (على يديه) على انامله (يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) استقمت على دين الرسول (ياويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) مصافيا فى الدين أبى بن خلف

رسول الله عليه الصلاة والسلام فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبي بن خلف وهو .يا
وجهى من وجهك حرام الا ان ترجع فارتد فالمعنى ياليتنى لم اتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس كا
من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية

عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس ﴿ لقد اضلنى عن الذكر ﴾ عن ذكر الله اوكتابه اوموعظة الرسول اوكلمة الشهادة ﴿ بعد اذ جاءنى ﴾ وتمكنت منه ﴿ وكان الشيطان ﴾ يعنى الخليل المضل اوابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول اوكل من تشيط من جن وانس ﴿ للانسان خذولا ﴾ يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان ﴿ وقال الرسول ﴾ محمد يومئذ اوفى الدنيا بثا الى الله تعالى ﴿ يارب ان قومى ﴾ قريشا ﴿ اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾ بان تركوه وصدوا عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه اوهجروا والغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين ﴾ كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعد

﴿ لقد أضلنى عن الذكر ﴾ أى عن الايمان والقرآن ﴿ بعد اذ جاءنى ﴾ يعنى الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وكان الشيطان ﴾ وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس ﴿ للانسان خذولا ﴾ أى كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام فى كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله (ق) عن أبى موسى الاشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما ان يحترق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذى * ولهما عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى * قوله عز وجل ﴿ وقال الرسول ﴾ يعنى ويقول الرسول فى ذلك اليوم ﴿ يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾ أى متروكا واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعزاه الله تعالى فقال ﴿ وكذلك جعلنا ﴾ أى وكما جعلت لك أعداء من مشركى مكة وهم قومك كذلك جعلنا ﴿ لكل نبى عدوا من المجرمين ﴾ أى المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك

وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلنى عن الذكر) أى عن ذكر الله أو القرآن أو الايمان (بعد اذ جاءنى) من الله (وكان الشيطان) أى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضله الشيطان أو ابليس لانه الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول (للانسان) المطيع له (خذولا) هو مبالغة من الخذلان أى من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم (وقال الرسول) أى محمد عليه الصلاة والسلام فى الدنيا (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفى هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم أقبل عليه مسليا ووعده النصرة عليهم فقال (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين

الجمحى (لقد أضلنى عن الذكر) عن التوحيد والطاعة (بعد اذ جاءنى) محمد صلى الله عليه وسلم بالتوحيد (وكان الشيطان للانسان خذولا) (فان) خاذلا يخذله عند ما يحتاج اليه (وقال الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) مهو متروكا لم يقروا به ولم يعملوا بما فيه (وكذلك) كما جعلنا أبا جهل عدوا لك (جعلنا لكل نبى) قبلك (عدوا من المجرمين)

وكفى بربك هاديا ونصيرا) أى كذلك كان كل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا الى طريق قهرهم والانتصار
لك منهم ونصيرا لك عليهم والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا والباء زائدة أى وكفى ربك هاديا وهو تمييز (وقال الذين
كفروا)أى قريش أو اليهود (لولا نزل عليه القرآن جملة) حال من القرآن أى مجتمعا (واحدة) يعنى هلا أنزل عليه دفعة
واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق وهو فضول من القول ومماراة بما لاطائل
تحته لأن أمر الاعجاز والاحتجاج به لايختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقا ونزل
هنا بمعنى أنزل والا لكان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لأنهم تحدوا بالاتيان بسورة واحدة من أصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج ومالوا الى الحجج (كذلك) جواب لهم أى كذلك أنزل مفرقا فى عشرين سنة أو فى ثلاث وعشرين وذلك فى كذلك اشارة الى مدلول قوله لولا نزل عليه القرآن جملة لان معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا فاعلم أن ذلك (لنثبت به) بتفريقه (فؤادك) حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيأ بعد شئ و جزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب (قا و خا ٥٦ بع) يسكن بتواصل كتب المحبوب (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل

يطلق على الواحد والجمع ﴿ وكفى بربك هاديا ﴾ الى طريق قهرهم ﴿ ونصيرا ﴾ لك عليهم ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن ﴾ أى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله ﴿ جملة واحدة ﴾ دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لاطائل تحته لان الاعجاز لايختلف بنزوله جملة أو متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما أشار اليه بقوله ﴿ كذلك لنثبت به فؤادك ﴾ أى كذلك انزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان عليه الصلاة والسلام اميا وكانوا يكتبون فلو القى اليه جملة تعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لايتأتى الا شيأ فشيأ ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال ثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ﴿ ورتلناه ترتيلا ﴾ وقرأناه عليك شيأ بعد شئ على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة أو ثلاث

ان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فانى ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى ﴿ وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾ * قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ أى كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى ﴿ كذلك ﴾ فعلنا ذلك ﴿ لنثبت به فؤادك ﴾ أى أنزلناه مفرقا لنقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤن وأنزلنا القرآن على نبى أمى لايكتب ولايقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ماهو جواب لمن سأل عن أمور تحدث فى أوقات مختلفة ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به ﴿ ورتلناه ترتيلا ﴾ قال ابن عباس و بيناه

من مشركى قومه (وكفى بربك هاديا) حافظا (ونصيرا) مانعا ممايراد بك (وقال الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه (لولا) هلا (نزل عليه القرآن جملة واحدة) كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود (كذلك) يقول أنزلنا اليك جبريل بالقرآن متفرقا (لنثبت به فؤادك) لنطيب به نفسك وتحفظ به قلبك (ورتلناه ترتيلا) بيناه تبيانا

الذى تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه اى قدرناه اية بعد اية ووقفة بعد وقفة اوامرنا بترتيل
وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أى اقرأه بترسل و تثبت أو بيناه تبيينا والترتيل التبيين فى ترسل،
(ولايأتونك بمثل) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل فى البطلان (الا جئناك بالحق) لا أتيناك بالجواب
الذى لامحيد عنه(وأحسن تفسيرا) وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أى من سؤالهم وانما حذف من مثلهم
فى الكلام دليلا عليه كما لوقلت رأيت زيدا وعمرا وان كان عمرو أحسن وجها فيه دليل على انك تريد من زيد ولد
التفسير هوالتكشيف عما يدل عليه الكلام ووضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل
كذا وكذا أولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا انزل عليك
جملة الا أعطيناك من
الاحوال ماتحق لك فى
حكمتنا ان تعطاه وماهو
أحسن تكشيفا لما بعثت
عليه ودلالة على صحته
يعنى ان تنزيله مفرقا
وتحديهم بان يأتوا ببعض
تلك التفاريق كلما نزل شئ
منها أدخل فى الاعجاز من
ان ينزل كله جملة (الذين
يحشرون على وجوههم
الى جهنم أولئك شر)
الذين مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان
وشر خبر اولئك واولئك
مع شر خبر الذين أو
التقدير هم الذين أو أعنى
الذين وأولئك مستأنف
(مكانا) أى مكانة ومنزلة
أو مسكنا ومنزلا (وأضل
سبيلا) أى وأخطأ طريقا وهو من الاسناد المجازى والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات انكم (اخذ
تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم ل
مكانكم شر من مكانه ومنزلة سبيلكم أضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله و
عليه الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم و
على وجوههم قيل يارسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذى أمشاكم على أقدامكم يمشيهم ع

وعشرين واصل الترتيل فى الاسنان وهو تفلجها ﴿ ولايأتونك بمثل ﴾ سؤ
عجيب كأنه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوتك ﴿ الا جئناك بالحق ﴾ الدافـ
فى جوابه ﴿ واحسن تفسيرا ﴾ وبما هو احسن بيانا أو معنى من سؤالهم أولايأتو
بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال مايحق لك فى حكـ
وماهو احسن كشفا لما بعثت له ﴿ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ﴾ أى مقلو
أو مسحوبين اليها أو متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها • وعنه عليـ
السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف عـ
الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره ﴿ اولئك شر مـ
واضل سبيلا ﴾ والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله تعالى قل هل انبئـ
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاسـ
تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل
متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسـ

بيانا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا آية بعد آية ﴿ ولايأتونك ﴾ يـ
يامحمد هؤلاء المشركون ﴿ بمثل ﴾ أى يضربونه لك فى أبطال أمرك ﴿ الا جئناك بالحق ﴾ أى
نرد به ماجاؤا به من المثل ونبطله فسمى مايوردون من الشبه مثلا وسمى مايدفع به الـ
حقا ﴿ وأحسن تفسيرا ﴾ أى أحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر مآل هؤلاء المشر
فقال تعالى ﴿ الذين ﴾ أى هم الذين ﴿ يحشرون ﴾ أى يساقون ويجرون ﴿
وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا ﴾ أى منزلا ومصيرا ﴿ وأضل سبيلا ﴾

بالامر والنهى ويقال أنزلنا جبريل به متفرقا آية بعد آية (ولا يأتونك) يامحمد (بمثل) بصفة وحجة وبيان (الا جئناك بالحق)
وبيان وحجة فيها نقض حجتهم (واحسن تفسيرا) بيانا وحجة من حجتهم (الذين يحشرون) يجرون (على وجوههم) يوم
(الى جهنم) يعنى اباجهل واصحابه (أولئك شر مكانا) منزلا فى الآخرة وعملا فى الدنيا (واضل سبيلا)

جرمهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة كما آتيناك القرآن (وجعلنا معه أخاه هرون) بدل او عطف بيان
ز) هو فى اللغة من يرجع اليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لاتنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد
ه يؤمرون بان يوازر بعضهم بعضها (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) الى فرعون وقومه وتقديره فذهبا
م نذرا فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة فذكر اولها وآخرها لانهما
من القصة أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وقوم نوح)

أى ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحا و ادريس وشيثا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أو قصتهم (للناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعتدنا) وهيأنا (للظالمين) لقوم نوح وأصله وأعتدنا لهم الا انه أراد تظليمهم فاظهر أوهو عام لكل من ظلم ظلم شرك و يتناولهم بعمومه (عذابا اليما) أى النار (وعادا) دمرنا عادا (وثمود) حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما وثمودا على تأويل الحى أولانه اسم الاب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبيناهم حول الرس وهى البئر غير مطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا أوهم أصحاب الاخدود والرس

ازرى للمبالغة ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا﴾ يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافى ذلك مشاركته فى النبوة لان المتشاركين فى الامر متوازران عليه ﴿ فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿ بآياتنا فدمرناهم تدميرا﴾ اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ﴾ كذبوا نوحا ومن قبله أو نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة ﴿أغرقناهم﴾ بالطوفان ﴿وجعلناهم﴾ وجعلنا اغراقهم أو قصتهم ﴿للناس آية﴾ عبرة ﴿وأعتدنا للظالمين عذابا اليما﴾ يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم ﴿ وعادا وثمود ﴾ عطف على هم فى جعلناهم أو على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرأ حمزة وحفص وثمود على تأويل القبيلة ﴿ واصحاب الرس ﴾ قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهى

أطأ صريقا * قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا ﴾ أى معينا وظهيرا ﴿ فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى القبط ﴿ فدمرناهم ﴾ فيه اضمار أى فكذبوهما فدمرناهم ﴿ تدميرا ﴾ أى اهلكناهم اهلاكا ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ﴾ أى رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع ﴿ أغرقناهم وجعلناهم للناس آية ﴾ أى عبرة لمن بعدهم ﴿ وأعتدنا للظالمين ﴾ فى الآخرة ﴿ عذابا اليما ﴾ أى سوى ما حل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا ﴿ وعادا وثمود ﴾ أى أهلكنا عادا وثمود ﴿ واصحاب الرس ﴾ قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولا عليها وكانوا أصحاب مواش يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وآذوا شعيبا فبينماهم حول البئر فى منازلهم انهارت البئر و خسف بهم وبديارهم ورباعهم

بالحق والهدى (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) معينا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) التسع يعنى فرعون وقومه القبط فلم يؤمنوا (فدمرناهم تدميرا) أهلكناهم اهلاكا بالغرق (وقوم نوح) اهلكنا (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحا وجملة الرسل (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم للناس آية) عبرة لكيلا يقتدوا بهم (وأعتدنا للظالمين) للمشركين مشركى مكة (عذابا أليما) وجيعا فى النار (وعادا) أهلكنا قوم هود (وثمود) قوم صالح (وأصحاب الرس)

الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لايعلمها الاالله أرسل اليهم فكذبوهم فاهلكوا
ضربناله الامثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين (وكلا تبرنا تتبيرا) أى أهلكنا اهلاكا وكلا
منصوب بما دل عليه ضربناله الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لانه

(ولقد أتوا) يعنى أهل مكة (على القرية) سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا مع أهلها و بقيت واحدة (التى أمطرت مطر السوء) أى أمطر الله عليها الحجارة يعنى ان قريشا مروا مرارا كثيرة فى متجرهم الشأم على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثان والاصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أى امطار السوء (أفلم يكونوا يرونها) أما شاهدوا ذلك بابصارهم عند سفرهم الشأم فيتفكروا فيؤمنوا (بل كانوا لايرجون نشورا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث لايخافون بعثا فلا يؤمنون أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول الى ثواب أعمالهم (واذا رأوك ان يتخذونك) ان نافية (الاهزوا) اتخذوه

البئر مصوية فنهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كا
بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا
حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله بطير عظيم كا
من كل لون وسموها عنقاء اطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ او
وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى د
فى بئر ﴿ وقرونا ﴾ واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل
وعشرون ﴿ بين ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر ﴿ كثيرا ﴾ لايعلمها الاالله ﴿ وكلا ضر
الامثال ﴾ بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اه
كما قال ﴿ وكلا تبرنا تتبيرا ﴾ فتتنا تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا ا
منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ عن الضمير ﴿ ولقد اتو
يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام ﴿ على القرية التى امطرت مطر ال
يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة ﴿ أفلم يكونوا يرونها ﴾ ف
مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله ﴿ بل كانوا لايرجون نشور
بل كانوا كفرة لايتوقعون نشورا ولاعاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمرو
كما مرت ركابهم اولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب أولا يخافونه
اللغة التهامية ﴿ واذا رأوك ان يتخذونك الاهزؤا ﴾ ما يتخذونك الا موضع

وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبى
حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا ا
وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس الا
﴿ وقرونا بين ذلك كثيرا ﴾ أى وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد و ثمود وأصح
الرس ﴿ وكلا ضربناله الامثال ﴾ أى فى الاشباه فى اقامة الحجة عليهم فلم نه
الابعد الانذار ﴿ وكلا تبرنا تتبيرا ﴾ أى أهلكناهم هلاكا * قوله تعالى ﴿ ولقد
على القرية التى أمطرت مطر السوء ﴾ يعنى الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى
قرى أهلك الله منها أربعا ونجت واحدة وهى أصغرها وكان أهلها لايعملون العمل الخبيث
يكونوا يرونها) يعنى اذا مروا بها فى اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مدائن قوم
كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشأم ﴿ بل كانوا لايرجون نشورا ﴾ أى لايخافون
* قوله تعالى ﴿ واذا رأوك ان يتخذونك الاهزؤا ﴾ نزلت فى أبى جهل كان اذا

قوم شعيب (وقرونا بين ذلك كثيرا) لم نسمهم اهلكناهم (وكلا ضربناله الامثال) بينا
لكل قرن عذاب القرون الذين قبلهم فلم يؤمنوا (وكلا تبرنا تتبيرا) اهلكناهم اهلاكا بعضهم على اثر بعض (ولقد أتوا) مضوا
كفار مكة (على القرية) قريات لوط (التى امطرت مطر السوء) يعنى الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) مافعل بها و بأهلها فلايكذ
تقول لهم (بل كانوا لايرجون نشورا) لايخافون البعث بعد الموت (واذا رأوك) كفار مكة (ان يتخذونك الاهزوا) مايقولو

هزا في معنى استهزأ به وأصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزؤا به (أهذا الذي) محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار واستهزاء ؤئين أهذا الذي (بعث الله رسولا) والمحذوف حال والعائد الى الذي محذوف أي بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا علا) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المعجزات علم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون ح، يرون العذاب) هو وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال اذ لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه (أرأيت من اتخذ الهه هواه) أي من أطاع فيما يأتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه ترك الاول وعبد الثاني وعن الحسن هو في كل متبع هواه (أفأنت تكون عليه وكيلا) أي حفيظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه التبليغ فقط (أم تحسب ان اكثرهم يسمعون أو يعقلون

ومهزؤا به ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم انه بعث الله رسولا ﴿ان كاد﴾ انه كاد ﴿ليضلنا عن آلهتنا﴾ ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما ينسبق الى الذهن بانها حجج ومعجزات ﴿لولا ان صبرنا عليها﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا﴾ كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان املهم ﴿أرأيت من اتخذ الهه هواه﴾ بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به ﴿أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار ﴿أم تحسب﴾ بل اتحسب ﴿ان اكثرهم يسمعون او يعقلون﴾ فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه

أصحابه قال مستهزئا ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا﴾ أي قد قارب ان يضلنا ﴿عن﴾ عبادة ﴿آلهتنا لولا أن صبرنا عليها﴾ أي على عبادتها والمعنى لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ أي في الآخرة عيانا ﴿من أضل سبيلا﴾ أي أخطأ طريقا ﴿أرأيت من اتخذ الهه هواه﴾ وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا أحسن منه رمى به وأخذ الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس أرأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبد ﴿أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ أي حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال ﴿أم تحسب ان أكثرهم يسمعون﴾ أي ما تقول سماع طالب الافهام ﴿أو يعقلون﴾ أي ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام

استهزاء وسخرية يقولون (أهذا الذي بعث الله رسولا) الينا (ان كاد) قد كاد (ليضلنا) ليصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادة آلهتنا (لولا ان صبرنا عليها) ثبتنا على عبادتها (وسوف يعلمون) وهذا وعيد من الله لهم (حين يرون العذاب من أضل سبيلا) دينا أو حجة (أرأيت) يا محمد (من اتخذ الهه هواه) من عبد الهه بهوى نفسه يعني النضر وأصحابه (أفأنت) يا محمد (تكون عليه وكيلا) حفيظا من الخروج الى هذا الفساد نسختها آية الجهاد ويقال كفيلا بالعذاب (أم تحسب) يا محمد (ان أكثرهم يسمعون) الحق (أو يعقلون) الحق اذا استمعوا الى كلامك

ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) ام منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة اشد من التى تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لايلقون الى استماع الحق أذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال ثم هم أرجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسئ اليها وتطلب ماينفعها وتجتنب مايضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى وقالوا للملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى مجمع الكل ابتلاء فان غلبته النفس والهوى فضلته الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الاحب الرياسة وكفى به داء عضالا ولان فيهم من آمن (ألم ترالى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته (كيف مدالظل) أى بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس فى قول الجمهور لانه ظل ممدود لاشمس معه ولاظلمة وهو كما قال فى ظل الجنة وظل ممدود اذلاشمس معه ولا ظلمة (ولوشاء لجعله ساكنا) أى دائما لايزول ولاتذهبه (ثم

كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ﴿ انهم الا كالانعام ﴾ فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات ﴿ بل هم اضل سبيلا ﴾ من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسئ اليها وتطلب ماينفعها وتجتنب مايضرها وهؤلاء لاينقادون لربهم ولايعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولايطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولايتقون العقاب الذى هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لاتضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدى الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولاذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم ﴿ ألم ترالى ربك ﴾ الم تنظر الى صنعه ﴿ كيف مدالظل ﴾ كيف بسطه أو ألم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مدالظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ﴿ ولوشاء لجعله ساكنا ﴾ ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع

فقال تعالى ﴿ انهم ﴾ أى ماهم ﴿ الا كالانعام ﴾ أى فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى ﴿ بل هم أضل سبيلا ﴾ لان البهائم تهتدى لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لايعرفون طريق الحق ولايطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لايفعلون ذلك * قوله تعالى ﴿ ألم ترالى ربك كيف مدالظل ﴾ هو مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لاشمس معه ﴿ ولوشاء لجعله ساكنا ﴾ أى دائما ثابتا لايزول ولاتذهبه الشمس

(انهم) ماهم بفهم الحق (لا كالانعام) كالبهائم لاتعقل الا الاكل والشرب فهم كذلك فى استماع الحق (بل هم أضل سبيلا) عن الحجة والدين لانه ليس على البهائم السبيل والحجة (ألم ترالى ربك) الم تنظر الى صنع ربك (كيف مدالظل) كيف بسط الظل بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس من المشرق الى المغرب (ولوشاء لجعله ساكنا) لتركه دائما

الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أى أخذنا ذلك الظل الممدود (الينا) الى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا أى جزأ فجزأ بالشمس التى تأتى عليه وجاء بثم لتفاضل مابين الامور فكان الثانى أعظم من الاول والثالث أعظم من الثانى شبه تباعد مابينهما

فى الفضل بتباعد مابين الحوادث فى الوقت

(وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام الساتر كاللباس (والنوم سباتا) راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور فى مقابلته (وجعل النهار نشورا) اذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أى ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان فى الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفى النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى أرسل الرياح) لريح مكى والمراد به الجنس (بشرا) تخفيف

حد ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ فانه لايظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على ض الاجرام أولا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ﴿ثم قبضناه الينا﴾ أى أزلناه ناع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه ى هو فى معنى الكف ﴿قبضا يسيرا﴾ قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح كون ويتحصل به مالا يحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادى قات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها وشاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يتبع الدليل المدلول أو دليل طريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى ان ينتهى غاية نقصانه أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض بابه من الاجرام المظلة والمظل عليها ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباسا﴾ شبه ظلامه باللباس فى ستره ﴿والنوم سباتا﴾ راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع أو موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت ﴿وجعل النهار نشورا﴾ ذا نشور ى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم اليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان رضى الله عنه يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت نشر ﴿وهو الذى ارسل الرياح﴾ وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة الجنس ﴿نشرا﴾ اشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به بفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر

﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ معنى دلالتها عليه انه لولم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بضدها ﴿ثم قبضناه﴾ يعنى الظل ﴿الينا قبضا يسيرا﴾ أى بالشمس التى تأتى عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأ فجزأ قبضا خفيفا ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباسا﴾ ى سترا تستترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شئ كاللباس الذى يشتمل على لابسه ﴿والنوم سباتا﴾ أى راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم ﴿وجعل النهار نشورا﴾ أى يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشرا

الى لاشمس معه (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) حيثما تكون الشمس يكون الظل قبل ذلك ويقال دليلا تتلوه (ثم قبضناه) يعنى الظل (الينا قبضا يسيرا) هينا ويقال خفيا (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) ملبسا يلبس كل شئ فيه (والنوم سباتا) استراحة لابدانكم (وجعل النهار نشورا) مطلبا لمعايشكم (وهو الذى أرسل الرياح بشرا) طيبا

﴿ بين يدى رحمته ﴾ يعنى قدام المطر ﴿ وانزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالصبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعد فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها

بين يدى رحمته ﴾ يعنى المطر ﴿ وانزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ الطهور هو الطاهر فى نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى واراد به المطر والماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب أصحاب الرأى الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى أن الطهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء اذا توضئ به مرة وان وقع فى الماء شئ غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيأ لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار فيجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث فى قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيأ يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد اوصافه نظر ان كان الواقع شيأ طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيأ نجسا نظر فيه فان كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادى يدل عليه ما روى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون فى الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذى وهذا قول الشافعى وأحمد واسحق وجماعة من أهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعى والزهرى واحتجوا بما روى عن أبى سعيد الخدرى قال قيل يا رسول الله انه يستقى لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شئ وفى رواية قالت قلت يا رسول الله أيتوضأ من بئر بضاعة وهى بئر تطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب و النتن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الماء طهور

بشر جمع بشور (بين يدى رحمته) أى قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (طهورا) بليغا فى طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور أى طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور أى بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل فى شئ وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان بناء الفعول للمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعد وان

(بين يدى رحمته) قدام المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) يطهر ولا يطهر

كان زمانا فلازم (لنحيي به) بالمطر (بلدة ميتا) ذكر ميتا على ارادة البلد أو المكان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا)
أى نسق الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من أنعاما وأناسى أى انعاما وأناسى مما خلقنا وسقى وأسقى لغتات وقرأ المفضل
ولنحى ونسقيه والاناسى جمع انسى على القياس ككرسى وكراسى وانسان
وأصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وأدغمت وقدم احياء الارض على سقى الانعام والاناسى لان حياتها سبب لحياتهما وتخصيص الانعام من الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسى متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقى الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسى ووصفها بالكثرة لان أكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فيهم غنية عن سقى السماء واعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقى الاناسى من جلة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيانا ان من حقهم ان يؤثروا الطهارة فى بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط الاحياء (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا) ليذكروا حمزة وعلى يريد
ولقد صرفنا هذا القول بين الناس (قا و خا ٥٧ بع) فى القرآن وفى سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر
انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا (فابى أكثر

باطنهم بذلك اولى ﴿ لنحيي به بلدة ميتا ﴾ بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد ﴿ ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا ﴾ يعنى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها فلذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف ياء وهو جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ﴿ ولقد صرفناه بينهم ﴾ صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب أو المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعام امطر من عام لكن الله قسم ذلك بين عباده على مايشاء وتلا هذه الآية أو فى الانهار والمنابع ﴿ ليذكروا ﴾ ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره أو ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم • وقرأ حمزة والكسائى بسكون الذال وضم الكاف مخففة ﴿ فأبى اكثر

لاينجسه شئ ✻ وقوله تعالى ﴿ لنحيي به ﴾ أى بالمطر ﴿ بلدة ميتا ﴾ قيل اراد به موضع البلدة ﴿ ونسقيه مما خلقنا ﴾ أى نسق من ذلك الماء ﴿ انعاما وأناسى كثيرا ﴾ أى بشرا كثيرا والاناسى جمع انسى وقيل جمع انسان ✻ قوله عز وجل ﴿ ولقد صرفناه بينهم ﴾ يعنى المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ماعام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه فى الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا مامن ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها فى هذه السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافى والبحار ماوقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح ﴿ ليذكروا ﴾ أى ليتذكروا ويتفكروا فى قدرة الله تعالى ﴿ فابى أكثر

(لنحيي به بلدة ميتا) مكانا لانبات فيه (ونسقيه مما خلقنا أنعاما) بهائم (وأناسى كثيرا) خلقا كثيرا من الناس (ولقد صرفناه
بينهم) يعنى المطر قسمنا عاما بعد عام (ليذكروا) لكى يتعظوا بذلك (فابى أكثر

الناس الا كفورا) فبى أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها أو صرفنا المطر بي
البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فابوا الا ال
وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما مامن عام أقل مطرا
ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام لانه لا
ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب فى تنكير البلدة والانعام والاناسى ومن نسب الامط
الانواء وجحد ان تكون هى والانواء من خلق الله تعالى كفر وان رأى ان الله تعالى خالقها وقد نصب الانواء ام
ودلالات عليها لم يكفر

لو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا فى كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا ان نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة الى كافة العالمين فقصرنا الامر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم ولذا خوطب بالجمع يا أيها الرسل فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشديد ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما آثرتك على جميع الانبياء فآثر رضائى على جميع الاهواء وأريد بهذا تهييج وتهييج المؤمنين وتحريكهم (وجاهدهم به) أى بالله يعنى بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أى جادلهم به

الناس الا كفورا ﴾ الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو جحودها بان يقو
مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى ا
من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى ﴿ ولو شئنا لبعثنا فى كل قر
نذيرا ﴾ نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلا
لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدع
واظهار الحق ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ فيما يريدونك عليه وهو تهييج له عليه الصلاة والسلا
وللمؤمنين ﴿ وجاهدهم به ﴾ بالقرآن أو بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهد
فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم ﴿ جهادا كبيرا ﴾ لا
مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف أو لان مخالفتهم ومعادا
فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم أو لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كا

الناس الا كفورا ﴾ أى جحودا وكفرهم هو انهم اذا امطروا قالوا مطرنا بنوء ك
(ق) عن زيد بن خالد الجهنى انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الص
بالحديبية فى أثر سماء من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون م
قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطر
بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء ك
وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب * قوله تعالى ﴿ ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا
أى رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوج
بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ فيما يدعو
اليه من موافقتهم ومداهنتهم ﴿ وجاهدهم به ﴾ أى بالقرآن ﴿ جهادا كبيرا ﴾ أ

وقرعهم بالعجز عنه (جهادا كبيرا) عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز أن يرجع (شد
الضمير فى به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية
لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم
وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة

الناس الا كفورا) لم يقبلوا واستقاموا على الكفر بالله وبنعمته (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية) الى كل أهل قرية (
رسولا مخوفا ولكن جعلناك كافة للناس رسولا لكى يكون الثواب والكرامة كلاهما لك (فلا تطع الكافرين) أبا
وأصحابه بما يأمرونك (وجاهدهم به) بالقرآن (جهادا كبيرا) بالسيف .

(وهو الذى مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين تقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمى الماءين
الكبيرين الواسعين بحرين (هذا) أى أحدهما (عذب فرات) صفة لعذب أى شديد العذوبة حتى يقرب الى الحلاوة
(وهذا ملح أجاج) صفة لملح أى شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حائلا من قدرته يفصل بينهما وعنهما
ج فهما فى الظاهر مختلطان وفى الحقيقة منفصلان (وحجرا محجورا)

القرى ﴿وهو الذى مرج البحرين﴾ خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لايتمازجان من مرج دابته اذا خلاها ﴿هذا عذب فرات﴾ قامع للعطش من فرط عذوبته ﴿وهذا ملح اجاج﴾ بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل واعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ حاجزا من قدرته ﴿وحجرا محجورا﴾ وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر مايقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لايتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية ﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا﴾ يعنى الذى خمر به طينة آدم أو جعله جزأ من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيآت بسهولة أو النطفة ﴿فجعله نسبا وصهرا﴾ أى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ﴿وكان ربك قديرا﴾ حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ﴿ويعبدون من دون الله مالاينفعهم

شديدا * قوله تعالى ﴿وهو الذى مرج البحرين﴾ أى خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر وقيل ارسلهما فى مجاريهما ﴿هذا عذب فرات﴾ أى شديد العذوبة يميل الى الحلاوة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أى شديد الملوحة وقيل مر ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ أى حاجزا بقدرته فلايختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب ﴿وحجرا محجورا﴾ أى سترا ممنوعا فلايبغى أحدهما على الآخر ولايفسد الملح العذب * قوله تعالى ﴿وهو الذى خلق من الماء﴾ أى من النطفة ﴿بشرا فجعله نسبا وصهرا﴾ أى جعله ذا نسب وصهر وقيل النسب مالايحل نكاحه والصهر مايحل نكاحه والنسب مايوجب الحرمة والصهر مالا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التى تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا ويجمعها قوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه فى تفسير سورة النساء ﴿وكان ربك قديرا﴾ على ماأراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى ﴿ويعبدون من دون الله﴾ يعنى هؤلاء المشركين ﴿مالاينفعهم﴾ أى ان

وسترا ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا (وهو الذى خلق من الماء) أى النطفة (بشرا) انسانا (فجعله نسبا وصهرا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى وقيل فجعله نسبا أى قرابة وصهرا مصاهرة يعنى الوصلة بالنكاح من باب الانساب لان التواصل يقع بها وبالمصاهرة لان التوالد يكون بهما (ويعبدون من دون الله مالاينفعهم) ان عبدوه

(وهو الذى مرج البحرين) أرسل البحرين (هذا عذب فرات) حلو طيب (وهذا ملح أجاج) مر مالح زعاق (وجعل بينهما) بين المالح والطيب (برزخا) حاجزا

(وحجرا محجورا) حراما محرما من أن يغير أحدهما طعم صاحبه (وهو الذى خلق من الماء) من ماء الذكر والانثى (بشرا) خلقا كثيرا (فجعله نسبا) مالايحل تزويجه من القرابة (وصهرا) مايحل التزويج من القرابة وغيرها (وكان ربك) بما خلق من الحلال والحرام (قديرا ويعبدون) كفار مكة (من دون الله مالاينفعهم) فى الدنيا

(ولايضرهم) ان تركوه (وكان الكافر على ربه) على معصية ربه (ظهيرا) معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل عزيز والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمن (وماارسلناك الامبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ماأسئلكم عليه) على (من أجر) جعل (الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) والمراد الافعل من شاء واستثناؤه من الاجر قول ذى عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الان هذا المال ولاتضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب كانه يقول ان حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لى ورضائى به كرضا المثاب ولعمرى انه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه بالايمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة وقيل المراد لكن من شاء أن يتخذ بالانفاق الى ضاربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره لاأسألكم على ماأدعوكم اليه أجرا الا اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك أجرى لان الله يأجرنى عليه (وتوكل على الحى الذى لايموت) اتخذ من لايموت وكيلا لايكلك الى من يموت ذليلا يعنى ثق به وأسند أمرك اليه فى استكفاء شرورهم ولا تتكل على حى يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لايصح لذى عقل ان يثق بعدها بمخلوق والتوكل الاعتماد عليه فى كل (عليه

ولايضرهم ﴾ يعنى الاصنام أو كل ماعبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر ﴿ و الكافر على ربه ظهيرا ﴾ يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو ابو جه وقيل هينا مهينا لاوقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقو ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم ﴿ وما ارسلناك الامبشرا ونذيرا ﴾ للمؤمنين والكافر ﴿ قل ما اسألكم عليه ﴾ على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا ﴿ من ا الا من شاء ﴾ الافعل من شاء ﴿ ان يتخذ الى ربه سبيلا ﴾ ان يتقرب اليه ويطل الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فه واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسه بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لك من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل ﴿ وتوكل على الحى الذى لايموت ﴾ فى استك شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذ

عبدوه ﴿ ولايضرهم ﴾ أى ان تركوه ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيرا ﴾ أى معين أعان الشيطان على ربه بالمعاصى لان عبادتهم الاصنام معونة للشيطان وقيل مع ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت اليه وقي أراد بالكافر أباجهل والاصح انه عام فى كل كافر * وقوله تعالى ﴿ وما أرسلناك ا مبشرا ﴾ أى بالثواب على الايمان والطاعة ﴿ ونذيرا ﴾ منذرا بالعقاب على الكف والمعصية ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ ماأسئلكم عليه ﴾ أى على تبليغ الوحى ﴿ من أجر فتقولوا انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلانتبعه ﴿ الامن شاء ان يتخذ الى ر سبيلا ﴾ معناه لكن من شاء ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا يكون المع لاأسألكم لنفسى أجرا ولكن أمنع من انفاق المال الا فى طلب مرضاة الله واتخاذ السبي الى جنته * قوله عزوجل ﴿ وتوكل على الحى الذى لايموت ﴾ معناه انه سبحا وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لايطلب منهم أجرا البتة أمره ان يتوك

والآخرة عبادته وطاعته (ولايضرهم) فى الدنيا والآخرة معصيته وترك عبادته (وكان الكافر) أبوجهل (على ربه ظهيرا) مخا ويقال عونا للكافرين على ربه بالكفر (وماأرسلناك) يامحمد لاهل مكة (الامبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (قل) لاهل مكة (ماأسئلكم عليه) على التوحيد والقرآن (من أجر) من جعل ولارزق (الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) م بالايمان ويقال الامن شاء ان يوحد ويتخذ بذلك التوحيد الى ربه سبيلا مرجعا فيجد ثوابه (وتوكل) يامحمد (على الحى لايموت) ولاتتوكل على الاحياء الذى يموتون مثل أبى طالب وخديجة ولاعلى الاموات

ٲ وسبح) من أن يكل الى غيره من توكل عليه (بحمده) بتوفيقه الذى يوجب الحمد أوقل سبحان الله وبحمده
ٲ ٍهه عن كل العيوب بالثناء عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعنى انه خبير بأحوالهم
كافٍ فى جزاء أعمالهم (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أى فى مدة مقدار هذه المدة لانه لم يكن
حـ ذليل و نهار روى عن مجاهد أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وانما
خلقها فى ستة أيام وهو يقدر على ان يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت (ثم استوى على العرش الرحمن) أى هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الضمير فى استوى أو الذى خلق مبتدأ والرحمن خبره (فاسئل) بلا همزة مكى وعلى (به) صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلة فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه أو صلة (خبيرا) ويكون خبيرا مفعول سل أى فاسأل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فاسأل رجلا خبيرا به وبرحمته أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من ينكره ومن ثمه كانوا
ٯولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة (واذا قيل لهم) أى اذا قال محمد عليه الصلاة
السلام للمشركين (اسجدوا للرحمن)

وتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم ﴿ وسبح بحمده ﴾ ونزهه عن صفات
لنقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه ﴿ وكفى به
ذنوب عباده ﴾ ما ظهر منها وما بطن ﴿ خبيرا ﴾ مطلعا فلا عليك ان آمنوا أو
كفروا ﴿ الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ﴾
لدسبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث
نه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى الامر فانه تعالى مع
كال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج ﴿ الرحمن ﴾
خبر للذين ان جعلته مبتدأ أو لمحذوف ان جعلته صفة للحى أو بدل من المستكن فى استوى
وقرئ باالجر على انه صفة للحى ﴿ فاسئل به خبيرا ﴾ فاسئل عما ذكر من الخلق والاستواء
عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبريل أو من وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقك فيه
وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسئل عنه من يخبرك من
اهل الكتاب ليعرفوا مجئ ما يرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ
والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء
وقيل انه صلة خبيرا ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن

عليه فى جميع أموره وانما قال على الحى الذى لا يموت لان من توكل على حى يموت
انقطع توكله عليه بموته وأما الله سبحانه وتعالى فانه حى لا يموت فلا ينقطع توكل
من توكل عليه ولا يضيع البتة ﴿ وسبح بحمده ﴾ أى صل له شكرا على نعمه وقيل
معناه قل سبحان الله والحمد لله ﴿ وكفى به بذنوب عباده خبيرا ﴾ يعنى انه تعالى عالم
بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم
قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا قدمتم على مخالفة أمرى كفاكم علمه
فى مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة * قوله عز وجل ﴿ الذى خلق السموات
والارض وما بينها فى سته أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا ﴾ أى
فاسئل الخبير بذلك يعنى بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش
وقيل معناه أيها الانسان لا ترجع فى طلب العلم بهذا الى غيرى وقيل معناه فاسئل عنه
خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن

لذين لا حركة لهم (وسبح بحمده) صل بامره (وكفى به) بالله (بذنوب عباده خبيرا) عالما (الذى خلق السموات والارض وما بينهما)
ن الخلق والعجائب (فى ستة أيام) من ايام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة مما تعدون أول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة
ثم استوى) استقر (على العرش) ويقال امتلأ به العرش (الرحمن) مقدم ومؤخر يقول استوى الرحمن على العرش (فاسئل به)
ذلك (خبيرا) بالله عالما ويقال فاسأل عن الله أهل العلم يخبروك (واذا قيل لهم) لكفار مكة (اسجدوا للرحمن) اخضعوا للرحمن بالتوحيد

صلوا لله واخضعوا له (قالوا وما الرحمن) أى لانعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما ...
يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أو عن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والـ...
والرحوم (أنسجد لما تأمرنا) للذى تأمرنا بالسجود له أو لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به يأمرنا على وحمزة كان ...
قال البعض أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ماهو فقد تعاندوا لان معناه عند أهل اللغة ذو الر...
التى لاغاية بعدها فى الرحمة لان فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان فى نهاية العطش (وزادهم) ...
اسجدوا للرحمن (نفورا) تباعدا عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء برو[جا])
هى منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما وللشمس بيت وللقمر بيت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشترى والجدى والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التى هى القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها
وانشقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هى النجوم الكبار لظهورها (وجعل فيها) (اى
فى السماء (سراجا) يعنى الشمس لتوقدها سرجا حمزة وعلى اى نجوما (وقمرا منيرا) مضيأ بالليل (وهو الذى جعل الل...
والنهار خلفة) فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآ...

قالوا وما الرحمن ﴾ لانهم ماكانوا يطلقونه على الله أو لانهم ظنوا انه اراد غيره ولذلك قالوا ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾ أى للذى تأمرناه يعنى تأمرنا بسجود[ه] اولامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائى يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض ﴿ وزادهم ﴾ اى الامر بالسجود للرحمن ﴿ نفورا ﴾ عن الايمان ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ﴾ يعنى البروج الاثنى عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار ﴿ وقمرا منيرا ﴾ مضيئا بالليل وقرئ وقمرا أى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴾ أى ذوى خلفة

قالوا وما الرحمن ﴾ أى مانعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾ انت يا محمد ﴿ وزادهم ﴾ أى قول القائل اسجدوا للرحمن ﴿ نفورا ﴾ أى عن الايمان والسجود

فصل

وهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند سماعه وقراءتها * قوله تعالى ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ﴾ قيل البروج هى النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هى البروج الاثنا عشر التى هى منازل الكواكب السبعة السيارة وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التى هى القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ يعنى الشمس ﴿ وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴾ قال

(قالوا وما الرحمن) ما نعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب (أنسجد لما يأمرنا) الكذاب (وزادهم) ذكر الرحمن ويقال القر...
ويقال دعوة النبى صلى الله عليه وسلم (نفورا) تباعدا عن الايمان (تبارك) ذو بركة (الذى جعل فى السماء بروجا) نجوما ويقال قصو...
(وجعل فيها) فى السماء (سراجا) شمسا مضيأ لبنى آدم بالنهار (وقمرا منيرا) مضيأ لبنى آدم بالليل (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة...

والمد جعلهما ذوى خلفة يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه فى قضاء مافاته من الورد (لمن آراد ان يذكر) يتدبر فى
تعاقبهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر حمزة و خلف أى يذكر الله أو المنسى فيقضى (أو أراد شكورا) أى يشكر
نعمة ربه عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره (الذين يمشون) أو أولئك يجزون والذين يمشون ومابعدهما صفة
والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل

بعد ماوصف أعداءه (على
الارض هونا) حال أو صفة
للمشى أى هينين أو مشيا
هينا والهون الرفق واللين
أى يمشون بسكينة وو قار
وتواضع دون مرح واختيال
وتكبر فلا يضربون باقدامهم
ولا يخفقون بنعالهم أشرا
وبطرا ولذا كره بعض العلماء
الركوب فى الاسواق ولقوله
ويمشون فى الاسواق (واذا
خاطبهم الجاهلون) أى
السفهاء بما يكرهون (قالوا
سلاما) سدادا من القول
يسلمون فيه من الايذاء
والافك أو تسلما منكم
نتارككم ولا نجاهلكم فاقيم
السلام مقام التسلم وقيل
نسخها آية القتال ولا حاجة
الى ذلك فالاغضاء عن السفهاء
مستحسن شرعا و مروءة
هذا وصف نهارهم ثم
وصف ليلهم بقوله (والذين
يبيتون لربهم سجدا) جمع
ساجد (وقياما) جمع قائم
والبيتوتة خلاف الظلول
وهى ان يدركك الليل نمت

مختلفة بعضها البعض (لمن

أراد أن يذكر) أن يتعظ باختلافهما (أو أراد شكورا) عملا صالحا ما ترك بالليل يعمل بالنهار وما ترك بالنهار يعمل بالليل (وعباد
الرحمن) خواص الرحمن (الذين يمشون على الارض هونا) تواضعا من مخافة الله (واذا خاطبهم الجاهلون) واذا كلمهم الكفار
والفساق (وقالوا سلاما) ردوا معروفا وقالوا سدادا من القول (والذين يبيتون لربهم) بالصلاة (سجدا وقياما) فى

ف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه أو بان يعتقبا لقوله تعالى
اختلاف الليل والنهار وهى للحالة من خلف كالركبة والجلسة ﴿لمن اراد ان يذكر﴾
يتذكر آلاء الله ويتفكر فى صنعه فيعلم ان لابد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم
بالعباد ﴿أو اراد شكورا﴾ ان يشكر الله على مافيه من النعم أو ليكونا وقتين للمتذكرين
والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الآخر، وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر
بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه ﴿وعباد الرحمن﴾ مبتدأ خبره
أولئك يجزون الغرفة أو ﴿الذين يمشون على الارض﴾ واضافتهم الى الرحمن
للتخصيص والتفضيل أو لانهم الراسخون فى عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار
﴿هونا﴾ هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع
﴿واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ تسليما منكم ومتاركة لكم لاخير بيننا وبينكم ولا
شرا وسدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان
المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما﴾ فى الصلاة وتخصيصهم البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير

ابن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله فى أحدهما
قضاه فى الآخر قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب قال فاتتنى الصلاة الليلة
قال ادرك مافاتك من ليلتك فى نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد
ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا أبيض
وقيل يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان فى الضياء والظلمة
والزيادة والنقصان ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أى يتذكر و يتعظ ﴿أو أراد شكورا﴾
أى شكر نعمة ربه عليه فيهما * قوله عز وجل ﴿وعباد الرحمن﴾ قيل هذه
الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله ﴿الذين يمشون على الارض
هونا﴾ يعنى بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل
علماء حكماء أصحاب وقار وعفة ﴿واذا خاطبهم الجاهلون﴾ يعنى السفهاء بما يكرهونه
﴿قالوا سلاما﴾ أى سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا
ولم يجهلوا و ليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم
نسختها آية القتال و يروى عن الحسن البصرى انه كان اذا قرأ هذه الآية قال هذا
وصف نهارهم ثم اذا قرأ ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا و قياما﴾ قال هذا وصف

أولم تنم وقالوا من قرأ شيأ من القرآن فى صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد ال[عشاء]
والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) هـ[لاكا]
لازما ومنه الغريم لملازمته وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتها[دهم]
خائفون مبتهلون متضرعون الى الله فى صرف العذاب عنهم (انها ساءت مس[تقرا]
ومقاما) أى ان جهنم وساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز ويصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد فى النفقة أو لم يأكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينفقوا فى المعاصى فالاسراف مجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لاخير فى الاسراف فقال لاسراف فى الخير وقال عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد قتر ومن أعطى فى غير حق فقد أسرف (ولم يقتروا) بضم التاء كوفى وبضم الياء وكسر التاء مدنى وشامى وبفتح الياء وكسر التاء مكى وبصرى والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف (وكان) انفاقهم (بين ذلك) أى الاسراف والاقتار (قواما) أى عدلا

القيام للروى وهو جمع قائم أو مصدر اجرى مجراه ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ﴾ لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم و وثوقهم على استمرار حالهم ﴿ انها ساءت مستقرا ومقاما ﴾ أى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز المخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان أو احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى أو تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله ﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ﴾ لم يجاوزوا حد الكرم ﴿ ولم يقتروا ﴾ ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء من اقتر وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء والكل واحد ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ وسطا وعدلا

ليلهم والمعنى يبيتون لربهم فى الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما (م) عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليله ﴿ قوله عز وجل ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ﴾ أى ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظى سأل الله الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوه فاغرمهم فبقوا فى النار وقال كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم ﴿ انها ﴾ يعنى جهنم ﴿ ساءت ﴾ بئست ﴿ مستقرا ومقاما ﴾ أى موضع قرار واقامة ﴿ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ قيل الاسراف النفقة فى معصية الله وان قلت والاقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد فى الانفاق حتى يدخل فى حد التبذير والاقتار التقصير عما لابد منه وهو ان لايجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ أى قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين قيل هذه

صلاة الليل (والذين يقولون ربنا) يا ربنا (اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) لازما دواما ملحا (انها ساءت مستقرا) منزلا (ومقاما) مثوى ثم ذكر نفقاتهم فقال (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم ينفقوا فى المعصية (ولم يقتروا) ولم يمنعوا الحق (وكان بين ذلك) بين الاسراف والتقتير (قواما) وسطا عدلا

ينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان أى بين ذلك قواما خبر ان وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير
وبما أمر عليه الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز
عن نفقه حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه أراد ما فى هذه الآية وقيل أولئك أصحاب محمد عليه
الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع
الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى الرجل شيأ الا
أكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) أى لا يشركون (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) أى حرمها يعنى حرم قتلها (الا بالحق) بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعى فى الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (ولا يزنون) ونفى هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كانه قيل والذين طهرهم الله مما أنتم عليه (ومن يفعل ذلك) أى المذكور (يلق أثاما) جزاء الاثم (يضاعف) بدل من يلق لانهما فى معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هى لقاء الاثام كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

فجزم تلمم لانه بمعنى تأتنا اذ الاتيان هو الالمام يضعف مكى ويزيد ويعقوب يضعف شامى يضاعف ابو بكر على

ن به لاستقامة الطرفين كما سمى سوا لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به
اجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان الكان أو حال مؤكدة ويجوز ان يكون
ار وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف
، بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ على نفسه ﴿ والذين لا يدعون مع الله الها
ر ولا يقتلون النفس التى حرم الله ﴾ أى حرمها بمعنى حرم قتلها ﴿ الا بالحق ﴾
لق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون ﴿ ولا يزنون ﴾ نفى عنهم امهات المعاصى بعدما
ت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود
مع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ﴿ ومن يفعل
ك يلق اثاما ﴾ جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام
صعب ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيمة ﴾ بدل من يلق لانه فى معناه كقوله

ية فى صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة
يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم
عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترون به العورة ويقيهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب
سرفا أن لا يشتهى شيأ الا اشتراه فأكله ﴿ والذين لا يدعون مع الله الها آخر ﴾
(ق) عن ابن عباس ان اناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا
وا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما
ا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر ﴿ ولا يقتلون النفس التى
م الله الا بالحق ولا يزنون ﴾ ونزل قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أى الذنب اكبر
الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك
ثم أى قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقا له والذين لا يدعون مع الله الها آخر
يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴾ اى
ن يفعل شيأ من ذلك يلق أثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل
أثام واد فى جهنم ويروى فى الحديث ان الغى والأثام بئران فى جهنم يسيل فيهما صديد
ل النار ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيمة ﴾ وسبب تضعيف العذاب ان المشرك

ئناف أو على الحال ومعنى يضاعف (قا و خا ٥٨ بع) (له العذاب يوم القيمة) أى يعذب على مرور الايام
خرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك

ذين لا يدعون مع الله) لا يعبدون مع الله (الها آخر) من الاصنام (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) قتلها
لا يستحلون قتلها (الا بالحق) بالرجم والقصاص والارتداد (ولا يزنون) ولا يستحلون الزنا (ومن يفعل ذلك)
لا (يلق أثاما) واديا فى النار ويقال جبا (يضاعف له العذاب يوم القيمة

عـذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه (ويخلد) جزمه جازم يضاعف
رافعه لانه معطوف عليه (فيه) في العذاب فهي مكي وحفص بالاشباع وانما خص
الاشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل في هاء الكناية الاشباع (مهانا) حال أى ذليلا (الا من تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع النصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد توبته (فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) أى يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به ان السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ماذكرنا يبدل مخففا البرجمى (وكان الله غفورا) يكفر السيآت (رحيما) يبدلها بالحسنات (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) أى ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه يتوب بذلك الى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا

ويخلد فيه) في العذاب (مهانا) يهان به ذليلا (الا من تاب) من الكفر (وآمن) بالله (وعمل عملا صالحا) خالصا بعد الايمان (فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) يحولهم الله من الكفر الى الايمان ومن (...
المعصية الى الطاعة ومن عبادة الاصنام الى عبادته ومن الشر الى الخير (وكان الله غفورا) لمن تاب (رحيما) لمن مات على الت...
(ومن تاب) من الذنوب (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه خالصا من قلبه (فانه يتوب الى الله متابا) مناصحة ويقال يجاو...

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ﴿ ويخلد فيه مهانا ﴾ وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرأ ابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب ومضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله ﴿ الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ﴾ بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ فلذلك يعفو عن السيآت ويثيب على الحسنات ﴿ ومن تاب ﴾ عن المعاصى بتركها والندم عليها ﴿ وعمل صالحا ﴾ يتلافى به ما فرط أو خرج عن المعاصى ودخل في الطاعة ﴿ فانه يتوب الى الله ﴾ يرجع الى الله بذلك ﴿ متابا ﴾ مر...

اذا ارتكب المعاصى مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته ﴿ ويخلد فيه مهانا ﴾ أى ذليلا ٭ قوله تعالى ﴿ الا من تاب ﴾ أى عن ذنبه ﴿ وآمن ﴾ أى بربه ﴿ وعمل عملا صالحا ﴾ أى فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية ثم نزلت الا من تاب فما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط مثل ما فرح بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ٭ وقوله تعالى ﴿ فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله سيآتهم التى عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله تعالى يمحو بالندم جميع السيآت ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ﴿ ومن تاب وعمل صالحا ﴾ قيل هذا في التوبة من غير ما سبق ذكره في الآية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعنى أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن ﴿ فانه يتوب الى الله ﴾ أى يعود اليه بعد الموت ﴿ متابا ﴾ أى حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الاولى وهى قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافأة و...

محصلا للثواب (والذين لايشـهدون الزور) أى الكذب يعـنى ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا
قربوهـا تنزها عن مخالطة الشر وأهـله اذ مشاهـدة البـاطل شركة فيه وكذلك النظـارة الى مالم تسوغـه
الشريعة هم شركاء فاعليه فى الآثام لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب
وجود الزيادة فيه وفى
مواعظ عيسى عليه السلام
اياكم ومجالسة الخاطئين
أولا يشهدون شـهادة
الزور على حذف المضاف
وعن قتادة المراد مجالس
الباطل وعن ابن الحنفية
لايشهدون اللهو والغناء
(واذا مروا باللغو) بالفحش
وكل ماينبغى أن يلغى
ويطرح والمعنى واذا مروا
باهـل اللغو والمشتغلـين
به (مروا كـراما)
معرضين مكرمين أنفسهم
عن التلوث به كقوله واذا
سمعوا اللغو أعرضوا عنه
وعن الباقر رضى الله عنه
اذا ذكروا الفروج كنوا
عنها (والذين اذا ذكروا
بآيات ربهم) أى قرئ
عليهم القرآن أو وعظوا
بالقرآن (لم يخروا عليها
صما وعميـانا) هذا ليس
بنفى الخرور بل هو اثبات له
ونفى الصمم والعمى ونحوه
لايلقانى زيد مسلما هو نفى
للسلام لاللقاء يعنى انهم اذا
ذكروا بهـا خروا سجدا
وبكيا سامعين بآذن واعية
مبصرين بعيون راعية لما
امروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا

الى الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم
أو انه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعـا حسـنا وهذا تعميم بعد تخصيص ﴿ والذين
لا يشهدون الزور ﴾ لايقيمون الشهادة الباطلة أو لايحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة
الباطل شركة فيه ﴿ واذا مروا باللغو ﴾ مايجب ان يلغى ويطرح ﴿ مروا كراما ﴾
معرضين عنه مكرمين انفسـهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن
الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به ﴿ والذين اذا ذكروا
بآيات ربهم ﴾ بالوعظ أو القراءة ﴿ لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها
ولا متبصرين بما فيها كمن لايسمع ولايبصر بل اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين
بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لايلقانى زيد مسلما وقيل الهاء

لهذه الآية أيضا فى التوبة عن جميع السيآت ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب
لوجه الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر أى تب الى الله وقيل معنـاه فليعلم ان توبته
ومصيره الى الله تعالى * قوله عز وجل ﴿ والذين لايشهدون الزور ﴾ يعنى الشرك
وقيل هى شهادة الزور ﴿ ق ﴾ عن أبى بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان
متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت
وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به فى
الاسواق وقيل لايشهدون الزور يعنى أعياد المشركين وقيل الكذب والنوح وقيل
لايساعدأهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء
ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور حقيقة تحسين الشئ ووصفه
بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق ﴿ واذا مروا باللغو ﴾ هو كان مايجب
ان يلغى ويترك ﴿ مروا كراما ﴾ يعنى اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا
وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصى كلها
والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما أى مسرعين معرضين وهو ان ينزه
المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا
عليها صما وعميانا ﴾ قيل معناه انه ليس فيه نفى الخرور انما هو اثبات له ونفى الصمم والعمى
والمعنى اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها بآذن واعية وأقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة
راعية وقيل معناه لم يخروا أى لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كانهم بآذانهم صمم

الله (والذين لايشهدون الزور) لايحضرون مجالس الزور (واذا مروا باللغو) بمجالس الباطل (مروا كراما) أعرضوا حلما
والذين اذا ذكروا) وعظوا (بآيات ربهم لم يخروا عليها) على آيات الله (صما) لايسمعون (وعميانا) لايبصرون ولكن يسمعون

(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا) من للبيان كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أز
(وذرياتنا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد أو للابتداء على معنى
لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وذريتنا أبو عمرو وكوفى غير حفص لارادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قرة أعين
نكر لاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وا
أعين على القلة دون عيون لان المراد أعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون

قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال فى تنكير أعين انها أعين خاصة وهى أعين المتقين والمعنى انهم سألوا ربهم ان يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله تعالى يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شئ أقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه (واجعلنا للمتقين اماما) أى أئمة يقتدون بنا فى الدين فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس او اجعل كل واحد منا اماما قيل فى الآية ما يدل على ان الرياسة فى الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها (أولئك يجزون الغرفة) أى الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم فى الغرفات آمنون (بما صبروا) أى بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى ﴿ عن

للمعاصى المدلول عليها باللغو ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهل فى طاعة الله سر بهم قلبه وقرت عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن ابتدائية أو بيانية كقولك رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر ذريتنا وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص ويعقوب ذرياتنا بالالف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم ﴿ واجعلنا للمتقين اماما ﴾ يقتدون بنا فى امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده امالدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا اولانه مصدر فى اصله أو لان المراد واجعل كل واحد منها أو لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم ﴿ اولئك يجزون الغرفة ﴾ اعلى مواضع الجنة وهى اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هى من اسماء الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات

وبأعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه ﴿ قوله عز وجل ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ أى ابرارا اتقياء صالحين فيقر اعيننا بذلك قيل ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه فى الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره ﴿ واجعلنا للمتقين اماما ﴾ أى أئمة يقتدون فى الخير بنا وقيل معناه نقتدى بالمتقين ويقتدى بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هدى وقيل معناه انهم سألوا الله أن يبلغهم فى الطاعات المبلغ الذى يشار اليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة فى الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم ﴿ اولئك يجزون ﴾ أى يثابون ﴿ الغرفة ﴾ الدرجة العالية الرفيعة فى الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت فى الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ أى على طاعة الله تعالى وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل بما صبروا

ويبصرون (والذين يقولون ربنا) يا ربنا (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين) يقول اجعل أزواجنا وذرياتنا صالحين تقر أعيننا بهم (واجعلنا للمتقين اماما) اجعلنا صالحين لكى يقتدوا بنا (أولئك) أهل هذه الصفة (يجزون الغرفة) الدرجة العلى فى الجنة (بما صبروا) على طاعة الله والفقر والمرازى

الفقا وغير ذلك (ويلقون فيها) ويلقون كوفى غير حفص (تحية) دعاء بالتعمير (وسلاما) ودعاء بالسلامة يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه (خالدين فيها) حال (حسنت) أى الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار واقامة وهى فى مقابلة ساءت مستقرا ومقاما (قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) ما متضمنة لمعنى الايهام وهى فى محل النصب ومعناه مايصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام أو لولا عبادتكم له أى انه خلقكم لعبادته كقوله وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون أى الاعتبار عند ربكم لعبادتكم أوما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم (فقد كذبتم) رسولى ياأهل مكة (فسوف يكون) العذاب (لزاما) أى ذا لزام أو ملازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك مايعبأ مايبالى بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه الها آخر

ويلقون فيها تحية وسلاما ﴾ دعاء بالتعمير والسلامة أى تحييهم الملائكة ويسلمون بهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أو تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائى بو بكر يلقون من لقى ﴿ خالدين فيها ﴾ لا يموتون ولا يخرجون ﴿ حسنت مستقرا ومقاما ﴾ ابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا ﴿ قل مايعبأ بكم ربى ﴾ مايصنع بكم من عبأت الجيش اهيأته أو لا يعتد بكم ﴿ لولا دعاؤكم ﴾ لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة لطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه بهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل اى عبأ يعبؤكم فقد كذبتم) بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم ب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لان توجه لخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب ﴿ فسوف يكون اما ﴾ يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لامحالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم فى النار انما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم ر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت

ن الشهوات ﴿ ويلقون فيها تحية ﴾ أى ملكا وقيل بقاء دائما ﴿ وسلاما ﴾ أى يسلم ضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما أى سلامة من الآفات قوله تعالى ﴿ خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ﴾ أى موضع قرار واقامة ﴿ قوله الى ﴿ قل مايعبأ بكم ربى ﴾ أى مايصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سواء وقيل عناه أى وزن ومقدار لكم عنده ﴿ لولا دعاؤكم ﴾ اياه قيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لا ايمانكم وقيل لولا دعاؤه اياكم الى الايمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ايعبأ بخلقكم ربى لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول بن عباس وقيل معنى مايعبأ أى مايبالى بمغفرتكم ربى لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ا خلقتكم ولى اليكم حاجة الا أن تسألونى فاعطيكم وتستغفرونى فاغفر لكم ﴿ فقد كذبتم ﴾ يها الكافرون يخاطب أهل مكة يعنى ان الله دعاكم الى توحيده وعبادته على لسان سول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان ﴿ فسوف يكون زاما ﴾ هذا تهديد لهم أى يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل تالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل عناه عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مفنيا يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل نهم سبعون واسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب يعنى انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس

(ويلقون فيها) فى الجنة (تحية) من الله (وسلاما) يلقونهم بذلك الملائكة بالتحية والسلام من الله اذا دخلوا فى الجنة (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (حسنت مستقرا) منزلا (ومقاما) مثوى (قل) يا محمد لاهل مكة (مايعبأ بكم ربى) مايصنع باجسامكم وصوركم ربى (لولا دعاؤكم) ان أمركم بالتوحيد (فقد كذبتم) محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن (فسوف) وهذا وعيد من الله لهم (يكون لزاما) عذاب يوم بدر بالقتل والضرب والسبى يعنى فقد كذبتم بنبيكم فسوف يكون

﴿ سورة الشعراء مكة وهى مائتان وعشرون وسبع آيات ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (طسم) ويس وحم ممالة كوفى غير الاعشى والبرجمى وحفص ويظهر النون عند الميم حمزة وغيرهما يدغمها (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين (لعلك باخع) قاتل واهلك للاشفاق (نفسك) من الحزن يعنى أشفق على نفسك ان تقتلها حسرة وحزنا على مافاتك من اسلام قومك (ألايكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أو لامتناع ايمانهم

(١) عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفرقان لقى الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لاريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

﴿ سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهى مائتان وست أوسبع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿طسم﴾ قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه فى الاصل منفصل عما بعده ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة أوالقرآن على مامر فى اول البقرة ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار ذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة واهلك للاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها ﴿ ان لايكونوا مؤمنين ﴾ لئلا يؤمنوا اوخيفة ان لايؤمنوا

قدمضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفى رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الشعراء وهى مكية الا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهى مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ طسم ﴾ قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفى رواية أخرى عنه انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه ﴿ تلك آيات ﴾ أى هذه الا يات آيات ﴿ الكتاب المبين ﴾ قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الاحكام ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ أى قاتل نفسك ﴿ أن لايكونوا مؤمنين ﴾ أى ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم

العذاب عليكم لزاما

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الشعراء وهى كلها مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وعشرون آية وكلماتها ألف ومائتان وسبع وستون وحروفها خمسة آلاف وخمسمائة واثنان واربعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (طسم) يقول الطاء طوله وقدرته والسين سناؤه والميم ملكه ويقال قسم أقسم به (تلك آيات الكتاب المبين) يقول أقسم ان هذه السورة آيات القرآن المبين بالحلال والحرام والامر والنهى (لعلك باخع نفسك) قاتل { فانزل نفسك يامحمد بالحزن عليهم (ألايكونوا مؤمنين) بان لايكونوا مؤمنين يعنى قريشا وكان حريصا على ايمانهم يحب ايما

(١) قال فى العناية والحديث المذكور موضوع

أوـة أن لا يؤمنوا (ان نشأ) ايمانهم (ننزل عليهم من السماء آية) دلالة واضحة (فظلت) أى فتظل لان الجزاء يقع فيه لفظ
الماضى فى معنى المستقبل تقول ان زرتنى أكرمتك أى أكرمك كذا قاله الزجاج (أعناقهم) رؤساؤهم ومقدموهم أو جماعاتهم
يقال جاءنا عنق من الناس افوج منهم (لها خاضعين) منقادين وعن ابن عباس رضى الله
عنهما نزلت فينا وفى بنى أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) أى وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسيأتيهم) فسيعلمون (أنباء) اخبار (ما كانوا به يستهزون) وهذا وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة ما الشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التى كانت خافية عليهم (أولم يروا الى الارض كم انبتنا) كم نصب بانبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذى نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتى الكثرة

ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية ﴾ دلالة ملجئة الى الايمان أو بلية قاصرة عليه ﴿ فظلت اعناقهم خاضعين ﴾ منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس افوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف لكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح ﴿ وما يأتيهم من ذكر ﴾ موعظة أو طائفة من القرآن ﴿ من الرحمن ﴾ يوحيه الى نبيه ﴿ محدث ﴾ مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير ﴿ الا كانوا عنه معرضين ﴾ الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه ﴿ فقد كذبوا ﴾ أى بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا فى تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء المخبر به عنهم ضمنا فى قوله ﴿ فسيأتيهم ﴾ أى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ﴿ انباء ما كانوا به يستهزؤن ﴾ من انه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف امره ﴿ أولم يروا الى الارض ﴾ أولم ينظروا الى عجائبها ﴿ كم انبتنا فيها من كل زوج ﴾ صنف ﴿ كريم ﴾ محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون منبئة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم

فانزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ أى لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوى أحد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لاراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح مجىء خاضعين خبرا عن الاعناق • قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين • فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أو لما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم أى فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أى جماعة • قوله تعالى ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن ﴾ أى وعظ وتذكير ﴿ محدث ﴾ أى محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما انزل شئ من القرآن بعد شئ فهو أحدث من الاول ﴿ الا كانوا عنه معرضين ﴾ أو عن الايمان به ﴿ فقد كذبوا فسيأتيهم ﴾ أى فسوف يأتيهم ﴿ أنباء ﴾ أى أخبار وعواقب ﴿ ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الارض ﴾ يعنى المشركين ﴿ كم أنبتنا فيها ﴾ أى بعد ان لم يكن فيها نبات ﴿ من كل زوج كريم ﴾ أى جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام وقال الشعبى

ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) علامة (فظلت) فصارت (أعناقهم لها خاضعين) ذليلين (وما يأتيهم من ذكر) ما يأتى جبريل نبيهم بقرآن (من الرحمن محدث) بانيان محدث بعضه على اثر بعض (الا كانوا عنه معرضين) مكذبين بالقرآن (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن (فسيأتيهم أنباء) أخبار (ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب ويقال خبر عقوبة استهزائهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولم يروا) كفار مكة (الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج) من كل لون (كريم)

والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على ان هذا المحيط متكاثر م
الكثرة وبه نبه على كمال قدرته (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي ان في انبات تلك الاصناف لآية
ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى ايمانهم (وان ربك
العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم وآية مع الاخبار بكثرتها لان ذلك مشار به الى مصدر أنبـ
المراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية أي آية (واذ) مفعول به أي اذكر اذ (نادى) دعا (ربك موسى
ائت) أن بمعنى اي (القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر وبني اسرائيل بالاستعباد و
الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد (ألا يتقون) اى ائتهم زاجرا فقد آن لهم ان يتقوا وهى كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير في الظالمين اى يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال (قال رب انى اخاف) الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقع (ان يكذبون ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياى مستأنف اوعطف على اخاف (ولا ينطلق لسانى) بان تغلبنى الحمية على ماارى من المحال واسمع من الجدال وبنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على

لكثرتها ﴿وان في ذلك﴾ ان في انبات تلك الاصناف أو في كل واحد ﴿لآية﴾ على ان منبتها تام القدرة والحكمة وسابغ النعمة والرحمة ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة ﴿الرحيم﴾ حيث امهلهم أو العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن ﴿واذ نادى ربك موسى﴾ مقدر باذكر أو ظرف لما بعد ﴿ان ائت﴾ أي ائت أو بان ائت ﴿القوم الظالمين﴾ بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم ﴿قوم فرعون﴾ بدل من الاول أو عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك ﴿ألا يتقون﴾ استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ استماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا ﴿قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى

الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ﴿ان في ذلك﴾ أي الذى ذكر ﴿لآية﴾ تدل على أنه واحد أي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل

وفي كل شئ له آية ٭ تدل على انه واحد

﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي سبق علمي فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ أي المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ ذو الرحمة لاوليائه ٭ قوله تعالى ﴿واذ نادى﴾ أي واذكر يا محمد اذ نادى ﴿ربك موسى﴾ أي حين رأى الشجرة والنار ٭ أن ائت القوم الظالمين ﴿ يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب ﴿قوم فرعون﴾ يعني القبط ﴿ألا يتقون﴾ أي يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿رب﴾ أي يارب ﴿انى أخاف ان يكذبون ويضيق صدرى﴾ أي بتكذيبهم اياى ﴿ولا ينطلق لسانى﴾ أي

حسن في المنظر (ان في ذلك) في اختلاف ألوانه (لآية) لعلامة وعبرة (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين (للعقد
وكلهم كانوا كافرين من هلك يوم بدر (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة منهم (الرحيم) بالمؤمنين (واذ نادى) اذ دعا (ر
موسى) ويقال أمر ربك موسى (ان ائت القوم الظالمين) الكافرين (قوم فرعون) بدل من القوم (ألا يتقون) فقل لهم
يتقون عبادة غير الله (قال) موسى (رب انى أخاف أن يكذبون) في الرسالة (ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياى ويقال يجبن ق
(ولا ينطلق لسانى) لا يستقيم لسانى من مهابته

..مد تقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع (فأرسل الى هرون) اى ارسل اليه جبريل واجعله نبيا يعيننى على الرسالة
..كان هرون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشأم ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفا فى الامتثال بل التماس
..عون بتبليغ الرسالة وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر وكفى بطلب العون
..دليلا على التقبل لا على التعلل (ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب بقتل القبطى فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا
..كما سمى جزاء السيئة سيئة (فأخاف أن يقتلون) أى يقتلونى به قصاصا وليس

هذا تعللا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل اداء الرسالة ولذا وعدهما بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجمع له الاستجابتين معا فى قوله (قال كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فاجابه بقوله اذهبا أى جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت وهرون (بآياتنا) مع آياتنا وهى اليد والعصا وغير ذلك (انا معكم) أى معكما بالعون والنصرة ومع من ارسلتما اليه بالعلم والقدرة (مستمعون) خبر لان ومعكم لغو أوهما خبران أى سامعون والاستماع فى غير هذا الاصغاء للسماع يقال
..فلان حديثه أى أصغى اليه (ق و خا ٥٩ ع) ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع (فأتيا
..فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) ..ث الرسول كما ثنى فى قوله انا رسولا ربك لان الرسول ..و ..بمعنى المرسل ..ومعنى

..فأرسل الى هرون﴾ رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة
..خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى
..باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى
..قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا
..منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه وقرأ يعقوب
..ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ماخاف عنه ﴿ولهم
..على ذنب﴾ أى تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه
..ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ به قبل
..اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذاك استمداد
..واستظهار فى امر الدعوة وقوله ﴿قال كلا فاذهبا بآياتنا﴾ اجابة له الى الطلبتين بوعده
..الدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على
..تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى
..عما تظن فاذهب انت والذى طلبته ﴿انا معكم﴾ يعنى موسى وهارون وفرعون ﴿مستمعون﴾
..سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا
..لما يجرى بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع
..الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو
..خبر ثان أو الخبر وحده ومعكم لغو ﴿فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين﴾

..العقدة التى كانت على لسانه ﴿فأرسل الى هرون﴾ ليوازرنى ويعيننى على تبليغ الرسالة
..﴿ولهم على ذنب﴾ أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ أى به ﴿قال﴾
..الله تعالى ﴿كلا﴾ أى لن يقتلوك ﴿فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون﴾ أى سامعون ماتقولون
..وما يقال لكم ٭ فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع فى قوله معكم وهما اثنان ٭ قلت أجراهما
..مجرى الجماعة وهو جائز فى لغة العرب ﴿فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين﴾ فان
..قلت هلا ثنى الرسول كما فى قوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك ٭ قلت الرسول قد يكون بمعنى

..(فأرسل الى هرون) فأرسل معى هرون يكون عونا لى ويقال أرسل الى هرون جبريل يكون معى معينا (ولهم على ذنب) قصاص
..القبطى (فأخاف أن يقتلون) به (قال) الله (كلا) حقا ياموسى لا ..منهم ..يكما بالقتل (فاذهبا بآياتنا) التسع اليد والعصا
..والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والسنين (انا معكم) معينكما (مستمعون) أسمع ما يقول لكما
..(فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) اليك

الرسالة فحمل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى فى الوصف به الواحد والتثنية
ولانهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كانهما رسول واحد أو أريد ان كل

منا (أن أرسل) بمعنى أى
أرسل لتضمن الرسول معنى
الارسال وفيه معنى القول
(معنا بنى اسرائيل) يريد
خلهم يذهبوا معنا الى
فلسطين وكانت مسكنهما
فأتيا بابه فلم يؤذن لهما
سنة حتى قال البواب ان
ههنا انسانا يزعم أنه رسول
رب العالمين فقال أئذن له
لعلنا نضحك منه فأديا اليه
الرسالة فعرف فرعون
موسى فعند ذلك (قال ألم
نربك فينا وليدا) وانما
حذف فأتيا فرعون فقالا
اختصارا والوليد الصبى
لقرب عهده من الولادة
أى ألم تكن صغيرا فربيناك
(ولبثت فينا من عمرك سنين)
قيل ثلاثين سنة (وفعلت
فعلتك التى فعلت) يعنى
قتل القبطى فعرض اذا
كان ملكا (وانت من الكافرين)
بنعمتى حيث قتلت خبازى
أو كنت على ديننا الذى
تسميه كفرا وهذا افتراء
منه عليه لانه معصوم من
الكفر وكان يعايشهم

والى قومك أن أرسل معنا
بنى اسرائيل) ولا تعذبهم
فنظر فرعون الى موسى (قال ألم نربك فينا وليدا) صغيرا ياموسى (ولبثت) مكثت (فينا من عمرك سنين) ثلاثين ﴿ من
سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) قتلت النفس التى قتلت (وأنت من الكافرين)

افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال
لقد كذب الواشون مافهت عندهم ٭ بسر ولا ارسلتهم برسول
ولذلك ثنى مرة وافرد اخرى أو لاتحادهما للاخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به أو لا
اراد ان كل واحد منا ﴿ ان ارسل معنا بنى اسرائيل ﴾ أى قولا ارسل لتضمن الرسو
معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشأم ﴿ قال ﴾ أ
فرعون لموسى بعد ما آتياه فقالا له ذلك ﴿ ألم نربك فينا ﴾ فى منزلنا ﴿ وليدا ﴾ طف
سمى به لقربه من الولادة ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ قيل لبث فيهم ثلاثين س
ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقى بعد الغر
خمسين ﴿ وفعلت فعلتك التى فعلت ﴾ يعنى قتل القبطى وبخه به معظما اياه بعد ما عد
عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز ﴿ وانت من الكافرين ﴾ بنعم
حتى عمدت الى قتل خواصى أو ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتق

المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسا
فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذو رسالة كما قال كث
لقد كذب الواشون مافهت عندهم ٭ بشئ ولا أرسلتهم برسول
أى برسالة وقيل انهما لاتفاقهما فى الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كانهما رسو
واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين ﴿ أن ارسل معنا بنى اسرائيل ﴾ أ
خلهم وأطلقهم معنا الى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربعمائة س
وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مص
وهارون بها فاخبره بذلك ٭ وفى القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف
وفى يده عصاه والمكتل معلق فى رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارو
ان الله قد أرسلنى الى فرعون وأرسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمه
فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمتنع لقوله
وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقا
أنا موسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب
يزعم أنه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا ا
فرعون فلم يؤذن لهما سنة فى الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسا
يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعو
واديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ فى بيته ف ﴿ قال ﴾ له ﴿ ألم نربك
فينا وليدا ﴾ أى صبيا ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ أى ثلاثين سنة ﴿ وفعل
فعلتك التى فعلت ﴾ يعنى قتلت القبطى ﴿ وأنت من الكافرين ﴾ قال أكثر المفسر

ية ال فعلتها اذا) أي اذذاك (وانا من الضالين) الجاهلين بانها تبلغ القتل والضلال عن الشئ هو الذاهب عن معرفته
ـ من قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين
ـ اب وجزاء معا وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاء له لان قول فرعون وفعلت فعلتك معناه انك جازيت
ى ذلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت جديرة

بان تجازى بنحو ذلك الجزاء (ففررت منكم) الى مدين (لما خفتكم) أن تقتلونى وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية (فوهب لى ربى حكما) نبوة وعلما فزال عن الجهل والضلالة (وجعلنى من المرسلين) من جملة رسله (وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل) كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من أصله وابى ان تسمى نعمة لانها نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه أبواه فكان فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه واخراجه من حجر أبويه اذا حققت وتعبيدهم وتذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير فى تمنها وعبدت وجمع فى منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا

ده ـ ه ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك
رة ى خصلة شنعاء مبهمة لايدرى ماهى الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك أى تعبيدك بنى اسرائيل

ـ ه وال من احدى التاء وتجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته أو
نعم لما عاد عليه بالمخالفة أو من الذين كانوا يكفرون فى دينهم ﴿ قال فعلتها اذا وانا
من الضالين ﴾ من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه
أو المخطئين لانه لم يتعمد قتله أو الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب
أو الناسين من قوله ان تضل احداهما ﴿ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما ﴾
حكمة ﴿ وجعلنى من المرسلين ﴾ رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ما عده
عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على انه كان
فى الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال ﴿ وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل ﴾ أى
وتلك التربية نعمة تمنها على بها ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدهم
بذبح ابنائهم فانهم السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة
الانكار اى او تلك نعمة تمنها على وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر
محذوف أو بدل نعمة أو الجر باضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى
خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها
على انما وحد الخطاب فى تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار

من الجاحدين لنعمتى وحق تربيتى يقول ربيناك فينا فكافأتنا أن قتلت منا نفسا
وكفرت نعمتنا وهى رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر
بالربية ولان الكفر غير جائز على الانبياء لا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه
وأنت من الكافرين بفرعون والهيته ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ فعلتها اذا وأنا من الضالين ﴾
أى من الجاهلين بان ذلك يؤدى الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه
القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين ﴿ ففررت منكم ﴾ أى الى
مدين ﴿ لما خفتكم فوهب لى ربى حكما ﴾ يعنى النبوة وقيل العلم والفهم ﴿ وجعلنى من
المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل ﴾ أى اتخذتهم عبيدا قيل عدها
موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بنى اسرائيل ولم يستعبده
كما استعبد بنى اسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل وتركتنى
فلم تستعبدنى وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية أو تلك نعمة على طريق الاستفهام
فحذفت الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

تمن ساعة (قال) موسى (فعلتها اذا وأنا من الضالين) من الجاهلين بنعمتك على (ففررت) فهربت (منكم لما خفتكم) على
نفسى قتل (فوهب لى ربى حكما) فهما وعلما ونبوة (وجعلنى من المرسلين) اليك والى قومك (وتلك نعمة)هذه نعمة (تمنها
على) يا فرعون ولا تذكر جفاك على (أن عبدت) بان استعبدت (بنى اسرائيل

نعمة تمنها على (قال فرعون ومارب العالمين) أي انك تدعى انك رسول رب العالمين فاصفته لانك اذا أردت عن صفة زيد تقول من زيد تعنى أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب نص عليه الكشاف وغيره (قال) موسى مجيباله على وفق سؤله (رب السموات والارض ومابينهما) أى ومابين الجنسين (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا أوان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والالم ينفع والايقان العلم الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لايقال لله موقن (قال) أى فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاسور وكانت للملوك خاصة (ألاتستمعون) معجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وان لهما ربا فحتاج موسى الى أن يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين)

منه ومن علته ﴿ قال فرعون ومارب العالمين ﴾ لما سمع جواب ماطعن به فيه و انه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المر ﴿ قال رب السموات والارض ومابينهما ﴾ عرفه باظهر خواصه وآثاره لماامتنع تع الافراد الابذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ﴿ ان كنتم موقنين ﴾ أى كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لابد وان يكون مبدألسائر الممكنات ما ان يحس بها ومالايمكن والالزم تعدد الواجب واستغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما ثم ذلك الواجب لايمكن تعريفه الابلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو دا فيه لاستحالة التركيب فى ذاته ﴿ قال لمن حوله الاتستمعون ﴾ جوابه سألته عن حقيقته يذكر افعاله أو يزعم انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهر غيرمعلوم افتقارها الى مؤثر ﴿ قال ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ عدولا الى مالايمكن ان

لم أنس يوم الرحيل وقفتها ٭ وطرفها من دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة ٭ تتركنى هكذا وتنطلق

أى أتتركنى والمعنى أتمن على ان ربيتنى وتنسى جنايتك على بنى اسرائيل بالاس والمعاملات القبيحة أويريد كيف تمن على بالتربية وقداستعبدت قومى ومن أهين ف فقد ذل فتعبد بنى اسرائيل قد أحبط حسناتك الى ولو لم تستعبدهم ولم تقتل أولا لم أرفع اليك حتى تربينى وتكفلنى ولكان لى من أهلى من يربينى ولم يلقونى ف ﴿ قال فرعون ومارب العالمين ﴾ يقول أى شئ رب العالمين الذى تزعم انك ر أى يستوصفه الهه الذى ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشئ والله تعالى منزه الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه وأجابه بذكر افعاله وآثار قد التى تعجز الخلائق عن الاتيان بمثلها ﴿ قال رب السموات والارض ومابينهما كنتم موقنين ﴾ أنه خالقهما فعرفوا انه لايمكن تعريفه الابما ذكرته لكم أيقنتم بذلك لزمكم ان تقنعوا انه لاجواب لكم عن هذا السؤال الاماذكرته الجواب وقال أهل المعانى أى كما توقنون هذه الاشياء التى تعاينونها فايقنوا ان خلق هو الله تعالى الذى خلقها وأوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون ف جواب موسى ﴿ قال لمن حوله ﴾ أى من أشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمس رجل عليهم الاسورة ﴿ ألاتستمعون ﴾ وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعنى انى أطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبنى بافعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى فى البيان ﴿ قال ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ يعنى ان موسى ذكر ماهو أقرب اليهم فقال ربكم

قال فرعون لموسى (ومارب العالمين) من رب العالمين ياموسى ايش تعنى (قال) موسى (رب السموات والارض) يقول رب العالمين هو رب السموات والارض (ومابينهما) من الخلق والعجائب (ان كنتم موقنين) مصدقين بان الله خلقهم (قال) فرعون (لمن حوله) من الجلساء (ألا تستمعون) الى مايقول موسى وكان حوله مائتان وخمسون رجلا جلوسا عليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب وكانوا خالفه لموسى من رب السموات والارض الذى تدعونا اليه ياموسى (قال) موسى (ربكم) هو ربكم (ورب آبائكم الاولين

أى هو خالقكم و خالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم و انما قال رب آبائكم لان فرعون كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قال) أى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) حيث يزعم ان فى الوجود الها ثانى وكان فرعون ينكره الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فتستدلون بما اقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عمم أولا بخلق السموات والارض و ما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم و آباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه و من ولد منه وماشاهد من أحواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده ان موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال مجبالهم من جواب موسى أنستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول فجننه فرعون زاعما انه حائد عن الجواب فعاد ثالثا الى مثل كلامه الاول مبينا ان الفرد الحقيق انما يعرف بالصفات وان السؤال عن الماهية خال واليه الاشارة فى قوله تعالى ان كنتم تعقلون أى ان كان لكم عقل علمكم انه لا تمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت الها غيرى) أى غيرى الها (لأجعلنك من المسجونين) أى لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك

فيه مثله ويشك فى افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل ﴿ قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ﴾ اسأله عن شئ ويجيبنى عن آخر وسماه رسولا على السخرية ﴿ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ﴾ تشاهدون كل يوم انه يأتى بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ﴿ ان كنتم تعقلون ﴾ ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم وخشانتهم عارضهم بمثل مقاتلهم ﴿ قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾ عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره للصانع ان تعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا أو اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام فى المسجونين للعهد أى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى

يعنى أنه خالقكم وخالق آبائكم الاولين ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ﴾ يعنى المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذى يدعى الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه ويتكلم بكلام لا نقبله ولا نعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد فى البيان ﴿ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ﴾ فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثانى ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم أنه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت ﴿ قال ﴾ فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق ﴿ لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾ قيل كان سجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه فى مكان يهوى فيه الى الارض وحده

(قال) فرعون لجلسائه (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) قالوا الى من تدعونا اليه ياموسى ومن ربنا ورب آبائنا الاولين (قال) موسى (رب المشرق) هو رب المشرق (والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) تصدقون ذلك (قال) فرعون لموسى (لئن اتخذت) عبدت (الها غيرى) ياموسى (لأجعلنك من المسجونين) من المحبوسين فى السجن وكان سجنه أشد من القتل وكان ذا سجن أحدا طرحه فى مكان وحده فردا لا يسمع فيه شيأ ولا ينظر فيه

أشد من القتل وأشد وقيل لأسجننك لم يؤد هذا المعنى وان كان أخصر (قال أولو جئتك) الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك (بشيء مبين) أي جائيا بالمعجزة (قال فأت به) بالذي يبين صدقك (ان كنت من الصادقين) ان لك بينة وجواب الشرط مقدر أي فأحضره (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر روى ان العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك الا أخذتها فأخذها فعادت عصا (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) فيه دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نوريا روى ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال لفرعون ما هذه قال فرعون يدك فأدخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال) أي فرعون (للملأ حوله) هو منصوب نصبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال من الملأ أي كائنين حوله والعامل فيه قال (ان هذا لساحر عليم) بالسحر ثم أغرى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا) منصوب لانه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تأمرون) تشيرون في أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهي المشاورة أو من الامر الذي هو ضد النهي لما تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر دعوى (قالوا)

هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لأسجننك ﴿قال أولو جئتك بشيء مبين﴾ أي أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء بين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل ﴿قال فأت به ان كنت من الصادقين﴾ في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لابد له من حجة ﴿فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين﴾ ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ﴿ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين﴾ روى ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده قال فما فيها فأدخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق ﴿قال للملأ حوله﴾ مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ﴿ان هذا لساحر عليم﴾ فائق في علم السحر ﴿يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ بهره سلطان المعجزة حتى

فردا لا يسمع ولا يبصر فيه شيء قال ﴿له موسى حين توعده بالسجن ﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾ أي بآية بينة والمعنى أتفعل ذلك ولو جئتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان ﴿قال﴾ يعني فرعون ﴿فأت به﴾ أي انا لن نسجنك حينئذ ﴿ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين﴾ قيل انها لما صارت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي أرسلك ألا أخذتها فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها في جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله ﴿ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين﴾ فعند ذلك ﴿قال﴾ فرعون ﴿للملأ حوله ان هذا﴾ يعني موسى ﴿لساحر عليم﴾ وكان زمان السحر فلهذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال ﴿يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره﴾ قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى ﴿فماذا تأمرون﴾ يعني ما رأيكم فيه وما الذي أعمله فعند ذلك

شيأ يهوله به (قال) موسى (أولو جئتك) يا فرعون (بشيء مبين) بآية بينة على ما أقول (قال) فرعون (فأت به) يا موسى (ان كنت من الصادقين) بانك رسول الي والى قومي (فألقى) موسى (عصاه فاذا هي ثعبان) حية صفراء ذكر (مبين) عظيم أعظم ما يكون من الحيات قال فرعون هذه آية بينة فهل غير هذه (ونزع يده) أخرج موسى يده من ابطه (فاذا هي بيضاء للناظرين) انها ضوء كضوء الشمس تعجب الناظرين اليها (قال) فرعون (للملأ حوله ان هذا) الرسول (لساحر عليم) حاذق بالسحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم) مصر (بسحره فماذا تأمرون)

الهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورا (قالوا أرجه وأخاه) أخر امرهما ولا تبادر قتلهما خوفا من الفتنة (وابعث فى المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا الساحر عليم بقولهم (يأتوك بكل سحار عليم) فجاؤا بكلمة الاحاطة وبغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أى يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة فى قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أى حدد من زمان ومكان ومنه مواقيت الاحرام (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون)أى اجتمعوا وهو استبطاء لهم فى الاجتماع وارادوا منه استعجالهم (لعلنا نتبع السحرة) فى دينهم (ان كانوا هم الغالبين) اى غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلى ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم) وبكسر العين على وهما لغتان (وانكم اذا لمن المقربين) أى قال فرعون نعم لكم أجر عندى وتكونون مع ذلك من المقربين عندى فى المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم أئن لنا لاجرا فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله انكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه دخلت اذا قارة فى مكانها الذى تقتضيه من جواب تشيرون على به (قالوا أرجه)

حبسه (وأخاه) ولا تقتلهما (وابعث فى المدائن) الى مدائن الساحرين (حاشرين) الشرط (يأتوك بكل سحار) ساحر (عليم) حاذق بسحره فيصنعون مثل ما صنع موسى (فجمع السحرة) اثنان وسبعون ساحرا (لميقات يوم معلوم) لميعاد يوم معروف وهو يوم سوق ويقال يوم عيدهم ويقال يوم نيروزهم (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة) دين السحرة (ان كانوا هم الغالبين) على موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا) جعلا من المال (ان كنا نحن الغالبين) على موسى (قال) فرعون (نعم) لكم عندى ذلك (وانكم اذا لمن المقربين) فى القدر والمنزلة

حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وأئمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه ﴿ قالوا ارجه واخاه ﴾ اى اخر امرهما وقيل احبسهما ﴿ وابعث فى المدائن حاشرين ﴾ شرطا يحشرون السحرة ﴿ يأتوك بكل سحار عليم ﴾ ليفضلوا عليه فى هذا الفن وامالها ابن عامر والكسائى وابو عمرو وقرئ بكل ساحر ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾ لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة ﴿ وقيل للناس هل انتم مجتمعون ﴾ فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا ٭ أو عبد رب اخا عون ابن مخراق

اى ابعث احدهما الينا سريعا ﴿ لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ﴾ لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلى ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى ﴿ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين ﴾ التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على

﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ اى اخره واخاه ﴿ وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم ﴾ قيل ان فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة فى أمره ولكن أخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا تثبت له عليك حجة ٭ قوله تعالى ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾ يعنى يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت فى أول يوم من السنة وهو النيروز ﴿ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ﴾ أى انتظروا ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة ﴿ لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ﴾ لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء ﴿ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ﴾ طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله وأكده بقوله ﴿ قال نعم وانكم اذا لمن المقربين ﴾

والجزاء (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته (فألقوا حبالهم) سبعين ألف حبـ
(وعصيهم) سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصا (وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبو[ن])
أقسموا بعزته وقدرته وهو من أيمان الجاهلية (فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف) تبتلع (ما يأفكون) ما يقلبونه عن
وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات
تسعى (فألقى السحرة
ساجدين) عبر عن الخرور
بالالقاء بطريق المشاكلة
لانه ذكر مع الالقاآت
ولانهم لسرعة ما سجدوا
صاروا كانهم ألقوا (قالوا
آمنا برب العالمين) عن
عكرمة رضي الله عنه أصبحوا
سحرة وأمسوا شهداء
(رب موسى وهرون)
عطف بيان لرب العالمين
لان فرعون كان يدعي
الربوبية فارادوا ان يعزلوه
وقيل ان فرعون لما سمع
منهم آمنا برب العالمين
قال اياي عنيتم قالوا رب
موسى وهرون (قال
آمنتم له قبل ان آذن لكم)
بذلك (انه لكبيركم الذي
علمكم السحر) وقد تواطأتم
على أمر ومكر (فلسوف
تعلمون) وبال ما فعلتم ثم
صرح فقال (لأقطعن ايديكم
وأرجلكم من خلاف) من
أجل خلاف ظهر منكم
(ولأصلبنكم أجمعين) كأنه
والدخول على (قال لهم موسى)

ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ﴿ قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ﴾ أي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق ﴿ فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ﴾ اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم ولاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر ﴿ فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ﴾ تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ﴿ ما يأفكون ﴾ ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة ﴿ فالقى السحرة ساجدين ﴾ لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم فكأنهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾ بدل من القى بدل الاشتمال أو حال باضمار قد ﴿ رب موسى وهرون ﴾ ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما ﴿ قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر ﴾ فعلمكم شيأ دون شيء ولذلك غلبكم أو فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح أأمنتم بهمزتين ﴿ فلسوف تعلمون ﴾ وبال ما فعلتم به وقوله ﴿ لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين ﴾

قال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون ﴾ أي بعظمة فرعون ﴿ انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون ﴾ أي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هي كما كانت أول مرة ﴿ فالقى السحرة ساجدين ﴾ قيل انهم لما رأوا ما جاوز حد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم ﴿ قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ﴾ وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله ﴿ قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون ﴾ فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال ﴿ لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين

للسحرة (ألقوا ما أنتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم) اثنين وسبعين حبلا واثنين وسبعين عصا (وقالوا) يعني السحرة (قالوا) ...
(بعزة) بعظمة (فرعون انا لنحن الغالبون) على موسى (فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف) تلقم (ما يأفكون) ما موّهوا...
السحر (فألقي السحرة ساجدين) سجدوا من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا لما ذهبت حبالهم وعصيهم علموا أنه من الله (قالوا آ[منا]
برب العالمين) قال لهم فرعون اياي تعنون قالوا (رب موسى وهرون قال) فرعون (آمنتم له) صدقتم به (قبل ان آذن لكم) آمركم
(انه) يعني موسى (لكبيركم) عالمكم (الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) ماذا أفعل بكم (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد
اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم أجمعين) على

اراد به هيب العامة لئلا يتبعوهم فى الايمان (قالوا لاضير) لاضرر وخبر لا محذوف أى فى ذلك أو علينا (انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لان كنا (اول المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعية فرعون أراد ولا ضرر علينا فى ذلك بل لنا اعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من انكفير الخطايا أو لاضير علينا فيما تتوعدنا به انه لابد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وارجاها أو ضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان (وأحينا الى موسى ان أسر) وبوصل الهمزة حجازى (بعبادى) بنى اسرائيل سماهم عباده لايمانهم بنبيه أى سربهم ليلا وهذا بعد سنين من ايمان السحرة (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعنى انى بنيت تدبير أمركم وأمرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فانى سآمر الملائكة ان لايدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك أمرى (فارسل فرعون فى المدائن حاشرين)

... طى نهر مصر (قالوا لاضير) لايضرنا (قا و خا ٦٠ ع) فى الآخرة ماتصنع بنا فى الدنيا (انا الى ربنا منقلبون) ... جعون الى الله والى ثوابه (انا نطمع) نرجو (أن يغفر لنا ربنا خطايانا) شركنا (أن كنا) بأن كنا (أول المؤمنين) بموسى ... وأحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أن أدلج بعبادى ليلا من آمن بك من بنى اسرائيل (انكم متبعون) يدرككم فرعون وقومه ... رسل فرعون فى المدائن حاشرين)

... بباه ﴿ قالوا لاضير ﴾ لاضرر علينا فى ذلك ﴿ انا الى ربنا منقلبون ﴾ بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت وقتلك انفعها وارجاها ﴿ انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا ﴾ لان كنا ﴿ اول المؤمنين ﴾ من اتباع فرعون اومن اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة اوعلى طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقى ﴿ واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى ﴾ وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا • وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير ﴿ انكم متبعون ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اى اسربهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لايدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فاغرقهم ﴿ فارسل فرعون ﴾ حين اخبر بسراهم ﴿ فى المدائن حاشرين ﴾

قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون ﴾ أى لاضرر علينا فيما ينالنا فى الدنيا لانا ننقلب ونصير الى ربنا فى الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم ﴿ انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ﴾ أى الكفر والسحر ﴿ أن ﴾ أى لان ﴿ كنا أول المؤمنين ﴾ أى من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أى من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع * قوله تعالى ﴿ وأوحينا الى موسى أن اسر بعبادى انكم متبعون ﴾ أى يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قيل أوحى الله الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم فانى سآمر الملائكة فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وسآمرهم ان لايدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك أمرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا ﴿ فارسل فرعون فى المدائن حاشرين ﴾ يعنى الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدائن ألف مدينة واثنى عشر ألف قرية فارسل فرعون فى أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف وخرج فرعون فى الكرسى العظيم فى مائتى ألف ملك مسورين مع

أى جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة أراد بالقلة الذلة لاقلة العدد أى انهم لقلتهم لايبالى بهم ولا تتوقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين الفا لكثرة من معه فعن الضحاك

كانوا سبعة آلاف ألف (وانهم لنا لغائظون) أى انهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وهى خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم أبكارنا (وانا لجميع حاذرون) شامى وكوفى وغيرهم حذرون فالحذر المتيقظ والحاذر الذى يجدد حذره وقيل المؤدى فى السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعنى ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور (فاخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وأنهار جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لاينفقون منها فى طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كريم) بهى بهيج وعن ابن عباس رضى الله عنهما

العساكر ليتبعوهم ﴿ ان هؤلاء لشرذمة قليلون ﴾ على ارادة القول وانه استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روى انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم للبالى وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل ﴿ وانهم لنا لغائظون ﴾ لفاعلون مايغيظنا ﴿ وانا لجميع حذرون ﴾ وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور اشار اولا الى عدم مايمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به مايكسر سلطانه وقرأ ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اى اقوياء قال

احب الصبى السوء من اجل امه ۞ وابغضه من بغضها وهو حادر

اوتاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم ﴿ فاخرجناهم ﴾ بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه ﴿ من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ﴾ يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية

كل ملك ألف فلذلك قال ﴿ ان هؤلاء لشرذمة قليلون ﴾ قال أهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون ﴿ وانهم لنا لغائظون ﴾ الغيظ الغضب يعنى انهم أغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم أبكارنا وذهابهم باموالنا التى استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير اذن منا ﴿ وانا لجميع حذرون ﴾ أى خائفون من شرهم وقرئ حاذرون أى ذوو قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذى يحذرك الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذى لاتلقاه الا خائفا ﴿ فاخرجناهم من جنات وعيون ﴾ قيل كانت البساتين ممتدة فى حافتى النيل فيها عيون وأنها رجارية ﴿ وكنوز ﴾ يعنى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق فى عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى ﴿ ومقام كريم ﴾ أى مجلس حسن قيل أراد مجالس الامراء والرؤساء التى كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم أقبية الديباج مخوصة

الشرط (ان هؤلاء) أصحاب موسى (لشرذمة قليلون) فئة قليلة (وانهم لنا لغائظون) مبغضون أحردونا (وانا لجميع حاذرون) شاكون ممدون بالسلاح (فاخرجناهم) بالذهب (من جنات) بساتين (وعيون) ماء طاهر (وكنوز) أموال (ومقام كريم) منازل حسنة

المنا (كذلك) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفنا والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى
الامر كذلك (وأورثناها بنى اسرائيل) عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم (فاتبعوهم) فلحقوهم
فاتبعوهم يزيد (مشرقين) حال أى داخلين فى وقت شروق الشمس وهو طلوعها

كذلك ❊ مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذى كان لهم
انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف ❊ واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم ❊
رئ فاتبعوهم ❊ مشرقين ❊ داخلين فى وقت شروق الشمس ❊ فلما تراأى الجمعان ❊
ربا بحيث رأى كل منهما الآخر ٭ وقرئ تراءت الفئتان ❊ قال اصحاب موسى انا
ركون ❊ لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون فى
لاك على ايديهم ❊ قال كلا ❊ لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ❊ ان معى
❊ بالحفظ والنصرة ❊ سيهدين ❊ طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون
بين يدى موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال
رت بالبحر ولعلى اومر بما اصنع ❊ فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر ❊ القلزم
النيل ❊ فانفلق ❊ اى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك ❊ فكان كل
ق كالطود العظيم ❊ كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط
شعب ❊ وازلفنا ❊ وقربنا ❊ ثم الآخرين ❊ فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم

ذهب والمعنى أنا أخرجناهم من بساتينهم التى فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة
كذلك ❊ أى كما وصفنا ❊ وأورثناها بنى اسرائيل ❊ وذلك ان الله عز وجل رد
اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من
اموال والاماكن الحسنة ❊ فأتبعوهم مشرقين ❊ أى لحق فرعون وقومه موسى
أصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها ❊ فلما تراءى الجمعان ❊ أى تقابلا بحيث
ى كل فريق صاحبه ❊ قال أصحاب موسى انا لمدركون ❊ أى سيدركنا فرعون
قومه ولا طاقة لنا بهم ❊ قال ❊ يعنى موسى لثقته بوعد الله تعالى اياه ❊ كلا ❊ أى
ن يدركونا ❊ ان معى ربى سيهدين ❊ أى يدلنى على طريق النجاة ❊ فاوحينا الى موسى
ن اضرب بعصاك البحر فانفلق ❊ أى فضربه فانشق ❊ فكان كل فرق ❊ أى قطعة
ن الماء ❊ كالطود ❊ أى الجبل ❊ العظيم ❊ قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت
رياح فصار البحر يرمى بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون
ن خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء لا يوارى حافر دابته وقال
ذى يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد
ن شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب فى الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا
جعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه
انفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده ❊ وأزلفنا ثم الآخرين ❊

أى ادرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو اسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أى قرب أن يلحقنا عدونا وامامنا البحر (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله اياه (كلا) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم (ان معى) معى حفص (ربى سيهدين) أى سيهدينى طريق النجاة واضرارهم سيهدينى بالياء يعقوب (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) أى القلزم أو النيل (فانفلق) أى فضرب فانفلق وانشق فصار اثنى عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) أى جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المطاد فى السماء (وأزلفنا ثم) حيث انفلق البحر (الآخرين) قوم

(كذلك) أفعل بمن عصانى
(وورثناها) يعنى مصر (بنى اسرائيل) بعد هلاكهم (فاتبعوهم مشرقين) عند طلوع الشمس (فلما تراءى) ظهر (الجمعان) جمع
موسى وجمع فرعون (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أى ادركونا يا موسى (قال) موسى (كلا) حقا لا يدركونا (ان معى ربى
سيهدين) سينجينى منهم ويهدينى الى الطريق (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) فضرب (فانفلق) فانشق
فصار فيه اثناعشر طريقا (فكان كل فرق) كل طريق (كالطود العظيم) كالجبل العظيم (وأزلفنا ثم الآخرين)

فرعون أي قربناهم من بني اسرائيل أو من البحر (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا الآ
فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتأثير الكوكب في الآجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا في الهلاك مع ا
طوالعهم روى ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق
باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم باولكم فلما انتهى موسى الى البحر قال يوشع لموسى أين أمر
البحر امامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان مو
الصلاة والسلام قال عند ذلك يامن كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن
شيء (ان في ذلك) أي فيما فعلنا بموسى وفرعون (لآية) لعبرة عجيبة لاتوصف (وما كان أكثرهم) أي المغرقين (مؤمنين) قالوا لم يؤمن منهم الا آسية وخرقيل مؤمن آل فرعون ومريم التي دلت موسى على قبر يوسف (وان ربك لهو العزيز) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالانعام على أوليائه (واتل عليهم) على مشركي قريش (نبأ ابراهيم) خبره (اذ قال لابيه وقومه) قوم ابراهيم أو قوم الاب (ما تعبدون) أي أي شيء تعبدون وابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس يستحق للعبادة (قالوا نعبد أصناما) وجواب ما تعبدون أصناما كيسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لاعن العبادة وانما زادوا نعبد (قال)
في الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد (فنظل لها عاكفين) فنقيم على عبادتها طول

مداخلهم ﴿وانجينا موسى ومن معه اجمعين﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عب
﴿ثم اغرقنا الآخرين﴾ باطباقه عليهم ﴿ان في ذلك لآية﴾ واية آية ﴿وما
اكثرهم مؤمنين﴾ وماتنبه عليها اكثرهم اذلم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من الق
وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك ح
نرى الله جهرة ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ المنتقم من اعدائه ﴿الرحيم﴾ باولي
﴿واتل عليهم﴾ على مشركي العرب ﴿نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون﴾
سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لايستحق العبادة ﴿قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين﴾

أي قربنا فرعون وجنوده الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين
اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم أولكم ويقول للقب
ر ويدا ليلحق آخركم أولكم فكان بنو اسرائيل يقولون ما رأينا أحسن سيا
من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون ما رأينا أحسن دعة من هذا الرج
﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم اغرقنا الآخرين﴾ يعني انه تعالى جعل البح
يبسا حتى خرج موسى وقومه منه وأغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكاملوا في البح
انطبق عليهم فاغرقهم ﴿ان في ذلك لآية﴾ يعني ما حدث في البحر من انفلاقه آ
من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام ﴿وما كان أكثر
مؤمنين﴾ يعني أهل مصر قيل لم يؤمن منهم الا آسية امرأة فرعون وخرقيل مؤ
آل فرعون ومريم ابنة ماموبا التي دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البح
﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ * قوله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لا
وقومه ما تعبدون﴾ أي أي شيء تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عب
للاصنام ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء ﴿قالوا نعبد أصناما فنظ
لها عاكفين﴾ أي نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الل

يقول حبسنا فرعون وقومه في الضبابة ويقال في البحر وكلهم كانوا كافرين (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغر
ثم أغرقنا الآخرين) فرعون وقومه في اليم (ان في ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة (وما كان أكثرهم مؤمنين)
لم يكونوا مؤمنين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين اذ أنجاهم من الغرق (واتل) اقرأ (عليهم) ع
قومك قريش (نبأ ابراهيم) خبر ابراهيم في القرآن (اذ قال لابيه) آزر (وقومه) عبدة الاوثان (ما تعبدون قالوا نعبد أ
آلهة (فنظل لها عاكفين) فنصير لها

بهار وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل أو معناه الدوام (قال) أى ابراهيم (هل يسمعونكم) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة (اذ تدعون) عليه (أو ينفعونكم) ان عبدتموها (أو يضرون) أى ان تركتم عبادتها (قالوا بلى) اضراب أى لاتسمع ولاتنفع ولاتضر ولانعبدها لشئ من ذلك ولكن (وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فقلدناهم (قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) الاولون (فانهم) أى الاصنام (عدولى) العدو والصديق يجيآن فى معنى الوحدة والجماعة يعنى لو عبدتهم لكانوا أعداء لى فى يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب أى فانى عدوهم وفى قوله عدولى دون لكم زيادة نصح ليكون أدعى لهم الى القبول ولو قال فانهم عدولكم لم يكن بتلك المثابة (الا رب العالمين) استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كانه قال لكن رب العالمين (الذى خلقنى) بالتكوين فى القرار المكين (فهو يهدين) لمناهج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال فى يهدينى مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل يهدينى للاهم الافضل

فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ﴿ قال هل يسمعونكم ﴾ يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة ﴿ اذ تدعون ﴾ عليه وقرئ يسمعونكم اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها ﴿ او ينفعونكم ﴾ على عبادتكم لها ﴿ او يضرون ﴾ من اعرض عنها ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضرر او نفع والتجأوا الى التقليد ﴿ قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون ﴾ فان التقدم لايدل على الصحة ولاينقلب به الباطل حقا ﴿ فانهم عدولى ﴾ يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق مايتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب ﴿ الا رب العالمين ﴾ استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ لانه يهدى كل مخلوق لماخلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذى قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية

﴿ قال هل يسمعونكم ﴾ أى يسمعون دعاءكم ﴿ اذ تدعون أو ينفعونكم ﴾ يعنى بالرزق ﴿ أو يضرون ﴾ أى ان تركتم عبادتهم واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لزمتهم الحجة القاطعة ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ المعنى انها لاتسمع قولا ولاتجلب نفعا ولاتدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا فى ذلك وفى الآية دليل على ابطال التقليد فى الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال ﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون ﴾ أى الاولون ﴿ فانهم عدولى ﴾ أى أعداء لى وانما وحده على ارادة الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى جمادات لاتعقل قلت معناه فانهم عدولى يوم القيامة لو عبدتهم فى الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلاء أطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فانى عدو لهم لان من عاديته فقد عاداك ﴿ الا رب العالمين ﴾ أى ولكن رب العالمين فانه ربى ووليى وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل ماتعبدون أعداء لى الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذى يستحق العبادة فقال ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ الى

عابدين مقيمين على عبادتها (قال) لهم ابراهيم (هل يسمعونكم اذ تدعون) يقول هل يجيبكم الآلهة اذا دعوتموهم (أو ينفعونكم) فى معايشكم اذا أطعتموهم (أو يضرون) فى معايشكم اذا عصيتموهم (قالوا) لا (بل وجدنا) ولكن وجدنا (آباءنا كذلك يفعلون) يعبدونها فنحن نعبدها نقتدى بهم (قال) ابراهيم (أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) وماكان يعبد آباؤكم الاولون (فانهم عدولى) تبرأ منهم (الا رب العالمين) لا من كان منهم يعبد رب العالمين (الذى خلقنى) من النطفة (فهو يهدين) يحفظنى على الدين ويرشدنى الى

والاتم الا كل أوالذى حققنى لاسباب خدمته فهو يهدينى الى آداب خلته (والذى هو يطعمنى) أضاف الاطعام الى ولى الامام لان الركون الى الاسباب مادة الانعام (ويسقين) قال ابن عطاء هو الذى يحيينى بطعامه ويروينى بشرابه (واذا مرضت) وانما لم يقل أمرضنى لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه مايقتضى الضر قال ابن عطاء اذا مرضت برؤية الحق (فهو يشفين) بمشاهدة الحق اذا مرضت برؤية الافعال فهو يشفين بكشف منة الافضال (والذى يميتنى ثم يحيين) ولم يقل اذا مت لانه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء لوعد اللقاء وأدخل ثم فى الاحياء لتراخيه عن الافناء وأدخل الفاء فى الهداية والشفاء لانهما يعقبان الخلق والمرض لا محالة (والذى أطمع) طمع العبيد فى الموالى بالافضال لا على الاستحقاق بالسؤال (ان يغفرلى خطيئتى) قيل هو قوله انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربى للبنازغ هى أختى لسارة وماهى الا معاريض جائزة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم فى طلب المغفرة (يوم الدين) يوم الجزاء (رب هب لى حكما) حكمة أو حكما بين الناس بالحق الحق والهدى (والذى هو يطعمنى) يرزقنى ويشبعنى اذا جعت (ويسقين) يروينى اذا عطشت (واذا مرضت فهو يشفين) من المرض اذا (واحتقى مرضت (والذى يميتنى) فى الدنيا (ثم يحيين) يوم القيامة (والذى أطمع) أرجو (أن يغفرلى خطيئتى) ذنبى (يوم الدين) يوم الحساب وكانت خطيئته قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لامرأته هذه أختى (رب هب لى حكما) فهما

الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله ﴿ والذى هو يطعمنى ويسقين ﴾ على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ماقبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلاة مستقلة باقتضاء الحكم ﴿ واذا مرضت فهو يشفين ﴾ عطفه على يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لايحس به لاضرر فيه انما الضرر فى مقدماته وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى تستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انوع المحن والبلية ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم ﴿ والذى يميتنى ثم يحيين ﴾ فى الآخرة ﴿ والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين ﴾ ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب لان يغفرلهم مايفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هى اختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا ﴿ رب هب لى حكما ﴾ كمالا فى العلم والعمل استعدبه خلافة الحق ورياسة الخلق

طريق النجاة ﴿ والذى هو يطعمنى ويسقين ﴾ أى يرزقنى ويغذينى بالطعام والشراب ﴿ واذا مرضت ﴾ أصابنى مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض والشفاء من الله ﴿ فهو يشفين ﴾ أى يبرئنى ويعافينى من المرض ﴿ والذى يميتنى ثم يحيين ﴾ أى يميتنى فى الدنيا ثم يحيينى فى الآخرة ﴿ والذى أطمع ﴾ أى أرجو ﴿ أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين ﴾ أى يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافعه قال لاينفعه انه لم يقل يوما رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه أنه لايصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال ﴿ رب هب لى حكما ﴾ قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم

نبوة لان النبي عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله (وألحقنى بالصالحين) أى الانبياء ولقد أجابه حيث قال
انه فى الآخرة لمن الصالحين (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ثناء حسنا وذكرا جميلا فى الامم التى تجئ بعدى
عطى ذلك فكل أهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به (واجعلنى من) يتعلق
محذوف أى وارثا من (ورثة جنة النعيم) أى من الباقين فيها (واغفر لابى) اجعله أهلا للمغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام
م فارقه (انه كان من الضالين) الكافرين (ولا تخزنى) الاخزاء من الخزى وهو الهوان أو من الخزاية وهو الحياء وهذا
والاستغفار كما بينا (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد لانه معلوم أو للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه أى ولا تخزنى
يوم يبعث الضالون وأبى فيهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الاول (ولا بنون) أحدا (الا من أتى الله بقلب سليم)
ن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى فى قلوبهم مرض

﴿والحقنى بالصالحين﴾ ووفقنى للكمال فى العمل لانتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾ جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى أثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتى يجدد اصل دينى ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه ﴿واجعلنى من ورثة جنة النعيم﴾ فى الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها ﴿واغفر لابى﴾ بالهداية والتوفيق للايمان ﴿انه كان من الضالين﴾ عن طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفى الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ﴿ولا تخزنى﴾ بمعاتبتى على ما فرطت او بنقص رتبتى عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبى لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدى او ببعثه فى عداد الضالين وهو من الخزى بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء ﴿يوم يبعثون﴾ الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم﴾ اى لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب

﴿ والحقنى بالصالحين ﴾ أى بمن سلف قبلى من الانبياء فى المنزلة والدرجة العالية ﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ أى ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما فى الامم التى تجئ بعدى فاعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويثنون عليه ﴿ واجعلنى من ورثة جنة النعيم ﴾ أى ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى ﴿ واغفر لابى انه كان من الضالين ﴾ قيل دعا لابيه على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴿ ولا تخزنى ﴾ أى ولا تفضحنى ﴿ يوم يبعثون ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ﴾ أى خالص

أى ان المال اذا صرف فى وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبنون فى المعنى الغنى كانه قيل يوم ينفع غنى الاغنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما ان غناه فى دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الجليل

ستثناء الخليل اكرامه ثم جعله صفة له فى قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلامة
ن كلامه مع المشركين حيث سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم اقبل على آلهتهم فابطل

علما (وألحقنى بالصالحين) بآبائى المرسلين فى الجنة (واجعل لى لسان صدق) ثناء حسنا (فى الآخرين) فى الباقين بعدى
واجعلنى من ورثة جنة النعيم) من نازلى جنة النعيم (واغفر لابى) اهد أبى (انه كان من الضالين) انه كان ضالا كافرا (ولا
تخزنى) لا تعذبنى (يوم يبعثون) من القبور (يوم لا ينفع مال) كثرة المال (ولا بنون) كثرة البنين (الا من أتى الله بقلب سليم) خالص
من الذنب وحب الدنيا ويقال سليم من بعض أصحاب النبى صلى

امرها بانها لا تبصر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فاخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم ص
المسئلة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شانه وعدد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجو
فى الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب ا
وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطي
(وأزلفت الجنة للمتقين) أى قربت عطف جملة أى تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها (وبرزت الجحيم) أ
أظهرت حتى يكاد يأخذهم

لهبها (للغاوين) للكافرين (وقيل لهم أينما كنتم تعبدو
من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) يوبخون على اشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار (فكبكبوا) أنكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) فى الجحيم (هم) أى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كأنه اذا ألقى فى جهنم ينكب مرة اثر مرة حتى يستقر فى قعرها نعوذ بالله منها (وجنود ابليس أجمعون) شياطينه أو متبعوه من عصاة الانس والجن (قالوا وهم فيها يختصمون) يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين { والمعبودين }

عن الكفر والميل الى المعاصى وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله فى سبيل البر وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اى لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه ﴿وازلفت الجنة للمتقين﴾ بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم محشورون اليها ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ﴿وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾ اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿او ينتصرون﴾ بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾ اى الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من القى فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها ﴿وجنود ابليس﴾ متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه ﴿اجمعون﴾ تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده والا فللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه فى قوله ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾

من الشك والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالى من البدعة المطمئن الى السنة ﴿وأزلفت الجنة﴾ أى قربت ﴿للمتقين وبرزت الجحيم﴾ أى أظهرت ﴿للغاوين﴾ أى للكافرين ﴿وقيل لهم﴾ يعنى يوم القيامة ﴿أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم﴾ أى يمنعونكم من عذاب الله ﴿أو ينتصرون﴾ لانفسهم ﴿فكبكبوا﴾ قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤسهم ﴿فيها﴾ أى فى جهنم ﴿هم والغاوون﴾ يعنى الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين ﴿وجنود ابليس أجمعون﴾ يعنى اتباعه ومن أطاعه من الانس والجن وقيل ذريته ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾ يعنى العابدين

الله عليه وسلم (وأزلفت الجنة) قربت الجنة (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش فصارت لهم منزلا (وبرزت الجحيم) أظهر
ويقال لاحت الجحيم (للغاوين) للكافرين فصارت لهم منزلا (وقيل لهم) لعبدة الاوثان (أينما كنتم تعبدون من دون الله) فى الد
من الاصنام (هل ينصرونكم) هل يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) يمتنعون بأنفسهم من العذاب (فكبكبوا فيها) فطرح
فيها وجمعوا فى النار (هم) كفار مكة وسائر كفار الانس (والغاوون) كفار الجن وآلهتهم (وجنود ابليس) ذرية ابلي
(أجمعون) وهم الشياطين (قالوا) يعنى الكفار (وهم فيها) فى النار (يختصمون) مع آلهتهم ورؤسائهم وذرية ابلي

تالله ان كنا لفى ضلال مبين ﴾ على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب فى قوله ﴿ اذ نسويكم برب العالمين ﴾ اى فى استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم فى مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم فى الضلالة متحسرون عليها ﴿ وما اضلنا الا المجرمون فمالنا من شافعين ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ﴿ ولا صديق حميم ﴾ اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فمالنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء أو لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل ﴿ فلو ان لنا كرة ﴾ تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير أو شرط حذف جوابه ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ جواب التمنى أو عطف على كرة أى لو ان لنا ان نكر فنكون ﴿ ان فى ذلك ﴾ اى فيما ذكر من قصة ابراهيم ﴿ لآية ﴾ لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير

والمعبودين ﴿ تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم ﴾ أى نعدلكم ﴿ برب العالمين ﴾ فنعبدكم ﴿ وما أضلنا ﴾ يعنى دعانا الى الضلال ﴿ الا المجرمون ﴾ يعنى من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعنى ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وأنواع المعاصى ﴿ فمالنا من شافعين ﴾ يعنى من يشفع لنا يعنى كما ان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء ﴿ ولا صديق حميم ﴾ أى قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق فى المودة مع موافقة الدين ۞ عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول فى الجنة مافعل بصديق فلان وصديقه فى الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقى فمالنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوى باسناد الثعلبى وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة ﴿ فلو أن لنا كرة ﴾ أى رجعة الى الدنيا ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ أى انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم ﴿ ان فى ذلك لآية

الله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم) نعدلكم أيها الاصنام (برب العالمين) فى العبادة (وما أضلنا الا المجرمون) أى رؤساؤهم الذين أضلوهم أو ابليس وجنوده ومن سن الشرك (فمالنا من شافعين) كما للمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة (ولا صديق حميم) كما نرى لهم أصدقاء اذ لا يتصادق فى الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فمالنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لانهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام الذى يهمه مايهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وأما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق الجمع (فلو ان لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لو فى مثل هذا بمعنى التمنى كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقى (ان فى ذلك) فيما ذكر من الانباء (لآية)

ه) والله (ان كنا) قد كنا (لفى ضلال مبين) (فا وخا ٦١ بع) فى خطأ بين فى الدنيا (اذ نسويكم) نعدلكم (برب العالمين) بالعبادة (وما أضلنا) ما صرفنا عن الايمان والطاعة (الا المجرمون) المشركون قبلنا الذين اقتدينا بهم (فمالنا) فليس لنا احد (من شافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين يشفع لنا (ولا صديق حميم) لا ذى قرابة يهمه أمرنا (فلو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) مع المؤمنين بالايمان (ان فى ذلك) فيما ذكرت من حالهم (لآية)

أى لعبرة لمن اعتبر (وما كان اكثرهم مؤمنين) فيه ان فريقا منهم آمنوا (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من كذب ابر
بنار الجحيم (الرحيم) المسلم كل ذى قلب سليم الى جنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذكر ويؤنث
ولد نوح فى زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد به نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويا
البرود وماله الا دابة او برد او كانوا ينكرون بعث الرسل اصلا فلذا جمع اولان من كذب واحدا منهم فقد كذب ال
لان كل رسول يدعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما فى هذه السورة (اذ قال لهم اخوهم) نسبا لا
(نوح ألا تتقون) خالق الانام فتتركوا عبادة الاصنام (انى لكم رسول امين) كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه الص
والسلام فى قريش (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به وادعوكم اليه من ا

(وما اسئلكم عليه) على هذا الامر (من اجر) جزاء (ان اجرى) بالفتح مدنى وشامى وابو عمرو وحفص (الاعلى رب العالمين) فلذلك اريده (فاتقوا الله واطيعون) كرره ليقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الاول كونه أمينا فيما بينهم وعلة الثانى حسم طمعه منهم كانه قال اذا عرفتم رسالتى وأمانتى فاتقوا ثم اذا عرفتم احترازى من الاجر

الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول ﴿ وما كان اكثرهم ﴾ اكثر قومه ﴿ مؤمنين ﴾ به ﴿ وان ربك لهو العزيز ﴾ القادر على تعجيل الانتقام ﴿ الرحيم ﴾ بالامهال لكى يؤمنوهم أو واحد من ذريتهم ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ القوم مؤنث ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام فى تكذيبهم المرسلين ﴿ اذ قال لهم اخوهم نوح ﴾ لانه كان منهم ﴿ ألا تتقون ﴾ الله فتتركوا عبادة غيره ﴿ انى لكم رسول امين ﴾ مشهور بالامانة فيكم ﴿ فاتقوا الله واطيعون ﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله ﴿ وما اسئلكم عليه ﴾ على ما انا عليه من الدعاء والنصح ﴿ من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون ﴾ كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف

وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ أى مع هذه الدلائل والآيات ﴿ وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ أى المنتقم الذى لا يغالب وهو فى وصف عزته رحيم ✽ قوله عز وجل ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ أى كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ✽ فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقى القصص ✽ قلت لان دين الرسل واحد وان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم ﴿ اذ قال لهم أخوهم نوح ﴾ أى أخوهم فى النسب لا فى الدين ﴿ ألا تتقون ﴾ أى ألا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصى ﴿ انى لكم رسول أمين ﴾ أى على الوحى وكان معروفا عندهم بالامانة ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى بطاعته وعبادته ﴿ وأطيعون ﴾ أى فيما أمرتكم به من الايمان والتوحيد ﴿ وما اسئلكم عليه من اجر ﴾ اى من جعل وجزاء ﴿ ان اجرى ﴾ أى ثوابى ﴿ الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون ﴾ قيل كرره ليؤكده عليهم

لعلامة وعبرة (وما كان أكثرهم مؤمنين) لو رجعوا الى الدنيا ويقال لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة منهم (الرحيم) بالمؤمنين (كذبت قوم نوح المرسلين)

نوحا وجملة المرسلين الذين ذكرهم نوح (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (نوح) ولم يكن أخاهم فى الدين ولكن ﴿ ويقرره ﴾
كان من قرابتهم (ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم) من الله (رسول أمين) على الرسالة ويقال قد كنت فيكم أمينا قبل هذا فكيف
تتهمونى اليوم (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمرى ودينى (وما أسئلكم علي
على التوحيد (من أجر) من رزق (ان أجرى) ما رزقى (الا على رب العالمين فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايـ
(وأطيعون)

اذا اجتمعا ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون ﴾ الاقلون جاها ومالا جمع ارذل على الصحة. وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك ﴿ قال وما علمى بما كانوا يعملون ﴾ انهم عملوه اخلاصا أو طمعا فى طعمه وما على الا اعتبار الظاهر ﴿ ان حسابهم الا على ربى ﴾ ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها ﴿ لو تشعرون ﴾ لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون مالا تعلمون ﴿ وما انا بطارد المؤمنين ﴾ جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ﴿ ان انا الا نذير مبين ﴾ كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء أو ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا على ان اطردهم لاسترضائكم ﴿ قالوا لئن لم تنته يانوح ﴾ عما تقول ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ من المشتومين أو المضروبين بالحجارة ﴿ قال رب ان قومى كذبون ﴾ اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه ﴿ فافتح بينى وبينهم فتحا ﴾ فاحكم بينى وبينهم من الفتاحة ﴿ ونجنى

ويقرره فى نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول ألا تتقون الله فى مخالفتى وأنا رسول الله ومعنى الثانى ألا تتقون الله فى مخالفتى وانى لست آخذ منكم أجرا ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون ﴾ أى السفلة قال ابن عباس يعنى القافة وقيل هم الحاكة والاساكفة ﴿ قال ﴾ يعنى نوحا ﴿ وما علمى بما كانوا يعملون ﴾ أى وما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس على من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شئ انما كلفت ان أدعوهم الى الله تعالى ومالى الا ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر فى الديانات وقيل معناه انى لم أعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم ﴿ ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون ﴾ أى لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنائعهم ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ أى عنى وقد آمنوا ﴿ ان انا الا نذير مبين ﴾ معناه أخوف من كذبنى فمن آمن فهو القريب منى ومن لم يؤمن فهو البعيد عنى ﴿ قالوا لئن لم تنته يانوح ﴾ أى عما تقول ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ أى من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من المشتومين ﴿ قال رب ان قومى كذبون فافتح ﴾ أى احكم ﴿ بينى وبينهم فتحا ﴾ أى حكما ﴿ ونجنى

تقوا الله (قالوا أنؤمن لك واتبعك) الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة يعقوب وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد وتبع كبطل وابطال (الارذلون) السفلة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنيئة والصناعة لا تزرى بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس واوضعهم نسبا ومازالت اتباع الانبياء كذلك (قال وماعلمى) وأى شئ أعلم (بما كانوا يعملون) من الصناعات انما أطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس فى قلوبهم مايظهرونه فقال ما على الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على مافى قلوبهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أى ليس من شأنى ان أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا فى ايمانكم (ان أنا الا نذير مبين) ما على الا أن انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المقتولين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد انهم كذبونى فى وحيك ورسالتك (فافتح بينى وبينهم فتحا) أى فاحكم بينى وبينهم حكما والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات (ونجنى

واوصيتى (قالوا أنؤمن لك) أنصدقك يانوح (واتبعك الارذلون) سفلتنا وضعفاؤنا أطردهم حتى نؤمن بك (قال) نوح (وما علمى بما كانوا يعملون) ما علمت انهم يوفقون أو أنتم (ان حسابهم) ما ثوابهم ومؤنتهم (الا على ربى لو تشعرون) لو تعلمون ذلك (وما أنا بطارد المؤمنين) عن عبادة الله (ان أنا الا نذير مبين) ما أنا الا رسول مخوف بلغة تعلمونها (قالوا لئن لم تنته يانوح) عن مقالتك (لتكونن من المرجومين) من المقتولين كما قتلنا من آمن بك من الغرباء (قال) نوح (رب ان قومى كذبون) فى الرسالة وقتلوا من آمن بى من الغرباء (فافتح بينى وبينهم فتحا) فاقض بينى وبينهم قضاء بالعدل (ونجنى

ومن معى)بمى حفص (من المؤمنين)من عذاب عملهم (فأنجيناه ومن معه فى الفلك)الفلك السفينة وجمعه فلك فلواحد بوزن
والجمع بوزن أسد (المشحون)المملوء ومنه شحنة البلد أى الذى يملؤه كفاية (ثم أغرقنا بعد) أى بعد انجاء نوح ومن
(الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز) المنتقم باهانة من
واصر (الرحيم) المنعم باعانة من وحد وأقر (كذبت عاد المرسلين) هى قبيلة وفى الاصل اسم رجل هو أبو القبيلة (اذ قا
أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله)فى تكذيب الرسول ا
(واطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع) مكان مرتفع (آية) ابرج حمام او بناء يكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون عن مرابهم (تعبثون) تلعبون (وتتخذون مصانع)مآخذ الماء اوقصورا مشيدة أوحصونا (لعلكم تخلدون) ترجون

ومن معى من المؤمنين) من عذابهم (فأنجيناه ومن معه من المؤمنين (فى الفلك المشحون)فى السفينة المجهزة الموقرة المملوءة التى لم يبق الا رفعها (ثم أغرقنا بعد) بعدما ركب نوح فى السفينة (الباقين)من قومه (ان فى ذلك)فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة منهم اذ أغرقهم بالطوفان (الرحيم) بالمؤمنين اذ نجاهم من الغرق (كذبت عاد المرسلين) قوم هود وهود ا
وجملة المرسلين الذين ذكرهم هود (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (هود ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من (و ا
الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) أطيعوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) فيما أمرتكم (وما أسئلكم
على التوحيد (من أجر) من جعل (ان أجرى) ما ثوابى (الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية) بكل طريق علامة (تع
تضربون وتأخذون ثياب من مر بكم من الغرباء وهم العشارون على الطرق وله وجه آخر يقول اتبنون بكل ريع بكل سو
علامة تعبثون تسخرون عن مر بكم (وتتخذون مصانع) المنازل والقصور والحياض (لعلكم) كانكم (تخلدون) فى الدنيا

ومن معى من المؤمنين ﴾ من قصدهم أو شؤم عملهم ﴿ فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ﴾ المملوء ﴿ ثم اغرقنا بعد ﴾ بعد انجائه ﴿ الباقين ﴾ من قومه ﴿ ا
فى ذلك لآية ﴾ شاعت وتواترت ﴿ وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العز
الرحيم كذبت عاد المرسلين ﴾ انثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم ابيهم ﴿ اذ قا
لهم اخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عل
من اجر ان اجرى الا على رب العالمين ﴾ تصدير القصص بها دلالة على ان البعث
مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده ع
عقابه وان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرؤن عن المطا
الدنيئة والاغراض الدنيوية ﴿ أتبنون بكل ريع ﴾ بكل مكان مرتفع ومنه ر
الارض لارتفاعها ﴿ آية ﴾ علما للمارة ﴿ تعبثون ﴾ ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجو
فى اسفارهم فلا يحتاجون اليها أو بروج الحمام أو بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن ي
عليهم أو قصورا يفتخرون بها ﴿ وتتخذون مصانع ﴾ مآخذ الماء وقيل قصور
مشيدة وحصونا ﴿ لعلكم تخلدون ﴾ فتحكمون بنيانها

ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ﴾ أى الموقر المملو
من الناس والطير والحيوان ﴿ ثم أغرقنا بعد الباقين ﴾ أى بعد انجاء نوح ومن مع
﴿ ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ قو
تعالى ﴿ كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين ﴾
أى أمين على الرسالة فكيف تتهمونى اليوم ﴿ فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه م
أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع ﴾ قال ابن عباس أى بكل شرف
وفى رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع ﴿ آية ﴾ أ
علامة وهى العلم ﴿ تعبثون ﴾ أى بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواض
المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا برو
الحمام فأنكر عليهم هو باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام ﴿ وتتخذون مصانع ﴾
قال ابن عباس أبنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل مآخذ الماء يعنى الحياض
﴿ لعلكم تخلدون ﴾ أى كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون

الخلود في الدنيا (واذا بطشتم) أخذتم أخذ العقوبة (بطشتم جبارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله) في البطش (واطيعون) فيما أدعوكم اليه (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) من النعم ثم عددها عليهم فقال (أمدكم بانعام وبنين) قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وجنات وعيون اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان عصيتموني

علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآي (ان هذا الا خلق الاولين) ماهذا الذي نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابنية الا عادة الاولين أوما نحن عليه دين الاولين الاخلق الاولين مكي وبصري ويزيد وعلى أي ماجئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبئين قبلك كقولهم أساطير الاولين أوخلقنا كخلق الاولين نموت ونحيا كما حيوا (ومانحن بمعذبين) في الدنيا ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) أي هودا (فاهلكناهم

﴿ واذا بطشتم ﴾ بسوط أوسيف ﴿ بطشتم جبارين ﴾ متسلطين غاشمين بلا رأفة ولاقصد تأديب ونظر في العاقبة ﴿ فاتقوا الله ﴾ بترك هذه الاشياء ﴿ واطيعون ﴾ فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم ﴿ واتقوا الذي امدكم بما تعلمون ﴾ كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في ألا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال ﴿ امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ﴾ ثم او عدهم فقال ﴿ اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام ﴿ قالوا سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ فانا لانرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ﴿ ان هذا الا خلق الاولين ﴾ ماهذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين اوماخلقنا هذا الاخلقهم نحيي ونموت مثلهم ولابعث ولاحساب وقرأنافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اى ماهذا الذي جئت به الاعادة الاولين كانوا يلفقون مثله اوما هذا الذي نحن عليه من الدين الاخلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أوما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الاعادة قديمة لم يزل الناس عليها ﴿ ومانحن بمعذبين ﴾ على مانحن عليه ﴿ فكذبوه فاهلكناهم ﴾ بسبب

﴿ واذا بطشتم ﴾ أي واذا أخذتم وسطوتم ﴿ بطشتم جبارين ﴾ أي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر ﴿ واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ﴾ أي اعطاكم من الخير ماتعلمون ثم ذكر ماأعطاهم فقال ﴿ أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ﴾ فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم ﴿ اني أخاف عليكم ﴾ قال ابن عباس ان عصيتموني ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ فكان جوابهم أن ﴿ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ أي انهم أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما أورده من المواعظ والواعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ﴿ ان هذا الا خلق الاولين ﴾ قرئ بفتح الخاء أي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام أي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ماعاشوا ثم يموتون ولا بعث ولاحساب وقولهم ﴿ ومانحن بمعذبين ﴾ أي انهم أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد ﴿ فكذبوه فاهلكناهم

لاتخلدون (واذا بطشتم بطشتم جبارين) واذا أخذتم بالعقوبة اخذتم بعقوبة الجبارين تضربون وتقتلون على الغضب (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمري (واتقوا الذي) اخشوا الذي (أمدكم) اعطاكم (بما تعلمون) ثم بين ما اعطاهم فقال (أمدكم بانعام وبنين) أعطاكم أنعاما وبنين (وجنات) بساتين (وعيون) ماء طاهر (اني أخاف عليكم) اعلم أن يكون عليكم (عذاب يوم عظيم) في النار ان لم تتوبوا من الكفر والشرك وعبادة الاوثان (قالوا سواء علينا أوعظت) أنهيتنا (أم لم تكن من الواعظين) من الناهين لنا (ان هذا) ماهذا الذي نحن عليه (الا خلق الاولين) دين الاولين دين آبائنا الاولين ويقال ان هذا الذي تقول الا خلق الاولين الا اختلاق الاولين (ومانحن بمعذبين) كما تقول على هذا الدين (فكذبوه) بالرسالة وبما قال لهم (فاهلكناهم) بالريح

بريح صرصر عاتية (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذقال لهم
أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العز
أتتركون) انكار لان يتركوا خالدين فى نعيمهم لا يزالون عنه (فيما ههنا) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم (آمنين) من العذ
والزوال والموت ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون) وهذا أيضا اجمال ثم تفصيل (وزروع ونخل) وعطف نخل على جنـ
مع ان الجنة تتناول النخل أول شئ تفضيلا للنخل على سائر الشجر (طلعها) هو ما يخرج من النخل كنصل السيف (هضيم) لين نضـ

شامى وكوفى حاذقين حال وغيرهم فرهين أشرين والفراهة الكيس والنشاط (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمى والمراد الآمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه فى العقل لضرب من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل (الذين يفسدون فى الارض)

التكذيب بريح صرصر ﴿ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين﴾ انكار لان يتركوا كذلك أو تذكير بالنعمة فى تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله ﴿فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ لطيف لين للطف الثمر أو لان النخل انثى وطلع اناث النخل هو الطف ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات أو لان المراد بها غيرها من الاشجار ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾ بطرين أو حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وهو ابلغ ﴿فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين﴾ استعير الطاعة التى هى انقياد الآمر لامتثال الامر اونسب حكم الامر الى امره مجازا ﴿الذين يفسدون فى الارض﴾ وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف

ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ ﴿ قوله تعالى ﴿كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين﴾ أى فى الدنيا من العذاب ﴿فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها﴾ أى ثمرها الذى يطلع منها ﴿هضيم﴾ قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل متهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الذى دخل بعضه فى بعض من النضج أو النعومة وقيل هو المدرك ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين﴾ وقرئ فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرهين معجبين بصنعكم ﴿فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ قال ابن عباس أى المشركين وقيل يعنى التسعة الذين عقروا الناقة ﴿الذين يفسدون فى الارض﴾

(ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين اذ نجاهم من العذاب بالريح (كذبت ثمود المرسلين) قوم صالح صالحا وجملة المرسلين الذين
أخبرهم صالح (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (صالح ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (أى
(فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمرى ودينى (وما أسئلكم عليه) على التوحيد (
أجر) من جعل ورزق (ان أجرى) ما ثوابى (الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا) فى هذه النعم (آمنين)من الموت والزو
والعذاب (فى جنات) فى بساتين (وعيون) ماء طاهر (وزروع) حروث (ونخل طلعها) ثمرها (هضيم) لين لطيف نضيج (وتنحتـ
من الجبال) الجبال (بيوتا فارهين) حاذقين ويقال معجبين بضيعكم متكبرين ان قرأت بغير الالف (فاتقوا الله) فاخـ
الله فيما أمركم (وأطيعون) اتبعوا أمرى ووصيتى (ولا تطيعوا أمر المسرفين) قول المشركين (الذين يفسدون فى الارض

لظلم والكفر (ولا يصلحون) بالايمان والعدل والمعنى ان فسادهم مصمت ليس معه شئ من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين
مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة
انه بشر (ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء
لا تزاحموها فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لا تزاحمكم هى فيه روى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا
فجعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقبا مثلها فى العظم وصدرها
ستون ذراعا واذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله واذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهايأة لان قوله
لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهايأة (ولا تمسوها بسوء) بضرب
أو عقر أو غير ذلك (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (فعقروها) عقرها قدار ولكنهم راضون به فأضيف اليهم روى ان عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فاصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب أو على ترك الولد (فاخذهم العذاب) المقدم ذكره
(ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

﴿ولا يصلحون﴾ على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم ﴿قالوا انما انت من المسحرين﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم أو من ذوى السحر وهى الرئة أى من الاناسى فيكون ﴿ما انت الا بشر مثلنا﴾ تأكيدا له ﴿فأت بآية ان كنت من الصادقين﴾ فى دعواك ﴿قال هذه ناقة﴾ اى بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها ﴿لها شرب﴾ نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها فى شربها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ كضرب وعقر ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب ﴿فعقروها﴾ اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا ﴿فاصبحوا نادمين﴾ على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم ﴿فاخذهم العذاب﴾ أى العذاب الموعود ﴿ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم اوشطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما

أى بالمعاصى ﴿ولا يصلحون﴾ أى لا يطيعون الله فيما امرهم ﴿قالوا انما أنت من المسحرين﴾ أى من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ﴿ما أنت الا بشر مثلنا﴾ والمعنى أنت بشر مثلنا ولست بملك ﴿فأت بآية﴾ يعنى على صحة ما تقول ﴿ان كنت من الصادقين﴾ يعنى انك رسول الينا ﴿قال هذه ناقة لها شرب﴾ أى حظ من الماء ﴿ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء﴾ أى بعقر ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ أى على عقرها لما رأوا العذاب ﴿فاخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾

بالكفر والشرك والدعاء الى غير عبادة الله (ولا يصلحون) لا يأمرون بالصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) المجوفين سوقة
لست بملك ولا نبى (ما أنت الا بشر) آدمى (مثلنا) تأكل وتشرب كما نأكل ونشرب (فأت بآية) بعلامة على ما تقول (ان كنت
من الصادقين) بمجئ العذاب وانك رسول الينا (قال) لهم صالح (هذه ناقة) علامة لكم لنبوتى (لها شرب) يوم من الماء (ولكم شرب
يوم) من الماء (معلوم) بالنوبة يوم لها ويوم لكم (ولا تمسوها بسوء) بعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) كبير (فعقروها) فقتلوها
(فاصبحوا) صاروا (نادمين) على قتلها (فأخذهم العذاب) بعد ثلاثة ايام (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما
كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك) يا محمد (لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين

كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من اجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) أراد بالعالمين الناس أتطؤن الذكور من الناس مع كثرة الانا[ث] أو أتطؤن أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران أى أنتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ماينكح من الحيوان (وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم) من تبيين لما خلق أو تبعيض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكا[نوا] يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن أجازه فقد اخطأ خطأ عظيما ([بل] أنتم قوم عادون) لعادى المتعدى فى ظلمه المتجاوز فيه الحد أى بل أنتم قوم أحق [بأن] توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن انكارك علينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا انخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال انى لعملكم من القالين) هو أبلغ من أن يقول قال فقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانه مساهم لهم فى العلم والقلى البغض يقلى الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاء من حيث الدين (رب نجنى وأهلى مما يعملون) (كذبت قوم لوط المرسلين) لوطا وجملة المرسلين الذين

عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم ﴿كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين﴾ اى اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لايشارككم فيه غيركم أو اتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس ﴿وتذرون ماخلق لكم ربكم﴾ لاجل استمتاعكم ﴿من ازواجكم﴾ لبيان ماخلق ان اريد به جنس الاناث أو للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا ﴿بل انتم قوم عادون﴾ متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أو مفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة ﴿قالوا لئن لم تنته يالوط﴾ عما تدعيه أو عن نهينا او تقبيح امرنا ﴿لتكونن من المخرجين﴾ من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال ﴿قال انى لعملكم من القالين﴾ من المبغضين غاية البغض لااقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى زمرتهم مشهور بانه من جملتهم ﴿رب نجنى واهلى مما يعملون﴾ أى من شؤمه وعذابه

❀ قوله عز وجل ﴿كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين﴾ يعنى نكاح الرجال من بنى آدم ﴿وتذرون ماخلق لكم ربكم من ازواجكم﴾ يعنى أتتركون العضو المباح من النساء وتميلون الى ادبار الرجال ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ أى معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام ﴿قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين﴾ أى من قريتنا ﴿قال انى لعملكم من القالين﴾ أى من التاركين المبغضين ﴿رب نجنى واهلى مما يعملون﴾ أى من العمل الخبيث قال الله تعالى

أخبرهم لوط (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (لوط ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) (فتجيناه) على الرسالة (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم به من التوبة والايمان (وأطيعون) تبعوا أمرى ودينى (وما أسئلكم عليه) ع[لى] التوحيد (من أجر) من جعل (ان أجرى) ماثوابى (الا على رب العالمين أتأتون الذكران) أدبار الرجال (من العالمين من بين العالمين (وتذرون ماخلق لكم ربكم) ما أحل لكم ربكم (من أزواجكم) من فروج نسائكم (بل أنتم قوم عادون) تعتدون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن مقالتك (لتكونن من المخرجين) من أرضنا سدوم(قال) لوط (انى لعملكم) الخبيث (من القالين) المبغضين (رب نجنى وأهلى مما يعملون

،عقوبة عملهم (فنجيناه وأهله أجمعين) يعنى بناته ومن آمن معه (الاعجوزا) هى امرأة لوط وكانت راضية بذلك
،اضى بالمعصية فى حكم العاصى واستثناء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وان لم تشاركهم فى الايمان
،الغابرين) صفة لها أى فى الباقين فى العذاب فلم تنج منه والغابر فى اللغة الباقى كانه قيل الاعجوزا غابرة أى
ـرا غبورها اذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم (ثم دمرنا الآخرين)والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم (وأمطرنا
م مطرا) عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم الله وقيل لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا
ن حجارة (فساء) فاعله (مطر المنذرين) والمخصوص بالذم و هو
مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم بل المراد جنس الكافرين (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة) بالهمزة والجر هى غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازى و شامى وكذا فى ص علم لبلد قيل أصحاب الايكة هم أهل مدين التجؤ الى غيضة اذ ألح عليهم الوهج والاصح انهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المقل بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين ففى الحديث ان شعيبا أخا مدين رسـل اليهم والى أصحاب الايكة (المرسلين اذقال لهم شعيب ألا تتقون
نى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون (قا و خا ٦٢ بع) وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين

﴿ فنجيناه واهله اجمعين ﴾ اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم ﴿ الاعجوزا ﴾ هى امرأة لوط ﴿ فى الغابرين ﴾ مقدرة فى الباقين فى العذاب اذ اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضيـة بفعلهم وقيـل كائنة فيمن بقيت فى القرية فانهـا لم تخرج مع لوط ﴿ ثم دمرنا الآخرين ﴾ اهلكناهم ﴿ وامطرنا عليهم مطرا ﴾ قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم ﴿ فساء مطر المنذرين ﴾ اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ﴿ ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين ﴾ الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال ﴿ اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ﴾ ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انهـا ليكة وهى اسم بلدهم وانمـا كتبت ههنا وفى ص بغير الالف اتبـاعا للفظ ﴿ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين

﴿ فنجيناه وأهله أجمعين الاعجوزا ﴾ أى امرأته ﴿ فى الغابرين ﴾ أى بقيت فى المهلكين ﴿ ثم دمرنا الآخرين ﴾ أى أهلكناهم ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا ﴾ يعنى الكبريت والنار ﴿ فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين و ان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ ✽ قوله عز وجل ﴿ كذب أصحاب الايكة المرسـلين ﴾ أى الغيضـة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد ﴿ اذ قال لهم شعيب ﴾ لم يقل لهم أخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وأرسل اليهم ﴿ ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين ﴾ انما كانت

فنجيناه وأهله أجمعين الاعجوزا) امرأته المنافقة (فى الغابرين) تخلفت مع الباقين الهلاك (ثم دمرنا الآخرين) أهلكنا الباقين من قومه (وأمطرنا عليهم) على شذاذهم ومسافريهم (مطرا) حجارة (فساء مطر المنذرين) بئس المطر بالحجارة لمن أنذرهم لوط فلم يؤمنوا (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكافرين (الرحيم) بالمؤمنين (كذب أصحاب الايكة المرسلين) قوم شعيب شعيبا و جملة المرسلين (اذقال لهم شعيب ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة و لايمان (وأطيعون) اتبعوا أمرى ووصيتى (وما أسئلكم عليه) على التوحيد (من أجر) من جعل (ان أجرى) ما ثوابى (الا على رب العالمين

أوفوا الكيل) أتموه (ولاتكونوا من المخسرين) ولاتنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو مأمور به وطف
وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شئ عليه (وز
بالقسطاس المستقيم) وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهي الميزان أو القبان فان كان من القسط وهو العدل وجعل
العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي (ولا تبخسوا الناس) يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه (أشياءهم) دراهم
ودنانيرهم بقطع أطرافهما (ولاتعثوا في الارض مفسدين) ولا تبالغوا فيها في الافساد نحو قطع الطريق والـ
واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه يقال عثا في الارض اذا أفسد وعثي في الارض لغة في عثا (واتقوا الذ
خلقكم والجبلة) الجبلة عطف على كم أي اتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلة (الاولين) الماضين (قالوا انما أنت من المسـ
وما أنت الابشر مثلنا) ادخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف الرسالة عند
التسحير والبشرية وتركها في قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم (وان نظنك لمن الكاذبين) ان مخففة من الثقيلة واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية وانما تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه لان أصلهما ان يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا (فأسقط علينا كسفا) كسفا حفص وهما جمعا كسفة وهي القطعة
وكسفه قطعه (من السماء) أي السحاب أو الظلة (ان كنت من الصادقين) أي ان كنت صادقا انك نبي فادع الله أن يسقط (أي
علينا كسفا من السماء عقوبة (قال ربي) بفتح الياء حجازي وأبو عمرو وبسكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أي ان الله

اوفوا الكيل ﴾ اتموه ﴿ ولاتكونوا من المخسرين ﴾ حقوق الناس بالتطفيف ﴿ وز
بالقسطاس المستقيم ﴾ بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسـ
ففعلاس بتكرير العين والافعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ﴿ و
تبخسوا الناس اشياءهم ﴾ ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم ﴿ ولا تعثوا في الار
مفسدين ﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق ﴿ واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين ﴾
وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق ﴿ قالوا انما انت من المسحر
وما انت الا بشر مثلنا ﴾ اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسا
مبالغة في تكذيبه ﴿ وان نظنك لمن الكاذبين ﴾ في دعواك ﴿ فأسقط علينا كسفا م
السماء ﴾ قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص
بفتح السين ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ في دعواك ﴿ قال ربي اعلم بما تعملون ﴾

دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله
وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة ﴿ أوفوا
الكيل ولاتكونوا من المخسرين ﴾ أي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن
﴿ وزنوا بالقسطاس ﴾ أي بالميزان العدل ﴿ المستقيم ولاتبخسوا الناس اشياءهم
ولاتعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين ﴾ يعني الخليقة والامم
المتقدمة ﴿ قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط
علينا كسفا ﴾ أي قطعا ﴿ من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون ﴾

أوفوا الكيل) أتموا الكيل والوزن (ولاتكونوا من المخسرين) من ناقصي الكيل والوزن وكانوا مسيئين بالكيل والو
(وزنوا بالقسطاس المستقيم) بميزان العدل (ولاتبخسوا الناس أشياءهم) لاتنقصوا حقوق الناس في الكيل والو
(ولاتعثوا في الارض مفسدين) لاتعملوا بالمعاصي في الارض والفساد بنقص الكيل والوزن والدعاء الى غير عبادة الله (واتقـ
اخشوا (الذي خلقكم والجبلة الاولين) خلق الاولين قبلكم (قالوا انما أنت من المسحرين) من المجوفين سوقة مثلنا لست بملك
نبي (وما أنت الابشر) آدمي (مثلنا) تأكل وتشرب كما نأكل ونشرب (وان نظنك) وقد نظنك (لمن الكاذبين) على ماتقول (فأسـ
علينا كسفا) قطعا (من السماء) من العذاب (ان كنت من الصادقين) بمجيء العذاب (قال) شعيب (ربي أعلم بما تعملون) في الكـ

بكم وبما تستحقون عليها من العذاب فان أراد أن يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فاليه الحكم
ربية (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة) هى سحابة أظلتهم بعدما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام
وانحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب
يوم عظيم ان فى ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم)
وقد كرر فى هذه السورة
فى اول كل قصة وآخرها
ما كرر تقريرا لمعانيها
فى الصدور ليكون أبلغ
فى الوعظ والزجر ولان
كل قصة منها كتنزيل برأسه
وفيها من الاعتبار مثل
ما فى غيرها فكانت جديرة
بان تفتتح بما افتتحت به
صاحبتها وان تختتم بما
اختتمت به (وانه) أى
القرآن (لتنزيل رب
العالمين) منزل منه (نزل به)
مخفف والفاعل (الروح
الامين) أى جبريل لانه
أمين على الوحى الذى فيه
الحياة حجازى وأبو عمرو
وزيد وحفص وغيرهم
بالتشديد ونصب الروح
والفاعل هو الله تعالى أى
جعل الله الروح نازلا به
والباء على القراءتين للتعدية
(على قلبك) اى حفظك
وفهمك اياه وأثبته فى قلبك
اثبات ما لا ينسى كقوله

وأعلم بكم وبعذابكم فكذبوه

بعذابه فينزل عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة ﴿ فكذبوه فاخذهم
عذاب يوم الظلة ﴾ على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت
نهارهم واظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا ﴿ انه كان
عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم ﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد
انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب
اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم ﴿ وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك ﴾ تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن
ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله
عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعانى
الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم
تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبرائيل فانه امين الله
على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاى ونصب الروح

ى من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الى وما
على الا الدعوة والتبليغ ﴿ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب
يوم عظيم ﴾ وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها
احر من ذلك فيخرجون فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
جميعا ﴿ ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾
قد تقدم الكلام على هذه القصص فى سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا
والله أعلم بمراده ❊ قوله عز وجل ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لتنزيل رب العالمين ﴾
يعنى ان فيه من أخبار الامم الماضية ما يدل على أنه من رب العالمين ﴿ نزل به الروح
الامين ﴾ يعنى جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه أمينا لانه مؤتمن
على وحيه لانبياء ﴿ على قلبك ﴾ يعنى على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما
خص القلب لانه هو المخاطب فى الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر
الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ألا وان فى الجسد مضغة اذا
صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب أخرجاه فى الصحيحين
ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزن يتغير

الة (فأخذهم عذاب يوم الظلة) وقف العذاب فوقهم كسحابة فأحرقتهم بحرها (انه كان عذاب يوم عظيم) شديد عليهم
اب (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا
ن (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين (وانه) يعنى القرآن (لتنزيل) لتكليم (رب العالمين نزل به
الروح الامين) نزل الله بالقرآن جبريل الامين على الرسالة الى أنبيائه (على قلبك)

سنقرئك فلاتنسى (لتكون من المنذرين بلسان عربي) بلغة قريش وجرهم (مبين) فصيح ومتبع عما صحفته العامة
اما ان يتعلق بالمنذرين أي لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام أو
أي نزله بلسان عربي لتنذر به لانه لو نزله بلسان أعجمي لتجافوا عنه أصلا و لقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الان
وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه ق
ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد
الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي نشأ عليها لم يكن قلبه ناظرا الا الى معاني الكلام وان كلم بغيرها كان نظره
في ألفاظها ثم في معانيها وان كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير انه نزل على
انزوله بلسان عربي مبين
(وانه) وان القرآن (لفي
زبر الاولين) يعني ذكره
مثبت في سائر الكتب
السماوية وقيل ان معانيه
فيها وفيه دليل على ان
القرآن قرآن اذا ترجم
بغير العربية فيكون دليلا
على جواز قراءة القرآن
بالفارسية في الصلاة
(أولم تكن لهم آية) شامي
جعلت آية اسم كان وخبره
(ان يعلمه) أي القرآن
لوجود ذكره في التوراة
وقيل في يكن ضمير القصة
وآية خبر مقدم والمبتدأ
أن يعلمه والجملة خبر كان
وقيل كان تامة والفاعل
آية وان يعلمه بدل منها
أوخبر مبتدأ محذوف أي
أولم تحصل لهم آية وغيره
يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل آية (و
(علمؤا بني اسرائيل) كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به أنه الحق من ربنا انا
من قبله مسلمين وخط في المصحف علمؤا بواو قبل الالف (ولو نزلناه على بعض الاعجمين)

والامين ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ عما يؤدي الى عذاب من فعل أو ترك ﴿ بلسان عربي
مبين ﴾ واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهم فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق
بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب
ومحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿ وانه لفي زبر الاولين ﴾ وان ذكره أو معناه لفي الكتب
المتقدمة ﴿ أولم يكن لهم آية ﴾ على صحة القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
﴿ ان يعلمه علمؤا بني اسرائيل ﴾ ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه
دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل
او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال أو ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة
خبر تكن ﴿ ولو نزلناه على بعض الاعجمين ﴾ كما هو زيادة في اعجازه أو بلغة العجم

حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على
الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف
مشروط بالعقل والفهم ✽ وقوله تعالى ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ أي المخوفين ﴿ بلسان
عربي مبين ﴾ قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه ﴿ وانه ﴾ يعني القرآن
وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ﴿ لفي زبر الاولين ﴾ أي كتب الاولين
﴿ أولم يكن لهم آية ﴾ يعني أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله
عليه وسلم ﴿ ان يعلمه ﴾ يعني يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ علمؤا بني اسرائيل ﴾ قال
ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم
فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله
عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد ✽ قوله تعالى
﴿ ولو نزلناه ﴾ يعني القرآن ﴿ على بعض الاعجمين ﴾ جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح

على قدر حفظك ويقال حين تلاه عليك (لتكون من المنذرين) من المخوفين بالقرآن (بلسان عربي مبين) يقول القرآن على مجرى
العربية ويقال نبئهم يا محمد بلغتهم (وانه) يعني نعت القرآن ومحمد عليه السلام (لفي زبر الاولين) مكتوب في كتب الانبياء
(أولم يكن لهم) لاهل مكة (آية) علامة لنبوة محمد عليه السلام (أن يعلمه) أن يخبرهم (علمؤا بني اسرائيل) حيث سأ
عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فأخبروهم بذلك (ولو نزلناه) نزلنا جبريل بالقرآن (على بعض الاعجم

جمع أعجم وهو الذى لايفصح وكذلك الاعجمى الأأن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لايفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمى شبهوه بمن لايفصح ولايبين والعجمى الذى من جنس العجم أفصح أولم يفصح وقرأ الحسن الاعجميين وقيل الاعجمين تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون أى الاشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤنثه عجماء (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) والمعنى انا أنزلنا القرآن على رجل عربى مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذى لايحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك سلكناه) أى أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين (فى قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاصرار عليه يعنى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وقررناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من كفربه والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهو حجتنا على المعتزلة فى خلق أفعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله (لايؤمنون به) بالقرآن من قوله سلكناه فى قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثبات كونه مكذبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لايزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أى سلكناه فيها غير مؤمن به (حتى يروا العذاب الاليم) المراد معاينة الموت عند الموت ويكون ذلك ايمان بأس فلا ينفعهم (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) باتيانه (فيقولوا) وفيأتيهم معطوفان على يروا (هل نحن منظرون) يسألون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها (أفبعذابنا يستعجلون)

﴿ فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة ﴿ كذلك سلكناه ﴾ ادخلناه ﴿ فى قلوب المجرمين ﴾ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا ﴿ لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ﴾ الملجئ الى الايمان ﴿ فيأتيهم بغتة ﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ باتيانه ﴿ فيقولوا هل نحن منظرون ﴾ تحسرا وتأسفا ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ فيقولون امطر علينا

ولايحسن العربية وان كان عربيا فى النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن على رجل ليس بعربى اللسان ﴿ فقرأه عليهم ﴾ يعنى القرآن ﴿ ما كانوا به مؤمنين ﴾ أى لقالوا لانفقه قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب ﴿ كذلك سلكناه ﴾ قال ابن عباس يعنى أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿ فى قلوب المجرمين لايؤمنون به ﴾ أى القرآن ﴿ حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لايشعرون فيقولوا هل نحن منظرون ﴾ أى لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾

على رجل لايتكلم بالعربية (فقرأه عليهم) على قريش (ما كانوا به) بالقرآن (مؤمنين) لانهم لم يؤمنوا بما كان بلغتهم فكيف يؤمنون بما لم يكن بلغتهم (كذلك) هكذا (سلكناه) تركنا التكذيب (فى قلوب المجرمين) المشركين أبى جهل وأصحابه (لايؤمنون به) لكى لايؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (حتى يروا العذاب الاليم) الوجيع (فيأتيهم) العذاب (بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) بنزول العذاب عليهم (فيقولوا) عند نزول العذاب عليهم (هل نحن منظرون) مؤجلون من العذاب (أفبعذابنا يستعجلون)

توبيخ لهم وانكار عليهم قولهم ومطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيى بن المعاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن الى مألوفته والله تعالى يقول (أفرأيت ان متعناهم سنين) قيل هي سنو مدة الدنيا (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين والمعنى ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ماينفعهم حينئذ مامضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم ٥ وعن ميمون بن مهران انه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما فى وما اهلكنا من {الجزء التاسع عشر} قرية الا ولها ﴿٤٩٤﴾ كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة لان أنذر واذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة أو حال من الضمير فى منذرون أى ينذرونهم ذوى تذكرة أو مفعول له أى ينذرون لاجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعدما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا { وما } مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقى القرآن على محمد أنزل (وما تنزلت به) أى القرآن (الشياطين وما ينبغى لهم

حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة ﴿ أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه ﴿ وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ﴾ انذروا اهلها الزاما للحجة ﴿ ذكرى ﴾ تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لانها فى معنى الانذار أو الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا أو بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية ﴿ وما كنا ظالمين ﴾ فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة ﴿ وما ينبغى لهم ﴾ وما يصح

قيل لما وعدهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله أفبعذابنا يستعجلون ﴿ أفرأيت ان متعناهم سنين ﴾ أى كفار مكة فى الدنيا ولم نهلكهم ﴿ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ﴾ يعنى العذاب ﴿ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ أى فى تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيأ ويكونوا كأنهم لم يكونوا فى نعيم قط ﴿ وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ﴾ أى رسل ينذرونهم ﴿ ذكرى ﴾ أى تذكرة ﴿ وما كنا ظالمين ﴾ أى فى تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ يعنى ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك ﴿ وما ينبغى لهم ﴾ أن ينزلوا بالقرآن

بجيئة (أفرأيت) يامحمد (ان متعناهم سنين) فى كفرهم (ثم جاءهم) بل جاءهم (ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يمتعون) يؤجلون (وما أهلكنا من قرية) من أهل قرية (الا لها منذرون) رسل مخوفون (ذكرى) يذكرونهم من عذاب الله (وما كنا ظالمين) بهلاكهم (وما تنزلت به) بالقرآن (الشياطين) على عهد محمد عليه السلام (وما ينبغى لهم) ماهم الشياطين له بأهل

لهم ان يتنزلوا به ﴿ وما يستطيعون ﴾ وما يقدرون ﴿ انهم عن السمع ﴾ لكلام الملائكة ﴿ لمعزولون ﴾ لانه مشروط بمشاركة فى صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لاتقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لايمكن تلقيها الامن الملائكة ﴿ فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ﴾ تهيج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لواخبرتكم

﴿ ومايستطيعون ﴾ أى ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال ﴿ انهم عن السمع لمعزولون ﴾ أى محجوبون بالرمى بالشهب فلايصلون الى استراق السمع ﴿ فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق على ولو اتخذت الها غيرى لعذبتك * قوله ﴿ وأنذر عشيرتك الاقربين ﴾ روى محمد بن اسحق بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياعلى أن الله أمرنى ان أنذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت انى متى اباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يامحمد ان لاتفعل ماتؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أبلغهم ماامرت به ففعلت ماأمرنى به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعت فجئت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى مالهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ماقدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد ياعلى فان هذا الرجل قد سبقنى الى ماسمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فاعدد لنا من الطعام مثل ماصنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله عز وجل ان أدعوكم اليه فايكم يوازرنى على امرى هذا ويكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وأنا أحدثهم سنا فقلت انا يارسول الله أكون وزيرك عليه فاخذ برقبتى ثم قال هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد

وما يستطيعون) وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه (انهم عن السمع لمعزولون) لممنوعون بالشهب (فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) مورد النهى لغيره على التعريض والتحريك له على زيادة الاخلاص (وأنذر عشيرتك الاقربين) خصهم لنفى التهمة اذ الانسان يساهل قرابته أو ليعلموا أنه لايغنى عنهم من الله شيأ وان النجاة فى اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى الاقرب فالاقرب وقال يابنى عبد المطلب يابنى هاشم يابنى عبد مناف ياعباس عم النبى ياصفية عمة رسول الله انى لا أملك لكم من الله شيأ

(ومايستطيعون) وما يقدرون على ذلك (انهم) يعنى الشياطين (عن السمع) عن الاستماع للوحى (لمعزولون) لممنوعون (فلاتدع) فلا تعبد (مع الله الها آخر) من الاوثان (فتكون من المعذبين) فى النار (وانذر عشيرتك الاقربين) فى الرحم

ان يسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان أو المصدقون باللسان ﴿ فان عصوك ﴾ ولم يتبعوك ﴿ فقل اني بريء مما تعملون ﴾ مما تعملونه أو من اعمالكم ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من جواب الشرط ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ الى التهجد

أمرك أن تسمع لعلي وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ماهو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ماأغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه (ق) عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين قال يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لاأغني عنكم من الله شيأ يابني عبد المطلب لاأغني عنكم من الله شيأ ياعباس بن عبد المطلب لاأغني عنك من الله شيأ وياصفية عمة رسول الله لاأغني عنك من الله شيأ ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ماشئت من مالي لاأغني عنك من الله شيأ (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير ابن عمرو قالا لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يابني عبد مناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه أولا وبالاقرب فالاقرب من أهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع ﴿ واخفض ﴾ أي ألن ﴿ جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ فان قلت مامعنى التبعيض في قوله من المؤمنين قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم وألسنتهم دون المؤمنين بألسنتهم وهم المنافقون ﴿ فان عصوك ﴾ أي فيما تأمرهم به ﴿ فقل اني بريء مما تعملون ﴾ أي من الكفر والمخالفة ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ التوكل عبارة عن تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذي يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ الى

للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب (لمن اتبعك من المؤمنين) من عشيرتك وغيرهم (فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون) يعني أنذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل على العزيز الرحيم) على الذي يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من اذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقال الجنيد رضي الله عنه التوكل ان تقبل بالكلية عما دونه فان حاجتك اليه في الدارين فتوكل مدني وشامي عطف على فقل او فلا تدع (الذي يراك حين تقوم) متهجدا

(واخفض جناحك لمن اتبعك المؤمنين) اين جانبك للمؤمنين (فان عصوك) قريش (فقل اني بريء مما تعملون) وتقولون في كفركم (وتوكل على العزيز) بالنقمة من أعدائه (الرحيم) بك وبالمؤمنين (الذي يراك حين تقوم) الى الصلاة ﴿ صلاتك

قلبك)اى ويرى تقلبك (فى الساجدين) فى المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله ماهو من أسباب الرحمة وهو ذكر
كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث
نعرون وليعلم انهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه
ساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل انه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة
قرآن فقال لايحضرنى فتلاله هذه الآية (انه هو السميع) لماتقوله (العليم)
بما تنويه وتعمله هون
عليه معاناة مشاق العبادات
حيث أخبر برؤيته له اذ
لامشقة على من يعلم أنه
يعمل بمرأى مولاه وهو
كقوله بعينى مايتحمل
المتحملون من أجلى ونزل
جوابا لقول المشركين
ان الشياطين تلقى السمع
على محمد صلى الله عليه وسلم
(هل أنبئكم) أى هل
أخبركم أيها المشركون
(على من تنزل الشياطين)
ثم نبأ فقال (تنزل
على كل أفاك أثيم)
مرتكب للآثام وهم الكهنة
والمتنبئة كسطيح وطليحة
ومسيلمة ومحمد صلى الله
عليه وسلم يشتم الافاكين
ويذمهم فكيف تنزل
الشياطين عليه (يلقون
السمع) هم الشياطين كانوا
قبل أن يحجبوا بالرجم
يستمعون الى الملأ الاعلى
فيحفظون بعض ما يتكلمون
اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به (قا و خا ٦٣ بع) الى أوليائهم و يلقون حال اى تنزل ملقين السمع أو صفة لكل
لانه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجزاء أو استئناف فلا يكون له محل كأنه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل
ن كيت وكيت (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به

﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾ وترددك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه صلى الله تعالى
عليه وسلم لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر مايصنعون حرصا
لى كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن
وتصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم وانما وصفه الله تعالى
لمه بحاله التى بها يستأهل ولايته بعدان وصفه بان من شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا
توكل وتطمينا لقلبه عليه ﴿ انه هو السميع ﴾ بما تقوله ﴿ العليم ﴾ بما تنويه ﴿ هل أنبئكم
لى من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ﴾ لما بين ان القرآن لايصح ان يكون مما تنزلت
ه الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لايصلح لان تنزلوا عليه من
جهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات
ا بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله
﴿ يلقون السمع واكثرهم كاذبون ﴾

صلاتك وقيل يراك أينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾
ال ابن عباس ويرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك
قيل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى
تقلب بصرك فى المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه
ن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله مايخفى على
خشوعكم ولا ركوعكم انى لاراكم من وراء ظهرى وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك
مجيئك فى أصحابك المؤمنين وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال
ن عباس أراد وتقلبك فى اصلاب الانبياء من نبى الى نبى حتى أخرجك فى هذه الامة
﴿ انه هو السميع ﴾ أى لقولك ودعائك ﴿ العليم ﴾ أى بنيتك وعملك قل
محمد ﴿ هل أنبئكم ﴾ أى أخبركم ﴿ على من تنزل الشياطين ﴾ هذا جواب لقولهم
تنزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى ﴿ تنزل على كل أفاك ﴾
ى كذاب ﴿ أثيم ﴾ أى فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع
م يلقون ذلك الى أوليائهم من الانس وهو قوله تعالى ﴿ يلقون السمع ﴾ اى مايسمعون
ن الملائكة فيلقونه الى الكهنة ﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾ لانهم يخلطون به كذبا كثيرا

تقلبك فى الساجدين) مع أهل الصلاة فى الركوع والسجود والقيام ويقال فى أصلاب آبائك الاولين (انه هو السميع) لمقالتهم
يم) بهم وبأعمالهم (هل أنبئكم) أخبركم (على من تنزل الشياطين) بالكهانة (تنزل على كل أفاك أثيم) فاجر كاهن وهو مسيلمة
ذاب وطليحة (يلقون السمع) يستمعون الى كلام الملائكة يعنى الشياطين (وأكثرهم كاذبون) يستمعون

اليهم لانهم يسمعونهم مالم يسمعوا و قيل يلقون الى أوليائهم السمع أى المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون ا
الى الشياطين ويتلقون وحيهم اليهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثر الافاكين كاذبون يفترون على الش
مالم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر الافك ولايدل ذلك على انهم لاينطقون الابالافك فأراد ان هؤلاء الافاكي
من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلهم وانما فرق بين وانه لتنزيل رب العالمين
تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهن أخوات لانه اذا فرق بينهن بآيات ليست منهن ثم رجع اليه
بعد مرة دل ذلك على شدة العناية﴿ الجزء التاسع عشر ﴾بهن كما اذا حدثت ٤٩٨ حديثا وفى صدرك اهتما
فتميد ذكره ولاتنفك عن
الرجوع اليه ونزل فيمن
كان يقول الشعر و يقول
نحن نقول كما يقول محمد
صلى الله عليه وسلم وتبعهم
غواة من قومهم يستمعون
أشعارهم (والشعراء)
مبتدأ خبره (يتبعهم
الغاوون) اى لايتبعهم
على باطلهم وكذبهم وتمزيق
الاعراض والقدح فى
الانساب ومدح من لايستحق
المدح ولا يستحسن ذلك
منهم الا الغاوون أى السفهاء
أو الراوون أو الشياطين
أو المشركون قال الزجاج
اذا مدح أو هجا شاعر
بما لايكون وأحب ذلك قوم
وتابعوه فهم الغاوون يتبعهم
نافع (ألم ترأنهم فى كل واد)
من الكلام (يهيمون) خبر
أن أى فى كل فن من الكذب
يتحدثون أو فى كل لغو
وباطل يخوضون والهائم
الذاهب على وجهه لامقصدله وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس ﴿ على
على عنترة و أبخلهم على حاتم عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبى مصرعات ۞ وبت أفض أغلاق الختام

فقال وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عنى الحد بقوله

أى الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضم و
اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لايطابق اكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الج
فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد عليه الصلاة والسلام فا
اخبر عن مغيبات كثيرة لاتحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اث
والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى ع
الجنى وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون م
بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لاعلى نحو ماتكلمت به الملائكة لشرارتهم
أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو افهامهم ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ واتباع مح
صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقو
﴿ألم تر انهم فى كل واد يهيمون﴾ لان اكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها واغلب
كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب
والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحقه والاطراء فيه واليه اشا

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجو
النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبدالله بن الزبعرى السهمى و هبيرة بن ابى وهب
المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عمرو بن عبدالله الجمحى وأمية بن أبى الصلت
الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل مايقول محمد و قالوا الشعـ
واجتمع اليهم غواة قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه وسـ
وأصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون فهم الرواة الذين
يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين و قيل هم السفهاء الضالون وفى
رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسـ
ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية ﴿ألم ترأنهم فى كل واد﴾
من ودية الكلام ﴿يهيمون﴾ يعنى حائرين وعن طريق الحق حائدين والهائم الذاهب

واحدا ويجعلونه مائة ثم يخبرون بذلك الكهنة (والشعراء) عبدالله بن الزبعرى وأصحابه يقولون الشعر (يتبعهم الغاوو
الراوون يروون عنهم (ألم تر) ألم تخبر يا محمد (انهم) يعنى الشعراء (فى كل واد) فى كل فن ووجه (يهيمون) يذهبون ويأخذون يذ

بقوله ﴿ وانهم يقولون مالايفعلون ﴾ وكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد ﴿ الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات

على وجهه لامقصدله وقال ابن عباس فى كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل و قيل انهم يمدحون الشئ ثم يذمونه لايطلبون الحق والصدق فالوادى مثل لفنون الكلام والغوص فى المعانى والقوافى ﴿ وأنهم يقولون مالايفعلون ﴾ أى انهم يكذبون فى شعرهم و قيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لايفعلونه ويذمون البخل وهم يصرون عليه ويهجون الناس بادنى شئ صدر منهم (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خيرله من أن يمتلئ شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار ويهجون وينافحون عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى ﴿ الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ روى ان كعب بن مالك قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل فى الشعر ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه و لسانه والذى نفسى بيده لكأن ماترمونهم به نضح النبل * عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله ٭ اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ٭ ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه ياعمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبل أخرجه الترمذى والنسائى وقال الترمذى وقد روى فى غير هذا الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله اعلم (ق) عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس مانافح أوفاخر عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه أشد عليها من رشق النبل فأرسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فارسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان

(وانهم يقولون مالايفعلون) حيث وصفهم بالكذب والخلف فى الوعد ٭ ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضى الله عنهم

ويمدحون (وانهم يقولون) فى شعرهم (مالايفعلون) أنا وأنا وليس كذلك ويقال مالا يقدرون أن يفعلوا وكلاهما غاويان الشاعر والراوى (الاالذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن حسان بن ثابت وأصحابه (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم

قال قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحرك فقال والذى بعثك بالحق لأفرينهم بلسانى فرى الاديم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتعجل فان أبابكر أعلم قريش بأنسابها وان لى فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبى فأتى حسان ثم رجع فقال يارسول الله قد خلص لى نسبك والذى بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لايزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه ۞ وعند الله فى ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا ۞ رسول الله شيمته الوفاء
فان أبى ووالدتى وعرضى ۞ لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتى ان لم تروها ۞ تثير النقع من طرفى كداء
يبارين الاعنة مصعدات ۞ على أكتافها الاسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ۞ تلطمهن بالخمر النساء
فان أعرضتم عنا اعتمرنا ۞ وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لضراب يوم ۞ يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا ۞ يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا ۞ هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد ۞ سباب أوقتال أوهجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ۞ ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا ۞ وروح القدس ليس له كفاء

﴿ فصل فى مدح الشعر ﴾

(خ) عن أبى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة ۞ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت وراء النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا قال هيه حتى أنشدته مائة بيت زاد فى رواية لقد كاد يسلم فى شعره ۞ عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبى كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان على أشعر منهما وروى عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر ويستنشده فى المسجد فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومى فاستنشده القصيدة التى قالها فقال

(وذكروا الله كثيرا) أى كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه فى توحيدالله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والادب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد

والغفلة لكنه بالحضور (وانتصروا) وهجوا (من

وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان صلى الله عليه وسلم يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب ابن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل ﴿ وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ﴾ تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد قال ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ باى منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات * وعن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث أو اربع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أمن آل نعمى أنت غاد فبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فأنشده القصيدة الى آخرها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة * قوله تعالى ﴿ وذكروا الله كثيرا ﴾ أى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ﴿ وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ أى انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا ﴾ أى أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وهو الطاهر المطهر من الهجاء ﴿ أى منقلب ينقلبون ﴾ أى أى مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النمل وهى مائتان وثلاثون وست آيات ﴾

﴿ وألف وثلاثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف ﴾

﴿ وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بعد ما ظلموا) هجوا اى ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك وختم السورة بما يقطع أكباد المتدبرين وهو قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البليغ وقوله (الذين ظلموا) واطلاقه وقوله (أى منقلب ينقلبون) وابهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله تعالى عنه حين عهد اليه وكان السلف يتواعظون بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عنا ما الذى فاته منا وأى منصوب بينقلبون على المصدر لا بيعلم لان أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أى ينقلبون اى الانقلاب

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(وذكروا الله كثيرا) فى الشعر (وانتصروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالرد على الكفار (من بعد ما ظلموا) هجوا بهجاء الكفار (وسيعلم الذين ظلموا) هجوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (أى منقلب ينقلبون) أى مرجع يرجعون فى الآخرة وهى النار يعنى ان لم يؤمنوا ببطش القرآن الحكيم والله تعالى أعلم باسرار كتابه ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها النمل وهى كلها مكية آياتها أربع وتسعون آية كلماتها ألف ومائة وتسع وأربعون وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وسبع وستون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أى و آيات كتاب مبين وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اللوح وآيا
انه قد خط فيه كل ماهو كائن فهو يبين للناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته انه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عط
على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى نحو هذا فعل السخى والجواد ونكر الكتاب ليكون أفخم له وقيل انما أ
الكتاب هنا وعرفه فى الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثمة لان القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد عليه الصلا
والسلام ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هدى وبشرى)
فى محل النصب على الحال من آيات أى هداية وبشارة فالعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة أو الجر على انه بدل من كتاب أو صفة
أو الرفع على هى هدى وبشرى أو على البدل من آيات أو على ان يكون خبرا بعد خبر لتلك أى تلك آيات وهادية م
الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى (للمؤمنين) خاصة (الذ
يقيمون الصلوة) يديمون على فرائضها وسننها (ويؤتون الزكوة) يؤدون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذى هو هم حتى صار معناها ومايوقن بالآخرة حق الايقان الاهؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق (ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (واللذات)

﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ الاشارة الى آى السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ماهو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه فى الحجر باعتبار الوجود أو القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام أو صحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف ﴿ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ﴾ الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ من تتمة الصلة والواو للحال أو للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه أو جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ﴿ ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم ﴾ زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس أو الاعمال الحسنة

* قوله عز وجل ﴿ طس تلك آيات القرآن ﴾ أى هذه آيات القرآن ﴿ وكتاب مبين ﴾ أى وآيات كتاب مبين ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ أى هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة ﴿ الذين يقيمون الصلوة ﴾ أى الخمس بشرائطها ﴿ ويؤتون الزكوة ﴾ اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ يعنى ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة ﴿ ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم ﴾ أى القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله العلم فى القلب بما فيه المنافع

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (طس) يقول طوله وسين سناؤه ويقال قسم أقسم به (تلك آيات القرآن وكتاب مبين)
ان هذه السورة آيات القرآن وكتاب مبين بالحلال والحرام (هدى) من الضلالة (وبشرى) بالجنة (للمؤمنين) المصدقين
فى ايمانهم ثم بين نعتهم فقال (الذين يقيمون الصلوة) يتمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها ومايجب فيها فى
مواقيتها (ويؤتون الزكوة) يعطون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت والجنة والنار (هم يوقنون) يصدقون
(ان الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت أبا جهل وأصحابه (زينا لهم أعمالهم) فى الكفر

(فهم يعمهون) يترددون فى ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أولئك الذين لهم سوء العذاب)القتل والاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الاعمال(وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (وانك لتلقى القرآن)لتؤتاه وتلقنه(من لدن حكيم عليم) من عند أى حكيم وأى عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب باذكر كانه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (قال موسى لاهله) لزوجته ومن معه عند مسيره من مدين الى مصر (امكثوا انى آنست) أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر)عن حال الطريق لانه كان قد ضله (أو آتيكم بشهاب)بالتنوين كوفى أى شعلة مضيئة (قبس)نار مقبوسة بدل أو صفة وغيرهم بشهاب قبس على الاضافة لانه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله سآتيكم هنا ولعلى آتيكم فى القصص مع ان أحدهما ترج والآخر تيقن لان الراجى اذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ومجيئه بسين التسويف عدة لاهله انه يأتيهم به وان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة وبأو لانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ولم يدر انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والآخرة واختلاف الالفاظ فى هاتين الصورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير

التى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها ﴿ فهم يعمهون ﴾ عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع ﴿ اولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ كالقتل والاسر يوم بدر ﴿ وهم فى الآخرة هم الاخسرون ﴾ اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة ﴿ وانك لتلقى القرآن ﴾ لتؤتاه ﴿ من لدن حكيم عليم ﴾ أى حكيم وأى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هى حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله ﴿ اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا ﴾ أى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم ﴿ سآتيكم منها بخبر ﴾ أى عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة أو الوعد بالاتيان وان ابطأ ﴿ أو آتيكم بشهاب قبس ﴾ شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه أو

واللذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات ﴿ فهم يعمهون ﴾ أى يترددون فيها متحيرين ﴿ أولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ أى أشده وهو القتل والاسر ﴿ وهم فى الآخرة هم الاخسرون ﴾ أى انهم خسروا أنفسهم وأهليهم وساروا الى النار ❊ قوله تعالى ﴿ وانك لتلقى القرآن ﴾ أى تؤتاه وتلقنه وحيا ﴿ من لدن حكيم عليم ﴾ أى حكيم عليم بما أنزل اليك ٭ فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم ٭ قلت الحكمة هى العلم بالامور العملية فقط والعلم أعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية أشرف ﴿ اذ قال ﴾ أى واذكر يا محمد اذ قال ﴿ موسى لاهله ﴾ أى فى مسيره بأهله من مدين الى مصر ﴿ انى آنست ﴾ أى أبصرت ﴿ نارا سآتيكم منها بخبر ﴾ أى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق ﴿ أو آتيكم بشهاب قبس ﴾ الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذى فى أحد طرفيه

(فهم يعمهون) يمضون عمهة لا يبصرون (أولئك)أهل هذه الصفة (الذين لهم سوء العذاب) شدة العذاب فى النار (وهم فى الآخرة) يوم القيامة (هم الاخسرون) المغبونون بذهاب الجنة ودخول النار (وانك) يا محمد (لتلقى القرآن) يقول ينزل عليك جبريل بالقرآن (من لدن)من عند (حكيم) فى أمره وقضائه (عليم) بخلقه (اذ قال موسى لاهله) حيث تحير فى الطريق (انى آنست نارا) رأيت نارا عن يسار الطريق امكثوا ههنا (سآتيكم) حتى آتيكم (منها)من عند النار (بخبر) عن الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) بشعلة مقتبسة

لفظ التزوج (لعلكم تصطلون) تستدفؤن بالنار من البرد الذي اصابكم والطاء بدل من تاء افتعل لاجل الصا
(فلما جاءها) أي النار التي أبصرها (نودي) موسى (أن بورك) مخففة من الثقيلة وتقدير
نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان وجاز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشري لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة او مفسرة لان في النداء معنى القول أي قيل له بورك أي قدس أو جعل فيه البركة والخير (من في النار ومن حولها) أي بورك من في مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أي موسى لحدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه (وسبحان الله رب العالمين) هو من جملة ما نودي فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره (ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم) الضمير في انه للشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر أو

وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعبادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة ﴿ فلما جاءها نودي ان بورك ﴾ أي بورك فان النداء فيه معنى القول أو بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة ﴿ من في النار ومن حولها ﴾ من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك البقعة وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له امر عظيم ينتشر بركته في اقطار الشام ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴾ من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته ﴿ ياموسى انه انا الله ﴾ الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له أو للمتكلم وانا خبره والله بيان له ﴿ العزيز الحكيم ﴾ صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد

نار ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ أي تستدفؤن من البرد وكان في شدة الشتاء ﴿ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ﴾ أي بورك على من في النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من في طلب النار وهو موسى ﴿ ومن حولها ﴾ وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن في النار هم الملائكة وذلك ان النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك من في النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس في قوله بورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى وأسمعه من جهتها كما روي انه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثة موسى منه ومن ساعين بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهي احدى حجب الله عز وجل كما صح في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴾ ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله ﴿ ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم ﴾ قيل معناه ان موسى قال من المنادي قال انه أنا الله وهذا تمهيد

(لعلكم تصطلون) لكي تدفؤ وكان في شدة من الشتاء (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) يقول بوركت النار (ومن حولها) من الملائكة وهكذا قراءة أبي وعبد الله بن مسعود ويقال تبارك من نور هذا النور ويقال بورك من في الطلب يعني موسى من قام حوله من الملائكة (وسبحان الله) نزه نفسه (رب العالمين) سيد الجن والانس (ياموسى (انه) الذي دعاك (أنا الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن بي (الحكيم) في أمري وقضائي أمرت أن لا يعبد غيري

جع الى مادل عليه ماقبله أي ان مكلمك أنا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما أراد أن يظهر
يده من المعجزات (وألق عصاك) لتعلم معجزتك فتأنس بها وهو عطف على بورك لان المعنى نودى أن بورك من
النار وأن ألق عصاك كلاهما والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل
له ألق عصاك ويدل عليه
ما ذكر في سورة القصص
وان ألق عصاك بعد قوله
ان ياموسى اني أنا الله على
تكرير حرف التفسير (فلما
رآها تهتز) تتحرك حال من
الهاء في رآها (كأنها جان)
حية صغيرة حال من
الضمير في تهتز (ولى) موسى
(مدبرا) أدبر عنها وجعلها
تلي ظهره خوفا من وثوب
الحية عليه (ولم يعقب) ولم
يلتفت أولم يرجع يقال
عقب فلان اذا رجع
يقاتل بعد أن ولى فنودي
(ياموسى لاتخف اني لايخاف
لدي المرسلون) أي لايخاف
عندي المرسلون حال خطابي
اياهم أولايخاف لدي المرسلون
من غيري (الا من ظلم) أي
لكن من ظلم من غيرهم لان
الانبياء لايظلمون أولكن
من ظلم منهم أي زل من المرسلين
فجاء غيرما أذنت له مما يجوز
على الانبياء كما فرط من آدم
ويونس وداود وسليمان
عليهم السلام (ثم بدل حسنا)
أي أتبع توبة (بعد سوء)
زلة (فاني غفور رحيم)
أقبل توبته وأغفر زلته
وأرحمه فاحاق أمنته ... (... ٦٤ ع) ... ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له

عن الاوهام كقلب العصاحية الفاعل كل مايفعله بحكمة وتدبير ﴿ وألق عصاك ﴾
عطف على بورك أي نودي أن بورك من في النار وان ألق عصاك ويدل عليه قوله وان ألق
عصاك بعد قوله ان ياموسى اني أنا الله بتكرير أن ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ تتحرك باضطراب
﴿ كأنها جان ﴾ حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من
التقاء الساكنين ﴿ ولى مدبرا ولم يعقب ﴾ ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار
وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله ﴿ ياموسى لاتخف ﴾ أي من غيري
ثقة بي أو مطلقا لقوله ﴿ اني لايخاف لدي المرسلون ﴾ حين يوحى اليهم من فرط
الاستغراق فانهم أخوف الناس من الله أو لايكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه
﴿ الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ﴾ استثناء منقطع استدرك به
مايختلج في الصدور من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان
فعلوها أتبعوا فعلها مايبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى
بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أي من ظلم ثم بدل

لما أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام
كقلب العصا حية وهو قوله ﴿ وألق عصاك ﴾ تقديره فألقاها فصارت حية
﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أي تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ وهي الحية الصغيرة التي
يكثر اضطرابها ﴿ ولى مدبرا ﴾ أي هرب من الخوف ﴿ ولم يعقب ﴾ أي لم يرجع ولم
يلتفت ﴿ قال الله تعالى ﴿ ياموسى لاتخف اني لايخاف لدي المرسلون ﴾ يريد اذا
أمنتهم لايخافون أما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه
وسلم أنا أخشاكم لله ﴿ الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ﴾ قيل هو
مايصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض
بما وجد من موسى من قتل القبطي وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى
اني ظلمت نفسي ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له
قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى انما أخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لايخيف الله الانبياء
الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا القول يكون صحيحا وتناهى
الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة
وفي الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سوء فاني غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لايجوز عليهم الظلم بل هو

(وألق عصاك) من يدك فألقاها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية خفيفة ولا كبيرة (ولى مدبرا) أي هاربا منها (ولم يعقب)
لم يلتفت اليها من خوفها قال الله (ياموسى لاتخف) منها (اني لايخاف لدي) عندي (المرسلون الا من ظلم) (ثم بدل حسنا
بعد سوء) ثم تاب بعد ذلك فانه ينبغي له أن لايخاف أيضا (فاني غفور) متجاوز لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة

او [illegible] في [illegible] جيب [illegible] وأخرجها (تخرج بيضاء) [illegible] تغلب نور الشمس (من غير سوء) برص [illegible]
ومن غير سوء [illegible] (في تسع آيات) كلام مستأنف وفي متعلق محذوف أي اذهب في تسع آيات أو [illegible]
وادخل [illegible] آيات [illegible] الى فرعون وقومه (الى) متعلق محذوف أي مرسلا الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما
فاسقين) [illegible] (فلما جاءتهم آياتنا) أي معجزاتنا

(ذهب بالتوبة ﴿ وادخل يدك في جيبك ﴾ لانه كان مدرعة صوف لا كم له وقيل الجيب
القميص لانه يجب أي يقطع ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ آفة كبرص ﴿ في تسع
آيات ﴾ في جملتها أو معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من
التسع ان عد الاخيرين واحدا ولم يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون أو اذهب في
تسع آيات [illegible] استئناف بالارسال فيتعلق به ﴿ الى فرعون وقومه ﴾ وعلى الاولين
يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ تعليل للارسال ﴿ فلما جاءتهم
آياتنا ﴾ بان جاءهم موسى بها ﴿ مبصرة ﴾ بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها
[illegible] الابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات تبصر من
حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا عن ان تهدي أو مبصرة كل من نظر اليها وتأمل
فيها وقرئ مبصرة [illegible] ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ واضح سحريته
﴿ وجحدوا بها ﴾ وكذبوا بها ﴿ واستيقنتها انفسهم ﴾ وقد استيقنتها لان الواو للحال

[illegible] ومعناه لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء
المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فاني
غفور رحيم أي اغفر له وازيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا ومعناه ولا يخاف لدي
المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعني تاب من ظلمه فاني غفور رحيم ثم ان الله
[illegible] آية أخرى فقال تعالى ﴿ وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء ﴾ قيل كانت عليه
مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبه وأخرجها فاذا هي تبرق مثل شعاع
الشمس أو البرق ﴿ من غير سوء ﴾ أي من غير برص ﴿ في تسع آيات ﴾ أي آية مع تسع آيات أنت
مرسل بهن فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان
في مزارعهم وقيل في بمعنى من أي من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع ﴿ الى
فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ أي خارجين عن الطاعة ﴿ فلما جاءتهم آياتنا
مبصرة ﴾ أي بينة واضحة يبصر بها ﴿ قالوا هذا ﴾ أي الذي نراه ﴿ سحر مبين ﴾
أي ظاهر ﴿ وجحدوا بها ﴾ أي أنكروا الآيات ولم يقروا انها من عند الله ﴿ واستيقنتها
أنفسهم ﴾ أي علموا انها من عند الله [illegible] ثم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم

([illegible]) [illegible]
بدل [illegible]
وهو [illegible]
[illegible]
و[illegible] أو جعلت
[illegible] تبصر [illegible] لان
[illegible] على [illegible]
فضلا ان تهدي غيره ومنه
قولهم كلمة عيناء وعوراء
لان الحسنة مرشدة
والسيئة تغوي (قالوا هذا
سحر مبين) ظاهر [illegible]
وقد [illegible] بين المبصرة
والمبين (وجحدوا بها)
قيل الجحود لا يكون الا
من علم من الجاحد وهذا
ليس بصحيح لان الجحود
هو الانكار وقد يكون
الانكار لشيء يجهله
وقد يكون بعد المعرفة
[illegible] كما ذكر في شرح
المؤولات وذكر في [illegible]
نقل [illegible] حقه و[illegible]
[illegible] (واستيقنتها)
[illegible] وقد [illegible] مضمرة
والاستيقان أبلغ من الايقان
(أنفسهم) أي جحدوها
بألسنتهم واستيقنوها
في قلوبهم [illegible]

(وادخل [illegible] في [illegible] (تخرج بيضاء من غير سوء) من غير برص اذهب (في تسع آيات) مع تسع آيات [illegible]
(الى فرعون [illegible] (انهم كانوا قوما فاسقين) [illegible] (فلما جاءتهم) [illegible] موسى بآياتنا (مبصرة) مبينة بعضها
أثر بعض (قالوا هذا سحر مبين) [illegible] بين [illegible] موسى (وجحدوا بها) بالآيات كلها (واستيقنتها أنفسهم
بعدما استيقنت أنفسهم [illegible]

لما) حال من الضمير في جحدوا أي ظلما أخس من ظلم من استيقن الآيات من عند الله ثم سماها سحرا مبينا (وعلوا) ترفعا
الايمان بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق هنا والاحراق ثمة (ولقد آتينا) أعطينا
ود وسليمان علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا والمراد علم الدين والحكم (وقالا الحمد لله الذي فضلنا على
ير من عباده المؤمنين) والآيات حجة لنا على المعتزلة في ترك الاصلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير
ذوف لكان الوجه الفاء كقولك أعطيته فشكر وتقديره آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق نعمته فيه وقالا الحمد لله الذي فضلنا
كثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من ﴿٥٠٧﴾ لم يؤت مثل علمهما وفيه {سورة النمل} ... اعطاهما فضلا على كثير وفضل عليهما

﴿ظلما﴾ لانفسهم ﴿وعلوا﴾ ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع أو علما اى علم ﴿وقالا الحمد لله﴾ عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كأنه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله ﴿الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ يعنى من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير ﴿وورث سليمان داود﴾ النبوة أو العلم أو الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر ﴿وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير

وشدة رهم ﴿ظلما وعلوا﴾ أي شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعنى الغرق ❊ قوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ أي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا﴾ أي بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ أراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما أو لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل انهما لم يفضلا أنفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع ❊ قوله تعالى ﴿وورث سليمان داود﴾ يعنى نبوته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى ﴿وقال﴾ يعنى سليمان ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ يعنى صوت الطير سماه منطقا لحصول الفهم منه روى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول

كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله وان نعمة العلم من أجل النعم وان من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباده وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضي الله عنه (وورث سليمان داود) وورثه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا اوتي النبوة مثل أبيه فكأنه ورثه والا فالنبوة لا تورث (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشهيرا لنعمة الله ... وتحدثا بها ...

دعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد كان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض روي أنه صاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف

ظلما) خلاما واعتداء (وعلوا) يقول عتوا وتكبرا (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة المفسدين) آخر أمر المشركين فرعون وقومه كيف أهلكناهم في البحر (ولقد آتينا) أعطينا (داود) ابن ايشا (وسليمان) بن داود (علما) وفهما بالنبوة والقضاء (وقالا) كلاهما (الحمد لله) الشكر والمنة لله (الذي فضلنا) بالعلم والنبوة (على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود) ملك داود من بين أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا (وقال) سليمان (يا أيها الناس علمنا) فهمنا (منطق الطير) كلام الطير

وارتفاعه كل من الانس والجن والطير بجنوده ... على تصديقه بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما يحصل والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت

لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع تقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة أشياء فان أخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا أخبرنا ما يقول القنبر في صفيره والديك في صعقته والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرزور فانه يقول اللهم اني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فأسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما يمد القارئ * وقوله تعالى ﴿ وأوتينا من كل شئ ﴾ أي مما أوتي الانبياء والملوك قال ابن عباس

فقال يقول الخطاف قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فأخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس (وأوتينا من كل شئ) المراد به كثرة ما أوتي كما تقول فلان يعلم كل شئ ومثله وأوتيت من كل شئ

(وأوتينا) أعطينا (من كل شئ) من كل شئ ممكن

(ان هذا لهو الفضل المبين) قوله وارد على سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا والنون في علمنا وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون الانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبر في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشيء الا ألقته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال اني جئت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن

باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه اوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ﴿ان هذا لهو الفضل المبين﴾ الذي لا يخفى على احد ﴿وحشر﴾ وجمع ﴿لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون﴾ يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا

من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين ﴿ان هذا لهو الفضل المبين﴾ أي الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا وروي ان سليمان أعطي مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك أربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع وأعطي مع هذا منطق الطير ومنطق كل شيء وفي زمنه صنعت الصنائع العجيبة ﴿وحشر﴾ أي جمع ﴿لسليمان جنوده من الجن والانس والطير﴾ من الاماكن المختلفة في مسير له ﴿فهم يوزعون﴾ أي يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء ترد أولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لانه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة يعني حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فيرفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به وأوحى الله

ان هذا لهو الفضل المبين) المن العظيم من الله على (وحشر) سخر وجمع (لسليمان جنوده) جموعه (من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى اجتمعوا

(حتى اذا أتوا على وادى النمل) أى ساروا حتى اذا بلغوا وادى النمل وهو وادبالشام كثير النمل وعدى بعلى لان اتيانهم من فوق أو لأن الخروج استعلاء (قالت نملة) عرجاء ... تسمى طاخية ومنذرة و

(حتى اذا أتوا على وادى النمل) وادبالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى لان اتيانهم كان من عال أو لان المراد قطعه من قولهم أتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا ان ينزلوا أخريات الوادى (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة (وهم لا يشعرون)

اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح وأخبرتك به * قوله عز وجل (حتى اذا أتوا على وادى النمل) أى أشرفوا على وادى النمل روى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يكون فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك قال يارب أبكانى هذا نبى من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يهبطوا ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولى من دونك فأوحى الله اليه لا تبك فانى سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائى الى واجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى وأفرض عليهم فريضة يرفون اليك زفيف النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادى السدير واد من الطائف فأتى على وادى النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقال نوف الحميرى كان النمل أمثال الذباب وقيل كالبخاتى والمشهور انه النمل الصغير (قالت نملة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم تقل ادخلن لانه لما جعل لهم قولا كالآدميين خوطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس مستبعدا أن يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أى لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير علمت النملة

الخ ... وادى النمل ... فقال ... أبو حنيفة رضى الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فأفحم فقال أبو حنيفة رضى الله عنه كانت أنثى فقيل له من اين عرفت ذلك قال بقوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم تقل ادخلن لانه لما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر وهو نهى مستأنف وهو فى الظاهر نهى لسليمان عن الحطم وفى الحقيقة نهى لهن عن البروز والوقوف على طريقه لا أرينك ههنا أى لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الامر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لانه من ضرورات الشعر (سليمان وجنوده) أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ (وهم لا يشعرون) لا يعلمون بمكانكم أى لو شعروا ... ذلك

(حتى اذا أتوا على وادى النمل) بأرض الشام مضوا الى واديها النمل (قالت نملة) عرجاء قيل انها منذرة (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) جحركم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم ولا يدوسنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) بكم وقيل وهم يعنى جنود سليمان لا يشعرون

يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا من قولها) متعجبا
ن حذرها واهتدائها لمصالحها

أو فرحا لظهور عدله وضاحكا

انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف أى فهم سليمان والقوم لا يشعرون ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها أو سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره ﴿ وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك ﴾ اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى اى اكفه وارتبطه لا ينفلت عنى بحيث لا انفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء أوزعنى ﴿ التى انعمت على وعلى والدى ﴾ ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة أو تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية ﴿ وان اعمل صالحا ترضاه ﴾ تماما للشكر واستدامة للنعمة ﴿ وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ فى عدادهم الجنة ﴿ وتفقد الطير ﴾ وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد ﴿ فقال مالى لا أرى الهدهد

ان سليمان نبى ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الآية انكم لو لم تدخلوا وطئوكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشئ الا حملته الريح حتى تلقيه الى مسامع سليمان فلما بلغ وادى النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح قلت كانهم أرادوا النزول عند منقطع الوادى فلذلك قالت نملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم مادامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ قيل أكثر ضحك الأنبياء تبسما وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت مارأيت النبى صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم ❊ عن عبد الله ابن الحرث بن جزء قال مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذى فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيآن أحدهما مادل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعنى انهم لو شعروا مافعلوا الثانى سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من ادراك سمعه ماقالته نملة وقيل ان الانسان اذا رأى أو سمع مالا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما أنعم به عليه ﴿ وقال رب أوزعنى ﴾ أى ألهمنى ﴿ أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ أى أدخلنى فى جنتك وأثبت اسمى مع أسمائهم واحشرنى فى زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل أدخلنى الجنة مع عبادك الصالحين ❊ قوله عز وجل ﴿ وتفقد الطير ﴾ أى طلبها وبحث عنها [illegible] فقال مالى لا أرى الهدهد ﴾ وكان سبب

حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك وأكثر ضحك الأنبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعنى) ألهمنى وحقيقته كفنى عن الاشياء الا عن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك التى انعمت على) من النبوة والملك والعلم (وعلى والدى) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وأن أعمل صالحا ترضاه) فى بقية عمرى (وأدخلنى برحمتك) وأدخلنى الجنة برحمتك لا بصالح عملى اذ لا يدخل الجنة أحد الا برحمته كما جاء فى الحديث (فى عبادك الصالحين) أى فى زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى ان النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم انهم فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة (وتفقد الطير فقال مالى) مكى وعلى وعاصم وغيرهم بسكون الياء والتفقد طلب ما غاب (لا أرى الهدهد

[illegible] (فتبسم ضاحكا

ضاحكا) تعجبا (من قولها) [illegible] دون جنوده (وقال رب أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك) [illegible]
نعمتك (التى أنعمت على) [illegible] بالتوحيد (وعلى والدى) بالتوحيد (وأن أعمل صالحا) [illegible] (ترضاه) [illegible]
ذلك (فى عبادك الصالحين) مع عبادك المرسلين [illegible] (وتفقد الطير) طلب الطير فلم ير الهدهد مكانه (فقال مالى لا أرى الهدهد)

أم كان من الغائبين أم غاب بل هو معنى له تعرف الطير فيجد فيها الهدهد فقال مالي لا أراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له انه غائب فضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام خرج من ارض الشام وقت الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد تفقده وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال ... وهو النسر فسأله عنه في

أم كان من الغائبين ﴾ أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره فقال مالي لا أراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا ﴾ كنتف ريشه والقائه في الشمس أو حيث النمل يأكله أو جعله مع ضده في قفص ﴿ أو لأذبحنه ﴾ ليعتبر به ابناء جنسه ﴿ أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير أو ليأتينني بنونين الاولى مفتوحة مشددة

تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنده الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروى عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فتجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق يا وصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدله على الماء فقال مالي لا أرى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه أدركه الشك فقال ﴿ أم كان من الغائبين ﴾ أي أكان وقيل بل كان من الغائبين ثم أوعده على غيبته فقال ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا ﴾ قيل هو أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لاودعنه القفص ولاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه ﴿ أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ أي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله ان يقيم وكان في كل يوم ينحرون مقامه خمسة آلاف ناقة

عنده انه لم يكن سواه الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو مقبل فقصده فناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه (لأعذبنه عذابا شديدا) بنتف ريشه والقائه في الشمس أو بالتفريق بينه وبين الفه أو بالزامه خدمة اقرانه أو بالحبس مع اضداده وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد أو بايداعه القفص أو بطرحه بين يدي النمل ليأكله وحل له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير لم يتم التسخير الا بالتأديب والسياسة (أو لأذبحنه أو ليأتيني) بالنون الثقيلة ليشاكل قوله لأعذبنه

وحذف [illegible] ليأتيني نونين مكي الاولى للتأكيد والثانية للعماد (بسلطان مبين) بحجة له (وفيه) [illegible] الاشكال [illegible] على أحد ثلاثة اشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لانه من اين دري انه يأتي بسلطان حتى قال والله ليأتيني بسلطان وجوابه أن معنى كلامه ليكونن أحد الامور يعني ان كان الاتيان بسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية

مكانه (أم كان من الغائبين) يقول ان كان من الغائبين من بين الطيور (لأعذبنه عذابا شديدا) لانتفن ريشه فكان عذاب الطير هذا (أو لأذبحنه) بسكين (أو ليأتيني بسلطان مبين) بعذر بين

ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من اشراف قومه ان هذا
المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصرة على جميع من ناواه وتبلغ هيبته
مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين
يتدين يا نبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه
يا نبي الله قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام
بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء زوالا أي وقت
الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى
فلما نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها
فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان
اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور من أين أقبلت واين تريد قال
أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال و من سليمان بن داود قال ملك
الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن اين أنت يا يعفير قال أنا من
هذه البلاد قال ومن ملكها قال أمرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما
ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك
على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلاثمائة وزير يدبرون ملكها ولها
اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى
تنظر الى ملكها قال اخاف أن يفتقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء
قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه
ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الانس
والجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن
الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب سليمان
وقال لأعذبنه الآية ثم دعا العقاب و هو أشد الطير فقال له علي بالهدهد هذه
الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم
التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم الهدهد
أن العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك واقدرك على ألا ما رحمتني
ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك أمك ان نبي الله قد حلف
أن يعذبك أو ان يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه
النسر والطير فقالوا ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله واخبروه بما قال
سليمان فقال الهدهد أوما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال أو ليأتيني بسلطان مبين قال نجوت
اذا فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي
الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا
لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال
يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم قال ما الذي

(فمكث) الهدهد بعد تفقد سليمان اياه و بضم الكاف غير عاصم وسهل و يعقوب وهما لغتان (غير بعيد) أى مكثا طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة على اسراعه للدلالة خوفا من سليمان فلما رجع سأله عما اتى فى غيبته (فقال أحطت) علمت شيأ من جميع جهاته (بما لم تحط

﴿ فمكث غير بعيد ﴾ زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف ﴿ فقال احطت بما لم تحط به ﴾ يعنى حال سبأ وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان فى ادنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه و يتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق ﴿ وجئتك من سبأ ﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة ﴿ بنبأ يقين ﴾ بخبر محقق روى انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل فى عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها ﴿ انى وجدت امرأة تملكهم ﴾ يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير فى تملكهم لسبأ أو

أبطأك عنى فقال الهدهد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى ﴿ فمكث غير بعيد ﴾ معناه أى غير طويل ﴿ فقال أحطت بما لم تحط به ﴾ أى علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك ألهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان أدنى خلق الله قد أحاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا له فى ترك الاعجاب والاحاطة بالشئ علما أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم ﴿ وجئتك من سبأ ﴾ قيل هو اسم للبلد وهى مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة ﴿ بنبأ ﴾ أى بخبر ﴿ يقين ﴾ فقال سليمان وما ذاك فقال ﴿ انى ﴾ أى الهدهد ﴿ وجدت امرأة تملكهم ﴾ هى بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولده أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منهم كفؤا لى وأبى ان يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافاقت وأطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه فقال لا تخف أنا الحية البيضاء التى أحييتنى والاسود الذى قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال

ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما أوتى من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له فى علمه و فيه دليل بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمنه أحد أعلم منه (وجئتك من سبأ) غير منصرف أبو عمرو جعله اسما للقبيلة أو المدينة وغيره بالتنوين جعله اسما للحى أو الاب الاكبر (بنبأ يقين) النبأ الخبر الذى له شأن وقوله من سبأ بنبأ من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى ههنا ألا ترى انه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال (انى وجدت امرأة) هى بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى (تملكهم) راجع الى سبأ على تأويل القول أو

(فمكث غير بعيد) فلبث غير طويل حتى جاءه (فقال أحطت بما لم تحط به) بلغت الى ما لم تبلغ وعلمت ما لم تعلم (الملك أيها الملك (وجئتك من سبأ) من مدينة سبأ (بنبأ يقين) بخبر حق عجب (انى وجدت امرأة تملكهم) يقال لها

لاهلها ﴿ واوتيت من كل شئ ﴾ يحتاج اليه الملوك ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ عظمه بالنسبة اليها أو الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ كأنهم كانوا يعبدونها ﴿ وزين لهم الشيطان اعمالهم ﴾ عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ سبيل الحق والصواب

المال لاحاجة لى به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجاء فى الحديث ان أحد أبوى بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت فى الملك وطلبت قومها أن يبايعوها وأطاعها قوم وأبى آخرون وملكوا عليهم رجلا آخر يقال انه ابن أخى الملك وكان خبيثا سيء السيرة فى أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فارسلت اليه فعرضت نفسها عليه فاجابها الملك وقال مامنعنى ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لأرغب عنك لانك كفؤ كريم فاجمع رجال أهلى واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها فقالوا الا نراها تفعل فقال بلى انها قد رغبت فى فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت فى ملأ كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت رأسه وانصرفت الى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت الى وزرائه واحضرتهم وقرعتهم وقالت أما كان فيكم من يأنف لكريمته أو كرائم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا الانرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان مكرا وخديعة منها (خ) عن أبى بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال ان يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة * قوله تعالى ﴿ وأوتيت من كل شئ ﴾ يعنى ماتحتاج اليه الملوك من المال والعدة ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ أى سرير ضخم عال فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا فى ثلاثين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين فى ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا * قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ وذلك انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ المزين هو الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ أى عن طريق الحق الذى هو دين الاسلام

ما يليق بحالها (ولها عرش) سرير (عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعا فى ثمانين ذراعا وطوله فى الهواء ثمانون ذراعا وكان من ذهب وفضة وكان مرصعا بانواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقد أخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أى سبيل التوحيد

بلقيس (وأوتيت من كل شئ) أعطيت علم كل شئ فى بلدها (ولها عرش عظيم) حسن كبير عليه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة كذا وكذا (وجدتها وقومها يسجدون للشمس) يعبدون الشمس (من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادتهم للشمس (فصدهم عن السبيل) فصرفهم الشيطان عن طريق الحق

(فهم لايهتدون) الى الحق ولايبعد من الهدهد التهدى الى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهاما من الله له كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لايكاد العقلاء الراجحو العقول يهتدون لها (ألايسجدوا) بالتشديد أى فصدهم عن السبيل لئلا يسجدون فحذف الجارمع أن وأدغمت النون فى اللام و يجوز أن تكون لامزيدة ويكون المعنى فهم لايهتدون الى أن يسجدوا وبالتخفيف يزيد و على وتقديره ألا ياهؤلاء اسجدوا فألا للتنبيه و يكون يا للنداء ومناداه محذوف فمن شدد لم يقف الا على العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لايهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا أو وقف على الايا ثم ابتدأ اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا بخلاف مايقوله الزجاج انه لايجب السجود مع التشديد لان مواضع السجدة اما أمر بها أو مدح للآتى بها أوذم لتاركها واحدى القراءتين أمر والاخرى ذم للتارك (لله الذى يخرج الخبء) سمى المخبأ بالمصدر (فى السموات والارض) قتادة خبء السماء المطر وخبء الارض النبات (ويعلم مايخفون وما يعلنون) وبالتاء فيهما على وحفص (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وصف الهدهد عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ماخلق من السموات والارض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك الى ههنا كلام الهدهد فلما فرغ (من

﴿فهم لايهتدون﴾ ليه ﴿ألايسجدوا لله﴾ فصدهم لان لايسجدوا او زين لهم ان لايسجدوا على انه بدل من اعمالهم أولايهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائى ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اى الا ياقوم اسجدوا كقوله

وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطة ۞ فقلت سميعا فانطق واصيبى

وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله أو من سليمان والوقف على لايهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب ﴿الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون﴾ وصف له بمايوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبأ ماخفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج مافى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج مافى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائى ماتخفون وماتعلنون بالتاء ﴿الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ الذى هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين

﴿فهم لايهتدون﴾ أى الى الصواب ﴿ألايسجدوا﴾ قرئ بالتخفيف ومعناه الا يا أيها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا ﴿لله الذى يخرج الخبء﴾ يعنى الخفى المخبأ ﴿فى السموات والارض﴾ قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات ﴿ويعلم ماتخفون وماتعلنون﴾ والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لايستحق العبادة الا من هو قادر على من فى السموات والارض عالم بجميع المعلومات ﴿الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ أى هو المستحق للعبادة والسجود لاغيره

فصل

وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد

والهدى (فهم لايهتدون) سبيل الحق والهدى (ألايسجدوا لله الذى) وقد قلت لهم ألا ياهؤلاء اسجدوا لله ويقال هذا قول سليمان يقول لم لايسجدون لله الذى (يخرج الخبء) ماخبئ (فى السموات) من المطر (والارض) من النبات (ويعلم مايخفون) مايسرون من الخير والشر (ومايعلنون) يظهرون من الخير والشر (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) السرير الكبير

ن كلامه (قال) سليمان للهدهد (سننظر) من النظر الذي هو التأمل (أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) هذا أبلغ من أم كذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لامحالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبدالله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد

العظيمين بون عظيم ﴿قال سننظر﴾ سنتعرف من النظر بمعنى التأمل ﴿أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ أي أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم﴾ ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾

من كلامه ﴿قال﴾ سليمان ﴿سننظر أصدقت﴾ أي فيما أخبرت ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من عبدالله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لاتعلوا على وأتوني مسلمين قيل لم يزد على مانص الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جملا لايطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم﴾ انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه الى الذين هذا دينهم ﴿ثم تول عنهم﴾ أي تنح عنهم فقف قريبا منهم ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ أي يردون من الجواب وقيل تقدير الآية فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرف الي فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بارض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فأتى الهدهد وألقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا

مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابي هذا فألقه) بسكون الهاء تخفيفا أبو عمرو وعاصم وحمزة ويختلسها كسرة لتدل الكسرة على الياء المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب فالقهي باثبات الياء غيرهم (اليهم) الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها في قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه بمسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) ما الذي يردونه من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة وتوارى في الكوة فانتبهت فزعة أو أتاها والجنود حواليها فرفرف ساعة وألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة فلما رأت الخاتم

(قال) سليمان للهدهد (سننظر) في مقالتك (أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) عليهم (ثم تول عنهم) تنح عنهم حيث لا يرونك (فانظر ماذا يرجعون) يقولون ويردون ويجيبون كتابي ففعل كما أمره سليمان فأخذت بلقيس كتاب سليمان وخرجت الى

(قالت) لقومها خاضعة خائفة (يا أيها الملأ انى)وبفتح الياء مدنى (ألقى الى كتاب كريم) حسن مضمونه وما فيه أو مخ
قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر بسم
الرحمن الرحيم أو لانه من عند ملك كريم (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) هو تبيين لما ألقى اليها كأ
قلت انى ألقى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وأن فى (ألا تعلو
لا ترفعوا (على) ولا تتكبروا كما تفعل الملوك مفسرة كقوله وانطـ
الملأ منهم أن امشوا يعنى أى امشوا (وائتونى مسلمين) مؤمنين أو منقادين وكتب الانبياء مبنية على الايجاز والاختصار (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى) أشيروا على فى الامر الذى نزل بى والفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء فى السن والمراد هنا بالفتوى الاشارة عليها بما عندهم من الرأى وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب أنفسهم ليمالؤها ويقوموا معها (ما كنت قاطعة امرا) فاصلة أو ممضية حكما (حتى تشهدون) بكسر النون والفتح لحن لان النون انما تفتح فى موضع الرفع وهذا فى موضع النصب واصله تشهدوننى فحذفت النون الاولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء فى الوصل والوقف يعقوب اى تحضرونى اوتشيرونى
اوتشهدوا انه صواب اى لا ابت الامر الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا (قالوا)

ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول ﴿قالت﴾ أى بعد ما القى اليها ﴿ يا أيها الملأ انى القى الى كتاب كريم ﴾ لكرم مضمونه أو مرسله أو لانه كان مختوما أو لغرابة شانه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به ﴿انه من سليمان﴾ استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه أى ان الكتاب أو العنوان من سليمان ﴿وانه﴾ أى وان المكتوب أو المضمون وقرئتا بالفتح على الابدال من كتاب أو التعليل لكرمه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على ﴾ ان مفسرة أو مصدرية فتكون بصلته خبر محذوف أى هو أو المقصود ان لا تعلوا أو بدل من كتاب ﴿وائتونى مسلمين﴾ مؤمنين أو منقادين وهذا الكلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا أو التزاما والنهى عن الترفع الذى هو ام الرذائل والامر بالاسلام والجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة ﴿قالت يا أيها الملأ افتونى فى امرى ﴾ اجيبونى فى امرى الفتوى واذكروا ما تستصوبون فيه ﴿ ما كنت قاطعة امرا ﴾ ما ابت امرا ﴿حتى تشهدون﴾ الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالؤها على الاجابة

وأخذوا مجالسهم ﴿ قالت ﴾ لهم بلقيس ﴿ يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم ﴾ قيل سمته كريما لانه كان مختوما وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أى شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت ﴿ انه من سليمان ﴾ قرأت المكتوب فيه فقالت ﴿وانه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان بسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما فى الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ألا تعلوا على ﴾ قال ابن عباس لا تتكبروا على والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر ﴿ وائتونى مسلمين ﴾ أى طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد ﴿ قالت يا أيها الملأ أفتونى فى امرى ﴾ أى أشيروا على فيما عرض لى ﴿ ما كنت قاطعة امرا ﴾ أى قاضية وفاصلة ﴿ حتى تشهدون ﴾ أى تحضرون

قومها (قالت يا أيها الملأ) الرؤساء (انى ألقى الى كتاب كريم) مختوم (انه) عنوانه (من سليمان وانه) أول سطره (بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على) أن لا تتكبروا على (وائتونى مسلمين) مستسلمين مصالحين وأشياء كانت فيه مكتوبة (قالت يا أيها الملأ الرؤساء (أفتونى فى أمرى) اخبرونى عن أمرى ويقال شاوروا لى (ما كنت قاطعة أمرا) فاعلة أمرا (حتى تشهدون) تحضرو

كل واحد على عشرة آلاف (قالوا) مجيبين لها (نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد) ارادوا بالقوة قوة الاجساد والآلات وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب (والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) اي موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم اشاروا عليها بالقتال او أرادوا نحن من ابناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك فلما أحست منهم الميل الى المحاربة مالت الى المصالحة ورتبت الجواب فزيفت أولا ماذكروه و أرتهم الخطأ فيه ﴿ ٥١٩ ﴾ حيث (قالت {سورة النمل} ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (افسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أذلوا اعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية ومارأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعي في الارض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (واني مرسلة اليهم بهدية) أي مرسلة رسلا بهدية (فناظرة) فمنتظرة (بم) أي بما لان الالف تحذف مع حرف الجر في الاستفهام (يرجع المرسلون) بقبولها أم بردها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان كان نبيا ردها

﴿ قالوا نحن اولوا قوة ﴾ بالاجساد والعدد ﴿ واولوا بأس شديد ﴾ نجدة وشجاعة ﴿ والامر اليك ﴾ موكول ﴿ فانظري ماذا تأمرين ﴾ من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك ﴿ قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها ﴾ تزييف لما احست منهم عن الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام خططهم فيسرع الى افساد مايصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لايدرى عاقبتها ﴿ وجعلوا أعزة اهلها اذلة ﴾ بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله عزوجل ﴿ واني مرسلة اليهم بهدية ﴾ بيان لما ترى تقديمه للمصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذر بن

﴿ قالوا ﴾ يعني الملأ مجيبين لها ﴿ نحن اولوا قوة ﴾ أي في الجسم على القتال ﴿ وأولوا بأس شديد ﴾ أي عند الحرب وقيل أراد بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال أي ان أمرتهم بذلك ثم قالوا ﴿ والامر اليك ﴾ أيتها الملكة أي في القتال وتركه ﴿ فانظري ماذا تامرين ﴾ أي تجدينا مطيعين لامرك ﴿ قالت ﴾ بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال ومايؤول اليه أمره ﴿ ان الملوك اذا دخلوا قرية ﴾ أي عنوة ﴿ افسدوها ﴾ أي خربوها ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ أي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وهو للتأكيد لما قالت ثم قالت ﴿ واني مرسلة اليهم بهدية ﴾ أي الى سليمان وقومه أصانعه بها على ملكي وأختبره بها أملك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه في دينه وهو قولها ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتها فاهدت

وتشاورونى (قالوا نحن أولوا قوة) بالسلاح (وأولوا بأس شديد) بالقتال (والامر اليك) يقول أمرنا لامرك تبع (فانظري ماذا تأمرين) حتى نفعل ماأمرتنا ثم نطقت بحكمة (قالت ان الملوك) ملوك الارض (اذا دخلوا قرية) عنوة بالحرب والقتال (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالضرب والقتل وغير ذلك (وكذلك يفعلون) قال الله كذلك يفعلون يعني ملوك الارض بالكبرياء (واني مرسلة اليهم) الى سليمان (بهدية فناظرة) فأنتظر (بم يرجع المرسلون) الرسل

عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عـذراء وجزعة معوجـة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظم شأنه تقاصر اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق واخبر

وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لبس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت فى ايديهم أساور الذهب وفى اعناقهم أطواق الذهب وفى آذانهم أقرطة وشنوفا مرصعات انواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت اليـه لبنات من الذهب ولبنات من الفضـة وتاجا مكـللا بالدر والياقـوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة يتيمة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب عقل ورأى وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما فى الحق قبل أن تفتحه واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل فى الخرزة خيطا من غير علاج أنس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النسـاء وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك أمره ومنظره فانا أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فافهم انه نبى فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فأمر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمـل ميدان مقدار تسـعة فراسخ وان يفرشـوا لبن الذهب والفضة وان يخلوا مقدار تلك اللبنات التى معهم وأن يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أى دواب البر والبحر أحسن فقالوا يانبى الله مارأينا أحسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها لها أجنحة واعراف ونواص قال على بها الساعة فأتوا بها فقال شدوها بين يمين الميدان وشماله ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسى على يمين الميدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشياطين والوحش والطير والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلمـا دنا القوم الى الميـدان ونظروا الى ملك سليمان رأوا أول الامر الدواب التى لا يرى مثلهـا تروث فى لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقاصرت أنفسهم وخبؤا مامعهم من الهدايا وقيل ان سليمان

ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه فبعثت خمسمائة غـلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن راكبى خيـل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنـذر بن عمـرو بدليل قوله تعالى بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف وأخبر بما فى الحق واثقب الدرة ثقبا واسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وان رأيته بشاشا لطيفا فهو نبى فاقبـل الهدهـد وأخـبر سليـمان الخـبر كله فامر سليـمان الجـن فضربوا لبنات الذهـب والفضة وفرشوها فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فامر الارضة

اخذت شعرة ونفذت في الدرة وأخذت دودة بيضاء الخيط فيها ونفذت فيها ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله

في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال أتمدونني بمال) بنونين واثبات الياء في الوصل والوقف مكي وسهل ووافقهما مدني وأبو عمرو في الوصل أتمدوني حمزة ويعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسل (فما آتاني الله) من النبوة والملك والنعمة وبفتح الياء مدني وأبو عمرو وحفص (خير مما آتاكم) من زخارف الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدى والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف

عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية ﴿ فلما جاء سليمان ﴾ أي الرسول أو ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا ﴿ قال أتمدونني بمال ﴾ خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب * وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء ﴿ فما آتاني الله ﴾ من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه * وقرأ نافع وابو عمرو وحفص باسكان الياء وباسقاطها الباقون وبامالتها الكسائي وحده ﴿ خير مما آتاكم ﴾ فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي ﴿ بل انتم بهديتكم تفرحون ﴾ لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم أو بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليهم وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على

فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما رأوا الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم فكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا فيه وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحق فاتى به فحركه فجاءه جبريل فاخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى ﴿ فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله ﴾ أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك ﴿ خير ﴾ أي أفضل ﴿ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ معناه أنتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهداء بعضكم الى

(فلما جاء سليمان) رسولها الى سليمان (قال) (قا و خا ٦٦ بع) سليمان (أتمدونن بمال) هدية (فما آتاني الله) أعطاني الله من الملك والنبوة (خير) أفضل (مما آتاكم) أعطاكم من المال (بل أنتم بهديتكم تفرحون) ان اردت

حالكم وما ارضى منكم بشئ ولا أفرح به الا بالايمان وترك المجوسية والفرق بين قولك أتمدونني بمال وانا اغنى منكم وبين ان تقوله بالفاء انى اذا قلته بالواو جعلت مخاطبي عالما بزيادتي في الغنى وهو مع ذلك يمدني بمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك مافعلت فاني غنى عنه وبيد ورد فما آتاني الله ووجه الاضراب انه لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لايعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا

لايعلمون غيرها (ارجع اليهم) خطاب للرسول او الهدهد محملا كتابا آخر اليهم ائت بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) لاطاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لايقدرون أن يقابلوهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة وهم صاغرون) الذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا في أسر واستعباد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبي ومالنا به طاقة ثم جعلت عرشها في آخر سبعة أبيات وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك لانظر ما الذي تدعو اليه وشخصت اليه في اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) أراد أن يريها بذلك بعض ماخصه ﴿ اﷲ ﴾ الله تعالى به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه انها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أو أراد ان يؤتى به فينكر

حالهم في تصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ﴿ ارجع ﴾ ايها الرسول ﴿ اليهم ﴾ الى بلقيس وقومها ﴿ فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ﴾ لاطاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة بها على مقاتلتها وقرئ بهم ﴿ ولنخرجنهم منها ﴾ من سبأ ﴿ اذلة ﴾ بذهاب ما كانوا فيه من العز ﴿ وهم صاغرون ﴾ اسراء مهانون ﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها ﴾ اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره ﴿ قبل ان يأتوني مسلمين ﴾ فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها

بعض وأما أنا فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لان الله قد أعطاني منها ما لم يعط أحدا ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد ﴿ ارجع اليهم ﴾ أي بالهدية ﴿ فلنأتينهم بجنود لاقبل ﴾ أي لاطاقة ﴿ لهم بها ولنخرجنهم منها ﴾ أي من أرض سبأ ﴿ أذلة وهم صاغرون ﴾ أي ان لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها أي من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا بملك ومالنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعو اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لايخلص اليه أحد ثم أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثنى عشر ألف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لايبدأ بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع وهجا قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فأقبل سليمان على جنوده ﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ﴾ قال ابن عباس يعني طائعين وقيل مؤمنين قيل غرض سليمان في احضار عرشها ايريها قدرة الله تعالى واظهار معجزة دالة على نبوته وقيل أراد أن ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم

اليكم (ارجع اليهم) بهديتهم (فلنأتينهم بجنود) بجموع (لاقبل لهم بها) لاطاقة لهم بها (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة) مغلولة ايمانهم الى اعناقهم (وهم صاغرون) ذليلون (قال) سليمان (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها) بسريرها (قبل أن يأتوني مسلمين) مستسلمين مصالحين

ير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها (قال عفريت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيك به قبل أن
م من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (وانى عليه) على حمله (لقوى أمين) آتى به كما هو لا آخذ منه شيأ ولا ابدله فقال
يمان عليه السلام أريد أعجل من هذا عنده علم من الكتاب)

﴿ قال عفريت ﴾ خبيث مارد ﴿ من الجن ﴾ بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا ﴿ انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك ﴾ مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار ﴿ وانى عليه ﴾ على حمله ﴿ اقوى أمين ﴾ لا اختزل منه شيأ ولا ابدله ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب ﴾ آصف بن برخيا وزيره أو الخضر او جبريل أو ملك ايده الله به أو سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى ﴿ انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ﴾ للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو اراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد

انها ان أسلمت يحرم عليه مالها فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه لانه أعجبه وصفه لما وصفه له الهدهد وقيل اراد أن يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ وهو المارد القوى وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أى مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له فى الغداة مجلس يقضى فيه الى متسع النهار وقيل نصفه ﴿ وانى عليه ﴾ أى على حمله ﴿ لقوى أمين ﴾ أى على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب ﴾ قيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف ابن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه أعلم بنى اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذى كلمه فاراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم أولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذى دعا به ياذا الجلال والاكرام وقيل ياحى ياقيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهرى قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الارض حتى نبع من بين يدى سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسى سليمان فقال ما قال ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ﴾ قال سليمان هات قال أنت النبى ابن النبى

أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت أو جبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو الخضر أو آصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الاصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب وهو ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام أو ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت وقيل كان له علم بمجارى الغيوب الهاما (أنا آتيك به) بالعرش وآتيك فى الموضعين يجوز ان يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) انك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار العرش فى مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل ان يرتد طرفه

(قال عفريت) شديد (من
) يقال له عمرو (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) من مجلسك للقضاء وكان مجلس قضائه الى انتصاف النهار (وانى عليه) على
(لقوى أمين) على ما فيه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة قال سليمان بل أريد أسرع من هذا (قال الذى عنده علم من الكتاب)
لله الاعظم ياحى ياقيوم وهو آصف بن برخيا (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قبل أن يبلغ اليك الشئ الذى رأيته

(فلما رآه) أي العرش (مستقرا عنده) ثابتا لديه غير مضطرب (قال هذا) أي حصول مرادي وهو حضور الع
في مدة ارتداد الطرف (من فضل ربي) علي واحسانه الي بلا استحقاق مني بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغ
(ليبلوني أأشكر) يمتحنني أأشكر النعمة (أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه يحط به عنها عبء لوا
ويصونها عن سمة الكفران ويستجاب به المزيد ويرتبط به النعمة فالشكر

للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعضهم ان كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله تعالى متقلص عما قريب اذا أنت لم ترج لله وقارا أي لم تشكر لله نعمته (ومن كفر) بترك الشكر على النعمة (فان ربي غني) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطي ما كان منا من الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو الينا وله المنة والفضل علينا (قال نكروا لها عرشها) غيروا أي اجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله (ننظر) بالجزم على الجواب (أتهتدي) الى معرفة عرشها أو للجواب الصواب اذا سألت عنه (أم تكون من الذين لا يهتدون

من بعيد (فلما رآه مستقرا) ثابتا (عنده) يعني عرشها عنده عرشه (قال) لآصف (هذا من فضل ربي) من منة ربي (ليبلوني) يختبرني (أأشكر) في حمل نعمته (أم أكفر) أم أترك شكر نعمته (ومن شكر) نعمته (فانما يشكر لنفسه) ثواب ربا (ومن كفر) ترك شكر نعمته (فان ربي غني) عن شكره (كريم) متجاوز لمن تاب لا يعجل بالعقوبة (قال نكروا لها عرشها) غيروا سريرها فزيدوا فيه وانقصوا (ننظر أتهتدي) أتعرف (أم تكون من الذين لا يهتدون)

بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية
والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما قو

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا ٭ لقلبك يوما اتعبتك المناظر

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه ﴿ فلما رآه ﴾ رأى العرش ﴿ مستقرا عنده ﴾ حاصلا بين يديه ﴿ قال ﴾ تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى ﴿ هذا من فضل ربي ﴾ تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام في امكان مثله تقدم في آية الاسراء ﴿ ليبلوني أأشكر ﴾ بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه ﴿ أم أكفر ﴾ بان اجد نفسي في البين أو اقصر في اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء ﴿ ومن شكر فانما يشكر لنفسه ﴾ لانه به يستجاب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ﴿ ومن كفر فان ربي غني ﴾ عن شكره ﴿ كريم ﴾ بالانعام عليه ثانيا ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ بتغيير هيئته وشكله ﴿ ننظر ﴾ جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف ﴿ أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ الى معرفته أو الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس

وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت ﴿ فلما رآه ﴾ يعني رأى سليمان العرش ﴿ مستقرا عنده ﴾ أي محمولا اليه من مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿ قال هذا من فضل ربي ليبلوني ﴾ يعني التمكن من حصول المراد ﴿ أأشكر ﴾ أي نعمته علي ﴿ أم أكفر ﴾ فلا أشكرها ﴿ ومن شكر فانما يشكر لنفسه ﴾ أي يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ﴿ ومن كفر فان ربي غني ﴾ أي عن شكره لا يضره ذلك الكفران ﴿ كريم ﴾ أي بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ يعني غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رأته قيل هو ان يزاد فيه أو ينقص منه وقيل انما يجعل أسفله اعلاه ويجعل مكان الجوهر الاحمر أخضر ومكان الاخضر أحمر ﴿ ننظر أتهتدي ﴾ الى معرفة عرشها ﴿ أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ الى معرفته وانما

فلما جاءت) بلقيس (قيل أهكذا عرشك) ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم اشارة و لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا (قالت كأنه هو) فاجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل الامرين

اولما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك

﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ﴾ تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل ﴿ قالت كأنه هو ﴾ ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها ﴿ وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ من تمة كلامها كأنها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمه من المعجزات التى لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ماجاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكرا له ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ اى وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام أو وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان ﴿ انها كانت من قوم كافرين ﴾

حمل سليمان على ذلك ماقال وهب و محمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشى اليه اسرار الجن لان أمها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان و ذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان فى عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح ﴿ فلما جاءت قيل ﴾ لها ﴿ أهكذا عرشك قالت كأنه هو ﴾ قيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها أمر العرش لانها تركته فى بيت عليه سبعة أبواب مغلقة و المفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت ﴿ وأوتينا العلم من قبلها ﴾ أى من قبل الآية فى العرش ﴿ وكنا مسلمين ﴾ أى منقادين مطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى وأوتينا العلم أى بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبلها اى من قبل الآية فى العرش وكنا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه بمزيد العلم والتقدم فى الاسلام وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين لله * قوله تعالى ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ أى أى منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه ﴿ انها كانت من قوم كافرين ﴾ أخبر الله أنها كانت من قوم

شبهت عليهم بقولها كأنه هو مع انها علمت انه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أى وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة اى احضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكنا مسلمين) منقادين لك مطيعين لامرك أو من كلام سليمان وملائه عطفوا على كلامها قولهم وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ماجاء من عنده قبل علمها أو اوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان أى وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (انها كانت من قوم كافرين) أو كلام

لا يعرفون (فلما جاءت قيل) قال لها سليمان (أهكذا عرشك) سريرك شبهوه عليها (قالت كأنه هو) شبهتموه على

(وأوتينا العلم من قبلها) فقال سليمان قد أعطانى الله بتغيير سريرها ومجيئه من قبل مجيئها (وكنا مسلمين) أى مخلصين من قبل مجيئها (وصدها) صرفها سليمان ويقال صرفها الله (ما كانت) عما كانت (تعبد من دون الله) يعنى الشمس (انها كانت من قوم كافرين) مجوس

كلام مبتدأ أى قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل أو صدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل (قيل لها ادخلى الصرح) أى القصر أو صحن الدار (فلما رأته حسبته لجة) ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) سأقيها بالهمزة مكى روى ان سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقا لنبوته وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد فقالوا له ان فى عقلها شيأ وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها و رجلها فكشفت عنهما فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها شعراء فصرف بصره (قال) لها (انه صرح ممرد) مملس مستو ومنه الامرد (من قوارير) من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة فازالته فنكحها سليمان وأحبها و أقرها على ملكها وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادة الشمس (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) ﴿ ولا ﴾ قال المحققون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر الى ساقيها و هى اجنبية فلا يصح القول بمثله

و قرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول أى صدها نشؤها بين اظهر الكفار أو التعليل له ﴿ قيل لها ادخلى الصرح ﴾ القصر وقيل عرصة الدار ﴿ فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ﴾ روى انه أمر قبل قدومها فبنى قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير براوية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق واسؤق ﴿ قال انه ﴾ ان ما تظنينه ماء ﴿ صرح ممرد ﴾ مملس ﴿ من قوارير ﴾ من الزجاج ﴿ قالت رب انى ظلمت نفسى ﴾ بعبادتى الشمس وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة ﴿ واسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾

يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس ﴿ قيل لها ادخلى الصرح ﴾ وذلك ان سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش وأراد أن ينظر الى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفهما لما اخبرته الجن ان رجليها كحافر حمار وهى شعراء الساقين أمر الشياطين فعملوا لها قصرا من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء والقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره فى صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت فى الوصفاء والوصائف فلما جلس على السرير دعا بلقيس ولما جاءت قيل لها ادخلى الصرح ﴿ فلما رأته حسبته لجة ﴾ أى ماء عظيما ﴿ وكشفت عن ساقيها ﴾ لتخوض الماء الى سليمان فاذا هى أحسن النساء ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها ﴿ قال انه صرح ممرد ﴾ أى مملس ﴿ من قوارير ﴾ زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة ﴿ قالت رب انى ظلمت نفسى ﴾ بعبادة غيرك ﴿ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ أى أخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت فى نفسها ان سليمان يريد أن يغرقنى وكان القتل أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب انى ظلمت نفسى بذلك الظن واختلفوا فى أمر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى أمرها الى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر فى الكتاب

(قيل لها ادخلى الصرح) القصر (فلما رأته حسبته لجة) ماء غمرا يعنى كثيرا (وكشفت) رفعت ثيابها (عن ساقيها قال) لها سليمان (انه صرح) قصر (ممرد) أملس (من قوارير) تحته ماء فلا تخافى واعبرى عليه (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادتى الشمس (وأسلمت مع سليمان) على يدى سليمان (لله رب العالمين) سيد الجن والانس

فيما امربه عباده وقد اختلف فى انه تزوجها أوزوجها من ذى تبع ملك همدان ﴿ولقد ارسلناالى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدواالله﴾ بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء ﴿فاذاهم فريقان يختصمون﴾ ففاجأوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين ﴿قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا ﴿قبل الحسنة﴾ قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ ﴿لولا تستغفرون الله﴾ قبل نزوله ﴿لعلكم ترحمون﴾ بقبولها فانها لاتقبل حينئذ ﴿قالوا اطيرنا﴾ تشاءمنا ﴿بك

ولا فى خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره مارأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة انى لم يمسنى حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لاندرى فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهى سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها فى كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولدا ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك اياه فقالت ومثلى يانبى الله ينكح الرجال وقد كان لى من قومى الملك والسلطان قال نعم انه لايكون فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغى لك أن تحرمى ماأحل الله قالت فان كان ولابد فزوجنى ذاتبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن و ملك زوجها ذاتبع على اليمن ودعا زوبعة ملك الجن و قال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد الى أن مات سليمان وحال الحول و علم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك ذى تبع وملك بلقيس وبقى الملك لله الواحد القهار قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة * قوله عز وجل ﴿واقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله﴾ أى وحدوه لاتشركوا به شيأ ﴿فاذاهم فريقان﴾ أى مؤمن وكافر ﴿يختصمون﴾ أى فى الدين كل فريق يقول الحق معنا ﴿قال﴾ يعنى صالحا للفريق المكذب ﴿ياقوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ أى بالبلاء والعقوبة ﴿قبل الحسنة﴾ أى العافية والرحمة ﴿لولا﴾ أى هلا ﴿تستغفرون الله﴾ أى بالتوبة اليه من الكفر ﴿لعلكم ترحمون﴾ أى لاتعذبون فى الدنيا ﴿قالوا اطيرنا﴾ أى تشاءمنا ﴿بك

(واقد أرسلنا الى ثمود أخاهم) فى النسب (صالحا) بدل (أن اعبدوا الله) بكسر النون فى الوصل عاصم وحمزة وبصرى وبضم النون غيرهم اتباعا للباء والمعنى بان اعبدوا الله وحدوه (فاذا) للمفاجأة (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (يختصمون) صفة وهى العامل فى اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معى وهو مبين فى قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعذاب الذى توعدون (قبل الحسنة) قبل التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم (لعلكم ترحمون) بالاجابة (قالوا اطيرنا بك) تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء فى

(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم) نبيهم (صالحا أن اعبدوا الله) ان قال لهم وحدوا الله وتوبوا اليه من الكفر والشرك (فاذاهم فريقان) صاروا فرقتين مؤمنة وكافرة (يختصمون) يتخاصمون فى الدين (قال) صالح للفرقة الكافرة (ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعذاب (قبل الحسنة) قبل العافية والرحمة (لولا تستغفرون الله) هلا تتوبون من الشرك والكفر وتوحدون الله (لعلكم ترحمون) لكى ترحموا فلا تعذبوا (قلوا اطيرنا بك)

الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء (وبمن معك) من المؤمنين (قال طائركم عند الله) أى سببكم الذى يجئ منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب عند الله فانما نزل بكم مانزل عقوبة لكم وفتنة ومنه كل انسان ألزمناه طائره فى عنقه وأصله ان المسافر اذا مر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيامن واذا مر بارحا تشاءم فلما انسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون وتعذبون بدينكم (وكان فى المدينة) مدينة ثمود وهى الحجر (تسعة رهط) هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به فكأنه قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة الى العشرة وعن أبى دؤاد رأسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا أبناء أشرافهم (يفسدون فى الارض ولا يصلحون) يعنى ان شأنهم الافساد البحت لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا تقاسموا بالله) تحالفوا خبر فى محل الحال باضمار قد أى قالوا متقاسمين أو امر أى أمر بعضهم بعضا بالقسم (لنبيتنه) لنقتلنه بياتا أى ليلا (وأهله) ولده وتبعه (ثم لنقولن لوليه) لولى دمه لتبيتنه بالتاء وبضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة وعلى (ماشهدنا) ماحضرنا (مهلك اهله) حفص مهلك أبو بكر وحماد والمفضل من هلك فالاول (و)

وبمن معك ﴾ اذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم ﴿ قال طائركم ﴾ سببكم الذى جاء منه شركم ﴿ عند الله ﴾ وهو قدره او عملكم المكتوب عنده ﴿ بل انتم قوم تفتنون ﴾ تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ مايحيق بهم الى ذكر ماهو الداعى اليه ﴿ وكان فى المدينة تسعة رهط ﴾ تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة أو السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة ﴿ يفسدون فى الارض ولا يصلحون ﴾ أى شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح ﴿ قالوا ﴾ اى قال بعضهم لبعض ﴿ تقاسموا بالله ﴾ امر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا باضمار قد ﴿ لنبيتنه واهله ﴾ لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ﴿ ثم لنقولن ﴾ فيه القراآت الثلاث ﴿ لوليه ﴾ لولى دمه ﴿ ماشهدنا مهلك اهله ﴾ فضلا ان تولينا

وبمن معك ﴾ قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك ﴿ قال طائركم عند الله ﴾ أى مايصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب عليكم سمى طائرا لانه لاشئ أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذى اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم أى عملكم عند الله سمى طائرا لسرعة صعوده الى السماء ﴿ بل أنتم قوم تفتنون ﴾ قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون * قوله تعالى ﴿ وكان فى المدينة ﴾ يعنى مدينة ثمود وهى الحجر ﴿ تسعة رهط ﴾ يعنى من أبناء أشرافهم ﴿ يفسدون فى الارض ﴾ أى بالمعاصى ﴿ ولا يصلحون ﴾ أى لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف ﴿ قالوا تقاسموا بالله ﴾ يعنى يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم ﴿ لنبيتنه ﴾ أى لنقتلنه ليلا ﴿ وأهله ﴾ يعنى قومه الذين آمنوا معه ﴿ ثم لنقولن لوليه ﴾ أى لولى دمه ﴿ ماشهدنا ﴾ أى ماحضرنا ﴿ مهلك أهله ﴾ أى ماندرى من قتله ولا هلاك أهله

تشاء منابك (وبمن معك) من قومك يعنون شدتنا من شؤمك ومن شؤم من آمن بك (قال) صالح (طائركم) شدتكم ورخاؤكم (عند الله) من عند الله (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بالشدة والرخاء ويقال تخذلون ولا توفقون (وكان فى المدينة تسعة رهط) نفر من الفساق من أبناء رؤسائهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر وأصحابهما (يفسدون فى الارض) بالمعاصى (ولا يصلحون) لا يأمرون بالصلاح ولا يعملون به (قالوا تقاسموا بالله) يقول توافقوا وتحالفوا بالله ثم قال (لنبيتنه وأهله) لندخلن عليه وعلى أهله ليلا ولنقتلنه وأهله (ثم لنقولن لوليه) لورثته وقرابته (ماشهدنا مهلك أهله) قال صالح

وضع الهلاك والثانى المصدر مهلك غيرهم من أهلك وهو الاهلاك أو مكان الاهلاك أى لم نتعرض لاهله فكيف
تعرضنا له أو ما حضرنا موضع اهلاكه فكيف توليناه (وانا الصادقون) فيما ذكرنا (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون)
مكرهم ما أحضروه من تدبير القتل لصالح وأهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لايشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل
الاستعارة روى انه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن
نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه
ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انادمرناهم) بفتح الالف كوفى وسهل وبكسرها غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هى تدميرهم أو نصبه على معنى لانا أو على انه خبر كان أى فكان عاقبة مكرهم الدمار (وقومهم أجمعين) بالصيحة (فتلك بيوتهم خاوية) ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط أو خالية من الخواء وهى حال عمل فيها مادل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (ان فى ذلك) فيما فعل بثمود (لآية لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون (قاو خا ٦٧ بع) (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) ترك أوامره وكانوا

اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابوبكر بالفتح فيكون مصدرا ﴿ وانا لصادقون ﴾ ونحلف انا لصادقون أو والحال انا الصادقون فيما ذكرنا اذ الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا أو لانا ماشهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك مارأيت ثمة رجلا بل رجلين ﴿ ومكروا مكرا ﴾ بهذه المواضعة ﴿ ومكرنا مكرا ﴾ بان جعلناها سببا لاهلاكهم ﴿ وهم لايشعرون ﴾ بذلك روى انه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا لى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون فى اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله ﴿ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انادمرناهم وقومهم اجمعين ﴾ وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانادمرناهم استئناف أو خبر محذوف لاخبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انادمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبرله وكيف حال ﴿ فتلك بيوتهم خاوية ﴾ خالية من خوى البطن اذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿ بما ظلموا ﴾ بسبب ظلمهم ﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾ فيتعظون ﴿ وانجينا الذين آمنوا ﴾ صالحا ومن معه ﴿ وكانوا يتقون ﴾ الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة

﴿ وانا لصادقون ﴾ أى فى قولنا ماشاهدنا ذلك ﴿ ومكروا مكرا ﴾ أى غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح وأهله ﴿ ومكرنا مكرا ﴾ أى جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب ﴿ وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنادمرناهم ﴾ أى اهلكناهم أى التسعة قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم وسيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة ﴿ وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾ أى بظلمهم وكفرهم ﴿ ان فى ذلك لآية ﴾ أى لعبرة ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى قدرتنا ﴿ وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

صالح وأهله (وانا لصادقون) يصدقوننا فى قولنا ولا يردقولنا أحد (ومكروا مكرا) أرادوا قتل صالح ومن آمن معه (ومكرنا مكرا) أردنا قتلهم (وهم لايشعرون) بمكرنا يقال قتلتهم الملائكة فى دار صالح بالحجارة وهم لايشعرون من الملائكة (فانظر) يامحمد (كيف كان عاقبة مكرهم) عقوبة مكرهم بصالح (أنادمرناهم) أهلكناهم بالحجارة (وقومهم أجمعين) وأهلكنا قومهم أجمعين (فتلك بيوتهم خاوية) خالية ساقطة (بما ظلموا) أشركوا (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة (لقوم يعلمون) يصدقون مافعل بهم (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) الكفر والشرك

أربعة آلاف بجوامع صالح من العذاب (ولوطا اذ قال) واذكر لوطا واذ بدل من لوطا أى واذكر وقت قول لوط (لقومه أتأتون الفاحشة) اى اتيان الذكور (وأنتم تبصرون) تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها فى ناديهم معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة وانهماكا فى المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم ومانزل بهم ثم صرح فقال (أئنكم) بهمزتين كوفى وشامى (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أى ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر والانثى للانثى فهو مضادة لله فى حكمته (بل أنتم قوم تجهلون) تعملون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك أو أريد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة فى قوله بل أنتم قوم تجهلون وبل أنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى اذ الاصل أن يكون الكلام بين الحاضرين

والفواحش وقتل الناقة (ولوطا) أرسلنا لوطا الى قومه (اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) اللواط (وأنتم تبصرون) تعلمون انها فاحشة (أئنكم لتأتون الرجال) أدبار الرجال (شهوة) اشتهاء لكم (من دون النساء) من فروج النساء (بل أنتم قوم تجهلون) أمر الله

﴿ولوطا﴾ واذكر لوطا أو وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه ﴿اذ قال لقومه﴾ بدل على الاول ظرف على الثانى ﴿أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون﴾ تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح أو يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون الفحش ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة﴾ بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة فى المواقعة طلب النسل لاقضاء الوطر ﴿من دون النساء﴾ اللاتى خلقن لذلك ﴿بل انتم قوم تجهلون﴾ تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به فى معنى المخاطب

يقال ان الناجين كانوا أربعة آلاف * قوله تعالى ﴿ ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ أى الفعلة القبيحة ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ أى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم ﴿ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ﴾ * فان قلت اذ فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا * قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها

(فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أى لوطا ومتبعيه فجعلوا جوابهم ما ذكرهم ان قالوا (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وقيل هو استهزاء كقولهم انك لانت الحليم الرشيد (فأنجيناه) فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم (وأهله الا امرأته قدرناها) بالتشديد سوى حمزة وأبى بكر أى قدرنا كونها (من الغابرين) من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها (فساء مطر المنذرين) الذين لم يقبلوا الانذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل متكلم فى كل أمر ذى بال بأن يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من

الجزء العشرون

﴿ فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون ﴾ يتنزهون عن افعالنا أو عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا ﴿ فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين ﴾ قدرنا كونها من الباقين فى العذاب ﴿ وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴾ مر مثله ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ امر رسوله عليه السلام بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من

﴿ فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون ﴾ يعنى من أدبار الرجال ﴿ فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين ﴾ أى قضينا عليها بان جعلناها من الباقين فى العذاب ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا ﴾ أى الحجارة ﴿ فساء ﴾ أى فبئس ﴿ مطر المنذرين ﴾ قوله عز وجل ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله

(فما كان جواب قومه) فلم يكن جواب قومه (الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) لوطا وابنتيه زعورا وريثا (من قريتكم) سدوم (انهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله) ابنتيه (الا امرأته) المنافقة (قدرناها من الغابرين) يقول قدرنا عليها ان تكون من المتخلفين بالهلاك (وأمطرنا عليهم) على شذاذهم ومسافريهم (مطرا) حجارة (فساء) فبئس (مطر المنذرين) من أنذرهم لوط فلم يؤمنوا (قل) يا محمد (الحمد لله) الشكر والمنة لله على هلاك (وسلام) سعادة وسلامة (على عباده الذين اصطفى) اختارهم الله بالنبوة ويقال اصطفاهم الله بالاسلام وهم أمة محمد صلى الله عليه

ذنوبهم (آلله خيرأمايشركون) بالياء بصرى وعاصم ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شئ وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيأ على شئ الالداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لاخير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم فى أمايشركون وأمن خلق السموات أن تلك متصلة اذ المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ (وأنزل لكم من السماء ماء) مطرا (فانبتنا) صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تأكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وايذانا بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه الاهو وحده (به) بالماء (حدائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة (ذات) ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة

عبيده شكرا على ما انعم عليه وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين أو لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك ﴿ آلله خير أمايشركون ﴾ الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لاخير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء ﴿ أمن ﴾ بل أمن ﴿ خلق السموات والارض ﴾ التى هى اصول الكائنات ومبادى المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله ﴿ وانزل لكم ﴾ لاجلكم ﴿ من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ﴾ عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ﴿ ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ﴾ شجر الحدائق وهى البساتين من الاحداق وهو الاحاطة

على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين ﴿ آلله خير أمايشركون ﴾ فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير لمن عبده أم الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لاغنائه عنه من الهلاك والاصنام لم تغن شيأ عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته * فالنوع الاول قوله تعالى ﴿ أمن خلق السموات والارض ﴾ ذكر أعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى آلاصنام خير أم الذى خلق السموات والارض * ثم ذكر نعمه فقال ﴿ وأنزل لكم من السماء ماء ﴾ يعنى المطر ﴿ فانبتنا به حدائق ﴾ أى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة ﴿ ذات بهجة ﴾ أى ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ يعنى ما ينبغى لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بان أغرسها وأسقيها الماء فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة

وسلم (آلله خير) قل يا محمد لاهل مكة أعبادة الله أفضل (أمايشركون) اما عبادة مايشركون بالله من الاوثان (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء) مطرا (فانبتنا به) بالمطر (حدائق) بساتين ما أحيط عليها من النخل والشجر (ذات بهجة) ذات منظر حسن (ما كان لكم) مقدرة (أن تنبتوا شجرها) شجر

لانبياء أراد ان تأتى ذلك محال من غيره (أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكاله (بل هم قوم يعدلون) بدع
أويعدلون عن الحق الذى هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب أبلغ فى تخطئة رأيهم (أمن جعل الارض) ومابعد
بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها الاستقرار عليها (و جعل خلالها) ظرف أى وسطها و
المفعول الثانى والاول (أنهارا) وبين البحرين مثله (وجعل لها) للارض

(رواسى) جبالا تمنعها عن الحركة (وجعل بين البحرين) العذاب والمالح (حاجزا) مانعا ان يختلطا (أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) الاضطرار افتعال من الضرورة وهى الحالة المحوجة الى اللجا يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أحوجه مرض اوفقر أونازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله اوالمذنب اذا استغفر أوالمظلوم اذا دعا أومن رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء) الضر أوالجور (ويجعلكم خلفاء الارض) أى فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أوأراد بالخلافة الملك والتسلط

﴿ أإله مع الله ﴾ أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ آلها باضمار فعل مثل اتدعون أواتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين ﴿ بل هم قوم يعدلون ﴾ عن الحق الذى هو التوحيد ﴿ أمن جعل الارض قرارا ﴾ بدل من من خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها ﴿ وجعل خلالها ﴾ اوساطها ﴿ انهارا ﴾ جارية ﴿ وجعل لها رواسى ﴾ جبالا تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع ﴿ وجعل بين البحرين ﴾ العذب والمالح أوخليجى فارس والروم ﴿ حاجزا ﴾ برزخا وقد مر بيانه فى الفرقان ﴿ أإله مع الله بل اكثرهم لايعلمون ﴾ الحق فيشركون به ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ﴾ المضطر الذى احوجه شدة مابه الى اللجاء الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ﴿ ويكشف السوء ﴾ ويدفع عن الانسان مايسوءه ﴿ ويجعلكم خلفاء الارض ﴾

والزروع تسقى بماء واحد لايقدر عليه الا الله تعالى ولايتأتى لاحد وأن تأتى ذلك لغيره محال ﴿ أإله مع الله ﴾ يعنى هل معه معبود أعانه على صنعه ﴿ بل ﴾ يعنى ليس معه اله ولاشريك ﴿ هم قوم ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ يعدلون ﴾ يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل ＊ النوع الثانى قوله عز وجل ﴿ أمن جعل الارض قرارا ﴾ أى دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لاتميد باهلها ﴿ وجعل خلالها أنهارا ﴾ أى وسطها بانهار تطرد بالمياه ﴿ وجعل لها رواسى ﴾ أى جبالا ثوابت ﴿ وجعل بين البحرين ﴾ يعنى العذب والملح ﴿ حاجزا ﴾ أى مانعا لايختلط أحدهما بالآخر ﴿ أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون ﴾ أى توحيد ربهم وقدرته وسلطانه ＊ النوع الثالث قوله تعالى ﴿ أمن يجيب المضطر ﴾ أى المكروب المجهود وقيل المضرور بالحاجة المحوجة من مرض أونازلة من نوازل الدهر يعنى اذا نزلت باحد بادر الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر ﴿ اذا دعاه ﴾ يعنى فيكشف ضره ﴿ ويكشف السوء ﴾ أى الضر لانه لايقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذى لايعجز والقاهر الذى لايغلب ولاينازع ﴿ ويجعلكم خلفاء الارض ﴾ اى سكانها وذلك انه ورثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم خلفاء الجن فى الارض

البساتين (أإله مع الله) سوى الله فعل ذلك (بل هم قوم يعدلون) به الاصنام (أمن جعل الارض قرارا) { أإله } مسكنا (وجعل خلالها أنهارا) وسطها أنهارا (وجعل لها) للارض (رواسى) الجبال الثوابت أوتادالها (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزا) مانع لايختلطان (أإله مع الله) سوى الله فعل ذلك (بل أكثرهم لايعلمون) لايصدقون (أمن يجيب المضطر) فى البلاء (اذا دعاه) بدفع البلاء (ويكشف السوء) بدفع البلاء (ويجعلكم خلفاء الارض) سكان الارض بعد هلاك أهلها

أأله مع الله قليلا ماتذكرون)وبالياء أبو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلى وحفص وما مزيدة أى تذكرون تذكرا
لا(أمن يهديكم) يرشدكم بالنجوم (فى ظلمات البروالبحر) ليلا وبعلامات فى الارض نهارا(ومن يرسل الرياح)الريح مكى
حمزة وعلى (بشرا) من البشارة وقدمر فى الاعراف (بين يدى رحمته) قدام المطر (أأله مع الله تعالى الله عما يشركون
ن بدؤ الخلق) ينشأ الخلق (ثم يعيده) واذا قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للاعادة

خلفاء فيهما ان ورثكم سكناها والتصرف فيهما ممن قبلكم ﴿ أأله مع الله ﴾ الذى خصكم بهذه النعم العامة والخاصة ﴿ قليلا ماتذكرون ﴾ اى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم أو الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ أبو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص بالتاء وبتخفيف الذال ﴿ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ﴾ بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى اضافها الى البر والبحر للملابسة أو مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لامنار بها ﴿ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ يعنى المطر ولو صح ان السبب الاكثرى فى تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلاشك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب ﴿ أأله مع الله ﴾ يقدر على مثل ذلك ﴿ تعالى الله عما يشركون ﴾ تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق ﴿ أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ﴿ ومن يرزقكم من السماء والارض ﴾ أى باسباب سماوية وارضية ﴿ أأله مع الله ﴾ يفعل ذلك ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ان غيره يقدر على شئ من ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية ﴿ قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ﴾ لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ماهو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيهما من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم او متصل

لانه أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار (ومن يرزقكم من السماء) أى المطر (والارض)أى ومن الارض النبات(أأله مع الله قل هاتوا برهانكم) حجتكم على اشراككم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم ان مع الله الها آخر (قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو مالم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله بدل من من والمعنى لايعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يتعالى على ان يكون ممن فى السموات والارض ولكنه جاء على لغة بنى تميم

(أأله مع الله)سوى الله فعل ذلك (قليلا ماتذكروز) ماتتعظون قليلا ولا كثيرا (أمن يهديكم) يحبكم (فى ظلمات البر والبحر)من شدائد البر والبحر اذا سافرتم (ومن يرسل الرياح بشرا)

﴿ أأله مع الله قليلا ماتذكرون ﴾ أى تتعظون ✻ النوع الرابع قوله عز وجل ﴿ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ﴾ أى يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين فى البر والبحر ﴿ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ أى قدام المطر ﴿ أأله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ ✻ النوع الخامس قوله تعالى ﴿ أمن يبدؤ الخلق ﴾ أى نطفا فى الارحام ﴿ ثم يعيده ﴾ بعد الموت ﴿ ومن يرزقكم من السماء والارض ﴾ أى من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات ﴿ أأله مع الله قل هاتوا برهانكم ﴾ أى حجتكم على قولكم ان مع الله الها آخر ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ ✻ قوله تعالى ﴿ قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ﴾ نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذى يعلم الغيب وحده

ية (بين يدى رحمته)قدام المطر (أأله مع الله)سوى الله فعل ذلك(تعالى الله)تبرأ الله (عما يشركون) به من الاوثان (أمن يبدؤ
لخلق) يبتدئه من النطفة (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أأله مع الله)سوى الله فعل ذلك
قل هاتوا برهانكم) حجتكم (ان كنتم صادقين) ان مع الله آلهة شتى (قل)يا محمد لاهل مكة (لايعلم من فى السموات) من الملائكة
(والارض) من الخلق(الغيب) متى قيام الساعة و نزول العذاب (الا الله

حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون ما في الدار أحد الا حمار وقالت عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيان) متى (يبعثون) ينشرون (بل ادرك) مكي وبصري ويزيد والمفضل أي انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادرك عن الاعشى افتعل بل ادارك غيرهم استحكم وأصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد ألف الوصل ليمكن التكلم بها (علمهم في الآخرة) أي في شأن الآخرة ومعناها والمعنى ان أسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها عمون) والاضرابات ثلاث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم أولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر ووجه ملاءمة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه انه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا أبلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع ان عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفنى من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا

على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولى العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف ﴿ وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ متى ينشرون مركبة من اى وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة ﴿ بل ادرك علمهم في الآخرة ﴾ لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي ﴿ بل هم في شك منها ﴾ كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا ﴿ بل هم منها عمون ﴾ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآادرك بألف بينهما وبل ادرك وبل اتدارك وبلى ادرك وبلى آأدرك وام ادرك

يعني متى تقوم الساعة ﴿ وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ يعني ان من في السموات وهم الملائكة ومن في الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك ﴿ بل ادرك علمهم ﴾ اى بلغ ولحق علمهم ﴿ في الآخرة ﴾ هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى ﴿ بل هم في شك منها ﴾ أي هم اليوم في شك من الساعة ﴿ بل هم منها عمون ﴾ جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوى علمهم في

وما يشعرون) وما يعلم الخلق (أيان يبعثون) متى يبعثون من القبور (بل ادارك علمهم في الآخرة) يقول اجتمع علمهم على ان الآخرة لا تكون (بل هم في شك منها) من قيام الساعة (بل هم منها) من قيام الساعة (عمون)

فى الهلاك (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من قبورنا أحياء وتكرير حرف الاستفهام فى ... ثانى قراءة
عاصم وحمزة وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل فى اذا ما دل عليه مخرجون وهو
نخرج لان اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو ان أو لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن والضمير
فى انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير فى كنا
لان المفعول جرى مجرى التوكيد

أى البعث (نحن وآباؤنا
من قبل) من قبل محمد
صلى الله عليه وسلم قدم
هنا هذا على نحن وآباؤنا
وفى المؤمنين نحن وآباؤنا
على هذا ليدل على ان
المقصود بالذكر هو البعث
هنا وثمة المبعوثون (ان
هذا الا أساطير الاولين)
ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم
(قل سيروا فى الارض
فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين) أى آخر أمر
الكافرين وفى ذكر الاجرام
لطف بالمسلمين فى ترك
الجرائم كقوله تعالى فدمدم
عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما
خطيآتهم أغرقوا (ولا
تحزن عليهم) لاجل انهم
لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا
(ولا تكن فى ضيق) فى
حرج صدر (مما يمكرون)
من مكرهم وكيدهم لك فان
الله يعصمك من الناس يقال
ضاق الشئ ضيقا بالفتح وهو قراءة (قالوا خا ٦٨ بع) غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته (ويقولون متى هذا الوعد)

وام تدارك وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسيره بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة فى نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اوزد وانكار لشعورهم ﴿ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ كالبيان لعمههم والعامل فى اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة فى الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث أو من حال الفناء الى الحياة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائى اننا لمخرجون بنونين على الخبر ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ﴾ من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظرا الى الاهتمام ﴿ ان هذا الا اساطير الاولين ﴾ التى هى كالاسمار ﴿ قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين فى ترك الجرائم ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ على تكذيبهم واعراضهم ﴿ ولا تكن فى ضيق ﴾ فى حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اى امر ضيق ﴿ مما يمكرون ﴾ من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ العذاب الموعود

الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم متخلفة فى الدنيا ﴿ قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ أى مشركو مكة ﴿ أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ أى من قبورنا أحياء ﴿ لقد وعدنا هذا ﴾ أى هذا البعث ﴿ نحن وآباؤنا من قبل ﴾ أى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشئ ﴿ ان هذا ﴾ أى ما هذا ﴿ الا أساطير الاولين ﴾ أى أحاديثهم وأكاذيبهم التى كتبوها ﴿ قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ﴾ أى بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك ﴿ ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ﴾ نزلت فى المستهزئين الذين اقتسموا اعقاب مكة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد

هى لا يبصرون (وقال الذين كفروا) كفار مكة (أئذا كنا) صرنا (ترابا) رميما (وآباؤنا) قبلنا (أئنا لمخرجون) من القبور
حيون (لقد وعدنا هذا) الذى تعدنا (نحن وآباؤنا من قبل) من قبلك (ان هذا) ما هذا الذى تعدنا محمد (الا أساطير) أحاديث
الاولين قل) يا محمد لاهل مكة (سيروا) سافروا (فى الارض فانظروا) فاعتبروا (كيف كان عاقبة المجرمين) آخر أمر
المشركين (ولا تحزن عليهم) يا محمد ان لم يؤمنوا ويقال ولا تحزن عليهم بالهلاك (ولا تكن فى ضيق) ولا تضيق صدرك
مما يمكرون) مما يقولون ويصنعون (ويقولون متى هذا الوعد) الذى تعدنا

أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالمكذب (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) تستعجلونه العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم و أزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده (وان ربك لذو فضل) أي افضال (على الناس) بترك المعاجلة بالعذاب (ولكن أكثرهم لايشكرون) أي أكثرهم لايعرفون حق النعمة فيه ولايشكرونه فيستعجلون العذاب بجرئهم

ليعلم ماتكن) تخفى (صدورهم وما يعلنون) يظهرون من القول فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر أو انه يعلم مايخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن يقال كننت الشيء وأكننته اذا سترته وأخفيته (ومامن غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين) سمى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية والتاء فيهما كالتاء في العافية والعاقبة ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية كأنه قال ومامن شيء شديد الغيبوبة الاوقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) فانهم اختلفوا في المسيح فتحزبوا

﴿ ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم ﴾ تبعكم ولحقكم واللام فيه مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ بعض الذي تستعجلون ﴾ حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده ﴿ وان ربك لذو فضل على الناس ﴾ بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل ﴿ ولكن اكثرهم لايشكرون ﴾ لايعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم وقوعه ﴿ وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم ﴾ ماتخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اى سترت ﴿ وما يعلنون ﴾ من عداوتك فيجازيهم عليه ﴿ ومامن غائبة في السماء والارض ﴾ خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة ﴿ الا في كتاب مبين ﴾ بين أو مبين مافيه لمن يطالعه والمراد اللوح أو القضاء على الاستعارة ﴿ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾

ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف ﴾ أي دنا وقرب ﴿ لكم ﴾ وقيل معناه ردفكم ﴿ بعض الذي تستعجلون ﴾ أي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر ۞ قوله عز وجل ﴿ وان ربك لذو فضل على الناس ﴾ يعني على أهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب ﴿ ولكن أكثرهم لايشكرون ﴾ أي ذلك ﴿ وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم ﴾ أي تخفي ﴿ وما يعلنون ﴾ أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ومامن غائبة ﴾ أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشيء غائب ﴿ في السماء والارض الا في كتاب مبين ﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل ﴾ أي يبين لهم ﴿ أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ أي من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن

يامحمد (ان كنتم صادقين) ان كنت من الصادقين تجيء العذاب (قل) لهم يامحمد (عسى) وعسى من الله واجب (ان يكون ردف لكم) قرب لكم (بعض الذي تستعجلون) من العذاب يوم بدر (وان ربك) يامحمد (لذو فضل) لذو من (على الناس) بتأخير العذاب (ولكن أكثرهم لايشكرون) بتأخير العذاب (وان ربك) يامحمد (ليعلم ماتكن صدورهم) تضمر قلوبهم من البغض والعداوة (وما يعلنون) مايظهرون من الكفر والشرك والقتال (ومامن غائبة) من سر خفي (في السماء والارض) من اهل السماء والارض (الا في كتاب مبين) الا مكتوب في اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن) الذي تقرأ عليهم يامحمد (يقص على بني اسرائيل) يبين لبني اسرائيل اليهود والنصارى (أكثر الذي هم فيه يختلفون) كل الذي هم

فيه احزابا ووقع بينهم التناكر فى اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه فلو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين) لمن انصف منهم وآمن اى من بنى اسرائيل او منهم ومن غيرهم (ان ربك يقضى بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (بحكمه) بعدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى له وبمن يقضى عليه او العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين (فتوكل على الله) امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين

المبين) وعلل التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح الذى لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى ثم اكد حال الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تباعد عن الداعى بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا فى الروم وما انت تهدى العمى وكذا فى الروم حمزة (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا)

كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح ﴿ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ فانهم المنتفعون به ﴿ ان ربك يقضى بينهم ﴾ بين بنى اسرائيل ﴿ بحكمه ﴾ بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه ﴿ وهو العزيز ﴾ فلا يرد قضاؤه ﴿ العليم ﴾ بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه ﴿ فتوكل على الله ﴾ ولا تبال بمعاداتهم ﴿ انك على الحق المبين ﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره ﴿ انك لا تسمع الموتى ﴾ تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله ﴿ ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ فان اسماعهم فى هذه الحال ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم الدعاء ﴿ وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾ حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وما انت تهدى العمى ﴿ ان تسمع ﴾ اى ما يجدى اسماعك ﴿ الا من يؤمن بآياتنا ﴾ من هو فى علم الله كذلك

بيان ما اختلفوا فيه ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم ﴾ أى يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين فى الدين يوم القيامة ﴿ بحكمه ﴾ أى الحق ﴿ وهو العزيز ﴾ الممتنع الذى لا يرد له أمر ﴿ العليم ﴾ أى باحوالهم فلا يخفى عليه شئ منها ﴿ فتوكل على الله ﴾ أى فثق به ﴿ انك على الحق المبين ﴾ أى البين ﴿ انك لا تسمع الموتى ﴾ يعنى موتى القلوب وهم الكفار ﴿ ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ أى معرضين * فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر * قلت هو تأكيد ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أى يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذى لا سبيل الى سماعه وكالاصم الذى لا يسمع ولا يفهم ﴿ وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾ معناه ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان ﴿ ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا ﴾ الا من يصدق بالقرآن أنه من الله

فيه فى الدين يخالفون (وانه) يعنى القرآن (لهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (للمؤمنين) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ان ربك يقضى بينهم) بين اليهود والنصارى (بحكمه) وقضائه يوم القيامة (وهو العزيز) بالنقمة منهم (العليم) بهم وبعقوبتهم (فتوكل) يا محمد (على الله انك على الحق المبين) على الدين الظاهر وهو الاسلام (انك) يا محمد (لا تسمع الموتى) بالقلوب ويقال كأنه ميت (ولا تسمع الصم) بالقلوب ويقال المتصامم (الدعاء) دعوتك الى الحق والهدى (اذا ولوا) أعرضوا (مدبرين) عن الحق والهدى (وما أنت) يا محمد (بهادى العمى عن ضلالتهم) الى الهدى (ان تسمع) ما تسمع دعوتك (الا من يؤمن بآياتنا) بكتابنا ورسولنا

﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون من أسلم وجهه لله ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ إذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ وهي الجساسة روي أن طولها ستون ذراعا ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي أنه عليه الصلاة والسلام سئل من أين تخرجها فقال

﴿فهم مسلمون﴾ أي مخلصون * قوله تعالى ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ يعني إذا وجب عليهم العذاب وقيل إذا غضب الله عليهم وقيل إذا وجبت الحجة عليهم وذلك أنهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن منكر وقيل إذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج دابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى إن أهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن * وروى البغوي بإسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى إن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر * وبإسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فأما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن

أي ما تجدي إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له (وإذا وقع القول عليهم) سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة (أخرجنا لهم دابة من الأرض)

(فهم مسلمون) مخلصون بالعبادة والتوحيد (وإذا وقع) وجب (القول عليهم) بسخط والعذاب (أخرجنا لهم دابة من الأرض) بين الصفا والمروة وهي عصا موسى ويتسارّ بها عصا موسى

(وأما)

تكلمهم) هى الجساسة فى الحديث طولها ستون ذراعا لايدركها طالب ولايفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير ومابين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا

من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام ﴿ تكلمهم ﴾ من الكلام وقيل من الكلم اذقرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا فى مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم فى انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ﴿ ان الناس كانوا بآياتنا ﴾ خروجها وسائر أحوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن ﴿ لا يوقنون ﴾ لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله أو علة خروجها أو تكلمها وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح على حذف الجار ﴿ ويوم نحشر من كل امة فوجا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ممن يكذب بآياتنا ﴾ بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبى واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ﴿ حتى اذا جاؤا ﴾ الى المحشر

وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس انه قال قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يارسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب أجياد فتمس رأسها السحاب ورجلاها فى الارض وروى عن على قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون ﴿ تكلمهم ﴾ أى بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخبر الله تعالى ﴿ ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ تخبر الناس عن أهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزى سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر ❊ قوله تعالى ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ﴾ أى نحشر من كل قرن جماعة ﴿ ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴾ أى يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار ﴿ حتى اذا جاؤا ﴾ يعنى يوم القيامة

فتكلمهم بالعربية فتقول (ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون) أى لايوقنون بخروجى لان خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين أو تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام أو بان هذا مؤمن وهذا كافر وفتح أن كوفى وسهل على حذف الجار أى تكلمهم بان وغيرهم كسروا لان الكلام بمعنى القول أو باضمار القول أى تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من للتبعيض أى واذكر يوم نجمع من كل أمة من الامم زمرة (ممن يكذب) من للتبيين (بآياتنا) المنزلة على أنبيائنا (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف الحساب

(تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا) بآيات ربنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبقول بخروج الدابة (لايوقنون) لايصدقون وان قرأت بنصب التاء تضربهم وتجرحهم (ويوم) وهو يوم القيامة (نحشر من كل أمة) من كل أهل دين (فوجا) جماعة (ممن يكذب بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (فهم يوزعون)يقول يحبس أولهم على آخرهم (حتى اذا جاؤا)

والسؤال (قل) لهم تعالى تهديد (أكذبتم بآياتى) المنزلة على رسلى (ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال كانه قال أكذبتم بآياتى بادئ الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أى يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الابصار للنهار وهو لاهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب فى المكاسب (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه ألم يعلموا أنا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم فى الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا فى هذه الدار فلا بد من دار أخرى للثواب والعقاب (ويوم) واذكر يوم (ينفخ فى الصور) وهو قرن أو جمع صورة والنافخ اسرافيل عليه السلام (ففزع من فى السموات ومن فى الارض) اختير فزع على يفزع

اجتمعوا (قال) الله لهم (أكذبتم بآياتى) بكتابى ورسولى (ولم تحيطوا بها علما) يقول جحدتم ولم تعلموا انها ليست منى (أماذا كنتم تعملون) فى الكفر (و) والشرك (ووقع القول) وجب القول (عليهم) بالسخط والعذاب (بما ظلموا) بكفرهم وشركهم (فهم لا ينطقون) لا يجيبون (أولم يروا) كفار مكة (أنا جعلنا الليل) مسكنا (ليسكنوا) ليستقروا (فيه والنهار مبصرا) مضيئا مطلبا لمعايشهم (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات (لقوم يؤمنون) يصدقون (ويوم ينفخ فى الصور) وهى نفخة الموت (ففزع) مات (من فى السموات) من الملائكة (ومن فى الارض)

﴿قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما﴾ الواو للحال أى أكذبتم بها بادى الرأى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو التكذيب أو للعطف اى اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها ﴿أماذا كنتم تعملون﴾ أم أى شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذلم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ﴿ووقع القول عليهم﴾ حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار بعد ذلك ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله ﴿فهم لا ينطقون﴾ باعتذار لشغلهم بالعذاب ﴿ألم يروا﴾ ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة فى مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم فى معاشهم ومعادهم ﴿انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه﴾ بالنوم والقرار ﴿والنهار مبصرا﴾ من اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ لدلالتها على الامور الثلاثة ﴿ويوم ينفخ فى الصور﴾ فى الصور أو القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق ﴿ففزع من فى السموات ومن فى الارض﴾

﴿قال﴾ الله تعالى لهم ﴿أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما﴾ أى ولم تعرفوها حق معرفتها ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أى حين لم تتفكروا فيها وقيل معنى الآية أكذبتم بآياتى غير عالمين بها ولم تتفكروا فى صحتها بل كنتم بها جاهلين ﴿ووقع القول﴾ أى وجب العذاب ﴿عليهم بما ظلموا﴾ أى بما أشركوا ﴿فهم لا ينطقون﴾ أى بحجة وقيل ان أفواههم مختومة ﴿ألم يروا انا جعلنا﴾ اى انا خلقنا ﴿الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ أى مضيأ يبصر فيه وفى الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على تقلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أى يصدقون فيعتبرون * قوله تعالى ﴿ويوم ينفخ فى الصور﴾ هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجمع فى القرن ثم ينفخ فيه فتذهب فى الاجساد فتحيا بها الاجساد ﴿ففزع﴾ أى فصعق ﴿من فى السموات ومن فى الارض﴾ أى ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل فى الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع

لاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لامحالة والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الامن شاء الله) لامن ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر رضى الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله وينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله (وكل اتوه) حمزة وحفص وخلف آتوه غيرهم واصله آتيوه (داخرين) حال أى صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم الموقف ورجوعهم الى أمره تعالى انقيادهم له (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين شامى وحمزة ويزيد وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب (جامدة) واقفة ممسكة عن الحركة من جمد فى مكانه اذا لم يبرح (وهى تمر) حال من الضمير المنصوب فى تحسبها (مر السحاب) أى مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة فى مكان واحد لعظمها وهى

من الهول وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه ﴿ الامن شاء الله ﴾ ان لايفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لانه صعق مرة ولعل المراد مايعم ذلك ﴿ وكل آتوه ﴾ حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية أوراجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه على توحيد لفظ الكل ﴿ داخرين ﴾ صاغرين وقرئ دخرين ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة ﴾ ثابتة فى مكانها ﴿ وهى تمر مر السحاب ﴾ فى السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت فى سمت واحد لاتكاد تتبين حركتها

ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين ﴿ الامن شاء الله ﴾ روى أبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى الامن شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لايصل اليهم الفزع وقيل يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلايبقى بعد النفخة الاهؤلاء الاربعة وروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقى ياملك الموت فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقى الدائم بقى جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقى من خلقى فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول مت ياملك الموت فيموت فيقول ياجبريل من بقى فيقول تباركت فتعاليت ياذا الجلال والاكرام بقى وجهك الدائم الباقى وجبريل الميت الفانى فيقول الله ياجبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق أحد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطى السجل للكتاب ثم يقول الله أنا الجبار لمن الملك اليوم فلايجيبه أحد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فاكون أول من رفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلاأدرى أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلى ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية ﴿ وقوله تعالى ﴿ وكل ﴾ أى وكل الذين أحيوا بعد الموت ﴿ أتوه ﴾ أى جاؤه ﴿ داخرين ﴾ أى صاغرين ﴿ قوله تعالى ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة ﴾ أى قائمة واقفة ﴿ وهى تمر مر السحاب ﴾ أى تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوى بها وذلك ان كل شئ

من الخلق (الا من شاء الله) من أهل السماء جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فانهم لايموتون فى النفخة الاولى ولكن يموتون بعد ذلك (وكل) يعنى أهل السماء وأهل الارض (أتوه داخرين) يأتون الله يوم القيامة صاغرين ذليلين (وترى الجبال) يامحمد فى النفخة الاولى (تحسبها جامدة) ساكنة مستقرة (وهى تمر مر السحاب) فى الهواء تسير سيرا

سريعة كالسحاب إذا ضربته الريح وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش
أرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة ... عليه تمر لأن مروره ... كمر السحاب من صنع الله فكأنه قيل

﴿صنع الله﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله ﴿الذى أتقن كل شئ﴾ أحكم خلقه وسواه على ما ينبغى ﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ إذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ يعنى به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لأن المراد فزع واحد من أفزاع ذلك اليوم وآمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ قيل بالشرك ﴿فكبت وجوههم فى النار﴾ فكبوا فيها على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالأيدى فى قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين أطرافه فهو فى حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه ﴿صنع الله الذى أتقن كل شئ﴾ يعنى أنه تعالى لما قدم هذه الأشياء كلها التى لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الأشياء التى أتقنها وأحكمها وأتى بها على وجه الحكمة والصواب ﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة﴾ أى بكلمة الإخلاص وهى شهادة أن لا إله إلا الله وقيل الإخلاص فى العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل ﴿فله خير منها﴾ قال ابن عباس فمنها يصل إلى الخير يعنى له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب أما أن يكون له شئ خير من الإيمان فلا لأنه لا شئ خير من لا إله إلا الله وقيل هو جزاء الأعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الإيمان والإخلاص رضوان الله والنظر إليه لقوله ورضوان من الله وقيل معنى خير منها الأضعاف أعطاه الله بالواحدة عشر أمثالها لأن الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك وتعالى ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ فإن قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من فى السموات ومن فى الأرض قلت إن الفزع الأول هو ما لا يخلو عنه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر إليه فأما الفزع الثانى فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه وأما ما يلحق الإنسان من الرعب عند مشاهدة الأهوال فلا ينفك منه أحد ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ يعنى الشرك ﴿فكبت وجوههم فى النار﴾ عبر بالوجه

صنع الله صنعا وذكر ... (الذى أتقن كل شئ) أى أحكم خلقه (إنه خبير بما يفعلون) مكى وبصرى غير سهل وأبو بكر غير يحيى وغيرهم بالتاء أى هو عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أى بقول لا إله إلا الله عند الجمهور (فله خير منها) أى فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى أفضل ويكون منها فى موضع رفع صفة لخير أى بسببها (وهم من فزع) كوفى أى من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وإن قل وبغير تنوين غيرهم (يومئذ) كوفى ومدنى وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة (آمنون) أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله (ومن جاء بالسيئة) بالشرك (فكبت) ألقيت (وجوههم فى النار) يقال كببت الرجل ألقيته على وجهه أى ألقوا على رؤوسهم فى

(صنع الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف لفاعله بعد حذف عامله أى صنع الله ذلك صنعا (الذى أتقن) أحكم (كل شئ) صنعه (إنه خبير بما تفعلون) بالياء والتاء أى أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة (من جاء بالحسنة) أى لا إله إلا الله يوم القيامة (فله خير منها) ثواب بسببها ... (عن) الخير والشر (من جاء بالحسنة) من جاء يوم القيامة بلا إله إلا الله مخلصا بها (فله خير منها) فخيره كله منها ومن قبلها (وهم من فزع يومئذ آمنون) وهم آمنون من الفزع والعذاب إذا أطبقت النار (ومن جاء بالسيئة) بالشرك بالله (فكبت) قلبت (وجوههم فى النار)

النار أو عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها أى ألقوا فى النار ويقال لهم تبكيتا عند الكب (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك والمعاصى (انما أمرت أن أعبد رب هـذه البلدة) مكة (الذى حرمها) جعلها حرما آمنا يأمن فيهـا اللاجئ اليهـا ولا يختلى خلاهـا ولا يعضد شـوكها ولا ينفر صيدها (وله كل شئ)مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة(وأمرت أن أكون من المسلمين)المنقـادين له (وان أتلوا القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع مايوحى اليك من ربك أمر رسوله بان يقول أمرت ان أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذله شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفـاء الثابتين على ملة الاسلام وان أتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الاسلام وخص مكة من بين سـائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها أحب بلاده اليه وأعظمها عنده وأشار اليها بقوله هذه اشـارة تعظيم لهـا وتقريب دالا على انهـا موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولهـا تحتها (فمن اهتدى) باتبـاعه اياى فيـا أنا بصدده من توحيد الله ونفى الشركاء عنـه والدخول فى الملة الحنيفية واتبـاع ما أنزل على من الوحى (فانمـا يهتـدى لنفسـه) فنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) أى ومن ضل ولم يتبعنى (قا و خا ٦٩ بم) فلا على وما أنا الا رسـول منذر وما على الرسـول الا البلاغ المبين

﴿هل تجزون الا ما كنتم تعملون﴾ على الالتفات أو باضمار القول اى قيل لهم ذلك ﴿انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها﴾ امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعـدما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقـد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريفـا لها وتعظيم لشأنها وقرئ التى حرمها ﴿وله كل شئ﴾ خلقا وملكا ﴿وامرت ان اكون من المسلمين﴾ المنقادين أو الثابتين على ملة الاسـلام ﴿وان اتلوا القرآن﴾ وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ أو اتباعـه وقرئ واتل عليهم وان اتل ﴿فمن اهتدى﴾ باتباعه اياى فى ذلك ﴿فانما يهتدى لنفسه﴾ فان منافعه عائدة اليه ﴿ومن ضل﴾ بمخالفتى ﴿فقل انما انا من المنذرين﴾ فلا على من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت

عن جميع البدن كأنه قال كبوا وطرحوا جميعهم فى النار ﴿هل تجزون الا ما كنتم تعملون﴾ أى تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون فى الدنيا من الشرك ۞ وقوله تعالى ﴿ انما امرت ﴾ يعنى يقول الله تعالى لرسوله قل انما امرت ﴿ان أعبد رب هذه البلدة ﴾ يعنى امرت ان أخص بعبادتى وتوحيدى الله الذى هو رب هذه البلدة يعنى مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه ﴿الذى حرمها﴾ أى جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصـاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذى حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمهـا من الله لا من الاصنام ﴿ وله كل شئ ﴾ أى خلقا وملكا ﴿ وأمرت ان أكون من المسلمين ﴾ لله المطيعين له ﴿ وان أتلوا القرآن ﴾ أى امرت ان أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر به ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ﴾ أى نفع اهتدائه يرجع اليه ﴿ ومن ضل ﴾ أى عن الايمان وأخطأ طريق الهدى ﴿ فقل انما أنا من المنذرين ﴾ أى من المخوفين وما على الا البلاغ

[هل] تجزون) فى الآخرة (الا ما كنتم تعملون) فى الدنيا قل يا محمد(انما أمرت ان أعبد) أوحد (رب هذه البلدة) يعنى مكة [ا]لذى حرمها) جعلها حرما (وله كل شئ) من الخلق (وأمرت ان أكون من المسلمين)مع المسلمين على دينهم (وأن أتلوا القرآن) [أمر]ت ان اقرأ عليكم القرآن (فمن اهتدى) آمن بما فى القرآن (فانمـا يهتدى)يؤمن (لنفسـه) ثواب ذلك لنفسـه (ومن [ض]ل) كفر بالقرآن (فقل) يا محمد (انما أنا من المنذرين) المخوفين من النار بالقرآن ثم أمره بعد ذلك بالقتال فقال

(و قل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته في الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر و الدخان وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا (وما ربك بغافل عما تعملون) بالتاء مدني وشامي وحفص و يعقوب خطاب لاهل مكة وباليا

﴿ وقل الحمد لله ﴾ على نعمة النبوة أو على ما علمني ووفقني للعمل به ﴿ سيريكم آياته ﴾ القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض أو في الآخرة ﴿ فتعرفونها ﴾ فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك ﴾ بقراءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى

نسختها آية القتال ﴿ وقل الحمد لله ﴾ أي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار ﴿ سيريكم آياته ﴾ الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما أراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته في السموات والارض وفي انفسكم ﴿ فتعرفونها ﴾ أي فتعرفون الآيات والدلالات ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة القصص وهي مكية الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون آية وأربعمائة واحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قوله عز وجل ﴿ طسم تلك ﴾ اشارة الى آيات السورة ﴿ آيات الكتاب المبين ﴾ قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ نتلوا عليك

غيرهم أي كل عمل تعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه

سورة القصص مكية ثمانون وثمان آيات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين ﴾ يقال بان الشئ وأبان بمعنى واحد ويقال ابنته فأبان لازم و متعد أي مبين خيره و بركته او مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والاخلاص والتوحيد (نتلوا عليك) نقرأ عليك أي يقرؤه جبريل بامرنا ومفعول نتلو

(وقل) يا محمد (الحمد لله) الشكر لله والوحدانية لله (سيريكم آياته) علامات وحدانيته وقدرته بالعذاب يوم بدر (فتعرفونها) فتعلمون أن ما يقول لكم محمد عليه السلام حق وصدق (وما ربك بغافل) ساه (عما تعملون) في الكفر و الشرك يعني كفار قريش هذا وعيد لهم من الله في الكفر والشرك ويقال بتارك عقوبة ما تعملون من المكر والخيانة والفساد

ومن السورة التي يذكر فيها القصص وهي كلها مكية الا قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فانها نزلت بالجحفة بين مكة والمدينة آياتها ثمان وثمانون وكلها أربعمائة واحدى واربعون وحروفها خمسة آلاف وثمانمائة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (طسم) الطاء طوله وقدرته والسين سناؤه ورفعته و ملكه ويقال قسم أقسم به (تلك آيات الكتاب المبين) ان هذه السورة آيات القرآن المبين بالحلال والحرام والامر والنهي (نتلوا عل

(من نبأ موسى وفرعون) أي نتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) حال أي محقين (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا انه مؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون (علا) طغى وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية (في الارض) أي أرض مملكته يعني مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه أو فرقا مختلفة يكرم طائفة ويهين أخرى فاكرم القبطي وأهان الاسرائيلي (يستضعف طائفة منهم) هم بنو اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) أي يترك البنات احياء للخدمة وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فانه ان

صدق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فلا معنى القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف (انه كان من المفسدين) أي ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (ونريد أن نمن) نتفضل وهو دليل لنا في مسئلة الاصلح وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصه أو حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وارادة الله تعالى كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم (على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) قادة يقتدى بهم في الخير او قادة الى الخير او ولاة وملوكا

نتلو عليك ﴿ من نبأ موسى وفرعون ﴾ بعض نبئهما مفعول نتلو ﴿ بالحق ﴾ محقين ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم المنتفعون به ﴿ ان فرعون علا في الارض ﴾ استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر ﴿ وجعل اهلها شيعا ﴾ فرقا يشيعونه فيما يريد أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل أو احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ وهم بنو أسرائيل والجملة حال من فاعل جعل أو صفة شيعا أو استئناف وقوله ﴿ يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم ﴾ بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه ﴿ انه كان من المفسدين ﴾ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ﴿ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ﴾ ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ أو حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن ﴿ ونجعلهم أئمة ﴾ مقدمين في امر الدارين

من نبأ ﴾ أي خبر ﴿ موسى وفرعون بالحق ﴾ أي بالصدق ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أي يصدقون بالقرآن ﴿ ان فرعون علا ﴾ أي تجبر وتكبر ﴿ في الارض ﴾ أي أرض مصر ﴿ وجعل اهلها شيعا ﴾ أي فرقا في أنواع الخدمة والتسخير ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ يعني بني اسرائيل ﴿ يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ﴾ سمى هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم ﴿ انه كان من المفسدين ﴾ أي بالقتل والتجبر في الارض ﴿ ونريد أن نمن ﴾ أي ننعم ﴿ على الذين استضعفوا في الارض ﴾ يعني بني اسرائيل ﴿ ونجعلهم أئمة ﴾ أي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة ملوكا

من نبأ موسى وفرعون بالحق) بالقرآن (لقوم يؤمنون) يصدقون بك وبالقرآن (ان فرعون علا) خالف وتجبر وكفر (في الارض) أرض مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا فرقا (يستضعف) يقهر (طائفة منهم) من بني اسرائيل (يذبح أبناءهم) صغارا (ويستحيي نساءهم) يستخدمهم كبارا (انه كان من المفسدين) في كفره بالقتل والدعاء الى غير عبادة الله (ونريد) بارسال موسى اليهم وهلاكهم (أن نمن) ننزلهم بالنجاة (على الذين استضعفوا) قهروا وهم بنو اسرائيل (في الارض) أرض مصر (ونجعلهم أئمة) قادة في الخير

(ونجعلهم الوارثين) أي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (ونمكن) مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم في الارض) أي أرض مصر والشام أن نجعلها بحيث لا تنبو بهم ونسلطهم وننفذ أمرهم (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) غيرهما النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء ورفع فرعون وما بعده على وحمزة أي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون أو رفع على الاستئناف (منهم) من بني اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقي من الضرر (واوحينا الى ام موسى) بالالهام او بالرؤيا او باخبار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحي رسالة ولا تكون هي رسولا (ان ارضعيه) ان بمعنى أي أو مصدرية (فاذا خفت عليه) من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه (فالقيه في اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولا تخافي) من الغرق والضياع (ولا تحزني) بفراقه (انا رادوه اليك) بوجه لطيف لتربيته (وجاعلوه من المرسلين) وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده اليها وجعله

﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لما كان في ملك فرعون وقومه ﴿ونمكن لهم في الارض﴾ ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل لشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ من بني اسرائيل ﴿ما كانوا يحذرون﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع ﴿واوحينا الى ام موسى﴾ بالهام او رؤيا ﴿ان ارضعيه﴾ ما امكنك اخفاؤه ﴿فاذا خفت عليه﴾ بان يحس به ﴿فالقيه في اليم﴾ في البحر يريد النيل ﴿ولا تخافي﴾ عليه ضيعة ولا شدة ﴿ولا تحزني﴾ لفراقه ﴿انا رادوه اليك﴾ عن قريب بحيث تأمنين عليه ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت

﴿ونجعلهم الوارثين﴾ يعني املاك فرعون وقومه بان نجعلهم في مساكنهم ﴿ونمكن لهم في الارض﴾ أي نوطن لهم أرض مصر والشام ونجعلها لهم سكنا ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ أي يخافون وذلك انهم أخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل وكانوا على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون * قوله تعالى ﴿واوحينا الى أم موسى﴾ هو وحي الهام وذلك بان قذف في قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوى بن يعقوب ﴿ان أرضعيه﴾ قيل أرضعته ثمانية أشهر وقيل أربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها ﴿فاذا خفت عليه﴾ أي الذبح ﴿فالقيه في اليم﴾ أي في بحر وأراد به نيل مصر ﴿ولا تخافي﴾ أي عليه من الغرق وقيل الضيعة ﴿ولا تحزني﴾ أي على فراقه ﴿انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾ قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها وقالت انها قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي اليوم فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها ياهذه ما جئت اليك حين دعوتني الا ومن ورائي قتل ولدك ولكن وجدت

(ونجعلهم الوارثين) وارثي أرض مصر (ونمكن لهم) ونملكهم (في الارض) أرض مصر (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) جموعهما (منهم) من موسى وبني اسرائيل (لابنك) (ما كانوا يحذرون) من ذهاب الملك (وأوحينا الى أم موسى) ألهمنا أم موسى يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب (أن أرضعيه) أن ارضعي هذا الصبي (فاذا خفت عليه) أن يضيع (فألقيه في اليم) فاطرحيه في التابوت والتابوت في البحر (ولا تخافي) من الغرق (ولا تحزني) من الضيعة أن لا يرد اليك (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) الى فرعون وقومه

مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل

لابنك حبا ماوجدت حب شئ مثل حبه فاحفظى ابنك فانى أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤا الى بابها ليدخلوا الى أم موسى فقالت أخته ياأماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة وألقته فى التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ماأدخل القابلة قالت هى مصافية لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فأين الصبى فقالت لاأدرى فسمعت بكاء الصبى فى التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان أم موسى لمارأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله فى قلبها أن تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت فى النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ماتصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لى أخبؤه فى التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلمااشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر أم موسى فلماهم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الامناء مايقول فلماأعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلماانتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه وأخرجوه وبقى حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره أن لايدل عليه وأن يكون معه فيحفظه حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب دلنى على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لماحملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله تعالى وذلك شئ ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الامين ففتش النساء تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لاتتعرض لها فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولارقيب عليها ولاقابلة ولم يطلع عليها أحد الاأخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذاخفت عليه فالقيه فى اليم فكتمته ثلاثة أشهر فلماخافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم ألقته فى اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا فى أمرها فقالوا أيها الملك لاتبرأ الامن قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا فى ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت

من المرسلين وروى انه ذبح فى طلب موسى تسعون ألف وليد وروى انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى اسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ماجئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت القابلة جاءت عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ماتصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيأ فخرجوا وهى لاتدرى مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما الح فرعون فى طلب الولدان اوحى اليها بالقائه فى اليم فالقته فى اليم بعد ان ارضعته ثلاثة اشهر

{فالتقطه آل فرعون} أخذه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا) أى ليصير الامر الى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ماتلده الوالدة وهى لم تلد لان يموت ولدها ولكن المصير الى ذاك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشاف هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمنى ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجئ (وحزنا) وحزنا على وحزة وهما لغتان كالعدم والعدم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطين تخفيف خاطئين أبو جعفر أى كانوا مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين فى كل شئ فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك) روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبى نوره بين عينيه فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت الى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومه هو الذى تحذر منه فأذن لنا فى قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لى ولك فقال فرعون لك لا لى وفى الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرة خبر مبتدأ محذوف أى هو قرة ولى ولك صفتان لقرة {لا تقتلوه}

﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهو قراءة حمزة والكسائى ﴿ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ فى كل شئ فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ ﴿وقالت امرأت فرعون﴾ اى لفرعون حين اخرجته من التابوت ﴿قرة عين لى ولك﴾ هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه أو لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحرى يشبه

فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا لشئ فى البحر قد تعلق بالشجر ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هى بصبى صغير فى التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمص منه لبنا فالقى الله محبته فى قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبى من التابوت عمدت الى ما يسيل من أشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا رمى به فى البحر فزعا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أى فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه فى الماء والشجر لان مو هو الماء وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الالتقاط وجود الشئ من غير طلب ﴿ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ أى عاقبة أمرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ﴿ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أى آثمين وقيل هو من الخطأ ومعناه انهم لم يشعروا انه الذى يذهب بملكهم ﴿وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك﴾

(فالتقطه) فرفعه (آل فرعون) جوارى فرعون من بين الماء والشجر فاخذته وذهبن به الى امرأة فرعون (ليكون لهم عدوا) من بعد ما يجئ اليهم بالرسالة (وحزنا) بذهاب ملكهم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) مشركين (وقالت امرأت فرعون) آسية بنت مزاحم وكانت عمة موسى (قرة عين لى) هذا الغلام (ولك)

(لاتقتلوه) خاطبها خطاب الملوك أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء (او نتخذه ولدا) ونتبناه فانه أهل لان يكون ولدا للملوك (وهم لايشعرون) حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لايشعرون انهم على خطأ عظيم فى التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعانى والبيان (وأصبح) وصار (فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه فى يد فرعون (ان كادت لتبدى به) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وأنه ولدها قيل لما رأت الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول وا ابناه وقيل لما سمعت ان فرعون أخذ التابوت لم تشك انه يقتله فكادت تقول وا ابناه شفقة عليه وان مخففة من الثقيلة أى انها كادت (لولا أن ربطنا على قلبها) لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته بالهام الصبر (لتكون من المؤمنين)

الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفى الحديث انه قال لك لالى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله كما هداها ﴿لاتقتلوه﴾ خطاب بلفظ الجمع للتعظيم ﴿عسى ان ينفعنا﴾ فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه ﴿أو نتخذه ولدا﴾ أو نتبناه فانه اهل له ﴿وهم لايشعرون﴾ حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له اى وهم لايشعرون انهم على الخطأ فى التقاطه أو فى طمع النفع منه والتبنى له أو من احد ضميرى نتخذه على ان الضمير للناس أى وهم لايشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه ﴿واصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾ صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اى خلاء لاعقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر اومن الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ﴿ان كادت لتبدى به﴾ انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته من فرط الضجرة أو الفرح بتبنيه ﴿لولا ان ربطنا على قلبها﴾ بالصبر والثبات ﴿لتكون من المؤمنين﴾ من المصدقين بوعد الله أو من

لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لايشعرون ﴾ قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبرانى من الاعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهى قاعدة الى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح الولدان هذه السنة فدعه يكون عندى وقيل انها قالت انه أتانا من أرض أخرى وليس هو من بنى اسرائيل فاستحياه فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال فى موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذى كتبه الله عليه ❊ قوله تعالى ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ﴾ أى خاليا من كل شئ الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحى الذى أوحى الله عز وجل اليها حين أمرها أن تلقيه فى اليم ولاتخاف ولاتحزن والعهد الذى عهد اليها أن يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته فى البحر وأغرقته ولما أتاها الخبر بان فرعون أصابه فى النيل قالت انه قد وقع فى يد عدوه الذى فررت منه فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها ﴿ ان كادت لتبدى به ﴾ أى لتصرح بانه ابنها من شدة وجلها قال ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقيل لما رأت التابوت ترفعه موجة وتحطه أخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى بن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابنى وقيل كادت تبدى بالوحى الذى أوحى الله اليها أن يرده عليها ﴿ لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ أى بالعصمة والصبر والتثبيت ﴿ لتكون من المؤمنين ﴾ أى من المصدقين بوعد الله اياها

بافرعون (لاتقتلوه عسى أن ينفعنا) فى ضيعتنا (أو نتخذه ولدا) أو نتبناه (وهم لا يشعرون) بنو اسرائيل لايعلمون انه ليس منا ويقال وهم لايشعرون ان هلاكهم على يديه (وأصبح فؤاد أم موسى) صار قلب أم موسى بوحانذ (فارغا) من كل هم وذكر الاهم موسى وذكر موسى (ان كادت) قد كادت (لتبدى به) لتظهر به تقول هذا ابنى بعدما انتسب به الى فرعون (لولا أن ربطنا) حفظنا (على قلبها) بالصبر (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله ان يكون

من المصدقين بوعدنا وهو ما رادوه اليك وجواب لولا محذوف أى لابدته أو فرغا من الهم حين سمعت ان فرعون تبناه ان كادت لتبدى انه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذى حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبنى فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعى أثره تتعلمى خبره (فبصرت به) أى أبصرته (عن جنب) عن بعد حال من الضمير فى به أو من الضمير فى بصرت (وهم لا يشعرون) انها أخته (وحرمنا عليه المراضع) تحريم منع لا تحريم شرع أى منعناه أن يرضع ثديا غير ثدى أمه وكان لا يقبل ثدى مرضع حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدى أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها أثره أو من قبل أن ترده على أمه (فقالت) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا (هل أدلكم) أرشدكم (على أهل بيت يكفلونه) أى موسى (لكم وهم له ناصحون) النصح اخلاص العمل من شائبة الفساد روى انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فخذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى أمها بأمرهم فجاءت (فيها) بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس

الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة فى جار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله ﴿وقالت لاخته﴾ مريم ﴿قصيه﴾ اتبعى أثره وتتبعى خبره ﴿فبصرت به عن جنب﴾ عن بعد وقرئ عن جانب وهو بمعناه ﴿وهم لا يشعرون﴾ انها تقص أو انها اخته ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ ومعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه يعنى الثدى ﴿من قبل﴾ من قبل قصصها اثره ﴿فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم﴾ لاجلكم ﴿وهم له ناصحون﴾ لا يقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتى بمن يكفله فأتت بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى

﴿وقالت لاخته﴾ أى لمريم أخت موسى ﴿قصيه﴾ أى اتبعى أثره حتى تعطى خبره ﴿فبصرت به عن جنب﴾ أى عن بعد قيل كانت تمشى جانبا وتنظره اختلاسا ترى انها لا تنظره ﴿وهم لا يشعرون﴾ انها أخته وانها ترقبه ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم فى طلب من يرضعه لهم ﴿من قبل﴾ أى قبل مجىء أم موسى وذلك لما رأته أخت موسى التى أرسلتها أمه فى طلب ذلك ﴿فقالت﴾ يعنى أخت موسى ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ أى يضمونه ويرضعونه وهى امرأة قتل ولدها فاحب ما تدعى اليه أن تجد صغيرا ترضعه ﴿وهم له ناصحون﴾ أى لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته وغذائه والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ما أعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة فى سرور الملك واتصالنا به وقيل قالوا من هم قالت أمى قالوا أو لامك ولد قالت نعم هرون وكان هرون ولد فى السنة التى لا يقتل

من المرسلين (وقالت) يعنى أم موسى (لاخته) لاخت موسى تسمى مريم (قصيه) اتبعى أثره (فبصرت به) بالغلام (عن جنب) عن بعد (وهم لا يشعرون) لا يعلمون انها أخت موسى (وحرمنا عليه) على موسى (المراضع) ألبان النساء (من قبل) من قبل مجى أمه (فقالت) أخت موسى لآل فرعون (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) يرضعونه لكم هذا الغلام (وهم له ناصحون) حافظون بالتربية فدلت على أمه

الأفبلى فـدمه اليها يجرى عـه رجعت الى ابنه عن وجهها وهو ...
الى امه كى تقر عينها ﴾ بؤاده ﴿ ولا تحزن ﴾ بفراقه ﴿ ولتعلم ان وعد الله حق ﴾
علم مشاهدة ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ ان وعده حق فيرتابون فيه وان الغرض
الاصلى من الرد عليها بذلك وماسواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى
يد فرعون ﴿ ولما بلغ اشده ﴾ مبلغه الذى لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين
سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين ﴿ واستوى ﴾
قدره او عقله ﴿ آتيناه حكما ﴾ اى نبوة ﴿ وعلما ﴾ بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم
قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد
الهجرة فى المراجعة ﴿ وكذلك ﴾ مثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه ﴿ نجزى المحسنين ﴾
على احسانهم ﴿ ودخل المدينة ﴾ ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل من منف
او حابين او عين شمس من نواحيها ﴿ على حين غفلة من اهلها ﴾ فى وقت لا يعتاد

فيها قالوا صدقت فأتينا بها فانطلقت اليها واخبرتها بحال ابنها وجاءت بها
اليهم فلما وجد الصبى ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا فلم ثاروا
يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى ﴿ فرددناه الى امه كى تقر عينها ﴾ اى برد
موسى اليها ﴿ ولا تحزن ﴾ اى ولئلا تحزن ﴿ ولتعلم ان وعد الله حق ﴾ اى برده اليها
﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ ان الله وعدها ان يرده اليها ﴿ ولما بلغ اشده ﴾
قيل الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة ﴿ واستوى ﴾
اى بلغ اربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل ﴿ آتيناه حكما وعلما ﴾
اى عقلا وفهما فى الدين فعلم وحكم موسى قبل ان يبعث نبيا ﴿ وكذلك نجزى المحسنين ﴾
✽ قوله تعالى ﴿ ودخل المدينة ﴾ يعنى مصر والمدينة قيل هى منف من ارض
مصر وقيل هى قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هى مدينة
عين شمس ﴿ على حين غفلة من اهلها ﴾ قيل هى نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة
وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت ان موسى

التقم ثديها ... فرعون ... أنت ... أفى كل ... امرأة ...
وتتبعى الاقبال ... وأجرى عليها وذهبت على ابنها وأجر الله ... ثبت ... فى
ما المسكون ... قوله فرددناه الى امه كى تقر عينها) بالقائه ... ولا تحزن) ... وان وعد الله حق) اى
يثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تقر ... الحزن من الدينار كل
يوم كما قال السدى لانه ما حرم ... اجرة على ارضاع ولدها ولكن اكثرهم لا يعلمون) ... علمها اى
ان وعده حق ... لا يعلمون ... حتى يرتابون
وشبه التعريض بما فرط
منها حين سمعت بخبر
موسى فجزعت (ولما
بلغ أشده) بلغ موسى
نهاية القوة وتمام العقل
وهو جمع شدة كنعمة
وأنعم عند سيبويه
(واستوى) واعتدل وتم
استحكامه وهو اربعون
سنة ويروى انه لم يبعث
نبى الا على رأس أربعين
سنة (آتيناه حكما) نبوة
(وعلما) فقها او علما
بمصالح الدارين (وكذلك
نجزى المحسنين) اى كما
فعلنا بموسى وامه نفعل
بالمؤمنين قال الزجاج جعل
الله تعالى ايتاء العلم والحكمة
مجازاة على الاحسان
لانهما يؤديان الى الجنة
التى هى جزاء المحسنين
والعالم الحكيم من يعمل
بعلمه لانه تعالى قال ولبئس
ما شروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون فجعلهم جهالا اذلم يعملوا بالعلم (نوخا ٧٠ ع) (ودخل المدينة) يعنى مصر (على حين غفلة من اهلها) ... الى ...
هو ما بين العشاءين او وقت القائلة يعنى انتصاف النهار وقيل الشتاء ... الحق ... فخافوه ... دخل ...
فرددناه الى امه كى تقر عينها) تطيب نفسها ... (ولا تحزن) على موسى (ولتعلم ان وعد الله) برده اليها (حق) ...
ولكن اكثرهم) يعنى اهل مصر (لا يعلمون) ذلك ... (ولما بلغ اشده) ثمانى عشرة سنة (واستوى) ... اربعين
سنة (آتيناه) اعطيناه (حكما) فهما (وعلما) نبوة (وكذلك) هكذا (نجزى المحسنين) ... بالعلم
والحكمة (ودخل المدينة على حين غفلة) اشتغال (من اهلها) عند القيلولة ويقال بين الصلاة

لاعلى تغفل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) ممن شايعه على دينه من بنى اسرائيل قيل هو السامرى و

الى ... وأنصاره (وهذا من عدوه) من مخالفيه من القبط و

دخل ... لايتوقعونه فيه قيل من وقت القيلولة وقيل بين العشاءين ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ﴾ أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ﴾ فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه ﴿ فوكزه موسى ﴾ فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره ﴿ فقضى عليه ﴾ فقتله واصله فأنهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر ﴿ قال هذا من عمل الشيطان ﴾ لانه لم يؤمر بقتل الكفار اولانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم

كان يسمى ابن فرعون وكان يركب فى مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره فادركه المقيل بأرض منف فدخلها وليس فى أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعة من بنى اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ماهو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم فى دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لايدخل قرية الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا فى صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر باخراجه من مدينته فاخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعنى عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به وعن على انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان ﴾ أى يتخاصمان ويتنازعان ﴿ هذا من شيعته ﴾ أى من بنى اسرائيل ﴿ وهذا من عدوه ﴾ أى من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذى كان من الشيعة هو السامرى والذى من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطى يريد ان يأخذ الاسرائيلى يحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته ﴾ يعنى الاسرائيلى ﴿ على الذى من عدوه ﴾ يعنى الفرعونى والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله أن يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعونى خل سبيله فقال انما أخذته يحمل الحطب الى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعونى لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة ﴿ فوكزه موسى ﴾ أى ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب فى الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع ﴿ فقضى عليه ﴾ أى قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه فى الرمل ﴿ قال هذا من عمل الشيطان ﴾

... (هذا من شيعته) (وهذا من عدوه) (فاستغاثه) فاستنصره (الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى) ضربه بجمع كفه أو باطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه كان مستأمنا فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربى المستأمن أو لانه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل وعن ابن جريج ليس لنبى أن يقتل مالم

المغرب (فوجد فيها) فى المدينة (رجلين) اسرائيليا وقبطيا (يقتتلان) يتنازعان ويتحاربان بينهما (هذا من شيعته) من شيعة موسى الاسرائيلى (وهذا من عدوه) من عدو موسى القبطى (فاستغاثه الذى من شيعته) من شيعة موسى (على الذى من عدوه) ... (فوكزه موسى) بجمع موسى أصابعه وقبض عليها فلكزه لكزة (فقضى عليه) الموت فخر ميتا (قال) موسى (هذا من عمل الشيطان) بأمر ﴿ انه ﴾

من ربه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب) يارب (انى ظلمت نفسى) بفعل صار قتلا (فاغفرلى)
ذنبى (فغفرله) زلته (انه هو الغفور) باقالة الزلل (الرحيم) بازالة الخجل (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا) معينا
للمجرمين) الكافرين ربما أنعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بانعامك على بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين
استعطاف كأنه قال رب اعصمنى بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون

في استعظام محقرات فرطت منهم ﴿انه عدو مضل مبين﴾ ظاهر العداوة ﴿قال رب انى ظلمت نفسى﴾ بقتله ﴿فاغفرلى﴾ ذنبى ﴿فغفرله﴾ باستغفاره ﴿انه هو الغفور﴾ لذنوب عباده ﴿الرحيم﴾ بهم ﴿قال رب بما انعمت على﴾ قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لأتوبن ﴿فلن اكون ظهيرا للمجرمين﴾ او استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعين اوليائك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك ﴿فاصبح فى المدينة خائفا يترقب﴾ يترصد الاستقادة ﴿فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه﴾ يستغيثه مشتق من الصراخ ﴿قال له موسى انك لغوى مبين﴾ مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل

انه عدو مضل مبين﴾ أى بين الضلالة وقيل فى قوله هذا اشارة الى المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعنى انه من جند الشيطان وحزبه ﴿قال رب انى ظلمت نفسى﴾ أى بقتل القبطى من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب * وقوله ﴿فاغفرلى﴾ أى ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد رب انى ظلمت نفسى حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به فقال فاغفرلى أى فاستره على ولا توصل خبره الى فرعون ﴿فغفرله﴾ أى فستره عن الوصول الى فرعون ﴿انه هو الغفور الرحيم قال رب بما﴾ أى بالمغفرة والستر الذى ﴿أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾ معناه فانا لا أكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على ان الاسرائيلى الذى اعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلى فى اليوم الثانى أى لم يقل فلم أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين ﴿فاصبح فى المدينة﴾ أى التى قتل فيها القبطى ﴿خائفا يترقب﴾ أى ينتظر سوأ والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به ﴿فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه﴾ أى يستغيث به من بعد قال ابن عباس أتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينماهم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطى ﴿قال له موسى﴾ للاسرائيلى ﴿انك لغوى مبين﴾ أى ظاهر الغواية قاتلت

ان يستثنى ظهير للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه فى جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد (فاصبح فى المدينة خائفا) على نفسه من قتله القبطى أن يؤخذ به (يترقب) حال أى يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه أو الاخبار أو ما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله (فاذا الذى) اذا للمفاجأة وما بعدها مبتدأ (استنصره) أى موسى (بالامس يستصرخه) يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلى الذى خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطى آخر (قال له موسى) أى الاسرائيلى (انك لغوى مبين) أى

الشيطان (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة وندم على قتله (قال رب انى ظلمت نفسى) بقتل النفس (فاغفرلى) ذنبى تجاوز عنى (فغفرله انه هو الغفور) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (قال رب بما أنعمت على) مننت على بالمعرفة والتوحيد والمغفرة (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) فلا تجعلنى عونا للمشركين لفرعون وقومه (فأصبح) فصار (فى المدينة خائفا) من قتل القبطى (يترقب) ينتظر متى يؤخذ به (فاذا الذى استنصره) استعان به (بالامس) على القبطى (يستصرخه) يستغيثه على آخر من القبط (قال له) للاسرائيلى (موسى انك لغوى مبين) مخاذل بين

ضال عن الرشد ... لقد قتلت بالأمس رجلا قتلته بسببك ويرشد في التدبير أن لا يفعل فعلا يفضي الى البلاء
... (فلما أن أراد) موسى (أن يبطش بالذي) هو القبطي الذي (هو عدو لهما) لموسى وللاسرائيلي
لأنه ليس على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني اسرائيل (قال) الاسرائيلي وهو عليه السلام وتوهم أنه أراد أخذه
لا لبطش ... لما رأى من غضبه ... (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا) يعني القبطي (بالأمس إن تريد) ما تريد
(إلا أن تكون جبارا) أي ... (في الأرض) أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين) في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالأمس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفشى على موسى عليه السلام علم القبطي أن قاتله موسى وخبر فرعون فهموا بقتله (وجاء رجل من أقصى المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسعى) صفة لرجل أو حال من رجل لأنه وصف بقوله من أقصى المدينة (قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك

آخر فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ﴿موسى والاسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني اسرائيل ﴿قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس﴾ قاله الاسرائيلي لأنه ظن أن موسى يريد أن يبطش به ... وكأنه توهم من قوله ... الذي قتل القبطي بالأمس ... الاسرائيلي ﴿إن تريد﴾ ما تريد ﴿إلا أن تكون جبارا في الأرض﴾ ... ولا تنظر في العواقب ﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن ... هذا الأمر حديث وارتقى الى فرعون وهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ يسرع صفة لرجل وحال منه إذ جعل من أقصى المدينة صفة له لا صلة ... ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ ... يتشاورون ... كلا

رجلا بالأمس قتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾ وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة للاسرائيلي فمد يده ليبطش بالقبطي فظن الاسرائيلي أنه يريد أن يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله إنك لغوي مبين ﴿قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس﴾ معناه أنه لم يكن علم أحد من قوم فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفشى عليه الاسرائيلي ذلك فسمعه القبطي فأتى فرعون فأخبره بذلك ﴿إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض﴾ أي بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعظم ولا يتواضع لأمر الله تعالى ﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ ولما فشا أن موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال إنه مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ أي يسرع في مشيه وأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى فأخبره وأنذره حتى أخذ ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك﴾ أي يتشاورون فيك ﴿ليقتلوك﴾ وقيل يأمر بعضهم بعضا بقتلك

الجدال ... وقيل عند فرعون (فلما أن أراد أن يبطش) ... أخذ (بالذي هو عدو لهما) القبطي ظن الاسرائيلي أنه يريده (قال) أي الاسرائيلي (يا موسى أتريد أن تقتلني) اليوم (كما قتلت نفسا) قبطيا (بالأمس إن تريد) ما تريد (إلا أن تكون جبارا) قتالا (في الأرض) أي أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين) من المتورعين ... فخرج ... الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ... (وجاء رجل) وهو حزقيل (من أقصى المدينة) من أسفل المدينة وقيل من وسط المدينة (يسعى) أي يسرع ويشتد في مشيه (قال يا موسى إن الملأ) أي الملأ (يأتمرون بك) اتفقوا عليك (ليقتلوك)

أو يتشاورون بسببك والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشئ أو يشير عليه بأمر (فاخرج) من المدينة (إني لك من الناصحين) لك بيان وليس صلة الناصحين لأن الصلة لا تتقدم على الموصول كأنه قال إني من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما في سقيا لك ومرحبا بك (فخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترقب) تعرض له في الطريق أو أن يلحقه من يقتله (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي قوم فرعون

(ولما توجه تلقاء مدين) نحوها وتوجه أقبل ... ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به إلى مدين (ولما ورد) وصل (ماء مدين) ماءهم الذي يستقون منه وكان بئرا (وجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من أناس مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تطردان غنمهما عن الماء لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقي أو لئلا تختلط غنمهما بغنمهم والذود الطرد والدفع

من المتشاورين بأمر الآخر ويأتمر ﴿فاخرج إني لك من الناصحين﴾ اللام للبيان وليس صلة للناصحين لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول ﴿فخرج منها﴾ من المدينة ﴿خائفا يترقب﴾ لحوق طالب ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ قبالة مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في الآخرين ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها ﴿وجد عليه﴾ وجد فوق شفيرها ﴿أمة من الناس﴾ جماعة كثيرة مختلفين ﴿يسقون﴾ مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ في مكان أسفل من مكانهم ﴿امرأتين تذودان﴾ تمنعان أغنامهما من الماء لئلا

﴿فاخرج﴾ أي من المدينة ﴿إني لك من الناصحين﴾ أي في الأمر بالخروج ﴿فخرج منها﴾ يعني موسى ﴿خائفا﴾ على نفسه من آل فرعون ﴿يترقب﴾ أي ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ إلى الله تعالى لعلمه أنه لا ملجأ إلا إليه ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ أي الكافرين ❊ قوله تعالى ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي قصد نحوها ماضيا إليها قيل لأنه وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأن أهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى رأى خضرته في بطنه وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ أي قصد الطريق إلى مدين وذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به إلى مدين ❊ قوله عز وجل ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم ﴿وجد عليه﴾ أي على الماء ﴿أمة﴾ أي جماعة ﴿من الناس يسقون﴾ أي مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ أي سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة ﴿امرأتين تذودان﴾ أي تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس

فاخرج من المدينة (إني لك من الناصحين) أي من المشفقين (فخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترقب) ينتظر ويلتفت متى يلحق ويؤخذ (قال) عند ذلك (رب نجني من القوم الظالمين) أهل مصر (ولما توجه تلقاء مدين) سار نحو مدين خاف أن يخطئ الطريق (قال عسى) لعل (ربي أن يهديني) أن يرشدني (سواء السبيل) قصد الطريق نحو مدين (ولما ورد) بلغ (ماء مدين) وهو بئر (وجد عليه) على الماء (أمة) جماعة (من الناس) أربعين رجلا (يسقون) أغنامهم (ووجد من دونهم) من ورائهم (امرأتين تذودان) تحبسان غنمهما عن الماء من ضعفهما حتى يفرغ القوم

(قال ماخطبكما) ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما اى ما مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطبا (قالتا لانسقى) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) وبضم الياء يصدر شامى ويزيد وأبو عمرو أى يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبونا شيخ) لا يمكنه سقى الاغنام (كبير) فى السن لا يقدر على رعى الغنم أبدتا اليه عذرهما فى توليهما السقى بأنفسهما (فسقى لهما) فسقى غنمهما لاجلهما رغبة فى المعروف واغاثة للملهوف روى انه نحى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وترك المفعول فى يسقون وتذودان ولانسقى وفسقى لان الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذا فى لانسقى وفسقى فالمقصود هو السقى لا المسقى ووجه مطابقة جوابهما سؤاله انه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب فى ذلك انا امرأتان مستورتان ضعيفتان لانقدر على مزاحمة الرجال ونستحى من الاختلاط بهم فلا بد لنا من تأخير السقى الى ان يفرغوا وانما رضى شعيب عليه السلام لابنتيه بسقى الماشية لان هذا الامر فى نفسه ليس بمحظور والدين لا يأباه وأما المروءة فعادات الناس فى ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثم تولى الى الظل) أى ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة فى الدنيا (القصص) بخلاف ما يقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه انس بالشكوى اذ لانقص فى الشكوى الى المولى (فقال رب انى لما) لاى شئ (أنزلت الى من خير) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) محتاج وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى

لئلا تختلط بغنامهم ﴿قال ما خطبكما﴾ ما شأنكما تذودان ﴿قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء﴾ يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقى لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اى ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال ﴿وابونا شيخ كبير﴾ كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا ﴿فسقى لهما﴾ مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ﴿ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت الى﴾ لاى شئ انزلت الى ﴿من خير﴾ قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام ﴿فقير﴾ محتاج

وتخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط باغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن ان تند وتذهب والقول الاول أولى لما بعده وهو قوله ﴿ قال ﴾ يعنى موسى للمرأتين ﴿ما خطبكما﴾ أى ما شأنكما لاتسقيان مواشيكما مع الناس ﴿قالتا لانسقى﴾ أى أغنامنا ﴿ حتى يصدر الرعاء ﴾ أى حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى انا امرأتان لانستطيع أن نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا نحن مواشينا من فضل ما بقى منهم فى الحوض ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ أى لا يقدر أن يسقى مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقى الغنم قيل أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو بيرون ابن أخى شعيب وكان شعيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت فذلك قوله تعالى ﴿فسقى لهما ثم تولى الى الظل﴾ أى عدل الى أصل شجرة فجلس فى ظلها من شدة الحر وهو جائع ﴿ فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير﴾ معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس ان موسى سأل الله فلقة خبز يقيم بها صلبه وعن ابن عباس قال

(قال) لهما موسى (ماخطبكما) ما بالكما لاتسقيان غنمكما (قالتا لانسقى) لانقدر أن نسقى غنمنا (حتى يصدر الرعاء) حتى يفرغ القوم ثم نسقى (وأبونا شيخ كبير) ليس له أحد يعينه غيرنا (فسقى لهما) فسقى موسى غنمهما وذهبتا الى أبيهما فأخبرتاه باهتمام خبر موسى (ثم تولى) موسى (الى الظل) ظل الشجرة ويقال ظل حائط ويقال كن (فقال) موسى (رب انى لما أنزلت الى) ما قدرت لى (من خير) من طعام (فقير)

سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق بظهره بطنه ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الانوار (فجاءته احداهما تمشى على

استحيء لنا) على استحياء فى موضع الحال أى مستحية وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لا فأتته مستحية قد استترت بكم درعها وما فى ما سقيت مصدرية أى جزاء سقيك روى انهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى فتبعها موسى عليه السلام فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق (فلما جاءه وقص عليه القصص) أى قصته وأحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص (قال) له (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) اذ لا سلطان لفرعون بارضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أنثى والمشى مع أجنبية (فجاءته احداهما) وهى الصغرى واسمها صفورا (تمشى على استحياء) معرضة رافعة كمها الى وجهها كمشى العذارى واضعة يدها على وجهها (قالت ان أبى يدعوك ليجزيك) ليعطيك (أجر ما سقيت لنا) عوض ما سقيت لنا غنمنا (فلما جاءه) موسى الى أبيها يثرون بن أخى شعيب وقد مات شعيب قبل ذلك (وقص عليه) على يثرون (القصص) فراره من فرعون وغير ذلك (قال) له يثرون (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) أهل مصر

سائل وذلك عدى باللام وقيل معناه انى لما أنزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك ﴿فجاءته احداهما تمشى على استحياء﴾ اى مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهى التى تزوجها موسى ﴿قالت ان ابى يدعوك ليجزيك﴾ ليكافئك ﴿اجر ما سقيت لنا﴾ جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر بل روى انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذا عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدى بشئ لم يحرم اخذه ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يريد فرعون وقومه

لقد قال موسى رب انى لما أنزلت الى من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه الى قال الله تعالى ﴿ فجاءته احداهما تمشى على استحياء ﴾ قيل هى الكبرى واسمها صفوراء وقيل صفراء وقيل بل هى الصغرى واسمها ليا وقيل صفيراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت منه لانها دعته لتكافئه وقيل لانها رسول أبيها ﴿ قالت ان ابى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ قيل لما سمع موسى ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق اذا أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس يافتى فتعش فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك ألست بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يافتى ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس وأكل فذلك قوله عز وجل ﴿ فلما جاءه ﴾ أى موسى ﴿ وقص عليه القصص ﴾ أى أخبره بامره أجمع من نسبه وولادته وقتله القبطى وقصد فرعون قتله ﴿ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ يعنى

مع الاجنبية بعد ما لحقها من الخوف وأخذ الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا بأس به عند الحاجة كما كان
لموسى عليه السلام على ان الصحيح انه قالت ليجزيك كرهه ذلك وانما أجابها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد حرمة ولما
وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألست جائعا قال بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وانا
من أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فأكل
(قالت احداهما يا أبت استأجره) اتخذه أجيرا لرعي الغنم روي ان كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء

 وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها

﴿قالت احداهما﴾ يعني التي استدعته ﴿يا أبت استأجره﴾ لرعي الغنم ﴿ان خير من استأجرت القوي الامين﴾ تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب معروف وروي ان شعيبا قال لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه ﴿قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني﴾ على ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ﴿ثماني حجج﴾ ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج ﴿فان اتممت عشرا﴾ عملت عشر حجج ﴿فمن عندك﴾ فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على اجرة معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعده ان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الغنم للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك ﴿وما اريد ان اشق عليك﴾ بالزام اتمام العشر او المناقشة

من فرعون وقومه واذا قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين ﴿قالت احداهما يا أبت استأجره﴾ أي اتخذه أجيرا يرعى أغنامنا ﴿ان خير من استأجرت القوي الامين﴾ يعني ان خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الامانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته قالت اما قوته فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما امانته فانه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك ﴿قال﴾ شعيب عند ذلك ﴿اني اريد ان انكحك﴾ اي أزوجك ﴿احدى ابنتي هاتين﴾ قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفوراء وهي التي ذهبت في طلب موسى ﴿على ان تأجرني ثماني حجج﴾ أي تكون لي أجيرا ثماني سنين ﴿فان أتممت عشرا فمن عندك﴾ أي فان أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك ﴿وما اريد ان أشق عليك﴾ أي ألزمك تمام العشر

(ان خير من استأجرت القوي الامين) فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت نزع الدلو وأمرها بالمشي خلفه وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على ان امانته وقوته أمران متحققان وقولها ان خير من استأجرت القوي الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوي في دينه الامين في جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجاري مجرى المثل عن ان تقول استأجره لقوته وامانته وعن ابن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وأبو بكر في عمر (قال اني اريد ان انكحك) أزوجك (احدى ابنتي هاتين) قوله هاتين يدل على انه كان له غيرهما وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقدا للنكاح اذ لو كان عقدا لقال قد انكحتك (على أن تأجرني) تكون أجيرا لي من أجرته اذا كنت له أجيرا (ثماني حجج) ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فان أتممت عشرا) أي عمل عشر حجج (فمن عندك) فذاك تفضل منك ليس بواجب عليك أو فاتمامه من عندك ولا أحتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام

(قالت احداهما) وهي الكبرى أو الصغرى (يا أبت استأجره) اتخذه اجيرا يرعى غنمنا أي بدلنا (ان خير من استأجرت) من الاجراء هو (القوي) على الحمل الثقيل (الامين) على الامانة ثم (قال) ابوهن لموسى (اني أريد أن أنكحك) ازوجك يا موسى (احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني) تعمل لي في غنمي (ثماني حجج) ثماني سنين (فان أتممت عشرا) عشر سنين (فمن عندك) الزيادة (وما أريد ان أشق عليك) في الزيادة

م الاجلين وحتمته قولهم شققت عليك وشق عليه الامر أن الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول
ة أطيقه وطورا لا أطيقه (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد الصلاح على العموم
دخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لانه ان شاء فعل
ان لم يشأ لم يفعل ذلك (قال) موسى (ذلك) مبتدأ وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب والخبر (بيني وبينك) يعني
ك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا فيما شرطت علي ولا انت فيما شرطت
ى نفسك ثم قال (ايما الاجلين قضيت) أي أي اجل قضيت من الاجلين يعني العشر او الثمانية واي نسب بقضيت وما زائدة
ؤكدة لابهام اي وهي شرطية وجوابها ﴿٥٦١﴾ {سورة القصص} (فلا عدوان علي) اي لا تعدي علي في طلب الزيادة
عليه قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في ايهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم في الوفاء وكما ان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل (والله على ما نقول وكيل) هو من وكل اليه الامر وعدى بعلى لانه استعمل في موضع الشاهد والرقيب روى ان شعيبا كانت عنده عصى الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا ولما اصبح قال له
ب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ (قا و خا ٧١ بع) على يمينك فان الكلأ وان كان بها أكثر الا ان فيها تنينا أخشاه عليك وعلى
م فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا التنين قد أقبل فحاربته
ساحتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم
وجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام
كل أدرع ودرعاء فاوحى اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفى له

في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورأيك في مزاولته ﴿ستجدني ان شاء الله من الصالحين﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة ﴿قال ذلك بيني وبينك﴾ اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ﴿ايما الاجلين﴾ اطولهما أو اقصرهما ﴿قضيت﴾ وفيتك اياه ﴿فلا عدوان علي﴾ فلا يعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني أو فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي * وقرئ ايما كقوله

تنظرت نصرا والسماكين ايهما ❊ علي من الغيث استهلت مواطره

واي الاجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل أي أي الاجلين جردت عزمي لقضائه وقرئ عدوان بالكسر ﴿والله على ما نقول﴾ من المشارطة ﴿وكيل﴾

الا ان تتبرع ﴿ستجدني ان شاء الله من الصالحين﴾ أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿ذلك بيني وبينك﴾ أي ما شرطت علي فلك وما شرطت من تزوج احداهما فلي والامر بيننا على ذلك ﴿أيما الاجلين قضيت﴾ أي أي الاجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة ﴿فلا عدوان علي﴾ أي لا ظلم علي بان أطالب باكثر منه ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس شهيد بيني وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سألني يهودي من أهل الحيرة أي الاجلين قضى موسى قلت لا أدري حتى أقدم على خير العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى اكثرهما واطيبهما لان رسول الله اذا قال فعل وروي عن ابي ذر مرفوعا اذا سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سئلت اي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استأجره فتزوج صغراهما وقضى

(تجدني ان شاء الله من الصالحين) بالوفاء (قال) موسى (ذلك) الشرط (بيني وبينك أيما الاجلين قضيت) الثمان أو العشر (فلا عدوان علي) فلا سبيل لك علي (والله على ما نقول) من الشرط والوفاء (وكيل) شهيد

شاهد حفيظ ﴿ فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله ﴾ بامرأته روى انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا آخر ثم عزم على الرجوع ﴿ آنس من جانب الطور نارا ﴾ ابصر من الجهة التي تلي الطور ﴿ قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر ﴾ بخبر الطريق ﴿ أو جذوة ﴾ عود غليظ سواء كانت فى رأسه نار اولم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ٭ جزل الجذى غير خوار ولا دعر

والقى على قبس من النار جذوة ٭ شديدا عليها حرها والتهابها

ولذلك بينه بقوله ﴿ من النار ﴾ وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ تستدفئون به ﴿ فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن ﴾ أتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى ﴿ فى البقعة المباركة ﴾ متصل بالشاطئ او صلة لنودى ﴿ من الشجرة ﴾ بدل من شاطئ

اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وروى شداد بن اوس مرفوعا بكى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ماهذا البكاء أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يارب ولكن شوقا الى لقائك فأوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيأ لك لقائى ياشعيب لذلك اخدمتك كليمى موسى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير نبى الا اكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فأعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبى من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ماولدت هذا العام على غير شيتها وقيل ان شعيبا أراد ان يجازى موسى على حسن رعيه اكراما له وصلة لابنته فقال له انى قد وهبت لك من ولد أغنامى كل أبلق وبلقاء فى هذه السنة فأوحى الله تعالى الى موسى فى النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الا وضعت حملها مابين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه وأعطاه الاغنام ٭ قوله عز وجل ﴿ فلما قضى موسى الاجل ﴾ أى أتمه وفرغ منه ﴿ وسار بأهله ﴾ قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين أخرى ثم استأذنه فى العود الى مصر فأذن له فسار باهله أى بزوجته قاصدا الى مصر ﴿ آنس ﴾ أى أبصر ﴿ من جانب الطور نارا ﴾ وذلك انه كان فى البرية فى ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق ﴿ قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر ﴾ أى عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق ﴿ أو جذوة من النار ﴾ أى قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذى اشتعل بعضه ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ أى تستدفئون ﴿ فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن ﴾ يعنى من جانب الوادى الذى عن يمين موسى ﴿ فى البقعة المباركة ﴾ جعلها الله مباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة ﴿ من الشجرة ﴾ أى من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت

[illegible] (و [illegible] نحو مصر [illegible] الاجل [illegible] الخدمة ودنا أيام الزاعة وظهرت أنوار النبوة سار باهله ليشتركوا معه فى لطائف صنع ربه (آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) عن الطريق لانه قد ضل الطريق (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) بالنسبة الى موسى (فى البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) لعناب أو العوسج

(فلما قضى موسى الاجل) عشر سنين (وسار بأهله) نحو مصر (آنس من جانب الطور نارا) رأى عن يسار الطريق نارا (قال لأهله امكثوا) انزلوا ههنا (انى آنست) رأيت (نارا لعلى آتيكم منها) من عند النار (بخبر) عن الطريق وقد كان تحير فى الطريق (أو جذوة) قطعة (من النار لعلكم تصطلون) لكى تدفئوا بها وكانوا فى شدة من الشتاء (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) عن يمين موسى (فى البقعة المباركة) بالماء والشجر (من الشجرة)

ن ياموسى) أن مفسرة أو مخففة من الثقيلة (انى أنا الله رب العالمين) قال جعفر أبصر نارا دلته على الانوار لانه ى النور فى هيئة النار فلما دنا منها شملته أنوار القدس واحاطت به جلابيب الانس فخوطب بالطف خطاب واستدعى ه أحسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا أعطى ما سأل وأمن مما خاف والجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن فعاصم ح الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ كانت فى رأسه نار أولم تكن ومن الاولى والثانية بتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أى الجانب (وان ألق عصاك) ونودى ان ألق عصاك فالقاها فقلبها الله ثعبانا (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية فى سعيها وهى ثعبان فى جثتها (ولى مدبرا ولم يعقب) يرجع فقيل له (ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) أى أمنت من أن ينالك مكروه من الحية (اسلك) أدخل (يدك فى جيبك) جيب قميصك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم اليك جناحك من الرهب) حجازى بفتحتين وبصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكل الخوف والمعنى

بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ﴿ ان ياموسى ﴾ اى ياموسى ﴿ انى أنا الله رب العالمين ﴾ هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود ﴿ وان ألق عصاك فلما رآها تهتز ﴾ فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز ﴿ كأنها جان ﴾ فى الهيئة والجثة أو فى السرعة ﴿ ولى مدبرا ﴾ منهزما من الخوف ﴿ ولم يعقب ﴾ ولم يرجع ﴿ ياموسى ﴾ نودى ياموسى ﴿ اقبل ولا تخف انك من الآمنين ﴾ من المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون ﴿ اسلك يدك فى جيبك ﴾ أدخلها ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ عيب ﴿ واضمم اليك جناحك ﴾ يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه ﴿ من الرهب ﴾ من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف

سمرة خضراء ترف وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن عباس انها العناب ﴿ أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين ﴾ قيل ان موسى لما رأى النار فى الشجرة الخضراء علم أنه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق فى نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال انى سمعته بجميع اجزائى فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ﴿ وأن ألق عصاك ﴾ أى فالقاها ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أى تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ هى الحية الصغيرة والمعنى انها فى سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة ﴿ ولى مدبرا ﴾ أى هاربا منها ﴿ ولم يعقب ﴾ أى ولم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعتها حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودى عند ذلك ﴿ ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين ﴾ * قوله عز وجل ﴿ اسلك يدك ﴾ أى أدخل يدك ﴿ فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ أى برص والمعنى انه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس ﴿ واضمم اليك جناحك من الرهب ﴾ اى من الخوف والمعنى اذا هالك

من نحو الشجرة (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) سيد الجن والانس (وان ألق عصاك) من يدك (فلما رآها) بعدما ألقاها (تهتز) تتحرك رافعة رأسها (كأنها جان) حية لا صغيرة ولا كبيرة (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) لم يلتفت اليها قال الله (ياموسى أقبل) اليها (ولا تخف) منها (انك من الآمنين) من شرها فاخذها موسى فاذا هى عصا كما كانت قال الله له (اسلك) أدخل (يدك فى جيبك) فى ابطك ياموسى (تخرج بيضاء) لها ضوء كضوء الشمس (من غير سوء) من غير برص (واضمم اليك جناحك) أدخل يدك فى ابطك بعد ذلك (من الرهب) من الفرق اذا أرهبت بها

واضمم يدك الى صدرك يذهب مابك من فرق أى لاجل الحية عن ابن عباس رضى الله عنهما كل خائف اذا وضع يده
على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى و اتقاها بيده كما
يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل
يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ماهو غضاضة عليك واظهار
معجزة أخرى و المراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى
فقد ضم جناحه اليه أو أريد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لايضطرب ولا يرهب
استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب
من أجل رهب أى اذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك
جعل الرهب الذى كان
يصيبه سببا وعلة فيما أمر به
من ضم جناحه اليه ومعنى
واضمم اليك جناحك
واسلك يدك فى جيبك على
أحد التفسيرين واحد
ولكن خولف بين العبارتين
لاختلاف الغرضين اذ
الغرض فى أحدهما خروج
اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء
الرهب ومعنى واضمم يدك
الى جناحك فى طه أدخل
يمناك تحت يسراك (فذانك)
مخففا مثنى ذا ومشددا
مكى وابو عمرو مثنى ذلك
فاحدى النونين عوض
من اللام المحذوفة والمراد
اليد والعصا (برهانان)
حجتان نيرتان بينتان وسميت
الحجة برهانا لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة (من ربك الى فرعون وملئه) أى ارسلناك الى فرعون (أى)
وملئه بهاتين الآيتين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (قل رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون) به بغير
ياء وبالياء يعقوب (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فارسله معى) حفص (ردأ) حال أى عونا يقال ردأته أعنته و بالهمز

فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر بضم الراء
وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات ﴿فذانك﴾
اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس ﴿برهانان﴾ حجتان وبرهان
فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء
وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن ﴿من ربك﴾ مرسلا بهما ﴿الى
فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ فكانوا احقاء بان يرسل اليهم ﴿قال رب
انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون﴾ بها ﴿واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله
معى ردأ﴾ معينا وهو فى الاصل اسم مايعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف

امر يدك وماتراه من شعاعها فادخلها فى جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال ابن عباس
أمر الله موسى أن يضم يده الى صدره فيذهب عنه ماناله من الخوف عند معاينة الحية
وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه و قيل المراد من
ضم الجناح السكون أى سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شأن الخائف
ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك
واخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده فى كمه ﴿فذانك﴾ يعنى العصا واليد
البيضاء ﴿برهانان﴾ أى آيتان ﴿من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما
فاسقين﴾ أى خارجين عن الحق ﴿قال رب انى قتلت منهم نفسا﴾ يعنى القبطى
﴿فاخاف ان يقتلون﴾ اى به ﴿واخى هرون هو افصح منى لسانا﴾ أى بيانا
وانما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من وضع الجمرة فى فيه ﴿فارسله معى ردأ﴾

الناس (فذانك برهانان) فهاتان حجتان (من ربك الى فرعون وملئه) قومه (انهم كانوا قوما فسقين) كافرين
مفسدين فى شركهم (قال) موسى (رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون) بدلها (وأخى هرون هو أفصح منى
لسانا) أبين منى كلاما وكان على لسان موسى رتة (فارسله معى ردأ) معينا

مدنى (يصدقنى) عاصم وحمزة صفة أى ردأ مصدقالى وغيرهما بالجزم جواب لارسله و معنى تصديقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان فى مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لاان يقول له صدقت ألاترى الى قوله هو أفصح منى لسانا فارسله وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لالقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان (انى أخاف أن يكذبون) يكذبونى فى الحالين يعقوب (قال سنشد عضدك باخيك) سنقويك به اذ اليد تشتد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور (ونجعل لكما سلطانا) غلبة وتسلطا وهيبة فى قلوب الاعداء (فلايصلون اليكما بآياتنا) الباء تتعلق بيصلون أى لايصلون اليكما بسبب آياتنا وتم الكلام أو فنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا أو بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو هو بيان للغالبون لاصلة أو قسم جوابه لايصلون متقدما عليه (أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ماهذا الا سحر مفترى)أى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عندالله (وماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) حال منسوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم يعنى ماحدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار

﴿ يصدقنى ﴾ بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة ﴿انى اخاف ان يكذبون ﴾ ولسانى لايطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسنداليه اسناد الفعل الى السبب وقرعاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على انه صفة والجواب محذوف ﴿ قال سنشد عضدك باخيك ﴾ سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ﴿ ونجعل لكما سلطانا ﴾ غلبة أو حجة ﴿ فلايصلون اليكما ﴾ باستيلاء أو حجاج ﴿ بآياتنا ﴾ متعلق بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما بها أو بمعنى لايصلون اى تمتنعون منهم أو قسم جوابه لايصلون أو بيان للغالبون فى قوله ﴿ انتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ بمعنى انه صلة لما بينه أو صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى ﴾ سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر ﴿ وماسمعنا بهذا ﴾ يعنون السحر أو ادعاء النبوة ﴿ فى آبائنا الاولين ﴾ كائنا فى ايامهم ﴿ وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ فيعلم انى محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال ماقاله جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فتميز صحيحهما من الفاسد ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا

أى عونا ﴿يصدقنى ﴾ يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هو ان يلخص الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد ﴿انى اخاف ان يكذبون ﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿ قال سنشد عضدك باخيك ﴾ أى سنقويك به وكان هرون بمصر ﴿ ونجعل لكما سلطانا ﴾ أى حجة وبرهانا ﴿ فلايصلون اليكما ﴾ أى بقتل ولا سوء ﴿ بآياتنا ﴾ قيل معناه نعطيكما من المعجزات فلايصلون اليكما ﴿ أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ أى لكما و لاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات ﴾ أى واضحات ﴿ قالوا ماهذا الا سحر مفترى ﴾ أى مختلق ﴿ وماسمعنا بهذا ﴾ أى بالذى تدعونا اليه ﴿ فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ أى انه يعلم المحق من المبطل ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ أى العقبى المحمودة فى الدار

(يصدقنى) يعبر عنى كلامى ويصدق قولى(انى أخاف ان يكذبون) بالرسالة(قال)الله (سنشد عضدك)سنقوى ظهرك (باخيك) هرون (ونجعل لكما سلطانا)عذرا وحجة (بآياتنا) مقدم ومؤخر (فلايصلون اليكما) الى قتلكما (أنتما ومن اتبعكما) بالايمان والآيات (الغالبون) على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا) اليد والعصا (بينات) مبينات (قالوا)ياموسى (ماهذا) الذى جئتنا به (الا سحر مفترى) كذب مختلق من تلقاء نفسك (وماسمعنا بهذا) الذى تقول ياموسى (فى آبائنا الاولين) من آبائنا الماضين (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى) بالرسالة والتوحيد (من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) الجنة فى الآخرة

انه لايفلح الظالمون) أى ربى أعلم منكم بحال من أهله الله الفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لانه غنى حكيم لايرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة المحمودة لقوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران قل موسى بغير واو مكى وهو حسن لان الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر ربى أعلم حجازى وأبو عمرو ومن يكون حمزة وعلى (وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى) قصد بنفى علمه باله غيره نفى وجوده أى مالكم من اله غيرى أو هو على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده (فاوقد لى ياهامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر واتخذه وانما لم يقل مكان طين هذا لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولانه أفصح وأشبه بكلام الجبابرة اذ أمر هامان وهو وزيره بالايقاد على الطين منادى باسمه بيافى وسط الكلام دليل التعظم والتجبر (فاجعل لى صرحا) قصرا عاليا (لعلى أطلع) أى أصعد والاطلاع الصعود (الى اله موسى) حسب انه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان (وانى لاظنه) أى موسى (من الكاذبين) فى دعواه ان له الها وانه أرسله الينا رسولا وقد تناقض المخذول فانه قال ماعلمت لكم من اله غيرى ثم أظهر حاجته الى (غيرى) هامان وأثبت لموسى الها وأخبر انه غير متيقن بكذبه وكان تحصل من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلى أطلع الى اله موسى روى

وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ لايفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى ﴿ وقال فرعون ياايها الملأ ماعلمت لكم من آله غيرى ﴾ نفى علمه باله غيره دون وجوده اذلم يكن عنده مايقتضى الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله ﴿ فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى ﴾ كأنه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال ﴿ وانى لأظنه من الكاذبين ﴾ أو اراد ان يبنى له رصد يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها مايدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق

الآخرة ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ أى الكافرون ﴿ وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى ﴾ فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته ﴿ فاوقد لى ياهامان على الطين ﴾ أى اطبخ لى الآجر قيل انه أول من اتخذ آجرا وبنى به ﴿ فاجعل لى صرحا ﴾ أى قصرا عاليا وقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وأراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى المغرب فلم يبق أحد عمل شيأ فيه الا هلك فذلك قوله ﴿ لعلى أطلع الى اله موسى ﴾ أى أنظر اليه وأقف على حاله ﴿ وانى لأظنه ﴾ يعنى موسى ﴿ من الكاذبين ﴾ أى فى زعمه ان للارض وللخلق الها

(انه لايفلح) لايأمن ولاينجو (الظالمون) المشركون من عذاب الله (وقال فرعون ياأيها الملأ) يارجال أهل مصر (ماعلمت لكم) ما عرفت لكم (من اله) الها (غيرى) فلا تطيعوا موسى (فاوقد لى) أى النار (ياهامان على الطين) فاطبخ لى ياهامان من الطين آجرا (فاجعل لى صرحا) قصرا (لعلى أطلع) أصعد وانظر (الى اله موسى) الذى يزعم انه فى السماء وأرسله الى (وانى لأظنه من الكاذبين) ليس فى السماء من

ان هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع ووقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (في الارض) أرض مصر (بغير الحق) أي بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) يرجعون نافع وحمزة وعلي وخلف ويعقوب (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه شبههم استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ بكفه فطرحهن في البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك فانك منصور عليهم (وجعلناهم أئمة) قادة (يدعون الى النار) اى عمل أهل النار قال ابن عطاء نزع عن أسرارهم التوفيق وأنوار التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق أفعال العباد (ويوم القيمة لا ينصرون) من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) ألزمناهم طردا وابعادا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس اياهم بعدهم (ويوم القيمة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف له

معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام ﴿واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق﴾ بغير استحقاق ﴿وظنوا انهم الينا لا يرجعون﴾ بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم ﴿فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ وحذر قومك عن مثلها ﴿وجعلناهم أئمة﴾ قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أو بمنع الالطاف الصارفة عنه ﴿يدعون الى النار﴾ الى موجباتها من الكفر والمعاصي ﴿ويوم القيمة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ طردا عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ﴿ويوم القيمة هم من المقبوحين﴾ من المطرودين أو ممن قبح وجوههم

غيري وانه أرسله ﴿واستكبر هو وجنوده في الارض﴾ أي تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم ﴿بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون﴾ أي للحساب والجزاء ﴿فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ أي فالقيناهم في البحر وهو القلزم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ يعني حين صاروا الى الهلاك ﴿وجعلناهم أئمة﴾ أي قادة ورؤساء ﴿يدعون الى النار﴾ أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من أطاعهم ضل ودخل النار ﴿ويوم القيمة لا ينصرون﴾ أي لا يمنعون من العذاب ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ أي خزيا وبعدا وعذابا ﴿ويوم القيمة هم من المقبوحين﴾ أي المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون

(واستكبر) تعظم عن الايمان (هو) فرعون (وجنوده) جموعه القبط (في الارض) في أرض مصر (بغير الحق) بغير أن كان لهم ذلك (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) في الآخرة (فأخذناه) يعني فرعون بكلمته الاولى أنا ربكم الاعلى والاخرى ما علمت لكم من اله غيري (وجنوده) جموعه قبط (فنبذناهم في اليم) فالقيناهم فطرحناهم في البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) آخر أمر المشركين فرعون وقومه (وجعلناهم) خذلناهم (أئمة) قادة الى الكفار والضلال (يدعون الى النار) الى الكفر والشرك وعبادة الاوثان (ويوم القيمة لا ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أهلكناهم في الدنيا بالغرق (ويوم القيمة هم من المقبوحين) سود

المقبوحين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعدما اهلكنا القرون الاولى) قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما أن البصر نور العين الذي يبصر به الاجساد يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل (وهدى) وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال (ورحمة) لمن اتبعها لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (وما كنت) يامحمد (بجانب) الجبل (الغربي) وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه ميقات موسى (اذ قضينا الى موسى الامر) أي كلمناه وقربناه نجيا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين للوحي اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ماجرى من أمر موسى في ميقاته (ولكنا أنشأنا) بعد موسى (قرونا فتطاول عليهم العمر) أي طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها فارسلناك مجددا لتلك الاخبار مبينا ماوقع فيه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذا هذا الاستدراك شبيه الوجوه وزرق الاعين (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعني التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الاولى) (وما) من قبل موسى (بصائر) بيانا (للناس) لبني اسرائيل (وهدى) من الضلالة (ورحمة) لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) لكي يتعظوا فيؤمنوا به (وما كنت) يامحمد (بجانب الغربي) الجبل (اذ قضينا الى موسى الامر) حيث أمرنا موسى الاتيان الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) من الحاضرين هناك (ولكنا أنشأنا) خلقنا (قرونا) قرنا بعد قرن وبينا قصة الاول للآخر كما بينا لك (فتطاول عليهم العمر) الاجل فلم يؤمنوا فاهلكناهم قرنا

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿من بعدما اهلكنا القرون الاولى﴾ قوام نوح وهود وصالح ولوط ﴿بصائر للناس﴾ انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل ﴿وهدى﴾ الى الشرائع التي هي سبل الله تعالى ﴿ورحمة﴾ لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله ﴿لعلهم يتذكرون﴾ ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ماعرفت ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ يريد الوادي أو الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى أو الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي ماكنت حاضرا ﴿اذ قضينا الى موسى الامر﴾ اذ أوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لاتعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ﴿ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر﴾ اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه

﴿ وقوله عزوجل ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿من بعدما أهلكنا القرون الاولى﴾ يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى ﴿بصائر للناس﴾ أي ليبصروا بذلك فيهتدوا به ﴿وهدى﴾ أي من الضلالة لمن عمل به ﴿ورحمة﴾ أي لمن آمن به ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي بما فيه من المواعظ ﴿وما كنت﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وما كنت يامحمد ﴿بجانب الغربي﴾ أي بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه ﴿اذ قضينا الى موسى الامر﴾ أي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أي الحاضرين ذلك المقام الذي أوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك ﴿ولكنا أنشأنا قرونا﴾ أي خلقنا بعد موسى أمما ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ أي طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا أمره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا في محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها

لاستدراكين بعده (وما كنت ثاويا) مقيما (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها وتتلوه وتخبر شعيب خبر ثال وعان بن سمير في ثاويا ولكنا كنا مرسلين) ولكنا أرسلناك وأخبرناك به وعلمناكها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت ايديهم)

﴿وما كنت ثاويا﴾ مقيما ﴿في اهل مدين﴾ شعيب والمؤمنين به ﴿تتلو عليهم﴾ تقرأ عليهم تعلما منهم ﴿آياتنا﴾ التي فيها قصتهم ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ اياك ومخبرين لك بها ﴿وما كنت بجانب الطور اذ نادينا﴾ لعل المراد به وقت ما اعطاه التوراة وبالاول حين استنبأه لانهما المذكوران في القصة ﴿ولكن رحمة﴾ نصب على المصدر او مفعول له ﴿من ربك﴾ ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة ﴿لتنذر قوما﴾ متعلق بالفعل المحذوف ﴿ما اتاهم من نذير من قبلك﴾ لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون ﴿ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم

﴿وما كنت ثاويا﴾ أي مقيما ﴿في أهل مدين﴾ أي كمقام موسى وشعيب فيهم ﴿تتلو عليهم آياتنا﴾ أي تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ يعني أرسلناك رسولا وأنزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ أي بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه ﴿اذ نادينا﴾ يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب أرني محمدا وأمته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم قال بلى يارب قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء والارحام أي أرحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد أجبتكم قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم قبل ان تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ أي رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك ﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني أهل مكة ﴿لعلهم يتذكرون﴾ اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا في أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله اذ نادينا ليلة المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن في هذه الاحوال حاضرا بين الله أنه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزته كانه قال في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك ﴿ قوله تعالى ﴿ولولا ان تصيبهم مصيبة﴾ أي عقوبة ونقمة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ يعني من الكفر والمعاصي

بعد قرن (وما كنت) يا محمد (ثاويا) مقيما (في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا) تقرأ على قومك آياتنا القرآن تخبرهم (ولكنا كنا مرسلين) الرسل الى القرون الاولى وبيناء قصة الاول للآخر كما بينا لك قصة الاولين (وما كنت بجانب الطور) جبل زبير (اذ نادينا) حيث كلمنا موسى ويقال اذ نادينا أمتك (ولكن) علمناك وأرسلناك (رحمة) نعمة ومنة (من ربك) اذ أرسل اليك جبريل بالقرآن بأخبار الامم (لتنذر قوما) لكي تخوف قوما بالقرآن (ما آتاهم من نذير) لم يأتهم رسول (قاوخا ٧٢ بع) مخوف (من قبلك) يعني قريشا (لعلهم يتذكرون) لكي يتعظوا فيؤمنوا (ولولا ان تصيبهم مصيبة) ولولا ان يصيب قومك قريشا عذاب يوم القيامة (بما قدمت أيديهم) بما اكتسبوا في كفرهم

من الكفر والفجور ولما كانت أكثر الاعمال تزاول بالايدي نسبت الاعمال الى الايدي وان كانت من أعمال القلوب تغليبا للاكثر على الاقل (فيقولوا) عند العذاب (ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل في جواب الامر والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعني أن ارسال الرسول اليهم انما هو لالزامهم الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أي القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا) أي كفار مكة (لولا أوتي) هلا أعطي (مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أولم يكفروا) يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما أوتي موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) في موسى وهارون (ساحران تظاهرا) تعاونا سحران كوفي أي {كل}

فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا ﴾ لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها لما اجيبت بها بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم ﴿ فنتبع آياتك ﴾ يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات ﴿ ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى ﴾ من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا ﴿ اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل ﴾ يعني ابناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد ﴿ قالوا ساحران ﴾ يعنون موسى وهارون او موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ تظاهرا ﴾ تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ

﴿ فيقولوا ربنا لولا ﴾ أي هلا ﴿ أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ ومعنى الآية لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ قالوا ﴾ يعني كفار مكة ﴿ لولا ﴾ أي هلا ﴿ أوتي ﴾ محمد ﴿ مثل ما أوتي موسى ﴾ يعني من الآيات كالعصا واليد البيضاء وقيل أوتي كتابا جملة واحدة كما أوتي موسى التوراة قال الله تعالى ﴿ أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ﴾ قيل ان اليهود أرسلوا الى قريش أن يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتي موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل يعني اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال ﴿ قالوا ساحران تظاهرا ﴾ يعني التوراة والقرآن تقوى

(فيقولوا) عند نزول العذاب بهم يوم القيامة (ربنا) يا ربنا (لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا) مع الكتاب قبل العذاب (فنتبع آياتك) كتابك ورسولك (ونكون من المؤمنين) بالكتاب والرسول لاهلكناهم قبلك ولكن أرسلناك اليهم بالقرآن لكي لا يكون لهم حجة علينا (فلما جاءهم الحق) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (من عندنا قالوا) كفار مكة (لولا أوتي) هلا أعطي محمد عليه السلام يعني اليد والعصا والمن والسلوى والقرآن جملة (مثل ما أوتي) أعطي (موسى) بزعمه (أولم يكفروا) كفار مكة (بما أوتي موسى) أعطي موسى (من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم يعني التوراة (قالوا) كفار مكة (سحران) يعني التوراة والقرآن (تظاهرا) تعاونا

بسحر أوجعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر (وقالوا انا بكل) بكل واحد منهما (كافرون) وقيل ان أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا أو في التوراة والقرآن سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فاخبروهم أنه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى ومما أنزل علي (أتبعه) جواب فأتوا (ان كنتم صادقين) في أنهما سحران ❊ فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق حجة الا اتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لا أحد أضل ممن اتبع في الدين هواه وبغير هدى حال أي مخذولا يخلى بينه وبين هواه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعني ان القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا

الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز ❊ وقرئ اظاهرا على الادغام ﴿ وقالوا انا بكل كافرون ﴾ اى بكل منهما او بكل الانبياء ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما ﴾ مما نزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ اتبعه ان كنتم صادقين ﴾ انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم ﴿ فان لم يستجيبوا لك ﴾ دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

وداع دعا يا من يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

﴿ فاعلم انما يتبعون اهواءهم ﴾ اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ﴿ ومن اضل ممن اتبع هواه ﴾ استفهام بمعنى النفي ﴿ بغير هدى من الله ﴾ في موضع الحال للتأكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ﴿ ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ فيؤمنون ويطيعون

كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعني محمدا وموسى وقيل ان مشركي مكة بعثوا الى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم أن نعته في كتابهم التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا ﴿ وقالوا انا بكل كافرون ﴾ يعني بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ﴾ يعني من التوراة والقرآن ﴿ أتبعه ﴾ يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله ﴿ ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك ﴾ أي فان لم يأتوا بما طلبت ﴿ فاعلم انما يتبعون أهواءهم ﴾ يعني ان ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وانما آثروا اتباعهم ما هم عليه من الهوى ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ❊ قوله عز وجل ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ قال ابن عباس بينا وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا لكفار مكة بما في القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أي

(وقالوا) كفار مكة (انا بكل) بالتوراة والقرآن (كافرون) جاحدون (قل) لهم يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى) أصوب (منهما) من التوراة والقرآن (أتبعه) اعمل به (ان كنتم صادقين) ان التوراة والقرآن سحران تظاهرا فلم يقدروا ان يأتوا قال الله (فان لم يستجيبوا لك) فان لم يجيبوك الظلمة ...سألتهم (فاعلم انما يتبعون أهواءهم) بالكفر والشرك وعبادة الاوثان (ومن أضل) اكفر عن الحق والهدى (ممن اتبع هواه) ...الكفر والشرك وعبادة الاوثان (بغير هدى من الله) بغير حجة وبيان من الله (ان الله لا يهدي) لا يرشد الى دينه (القوم الظالمين) ...المشركين أبا جهل وأصحابه (ولقد وصلنا لهم القول) بينا لهم القرآن بالتوحيد (لعلهم يتذكرون) لكي

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الذين (هم به) بالقرآن (يؤمنون) نزلت في مؤمني أهل الكتاب
(واذا يتلى) القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله) من قبل نزول القرآن (مسلمين) كائنين على دين الاسلام
مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن
وقوله انا بيان لقوله آمنا لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو صبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرؤن بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم
يتعظوا بالقرآن فيؤمنوا (الذين آتيناهم الكتاب) أعطيناهم علم التوراة (من قبله) من قبل نجيء محمد عليه السلام والقرآن يعني عبد الله ابن سلام وأصحابه نحو أربعين رجلا منهم من جاء من الشام ومنهم من جاء من اليمن (هم به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (يؤمنون) يوقنون (واذا يتلى عليهم) يقرأ عليهم القرآن بنعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته (قالوا آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (انه الحق من ربنا انا كنا من قبله) من قبل قراءة القرآن علينا (مسلمين) مقرين بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك) أهل هذه الصفة (يؤتون أجرهم مرتين) يعطون ثوابهم ضعفين (بما صبروا) على أذى الكفار وطعنهم متى بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتابهم ودخلوا في دين محمد عليه السلام (ويدرؤن بالحسنة السيئة) يدفعون بالكلام الحسن بلا اله الا الله الكلام القبيح الشرك من غير

﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في ﴿ واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به ﴾ اى بانه كلام الله تعالى ﴿ انه الحق من ربنا ﴾ استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به ﴿ انا كنا من قبله مسلمين ﴾ استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن ﴿ بما صبروا ﴾ بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ﴿ ويدرؤن بالحسنة السيئة ﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام اتبع الحسنة السيئة تمحها

﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله ﴾ أى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن ﴿ هم به يؤمنون ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال ﴿ واذا يتلى عليهم ﴾ يعني القرآن ﴿ قالوا آمنا به انه الحق من ربنا ﴾ وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ﴿ انا كنا من قبله مسلمين ﴾ أى من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ يعني بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر ﴿ بما صبروا ﴾ أى على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ثم تزوجها فله أجران ﴿ ويدرؤن بالحسنة السيئة ﴾ قال ابن عباس يدفعون بشهادة أن لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو

الاذى (ومما رزقناهم ينفقون) يزكون (واذا سمعوا اللغو) الباطل أو الشتم من المشركين (أعرضوا عنه وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) أمان منا لكم بان نقابل لغوكم بمثله (لا نبتغى الجاهلين) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم (انك لا تهدى من أحببت) لا تقدر ان تدخل فى الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكن الله يهدى من يشاء) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين) بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات قال الزجاج أجمع المفسرون على أنها نزلت فى أبى طالب وذلك أنه قال عند موته يامعشر بنى هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال عليه السلام ياعم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخى قال أريد منك أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخى أنا قد علمت أنك صادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فى سبيل الخير ﴿واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ تكرما ﴿وقالوا﴾ للاغين ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم﴾ متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه ﴿لا نبتغى الجاهلين﴾ لا نطلب صحبتهم ولا نريدها ﴿انك لا تهدى من احببت﴾ لا تقدر ان تدخله فى الاسلام ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ فيدخله فى الاسلام ﴿وهو اعلم بالمهتدين﴾ بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك صادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا﴾ نخرج منها نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أى فى الطاعة ﴿واذا سمعوا اللغو﴾ أى القول القبيح ﴿أعرضوا عنه﴾ وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل مكة ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم ﴿وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أى لنا ديننا ولكم دينكم ﴿سلام عليكم﴾ ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم ﴿لا نبتغى الجاهلين﴾ يعنى لا نحب دينكم الذى أنتم عليه وقيل لا نريد ان نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال ❊ قوله تعالى ﴿انك لا تهدى من أحببت﴾ أى هدايته وقيل أحببته لقرابته ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ وذلك أن الله تعالى يقذف فى القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أى بمن قدر له الهدى (م) عن أبى هريرة قال انك لا تهدى من أحببت نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راود عمه أبا طالب على الاسلام وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب عند الموت ياعم قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك ثم أنشد

ولقد علمت بان دين محمد • من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة • لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فأنزل الله هذه الآية ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ يعنى مكة نزلت فى الحرث بن عثمان بن

(ومما رزقناهم) أعطيناهم من الاموال (ينفقون) يتصدقون (واذا سمعوا اللغو) الباطل يعنى طعنة الكفار عليهم (أعرضوا عنه) كراما (وقالوا) معروفا (لنا أعمالنا) عبادة الله ودين الاسلام (ولكم أعمالكم) عليكم أعمالكم عبادة الاوثان ودين الشيطان الشرك بالله (سلام عليكم) هداكم الله (لا نبتغى الجاهلين) لا نطلب دين المشركين بالله (انك) يامحمد (لا تهدى) لا تعرف (من أحببت) عمانه يعنى أبا طالب (ولكن الله يهدى) يوفق ويرشد ويعرف (من يشاء) لدينه أبا بكر وعمر وأصحابهما (وهو أعلم بالمهتدين) لدينه (وقالوا) حرث بن عمرو النوفلى وأصحابه (ان نتبع الهدى) التوحيد (معك) يامحمد (نتخطف) نطرد (من أرضنا)

أولم نمكن لهم حرما آمنا) قالت قريش نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك ان يتخطفونا من أرضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي أمنه بحرمة البيت وأمن قطانه بحرمته والثمرات تجبى اليه من كل أوب وهم كفرة فأنى يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (تجبى اليه) وبالتاء مدني ويعقوب وسهل أي تجلب وتجمع (ثمرات كل شئ) معنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ (رزقا من لدنا) هو مصدر لان معنى تجبى اليه يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بمن لدنا أي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل أي في معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الاسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب (المسافرون) وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الاشارة (من بعدهم الا قليلا) من السكنى أي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة

في النبي عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله ﴿أولم نمكن لهم حرما آمنا﴾ اولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه ﴿تجبى اليه﴾ تحمل اليه وتجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ﴿ثمرات كل شئ﴾ من كل اوب ﴿رزقا من لدنا﴾ فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله ﴿وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم ﴿فتلك مساكنهم﴾ خاوية ﴿لم تسكن من بعدهم﴾ من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم ولا يبقى من يسكنها ﴿الا قليلا﴾ من شؤم معاصيهم

نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى ﴿أولم نمكن لهم حرما آمنا﴾ وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة ﴿يجبى اليه﴾ اى يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن ﴿ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعنى ان أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك ۞ قوله عز وجل ﴿وكم اهلكنا من قرية﴾ أى من أهل قرية ﴿بطرت معيشتها﴾ أى اشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا﴾ قال ابن عباس لم يسكنها الا

مكة (أولم نمكن لهم) ننزلهم ونجعل لهم (حرما آمنا) من ان يهاج فيه (يجبى اليه ثمرات كل شئ) يحمل اليه ألوان كل شئ من الثمرات (رزقا من لدنا) طعاما لهم من عندنا فكيف أسلط عليهم الكفار ان آمنوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون (وكم أهلكنا من قرية) من أهل قرية (بطرت معيشتها) كفرت بمعيشتها (فتلك مساكنهم) منازلهم (لم تسكن من بعدهم) من بعد هلاكهم (الا قليلا) منها يسكنها المسافرون وسائرها خراب

﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ لتلك المساكن من ساكنيها أي لا يتملك التصرف فيها غيرنا ﴿ وما كان ربك مهلك القرى ﴾ في كل وقت ﴿ حتى يبعث في أمها ﴾ وبكسر الهمزة حمزة وعلي أي في القرية التي هي امها أي أصلها ومعظمها ﴿ رسولا ﴾ لالزام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الارض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا يعني محمدا عليه السلام ﴿ يتلوا عليهم آياتنا ﴾ أي القرآن ﴿ وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ﴾ أي وما أهلكناهم للانتقام الا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها ﴾ وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية ﴿ وما عند الله ﴾ وهو ثوابه ﴿ خير ﴾ في نفسه من ذلك ﴿ وأبقى ﴾ لانه دائم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ ان الباقي خير من الفاني وخير أبو عمرو بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا ﴾

﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت ﴿ وما كان ربك ﴾ وما كانت عادته ﴿ مهلك القرى حتى يبعث في امها ﴾ في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكون أفطن وأنبل ﴿ رسولا يتلوا عليهم آياتنا ﴾ لالزام الحجة وقطع المعذرة ﴿ وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون ﴾ بتكذيب الرسل والعتو في الكفر ﴿ وما اوتيتم من شيء ﴾ من اسباب الدنيا ﴿ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها ﴾ تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية ﴿ وما عند الله ﴾ وهو ثوابه ﴿ خير ﴾ في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة ﴿ وابقى ﴾ لانه ابدي ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا ﴾

المسافرون سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا اقلها وأكثرها خراب ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ يعني لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فناء الخلق ﴿ وما كان ربك مهلك القرى ﴾ يعني الكافرة أهلها ﴿ حتى يبعث في امها رسولا ﴾ أي في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء ﴿ يتلوا عليهم آياتنا ﴾ يعني انه يؤدي اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا ﴿ وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ﴾ أي مشركون * قوله عز وجل ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها ﴾ أي تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي الى فناء وانقضاء ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أي ان الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعي من أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بطاعة الله تعالى ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا ﴾ يعني

﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ المالكين على ما ملكوا وتركوا بعد هلاكهم ﴿ وما كان ربك مهلك القرى ﴾ أهل القرى ﴿ حتى يبعث في أمها ﴾ في أعظمها مكة ويقال الى عظمائها وكبرائها ﴿ رسولا يتلوا عليهم آياتنا ﴾ بالامر والنهي ﴿ وما كنا مهلكي القرى ﴾ أهل القرى ﴿ الا وأهلها ظالمون ﴾ مشركون ﴿ وما أوتيتم من شيء ﴾ ما أعطيتم من المال والخدم يا معشر قريش ﴿ فمتاع الحيوة الدنيا ﴾ كمتاع الحياة الدنيا الخزف والزجاج ﴿ وزينتها ﴾ زهرتها لا تبقى هذه الزهرة ﴿ وما عند الله ﴾ لمحمد وأصحابه في الجنة ﴿ خير ﴾ أفضل ﴿ وأبقى ﴾ أدوم مما لكم في الدنيا ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أفليس لكم ذهن الانسانية ان الدنيا فانية والآخرة باقية ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا ﴾ يعني الجنة وهو

أي الجنة فلا شيء أحسن منها لأنها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى (فهو لاقيه) أي رائيه ومدركه ومصيبه (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه فكذبوه فإنهم لمحضرون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل لعنه الله أو في علي وحمزة وأبي جهل أو في المؤمن والكافر ومعنى الفاء الأولى أنه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أي أبعد هذا التفاوت الجلي يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبيب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخي حال الإحضار عن حال التمتع ثم هو على كما قيل عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) يناديهم الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر (فيقول أين شركائي) بناء على زعمهم (الذين كنتم تزعمون) ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أي الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء) مبتدأ (الذين أغوينا) أي دعوناهم إلى الشرك وسولناه لهم الغي صفة والراجع إلى الموصول محذوف والخبر (أغويناهم) والكاف في (كما غوينا) صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغو إلا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلا فلا فرق إذا بين غينا وغيهم وإن كان تسويلنا داعيا لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق إلى قوله ولوموا أنفسكم

وعدا بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود ﴿فهو لاقيه﴾ مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية ﴿كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا﴾ الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للحساب أو العذاب وثم للتراخي في الزمان أو الرتبة وقرأ نافع وقالون في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ﴿ويوم يناديهم﴾ عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر ﴿فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أي هؤلاء هم الذين أغويناهم فحذف الراجع إلى الموصول ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ أي أغويناهم

جنة ﴿فهو لاقيه﴾ أي مصيبه وصائر إليه ﴿كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا﴾ أي ويزول عنه عن قريب ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ أي في النار قيل هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة * قوله تعالى ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أي في الدنيا أنهم شركائي ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ أي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أي دعوناهم إلى الغي وهم الأتباع ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ أي أضللناهم كما ضللنا

محمد عليه السلام وأصحابه وقيل هو عثمان بن عفان (فهو لاقيه) معاينه في الآخرة (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) أعطيناه المال والخدم في الدنيا يعني أبا جهل بن هشام (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من المعذبين في النار (ويوم) وهو يوم القيامة (يناديهم) الله يعني أبا جهل وأصحابه (فيقول) الله عز وجل (أين شركائي الذين كنتم تزعمون) تعبدون وتقولون إنهم شركائي (قال الذين حق عليهم) وجب عليهم (القول) بالسخط والعذاب وهم الرؤساء (ربنا) يا ربنا (هؤلاء) السفلة (الذين أغوينا) أضللنا (أغويناهم) أضللناهم عن الحق والهدى (كما غوينا) ضللنا عن الحق والهدى

(تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر (ما كانوا ايانا يعبدون) بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أي الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف أي لما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الذين أرسلوا اليكم حكى أولا مايوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم مايقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة

فغووا غيا مثل ماغوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل مااتصل به فأفاده زيادة على الصفة وهو وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم ﴿ تبرأنا اليك ﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ﴿ ماكانوا ايانا يعبدون ﴾ اى ماكانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا ﴿ وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم ﴾ من فرط الحيرة ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ لعجزهم عن الاجابة والنصرة ﴿ ورأوا العذاب ﴾ لازبا لهم ﴿ لو انهم كانوا يهتدون ﴾ لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اى تمنوا انهم كانوا مهتدين ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ﴾ عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء ﴿ فعميت عليهم الانباء يومئذ ﴾ فصارت الانباء كالعمى عليهم لاتهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان مايحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ماجابوا به الرسل اوما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء ﴿ فهم لايتساءلون ﴾ لايسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله ﴿ فاما من تاب ﴾ من الشرك ﴿ وآمن

﴿ تبرأنا اليك ماكانوا ايانا يعبدون ﴾ معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء ﴿ وقيل ﴾ يعنى للكفار ﴿ ادعوا شركاءكم ﴾ أى الاصنام لتخلصكم من العذاب ﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ أى لم يجيبوهم ﴿ ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ معناه لو أنهم كانوا يهتدون فى الدنيا مارأوا العذاب فى الآخرة ﴿ ويوم يناديهم ﴾ أى يسأل الكفار ﴿ فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ أى ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين ﴿ فعميت عليهم ﴾ أى خفيت واشتبهت عليهم ﴿ الانباء ﴾ يعنى الاخبار والاعذار والحجج ﴿ يومئذ ﴾ فلم يكن لهم عذر ولاحجة ﴿ فهم لايتساءلون ﴾ أى لايجيبون ولايحتجون وقيل يسكتون فلايسأل بعضهم بعضا ﴿ فاما من تاب وآمن

اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم ثم مايشبه اشماتتهم لاستغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم مايبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل (فعميت عليهم الانباء يومئذ) خفيت عليهم الحجج أوالاخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بما ذا يجيبون اذلم يكن عندهم جواب (فهم لايتساءلون) لايسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لانهم يتساوون فى العجز عن الجواب (فامامن تاب) من الشرك (وآمن) بربه وبما جاء من عنده

(تبرأنا اليك) منهم (ما كانوا ايانا يعبدون) بامرنا (وقيل ادعوا شركاءكم) آلهتكم حتى يمنعوكم من عذاب الله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم برفع عذاب الله عنهم (ورأوا العذاب) القادة والسفلة (لو انهم كانوا يهتدون) تمنوا لو أنهم كانوا فى الدنيا على الحق والهدى (ويوم) وهو يوم القيامة (يناديهم) الكفار (فيقول) الله لهم (ماذا أجبتم المرسلين) بما دعوكم (فعميت) فالتبست (عليهم الانباء) الاخبار والاجابة (يومئذ) يوم القيامة (فهم لايتساءلون) لايجيبون (فامامن تاب) من الكفر (وآمن) بالله

(وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين) اى فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وترغيب للكافرين على الايمان ونزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى نفسه أو ابن مسعود (وربك يخلق مايشاء) وفيه دلالة خلق الافعال ويوقف على (ويختار) أى وربك يخلق مايشاء وربك يختار مايشاء (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم ان يختاروا على الله شيأ ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف فى ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله ويختار اذ المعنى ان الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة فى افعاله فليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذى لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل ما لنفى اختيار الخلق تقرير لاختيار الحق ومن قال و معناه ويختار للعباد ماهو خير لهم وأصلح فهو مائل الى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير و بمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أى الله برئ من اشراكهم وهو منزه عن أن يكون لاحد عليه اختيار (وربك يعلم ماتكن) تضمر (صدورهم) من عداوة رسول صلى الله عليه وسلم وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره فى النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالالهية المختص بها (لا اله الا هو) تقرير لذلك كقولك القبلة الكعبة لا قبلة الا هى (له الحمد فى الاولى) الدنيا (والآخرة) هو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثمة على (فى)

وعمل صالحا ﴾ وجمع بين الايمان والعمل الصالح ﴿ فعسى ان يكون من المفلحين ﴾ عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح ﴿ وربك يخلق مايشاء ويختار ﴾ لا موجب عليه ولا مانع له ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴾ اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لااختيار لهم فيها وقيل المراد به انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ماروى انه نزل فى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح ﴿ سبحان الله ﴾ تنزيها له ان ينازعه أحد او يزاحم اختياره ﴿ وتعالى عما يشركون ﴾ عن اشراكهم او مشاركة مايشركونه به ﴿ وربك يعلم ماتكن صدورهم ﴾ كعداوة رسول الله وحقده ﴿ وما يعلنون ﴾ كالطعن فيه ﴿ وهو الله ﴾ المستحق للعبادة ﴿ لا اله الا هو ﴾ لا احد يستحقها الا هو ﴿ له الحمد فى الاولى والآخرة ﴾ لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا

وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين ﴾ أى من السعداء الناجين وعسى من الله واجب ﴿ وقوله تعالى ﴿ وربك يخلق مايشاء ويختار ﴾ نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفى أخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴾ أى ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه ﴿ ثم نزه الله تعالى نفسه فقال ﴿ سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ماتكن ﴾ أى تخفى ﴿ صدورهم وما يعلنون ﴾ أى يظهرون ﴿ وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة ﴾ أى يحمده أولياؤه فى الدنيا ويحمدونه

(وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (فعسى) وعسى من الله واجب (أن يكون من المفلحين) من الناجين من السخط والعذاب (وربك يخلق مايشاء) كما يشاء (ويختار) من خلقه بالنبوة من يشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ما كان لهم) لاهل مكة (الخيرة) الاختيار (سبحان الله) نزه نفسه (وتعالى) تبرأ (عما يشركون) به من الاوثان (وربك يعلم ماتكن صدورهم) ما تضمر قلوبهم من البغض والعداوة (وما يعلنون) ما يظهرون من المعاصى (وهو الله لا اله الا هو) لا ولد له ولا شريك له (له الحمد) له الشكر (فى الاولى والآخرة) على أهل الارض والسماء ويقال له الحمد والمنة والفضل والاحسان فى الاولى والآخرة على أهل الدنيا

وجه اللذة لا الكلفة (وله الحكم) القضاء بين عباده (واليه ترجعون) بالبعث والنشور وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرأيتم) أريتم بحذوف الهمزة على (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) هو مفعول ثان لجعل أى دائما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل (الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) والمعنى أخبرونى من يقدر على هذا (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لان السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ماتبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه واتبتغوا من فضله) أى لتسكنوا بالليل واتبتغوا من فضل الله فى النهار فيكون من باب اللف

الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده ﴿ وله الحكم ﴾ القضاء النافذ فى كل شئ ﴿ واليه ترجعون ﴾ بالنشور ﴿ قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا ﴾ دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص ﴿ الى يوم القيمة ﴾ باسكان الشمس تحت الارض اوتحريكها فوق الافق الغائر ﴿ من اله غير الله يأتيكم بضياء ﴾ كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين ﴿ أفلا تسمعون ﴾ سماع تدبر واستبصار ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة ﴾ باسكانها فى وسط السماء اوتحريكها على مدار فوق الافق ﴿ من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ﴾ استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل ﴿ أفلا تبصرون ﴾ لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ﴾ فى الليل ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ فى النهار بانواع المكاسب

فى الآخرة فى الجنة ﴿ وله الحكم ﴾ أى فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة ﴿ واليه ترجعون ﴾ ☼ قوله عز وجل ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لاهل مكة ﴿ أرأيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان جعل الله عليكم الليل سرمدا ﴾ أى دائما ﴿ الى يوم القيمة ﴾ لا نهار فيه ﴿ من اله غير الله يأتيكم بضياء ﴾ أى بنهار تطلبون فيه المعيشة ﴿ أفلا تسمعون ﴾ أى سماع فهم وقبول ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة ﴾ أى لا ليل فيه ﴿ من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ أى ما أنتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء فى حال الدنيا وفى حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل مايحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولاجله يحصل الاجتماع فتمكن المعاملات ومعلوم ان ذلك لا يتم الا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منهما فاما فى الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا فبين الله تعالى انه القادر على ذلك ليس غيره فقال ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار ﴾ أى يتعاقبان بالظلمة والضياء ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ أى فى الليل ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾

والآخرة (وله الحكم) القضاء بينهم (واليه ترجعون) بعد الموت (قل) لهم يا محمد لاهل مكة (أرأيتم) ماتقولون يامعشر الكفار (ان جعل الله عليكم الليل) ان ترك الله عليكم الليل مظلما (سرمدا) دائما (الى يوم القيمة) لا نهار فيه (من اله غير الله) سوى الله (يأتيكم بضياء) بنهار (أفلا تسمعون) أفلا تطيعون من جعل لكم الليل والنهار (قل) لهم يا محمد أيضا (أرأيتم) ماتقولون (ان جعل الله عليكم) ان ترك الله عليكم (النهار سرمدا) دائما (الى يوم القيمة) لا ليل فيه (من اله غير الله) سوى الله (يأتيكم بليل تسكنون فيه) تستقرون فيه (أفلا تبصرون) أفلا تصدقون من جعل لكم خلق لكم الليل والنهار (ومن رحمته) نعمته (جعل لكم) خلق لكم (الليل والنهار لتسكنوا فيه) لتستقروا فى الليل (ولتبتغوا من فضله) لكى تطلبوا بالنهار

والنشر (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليؤذن ان لا شئ أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شئ أدخل في مرضاته من توحيده (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعني نبيهم لان الانبياء للامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامم (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فعلموا) حينئذ (ان الحق لله) التوحيد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع (ما كانوا يفترون) من الوهية غير الله والشفاعة لهم (ان قارون) لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشئ لانصرف (كان من قوم موسى) كان اسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون ابن يصهر بن قاهث بن لاوى ابن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري (فبغى عليهم) من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم أو من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده أو زاد عليهم في الثياب شبرا (وآتيناه

﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب الله من الاشراك به والاول لتقرير فساد آرائهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهي وهوى ﴿ونزعنا﴾ واخرجنا ﴿من كل امة شهيدا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فقلنا﴾ للامم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على صحة ما كنتم تدينون به ﴿فعلموا﴾ حينئذ ﴿ان الحق لله﴾ في الالهية لا يشاركه فيها احد ﴿وضل عنهم﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الباطل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به ﴿فبغى عليهم﴾ فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ الى متى اصبر ﴿وآتيناه

أي بالنهار ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي نعم الله فيهما ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ﴿ونزعنا﴾ أي أخرجنا وقيل ميزنا ﴿من كل أمة شهيدا﴾ يعني رسولهم يشهد عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم ﴿فقلنا﴾ أي للامم المكذبة لرسلهم ﴿هاتوا برهانكم﴾ أي حجتكم بان معي شريكا ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أي التوحيد لله ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي يختلقون في الدنيا من الكذب على الله * قوله عز وجل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري ﴿فبغى عليهم﴾ قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثيابه خيلاء أخرجاه في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو ﴿وآتيناه

فضله بالعلم والعبادة (ولعلكم تشكرون) كي تشكروا نعمته عليكم بالليل والنهار (ويوم) وهو يوم القيامة (يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) تقولون انهم شركائي (ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد عليهم بالبلاغ وهو (من) نبيهم الذي كان فيهم في الدنيا (فقلنا هاتوا برهانكم) حجتكم لماذا رددتم على الرسل (فعلموا) علم كل أمة (أن الحق لله) ان عبادة الله ودين الله الحق وان القضاء فيهم لله (وضل عنهم) اشتغل عنهم بانفسهم (ما كانوا يفترون) يعبدون بالكذب (ان قارون كان من قوم موسى) ابن عم موسى (فبغى عليهم) فتطاول على موسى وهارون وقومهما فقال لموسى الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شئ لا أرضى بهذا ورد على موسى نبوته (وآتيناه) أعطيناه

من الكنوز ما ان مفاتحه) ما بمعنى الذي في موضع نصب بآتينا وان واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به أو مفتح بالفتح وهو الخزانة والاصوب انها المقاليد (لتنوء بالعصبة) لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود (أولى القوة) الشدة (اذ قال له قومه) أي المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل اذ نصب بتنوء (لا تفرح) لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن وأما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين بالمال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى أبواب الخير (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو ان تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فان ذلك حظ

من الكنوز ﴾ من الاموال المدخرة ﴿ ما ان مفاتحه ﴾ مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح ﴿ لتنوء بالعصبة اولى القوة ﴾ خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ﴿ اذ قال له قومه ﴾ منصوب بتنوء ﴿ لا تفرح ﴾ لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال

اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم ، وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ﴿ ان الله لا يحب الفرحين ﴾ اى بزخارف الدنيا ﴿ وابتغ فيما آتاك الله ﴾ من الغنى ﴿ الدار الآخرة ﴾ بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ﴿ ولا تنس ﴾ ولا تترك ترك المنسي ﴿ نصيبك من الدنيا ﴾ وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك

من الكنوز ما ان مفاتحه ﴾ جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعني خزائنه ﴿ لتنوء بالعصبة أولي القوة ﴾ معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لثقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أين ما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا ﴿ اذ قال له قومه لا تفرح ﴾ أي لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح ﴿ ان الله لا يحب الفرحين ﴾ أي الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن اليها فأما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ﴾ أي اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ أي لا تترك ان تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة ، عن عمرو بن ميمون الاودي قال قال رسول الله

من الكنوز) يعني الاموال (ما ان مفاتحه) مفاتيح خزائنه (لتنوء بالعصبة) لتثقل بالجماعة (أولى القوة) ذوي القوة وهم أربعون رجلا يحملون مفاتيح خزائنه (اذ قال له قومه) قوم موسى (لا تفرح) لا تبطر بالمال وتشرك (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين في المال (وابتغ) اطلب (فيما آتاك الله) بما أعطاك الله بالمال (الدار الآخرة) يعني الجنة (ولا تنس نصيبك من الدنيا) لا تترك نصيبك من الآخرة بنصيبك من الدنيا ويقال لا تنقص نصيبك من الدنيا بما أنفقت وأعطيت للآخرة

المؤمن منها (وأحسن) الى عبادالله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكره وطاعتك لخالق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولاتبغ الفساد فى الارض) بالظلم والبغى (ان الله لايحب المفسدين قال انما أوتيته) أى المال (على علم عندى) أى على استحقاق لما فى من العلم الذى فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة لعلم قال سهل مانظر أحد الى نفسه فافلح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه فى جميع الافعال والاقوال والشقى من زين فى عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولافتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا (أولم يعلم) قارون (ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) هو اثبات لعلمه بان الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه فى التوراة كأنه قيل أولم يعلم فى جملة ماعنده من العلم هذا حتى لايغتر بكثرة ماله وقوته أو نفى لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندى قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو اكثر جماعة وعددا (ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير سؤالهم حساب أو يعترفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسيماهم فلايسئلون أولا

﴿ وأحسن ﴾ الى عباد الله ﴿ كما احسن الله اليك ﴾ فيما انعم عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ﴿ ولاتبغ الفساد فى الارض ﴾ بامر يكون علة للظلم والبغى ﴿ ان الله لايحب المفسدين ﴾ لسوء افعالهم ﴿ قال انما اوتيته على علم عندى ﴾ فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى صفة له اومتعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى ﴿ أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ﴾ تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه فى التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ اورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم عنه اى اعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين ﴿ ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها اومعاتبة

صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ وأحسن كما احسن الله اليك ﴾ أى أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس ﴿ ولاتبغ ﴾ أى ولاتطلب ﴿ الفساد فى الارض ﴾ وكل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الارض ﴿ ان الله لايحب المفسدين قال ﴾ يعنى قارون ﴿ انما أوتيته على علم عندى ﴾ أى على فضل وخير علمه الله عندى فرآنى أهلا لذلك ففضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف فى التجارات والزراعات وأنواع المكاسب ﴿ قال الله عز وجل ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ﴾ أى للاموال ﴿ ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ قيل معناه ان الله تعالى اذا أراد عقاب المجرمين فلاحاجة به الى

(وأحسن) الى الفقراء والمساكين (كما أحسن الله اليك) بالمال (ولاتبغ الفساد فى الارض) لاتعمل بالمعاصى وخلاف أمر الرسول موسى عليه السلام (ان الله لايحب المفسدين) بالمعاصى (قال) قارون (انما أوتيته) أعطيت هذا المال الذى أعطيت (على علم عندى) على ما علم الله انى أهل لذلك ويقال بصنع الذهب بالكيمياء (أولم يعلم) قارون (ان الله قد أهلك من قبله من القرون) الماضية (من هو أشد منه قوة) بالبدن (وأكثر جمعا) مالا ورجالا (ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون) المشركون يوم القيامة كل يعرف بسيماء

يسئلون لتعلم من جهتهم بل يسئلون سؤال توبيخ أولا يسئل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة (فخرج على قومه فى زينته) فى الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن من الحلى والديباج وفى زينته حال من فاعل خرج أى متزينا (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) قيل كانوا مسلمين وانما تمنوا على سبيل الرغبة فى اليسار البشر وقيل كانوا كفارا (ياليت لنا مثل ما أوتى قارون) قاله غبطة والغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذى يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا الا كما يضر العضاه الخبط (انه لذو حظ عظيم) الحظ الجد وهو البخت والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطى قارون (ويلكم) أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفى التبيان فى اعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أى الزمكم الله ويلكم (ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها) أى لا يلقن هذه الكلمة وهى ثواب الله خير (الا الصابرون) على الطاعات

فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم ومعاقبهم عليها لا محالة ﴿ فخرج على قومه فى زينته ﴾ كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه ﴿ قال الذين يريد الحيوة الدنيا ﴾ على ما هو عادة الناس من الرغبة ﴿ ياليت لنا مثل ما اوتى قارون ﴾ تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد ﴿ انه لذو حظ عظيم ﴾ من الدنيا ﴿ وقال الذين اوتوا العلم ﴾ باحوال الآخرة للمتمنين ﴿ ويلكم ﴾ دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ﴿ ثواب الله ﴾ فى الآخرة ﴿ خير لمن آمن وعمل صالحا ﴾ مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها ﴿ ولا يلقاها ﴾ الضمير فيه للكلمة التى تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة ﴿ الا الصابرون ﴾ على الطاعات وعن المعاصى

سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم * قوله عز وجل ﴿ فخرج على قومه فى زينته ﴾ قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهن الحلى والثياب الحمر وهن على البغال الشهب ﴿ قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم ﴾ أى من المال ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ﴾ أى بما وعد الله فى الآخرة وقال ابن عباس يعنى الاحبار من بنى اسرائيل للذين تمنوا مثل ما أوتى قارون ﴿ ويلكم ثواب الله ﴾ أى ما عند الله من الثواب والخير ﴿ خير لمن آمن ﴾ أى صدق بتوحيد الله ﴿ وعمل صالحا ﴾ أى ذلك خير مما أوتى قارون فى الدنيا ﴿ ولا يلقاها الا الصابرون ﴾ أى لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهى قوله

(فخرج) قارون (على قومه فى زينته) التى كانت له من الخيل والبغال والغلمان والجوارى وحلى الذهب والفضة وألوان السلاح والثياب (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) وهم الراغبون (ياليت لنا مثل ما أوتى) أعطى (قارون) من المال (انه لذو حظ عظيم) نصيب كثير (وقال الذين أوتوا العلم) أعطوا علم الزهد والتوكل وهم الزاهدون قالوا للراغبين (ويلكم) ضيق الله عليكم الدنيا (ثواب الله خير) فى الجنة أفضل (لمن آمن) بالله وبموسى (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (ولا يلقاها) لا يعطى الجنة (الا الصابرون)

﴿ فخسفنا به وبداره الارض ﴾ روى انه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى فخر موسى شاكيا منه

ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أى على طاعة الله وعن زينة الدنيا ❊ قوله تعالى ﴿ فخسفنا به وبداره الارض ﴾

﴿ ذكر قصة قارون ﴾

قال أهل العلم بالاخبار والسير كان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون واقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى ان يأمر قومه أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة فى كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرونى به اذا نظروا الى السماء ويعلمون انى منزل منها كلامى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم ان يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه ياموسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فاذا لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم ان تعلقوا فى أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكى تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ماأمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون وهى رآسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقربانهم الى هارون فيضعها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك فى نفسه فأتى الى موسى فقال له ياموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست فى شئ من ذلك وأنا أقرأ التوراة لاصبر لى على هذا فقال أما أنا ماجعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لاأصدقك حتى ترينى بيانه فجمع موسى رؤساء بنى اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها فى قبته التى يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون ترى هذا فقال له قارون والله ماهذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الاعتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بنى اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنها دينار وعلى كل ألف درهم عنها درهم وكل ألف شاة عنها شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى

وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ماقسم الله من القليل عن الكثير (فخسفنا به وبداره الارض) كان قارون يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغى حتى ترميه بنفسها

على أمر الله والمرازى ويقال لايوفق لكلمة الطيبة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا الصابرون على أمر الله والمرازى (فخسفنا به) بقارون (وبداره) بمنزله (الارض) غارت به الارض

(بيته)

الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبته ثم قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فأوحى الله اليه ما أفظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لأجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله ﴿ فما كان له من فئة ﴾ اعوان مشتقة من فأوت رأسه

بيته فحسبه فوجده شيأ كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شئ فاطعتموه وهو يريد يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم ان تجيئوا فلانة البغى وتجعلوا عليكم لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل فرفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون أنزلك وأخلطك بنسائى على أن تقذفى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بنى اسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم فى مرج من الارض فقام فيهم فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه الى أن يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة البغى قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت فى نفسها أحدث توبة أفضل من ان أوذى رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لى جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه انى أمرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فاخذتهم باقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه فى ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى فى ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فاطبقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ما أغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتى وجلالى لو استغاث بى مرة لاغثته وفى بعض الآثار لا أجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به الارض فهو يتجلجل فى الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة وأصبح بنو اسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض فذلك قوله تعالى ﴿ فما كان له من فئة ﴾ أى جماعة

ثم رفضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار أوطستا من ذهب أو حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها بالذى فلق البحر وأنزل التوراة ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعزتى لو استرحمنى مرة لرحمته فقال بعض بنى اسرائيل انما أهلكه (قا و خا ٧٤ بع) ليرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه (فما كان له من فئة) جماعة

(فما كان له من فئة) من جماعة وجند

(ينصرونه من دون الله) يمنعونه من عذاب الله (وما كان من المنتصرين) من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه منه فامتنع (وأصبح) وصار (الذين تمنوا مكانه) منزلته من الدنيا (بالامس) ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وى منفصلة عن كأن عند البصريين قال سيبويه وى كلمة تنبه على الخطأ وتندم يستعملها النادم باظهار ندامته يعنى ان القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل وتندموا (لولا أن من الله علينا) بصرف ما كنا تمناه بالامس (لخسف بنا) وبفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى (ويكأنه لايفلح الكافرون) أى تندموا ثم قالوا كأنه لايفلح الكافرون (تلك الدار الآخرة) تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها وقوله (نجعلها) خبر تلك والدار نعتها (للذين لايريدون علوا فى الارض) بغيا ابن جبير وظلما الضحاك أو كبرا (ولا فسادا) عملا بالمعاصى أو قتل النفس أو دعاء الى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن

اذا منعته ﴿ينصرونه من دون الله﴾ فيدفعون عنه عذابه ﴿وما كان من المنتصرين﴾ الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع ﴿واصبح الذين تمنوا مكانه﴾ منزلته ﴿بالامس﴾ منذ زمان قريب ﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضى البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما أشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وأن وتقديره ويك اعلم ان الله ﴿لولا ان من الله علينا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا ﴿لخسف بنا﴾ لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين ﴿ويكأنه لايفلح الكافرون﴾ لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة ﴿تلك الدار الآخرة﴾ اشارة تعظيم كأنه قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر ﴿نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض﴾ غلبة وقهرا ﴿ولا فسادا﴾ ظلما على

﴿ينصرونه من دون الله﴾ أى يمنعونه من الله ﴿وما كان من المنتصرين﴾ من الممتنعين مما نزل به من الخسف ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس﴾ أى صار أولئك الذى تمنوا ما رزقه الله من الاموال والزينة يندمون على ذلك التمنى ﴿يقولون ويكأن الله﴾ ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هى كلمة تقرير معناها أما ترى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويلك اعلم ان الله وروى ان وى مفصولة من كأن والمعنى ان القوم ندموا فقالوا متندمين على ماسلف منهم وى وكأن معناها أظن وأقدر ان الله ﴿يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ قال ابن عباس أى يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء ﴿لولا أن من الله علينا﴾ أى بالايمان ﴿لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون﴾ * قوله عز وجل ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض﴾ أى استكبارا عن الايمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذى سلطان وعن على أنها نزلت فى أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة ﴿ولا فسادا﴾ قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير

(ينصرونه) يمنعونه (من دون الله) من عذاب الله حين نزل به (وما كان من المنتصرين) الممتنعين بنفسه من عذاب الله (وأصبح) صار (الذين تمنوا مكانه) قدره ﴿حق﴾ ومنزلته وماله (بالامس يقولون) بعضهم لبعض (ويكأن الله) ليس كما قال قارون انه هذا المال بصنعى ولكن الله (يبسط) يوسع (الرزق) المال (لمن يشاء) على من يشاء (من عباده) وهو مكر منه كما كان لقارون (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (لولا أن من الله علينا) فمنع عنا ما أعطاه (لخسف بنا) غارت بنا الارض كما خسف بقارون (ويكأنه) وانه والياء والكاف صلة فى الكلام (لايفلح) لاينجو ولا يأمن (الكافرون) من عذاب الله (تلك الدار الآخرة) الجنة (نجعلها) نعطيها (للذين لايريدون علوا) عتوا وتكبرا (فى الارض) بالمال (ولا فسادا)

على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الامانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقيل بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله ان فرعون علا فى الارض ولا تبغ الفساد فى الارض (والعاقبة) المحمود (للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها) مر فى النمل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيآت موضع الضمير لان فى اسناد عمل

السيئة اليهم مكرر افضل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الا ما كانوا يعملون) الا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزى السيئة الا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة (ان الذى فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك) بعد الموت (الى معاد) أى معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا نكره أو المراد به مكة والمراد رده اليها يوم الفتح لانها كانت فى ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق الى مولده ومولد آبائه ولما وعد رسوله الرد الى معاده قال (قل) للمشركين (ربى أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وماله من الثواب فى معاده

الناس كما اراد فرعون وقارون ﴿ والعاقبة ﴾ المحمودة ﴿ للمتقين ﴾ مالا يرضاه الله ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ ذاتا وقدرا ووصفا ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم ﴿ الا ما كانوا يعملون ﴾ اى الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة ﴿ ان الذى فرض عليك القرآن ﴾ اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ﴿ لرادك الى معاد ﴾ اى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه اومكة التى اعتدت بها على انه من العادة ورده اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت ﴿ قل ربى اعلم من جاء بالهدى ﴾ وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم

حق وقيل العمل بالمعاصى ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾ أى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء أوامره واجتناب نواهيه وقيل عقبة المتقين الجنة ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت الا ما كانوا يعملون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ قوله تعالى ﴿ ان الذى فرض عليك القرآن ﴾ أى أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن ﴿ لرادك الى معاد ﴾ قال ابن عباس الى مكة أخرجه البخارى عنه قال القتيبى معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع الى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فأتاه جبريل عليه السلام وقال له أتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة ﴿ قل ربى أعلم من جاء بالهدى ﴾ هذا

بالنقش والتصاوير والمعاصى (والعاقبة) الجنة (للمتقين) الكفر والشرك والعلو والفساد فى الارض (من جاء بالحسنة) بلا اله الا الله مخلصا بها (فله خير منها) فله منها خير (ومن جاء بالسيئة) بالشرك بالله (فلا يجزى الذين عملوا السيآت) فى الشرك بالله (الا ما كانوا يعملون) النار (ان الذى فرض عليك القرآن) نزل عليك جبريل بالقرآن (لرادك الى معاد) الى مكة ويقال الجنة (قل) يا محمد (ربى أعلم من جاء بالهدى) بالتوحيد والقرآن

(ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب فى معادهم من فى محل نصب بفعل مضمر أى يعلم (وما كنت ترجو أن يلقى) يوحى (اليك الكتاب) القرآن (الارحمة من ربك) هو محمول على المعنى أى وما ألقى اليك الكتاب الارحمة من ربك أو الا بمعنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك الكتاب (فلاتكونن ظهيرا للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو على الجمع أى لا يمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله أى القرآن (بعد اذ أنزلت اليك) الآيات أى بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولأن العصمة لا تمنع النهى والوقف على آخر لازم لانه لو وصل لصار (لا اله الا هو) صفة لالها آخر وفيه من الفساد ما فيه (كل شئ هالك

﴿ومن هو فى ضلال مبين﴾ وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله ﴿وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب﴾ اى سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه ﴿الارحمة من ربك﴾ ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما القى اليك الكتاب الارحمة اى لاجل الترحم ﴿فلاتكونن ظهيرا للكافرين﴾ بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾ عن قراءتها والعمل بها ﴿بعد اذ أنزلت اليك﴾ وقرئ يصدنك من أصد ﴿وادع الى ربك﴾ الى عبادته وتوحيده ﴿ولاتكونن من المشركين﴾ بمساعدتهم ﴿ولا تدع مع الله الها آخر﴾ هذا وماقبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم ﴿لااله الاهو كل شئ هالك

جواب لكفار مكة لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك لفى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه ﴿ومن هو فى ضلال مبين﴾ يعنى المشركين ومعناه هو أعلم بالفريقين * قوله عز وجل ﴿وما كنت ترجوأن يلقى اليك الكتاب﴾ أى يوحى اليك القرآن ﴿الارحمة من ربك﴾ فاعطاك القرآن ﴿فلاتكونن ظهيرا﴾ أى معينا ﴿للكافرين﴾ على دينهم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾ يعنى القرآن ﴿بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك﴾ الى معرفته وتوحيده ﴿ولاتكونن من المشركين﴾ قال ابن عباس الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم ﴿ولا تدع مع الله الها آخر﴾ معناه واجب على الكل الا أنه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله الها آخر فما فائدة هذا النهى قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره ﴿لااله الاهو كل شئ هالك﴾

(ومن هو فى ضلال مبين) فى كفر بين وخطأ بين (وما كنت) يا محمد (ترجوان يلقى اليك الكتاب) أن ينزل عليك جبريل بالقرآن وتكون نبيا (الارحمة من ربك) ولكن منة وكرامة من ربك اذ أرسل عليك (أى) جبريل بالقرآن وجعلك نبيا (فلاتكونن ظهيرا) عونا (للكافرين) بالكفر (ولا يصدنك) لا يصرفنك (عن آيات الله) القرآن (بعد اذ أنزلت اليك) جبريل بها (وادع الى ربك) الى توحيد ربك وكتاب ربك (ولاتكونن من المشركين) مع المشركين على دينهم (ولا تدع مع الله الها آخر) لا تعبد من دون الله أحدا ولا تدع الخلق الى أحد دون الله (لااله الاهو) وحده لا شريك له (كل شئ) كل عمل لغير وجه الله (هالك) مردود

الاوجهه ﴾ الاذاته فان ماعداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم ﴿ له الحكم ﴾ القضاء النافذ فى الخلق ﴿ واليه ترجعون ﴾ للجزاء بالحق ❊ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر
بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق
ملك فى السموات والارض الاشهد له
يوم القيامة انه كان
صادقا

أى فان ﴿ الاوجهه ﴾ أى الاهو والوجه يعبربه عن الذات وقيل معناه الاما أريد به وجهه لان عمل كل شئ أريد به غيرالله فهو هالك ﴿ له الحكم ﴾
أى فصل القضاء بين الحق ﴿ واليه ترجعون ﴾
أى تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم
والله أعلم بمراده

الاوجهه) أى الااياه فالوجه يعبربه عن الذات وقال مجاهد يعنى علم العلماء اذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء فى خلقه (واليه ترجعون) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم

(الاوجهه) الاماابتغى به وجهه ويقال كل وجه متغير الاوجهه وكل ملك زائل الا ملكه (له الحكم) القضاء بين خلقه (واليه ترجعون) بعد الموت فيجازيكم باعمالكم

فهرست جلد الرابع من التفسيرين الجليلين ❁ الاول
المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل ❁ الثانى
المسمى بلباب التأويل
فى معانى التنزيل

معارف نظارت جليله سنك (٢٥٣) و (٦٣٣) نومرولى جارى رخصتنامه‌لريله
مطبعهٔ عامره ده طبع اولنمشدر